جمهورية مصر العربية
مجمع اللغة العربية



اللهجات العربية

بحوث ودراسات

جمع وإعـــــداد
ثروت عبد السميع
المحرر بالمجمع

مراجعة
د. محمد حماد
الخبير بالمجمع

إشراف
د. كمال بشر
الأمين العام للمجمع
ومقرر لجنة اللهجات

القاهرة
٢٠٠٤م



الطبعة الأولى
١٤٢٥ = ٢٠٠٤م

فهرس المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

بقلم

الأستاذ الدكتور شوقي ضيف

رئيس المجمع

هـذا هو الكتاب الأول من أعمال لجنة اللهجات، وعنوانه: "***اللهجات العربيّة بحوث ودراسات***"، وسوف تليه – بإذن الله – بقيّة الأجزاء، التي تلقى الضَّوْء على جهود لجنة اللهجات، والمجمع؛ خِدْمة للعربيَّة ولهجاتها.

واشـتمل هذا الكتاب – بالإضافة إلى البحوث التي تقدَّمت بها لجنة اللهجات إلى مجلس المجمع ومؤتمره، خلال دوراته المتعاقبة – على بحوث قدِّمت من خارج اللجـنة، وردت بمحاضـر جلسات المجمع، وبمجلته، وقد جُمعت تلك البحوث معًا، وَفْق تصنيفٍ موضوعِيّ؛ لاتّصال موضوعاتها بعضها ببعض.

وقـد بدأت لجنة اللهجات نشاطها مع بداية إنشاء المجمع، حيث نصّ مرسوم إنشـائه علـى: "أن يـنظِّم دراسة علميّة للّهجات الحديثة بمصرَ وغيرها من البلاد العربـيّة"، كمـا نَصّتْ لائحة المجمع على أن من أغراضه: "أن يقوم ببحث علميّ للهجـات العربية الحديثة بمصرَ وغيرها من البلاد العربيّة"، لذا تألفت لجنة مهمتها دراسة اللهجات ونشر النصوص القديمة.

ومـن القرارات المهمّة لتلك اللجنة، والتي عرضتها على مجلس المجمع، ما يلي:

١- أنْ يُحْصَر بحث اللهجات أوّل الأمرِ في اللهجات المصريَّة.

٢- وأنْ تُبْحث اللغة العاميّة المصرية من النواحي الآتية:

أ- اسـتخراج مـا فـيها من الكلمات العربيّة الفصيحة التي يتجافاها الأدباء لمجرد جريانها على ألسنة العامّة.

ب- ودراسة ما طرأ على أصوات اللهجات العاميّة من تغيير وتحريف، وأسباب ذلك.

جـ - والبحث في نحو العاميّة وصرفها وبلاغتها، ووضع قواعد لذلك.

٣- جمع المؤلَّفات العربية - وغير العربية - التي بحثت في موضوع اللهجات.

(وقد تفضل الأستاذ عيسى المعلوف بتقديم بحث في هذا الموضوع)

٤- أن تمكّن اللجنة من تسجيل اللهجات من الناحية الصوتيّة، وطرُق الأداء، في سجلاّت صوتيّة، من أقراص وأشرطة، بآلاتها الخاصّة، وتحفظ في المجمع.

ومن القرارات الصادرة عن المجلس: أن تدرس اللهجات العربية من خلال القراءات القرآنيّة، (وتفضل الدكتور علي عبد الواحد وافي بتقديم دراسات في هذا الموضوع). بالإضافة إلى موضوعات أخرى - سترد في دراسات لاحقة - كموضوعات: العامّي والفصيح، والفصائل اللغويّة، وقرارات كتابة الأعلام الأجنبيّة بحروف عربية، وغير ذلك.

وأنجز السادة العلماء أعضاء اللجنة وخبراؤها - في بحوثهم القيّمة التي قدَّموها - معظم توصيات اللجنة، بالإضافة إلى موضوعات أخرى كثيرة تناولوها بالتفصيل.

وتم تصنيف بحوث هذا الكتاب في ثلاثة أقسام، القسم الأول: في دراسة اللهجات، والثاني: في اللهجات العربية القديمة، والثالث: في اللهجات المحليَّة.

ومن بين البحوث المهمة التي ذكرت في هذا الكتاب: "طريقة لكتابة نصوص اللهجات العربية الحديثة بحروف عربية"، و" الأطلس اللُّغويّ"، للدكتور خليل عساكر، و" اللهجة العربية العاميّة"، للأستاذ عيسى إسكندر المعلوف، و" القراءات القرآنيَّة واللهجات "، للدكتور علي عبد الواحد وافي، و" لهجات عربيّة شماليّة قبل الإسلام"، للأستاذ ليتمان. هذا بالإضافة إلى إسهامات العديد من العلماء ببحوث قيِّمة في هذا الكتاب، نذكر منهم: الأستاذ محمد رضا الشبيبي، والأستاذ محمد فريد أبا حديد، والدكتور مراد كامل، وغيرهم. والكتاب بما اشتمل عليه من دراسات علمية قيّمة جدير بنشره في أوساط الباحثين المهتمين بفقه اللغة العربية ولهجاتها.

أ.د. شوقي ضيف

تقديم

بدأت لجنة اللهجات نشاطها منذ إنشاء المجمع، الذي نصَّ مرسوم إنشائه في مادتـــه الثانية على أن ينظم دراسة علمية للهجات الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربـــية، وتألَّفــت لجــنة لدراسة اللهجات ونشر النصوص القديمة، من حضرات الأعضاء:

١- الأستاذ الشيخ محمد الخضر حسين (رئيسًا) ٢- الأستاذ الشيخ إبراهيم حمروش

٣- الأستاذ أ. فيشر ٤- الأستاذ إ. ليتمان

٥- الأستاذ هـــ.أ.ر. جبّ ٦- الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب

٧- الأب أنستاس مارى الكِرملي ٨- الأستاذ عيسى إسكندر المعلوف

ثـــم قرَّر مؤتمر المجمع في جلسته الثانية، في الثاني من فبراير عام ١٩٤١م إعادة تشكيل اللجنة، من السادة :

- الأستاذ الشيخ إبراهيم حمروش
- الأستاذ أحمد أمين
- الأستاذ جاييم نحوم
- الأستاذ عباس محمود العقاد
- الأستاذ علي الجارم
- الأستاذ فارس نمر
- الأستاذ الشيخ محمد الخضر حُسين
- الدكتور منصور فهمي

وتقـــرر أن يكون رئيس اللجنة فارس نمر باشا، وكاتب سرّها الأستاذ عباس محمود العقاد.

وقـــد توالى - بعد ذلك - على هذه اللجنة كثير من الأعضاء والخبراء، ذوى العطـــاء المتمـــيّز، حيث بحثت اللجنة العديد من الموضوعات المهمّة، مثل: طريقة

جديـــدة لكتابة نصوص اللهجات العربية الحديثة بحروف عربية، والأطلس اللغوي، ودراســـة اللهجات العربية والقراءات القرآنية، ودراسة العاميَّات وردّ الصحيح منها إلـــى أصوله في اللغة العربية، والتقريب بين الفصحى ولهجاتها، والدعوة إلى إزالة الفوارق بين لهجات البلاد العربية والسمو بها جميعًا إلى اللغة الفصحى، كما أخذت اللجـــنة علـــى عاتقها دراسة الفصائل اللغويَّة، وركَّزت على فصيلة اللغات السامية؛ لأنَّ دراســـتها تعـــدُّ تعمـــيقًا لدراسة الفصحى وتوضيحًا وحلاًّ للكثير من مشكلاتها وقضاياها.

وشرعت اللجنة في إعداد معجم للمصطلحات اللغوية، وصل إلى حرف (D) وللجـــنة دراســـات حـــول كتابة الأعلام الأجنبية بحروف عربية، إلى غير ذلك من الـــبحوث ذات العمـــق العلمـــي الأكاديمي، التي تحلُّ الكثير من مشكلات الفصحى وقضاياها، وبخاصَّة بعد تعديل اللجنة إلى "لجنة اللهجات والبحوث اللغوية"، وإتمامًا للفـــائدة رأينا عدم الاكتفاء بما قدَّمته اللجنة من أعمال في اللهجات - وما يتعلق بها مـــن قريـــب أو بعـــيدٍ - من دراسات، فأضَفْنا إليه ما نُشِر في المجمع من دراسات تتعلَّق باللهجات.

وهـــذه البحوث لكثرتها لا يمكن بحالٍ طبعها جميعًا في كتاب واحد، ومن ثمَّ جـــاءت فكـــرة تقسيمه إلى أجزاء، رأينا أن يشمل الجزء الأول جميع البحوث التي تـــتعلق بدراســـة اللهجـــات، أي التـــي تعرّف باللهجات القديمة والحديثة وعلاقتها بالفصـــحى، والتقريـــب بيـــن الفصحى والعامية، وهي موضوعات تشكِّل موضوعًا واحـــدًا تـــتكامل جزئياته وتفصيلاته، وقد اشتمل على أقسام ثلاثة، هي: في دراسة اللهجـــات، وفي اللهجات العربية القديمة، وفي اللهجات المحلية. أما الأجزاء التالية فسوف تضم بإذن الله تعالى البحوث والدراسات التي تدور حول: العامي والفصيح، والفصـــائل اللغوية والدراسات السامية، ومعجم المصطلحات اللغوية، وكتابة الأعلام الأجنبية بحروف عربية، والبحوث المتنوِّعة المقدَّمة من اللجنة.

إن الجهود التي قدمتها اللجنة، وننشر بعضها في هذا الجزء كانت حافزًا قويًا علـــى تعمـــيق دراســـة اللهجات في جامعات كثيرة، حيث أصبحت تمنح الدرجات العلمـــية (الماجســـتير، والدكتوراه) في بحوث تدور حول اللهجات، قديمها وحديثها، بعد أن كان ينظر إلى دراسة اللهجات بشيءٍ من التحفُّظ والحذر.

وهذه الدراسات التي ننشر بعضها الآن كانت متناثرة هنا وهناك في أضابير مكتـــبة المجمـــع، فكلَّفت ولدنا ثروت عبد السميع (محرر اللجنة) بجمع تلك البحوث والمقـــالات، فقـــام بتصويرها ونسخها. وأعدَّها وصنّفها وَفْق تقسيم موضوعيٍّ بقدر الإمكان.

وقام الأستاذ الدكتور محمد حمّاد (خبير اللجنة) بمراجعتها، فجزاهما الله عن العربية خير الجزاء. والله من وراء القصد.

أ.د. كمال بشر

الأمين العام للمجمع

ومقرر لجنة اللهجات

أولاً:

قرارات وبحوث حول دراسة اللهجات

دراسة اللهجات العربية في المجمع
تقرير للجنة اللهجات، وقرار لمؤتمر المجمع(*)

قدمت لجنة اللهجات تقريرًا عن أعمالها وبحثًا في الأطلس اللغوي(١) عُرِضا على مؤتمر المجمع، ونُوقِشا مناقشة مستفيضة، انتهى المؤتمر منها إلى الموافقة على القرار الآتي بأغلبية الآراء :

" قرر المؤتمر الموافقة على الخطة التي تقدمت بها لجنة اللهجات، وتيسير الوسائل التي تؤدي إلى تحقيق الأغراض التي تقدمت ببيانها في تقريرها الذي عرض على المؤتمر".

(*) محاضر الجلسات، الدورة الخامسة عشرة، الجلسة الحادية عشرة للمؤتمر، (السبت ٨ من يناير سنة ١٩٤٩)

(١) سيرد في ص ٩٥ من هذا الكتاب.

تقرير لجنة اللهجات[1]

بـــدأت اللجنة في عهدها الأخير عملها في ضوء ما قرره المؤتمر في دورة انعقاده الماضـــية، فاتجهـــت إلى رسم منهج تسير عليه في دراستها وانتهت إلى تحديد أغراضها وهـــي تعرضـــها علـــيكم لتروا فيها رأيًا، كما أنها بينت أمثلة من وسائل تحقيق هذه الأغراض وإن كانت الوسائل لا يمكن تحديدها ابتداءً.

والأغراض التي حددتها خمسة:

أولاً: اســـتقراء الألفـــاظ والتراكيب الجارية على ألسنة أهل الأقطار العربية من الناحية الصوتية ومن ناحية المعنى وتدوين هذا في معاجم وأطالس لغوية.

وستتوصل اللجنة إلى غايتها بما استطاعت من وسائل ، فمنها:

(١) مـــراجعة مـــا نشـــر من بحوث في اللهجات العربية المختلفة باللغة العربية واللغات الأجنبية واستخراج ما يفيدها من ذلك وتصنيفه.

(٢) إعداد نشرات استفتائية لجمع كل ما يمكن جمعه من بيانات عن اللهجات العربية في البلاد المختلفة.

وقـــد أعـــدت نشـــرة من هذه النشرات للاستفتاء في بعض الأفعال الثلاثية، فأثبتت ما هو مستعمل منها مبدوءاً بحرف الباء مضبوطًا على لهجة القاهرة ليجيب أهل كـــل إقلـــيم عن أسئلة معينة تبين وجوه الاتفاق والاختلاف في استعمال هذه الأفعال عـــندها، وليبين أهل كل إقليم ما هو مستعمل منها وما هو غير مستعمل منها عنده، ويضيف إليها من الأفعال الثلاثية المبدوءة بحرف الباء ما هو مستعمل عندهم إذا كانت لا توجد في لهجة القاهرة.

---

(١) مؤتمر الدورة الخامسة عشرة، الجلسة الحادية عشرة، (٨ من يناير سنة ١٩٤٩)، ودارت حوله مناقشات مهمة، أثبتـــت عقـــب بحـــث الدكـــتور خليل عساكر عن (الأطلس اللغوي)؛ لأن المناقشة تدور حول التقرير والبحث. وهي مثبتة بمحاضر جلسات الدورة الخامسة عشرة للمؤتمر، الجلسة ١١، ونشر هذا التقرير في مجلة المجمع الجزء السابع ص ٣١٦ – ٢١٨ . .

فـــإذا اجتمعـــت هـــذه الأجوبة مضبوطة مفسرة المعنى مضت اللجنة في إعداد طائفـــة أخـــرى من الأفعال وهكذا، ثم تمضى في المشتقات والأسماء الجامدة على هذا الـــنحو، وتقـــرن ذلـــك بنشرات أخرى عن العبارات المستعملة لتستقرئ الفروق في الأساليب .

وقـــد رأت اللجـــنة أن تتخذ لهجة القاهرة مقياسًا؛ لأن أكثر أعضائها الدائمين من أهل القاهرة.

(٣) والوسيلة الثالثة تكوين جمعيات صغيرة من الجاليات العربية ممن وصلوا إلى القطـــر المصـــري، فتنقل اللجنة عن هؤلاء وتستقرئ منهم ما يمكن نقله واستقراؤه مما يحقـــق أغراضها، فتعرض عليهم مثلاً نصًّا من اللغة الفصحى يقرؤه كل منهم بصوت مســـموع، فتدون ملاحظاها على الاختلافات الصوتية بما في ذلك النبر، ثم يُختار نصٌّ آخر من اللغة العامية القاهرية ويطلب إلى كل جالية ترجمة ذلك النص بلهجتها العامية.

وهـــذا يبين للجنة مدى الاختلاف في المفردات من ناحية اللفظ والدلالة ومن ناحية التركيب والأسلوب، وقد تَطْلب من الفرد أن يحدِّثها بلهجته العامية حديثًا مألوفًا في بيئته لتتضح لها الفروق السابقة والخصائص اللغوية لهذه اللهجة.

واللجنة مع علمها بقصور هذا الاستقراء ترى البدء به ليستأنس به في الاستقراء العـــلمي الصـــحيح الـــذي لا يكمل إلا بانتقال بعض الباحثين المتخصصين إلى البلاد العربـــية المخـــتلفة والاختلاط بعوام شعوها. ولا يستغني في هذا الاستقراء عن تسجيل نماذج من عملها على أسطوانات أو أشرطة، وقد اتخذ المؤتمر في هذا قرارات سابقة .

على أن اللجنة تلاحظ أن الوصول إلى هذه الغاية يتطلب منها الاهتداء إلى رموز صـــوتية كفيلة بضبط النطق بالكلمات؛ ليكون تدوينها للهجات العربية صحيحًا وافيًا. والحروف العربية في صورها الحاضرة لا تتسع لذلك، حتى إن العلماء المستشرقين الذين بـــدأوا بحوثهـــم في اللهجات العربية لم يجدوا بُدًّا من وضع رموز صوتية مستمدة من الحروف اللاتينية يعبرون بها عن الأصوات المختلفة في اللهجات العربية. وهذه المحاولات

وإن كانت مشكورة لا تكفل بلوغ الغاية المطلوبة من الدقة. ولذلك فإن اللجنة تود لو أتــيح لها أن تستقر على رموز صوتية مشتقة من الحروف العربية. فإذا لم تستطع ذلك كــان لا مفر لها من الأخذ بما يتهيأ لها من وسائل الضبط ولو كان ذلك بتأليف طريقة من طرق شتى.

ثانــيًا: والغرض الثاني الذي وضعته اللجنة هو خطوة تالية إذا ما أتمت خطوتها الأولى، فهــي ترجو أن تتاح لبعض المتخصصين في الدراسات اللغوية والصوتية فرص القــيام بــرحلات إلى البلاد العربية وتسجيل نماذج متعددة من اللهجات الحديثة سواء أكانت لهجات محلية لإقليم من الأقاليم أو لهجات اجتماعية لطبقة من الطبقات .

وتــرى اللجــنة أن هــذا يفتح لها ميدانًا فسيحًا للبحث فى طرق تطور اللغة وتأثرها بالبيئة الجغرافية والمظاهر الاجتماعية.

ثالثًا: فإذا فرغت اللجنة من تحصيل قدر صالح من المفردات المستعملة في الأقاليم والطــبقات المختلفة وحصلت على النماذج الصوتية الكافية، عمدت إلى دراسة مقارنة لتبين المظاهر الصوتية لكل قطر من الأقطار العربية، وهذه الدراسة تساعد على استجلاء العلاقــة بــين الــلهجات العربية الحديثة واللهجات العربية القديمة، وطريقة انتقال الأصوات من مجهورة إلى مهموسة أو العكس، وطريقة انتقال الأصوات من شديدة إلى رخوة، وغير ذلك مما تتناوله القوانين الصوتية.

وقــد يكون في استطاعتها عند ذلك أن تجمع ما يصلح للبدء في أطالس لغوية تــبين في وضوح تطور الأصوات واختلاف الألفاظ والمعاني في مختلف الأقاليم، وتحدد مواضع اللهجات فتلقى ضوءاً جديداً على تاريخ المفردات؛ وترشدنا إلى بحوث أخرى في اللغــة ولهجاتهــا عــلى السواء، وترسم لنا حدود كل لهجة من اللهجات ومناطق نفوذها، وقد تهدينا تلك الأطالس إلى حقائق تاريخية واجتماعية شتى ذات أثر عظيم في كشف الحقائق اللغوية.

رابعًا: والغرض الرابع الذي وضعته اللجنة يقصد به المساعدة على بلوغ الغرض الثالث الذي سبق ذكره. وذلك هو استقراء الروايات التي وردت عن اللهجات العربية القديمة في كتب اللغة والأدب والنحو والتاريخ.

وقـــد بدأت اللجنة هذا الاستقراء، فوجهت عنايتها إلى مصدر من أكبر مصادر اللغـــة العربية وهو "لسان العرب"؛ لتستخرج منه الروايات المنسوبة إلى القبائل المختلفة أو الألفاظ التي استعملت في المناطق المتباينة في شعر الشعراء أو الأمثال أو النصوص التي أوردهـــا الرواة، وهي حين تفرغ من هذا البحث وتبويبه تتقدم به إلى المجمع ليرى رأيه فـــيه. وستتبع مثل هذا في أمهات الكتب العربية. وهذه الدراسة تفيد دراسة اللهجات العربية قديمها وحديثها فائدة كبرى.

خامسًـــا: وإلى جانـــب مـــثل هذا البحث ترى اللجنة أن تستعين في دراستها بالأســـاتذة المتخصصين في التاريخ الإسلامي لبحث تنقل القبائل وجلاء ما يحيط به من الغموض . فإن دراسة تنقل القبائل العربية في العصور المختلفة ذات أثر كبير في لهجات الأقالـــيم وتطورهـــا واختلافها؛ لما ينشأ عن مثل هذه التنقلات من صراع لغوي بين عناصر شتى تتجه باللهجات في مسائل شتى.

هـــذا هو المنهج المبدئي الذي وضعته اللجنة نعرضه عليكم لتروا فيه رأيًا ، وهو بغير شك عرضة للكثير من التحوير والتغيير كلما أوغلت اللجنة في بحوثها.

عـــلى أنه يتطلب توفير مساعدات شتى بعضها يحتاج إلى تدبير المال؛ فقد يحتاج البحـــث إلى شراء الكتب أو الأسطوانات، بل قد يحتاج إلى تدبير بعض الآلات الحديثة في تســـجيل الأصـــوات ودراستها. وقد ينتهي الأمر إلى الحاجة إلى إيفاد البعوث إلى الأقطار الأخرى كما سبقت الإشارة فيما قدمناه.

* * *

استفتاء في بعض الأفعال الثلاثية في العاميّة القاهرية (*)

(باب الباء)

تــراجع الأفعال الثلاثية العامية في لهجة القاهرة المرسلة إليكم ويجاب عن الأسئلة الآتية، وترسل الإجابة باسم سكرتارية لجنة اللهجات:

(١) هــل هي مستعملة في لغتكم العامية للدلالة على المعاني التي تدل عليها في اللهجة القاهرية ؟ وإلاّ فما هو المعنى الآخر الذي تدلّ عليه في لغتكم العاميَّة؟

(٢) هل يتفق ضبطها في لغتكم العامية مع ضبطها في العامية القاهرية أو يختلف عنه ؟ وما هو الاختلاف إن وجد؟

(٣) هــل في لغتكم العامية أفعال ثلاثية غير هذه أولها حرف الباء؟ وما ضبطها وما معناها إن وجدت ؟

(٤) أي هذه الأفعال غير معروف في لغتكم العامية ؟

(*) مؤتمر الدورة الخامسة عشرة، الجلسة الحادية عشرة (٨ من يناير سنة ١٩٤٩م).

باب الباء

في اللغة العامية القاهرية

× (١) بَاتْ - يبَاتْ (قضى الليلة)

× (٢) بَاحْ - يبُوحْ (يقال باح بالسر إذا أفشاه).

× (٣) بَاخْ - يبُوخْ (يقال مثلاً للقول إذا تكرر وأملَّ إنه باخ، وكذلك لما لا طعم له من الطعام، ويستعمل أحيانًا للدلالة على السماجة أو الابتذال).

× (٤) بَارْ - يبُورْ (يستعمل للتجارة إذا كسدت أو الأرض إذا لم تفلح وتزرع، ويستعمل أحيانًا للفتاة التي لم تتزوج وفات أوان زواجها).

× (٥) بَاسْ - يبُوسْ (قَبَّلَ).

× (٦) بَاشْ - يبُوشْ (يستعمل مثلاً للسكَّر إذا ذاب في الماءِ أو الطين إذا أصابه الماءُ).

× (٧) بَاضْ - يبيضْ (باضت الدجاجة).

+ (٨) بَاظْ - يبُوظْ (باظ الشيء إذا فسد وكذلك النظام إذا اضطرب).

× (٩) بَاعْ - يبيعْ (باع الرجل قطنه في السوق).

= (١٠) بانْ - يبَانْ (ظهر).

× (١١) بَتّ - يبِتّ (بت في الأمر).

= (١٢) بُجُحْ - يِبْجَحْ (يقال لمن ساءَ أدبه و لم يخجل). و (بَجَّح)

× (١٣) بَحَثْ - يبْحَثْ (بحث عن الشيءِ فوجده).

= (١٤) بَحّْ - يبِحّ (بحّيت صوتي من الصياح: إذا عجزت عن النطق من أثر الصياح).

= (١٥) بَخَسْ - يِبْخِسْ (بخست قيمة الشيء: إذا قللتها).

× (١٦) بخِلْ - يِبْخَلْ (شح).

+ (١٧) بَدَا - يِبْدي (بدأ).

= (١٨) بَدَر - يِبْدُرْ (بذر القمح في الحقل مثلاً).

= (١٩) بَدَلْ - يِبْدِلْ (بدلت الشيءَ إذا غيرته فصار غير ما كان، أو أحللت غيره محله).

× (٢٠) بَرَى - يِبْرِى (برى القلم).

× (٢١) بِرِدْ - يِبْرَدْ (أحس البرد).

× (٢٢) بَرَدْ - يِبْرُدْ (حكه بالمبرد).

× (٢٣) بَرّ - يِبِرّ (يستعمل في بر الناس وأحيانًا في مثل قولنا على سبيل السخرية هو يبر نفسه بهذا الطعام، ويقصد بذلك أنه معتاد التقتير على نفسه في الطعام وأنه ينتهز فرصة هذا الطعام ليعوّض ما ضاع منه من قبل).

+ (٢٤) بَرَشْ - يِبْرُشْ (جلس جلسة مبتذلة على الأرض).

× (٢٥) بَرَعْ - يِبْرَعْ (برع في شيء: أي نبغ).

× (٢٦) بَرَقْ - يِبْرُق (وينطق "برأ": لمع، يقال للقرش الجديد: إنه يبرق).

= (٢٧) بَرَكْ - يِبْرِكْ (برك على الأرض للجمل مثلاً).

× (٢٨) بَرَمْ - يِبْرُمْ (فتل).

= (٢٩) بزَأْ - يِبْزُؤْ (بصق).

= (٣٠) بَزّ - يِبِزّ (نقول هو لا يبز بالقرش لبخله، أي لا يصرفه).

= (٣١) بَسَطْ - يِبْسُطْ (بسطه، أي متعه وسره).

× (٣٢) بَسَمْ - يِبْسِمْ (ضحك ضحكًا خفيفًا لإظهار الرضى مثلاً).

= (٣٣) بَسّ - يِبِسّ (بس الرقاق في اللبن مثلاً).

× (٣٤) بَشَرْ - يِبْشُرْ (بشـــر الـــنارنج مـــثلاً، إذا حكه لإزالة الزيت من قشره، وبشر جوز الهند إذا حتّه دقيقًا).

= (٣٥) بَشَمْ - يِبْشِمْ (بشـــم الحيوان، إذا أطعمه كثيرًا بطعام غليظ أفسد بطنه).

= (٣٦) بَصر - يبصر (إذا أراد إنســـان أن يجمل قول آخر للدلالة على أنه كـــان يتكلم هراءً كنى عن ذلك بقوله " إنه استمر يقول أبصر وما ادرك ").

= (٣٧) بَصّ - يُبُصّ (نظر أو التفت يقال " بصّ له ").

= (٣٨) بَصَمْ - يِبْصِمْ (بصـــم بإصبعه على الخطاب إذا طبع علامة بطرف إصبعه يدل على التوقيع باسمه).

= (٣٩) بَطَا - يِبْطِى (أبطأ)

= (٤٠) بَطَحْ - يِبْطَحْ (شج رأس شخص وفي الجبين خاصة).

× (٤١) بطِرْ - يِبْطَرْ (بطر إذا أصابته نعمة فلم يشكرها).

+ (٤٢) بَطّ - يُبُطّ (إذا خـــذل إنسان آخر في عمل كان مقبلاً عليه في حماســـة قـــيل إنه "بطه"، ويقال للتخذيل والتحقير " انبط يا شيخ ").

+ (٤٣) بَطَّطْ - يبَطَّطْ (يقـــال إن المرأة " تبطط " الرغيف إذا سطحته بعد العجـــن، وفي المـــثل: " اللي يحرته يبططه " ويقصد بذلك من يفعل الشيءَ ثم يأتي عليه فيفسده).

× (٤٤) بطِلْ - يِبْطَلْ (إذا أغفلـــت عـــادة كانت متبعة قيل إنها "بطلت"، وكذلـــك يســـتعمل للشخص إذا تعب فيقال إنه "بطل ").

= (٤٥) بَطَنْ - يِبْطِنْ (يقال هو يبطن الشر لفلان).

= (٤٦) بَعَتْ - يِبْعَتْ ("بعــت برسالة إلى صاحبه" ويستعمل متعديًا فيقال " بعت جواب لصاحبه ").

× (٤٧) بعِدْ - يِبْعِدْ ("بعد الشيءُ" ويقال " بَعَدْتُ " الشيءَ إذا أبعدته).

× (٤٨) بَغَضْ - يِبْغُضْ (كره).

× (٤٩) بَقَا - يِبْقَى (وتنطق " بَآ يِبْأي "، أي بَقِيَ).

× (٥٠) بَكَى - يِبْكِي (بكــى الطفل ويستعمل المضارع متعديًا فيقال مثلا يبكيني منظره).

+ (٥١) بَلَصْ - يِبْلِصْ (بلص فلانًا: أعطاه رشوة).

× (٥٢) بَلَعْ - يِبْلَعْ (بلــع الشيءَ في جوفه ويستعمل مجازًا في مثل قولنا: بلعت له كثيراً: إذا تحملت منه الأذى صابرًا).

× (٥٣) بَلَغْ - يِبْلغْ (بَلغــني كذا: ويستعمل المكسور العين في قولنا: بلغ الصبي: إذا صار فتى).

+ (٥٤) بلَفْ - يِبْلِفْ (خدع).

= (٥٥) بَلّ - يِبِلّ (بَــلّ الشيء بالماءِ، ويقال أيضًا " بلّ السكر ": إذا أذاب السكر فصنع منه شرابًا).

= (٥٦) بَلاَ يِبْلِي (أي يصــيب فيقال في الدعاءِ مثلاً: " الله لا يِبليك بكيت ").

× (٥٧) بَنَا - يِبْنِي (بنى البيت).

= (٥٨) بَهَتْ - يِبْهِتْ (بهــت لون الثوب: إذا حال من أثر الشمس أو من الغسل).

= (٥٩) بَهَرْ - يِبْهِرْ (بهره المنظر: أي خلب لبه).

ملاحظات

(١) من هذه الأفعال الثلاثية (٢٩) فعلاً صحيحة الضبط فيما عدا كسر حرف المضارعة ومعانيها مطابقة للمعاني العربية القاموسية وقد علم أمامها بعلامة (×).

(٢) مـــن هـــذه الأفعال (٢٣) فعلا محرّفة في حركة مضارعها أو بتغيير حرف مـــن حـــروفها، ومنها ما هو مستعمل في معنى مخالف للمعنى الأصلي القاموسي، وقد أشير إليها بعلامة (=) .

(٣) مـــن هذه الأفعال (٧) أفعال ليس لها أصل في العربية القاموسية ، وقد أشير إليها بعلامة (+) .

* * *

اللهجة العربية العامية (*)

للأستاذ عيسى إسكندر المعلوف
عضو المجمع

١ – تمهيد:

لا خفـــاء أن الطوارئ الطبيعية تغير هيئة الأرض؛ فالسيول النابئة تجرف التراب إلى الـــبحار، بعد أن تخر منها مرافض الأودية، تاركة وراءها أخاديد ومذابح، فتنقلب الأودية سهولاً ، وهكذا النيران في باطن الأرض تحول السهول جبالاً، فتنفجر البراكين، وتحـــدث الـــزلازل، ولا يـــزال هـــذا العمل، بل لن يزال فاعلاً في قشرتها، وزائدًا في تضاريسها، وقاضيًا على أديمها أن يتغير من حال إلى حال، بتوالي الزمان.

فـــترى الصخور في وضعها إما مستوية أو منحرفة على أشكال غريبة، تمثل لك تـــأثير الفواعل المذكورة، وتلاعبها بها تلاعب الولد بالكرة، وترى المغاور والنخاريب والكهـــوف بعيدة القعر أو قريبته، وتجد المركبات منضدة إما على هيئة رِعان أو تلال، أو جبال شامخة، وإما على استواء كالسهول الفيحاء، وإما على شكل أحواض، إلى غير ذلـــك ممـــا يســـتوقف نظر " الجيولوجي" أي العالم بطبقات الأرض، باحثًا عن تلك الأســـباب والأدوار، التي كرت بفواعلها هذه، فأثرت ذلك التأثير، وهو ببحوثه كأنه يطالع كتابًا، أو يمحص موضوعًا، فيحكم عليه برأي سديد، ويرد كل معلول إلى علته، منتقدًا مدققًا، ليجلو الحقيقة، ويكشف النقاب عن الغوامض.

وهكذا الحال في اللغات، فإن عوامل الألسن والأقلام، والتغلب والضعف، تلعب بهـــا لعب مجارى الهواء بالريشة، ومخالطة الأعاجم تفعل فيها أفعالاً عجيبة، بين حذف وزيـــادة، وقلـــب وإبدال، ونحت، وتصحيف وتحريف، وتغيير وتبديل، وما شاكل ، فـــتحل محـــلها الـــرطانة الأعجمية، والطمطمانية العامية، حتى تكاد تذهب بالأصل أحيانًا.

(*) مجلة المجمع – الجزء الأول ص ٣٥٠ – ٣٦٨ .

فترى لذلك لغة العامة بعيدة عن الأم الفصحى بمراحل، حتى يصعب أحيانًا على علماء الاشتقاق (الفيلولوجيين) ردّ ألفاظها إلى نصابها، أو طلبها من مظانها، أو معرفة مصـــادرها وآفاقهـــا، كمـــا جـــرى لليونانـــية الحديثة في انسلاخها عن القديمة: لغة (أومـــيروس) شـــيخ الشعراء وغيره من أدبائهم، والإنكليزية في بعدها عن السكسونية القديمة، والطليانية عن اللاتينية، وسريانية سورية عن الآرامية القديمة.

وربمـــا أماتـــت تلك التقلبات اللغات، فضعف شأنها، حتى طمست آثارها أو كـــادت، مثلما جرى لبعض اللغات المائتة الآن، أو التي هي على شفا جرف هار، كل هذا يستوقف العالم بالاشتقاق، فيجيل نظره في البحث والتنقير ، بمجهر "ميكرسكوب" التحقـــيق، مقلـــبًا الكلمات ظهرًا لبطن، وسابرًا غور ذلك التأثير، وما ترك وراءه في اللغـــة من التغير والانقلاب، مراقبًا ومعالجًا رد كل فرع إلى أصله، فيبسط أمامك من تلـــك المباحـــث عجائب، ويريك بمرقب " تلسكوب " الاجتهاد ما خفي عنك، وندّ عن فهمك، فتهتدي إلى الصواب، ولا سيما في لغتنا العربية العامية.

٢- اللغة العربية العامية:

اختلفت آراء العلماء في هذا العصر في اللهجة العامية، (فمنهم) من ذهب إلى وجـــوب ردّهـــا إلى حضن أمها، مثل الأستاذ (هكسلي) العلامة الإنكليزي الشهير، الذي خطأ القائلين بوجوب كتابة العلم بلغة عامة الإنكليز، مدعيًا أن ذلك يفضي إلى إضـــعاف المواهب العلمية، فضلاً عن خسارة ملكة الإنشاء الفصحى؛ لأن ترقية عقول العامة لفهم لغة العلم العالية أسهل وأفضل من أن يتزيا العلم بأزياء لغة العامة، فيتقهقر. وجاراه في ذلك كثير من علماء الاشتقاق على اختلاف لغاتهم.

ومـــنهم من ذهب إلى تدوين العلوم بلغة العامة، ولا سيما في لغتنا العربية مثل (الكونت كرلودي لندبرج) اللغوي الأسوجي، في تقريره الذي تلاه بمجمع اللغويين في مديـــنة لـــيدن سنة ١٨٨٣م، واللورد (دفرين) السياسي الإنكليزي في التقرير الذي رفعه إلى وزير خارجية إنجلترا من جهة لغة مصر العربية، وغيرهما.

وكلٌّ يعلم ما تناقلته الجرائد والمجلات منذ بضع وعشرين سنة عن (ولهلم سبتابك) (أمين دار الكتب الخديوية في القاهرة، وهو ألماني توفى سنة ١٨٨٣)، فإنه استنبط حروفًا إفرنجية تكتب بها لهجة مصر العامية، وألف كتابًا ألمانيًّا في صرف اللغة المصرية، وهو الكتاب العلمي الوحيد، الذي وضع على ذلك النمط للهجة من لهجات لغتنا العربية العامية.

واختلفت الصحف في هذا الرأي، فمنها ما خطَّأه، ومنها ما صوَّبه، وبينا نرى حينئذ وبعد ذاك بعض الصحف تسعى في توثيق عرى اللغة العربية، والتجافي بها عن مضاجع العامية، ضنًّا بمحياها أن يُشوَّه، وحرصًا على مكانتها من الفصاحة والبلاغة أن تنحط؛ إذْ نرى صحفًا أخرى تسعى في تقويض خيامها، وتخديش بضاضتها بمخلب التصرف. فكان الباحثون فريقين متخالفين : أحدهما للتشييد ، وآخر للهدم.

فلهذا اشتغل فريق من العلماء قديمًا وحديثًا في إصلاح اللغة العامية، وردّها إلى الفُصْحى، والبحث عن أوضاعها، ومعرفة فصيحها من ركيكها، وصحيحها من فاسدها، وعربيها من دخيلها. وهاك لُمْعة الآن من تلك المؤلفات باختصار، تمهيدًا للبحث في لهجاتنا العامية، ومعالجتها لتصلح للكتابة، ولتعرف الأطوار التي مرت عليها، فنقول:

٣- مؤلفات القدماء في اللهجة العامية العربية أو الدخيلة والمعربة:

اللغة العامية كانت في العصور الأولى ، لمخالطة الأعاجم العرب، ولكثرة لهجات القبائل، ولعوامل اللثغات والتصرفات ونحوهما، مما عندنا عليه أدلة كثيرة، سيأتي الكلام عليها في تاريخ اللغة العربية العامية، وما بقي فيها من القواعد اللسانية، وما هي عليه من الرطانة. ولهذا نجد اللحن في الكلام منذ القديم، والدخيل والمعرّب والمصحّف والمحرّف، مما ألف فيه اللغويون. وهذه أسماء معظم مؤلفاتهم، التي عرفنا أسماءها، أو وقفنا عليها مخطوطة أو مطبوعة، نوردها في هذه العُجالة، تبصرة وذكرى:

١- **كـتاب لحـن العامـة** - لأبي الحسـن عـلي بن حمزة الكسائي، المتوفى سنة (١٩١هـ = ٨٠٦م) ، طبعه الدكتور "كرل بروكلمن" (عن نسخة في خزانة كتب برلين في ١٦ صفحة) في برسلاو .

٢- **لحن العامة** - لأبي عبيدة، المتوفى سنة (٢٠٩هـ = ٨٢٤م).

٣- **لحـن العامة** - لأبي عثمان بكر بن محمد المازني ، المتوفى نحو سنة (٢٤٨هـ = ٨٦٢م) .

٤- **لحن العامة** - لأبي حاتم السجستاني، المتوفى سنة (٢٥٥هـ = ٨٦٨م).

٥- **لحن العامة** - لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري، المتوفى سنة(٢٩٠هـ=٩٠٢م).

٦- **لحـن العامة** - لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الإشبيلي، من تلاميذ أبي علي القالي اللغوي، توفي سنة (٣٧٩هـ = ٩٨٩م).

٧- **لحن الخاصة** - لأبي هلال حسن بن عبد الله العسكري، المتوفى سنة (٣٩٥هـ = ١٠٠٤م).

٨- (**التكملة فيما تلحن به العامة**) و(**المعرّب فيما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمـي ، مرتـب عـلى حروف المعجم**)، وهما لأبي منصور موهوب بن أحمد الجواليقى البغدادي، المتوفى سنة (٤٦٥هـ = ١٠٧٢م)، طبع الأول في ليبسيك سنة (١٨٧٥)، والثاني فيها أيضًا سنة (١٨٦٧) ، والمطبوع من هذا قسم فقط .

٩- **درة الغواص في أوهام الخواص** - للإمام أبي القاسم الحريري صاحب المقامات، المتوفى (سنة ٥١٦هـ =١١٢٢م) طبعت في ليبسيك سنة (١٨٧١م) وفي مصر سنة (١٢٧٣هـ = ١٨٥٦م) وفي الأستانة، وعليها شروح .

١٠- **لحن العامة** -لأبي الفرج بن الجوزي البغدادي، المتوفى سنة(٥٩٨هـ=١٢٠١م).

١١- **لحن العامة** - لابن هشام محمد بن أحمد اللّخمي، المتوفى قبل سنة (٦٠٠هـ = ١٢٠٣م).

١٢- الفوائد العامة في لحن العامة- لمحمد بن جُزيّ الكَلْبي.

وألف كثير من اللغويين في "لحن العامة" مثل: محمد بن علي الأزدي ، وأبي الخير سلامة الكفرطابي، وابن باني محمد بن علي السبتي، المتوفى سنة (٧٣٣هـ = ١٢٣٢م).

١٣- التذييل والتكميل، لما استعمل من اللفظ الدخيل - للبشبيشي المتوفى سنة (٨٢٠هـ = ١٤١٧م) ونسخته في لندبرج.

١٤-غلطات العوام - لابن كمال باشا، المتوفى سنة (٩٤٠هـ = ١٥٣٣م)، وعندي نسخة مخطوطة منها.

١٥- رسالة التعريب- لابن كمال باشا المذكور، والرسالتان في مجموعة بقطع النصف العريض، بخط فارسي جميل، نسختا سنة (٩٨٣هـ = ١٥٧٥م) وكلتاهما في ٢٨ صفحة، من مخطوطاتي .

١٦- غلطات العوام - للمولى مصطفى بن محمد المعروف بخسرو زاده المتوفى سنة (٩٩٨هـ = ١٥٨٩م).

١٧- شرح درة الغواص - لشهاب الدين الخفاجي المصري، المتوفى سنة (١٠٦٩ هـ= ١٦٥٨م) طبع مع الدرة في مصر سنة (١٢٧٣هـ = ١٨٦٢م) وفي الأستانة سنة (١٢٩٩هـ = ١٨٨١م).

١٨- شفاء الغليل، فيما في كلام العرب من الدخيل - للخفاجي المذكور، رتبه على حروف المعجم، وطبع في مصر سنة (١٢٨٢هـ = ١٨٦٥م) في (٢٤٥) صفحة بقطع الربع.

١٩- الطراز المذهب في الدخيل المعرب- لمحمد النهالي الحلبي في (٣٧٠) صفحة، في مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت في المدينة، نسخ سنة (١١٧٤هـ = ١٧٦٠م).

٢٠- قصد السبيل، فيما في العربية من الدخيل- لمحمد الأمين المحبي الدمشقي، المتوفى سنة (١١١١هـ = ١٦٩٩م) رتبه على حروف المعجم، ووصل فيه إلى حرف

المـــيم و لم يتمه، نسخ سنة (١١٩٣هـــ = ١٧٨٠م) في (٢٥٠) صفحة بمكتبة شيخ الإســلام عـــارف حكمـــت، في المدينة رقمه (٩٨)، ومنه نسخة في الخزانة التيمورية بالقاهرة.

٢١- المعـــرب والدخـــيل - لأحد أبناء القرن الحادي عشر للهجرة، من مخطوطات دار الكتب المصرية في القاهرة.

٤- مؤلفات المعاصرين الوطنيين في العامية والدخيلة والمعربة:

كتـــب كـــثير من المستشرقين ومن اتصل بهم مقالات باللغة العامية في مجلاتهم وجـــرائدهم، ونشـــروا بعضها في رسائل على حدة، فاتصل ذلك بأدبائنا، فألفوا فيها، وهذه أشهر مؤلفاتهم:

٢٢- معجـــم إلـــياس بُقْطـــر القبطي - وفيه من لغة مصر والشام والمغرب وتونس العامية، طبع في باريس سنة (١٨٦٤م)، وفي مصر سنة (١٢٨٩هـــ = ١٨٧٢م).

٢٣- رسائل في العربية العامية - لمحمد عياد الطنطاوي، مدرس العربية في بطرسبرج، المتوفى سنة (١٨٧١م)، طبع بعضها في ليبسيك سنة (١٨٤٨م).

٢٤- كشـــف الطُّـــرة، عن الغرة - لشهاب الدين الألوسي البغدادي، المتوفى سنة (١٨٥٤م)، طبعـــت بـــبغداد - بقطع الربع، وهي شرح على "درة الغواص" للحريري واستدراكات.

٢٥- الشـــذور الذهبية في الألفاظ الطبية -وهو معجم للمصطلحات العامية، تأليف محمد عمر التونسي، المتوفى سنة (١٢٧٤هـــ = ١٨٥٧م) مخطوط في (٦٠٠) صفحة في باريس، ونقل للخزانة السلطانية في القاهرة بالتصوير الشمسي .

٢٦- معجـــم الألفـــاظ العامـــية - للشـــيخ طَـــنُوس الشدياق المؤرخ، المتوفى سنة (١٨٦٤م)، لم يكملـــه، ذكرته المجلة الآسيوية الألمانية في المجلد التاسع (ص ٢٦٩)، و لم نقف عليه.

٢٧- **مـــنظومة محمد إسماعيل الزجلية** – أظهر فيها تمازج العربية بغيرها من اللغات والعبارات الركيكة، طبعت في القاهرة سنة (١٨٨٣م) .

٢٨- **الصحيح، بين العامي والفصيح** – للشيخ خليل اليازجي، المتوفى سنة(١٨٨٩م) نشـــر إعلانـــه مطـــبوعًا في بيروت سنة (١٨٨٥م) مع أنموذج من بحوثه، وفيه لهجتا سورية ومصر، ولا يزال مخطوطًا.

٢٩- **اللغة العربية العامية في مصر والشام** – لميخائيل الصباغ السوري، المتوفى سنة (١٨١٦م)، طبع هذا الكتاب في ستراسبورغ سنة (١٨٨٦م).

٣٠- **الرسالة التامة في كلام العامة** - لميخائيل الصباغ المذكور.

٣١- **المناهج في أحوال الكلام الدارج** – له أيضًا. ولا نعلم عن الرسالتين الأخيرتين شيئًا.

٣٢- **ممـــيزات لغـــات العـــرب، وتخريج اللغات العامية عليها**- لحفني بك ناصف المصري، طبعت في مصر سنة (١٨٨٦م) في (٤٨) صفحة .

٣٣- **الـــترجمة والتعريب**- لحمزة فتح الله المصري. خطاب ألقاه في المجمع العلمي وفي فيينـــا ســـنة ١٨٨٦م، وطـــبع بالمطبعة الحجرية في مصر في (٣٠) صفحة بقطع الربع العريض، وفيه بحوث في اللغة العامية.

٣٤- **لـــف القمـــاط على تصحيح بعض ما استعملته العامة من المعرب والدخيل والمولد والأغلاط**- للسيد أبي الطيب محمد صديق بن حسن خان القنوجي البخاري، " ملك بهوبال " في الهند، المتوفى سنة (١٨٨٩م).

٣٥- **الـــتحفة الوفائية في اللغة العامية المصرية**- للسيد وفاء محمد، طبعت بالقاهرة سنة (١٣١٠هـــ = ١٨٩٢م) في (١١٩) صفحة بقطع الثمن.

٣٦- **أمـــثال المتكلمين من عوام المصريين** – لمحمود عمر الباجوري ، طبع في مصر سنة (١٣١١هـــ = ١٨٩٣م) في (١٩٨) صفحة .

٣٧- **أمـــثال مصـــر والســـودان والشـــام** - لنعوم بك شقير، طبع في مصر سنة (١٨٩٤م) في (١٣٨) ص بقطع الربع، جمع فيه نحو (٣٥٠٠) مثل عامي .

٣٨- **قـــاموس اللغة العامية** - وضعه بالعربية والإنكليزية شكري إسبير، من موظفي نظارة المالية المصرية، سنة (١٨٩٥م) (المقتطف ١٩ : ٩٣٩).

٣٩- **لســـان غصـــن لبنان في انتقاد العربية العصرية** (لشاكر شقير) نشر أولاً في جريدة لبنان، وطبع على حدة بكراس في بعبدا (لبنان) - ومؤلفه توفي سنة (١٨٩٦م).

٤٠- **اللغة العربية العامية وآدابها** - بحث مستفيض لكاتب هذه المقالة (المعلوف) نشره في جريدة المنار البيروتية سنة (١٨٩٨م) ، جوابًا عن اقتراح أحد المستشرقين أن يكتب كل قطر آداب لهجته، وهو في عشرات الأجزاء من تلك الجريدة ، بحث فيه في اشـــتقاق الألفـــاظ وردها إلى نصابها، ثم في علوم اللسان، كالصرف والنحو والمعاني والبيان والشعر؛ وما بقي من آثارها في اللغة العاميّة.

٤١- **أصـــول الكـــلمات العامية** - لحسن توفيق (الرسالة الأولى) طبع مصر سنة (١٣١٧هـــ = ١٨٩٩م) في (٤٦) صفحة بقطع الثمن.

٤٢- **الدليل إلى مرادف العامي والدخيل** - لرشيد عطية اللبناني ، صاحب جريدة (فتى لبنان) الآن في سان باولو (البرازيل)، طبع في بيروت سنة (١٨٩٩م) في (٣٦٠) صفحة، وضعه على نمط كتاب (الصحيح لليازجي) الآنف ذكره، وعلى طراز مقالة المعلـــوف، كاتـــب هـــذه المقالة، كما سبق، (وأشارت إلى ذلك مجلة المنار البيروتية المذكورة).

٤٣- **اللغـــة العامـــية البغدادية** - للقس جبرائيل أوساني الكلداني البغدادي، نشرها مطولة في مجلة "اللجنة الأمريكية الشرقية " (Journal of the American Society) سنة (١٩٠١م) في ص (٩٧) فما بعد.

٤٤- بحـوث في لغـات الجـرائد والمولدين ونحوها - للشيخ إبراهيم اليازجي، في مجلاتـه: الطبيب، والبيان ، والضياء، نشر منها على حدة (لغة الجرائد) بكتاب بقطع الربع.

٤٥- الألفـاظ القبطية واللغة العامية المصرية- لأقلوديس لبيب المصري، جمعها سنة ١٩٠٣م، وبلـغ عددهـا ١٥٥ لفظـة، انتقدتها مجلة المقتطف (٢٨ : ٦٩) والهلال (٨ : ٦٧٨ و ٧١٥).

٤٦- المنتخـبات العامـية في اللغة العربية بالفرنسية - ليوسف حرفوش، طبع سنة (١٩٠٤م) في بيروت.

٤٧- معجم العربية الدارجة - لحرفوش المذكور، لم يطبع، وكان يدرس اللغة العامية العربية في (المكتب الشرقي) في بيروت .

٤٨- الألفـاظ الإيطالـية، في العربية العامية المصرية - لسقراط إسبيرو، نشر سنة (١٩٠٤م) مع لفظ الكلمات العربية بأحرف إفرنجية، وقد طبع بالعربية والإنكليزية.

٤٩- دوائـر اللغة السريانية، في اللغة العربية العامية - للقسين: يوسف وبطرس حبيقة، في جزأين، طبع الأول سنة (١٩٠٢م)، والثاني (١٩٠٤) بقطع الثمن الصغير .

٥٠- محو الألفاظ العامية - لمحمد الحسني، طبع مصر سنة (١٣٢٥هـ = ١٩٠٧م) على الحجر في ١٦ صفحة بقطع الثمن.

٥١- عجالة في مرادف العامي والمحرف والدخيل - لحسن علي البدراوي، طبع مصر سنة (١٣٢٦هـ = ١٩٠٨م) في (٤٠) صفحة بقطع الثمن.

٥٢- الـدرر السـنية، في الألفاظ العامية وما يقابلها من العربية - لحسين فتوح، ومحمد علي عبد الرحمن، طبع مصر سنة (١٣٢٦هـ = ١٩٠٨م) في (٦٤) صفحة بقطع الـثمن. وقـد وعدا بنشر رسالة ثانية للجمل والأمثال العامية وما يرادفها من الفصحى، و لم نقف عليها.

٥٣- **الكـــلمات العامـــية، وما يقابلها من العربية الفصحى والإنكليزية** - تأليف م. عبيد، طبع مصر سنة (١٩٠٨م) في (١٦) صفحة بقطع الثمن.

٥٤- **الألفـــاظ الفارسية المعربة** - للسيد أدي شير مطران سعرد الكلداني، المتوفى في أثـــناء الحـــرب العالمية الأخيرة، طبع بيروت سنة (١٩٠٨م) في (١٩٤) صفحة بقطع الـــربع، وهـــو بحـــوث مستفيضة في أصول الكلمات بالفارسية والكلدانية والسريانية وغيرها من لغات الشرق والغرب.

٥٥- **نـــبذة في أصول الألفاظ السامية الداخلة في اللغات الأوربية** - للأباتي طوبيا العينسي، طبع رومية سنة ١٩٠٩ ميلادية في (١٠٠) صفحة، بقطع الربع.

٥٦- **اللغة العامية المصرية** - كتاب باللغة الإنجليزية في لهجات اللغة المصرية.

٥٧- **الاشـــتقاق والتعريـــب** - للشـــيخ عبد القادر المغربي، زميلي في مجمعي مصر ودمشق، طبع مصر سنة (١٩٠٩) في (١٤٦) صفحة، بقطع الثمن.

٥٨- **دفـــع الهُجـــنة في ارتضـــاخ اللُّكنة** - لمعروف الرصافي البغدادي، مرتب على حـــروف المعجم، وفيه الألفاظ التي استعملها الأتراك على غير أوضاعها العربية، في لغة الدواويـــن وغيرهـــا، طبع الأستانة سنة (١٣٣١هـــ = ١٩١٢م) في (١١٢) صفحة، بقطع الربع.

٥٩- **وصـــف إيطالية، باللغة العامية** - وهو بحث من تاريخ الأمير فخر الدين المعنى الـــثاني، حـــاكم لبنان وسورية في أثناء القرن السابع عشر للميلاد، منقول عن كتاب (الشـــيخ أحمد الخالدي الصفدي) المخطوط. نُشر في مجلة الآثار لكاتب المقالة (٢: ٢١ فصـــاعدًا) سنة (١٩١٢م)، ثم طبع على حدة في تاريخ المعنى، الذي نشره كاتب المقالة سنة (١٩٣٤) من ص ١٣٣ - ٢٠٦ مع تفسير الألفاظ الغريبة.

٦٠- **تهذيـــب الألفاظ العامية** - للشيخ محمد علي الدسوقي (الجزء الأول) الطبعة الأولى سنة (١٣٣١هـــ = ١٩١٣م) بمصر في (١٨٥) صفحة بقطع الثمن. والطبعة

الثانية بزيادات وتصويبات سنة (١٣٣٨هـ-١٩٢٠م) في (٣٢٨) صفحة بقطع الربع المستطيل . و(الجزء الثاني) طبع أوّلاً سنة (١٩٢٣م) في (٣٨٠) صفحة بالقطع المذكور .

٦١- **مغالط الكتاب، ومناهج الصواب** - للأب جرجي جنن البولسي، طبع حريصا (لبنان) سنة (١٩١٣م) في (١٣٦) صفحة بقطع الربع.

٦٢- **التقريب لأصول التعريب** - للشيخ طاهر الجزائري الدمشقي، طبع مصر في (١٥٦) صفحة بقطع الربع.

٦٣- **المعجم السعدي** - لخليل بك سعد في اللغة العامية، وما يقابلها من الفصحى، لم يطبع (راجع مجلة الآثار ٤ : ٤٠) نشر أمثلة منه في " جريدة الهدية " البيروتية .

٦٤- **معجم اللغة العربية المصرية العامية** - لأحمد باشا تيمور، نشر منه أمثلة في مجلة المجمع العلمي في دمشق. (راجع مجلة الآثار ٤ ص ٤٠) وفيه تبسط في المباحث، وفوائد كثيرة تدل على سعة اطلاع المؤلف ، وهو مخطوط.

٦٥- **معجم العامي والدخيل** - لكاتب المقالة، في نحو ألفي صفحة كبيرة، وهو لا يزال مخطوطًا، نشر بعض أمثلة منه في مجلته الآثار (٤ : ٤٠ فما بعد)، وفي غيرها من المجلات.

٦٦- **الكلمات العربية في اللغة البُرْتغالية** - لنجيب الحداد، نشرها في جريدة (الجديد) العربية في البرازيل سنة (١٩١٤م) في أعداد متفرقة، مرتبًا إياها على حروف الهجاء البُرْتغالية. وهي مما أخذه البُرْتغاليون عن عرب أسبانيا وغيرهم.

٦٧- **اللغة القبطية** - لجرجس فيلوثاوس عوض، طبع سنة (١٩١٦م) في ٨٠ صفحة بقطع الربع. وفيه ألفاظ قبطية يستعملها المصريون بلهجتهم العامية.

٦٨- **درس في سريانية لبنان وعربيّته العامية** - للمنسنيور ميخائيل الفغالي، طبع "باريس" سنة (١٩١٨م)، والمؤلف مدرس العربية في "بوردو".

٦٩- **لهجة أهل كفر عبيدا (قرية لبنانية)** - له أيضًا، طبع باريس سنة (١٩١٩م).

٧٠- **الرتب والألقاب** - لأحمد باشا تيمور، وهي بحسب اصطلاح مصر عند العامة وما يقابلها من الفصحى، طبعها مجمعنا العلمي العربي الدمشقي، أيام كان يسمى ديوان معـــارف، وذلك سنة (١٣٣٧هـــ = ١٩١٩م) في "دمشق" في (٢٤) صفحة، بقطع الثمن.

٧١- **دفع المراق في كلام أهل العراق** - لمعروف الرصافي، نشر منه أمثلة في مجلة لغة العرب (٤ : ٨٤) وذلك سنة (١٩١٩م) .

٧٢- **معجـــم في لغة عوام العراق** - لرزوق عيسى البغدادي، بدأت مجلة لغة العرب بنشره، ثم توقفت عن إتمامه.

٧٣- **بغية المشتاق إلى لغة العراق** - لداود فتو البغدادي، لم يطبع .

٧٤- **رد الشـــارد إلى طـــريق القواعـــد** - لجرجي شاهين عطية، طبع بيروت سنة (١٩٢١م) في (٤٠) صفحة، بقطع الثمن .

٧٥- **اللغات السورية المحكية في سوريا ولبنان** - للدكتور فيليب حتّي، طبع بيروت سنة (١٩٢٢م) في (٤٦) صفحة، بقطع الربع.

٧٦- **تذكـــرة الكاتـــب** - لأســـعد خلـــيل داغر، نزيل القاهرة، طبعت بمصر سنة (١٩٢٣م) في (١٥٠) صفحة بقطع الثمن.

٧٧- **العربـــية العامـــية** - للمنسنيور ميخائيل فغالي المذكور - جمعها من مشافهته للسكان ولا سيما في رحلته سنة (١٩٢٤م) ، وقد قابلته في دمشق وباحثته في موضوع العامية، وأريته كتابي المعجم العامي والأمثال العامية ومجموعة الأزجال، وغيرها.

٧٨- **مجموعـــة الألفاظ السريانية** - من العربية العامية فيما بين النهرين - وخصوصًا العامـــية الآمدية، لنعوم فائق بن إلياس بالاك الآمدي، طبع نيويورك سنة (١٩٢٤م) في (٢٩٤) صفحة - قال فيه :" إن بعض الألفاظ السريانية من اليونانية أو الفارسية".

٧٩- **درس ومطالعــة** - للخوري مارون غصن، نشر سنة (١٩٢٥م) بحث فيه عن العامية، ووجوب تحويل الفصحى إليها. فقامت عليه ضجة الصحف، وكتب ردًّا عليه كـــل من الأبوين اليسوعيين أنطون صالحاني ولويس شيخو، وهذا الكتاب يقع في نحو (٧٠) صفحة بقطع الربع.

٨٠- **جدول المحرف والعامي** - لحليم فهمي المصري، طبعة ثالثة، سنة (١٩٢٥م) في (٤٧) صفحة .

٨١- **حقــوق اللغة العامية بإزاء اللغة الفصيحة** - للأب لويس شيخو اليسوعي ، طبع بيروت، سنة (١٩٢٥م) في (١٦) صفحة، بقطع الربع.

٨٢- **الخلاصـــة المرضية في الكلمات العامية وما يرادفها من العربية** - للشيخين: عبد الرؤوف إبراهيم، وسيد علي الألفي (طبعة ثالثة).

٨٣- **كــتاب المــنذر** - للشــيخ إبراهيم المنذر (المعلوف) قدمه إلى مجمعنا العلمي الدمشقي، وطبعه أولاً سنة (١٩٢٧م) في (٩٢) صفحة. ثم كرر طبعه بزيادات، فبلغت صفحات آخر طبعاته (١٦٠) صفحة، بقطع الربع.

٨٤- **الأمــثال العامية** - نشر كاتب هذه المقالة: مجموعة مخطوطات في أمثال العامة للقـــس حنانـــيا المنيِّر، في مجلة المشرق (١٢ : ٤١ فما بعدها) وعلق عليها حواشي ومـــلحوظات مهمة لفهمها. ونشرت مجلاتنا في مصر وسورية والعراق كثيرًا من أمثال العامة بلهجاتها. وأهمها: " مجموعة أمثال العراق " للحاج عبد اللطيف ثنيان (مجلة لغة العرب ٥ : ١١ و ٧٧) ذلك عدا مجموعات كثيرة من هذا النوع .

٨٥- **أمثال سورية ولبنان** - لكاتب المقالة، بمجلد كبير، رتبها على حروف المعجم، بحسب أوائل حروفها. وهي تعد بالآلاف، نشر بعض أمثلة منها في المجلات .

٨٦- **الأمثال الدارجة في سورية وفلسطين** - للقس سعيد عبود، خادم كنيسة بيت لحم الإنجيلية ، طبع في القدس في سنة (١٩٣٤م) على نفقة جمعية ألمـــانية، وترجـــم بالألمانية في نحو ٣٥٠صفحة .

كتب الاصطلاحات

ألف بعضهم مختصرات في تفسير الاصطلاحات الواردة في كتبنا على اختلافها، ووضعتُ كتابًا مطولاً فيها سميتُه (معجم الاصطلاحات العامة) من دينية وتاريخية وأدبية وعلمية وفنية واجتماعية وعمرانية وما يندمج في سلكها، وهو مرتب على حروف المعجم، نشرت أمثلة منه في مجلاتنا .

وكتب القصص باللغة العربية

قديمة طبع بعضها في الحكايات والأزجال من ذلك (التحفة العامية) و(طولة العمر في حديث أبي يوسف ونمر) و رواية (يا حسرتي عليك يا زعيتر) لشكري الخوري صاحب " جريدة أبي الهول " في " سان باولو " البرازيل فقد طبعت سنة (١٩٠٢ و ١٩٠٥م) .

دواوين الزجل

ومن ذلك دواوين الزجل الكثيرة، وقد جمعتُ كتابًا فيها، سميتُه (تبديد الأوجال، في فن الأناشيد والأزجال) وهو في نحو ألف صفحة، لا يزال مخطوطًا، نشرت منه أمثلة كثيرة.

هذا إلى كثير من أمثال هذه الطرف، التي خدمت اللغة العامية، بحفظها بين دفات الكتب .

مؤلفات المستشرقين في لهجات العربية العامية

كتب كثير من المستشرقين على اختلاف لغاتهم وأجناسهم وأماكنهم بحوثًا في لهجات اللغة العربية الدارجة وما تقلب عليها من الفواعل المؤثرة حتى تحولت لغات مختلفة، ونشروا بحوثهم في المجلات العلمية لجامعهم، وحضوا سكان بلادنا على أن يدونوا لهجاتهم ومصطلحات أقطارهم في التعابير من: ألفاظ وأمثال وأزجال وكتابات ونحوها. ومن مؤلفاتهم أو مقالاتهم ما ننشره الآن تذكرة للباحثين:

٨٧- **أصـــول اللغة العربية العامية** - للمستشرق الفرنسي أ. هربان (A. Herbin) المتوفى سنة (١٨٠٦م) . طبع كتابه في فرنسا.

٨٨- **بحوث في اللغة العامية في الجزائر**- للويس جاك برنييه الفرنسي (L. Brenier) تلميذ سلفستردي ساسي. توفي برنييه سنة (١٨٦٩م) .

٨٩- **معجم فرنسي عربي** على لغة أهل الجزائر - لشربونو ...... الفرنسي، المتوفى سنة (١٨٨٢م) .

٩٠- **أمـــثال أهـــل الشام بلغة العامة** - جمعها كارلو لاندبرغ (Carlo Landberg) الأسوجي، وطبعها في ليدن (هولندا) سنة (١٨٨٣م) .

٩١- **بحـــوث في اللغة العربية العامية** - للاندبرغ أيضًا - لما طاف سورية والشام، واقترح على إلياس بك القدسي الدمشقي صديقه أن يؤلف بحثين في العامية:

٩٢- (الأول) المناداة على الفواكه والأثمار[1] في دمشق وضواحيها.

٩٣- (الثاني) الأغاني والأناشيد في شد[2] الصناعات في دمشق .

فـــألف القدســـي في البحث الثاني عن الصناعات، وطبع كلامه في مجلة المجمع العلمي في أوربا سنة (١٨٨٣م) بسعي لاندبرغ هذا.

٩٤- **حكايات بلغة أهل مصر الدارجة** - جمعها "بيت" ...... وطبعها في ليدن، سنة ١٨٨٣م.

٩٥- **ديـــوان أشـــعار العرب، في أواسط جزيرة العرب** - وضعه الدكتور ألبرت سوتسين الألماني (A. Socin) الذي كان كثير الكلف بلهجات الشرق العامية، فجمع كـــثيرًا مـــن أقوال عرب بغداد وسوق الشيوخ وماردين ونجد وغيرها، فأعجله الموت عـــن ترتيب كتابه وإتمام تأليفه ونشره. فاشتغل - بعد وفاته - الدكتور هـــ . ستومه (H. Stumme) الألماني بإنجاز الكتاب - وطبعه في برلين (١٩٠٠م). وفيـــه بحـــوث

(١) كتبَتْ في هذا البحث " مجلة المشرق " منذ سنوات .

(٢) كذا في الأصل .

مفيدة عن لهجات العرب، ومما جاء فيه: أن لهجة العرب في نجد ليست بأفضل من لهجة الشام ومصر.

٦٩- دلـيل السياح لمصر والشام وفلسطين - لفيليب وولف (F. Wolff) الألماني ضمنه كثيرًا من أصول العربية في القطرين .

٩٧- أهمية جمع خواص الكلام الدارج - لمارتين هارتمن (M. Hartmann)، نشر هذه المقالـة في مجلـة المشرق (١ : ٧٩٠ و ١١٠١) سنة (١٩٨٩م) . واقترح فيها على الكـتاب أن يصـف كلٌ لهجة بلاده. فكتب كاتب هذا البحث (المعلوف) مقالته: "اللغة العربية العامية"، كما سبق القول .

٩٨- تدوين اللغة المصرية العامية - لنلّينو (A. Nallino) الإيطالي، مدرس العربية في المكتـب الملكـي في نابولي إذ ذاك، وزميلي في مجمع اللغة العربية الملكي الآن - وهذا الكتاب تصويب كتاب دي سترلخ .... طبع سنة (١٩٠٠) في ميلانو.

٩٩- الدلـيل لمتعـلم العربية الدارجة في المغرب والمملكة التونسية - جمعه بعض علمائها برياسة مشويل .... وطبع الأول منه سنة (١٩٠١م) .

١٠٠- بـاء المضارعة في اللغة العامية - للدكتور ادوارد غلازر .... طبع سنة (٩٠١) في (١٦) صفحة .

١٠١- لغة حلب العامية - للأب لاون يوريار ... الفرنسيسكاني، الحلبي طبعت في برلين بمناظرة المستشرق كميغماير ... الألماني سنة (١٩٠١م) .

١٠٢- دروس صـوتية على لهجات العامية في بيروت - تأليف عمانوئيل ماتسون (E. Mattsson) .

١٠٣- لغة بغداد العامية - كتب فيها كثيرون منهم الدكتور مايسنر (Meissner)، والدكتور يحيى الدانمركي . ويوسف نعوم بحوشي، بالعربية والإنكليزية .

١٠٤- لهجـــات الجزيـــرة وما بين النهرين - لإلياس نيقولا فتش برازين الروسي (E. N. Bérésine) مدرس العربية في فازان، المتوفى سنة (١٨٧٠م) .

١٠٥- غراماطـــيق اللغة العربية العامية - لكوسان دي برسقال A. P. Caussin de perceval) الفرنسي، المتوفى سنة (١٨٧١م).

١٠٦- الـــلهجات العامية العربية - كتب فيها فصولاً كثيرة يوسف سيانكوفسكى الروسي (J. Sienkoviski) الذي كان في النصف الأول من القرن التاسع عشر.

١٠٧- كـــتاب الـــلهجة المصـــرية العربـــية العامية - لنفروتسكى الروسي .M) Nawrotsky) مـــدرس العربـــية والعامية في كلية بطرسبرج (لينين غراد)، وساعده بـــتدريس اللغة العامية في تلك الكلية الشيخ محمد عياد الطنطاوي المصري، المتوفى سنة (١٨٧١م) وأنشئ مكتب تدريس العربية العامية بالكلية المذكورة سنة (١٨٥٤م) في حرب القرم الشهيرة .

١٠٨- تكملـــة المعجمات العربية - لدوزي الهولندي، المتوفى سنة (١٨٨٣م) طبع في لـــيدن في مجلديـــن في (١٧٠٠) صفحة كبيرة، مستدركًا فيه على المعاجم، متطرقًا إلى المصـــطلحات العامية. وانتقده الشيخ إبراهيم اليازجي في مجلة الطبيب، وأعيد طبعه سنة ١٩٢٨م [1].

١٠٩- أبحـــاث في العامـــية - لزميليَّ في مجمع اللغة العربية الملكي بمصر: إنوليتمان (Enno Littmann) ، ولويس ماسينيون (L. Masignon) .

١١٠- الكلمات التركية في لهجة دمشق - تأليف ي. سوسه (E. Saussey) طبع بـــبيروت ســـنة ١٩٢٩م في (٥٥) صـــفحة، بالفرنسية وفيه نحو (٦٠٠) لفظة تركية داخلة في لهجة دمشق العامية .

١١١- اللغـــات الآرامية وآدابها - ليوحنا شابو (T. Chabot) عربه أنطون شكري لورنس، ونشره فؤاد چقي في القـــدس سنة (١٩٣٠) في (٥٢) صفحـــة بقطع الربع،

(١) وترجمه إلى العربية الدكتور سليم النُّعيمي. (ثروت)

إلى غـــير ذلك من مجاميع الأمثال والأزجال ونحوها مما يتعلق باللغة العامية، مثل كتاب "الألفـــاظ الإيطالـــية المشـــتقة مـــن اللغـــة العربـــية" تأليف فريديريكو فردينويس (Frederigo Verdinois) طـــبع نـــابولي سنة (١٩٠٦م) باللغة الإيطالية وبعض ألفاظ عربية الحروف، بقطع الربع في ١٠٨صفحات رتب على حروف الهجاء الإيطالية .

وفي دمشـــق مجلـــة فرنسية للمعهد الفرنسي (في دار أسعد باشا العظم) كتب فيها مباحث بالعامية المستشرق الفرنسي لي سارف (Le serf)، وقد زارني مرارًا وأخذ من مجاميعي أشياء كثيرة، ولا سيما من كتاب " الأزجال ".

هـــذا إلى كثير من أمثاله، مما لا محل الآن لاستقرائه، فيكفى ما وصلت إليه من يد البحث تعريفًا لاهتمام علمائنا منذ القديم، وعلماء المشرقيات باللغة العامية.

* * *

اللهجة العربية العامية (*)

بقية المؤلفات المتعلقة بهذا البحث

للأستاذ عيسى إسكندر المعلوف

عضو المجمع

بعد أن نشرت القسم الأول من هذه المقالة في مجلة مجمع اللغة العربية الملكي (في الجـــزء الأول من صفحة ٣٥٠ إلى صفحة ٣٦٩) تقاضاني بعض الأصدقاء التبسط في هذه البحوث؛ لتكون المقالتان مما يحتاج إليه الباحثون في اللهجات العربية العامية في كل قطـــر يـــنطق سكانه بالضاد، ويرجع إليه المحققون، فأنشأت هذه المقالة تتمة للأولى، وذكـــرت فيها ما فاتني هناك، وما وصلت إليه يد البحث، فعددت المصنفات الشرقية والغربـــية المنتشرة في خزائن العامة والخاصة، مشيرًا إلى ما طبع منها وما بقي مخطوطًا، على قدر الطاقة.

وفي كـــثير منها نوادر ونفائس رائعات، في هذا الغرض الذي وقفت عليه بحثي، وسألحق ذلك بمقالات مطوَّلة في اللهجة العامية السورية واللبنانية، وما فيها من القواعد اللسانية والبيانية، بتفصيل وافٍ إن شاء اللـــه.

وهذه تتمة مقالة المؤلفات في اللهجات العربية العامية القديمة والحديثة:

(١) مؤلفات القدماء في اللهجة العامية العربية أو الدخيلة والمعربة

١١٢ - **(مـــا تلحن به العوام)** للكسائي، المتوفى سنة (١٨٩هـــ = ٨٠٤م) وصف في المجلـــد الأول (ص ٣٥٣) وفاتـــنا أن نذكر أنه طبع سنة (١٣٤٤هـــ = ١٩٢٥م) في مصر بمجموعة ثلاث رسائل في (٤٠) صفحة بقطع الثمن.

١١٣ - **(البهاء فيما تلحن فيه العامة)** ليحيى بن زياد الديلميّ المعروف بالفراء، المتوفى سنة (٢٠٧هـــ = ٨٢٢م).

(*) مجلة المجمع – الجزء الثالث، ص ٣٤٩ – ٣٧١ .

١١٤- (مـــا تلحن فيه العامة) لأبي الهيدام[1] كلاب بن حمزة العقيليِّ الحرّانيِّ، المتوفى سنة (٢٠٧هـــ = ٨٢٢م).

١١٥- (مـــا تـــلحن فيه العامة) لأبي نصر أحمد بن حاتم الباهليِّ صاحب الأصمعيِّ، المتوفى سنة (٢٣١هـــ = ٨٤٥م).

١١٦- (استدراك الغلط) لأبي بكر الزُّبَيْديِّ.

١١٧- (الألفاظ التي يتكلم بها في غير مواضعها) لابن السكيت أيضا، ضمن مجموعة في الخزانة التيمورية[2].

١١٨- (إصلاح غلط أبي عبيد) لابن قتيبة الدينوري، المتوفى سنة (٢٦٧هـــ=٨٨٠م).

١١٩- (الفصـــيح) لثعلـــب، المتوفى سنة (٢٩١هـــ = ٩٠٣م)، وعليه شروح وذيل لعبد اللطيف البغدادي، طبع بمصر.

١٢٠- (الفاخر فيما يلحن فيه العامة) لأبي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم الكوفي اللغوي النحوي صاحب الفراء والكسائي، من علماء أواخر القرن الثالث للهجرة.

والفاخـــر: كـــتاب معاني ما يجرى على ألسنة العامة من أمثالهم ومحاوراتهم من كلام العـــرب وهـــم لا يـــدرون معنى ما يتكلمون به من ذلك، فهو أشبه (بمجمع الأمثال) للميداني ولكنه باللغة العامية.

نشـــر الفاخـــر بعناية شارلس ستوري (C.A. Story) أستاذ العربية في جامعة كمـــبردج (بإنجلـــترا) وفي آخره فهارس للقوافي والشعراء والأمثال والألفاظ والرجال مطـــبوعا في لـــيدن (هولندا) سنة (١٩١٥) في (٢٦٠) صفحة، وهو من مخطوطات المرحومين (زكي باشا والشنقيطي) في القاهرة.

ومن هذا الكتاب رسالة اسمها (غاية الأرب في معاني ما يجرى على ألسنة العامة من كلام العرب) أفردت منه، وهي في بعض الخزائن الشرقية.

---

(١) وفي كتاب (الأغاني) للأصبهاني: (لأبي الهندام).

(٢) راجع وصف مخطوطات الخزانة التيمورية لكاتب المقال – مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (٣ : ٢٢٥).

١٢١- (مـا تـلحن فـيه العامـة): لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، المتوفى سنة (٢٩١هـ = ٩٠٣م).

١٢٢- (التنبـيه على ما في الفصيح من الغلط) لأبي القاسم عليٍّ بن حمزة البصريِّ، المتوفى سنة (٣٧٥هـ = ٩٨٥م) في خزانة الأسكوريال (إسبانيا).

١٢٣- (الرد على الزُّبَيْديّ في لحن العوام): لابن هشام، في الأسكوريال (إسبانيا).

١٢٤- (مـا أخـذ عـلى المتنبي من اللحن والغلط) للقزّازِ القيروانيّ، المتوفى سنة (٤١٢هـ = ١٠٢١م)[1].

١٢٥- (الأمـثال العامـية البغدادية): للقاضي أبي الحسن علي بن الفضل المؤيديِّ الطالقانيّ، جمعها سنة (٤٢١هـ = ١١٠٣م) ورتبها على حروف المعجم، ولا يعرف منها الآن في بغداد إلا نحو عشرين مثلاً فقط، استنسخها من مكتبة أيا صوفيا (الأستانة) زميلي الأستاذ لويس مسنيون (L. Massignon) الفرنسي، وحذف منها البذيء، فبقي (٦١٣) مثلاً، طبعها بمطبعة رمسيس في القاهرة سنة (١٩١٣م) في (٣٧) صفحة بقطع الثمن، وذيلها بفهارس.

١٢٦- (مـا تـلحن فـيه العامة): رسالة لسلامة بن عياض بن أحمد، المتوفى سنة (٥٣٣هـ = ١١٣٨م) ذكر فيها لحن العامة في عهده.

١٢٧- (حـواش عـلى دُرَّة الغـوَّاص في أوْهام الخواصِّ للإمام الحريري صاحب المقامـات) رُدَّ فـيها علـيه، وردود أخرى في التخطئة والتصويب، سيأتي ذكرها في أماكنها. ومنها:

١٢٨- (الـردّ عـلى الحريريّ في دُرَّة الغوَّاص) لمحمد بن عبد الله بن المظفر المكيِّ الصقليّ، المتوفى سنة (٥٦٥هـ = ١١٦٩م).

---

(١) كـثرت الرسائل والمؤلفات في النقد عند العرب، ولا سيما في نقد اللغة والأغلاط واللحن، فنجد لكل شاعر أو كاتـب من المشهورين من انتقده كالمتنبي وزميله أبي تمام والبحتري، ففيهم رسائل بانتقادهم، وأخرى في الدفاع عنهم، لا محل هنا لتفصيلها، وقد نشر أسماء كثير منها في مجلة المقتطف وغيرها، ولي بينها رسالة فيما وقفت عليه منها.

١٢٩- (رد ابن الخشاب على دُرَّة الغوَّاص): رسالة في نقدها.

١٣٠- (اللـــباب في الـــرد عـــلى ابن الخشاب) لعبد الله بن بَرِّيّ المقدسيّ المصريّ اللغويّ، يريد فيه على نقد ابن الخشاب. تُوُفِّيَ ابن بَرِّيّ سنة (٥٨٢هـــ = ١١٨٦م) وطبعت رسالته هذه في الأستانة سنة (١٣٢٨هـــ = ١٩١٠م) في (٩٤) صفحة، بقطع ثمن صغير.

١٣١- (غلـــط الضـــعفاء) لابـــن بـــرِّيّ المذكور. طبع هذه الرسالة الأستاذ توري (C.Torey) في كتاب (الأبحاث الشرقية) لنولدكه (Noldeke) الألماني.

١٣٢- (رسالة أبي بكر الأنصاريّ) في دُرَّةِ الغوّاص ومنقديها.

١٣٣- (أرجوزة في نظم درة الغوَّاص ومؤاخذات الحريريِّ عليها) لسراج الدين أبي حفص عمر بن الفائزي.

١٣٤- (رســـالة في أغالـــيط الزمخشري) لرشيد الدين محمد بن محمد بن عبد الجليل العمري، المشهور بالوطواط، المتوفى نحو سنة (٥٨٢هـــ = ١١٨٦م).

١٣٥- (إصلاح خلل صحاح الجوهريّ) لعلي بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد ابن موسى، وزير حلب، المعروف بالقفطي، المتوفى سنة (٦٤٦هـــ =١٢٤٨م).

١٣٦- (نقـــود على الصحاح) لأبي العباس الأزدي الأشبيلي، المعروف بابن الحاجّ، المتوفى سنة (٦٤٧هـــ = ١٢٤م).

وقيل: إنه برع في لسان العرب حتى لم يبق فيه من يَفُقْه أو يُدانيه.

١٣٧- (مـــا أنكرته العرب على أبي القاسم بن سلام وأفتته فيه): أَلَّفَ هذه الرسالة محمـــد ابن هبيرة الأسديّ، المعروف بصعوداء الكوفي، اختص بعبد الله بن المعتز، وألف له هذا البحث.

١٣٨- (ما قالته العرب وكثر في أفواه العامة) لأحمد بن سعيد بن شاهين بن علي بن ربيعة البصري اللغوي، المعروف بأبي العباس.

١٣٩- (تثقـيف اللسان) للقاضي المالكي بن عمر الصقلي، دفن في تونس، من أهل القرن السادس للهجرة، سيأتي ذكره، وهو مخطوط.

١٤٠- (رسائل لغوية مختلفة البحوث) لمؤلفين كثيرين (في الخزانة التيمورية) وبعضها نادر، تبحث في المثنى والمثلث والمترادف والمتضاد والمشترك والمعرب والدخيل والفروق، ونحـو ذلـك من الفوائد التي يحتاج إليها الكاتب والمعرب والصحافي[1] والشاعر، ولا سيما ما يتعلق بصحيح العامي واللحن.

١٤١- (الأغلاطـي): وهو معجم في الأغلاط اللغوية، تأليف صفيِّ الدين بن سرايا الحلِّـي الشـاعر، المـتوفى سـنة (٧٥٠هـ = ١٣٤٩م) وهو من مخطوطات خزانة الأسكوريال في "أسبانيا".

١٤٢- (تصـحيح التصـحيف وتحريـر التحريف) لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفديِّ، المتوفى سنة (٧٦٤هـ = ١٣٦٢م). وهو مصوّر بالشمس في الخزانة الزكية بالقاهرة. ونقل منه عن (تثقيف اللسان) للصقليِّ في الألفاظ العباسية، وقد ذكر سابقًا.

١٤٣- (الاشتقاق) لأبي بكر محمد بن السريِّ.

١٤٤- (نقـل الألفاظ والكلمات اليونانية وكتابتها وتعريبها) وهو تأليف قسطوس بلـيطون اليوناني، عُرِّب قديمًا، ووجده المرحوم أحمد زكي باشا في خزانة كتب(طوب قـبو) في الأستانة، وعرض طبعه مع غيره من النوادر على مؤتمر المستشرقين في "أثينا" سنة (١٩١٢م) وهو في خزانته بالقاهرة (قبة الغوري).

١٤٥- (نفـوذ السـهم، فيما وقع فيه الجوهريُّ من الوهم)، وهو انتقاد الصحاح وإصلاح ما فيه، ومنه عشر كراريس في المكتبة العمومية، للصلاح الصفديِّ.

١٤٦- (نـزهة الأنفس، وروضة المجلس) لمحمد بن علي العراقيِّ، ألفه فيما استعمله العـوام من كلام العرب ولم يفهموه ولا عرفوا حقيقته. وفيما يجوز استعماله من المثل، ووجّـه تصحيف العوام لـه، مع ذكر القصة التي ورد فيها المثل. وكان تأليف هذا قد

---

(١) نسبة إلى الصحافة. انظر قرار المجمع في قياسية صيغة (فعالة) للحرفة.

تم بإلحــاح أبي القاســم نصر بن الحسن الصفار، ورتبه على حروف المعجم، فهو من المراجع المفيدة في هذا الباب.

١٤٧- (الجمانة في إزالة الرطانة) لمحمد بن القاضي التونسيِّ، من علماء القرن التاسع للهجرة، مخطوط سيأتي ذكره.

١٤٨- (المتوكِّلي) تأليف: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطيِّ، المتوفى سنة (٩١١هـــ = ١٥٠٥م). وهو رسالة فيما ورد في القرآن باللغات الحبشية والفارسية والهــندية والتركـــية والزنجية والقبطية والنبطية والسريانية والعبرانية والرومية والبربرية. طبعــت في مصـــر في (١٤) صفحة، بقطع الربع سنة (١٣٤٨هــ = ١٩٢٩م) وهذه الرســالة المطــبوعة ملخصة من النسخة المطولة، التي سماها باسم (الخليفة المتوكل على اللــه العباسيِّ) لأنه أمر بإنشائها.

١٤٩- (غلطات العوام) لجلال الدين السيوطي الآنف الذكر، منها نسخة في الخزانة الكوبرلية في الأستانة.

١٥٠- (جــامع التعريــب بالطريق القريب) ألفه جمال الدين عبد الله العذري، أحد علماء القرن الحادي عشر – أو الثاني عشر – للهجرة في جامع مرجان ببغداد، مخطوط في الألفاظ المعربة والدخيلة.

١٥١- (التذيــيل والتكمــيل مما استعمل في اللفظ الدخيل) جمعه جمال الدين عبد اللـــــه ابـــن أحمد بن موسى العذريِّ، وقف عليه مؤلف (جامع التعريب) وهو كذيل لمعرب الجواليقيِّ فاختصره باسم (جامع التعريب).

١٥٢- (بهجــة النفوس في المحاكمة بين الصحــاح والقاموس) لمحمد بن يحيى القرافي، جمعهــا مـــن خطوط عبد الباسط البلقيني وسعدي أفندي وغيرهما، ذكرت في مقدمة معجم (تاج العروس).

١٥٣- (التنبيه على غلط الجاهل والنبيه) لابن كمال باشا، من علماء الروم، المتوفى سنة (٩٤٠هــ = ١٥٣٣م).

وقــد ذكــرت هذه الرسالة في المجلد الأوّل من مجلة مجمعنا الملكي (في الصفحة ٣٥٤) باســم (غلطــات العوام). وفاتني أن أذكر أن زميلي الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي، رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق، قد نشرها في مجلة مجمع دمشق، ثم جمعت برســالة على حدة في (٤٦) صفحة بقطع الثمن سنة (١٣٤٤هـــ = ١٩٥٢م) وحقق أن اسمهــا (التنبيه على غلط الجاهل والنبيه) لا (غلطات العوام)كما كتب في كثير من نسخها، ومنها نسختنا.

أمــا (غلطات العوام) فهي رسالة لخسرو زاده كما ذكرنا في مجلة مجمعنا الملكي (جـــ١: ٣٥٤) ورســالة (التنبيه) طبعت منذ نصف قرن في "ليدن" (هولندا) بعناية الكونت لندنبرج المستشرق، المتوفى سنة (١٩٢٤م).

وذكــر باسم الشيخ عمر السويديّ، ولا نعلم سبب تسميته بذلك، ولعله أراد بالسويديّ نسبته إلى بلاده: أسوج.

١٥٣- (رفــع الإصــر عن لغات أهل مصر) ليوسف المغربي من أهل القرن العاشر الهجــري، يبحث في لغة مصر العامية في زمنه. ونسخة المؤلف الأصلية بخطه في خزانة الجامعة الروسية. وهي من كتب الشيخ محمد عياد الطنطاوي[١].

ومــنه قطعــة في الخــزانة التــيمورية. وقــد درس هــذه النسخة ووصفها الأستاذ كرتشكوفسكي Kratchkovoski، المستشرق الروسيّ.

١٥٤- (القول المقتضب في ما وافق لغة أهل مصر من لغة العرب)، تأيف: محمد بن أبي الســرور الصــديقيّ، من أهل القرن الحادي عشر للهجرة، منه نسخة في الخزانة التيمورية.

١٥٥- (خــير الكلام في التفصّي[٢] من غلط العوامّ) لعلي بن بالي، بخزانة الفاتح في الأستانة.

---

(١) راجع مجلة المجمع، الجزء الأول ص ٣٥٥.

(٢) التفصّي: التخلُّص.

١٥٦- (**بحـــر العـــوّام فـــيما أصاب فيه العوام**) لابن الحنبليّ في الخزانتين: الركيَّة والتيموريَّة بالقاهرة.

١٥٧- (**الأمثال العامية المصرية**) لشرف الدين بن أسد، في أوائل القرن الثامن عشر، جمع منها ألف مثلٍ ومثلاً، فترجمها: بورخارت، السائح الألمانيّ، بلغته عندما جاء مصر، في أوائـــل القرن التاسع عشر، وانتقد أمثال الرِّعاع لبذاءتها، وترجمت بعد ذلك باللغة الإنكليزية.

٢- مؤلفات المعاصرين من عرب ومستعربين

١٥٨- (**أصـــول اللغـــة العربـــية العامية والفصحى**) قدَّمه باللاتينية: دي سفاري De Sivarie سنة (١٧٨٤م) إلى الحكومة الفرنسية. وكان هذا الكتاب هو الذي حمل المستشـــرق الفرنسي الكبير "سلفستر دي ساسي" على تعلُّم العربية في مدرسة اللغات الشـــرقية الحية في باريس، والتضلع من آدابها، ونشر ذلك الكتاب سنة (١٨١٣) بعد مـــوت مؤلفه سفاري بعناية الأستاذ: لانكلاز Lanclaze، من أساتذتها، وتنقيح: مخايل الصباغ السوري، أحد مدرسيها[1].

١٥٩- (**الألفـــاظ البرتقالية المشتقة من العربية**) لسوزا البرتقالي Souza طبعت سنة (١٨١٢م).

١٦٠- (**أمـــثال المكـــيين بالألمانـــية**) للمستشرق: سنوك هورغرونجي Hurgronje الهولانديّ.

١٦١- (**بحـــث في لغـــة نجـــد الحالية**) للمستشرق ج . ج هس .J.Hess، في مؤتمر المستشـــرقين في أثيـــنا اليونانـــية، في نيسان سنة (١٩١٢م) وفيه تحقيق في انتقال نبرة الصوت والتنوين في كلامهم، كما في قولنا (هي امرأة لي) فيقولون هم: (هي مرتالي).

---

(١) راجع ص ٣٥٦ من الجزء الأول من مجلة المجمع. ومخايل الصباغ: لبناني الأصل كان في فرنسا، وألَّف كتبًا فيها، ونقَّح بعض المؤلفات للمستشرقين.

١٦٢- (**الكــلام الــدارج بمصر القاهرة**) بحث عرضه المرحوم الأستاذ الشيخ محمد راشــد، على أعضاء مؤتمر لندن في سنة (١٨٩٢م) وذكر فيه كثيرًا من أزجال العوام، وألحانهم ومواليائهم وموشحاتهم وأدوارهم.

١٦٣- (**تحفــة المكاتــب للمعرب والكاتب**) لجامع هذه المقالة، وضعه في مجلد كبير لمســاعدة المعربين والكتاب على إيجاد ألفاظ تناسب أغراضهم الأدبية والعلمية، وتهذب تعبيراتهم العامية، ولا يزال مخطوطًا ممثلاً للطبع.

١٦٤- (**الأمــثال العربــية الشائعة في الجزائر والمغرب**) لمحمد بن شنب، نشر الجزء الأول باللغــة الفرنسية مترجمة فيه أمثال عددها (٩٢٦) مثلاً، على حروف المعجم من (أ - ز) في بــاريس سنة (١٩٠٥م) في (٣٠٢) صفحة، وقابل بين أمثال العامة وأمثال الأدباء، وعلّق عليها فوائد لغوية وأدبية. وطبع الجزء الثاني في باريس سنة (١٩٠٦م) في (٣٠٨) صفحات.

١٦٥- (**رسالة في اللغة المالطية**) للمستشرق الألماني جزينيوس Gesenins المتوفى سنة (١٨٤٢م).

١٦٦- (**مفــردات الكلمات الأسبانية والبرتغالية المشتقة من العربية**) للمستشرقين: دوزى Dozy وأنغلمان Englmann طبع في ليدن سنة (١٨٦٩م).

١٦٧- (**رســالة في المقابلــة بــين لهجات بعض سكان القطر المصري**) لحفني بك ناصــف، تلاها في المجمع الشرقي في استوكهولم، وهي جواب اقتراح الدكتور مارتن هــرتمن مــدرس اللغات الشرقية في جامعة برلين بجمع الألفاظ العامية وتقييدها لمعرفة القــبائل العربية التي نطقت بها[1]. ووعد مؤلف الرسالة - رحمه الله - أن يطبعها على حدة (ولا نعلم من أمرها شيئًا)[2].

١٦٨- (**كــنــز المصاحبة والأدب للأنيس والطالب في لغة مصر والمغرب**) تأليف:

---

(١) راجع المجلد الأولى من مجلة المجمع ص ٣٦٦.

(٢) طبعت في مصر بالمطبعة الأميرية.

يوحـــنا يوســـف مرسل J.J. Marcel وهو محاورات فرنسية وعربية بالعامية، طبع في بـــاريس ســـنة (١٨٣٧م = ١٢٥٣هـــ) في (٥٧٤) صفحة بقطع الربع، وفيه لهجات تونس ومراكش ومصر مرتبة على حروف المعجم.

١٦٩- (مفتاح كنوز النحو والأدب لعلوم العرب) تأليف (م. برنييه M. Brenier تلمـــيذ سلفستر دي ساسي شيخ المستشرقين، طبع في باريس سنة (١٨٥٥م) بالعربية والفرنسية، وفيه قطع مأخوذة بالتصوير الشمسي بخطوطها الأصلية من كوفية وغيرها، وهـــناك رســـائل وقطـــع باللغة العامية المغربية، وأخبار بلغة الجزائر العامية، وأزجال ورسائل، ترجم بعضها بالفرنسية.

١٧٠- (كـــتاب الفوائـــد في العوائـــد والقواعـــد والعقـــائد) تألـــيف دسبارمي F. Despermet المـــدرس، وهو باللغة العامية، ضمن أزجالاً وأغاني وخرافات، طبع في البليدة بالجزائر سنة (١٩٠٥م) في (٢٢٨) صفحة بقطع الربع.

١٧١- (لغة الجزائر العامية) تأليف هوداس Houdas[1] بالفرنسية.

١٧٢- (العربـــية ولهجاتها) رسالة بالفرنسية للكنت:دي لاندنبرج الأسوجي، قدمها للمؤتمر الدولي الرابع في الجزائر سنة (١٩٠٦م).

١٧٣- (خصـــائص اللغة العربية) رسالة في اللغة العربية الفصحى والعامية وما يقابل خصـــائص الفصـــحى في غيرها من اللغات، لحبيب بك غزالة، نزيل مصر، طبعت في القاهرة سنة (١٩٣٥م) في (٣٢) صفحة بقطع الربع.

١٧٤- (الفلســـفة اللغوية والألفاظ العربية) لجرجي بك زيدان، منشئ "مجلة الهلال" (وهـــي في الأدلة اللغوية التحليلية على أن اللغة العربية مؤلَّفة في الأصل من أصول قليلة ثنائـــية أحاديـــة المقطـــع، معظمها مأخوذ عن محاكاة الأصوات الخارجية والأصوات الطبيعـــية، التي ينطق بها الإنسان غريزيًّا). وقد تعرَّض المؤلف لما في الألفاظ العامية من القلب والإبدال والنحت والزيادة والنقصان وما شاكل.

---

(١) راجع المجلد الأول من مجلة المجمع ص ٣٦٥ .

وقد طبعت ثانية في مصر سنة (١٩٠٤م) في (١١٨) صفحة بقطع الربع، وفيها تعــرض للكــتابة والأرقام وصورهما وطرق التعبير السامية بالعبرية والسريانية وغيرهما، وباللغات الأوربية.

١٧٥- (**الخواطر في اللغة**) لجبر ضومط، أستاذ العربية في الجامعة الأمريكية في بيروت ســابقًا، وهو في تحليل الألفاظ بحسب أصول اللغات السامية كالعبريّة والسريانيّة وما دخل العربية من ألفاظهما وقواعدهما. طبع بيروت في (نحو ١٠٠ صفحة) بقطع الثمن. ولضومط مباحث في اللغة العربية طبعت كتابًا فيه فوائد كثيرة.

١٧٦- (**الكــلمات الآرامــية الدخيلة في العربية**) وهو معجم فرنكل Francle طبع بليدن (هولندا) سنة (١٨٨٦م).

١٧٧- (**مباحــث عامــية**) للأســتاذ جيوسب فورلاني Dott Guiseppe Furlani الإيطالي. زارني في دمشق وزحلة، ورأى معجم العامية والدخيل الذي وضعته، ومجاميع الأمثال العامية والأزجال التي جمعتها ونقل منها أشياء؛ وذلك سنة (١٩٢٤م).

١٧٨- (**قواعــد باللغــة المصرية العامية**) لفسك Fask الأميركي، وهي لكتابة اللغة العامــية بحــروف أوربــية، وعنوانها بالعربية العامية، هكذا (أجرومية مصري مكتوبًا باللسان المصري ومعها أمثلة) ثم بالفرنجية.

١٧٩- (**اللغــة الشائعة في سورية قبل الهجرة**) بحث مفيد للمطران إقيليميس يوسف داود، مطران السريان الكاثوليك في دمشق، نشره في مجلة الشرق اليسوعية (١: ٨٤٢) وهــو من كتابه (اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية) وفيه الألفاظ الدخيلة في العربية الفصحى والعامية من السريانية وغيرها.

١٨٠- (**أحسن النخب، في معرفة لسان العرب**) للأستاذ حسن المصريِّ، المدرس في كلــية فييــنا. طــبع سنة (١٨٦٩م) في (٢٦٦) صفحة، وهو في تعليم اللغة المصرية الدارجة.

١٨١- (أصـــول اللغـــة العربية المحكية) وضعه بالإنكليزية في لندن المرحوم الأستاذ فارس الشدياق (المعروف بعد ذلك بأحمد فارس الشدياق)، وطبع سنة (١٨٥٦م).

١٨٢- (نصـــوص عربـــية في لغـــة العرائش العامية) للأستاذ مخيمليانو أ. سنطون Maximiliano X Santon الأندلسي، جمع فيه لغة العرائش في مراكش سنة (١٩١٠م) ونشـــر الأخبار بحرفها المغربي، ورسم لفظها بالحرف الإفرنجي، وترجمها بلغته المعروفة بالقسطيلية، وذيلها بمعجم الألفاظ العويصة وشرحها.

١٨٣- (مواد لدرس لهجة عرب البدو في إفريقية المتوغلة) وهو كتاب بالألمانية نشر أولاً في "مجلة اللغات الشرقية" البرلينية ثم على حدة في برلين سنة (١٨٩٩م) في (٨٠) صـــفحة. بـــالقطع الكـــبير، تألـــيف الأستاذ المستشرق الألماني: جورج كمبفماير[1] G. Kampffmeyer.

١٨٤- (لهجـــة قـــبائل اليمن وما جاورها من جنوب جزيرة العرب) بدأ بتصنيفه الأستاذ كمبفاير – الآنف الذكر – منذ نحو أربعين سنة.

١٨٥- (الأمـــثال العامـــية المصرية) بالعربية والإنكليزية تأليف: يوسف خانكي في مصر.

١٨٦- (الأمـــثال العامية في العراق) ليوسف غنيمة البغدادي: نشرها بتعاليق في مجلة المشرق البيروتية (٧: ٢٩٧).

١٨٧- (المخـــتار من أمثال عكار) للأب سليمان غانم اليسوعى، بشروح نشرها في مجلة المشرق (٩ : ٥٥٥).

١٨٨- (المنتخـــب من أمثال حلب) للخوري توما أيوب السرياني الحلبي، نشرها في مجلة المشرق (١٠ : ٢٨٨).

١٨٩- (اللهجة العربية العامية في أورشليم) للدكتور مكس لوهر Max Loehr طبع بالألمانـــية ســـنة (١٩٠٥م) في (١٤٤) صـــفحة. وهو يميز بين لهجات القدس والشام ومصر.

---

(١) ورد اسمه في المجلد الأول من مجلة المجمع، في الصفحة ٣٦٦ بإبدال الفاء غيناً وهو خطأ مطبعيّ.

١٩٠- (الأمثال الدارجة في فلسطين) كانت تنشر تباعًا في مجلة إنكليزية في القدس، ربما كانت مجلة (جمعية محبّي الشرق).

١٩١- (حكاية الحداد مع هارون الرشيد) باللهجة المصرية، مترجمة بالفرنسية.

١٩٢- (كـــتاب في لهجـــة الجزائر) بالعربية والفرنسية، ألفه أبو القاسم (بلقاسم) بن سديريٍّ الجزائريِّ سنة (١٨٨٢م) وفيه العامية والفصحى.

١٩٣- (اللغات الشرقية ولهجاها) وهي مجلة ألمانية أنشأها الدكتور مارتن هرتمان Dr. Martin Hartmann المستشـــرق الألمـــاني، كانت تصدر في (هيدلبرج) لخدمة اللغات الشـــرقية وآدابها، ولاسيما بحوث علماء المشرقيات في اللغات العامية الشرقية ولهجاها وتطورها. طبع أول جزء منها سنة (١٩٠٠م).

١٩٤- (روايات وقصص كثيرة للمطالعة والتمثيل) باللهجة العامية، منها في سورية ومصـــر والمغـــرب وغيرها من الأقطار العربية، ونقل المرحوم محمد عثمان جلال بك المصري روايات تمثيلية عن الشاعرين موليار وراسين بتصريف. وألف الدكتور إبراهيم الـــنجار اللبناني رواية (هات الكاوي يا سعيد) وكذلك فعل (مارون النقاش) أول من أدخـــل فـــن التمثـــيل إلى بلادنا، فشخص أول رواية في بيروت، وبعض رواياته كان باللهجة العامية اللبنانية، وتابعهم كثيرون إلى أيامنا.

١٩٥- (ثـــلاث مقـــالات في اللهجات العامية) لزميلي في مجمع اللغة العربية الملكي بمصر الدكتور أ. فيشر Fischer نشرها (مجلة المدرسة الشرقية البرلينية) في مجلديها الأول والثاني سنة (١٨٩٨ و ١٨٩٩م) وهي:

(١) أمثال مراكشية كتبت بلهجة المغرب الأقصى العصرية.

(٢) أسماء السلاح والسكاكين المستعملة في المغرب الأقصى ووصفها.

(٣) (نبرة الصوت بألفاظ لهجة المغرب الأقصى) وهو يبين أصوات لهجة المغرب الأقصى وقد طبع في ليبسيك سنة (١٩١٧م) للأستاذ فيشر المذكور.

١٩٦- (زمام الغناء المطرب في النظم السائر في أقاصي المغرب) طبع الجزء الأول منه في الـــنظم الملحون سنة (١٩١٨م) في ليبسيك للأستاذ فيشر أيضًا. ونشر المتن في كتبه الثلاثة باللهجة العربية، وترجم ما كتبه بالألمانية، أما الجمل الطويلة فنشرها بالعربية.

١٩٧- (معجـــم باللهجة المغربية العامية) للأستاذ بوسييه Baussier طبع على الحجر بمجلد ضخم بالعربية والفرنسية في الجزائر منذ أكثر من خمسين سنة، جعله مؤلفه ذيلاً لمعجـــم دوزي المســـمى (بـــتكملة المعجمات العربية)[1] وألفت معجمات كثيرة في اللهجات العامية بالمغرب. ولاسيما لهجات تونس والجزائر ومراكش.

كمـــا أُلِّفـــت معاجم أخرى للهجات العامية في الأقطار العربية على اختلاف مواقعها لا محل لسردها، وفيها الألفاظ العامية.

١٩٨- (حكايـــة وأشعار تونسية) للأستاذ هنس ستومه Hans Stumme المستشرق الألماني، نشرها بالحروف اللاتينية باللهجة التونسية، وترجمها بالألمانية.

١٩٩- (لهجـــة عـــرب هوَّارة) في المغرب الأقصى، وهي حكايات مترجمة بالألمانية، ومنشورة بالحروف اللاتينية، وضعها ستومه مع أستاذه ألبرت. سوسن A. Socin .

٢٠٠ - (الـــنحو والصرف في اللهجة التونسية) وحكايات بالتونسية أيضًا، الترجمة بالألمانية، واللفظ بالحروف اللاتينية، لستومه المارِّ ذكره.

٢٠١- (الـــلهجة الطرابلســـية المغربـــية بالألمانـــية) وهو يشمل الصرف والنحو والأقاصـــيص العامـــية المنشورة بلفظها العاميِّ التونسيِّ، مع تفسير المعاني أو الكلمات الخاصة باللغة التونسية لستومه أيضًا.

٢٠٢- (أشـــعار البدو بين قطري تونس وطرابلس الغرب) بحروف لاتينية، اللهجة والترجمة بالألمانية، لستومه.

٢٠٣- (ملحوظات في اللهجة العربية التونسية) على ما ألّفه ستومه، الآنف الذكر. وهـــذه الملحوظات بقلم الأستاذ كارلو. أ. نلينو Carlo A. Nallino زميلي في المجمع

---

(١) ورد ذكر هذا المعجم في الصفحة ٣٦٧ من الجزء الأول من مجلة المجمع.

اللغوي الملكيّ، نشرها في مجلة (المشرق الإيطالية) (راجع المجلد الثاني منها، طبع رومية سنة (١٨٩٥م) من الصفحة (١٣١ — ١٤٣).

٢٠٤- (**كتاب في اللهجة المصرية**) وضعه بالإيطالية، واصطلاحات الكلمات ولفظها بحروف لاتينية، وطبعة ثانية بزيادات في مدينة ميلانو (إيطاليا) سنة (١٩١٣م) الأستاذ نلينو المذكور.

٢٠٥- (**أشعار قومية عربية**) متنه العربي بعضه بالحروف العربية، وبعضه بالحروف اللاتينية، أما الترجمة والشرح فبالألمانية، وهو تأليف الأستاذ أنولتمان E. Littmann المستشرق الألماني، زميلي في مجمع اللغة العربية الملكي، طبع برلين سنة (١٩٠٢م).

٢٠٦- (**قصة الحماة والكنة**) رسالة باللهجة البيروتية، متنها بالحروف العربية واللاتينية، وترجمها بالفرنسية، طبعت بالمجلة الآسيوية في باريس سنة (١٩٠٣م) للتمان.

٢٠٧- (**حكايات عربية عصرية**) باللهجة القدسية، وبالحروف العربية، وهو أول كتاب من نوعه انتخبه ليتمان المذكور من قصص قديمة وحديثة شاعت في فلسطين أو رويت بألسنة الإفرنج عن بلادهم، فكان القدسيون يتسامرون بها، وفيها غرائب الأقاصيص، طبعت في ليدن(هولندا) سنة (١٩٠٥م) ثم في ستراسبورج سنة (١٩٠٨م) في (٥٨) صفحة قطع نصف عريض — للتمان.

٢٠٨- (**مناداة البائعين في القاهرة وطنطا والقدس**) بالحروف العربية واللاتينية، أما الترجمة والشرح فبالألمانية، طبعت في الدائرة الإسلامية نحو سنة (١٩٢٠م) — له.

٢٠٩- (**حكاية أو (حدُّوته)[1] عربية**) باللهجة الحموية، بالحروف اللاتينية، مع ترجمة ألمانية، طبعت نحو سنة (١٩٢٢م) له.

٢١٠- (**رسالة عن وفاء النيل والأغاني المتعلقة به**) بالحروف اللاتينية والعربية، مترجمة بالألمانية، طبعت نحو سنة ١٩٣٤م) له.

---

(١) تحريف أحدوثة بلسان العامة.

٢١١- (**قصة فنيانوس**) مترجمة بالألمانية مع شرح وملاحظات طبعت سنة (١٩٣٣م) له.

٢١٢- (**قصـــص العــرب في شرق الأردن**) بالحروف العربية؛ مع ترجمة ألمانية طبع بترسبرغ (١٩٠٩م) له.

٢١٣- (**أسماء البدو والدروز في ديرة حوران**) بالحروف العربية واللاتينية، مع تفاسير بالألمانية، طبع غوتنجن سنة (١٩٢٠م) له.

٢١٤- (**أغـــاني الأولاد ولغتهم في مصر الحاضرة**) بالألمانية، والأغاني كتب بعضها بالعربية وبعضها بحروف لاتينية مفسرة بالألمانية، طبعت في القاهرة سنة (١٩٣٥م) في (٧٤) صفحة بقطع نصف كبير.

٢١٥- (**تـــاريخ الـــلهجة العامية في المغرب ولاسيما تونس**) للأستاذ حسن حسني عـــبد الوهاب التونسي، زميلنا في مجمع اللغة العربية الملكي، وقد ضمنه بحثين مفيدين، علّقهما على رسالتين قديمتين مخطوطتين في خزانته.

(فالرســـالة الأولى) اسمهـــا (تثقيف اللسان) للصقلّي، مخطوطة في نحو (١٠٠) صـــفحة. و(الثانية) (الجمانة في إزالة الرطانة) لابن القاضي التونسي مخطوطة أيضًا في (٣٠) صفحة، وسينشر هاتين الرسالتين المتضمنتين اللهجة التونسية والمغربية، وقد وضع علـــيهما بحـــثًا مفيدًا، أفاض فيه الكلام عن تاريخ اللهجة العامية في المغرب، ولا سيما تونـــس، ومـــا حـــدث لهـــا من التطورات والتغييرات في الألفاظ، مع ذكر الأمثال والتعبيرات، مسترسلاً إلى التعليق على الرسالتين.

وهي مجموعة جزيلة الفائدة لا تزال مخطوطة، ومن الخير نشرها.

٢١٦- (**القاموس العامي**) لمصر وسورية مع مجموعة أمثال العوام، بقلم نجيب أفندي نجم كرم اللبناني طبع بمصر سنة (١٩٣١م) بقطع صغير، وهو أشبه بدليل للسياح، تليه قصائد وأغاني عامية باسم (باقة زهر من الحقل) في نحو (١٠٠) صفحة.

٢١٧- (دلـــيل اللغة العربية) لمحمد أمر اللـــه، وهو بحوث في القرآن والحديث وما دخل العربية من الألفاظ الأجنبية فيما بعد ذلك من اللغات الفارسية والتركية واليونانية ولغات أوربا والتقلبات التي طرأت على العربية، ونظرات في اللغة العامية طبع بمصر سنة (١٣٤٥هـــ = ١٩٢٦م) في ٤٨ صفحة بقطع الثمن.

٢١٨- (قـــاموس العوام) لحليم دموس اللبنانيّ، طبع منذ أعوام، وهو مختصر في شرح الألفـــاظ وتصـــحيح بعضـــها، مرتب على حروف المعجم، و لم يتعرض فيه مؤلفه إلى الاشتقاق، أو إلى معرفة الدخيل والمعرب، إلا في بعض الألفاظ.

٢١٩- (مباحث في اللغة العامية) في الصحف من مجلات وجرائد ومناظرات لغوية، وذكـــر بعض ما وضعته المجامع العلمية في مصر وفي مجمع دمشق ونقد ذلك أو تصويبه مما هو معلوم، وبعضه جمع في رسائل لم نقف عليها.

٢٢٠- (أغـــاني الـــدروز) جمعها الأستاذ (أبيلي سارسالو A. Apeli Saariselo) في رحلته إلى سيناء للبحث عن الآثار والعاديات. وهذه الأغاني تشمل: (العتاب والمواويل والقصـــائد والمطالع والتناويح) وغيرها من هذا القبيل، وهي مكتوبة بالغربية واللاتينية، والكتاب باللغة الإنجليزية، في آخره لواحق في اللغة وفهرس[1].

٢٢١- (الهديـــة الفنـــية في الأغاني السودانية) لمحمود عزت المفتي، طبعها بصور في مصر، فجاءت في (٨٠) صفحة بقطع الثمن.

٢٢٢- (مجامـــيع الأغاني والأزجال والقصص العامية) هي أكثر من أن تعدَّ في جميع الـــبلدان العربـــية وفي المهجـــر، وفـــيها الأســـاليب المحكية في كل قطر، والتعبيرات والمصـــطلحات المخـــتلفة. لا محل لاستيفائها، فأشرنا إلى بعضها، وفي القليل غنى عن الكـــثير، وذلـــك لتـــتمة هـــذا البحث التمهيدي لكلامنا في "لهجات سوريا ولبنان العامية". [2]

---

(١) راجع مجلة المقتطف (٨٦ : ٣٦٤) بتاريخ مارس (آذار) سنة ١٩٣٥.

(٢) ورد البحث بمجلة المجمع، الجزء الرابع، ص ٢٩٤.

٣- عناية المستشرقين باللهجات العامية

عُني القدماء بالتأليف في تصحيح العامية واللحن والمعرب والدخيل، وردّ الألفاظ الــتي طرأ عليها التحريف والتصحيف والزيادة والنقصان إلى أصلها، وكذلك من جاء بعدهــم، كما رأيت في سرد مؤلفاتهم المتعلقة بهذا الموضوع إلى أيامنا. وفي ذلك فوائد لمعرفة لغات القبائل ولثغاتها وتاريخها، ولكن شيوع اللهجات العامية في الأيام الأخيرة، مــنذ أكــثر من قرن، وامتزاج الأمم الغربية بالبلاد العربية التي اختلفت لهجاتها، حمل المستشــرقين عــلى البحــث في العامية، ثم إدخال تدريس لهجاتها وأصولها وتقلباتها وتطوراتهــا في جامعاتهم وكلياتهم، وذلك في المدارس التي خصت (بالدروس الشرقية) للغــات الشرق، وأخصها العربية، وألفوا في تلك الموضوعات واعتنوا بها، حتى ذهب بعضهم إلى وجوب التأليف والنطق بالعامية والإعراض عن الفصحى! وخالفهم البعض الآخــر بالمحافظــة على اللغة الفصحى، ورد العامية إلى أصولها العربية، أو إلى اللغات الدخيلة فيها، مع ضبط اللهجات، كما سبقت الإشارة إلى ذلك في صدر مقالنا المنشور في الجزء الأوّل من مجلة المجمع (ص ٣٥١). وكان أكثر الأوربيين حاجة إلى فهم اللغة العربــية العامــية الإيطاليون، الذين دخلوا بلادنا الساحلية والجبلية للتجارة، منذ بضعة قــرون، فأنشــأوا (مدرســة نابولي للدروس الشرقية) سنة (١٧٢٧م) وجددوها سنة (١٨٨٨م) فــربما كانــت أول مدرسة لتدريس اللغات الشرقية الحية، ولاسيما العربية العامية، للتفاهم مع أهل البلاد التي دخلوها واتّجروا فيها هم وغيرهم.

وأنشئت مدرسة لمثل ذلك في فيينا (النمسا) سنة(١٧٥٤م)، وأطلقوا عليها اسم (مدرســة القناصــل)؛ لأنها كانت تعلم القناصل لغات الشرق، ومنها العربية، مهتمة بــلهجاتها العامــية. وكان من مدرسيها في القرن الماضي (حسن المصري) الذي ألف كــتابًا بالعامية سنة (١٨٦٩م) مر وصفه، وأسست سنة (١٨٥١م) مدرسة للهجات الشــرقية، ثم مدرســة (باريس) للغات الشرقية الحية، وأنشئت سنة (١٧٥٩م) لتعليم القناصل والتراجمة والتجار والعلماء المتصلين بالشرق، وفي آخر الثلث الأول من القرن

الماضـــي أضـــافت إلى دروسها (تدريس اللهجات العربية العامية) والتلفظ بها بضبط. وأول من علّم فيها المستشرق الفرنسي سلفستردي ساسي المشهور، وكان تقديم كتاب (أصـــول اللغـــة العربية بالعامية والفصحى) باللاتينية – تأليف دي سفاري كما مر في هـــذه المقالـــة – للحكومة الفرنسية مساعدًا لدي ساسي على إتقان العربية، ومعرفة لهجاتهـــا، وكذلـــك وجود (مخايل الصباغ) السوري في باريس مدرسًا للعربية، ومؤلفًا كـــتابين فـــيها – مر وصفهما في الجزء الأول من مجلة المجمع (ص٣٥٦) قد مكن دي ساسي من العربية.

وبعـــد ذلك أنشئت مدرسة لازارف Lazarev الإكليريكية للغات الشرقية في مديـــنة موسكو الروسية سنة (١٨١٤م) وكانت تعلّم العربية ولغات الشرق الأخرى، وكانت هذه المدرسة فرعًا من الجامعة الإمبراطورية في بطرسبرغ، (لينينجراد الآن) التي كـــان أســـتاذًا للعربـــية فيها المرحوم الشيخ محمد عياد الطنطاوي، فساعد وجود هذا الأســـتاذ عـــلى الاعتناء بالعربية، وله مؤلف مر ذكره في الجزء الأول من مجلة المجمع (ص ٣٥٥).

وفي سنة (١٩٠٩م) خصت فرعًا لها بتدريس العربية واللغات المحكية.

وأنشـــئ مكتب كبير في برلين (ألمانيا) سنة (١٨٨٧م) لمثل هذه الأغراض حتى صار من أعظم مكاتب أوربا لخدمة اللغات الشرقية، فتخرج فيه معظم أساتذة أمريكا الشمالية، وألف سلاسل من كتب التدريس لتعليم حلقات الدوائر الشرقية في الولايات المتحدة الأمريكية، فكان من مدرسيه الدكتور "مارتن هرتمن" من مؤلفي دائرة المعارف الإسلامية بالألمانية وقنصل ألمانيا في بيروت، فعرف العامية ولهجاتها السورية، وكان من المدرسين فيه للمصرية العامية الدكتور أحمد والي[1] وللشامية العامية أمين معربس. وفي ســـنة (١٩١٤م) اعتنت هذه المدرسة بإنشاء حلقات لدرس العربية الفصحى ولهجات الشـــام ومصر والمغرب واللغات الشرقية الأخرى، وأنشأت مجلة لبحوثها كما سبق، ثم

---

(١) هو طبيب عالم؛ شقيق فضيلة الأستاذ حسين والي، عضو مجمع اللغة العربية الملكي.

أنشـــئت الكلية الملكية في المجر لعلوم الاقتصاد الشرقية ودرس اللهجات، ومنها العربية، وإحكام التلفظ بها، ودرس أصواتها، وذلك سنة (١٨٩١م).

وعقـــب ذلـــك تأســـيس مدرسة همبرغ الاستعمارية، لتخرج السياح والتجار والموظفـــين بلغات الشرق، ومنها العربية العامية، وتصحيح اللفظ بحروفها بلا رطانة، وكانـــت جامعة لندن في أوائل القرن التاسع عشر قد أنشأت فرعًا فيها لتدريس العربية الفصحى والعامية، وكان من مدرسيها "حبيب أنطون السلموني" اللبناني، فألف معجمًا بالعربية والإنكليزية طبع سنة (١٨٨٩م). ولما ذهب المرحوم "أحمد فارس الشدياق" إلى لـــندن اقترحت عليه المدرسة تأليف كتاب (بالعربية المحكية أي العامية) فوضعه باللغة الإنكليزية سنة (١٩٠٦م) كما سبق الكلام.

وكـــثرت التآليف العامية العربية ولهجاتها كما رأيت في المقالتين الأولى والثانية عـــند الوطنيين والمستشرقين، وتلونت الآراء بشأن ضبط العامية، حتى وقعت مناقشات بسبب ذلك بين بعض العلماء، منها ما كان بين كل من المستشرقين هارتمن وكبمفاير الألمانـــيين في مؤتمر المستشرقين في باريس سنة (١٨٩٧م)، وقد كتب خلاصة المناقشة بيـــنهما أحدهما هارتمن في مجلة المشرق البيروتية (١: ٧٩٠ — ٧٩٩) سنة (١٩٨٩م) بعـــنوان: (أهمية جمع خواص الكلام الدارج وما يتخذ لذلك) وهي مقالة ممتعة، ضمنها كثيرًا من الفوائد المتعلقة ببحثنا هذا، وفَصَّلَ شؤون آداب العامية، وقابل بين اللهجات الفصحى، ولهجات لبنان ومصر والمغرب.

وهكـــذا كتبـــت المجـــلات الكبرى بحوثًا رائعة في هذا الصدد، لكثير من كبار اللغويين والمؤلفين، نذكر منها مجلات المقتطف، والهلال، والمشرق، والطبيب، والبيان، والضـــياء، والمـــنار المصرية، والمنار البيروتية، والمنارة اللبنانية، ولغة العرب، والمقتبس، والـــزهور، والزهـــراء، ومجلـــة مجمع دمشق العلمي، والمجلة المصرية، والكلية، والآثار، والعـــرفان، والمسرة، ومجلة المعهد الطبي الدمشقي وغيرها، فضلاً عن المجلات الأوربية والأميركـــية التي تناولت هذه المباحث مع كثير من الجرائد الوطنية والأجنبية؛ وجرت

مناقشات وبحوث في الصحف لا محل لذكرها، وهكذا عُني العلماء الوطنيون والأجانب باللغة وردها إلى الفصحى، فألفت فيها معجمات مرَّ وصفها وقل ما طبع منها. مع أن كـــثيرين ألفوا معاجم كان يجب أن تنشر لما فيها من الآراء التي يساعد مجموعها على التمحيص؛ فلعل بعض شركات طبع الكتب تعنى بهذا.

هـــذه كلمة قدمتها للقراء الكرام قبل أن أدخل في بحوث اللغة العربية العامية في ســـورية ولبـــنان، ومـــا بقي فيها من القواعد اللسانية والأزجال والأمثال والتعبيرات وأســـاليب الكتابة، مرجئًا ذلك إلى مقالات في الأجزاء الآتية وفقنا الله إلى إتمامها بمنه وكرمه.

* * *

توحيد اللهجات (*)

للأستاذ محمد رضا الشبيبي

عضو المجمع

تعـــددت الرسائل والمقالات التي عُنِيَ هذا الشخص الضعيف الماثل هنا بكتابتها في موضـــوع الـــلهجات. ومـــن هذه البحوث ما تناول لهجة خاصة، ومنها ما تناول موضـــوع اللهجات بوجه عام. ومن القسم الأول رسالة عنوانها "أصول ألفاظ اللهجة العراقية"، نشرت ببغداد منذ عهد قريب. ومن القسم الثاني بحث عنوانه "بين الفصحى ولهجاتهـــا" ألقـــي في إحدى دورات مؤتمر المجمع اللغوي، وقد تضمنت مقدمة الرسالة الأولى كلمة تمهيدية عن سنن الحياة العامة في نهوض من ينهض وتخلف من يتخلف من الأمـــم والجماعات، ونبذة أخرى عن بعض أدوار الصراع القومي بين العرب والدول الأعجمية. وقد ورد في هذه المقدمة ما نصه:

" لا مـــناص للأمـــم التي ألقت السلاح مغلوبة على أمرها من أن تخلي مكانها للأمـــم الغالـــبة. ولا مفـــر لها من التقهقر لتتقدم تلك الأمم الفتية بنظمها وأوضاعها الجديدة، كما اتفق للعرب ولغتهم في مرحلة من مراحل تخلف الأمة ورقدتها ويالها من رقدة طويلة ".

تميزت هذه المرحلة بتغلب الدول الأعجمية وانكفاء كثير من العرب إلى بواديهم بعيدين عن مراكز العلم والحضارة. ومع ذلك لم يتهيأ لتلك الدول الأعجمية الغالبة أن تســـتغني عـــن العربـــية. على أن أكثر من لغة من تلك اللغات — كالفارسية والتركية والمغولـــية أحـــيانا — شاعت واستعملت إلى جانب العربية في جملة من بلدن الشرق. والفضـــل في بقاء العربية وتفوقها عائد للثقافة الإسلامية التي تقوم على أساس متين من مدارسة الكتاب وتفسيره ورواية الحديث وحفظه.

(*) محاضـــر جلســـات الدورة الرابعة والعشرين، الجلسة الخامسة، جلسة علنية مسائية للمؤتمر بدار الجمعية المصرية للاقتصـــاد السياســـي والإحصاء والتشريع في ١٩٥٧/١٢/٢٦. ونشر البحث، والتعقيبات التي دارت حوله، بمجلة المجمع، الجزء الرابع عشر، ص ٨٥ — ٩٩، تحت عنوان: اللهجات القومية وتوحيدها في البلاد العربية.

في هذه الفترة أخذت تنشقّ عن الفصحى لهجات متعددة، وهي وإن لم تتغلب علـــى أمها في الكتابة والتأليف إلا أنها طغت عليها في المخاطبات العامة، وفي مجالات الحـــياة العلمـــية والشـــؤون اليومية. ومما زاد في الطين بلة سقوط الهمم وتبلد الأذهان والتقصـــير في طلب العلم؛ بسبب الدمار الذي ألحقه المغول بالحضارة الإسلامية، فغمر الأمة ليل أليل من الجهالة والبداوة.

تجســـم هـــذا الخطر الداهم خلال عصور الأتراك الأخيرة وهي عصور تميزت بظهور نعرة طورانية غالبة حاول الأتراك بواسطتها إذابة العناصر التابعة للدولة في عنصر الفئة الحاكمة. ومن ثم اتخذت التركية لغة في عالم التعليم وفي القضاء والدواوين الرسمية، إلى هذا ونحوه، مما نَبَّهَ قادةَ الرأي في هذه الديار إلى مناهضة الخطر المحدق بهم، وانبرى مـــن انـــبرى للدفاع والمقاومة والمطالبة بالحقوق، ودام ذلك كله إلى أن أعلنت الحرب العالمية الأولى. وفي الحرب المذكورة غُلب الترك على أمرهم، وجلوا عن البلاد ليسيطر علـــيها المستعمرون الغالبون، فعانى العرب والمسلمون في هذه المرحلة أضعاف ما عانوه من إرهاق المرحلة السابقة.

عتبتُ على عَمْرٍو فلما فقدته وعاشرت أقوامًا بكيتُ على عمرو

وهكـــذا توالـــت الانتفاضات على المحتلين الذين خدعوا الأمة بأقوال معسولة ومواثـــيق كاذبـــة، وهي انتفاضات معروفة أكرهت الأقوياء الطامعين على الاعتراف ببعض الحقوق للمواطنين. فحصلوا على قسط من السيادة والحكم الذاتي بموجب قوانين أساسية تضمنت احترام حرياتهم وحقوقهم وشخصياتهم القومية.

ولكـــن دسائس المستعمرين لم تنقطع بعد ذلك، فعمدوا إلى إثارة الفتن لضمان سيطرتهم على شؤون البلاد، وتحكمهم بها، ولا يستثنى من ذلك الشؤون الثقافية.

لا شك أن هذه الفترة التي نعيش فيها الآن فترة انتقال أو انقلاب تناول أبناؤها بالنقد والتحميص كثيرا من مناحي الحياة مادية ومعنوية ومن جملتها اللغة.

فترة شك وإرجاف

ولا يخفى أن العربية مرت أخيرًا بفترة يصح أن تسمى محنة، إذ كثر حولها الإرجاف وأثيرت الشكوك، وحاول بعض شداة الأدب وغيرهم من حملة الأقلام أن يتمردوا على قوانينها في ثورة لغوية جارفة، وأظهروا الدعوة إلى استبدال لهجة التخاطب الشائعة بالفصحى، وقالوا مثل ذلك في الكتابة واحتدمت المناقشات بين فريقين من الأدباء والكتاب. ولنا أن نقول هذا اليوم – مغتبطي-: إن هذه المعركة القلمية ألقت أوزارها، أو هي موشكة، وأن الفصحى خرجت ظافرة موفورة الكرامة بعد ذلك، وأن الدعوة الناشزة إلى استبدال العامية بها منيت بخذلان عظيم، وباءت بخزي فظيع.

هكذا افتضح المرجفون والشّاكُّون المشكّكون، على اختلاف طبقاتهم، فهذا مأجور مدسوس كُلِّفَ عبثًا بهدم بناء شامخ وتبديد شمل جامع، وهذا جاهل عاجز حاول ستر جهله وضعفه بما لفّقه الملفقون حول الفصحى، وثالثة الأثافي مُقلِّد غِرٌّ مأخوذ بكل ما يقوله بعض الأعاجم والمستشرقين في هذا الموضوع.

أجل لنا أن نقول إن المعركة انتهت أو شارفت، وأن لغتنا خرجت ظافرة منها. وهاهو الذوق اللغويّ السليم يشيع في ديار العربية بأسرها، وهاهي لهجاتنا في جميع الأقطار العربية أدنى إلى الفصحى منها قبل جيل مضى، وقد مرنت الألسنة على ضرب من النطق الصحيح، ومرد ذلك إلى عوامل في مقدمتها: ازدياد عدد المتعلمين، وتقلص ظل الأمية، وإقبال الناس على المطالعة والقراءة. ومن الغلاة في التحيز إلى العامية من ينادي الآن بالرغبة في التوفيق والإصلاح بينها وبين الفصحى. وهل العامية إلا الفصحى نفسها محرفة أو ملحونة. وفي لهجات التخاطب ألوف من الكلمات يمكن رد الاعتبار إليها وإجازة استعمالها بشيء من التخريج. ويذهب بعض الباحثين من هؤلاء إلى أن التباين بين كثير من الفصيح والعامي مبالغ فيه، وأن الشقة – وإن اتسعت – إلا أن التوفيق ليس بمتعذر، بل هو واقع فعلا. وإصلاح النطق وتقويمه في العالم العربي يسير

سـيّرا حسـنًا - كمـا مر - ، ومن العوامل الفعالة في هذا التوفيق والنجاح انعقاد المؤتمـرات العلمـية والثقافـية واللغوية في دورات سنوية متتابعة، وتنظيم المواصلات والرحلات. ولا ينكر أثر الصحافة والمذياع ودور النشر والطباعة في هذا الشأن.

اللغة والأهداف القومية

ليسـت الدعـوة إلى استخدام اللهجات الدارجة المشوهة في الكتابة والدراسة بحديـثة العهـد، فقد مضى عليها جيل أو أكثر، ولكنها دعوة تعثرت وأخفقت، ولم يجدهـا نفعًا إذاعة بعض البرامج وتمثيل بعض المسرحيات وإنشاد الأغاني والأزجال ولا كتابة بعض الفصول في الصحف هنا أو هناك، فظلت لهجة عقيمة غير مثمرة.

هـذا وقد يكون لي بعض الأغراض السياسية والروح القومية التي ترعرعت في جـيل مضـى دخل في التناغي بهذه الدعوة، والمناداة باتخاذ لغة قومية مستقلة. والدليل عـلى ذلـك أنها دعوة نجمت في وقت واحد مع ضرب من اليقظة والوعي السياسي. ولكـن السياسة تتقلب ولا تدوم على حال. وهذه الأهداف الإقليمية الضيقة تجنح إلى الاتساع في هذا اليوم ولا تميل إلى الانكماش.

لقـد مضى عصر العزلة: عصر من مميزاته أن ينطوي كل قطر من أقطار الشرق عـلى نفسـه، فلا يتصل بغيره، ولا يشاطره الآمال والآلام. نقول مضى أمس بما فيه، وأظلنا عصر آخر له طبيعته ومميزاته، وفي مقدمتها وعي ويقظة ظاهرة بضرورة الاتصال بـل الاتحـاد؛ فالعرب في شتى أقطارهم اليوم يتلمسون طريقهم إلى الاتحاد والوحدة، ويتناول ذلك وحدتهم اللغوية.

أداة التفاهم

في هذه المرحلة التاريخية التي تجتازها الأقطار المأهولة بالناطقين بالضاد لا مناص من التفاهم ولا تفاهم بالعامية.

وطالمـا قابلنا إخوانًا لنا من أبناء العرب وإفريقية، وحاولنا محاورتهم، فلم نفهم عـنهم ولم يفهمـوا عـنا، وقد يصبح الموقف مضحكًا، فلنوذ عند ذلك بالفصحى،

ونلتمس منها العون، وينتهي المشكل ببركة لغة القرآن .. والخلاصة ما كانت العامية — ولـــن تكون — أداة صالحة للتفاهم في أمة تسعى لتحقيق وحدتها القومية. ولنا أن نقول في مساوئ اللهجات أكثر من ذلك فإنها في القطر الواحد وأحيانًا في الحاضرة الواحدة يســـرع إليها الانحلال والانقسام. وقد أكد لي غير واحد من الأساتذة المصريين الذين انتدبوا للتدريس في مدارس العراق أثر الفصحى البالغ دون العامية في الفهم والإفهام .

خداع اللهجات

علينـــا ألا ننخدع بالمحسنات التي يلصقها أنصار لهجاتنا بها قائلين: إنها لهجات طبيعية بعيدة عن التكلف خالية عن التحذلق مجردة من الصناعات اللفظية إلى غير ذلك مما يلاحظ وجوده في لغة التأليف والكتابة وهذه أقوال بعيدة عن الصواب. وقد ينخدع بها من ينخدع لأول نظرة حتى إذا نظرنا في هذا الموضوع نظرة فاحصة اتضح بطلانها، لأن الصناعات اللفظية وتكلف المتكلفين من أدباء العربية زال بزوال عصوره المعروفة في تـــاريخ آداب اللغة المذكورة. وقد انطوت تلك المرحلة، ونحن نجتاز الآن مرحلة أخرى تتميز بنهضة أدبية رائعة، وبأساليب إنشائية خالية من الكلفة والصناعة.

خير الوسائل لتوحيد اللهجات

لســـائل أن يســـأل بعـــد هـــذا: وما هي خير الوسائل التي تضمن لنا توحيد الـــلهجات، وتغليـــب لغة فصيحة سليمة عليها؟ والجواب أن هناك مضافًا إلى ما تقدم جملـــة من الوسائل الفعالة التي توصلنا إلى تلك الغاية. أهمها أولاً: نشر التعليم المنهجي، ومكافحـــة الأمـــية، وكـــثرة سواد المتعلمين المدركين لمكانة اللغة من الدولة والمجتمع والقومية. وثانيًا: توحيد التلفظ وإصلاح النطق على أن تقوم بذلك مراجع فنية مختصة. وفيما يتعلق بالتعليم علينا أن نعنى عناية فائقة بنشره وفرضه، على أن يتناول ذلك علوم الديـــن بالإضـــافة إلى علوم الدنيا. وتعتبر الثقافة الدينية الآن ميتة في كثير من المدارس والمعـــاهد، ولذلك يجب التوفر على إحيائها، وهذا يتوقف على إعداد معلمين أكفاء، يعـــرفون ما هو الدين وما هي رسالة أهله، والدين ليس مجرد شقشقة لسانية، والدين

لـــيس جدلاً بيزنطيًّا، بل هو في الواقع تقويم سلوك وإصلاح أخلاق. فإذا استطعنا أن نترك أثرًا عميقًا صالحًا في النفوس فقد حققنا طرفًا من التربية الدينية القويمة.

لاحـــظ أبو حامد الغزالي صاحب الإحياء أن نقاش فريق من المنتسبين إلى الدين والعلم في عصره نقاش يدور على الألفاظ الجوفاء، وعلى العرض دون الجوهر، والقشور دون اللـــباب، لا عـــلى البحث عن الحقائق، حقائق الأخلاق والفضائل. فقال الغزالي للقـــوم: ابحثوا عن ماهية الصدق والإخلاص والعمل والجد والصبر والجهاد فذلك هو الدين. وهذه هي علوم الدين. ووضع كتابه " إحياء العلوم " تناول فيه بالبحث شؤون الفضائل والأخلاق.

هذه وسيلة من وسائل توحيد اللهجات. وأما الوسيلة الثانية لتوحيد لهجاتنا من حيـــث إصـــلاح التلفظ والنطق، فلا يخفى تباين اللهجات المذكورة من هذه الناحية، واخـــتلافها في مخارج الحروف وفي قلبها وإبدالها، وما إلى ذلك مما يكون مشكلة قائمة في سبيل التوحيد. بيدأ أن حلها والعمل على سلامة النطق والتلفظ من توحيده في جميع اللهجات ليس بمتعذر، وذلك بموجب قواعد عامة يعهد بوضعها إلى ذوي الاختصاص.

هـــذا ولا يسعنا في الختام إنكار الجهد الذي يبذله مجمع اللغة العربية، فإنه مجمع ســـار منذ إنشائه على خطة واضحة لم تقتصر على المحافظة على تراثنا القديم من اللغة والعـــناية بسلامتها، بل سار بالإضافة إلى ذلك على نهج بَيِّنٍ اتَّجهَ فيه إلى التخلص من قـــيود قَـــيَّدَ المتنطعون الجامدون من اللغويين فيها أنفسهم ولغتهم، فعاقتها عن التقدم ومســـايرة اللغات الحية. ومعنى ذلك أن المجمع عدل عن خطة التقليد إلى الاجتهاد في اللغة على قدر الإمكان وذلك في قضايا لغوية وأدبية عدة.

اتخـــذ المجمـــع في هـــذا الشأن مقررات معروفة. ومن أحسن ما قام به مقرراته المـــتخذة في موضـــوع الأقيســـة اللغوية، وتوسيع أبوابها في عدد من الصيغ والأوزان والجمـــوع الـــتي قصـــرها القدماء على السماع. وهو قرار يَسَّرَ مهامَّ المعنيين بوضع

المصطلحات العلمية الحديثة. وللمجمع أيضًا مقرراته المتخذة في باب المعربات والألفاظ المولدة وألفاظ الحضارة اتخذها بغية إنماء مادة اللغة العربية.

لم يتخذ المجمع تلك المقررات بغير سند وبدون حجة من اللغة نفسها، وإنما دعته المصلحة إلى ترجيح مذاهب فريق من أئمتها كانت مذاهبهم مرجوحة.

أكـــتفي بهذا القدر الآن. وختامًا أتقدم إليكم أيها الإخوان بجزيل الشكر على تفضلكم بالحضور راجيًا من المولى أن يتولانا جميعا بتوفيقه؛ إنه ولي التوفيق.

* * *

تعقيبات لبعض الحاضرين

ثم دعا السيد رئيس الجلسة إلى المنصة من طلب الكلام من الحاضرين.

***الدكتور تمام حسان:** نشكر الأستاذ السيد محمد رضا الشبيبي على هذه المحاضرة القيمة التي استمتعنا بها جميعًا. فالأستاذ رضا الشبيبي علم من أعلام العروبة، عرفته وأنا طالب وقرأت له في الرسالة، وقرأت عنه فتلمذت عليه دون أن أراه. وفي هذه الليلة أتتلمذ له بالمشافهة.

والحقيقة إن هذا الموضوع الذي طرقه الأستاذ السيد رضا الشبيبي موضوع حيوي جديد؛ لأن الآراء – كما لمح سيادته إلى ذلك – تفترق في هذه الأيام: فريق يرى أن تكون الفصحى لغة القراءة والكتابة في العالم العربي. ويرى فريق آخر أنها لم تعد أداة صالحة للتطور وأنها يجب أن تتوقف عند هذا الحد بأن تكون لغة دينية، وأن تبدأ اللهجات العامية في الحياة العامة في أداء وظيفتها.

وللرد على ذلك أسأل: ما الذي يجعلنا الآن نحس أننا من شعب واحد هو الذي انتمى إليه سعد بن أبي وقاص، وعمرو بن العاص، والعرب الأوائل؟ وأن يشعر من في العراق بأن له أخًا في مراكش وأنه ينتمي إلى الشعب نفسه؟

هناك مقومات للحياة العربية، مقومات تسير في التاريخ كما تسير في الزمن الحاضر، هذه المقومات منها أن العرب جميعًا قديمهم وحديثهم يشتركون في لغة واحدة وهذا هو أهم شيء في الحياة، منها أن معظم العرب ينتمون إلى دين واحد، ومنها أنهم يقرأون أدبًا واحدًا، ومنها أنهم ينتسبون إلى تاريخ واحد، ومنها أنهم يفخرون بشخص واحد، ويسخطون على أشخاص معينين.

واللغة العربية من بين هذه العوامل أهمها، ولذلك تعتبر من أهم مقومات الحياة العربية الحديثة، ولا يمكن للأمة العربية وهي تنادي بالقومية العربية أن تتناسى هذه الأداة الفعالة في خلق القومية العربية؛ ولذلك فإني أوافق الأستاذ رضا الشبيبي في هذه النقطة موافقة تامة.

غـــير أن الدعـــوة إلى توحيد اللهجات تنافي طبيعة التطور اللغوي؛ لأن اللغة — ككل ظاهرة اجتماعية — تتطور غير خاضعة لتشريع، وغير خاضعة لقوة بوليسية، وغير خاضـــعة لرغـــبة المصـــلحين. فهـــي لا تخضع إلا لطبيعة تطورها فإذا أردنا أن نوحد اللهجات فإن مجهودنا في ذلك مقضيٌّ عليه حتمًا بالفشل، وإن اثنين من عائلة واحدة لا يتكلمان بطريقة واحدة فلكل إنسان طريقته الخاصة في المشي والأكل والنوم فمن الناس مـــن يمشي فيهز ذراعًا واحدة ومنهم من يعرج، دون عاهة. فللناس أساليب في المشي وكذلـــك في الكـــلام. ذلك أن الحركات النطقية التي يقوم بها اللسان خاضعة لعوامل عضـــوية مخـــتلفة مـــنها: وضع الأسنان الذي يختلف في إنسان عنه في آخر، وخاضعة كذلك للحالة النفسية ولذلك لا يستطيع الإنسان أن يقلد نفسه في الكلام. في حين أن الحـــالات النفســـية تختلف بين الفرح والغضب، وبين الانتباه والخمود فلا أستطيع أن أتكلم نفس الكلمة بنفس الطريقة في دقيقتين مختلفتين.

إذا كـــان الأمـــر كذلـــك في الشـــخص الواحد فالأمر واضح في الأشخاص المختلفين، وصحيح أن يقال إن لكل شخص في كل بلد تتكلم أية لغة لهجته الخاصة.

وليست اللهجات الإقليمية المشتركة بين مجموعة من الناس إلا ظاهرة نوعية من النطق، هؤلاء الناس يشتركون في نوع من النطق ولكنهم لا ينطقون متشابهين.

لا نستطيع أن تقول إن هناك لهجة مصرية، ولكن هناك لهجات مصرية مختلفة. وفي القـــرية الواحـــدة القلـــيلة العدد ستجد عددًا من اللهجات بعدد البيوت بل بعدد الأفراد.

إذا أردنـــا توحيد هذه اللهجات فلابد أن نتجاهل النشاط النطقي، وأعتقد أنه نوع من التعدي على مقتضيات طبيعة اللغة.

إن المجمـــع اللغـــوي يقوم بمجهود في سبيل المحافظة على اللغة العربية الفصحى بطريقة تدعو إلى الإعجاب والتقدير، ولكن اللهجات العامية لا يمكن للمجمع اللغوي

أن يوحد بينها. ربما استطاع المجمع أن يضع مشروعًا ولكني على ثقة أن المجمع لن يجد شخصًا يستطيع اتباعه.

وإني أعود فأكرر شكري للأستاذ رضا الشبيبي على هذه المحاضرة القيمة وعلى الأخص دعوته إلى ربط العالم العربي. والسلام عليكم ورحمة الله.

***الدكتور كمال بشر:** اسمحوا لي أن أبدي بعض الملاحظات. الواقع إن موضوع هذه المحاضـــرة موضوع خطير، فنحن الآن أحوج ما نكون إلى لغة عامة يتفاهم بها العرب جمـــيعًا في كل أقطار العروبة، لدينا كثير جدًّا من اللهجات في مصر والعراق وسوريا وغيرها، يجب أن نقابل الحقيقة بشجاعة وهي أن الفصحى لغة صعبة بالنسبة إلى الكثرة الغالـــبة مـــن الشعوب العربية. نود لغة عامة تجمعنا وتتخذ أساسًا عامًّا للتقريب، وأما التوحيد فلا وإنما يمكن أن نقترح أَوْجُهًا للتقريب بين اللهجات. فهل نبدأ من اللهجات أو مـــن اللغة الفصحى نفسها؟ من أين نبدأ لكي نصل إلى لغة عامة تقرب التفاهم بين البلاد العربية؟

هناك عناصر كثيرة لهذا التقريب من أهمها الوحدة السياسية ولا عجب في ذلك، فإنـــه مـــتى توحدت السياسة فإننا نكون بصدد برلمان واحد وحكومة مركزية واحدة ودستور واحد. كل ذلك يؤدي إلى تقريب في التفاهم؛ لأن كل النشرات ستكون بلغة واحـــدة أو على الأقل سيفهمها أكثر من في البلاد العربية، وتعترضنا في هذا التقريب مشكلة اللغة الفصحى، أعني مشكلة النحو بحالته الراهنة.

فالـــنحو في نفسه ليس صعبًا إنما الذي صعّب النحو هو وضع قواعده بالصورة الـــتي هو عليها، وهو موضوع بلغة قديمة .. ومنذ الفرزدق إلى الآن لم يستشهد بكلام العرب، ومرت فترات وفترات ولو أننا قعّدنا اللغة العربية على فترات أو مراحل لأمكن الاتصـــال بمختلف عصور اللغة العربية، ولكن الموقف هو أن هناك فجوة بين اللغة التي ندرسها الآن والتي يضع قواعدها النحو القديم.

وأشير الآن إلى عامل آخر من عوامل التقريب وهو وحدة الثقافة.

وأختم كلمتي بشكر الأستاذ الكبير على محاضرته القيمة.

***الدكتور عبد الفتاح شلبي**: أما الأستاذ رضا الشبيبي من حيث علمه وفقهه بالعربية فأمر غير منكور، وأخلص من هذا إلى المحاضرة نفسها ولي عليها ملاحظات أتفق في بعض منها مع السيد المحاضر وأختلف معه في كثير.

نزع السيد المحاضر في محاضرته هذه إلى الرغبة في توحيد اللهجات، وهذا أمر غير ميسور، واختلاف اللهجات أمر مقرر من قديم فالرسول – صلى الله عليه وسلم – قد أجاز أن يقرأ القرآن باللهجات المختلفة، وما الحديث الذي قال فيه: " أنزل القرآن على سبعة أحرف " إلا إجازة للهجات.

وقد ربط الأستاذ المحاضر بين الدين واللغة، وهذا أمر غير مفهوم فأي دين يقصد؟ والواقع أن الحفاظ على القرآن نهض باللغة العربية وصانها، ولكن اللهجات ظلت متعددة.

وثمة ملاحظة أخرى تلك أن السيد الشبيبي ذكر أن محنة العربية الآن في أن شداة الأدب يريدون أن يتمردوا على القوانين، وما أشبه الليلة بالبارحة! فقد تمرد الفرزدق على قوانين عبد الله بن أبي إسحاق، وقال: علينا أن نقول وعليكم أن تعربوا. ولا تزال هذه النزعة بين شداة الأدب وبين الذين يقومون على صيانة اللغة العربية.

إن الاختلاف بين اللهجات العربية لا يمكن أن يقضى عليه، ولكن النهوض باللغة العربية الفصحى له وسائل ذكر السيد المحاضر بعضها، ولكني أضيف إلى ذلك أن نيسر وسائل اللغة العربية ومنها النحو؛ فإن النحو كثير العلل وهو بتعليلاته المختلفة صعب يستوجب التيسير والتخليص من الشوائب. وأقول أيضًا ما أشبه الليلة بالبارحة؛ فقد وقف أعرابي في مجلس الأخفش ووسوس، فنظر إليه الأخفش وقال: مالي أراك متحيرا؟ فأجاب الأعرابي: " إنكم تتكلمون في كلامنا بكلامنا ما ليس في كلامنا".

وأما تيسير الكتابة فأمر مهم جدًّا لترقية الفصحى والنهوض بها وكذلك تيسير قواعد الإملاء.

وقـــد ذكر السيد المحاضر عمل المجمع وهو أشبه بعمل سلاح الصيانة إنه يصون اللغة، ولكنه لا يوحِّد اللهجات.

هـــذه بعض الملاحظات أردت أن أذكرها، وأشكر السيد المحاضر على ما بذل. وله في سبيل المحافظة على اللغة العربية الجزاء الأوفى.

***الأستاذ مصطفى حسنين إسماعيل:** الواقع إنني ترددت عشر مرات قبل أن أعقب على من تكلموا وخاصة بعد أستاذي الجليل رضا الشبيبي. وأرجو أن تغفروا لي لو أخطأت في اللغـــة. المسألة فيما يبدو لي أن هناك خطأ في فهم الموضوع، ويخيل إليّ أن الأستاذ المحاضر كان يريد أن يتكلم عن توحيد اللهجات، ولكن المعقبين فهموا أنه يريد توحيد الـــلهجات بمعنى Accent أي النطق، ولا شك في أننا نختلف في النطق، فهذه مسألة لا نزاع فيها، وهي أمر طبيعي.

ولكـــن الـــذي أفهمه هو أن الأستاذ المحاضر يعني افتراق اللهجات العامية، فقد أتاح لي حظي السعيد أن أقوم بالتدريس في معاهد العراق ولمست البون بين اللهجات العامـــية. أول مـــا ذهبـــت كان في سنة ١٩٤١ فكنت أجد عُسْرًا في فهم كثير من الكـــلمات العراقية ثم أصبحت أفهمها، وكذلك بدءوا هم يفهمون أساليبنا العامية عن طـــريق الإذاعـــة والسينما المصرية، كما أني لاحظت في العراق تغيُّرا وتطورًا في بعض الكـــلمات العامية؛ فكثير من هذه الكلمات العامية العراقية قد اضمحل، فأستطيع أن أتفاهم مع العراقي بلهجتي الخاصة على أن يستبعد كل منا ما لا يفهمه الآخر.

ولكني أعتقد أن توحيد اللهجات العامية أمر لابد أن يكون، وإني أوافق على أن اللغـــة ظاهـــرة اجتماعية، وكلنا يعلم أن الظواهر الاجتماعية تنبع من المجتمع وتفرض نفســـها علـــيه. هـــذه الظاهرة تريد تطورًا، وهذا التطور- سيحدث حتمًا بالاختلاط والـــتزاور والتعلـــيم والتـــبادل الـــثقافي بين المصريين والعراقيين والسوريين واللبنانيين والفلســـطينيين والأردنـــيين وغيرهـــم مـــن أبناء البلاد العربية – قد أوجد لغة وسطًا وســـتوجد لهجة موحدة بلا ريب في خلال سنوات. وإني أوافق على أن ذلك لن يتأتى

بتشـــريع أو قرارات، ولكنا نتوقعه وكل ما نستطيعه هو أن نمهد لهذا التطور حتى يأخذ مكانه.

والمســـألة في النهاية ليست مسألة توحيد نطق الكلمات، إذ يستحيل إطلاقًا أن يـــتوحد الـــنطق، ولكن الذي نريد توحيده هو اللهجات العامية، والفيصل في هذا هو الزمن. والسلام عليكم ورحمة الله.

***الدكـــتور بـــدوي طبانة:** لعلي أعبر عن رغبة المشاركين في هذا الاجتماع من غير أعضـــاء المجمع في شكر المجمع على أن أتاح لنا هذه الفرصة اللطيفة في هذا الأسبوع، وفي الأسبوع السابق فجعل هذه المحاضرات تخرج إلينا نسمعها ونناقشها، والشكر الثاني لمحاضـــرنا العزيز الشيخ الكبير الأستاذ السيد رضا الشبيبي الذي سمعنا منه هذا البحث القيم الدال على الغيرة العظيمة على اللغة العربية.

إن سير هذه اللغة في الحياة إنما هو علامة على سير هذه الأمة في موكب الحياة. هذا ما أردت أن أقوله أولاً لأدلل على خطر هذا الموضوع الذي عالجه الأستاذ الشبيبي.

ومنذ اثنى عشر عامًا كنت في بغداد، وجاء أحد المستشرقين الذين نتحدث عن خدمـــتهم وعظـــيم تجديدهم في مناهج البحث وهو المستشرق ليفى بروفنسال، وألقى محاضـــرة تدعو إلى شيء واحد في فحواها ومعناها هو (أن اتركوا لغتكم أيها العرب وابحثوا عن لغة عامية وليعتز كل منكم بلهجته الإقليمية)، وكان هذا الموضوع قد اتخذ له الأستاذ المحاضر عنوان الحديث عن دعوة لابن قزمان الأندلسي المشهور، وقد خرج السامعون لهذه المحاضرة من أهل العراق غاضبين ساخطين لأنهم جميعا أبناء الأمة العربية.

أعتقد أن هذا الموضوع كان من الممكن أن يتناول من نواح كثيرة، ولعل مجمع اللغة العربية هو أهم هذه النواحي، وكنت أتوقع من مؤتمر أدباء العروبة أن يتناول هذا الموضوع؛ لأن الزمن الذي نعيش فيه قد امتلأ بالدعوة إلى العامية والتعبير بها، وأخذت هذه الدعوة سبيلها إلى الألسنة والصحف، وأصبح الرجل المحافظ على لغته حين يحاول أن يكتب أدبًا يعد من الرجعيين عند هؤلاء.

*__الدكـــتور عـــبد الحميد بدوي رئيس الجلسة__: كل كلمات المعقبين بالشكر الجزيل للســـيد المحاضـــر على هذه المحاضرة الجليلة، وكلها تأييد في الواقع للدعوة التي يهدف إليها، وإن مناقشة الموضوع تهدي إلى ذلك بصرف النظر عن كون المقصود هو التوحيد أو التقريـــب، وعن كون اللهجات فردية أو جماعية. ولقد بين السيد المحاضر اختلاف اللهجات وردها إلى أسبابها التي منها أسباب سياسية وبصَّرنا بوسائل الإصلاح، ويدخل فيها نشر التعليم ومحو الأمية. وهذه كلها صور من صور التقريب بين الدول العربية فلم يقصـــد أن نتكـــلم جميعًا بلهجة واحدة، وإنما قصد زيادة التقارب بين الأمم العربية. وأعـــتقد أني أعـــبر عن شعوركم جميعًا بأن أسدي خالص شكرنا على هذه المحاضرة الجليلة التي مكنت بعضًا من إخواننا من بسط آرائهم.

*__الدكتور منصور فهمي__: كان في حديث الأستاذ المحاضر وكذلك في حديث الأستاذ رئيس الجلسة ما فيه الكفاية لبيان تلك النـــزعة المحمودة التي تجمعنا حتى نصل إلى أداة واحـــدة للـــتفاهم بين الجميع، وحتى تكون هذه الأداة عاملاً من عوامل زيادة الربط والتوحـــيد بين قوم في عدة أقاليم تغلبت على ألسنتهم لغة واحدة بالفعل وبالواقع، ثم اخـــتلفوا أحـــيانًا في النطق واختلفوا أحيانًا في وضع أصوات قد لا يفهمها البعض من الـــبعض. وقـــد نَوَّهَ الأساتذة المعقبون بسنة التطور العام التي تجمع الناس على مفاهيم مـــتقاربة، فإذا كان هؤلاء الناس من المتخذين لغة واحدة، دخلت عليهم وتغلبت على ألســـنتهم أو كـــانوا أهلها الأصليين، فينبغي أن تكون هذه اللغة هي الأداة لمفاهيمهم جميعا، كلما ارتقوا في الفهم وازدادوا من المعرفة.

وليس من شك في أن أقاليم البلاد العربية — وإن اختلفت في المكان وإن اختلف أفـــرادها في أصواتهم أو في أدائهم للعبارة أو أدخلوا ألفاظًا — فإن هذه الأقاليم تتطور بدافـــع التقدم العام إلى أرقى، وإنها تنشد الحياة الراقية وتطلب السمو في كل شيء: في أنظمـــتها، في أمورها، في مفاهيمها، في لغتها، في عواطفها. واللغة — كما قيل بحق — ظاهرة اجتماعية تتحكم فيها شئون الجماعة فالجماعة المتقدمة لابد أن تتقدم لغتها.

ولكن لنا أن نتساءل: على أي نحو تتقدم هذه اللغة؟ إلى أصل بعيد اعتمد عليه اللسان؟ أم إلى لهجة يتخذها هذا اللسان ليربط الجميع ويحمل المفاهيم الراقية التي يستخدمها الجميع؟ هذا هو السؤال. ومنذ مدة طويلة قال قائلون بوضع قواعد للهجات العامية، وباتخاذ كل إقليم أسلوبه في الأداء وفي بناء الجملة، وباتخاذ ذخيرته من الكلمات التي وضعها أو نقلها من بلاد أخرى. قيل هذا منذ مدة طويلة، ودفع الدافعون هذا القول أو هذه النزعة قبل أن تنشأ المجامع اللغوية وقبل أن تنتشر الصحف والإذاعة. وقوبل هذا القول بالرفض لماذا؟ لأن الإنسانية أولى أن تتوحد فيها لغات، وأن تتكتل وحدات لكل منها لسان تتفاهم به. وليس من الخير للإنسانية أن تتفتت ألسنتها وتتفرق لغاتها. وإذن فتقليل عدد اللغات مطمح إنساني كبير؛ لأنه رُقيٌّ من التفتت والتفرق إلى التوحيد والترابط في المبدأ أو في العقل وفي اللسان ما أمكن، وبذلك قد يصبح من الهين أن يتعلم الإنسان لغتين أو ثلاثًا، ويتفاهم بها مع أخيه من بني الإنسان بدلاً من تعلم عشرات وعشرات من اللغات.

هذه نزعة إنسانية ينادي بها من يدعو إلى توحيد اللغة العربية. ثمة نزعة أخرى منبعها الروح، ولا أعني بها الدين وحده الذي هو منبع روحي عظيم، ولكني أضيف إليها ما في اللغة من أدب وذوق فني خاص، يتلاقى عليه أهل الفكر في تلك البلاد الواسعة التي يتكلم أهلها باللسان العربي على اختلاف الديانات. فهذه اللغة العربية هي لغة هؤلاء وهي ذوق لسانهم، وهي المعبِّر عن وجدانهم في صورة جميلة ودقيقة. فروحانيتهم — من هذه الناحية — تدفعهم إلى احترام اللغة العربية الفصحى. وإن القرآن الكريم كتاب الله الكريم وهو المثل الأعلى للبيان العربي، أقول إن هذا القرآن يجتمع على احترامه المسلمون وغير المسلمين من الناطقين بالضاد فهو منبع روحاني لهم جميعًا. وهو قدوتهم حين يتطلعون إلى ما في الأداء من روعة وجمال.

هذا من جهة عامة، أضف إلى ذلك أن أهل السياسة والاقتصاد يريدون أيضًا أن تـــتوحد هـــذه اللغة تعزيزًا لما بين البلاد العربية من روابط سياسية واقتصادية ومصالح مشتركة.

والـــزمن الـــذي يدفع إلى التطور العام وإلى التقدم الشامل يريد من أهل الإقليم الواحد أن تتقدم لغتهم إلى أعلى فيصنعون منها أصواتًا وحروفًا راقية يتفاهمون بها.

ومن ثم وضعت ألفاظ كثيرة لم يكن يعرفها العرب الأقدمون، وهي مشتقة من الفصـــيح، داخلـــة في نطاقه. ومع ذلك يتفاهم بها الآن العراقي والمصري والمراكشي وغيرهم، وذلك مثل: نفاثة، وطرادة، وبارجة.

يضـــاف إلى ذلـــك مهمة الإذاعة؛ فقد أصبحت أصوات المذيع على اختلاف مكانهـــا من بلاد العروبة تتلاقى في أسلوب عربي موحد، ولهجة ونبرة موحدة أو تكاد تكـــون موحـــدة. وإن المذيع العراقي والسوري واللبناني وغيرهم يفهمهم أهل البلاد العربـــية جميعًا، برغم اختلاف نبرات الأصوات وتغايرها في نطق بعض الحروف، وفي مقاييس المد والقصر والتعطيش وما إلى ذلك من خصائص اللهجات.

فحيـــنما أراد السـيد المحاضر أن يُنبِّه إلى الإيمان باللغة التي ندرك بها مفاهيمنا والحـــرص على توحيدها، إنما أراد أن نجتمع في تفهم المعاني وفي تسمية الأشياء بألفاظ ومصطلحات موحدة مشتقة من لغة الضاد.

وثمة نقطة أخرى لم يبسطها السيد المحاضر صراحة، وإن كانت مفهومة بالبداهة تـــلمح من سياق حديثه. فقد أشار إلى التقدم العلمي العام، وإني أوضح ذلك بأن نشر التعليم على منهاج يكاد يكون موحدًا، ومطالعاتنا للصحف على أسلوب يكاد يكون واحـــدًا، كل هذه هي عوامل للوحدة بين لغة المصري والعراقي والتونسي والمراكشي وغير هؤلاء على السواء، فضلاً عن الإرادة والنـــزوع الدافع إلى قومية موحدة.

وثمة مسألة أخرى: هي صعوبة قواعد اللغة التي أثارها بعض المعقبين من أساتذة اللغـــة العربية. وأحب أن أصارحكم بأني تعلمت اللغة من دراسة عامة، ومن قراءات

للصـــحف وللكتب. ومع ذلك فأنا أتكلم بينكم الآن [illegible] واضحة قليلة الخط[illegible] فـيما أحسب، لا يعيا بفهمها غير المثقف [illegible] [illegible]ست اللغة العربية م[illegible] الصـــعوبة بالقدر الذي يتوهمه المت[illegible]. ولا [illegible] يخطئ القارئ بها [illegible] المتكلم في ضبط حركة أ[illegible] في صيغة كلمة أو [illegible].

فمــــن الخطأ [illegible] باستمالة توحيد [illegible] الصعوبة التي تلاحظ في تعلمها واكتسابها. [illegible] لغة عربية تعم وتسود وتستقر. تلك هي اللغة الطبيعية العامــــة المستساغة [illegible]ها التلاميذ في المدارس ويقرءونها في الصحف، ويسمعونها من المنابر ومن [illegible] ستتوحد هذه اللغة، ويزداد غزوها مع الزمن، وتسود في تلك البقعة [illegible] تسمى بلاد العروبة أو بلاد الناطقين باللغة العربية.

فــإذا [illegible] أعضائه بتوحيد اللغة، فهو إنما ينادي بذلك تلبية للصــــدى الدفـين [illegible] لعام الكمين في أنفسكم أنتم أهل مصر والعراق والشـــام باعتباركم ورثة اللغة العربية الفصحى، وباعتباركم أبناء القومية العربية، فهذا الصــــدى القـــوي ينبعث من القومية العربية ومن دفع التقدم العام، وهو يهفو إلى أن تســـتوعب اللغة العربية كل المفاهيم التي أتت بها الحضارة الحديثة. ولأضرب لكم مثلاً مـــن حياتـــنا الحاضرة: فقد مرت طائرة، " الهليوكوبتر" في سماء البلاد العربية، وتُنوقِل اسمُهـــا عـــلى الأفواه. فماذا فعل البدوي: الساذج بسليقته العربية؟ قال هذا البدوي: (حوَّامة) فشاع الاسم.

وإلـــيكم مـــثلاً آخر: رأى رجل الشارع " وابور الزلط " فماذا قال حين شهد صـــنعه في الأرض؟ قال: (الهراس). فكان لمثل الأستاذ محمود تيمور الأديب أن يلتقط هـــذه الكلمة، وأن يضعها في قصة أدبية لأنها كلمة عربية صميمة. وهي [illegible] " وابور الزلط ". وقد تُروِّجُها قصته وكتابته فتصبح مألوفة على [illegible] اللسان.

هذا يوضح لنا [illegible] إليها، وهي إدخال [illegible] اللغة العربية وتعميمها في شتى بلاد العروبة [illegible] بشتى الوسائل.

وهـــنا أذكـــر المـــرحوم الشيخ الإسكندري الذي كان يؤمن بأنه ما من لفظة يستطيع أن يفهمها إلا استطاع أن يجد لها من اللغة العربية كلمة من الكلمات. وأذكر أيضًـــا المـــرحوم إسماعـــيل حسنين وهو من أساتذة الطبيعة فقد كان يفزع إلى الشيخ الإسكندري ليسمى له الآلات والأدوات التي تدخـــل في علم الطبيعة، ليثبتها في كتابه المقـــرر للدراســـة في المعـــاهد المصرية. وبذلك شاعت الكلمات العربية الخاصة بهذه الأدوات والآلات.

حَقًّـــا إن في اللغة العربية المستعملة اليوم كثيرًا من الكلمات الأجنبية من مختلف اللغات. ومهمتنا الآن أن نُوقِفَ هذا التيار الجارف حتى لا يفسد اللغة وتتفتت، فنؤمن مـــع المحاضر بأن التطور سيجعل لنا لغة واحدة أقرب إلى الفصحى، تلك التي نزل بها الكتاب الكريم وأصبحت لها في نفوسنا قدسية وإكبار.

فليس المقصود بتوحيد اللغة توحيد النبرات والأصوات، وإنما هو توحيد الألفاظ والعـــبارات، وعلى أية حال فإن توحيد الأصوات غير عسير في نطاق عام، وسيكون للإذاعة مع الزمن فضل كبير في التوحيد أو التقريب.

***السيد الستاذ محمد رضا الشبيبي**: أقدم الشكر الجزيل إلى السيد الدكتور عبد الحميد بـــدوي رئـــيس الجلسة، وكذلك إلى السيد الدكتور منصور فهمي كاتب سر المجمع. وأشـــكر الأساتذة المعقبين على تعقيبهم، وأعتقد أن ما بيننا ليس أكثر من اختلاف في الألفاظ. ونستطيع أن نقول كما قال الشاعر:

عِباراتنا شتى وحسنك واحد وكُلٌّ إلى ذاك الجمال يشير

نحن في الحقيقة جميعًا لنا غاية واحدة نتوسل إليها ونغار عليها، ونطلب تحقيقها، كل على حسب طريقته وأسلوبه.

قال أحد الأساتذة المعقبين: إن توحيد اللغة مما يخالف طبيعة التطور. وأقول: إن الـــتطور يقضـــي بالتوحيد. وقال آخر: إن اللغة العربية صعبة وطالب بتبسيطها. وأنا أقـــول: إن اللغـــة العربـــية ليست صعبة وإنها تتقدم بلهجتنا الفصحى. وقال آخر: إنه

يعـــارض ربط الدين باللغة وأنا أعجب من معارضة هذا الارتباط الوثيق الذي نشأ منذ نـــزل القرآن ، وسيبقى هذا الرباط ما بقيت اللغة وبقي الدين. والسلام عليكم ورحمة الله.

* * *

طريقة لكتابة نصوص اللهجات العربية الحديثة بحروف عربية(*)

للدكتور خليل محمود عساكر
خبير بلجنة اللهجات

من أهم الأمور اللازمة لدراسة اللهجات العربية الحديثة كتابتها كتابة علمية يساير رسمها النطق الصحيح لهذه اللهجات في أقاليمها المختلفة، ويفي - ما أمكن - بالغرض الذي يتوخاه علم الأصوات في العصر الحديث.

ولقد عني المستشرقون وعلماء الأصوات بهذه الناحية، ووفق كل من الفريقين في كتابة نصوص اللهجات العربية الحديثة بطريقته الخاصة مصطنعين في ذلك الحروف اللاتينية؛ لأنها في رأيهم أمثل الكتابات وأنسبها لاستيعاب أصوات اللغة العربية قديمها وحديثها وكذلك أصوات اللغات الشرقية الأخرى، وهذا بإضافة رموز جديدة من شأنها الدلالة على مالا يوجد في الأبجدية اللاتينية من أصوات.

والكتابة العربية بحالتها الراهنة قاصرة عن تصوير النطق الصحيح للهجات العربية الحديثة؛ لأن في هذه اللهجات سواكن وحركات لا يوجد لها في كتابتنا العربية نظير من الحروف ولا من علامات الشكل. ولقد أدت هذه الكتابة مهمتها وقامت بواجبها فيما مضى. وعليها الآن أن تساير العصر وتنهض بمطالب الحياة العلمية التي تقوم على الدقة والوضوح.

ولقد انتهيت بعد النظر طويلاً في الكتابة العربية وتاريخها وتطورها في الإسلام إلى أنها ليست كتابة جامدة، وإنما هي كتابة قابلة للإصلاح حقًّا وقادرة على النهوض بمطالب الحياة العلمية.

لقد سلكت الكتابة العربية في عصورها الإسلامية الأولى طريقًا علمية غايتها تصوير الأصوات العربية بحروف مرسومة. وتخصيص كل صوت برمز كتابي يدل عليه.

(*) عرض في الدورة السادسة عشرة، الجلسة الحادية عشرة للمؤتمر، ٢٢ من يناير سنة ١٩٥٠، ونشر البحث بمجلة المجمع، الجزء الثامن ص ١٨١- ١٩٢

فكان لابدّ أول الأمر من التفريق بين الحروف المتشابهة رسمًا المختلفة نطقًا وجرسًا كالجيم والحاء والخاء مثلاً وكالدال والذال، فأدخلوا النّقط في الكتابة لهذا السبب، وصارت النقط تعتبر جزءاً لا ينفصل من الحروف المعجمة. وكان لابد أيضًا من إيجاد رموز للحركات المختلفة فابتكروا علامات للفتحة والضمة والكسرة، ثم جعلوا للسكون علامة وللتشديد أخرى.

والراجح أن (الخليل بن أحمد) هو الذي ابتكر هذه العلامات الخاصة بالحركات. وعلى هذا يصحّ أن نعتبر هذا النوع من التفكير في الكتابة العربية من عمل مدرسة علمية لهذه الكتابة العربية نشأت في القرون الإسلامية الأولى، وأن نعتبر الخليل زعيم هذه المدرسة أو ممثلاً لها على الأقل.

وإلى جانب هذه المدرسة العلمية للكتابة قامت مدرسة فنية هدفها تهذيب رسم الحروف وتحسينها والنظر إليها من الناحية الجمالية متصلة ومنفصلة. وقد بلغ الخطّاطون في ذلك على توالي القرون شأوًا بعيدًا.

وليس هذا فحسب بل اخترعوا أنواعًا جديدة من الخط سمّوها أقلامًا. وظلت هذه الأنواع تزداد وتتعدد بالتوليد والابتكار إذ منها أصول ومنها فروع حتى بلغت في بعض العصور حوالي ثمانين قلمًا.

وهكذا صيّر الخطاطون الكتابة فنًّا بعد أن كانت علمًا، وعلى هذا الأساس نستطيع أن نفرق بين لفظي الكتابة والخط، بأنّ الكتابة هي التي لا يراعي الإنسان فيها قواعد فنّية معينة بل يكتفي الكاتب بمجرد رسم الحرف على نحو يميزه من حرف آخر.

أما الخطّ فهو الذي يجري به القلم وفق قواعد خاصة وأصول ونسب متبعة، بحيث لو حاد عنها الكاتب عدّ في نظر رجال هذا الفن من الخطّاطين غير مجيد. ولم يعد ما يكتبه يسمى خطًّا مستوفيًا شرائط الإتقان والجودة بل يسمى كتابة عامة. فكل خط على هذا الاعتبار كتابة وليس كل كتابة خطًّا، وكل خطاط كاتب وليس كل كاتب خطاطًا. ولم يكن العلماء يفرّقون قديمًا بين هذين المعنيين للكتابة وللخط.

وكـــان لهـــذا الفن في كل عصر إمام يقتدى به وينسج على منواله، ومن أئمَّته المشـــهورين (ابن مقلة) و (ابن البواب) و (ياقوت المستعصمي) وغيرهم . ولقد بلغـــت المدرسة الفنية بالخط درجة عليا من الجمال والروعة. وأما المدرسة العلمية فقد وقفـــت مكانها بموت الخليل بن أحمد؛ إذ لم يُعْنَ أحد من علماء الإسلام عناية جدِّية بالكـــتابة العربـــية – ولا أقول بالخط العربي لأن الكتابة كما رأينا شيء والخط شيء آخر – وذلك منذ عهد الخليل حتى الآن .

ومـــا الطـــريقة التي أتقدم بها اليوم إلا امتداد في الحقيقة لعمل المدرسة العلمية للكـــتابة وإتمام لما أرادت القيام به من ناحية تصوير الأصوات بحروف عربية وتخصيص كـــل صـــوت برمز في الكتابة يدل عليه، وكذلك من ناحية ما توخّاه الخليل بن أحمد من إيجاد رموز للحركات المختلفة.

والطـــريقة لم تكن وليدة رغبة حديثة في كتابة اللهجات العربية الحديثة بحروف عربـــية، وإنمـــا هـــي جزء من مشروعٍ عامٍّ لإصلاح الكتابة العربية على نحو يحفظ لها شـــكلها الحـــالي الـــذي أعتبره مظهرًا من مظاهر العبقرية العربية وأثرًا ممتازًا من آثار الفنون الإسلامية.

ولمـــا كـــان البحـــث مقصـــورًا على ناحية واحدة فقط، وهي كتابة نصوص الـــلهجات العربية الحديثة بحروف عربية فسأقتصر هنا على إيراد ما يفيد في كتابة هذه النصـــوص مبتدئًا بذكر الحركات[1] التي ليس لها رموز تدل عليها في الكتابة العربية، ثم أتناول الحروف[2] التي لا يوجد لها رسم معهود في هذه الكتابة.

الحركات

في الكـــتابة العربـــية حـــتى الآن ثلاث علامات لثـــلاث حركات هي الفتحة والضـــمة والكســـرة وهي غير كافية لكتابة نصوص اللهجات العربية الحديثة؛ لذلك

---

(١) وتسمى كذلك الصوائت أو الأحرف الصائتة أو أصوات اللين Vowels .

(٢) وتسمى الصوامت أو الحروف الصامتة أو السواكن أو الأصوات الساكنة Consonants .

أضـــفت إليها خمس علامات مبتكرة وجعلتها رموزًا لخمس حركات ترد في نطق هذه اللهجات، وراعيت اتفاق هذه العلامات الجديدة وانسجامها مع طبيعة الكتابة العربية .
وتلك الحركات الخمس وعلاماتها هي:

(١) حركة الفتحة المفخَّمة وعلامتها (ـــَـ = ă)

وتوضع فوق الحرف. وهذه حركة أخرى غير حركة الفتحة المرقَّقة المألوفة التي يـــنطق بهـــا حـــرف الباء مثلاً من لفظي: (بل ، بيت). وترد هذه الحركات في مثل الكلمات:

مَيَّة: وتنطق بميم مفتوحة مع التفخيم.

أمَّال: وتنطق بميم مشددة مفتوحة مع التفخيم.

باي (تونس): وتنطق بباء مفتوحة مفخمة. وهذا هو نطق الكلمة في مصر. وأما نطقها في تونس فهو " باي " بترقيق الباء المفتوحة.

لَندَن: وتنطق بلام ودال مفتوحتين مع التفخيم.

ولـــو ضبطنا هذه الحروف المفتوحة المفخمة في الكلمات السابقة بالفتحة المألوفة المـــرقّقة لخفـــي المـــراد والتـــبس على القارئ النطق المقصود لهذه الألفاظ. وإذن فلا مندوحة من استعمال تلك العلامة الجديدة لتكون رمزًا لهذه الحركة.

وعـــلى هـــذا الأســـاس يمكـــن كتابة النطق الصحيح للفظ (خاف) في بعض اللهجات العربية كما يأتي:

خاف : بفتحة مرقّقة في لهجتي القاهرة ويافا.

خَـــاف : بفتحة مفخمة في لهجتي حلب وطرابلس. وهذا يتفق مع النطق القرآني لهذا اللفظ.

(٢) حركة الإمالة وعلامتها (ـــ̮ـ = e)

وتوضع تحت الحرف . وهي حركة ترد كثيرًا في اللهجات العربية وليس لها علامة خاصة بها في الشكل العربي. وإنما يدل عليها بالكسرة المعهودة. ومعنى هذا أن حركتين مختلفتين في النطق يدل عليهما برمز واحد في الكتابة.

فلفظ (إخوة) مثلاً ينطق في لهجتي حلب وطرابلس بكسر الهمزة وإمالة الواو بحركة تشبه حركة الـ e اللاتينية وقد استعملنا العلامة (ˇ) رمزًا لهذه الحركة، وعلى هذا يكتب اللفظ المذكور هكذا: أخوه iẖwe .

فإذا مدّت حركة الإمالة أردفناها بحرف الياء مثل: بيت، وسيف، ومجريها.

وكان يرمز لهذه العلامة في المصاحف قديمًا بدائرة حمراء يضعونها تحت الحرف الممال كما في لفظ (مجريها) ثم عدلوا في المطابع إلى رسم نقطة خالية الوسط معيّنة الشكل تحت الراء هكذا: (مجريها) لصعوبة رسمها في المطابع بمداد أحمر وهذا كما جاء في مصحف " الملك ".

(٣) حركة الضمة الممالة وعلاماتها (ـــٓـــ = o)

وترسم فوق الحرف. وهي حركة كثيرة الورود، كالحركة السابقة، ويُدَلّ عليها في الشكل العربي حتى الآن بالضمة المعهودة مع أنها ليست ضمة معتادة .

فلفظ (أمن) في لهجتي حلب وطرابلس ومعناه (أمُّهم) لا ينطق بضم كل من الهمزة والميم المشددة ضمة صريحة، وإنما ينطق بتحريك كل من الحرفين بحركة تشبه حركة الـ (o) في الكتابة اللاتينية، وقد رمزنا لها في الكتابة العربية بالعلامة ـــٓـــ وعلى هذا تسهل كتابة اللفظ المذكور كتابة صحيحة على النحو الآتي : أُمِّن ommon فإذا كانت هذه الحركة ممدودة أتبعناها الواو كما في لفظي نوم = nōm وروضة rōda .

(٤) حركة الضمة المكسورة وعلاماتها (ـــِـــ = ü)

وترسم تحت الحرف. وهي عبارة عن ضمة متجهة نحو الكسرة وتشبه حركة الـ (u) الفرنسية الموجودة في لفظ du مثلاً أو حركة الـ (ü) الموجودة في لفظ dünn

وترد هذه الحركة في مثل لفظ كلّن küllon أي: كلُّهم. وهذا النطق موجود في لهجة طــرابلس شمـــالي لبنان. فإذا كانت ممدودة رسم بعدها واو. وذلك مثل: بوعَ büca وهي إحدى الروايات التي وردت في :

* ليت شبابًا بوع فاشتريت *

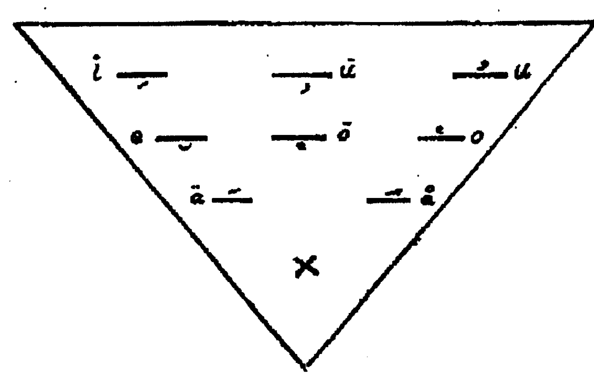
(٥) حركة الضمة الممالة المكسورة وعلامتها (ـ = ô)

وترســـم تحت الحرف. وهي حركة تشبه الـــ (eu) الفرنسية الموجودة مثلاً في لفظ: bleu أو حركة الـــ (o) الألمانية التي في لفظ: kônnen مثلاً .

ونصـــادف هذه الحركة في بعض اللهجات العربية الحديثة كما في لفظ: كبريت kobrıt في لهجة " تدمر " وكما في لفظ: جتو hönū أي (نحن) في لهجة عَمان، فإذا كانـــت هـــذه الحـــركة ممدودة أتينا بعدها بواو مثل: جوته Goethe، وهذه الحركة والحـــركة الســـابقة مـــن آثار اللغة التركية في لهجات هذه البلاد . وعلى هذا تصير الحركات العربية جميعًا ثماني حركات هي:

العدد	حركات قصيرة	أمثلة	حركات ممدودة	أمثلة
١	ـَ = a	مَ = ma	ـَا = ā	مَا = mā
٢	ـُ = u	مُ = mu	ـُو = ū	مُو = mū
٣	ـِ = i	مِ = mi	ـِي = ī	مِي = mī
٤	ـَ = ȧ	مَ = mȧ	ـَا = ā̇	مَا = mā̇
٥	ـِ = e	مِ = me	ـِي = ē	مِي = mē
٦	ـُ = o	مُ = mo	ـُو = ō	مُو = mō
٧	ـِ = ö	مِ = mȯ	ـِو = ȫ	مِو = mȫ
٨	ـِ = ü	مِ = mü	ـِو = ǖ	مِو = mǖ

ويرتـــب علماء الأصوات هذه الحركات على هيئةِ عقد يسمونه العقد الحركي، وذلك على النحو الآتي:



تلـــك هي أهم الحركات التي لابد من إضافتها إلى الكتابة العربية، إذا أردنا أن نكتـــب نصـــوص اللهجات كتابة علمية دقيقة تمثل الأصوات التي ينطق بها في لسان المتكلمين، وتساير علم الأصوات الذي يعنى بهذه الناحية عناية فائقة.

ولســـت أعـــتقد أن الكتابة العربية أو أية كتابة أخرى – مهما بلغت من الدقة والوضـــوح في تســـجيل نصـــوص الـــلهجات تســـجيلاً كتابيًّا يعتمد على الحروف والحـــركات – تستطيع أن تعطينا صورة صادقة صحيحة من أية لهجة، وإذن فلابد من أن نلجأ إلى الآلات الحديثة لتسجيل الأصوات مثل "الدكتافون" الذي يسجِّل الصوت ثم يحكـــيه، وذلك ليكون عندنا صورة محكيّة مطابقة للأصل، من أي نصّ يؤخذ بهذه الطريقة.

علامتا الإهمال والنبر:

وقـــد وجـــدت مـــن الـــلازم المفيد كذلك إضافة علامتين أخريين، إحداهما لـــلحروف التي تهمل في النطق وتثبت في الكتابة، وسميتها (علامة إهمال)، والأخرى للنبر أي الضغط (accent).

أمـــا علامـــة الإهمال: فقد جعلتها ميمًا صغيرة ترسم فوق الحرف المهمل عند الـــنطق، مـــثال ذلـــك لفـــظ (والدي) الذي ينطق في الفصحى بألف ممدودة ولام

مكســـورة. بينما ينطق في اللهجة القاهرية مثلاً بواو مفتوحة دون ألف ممدودة بعدها وبلام ساكنة لا مكسورة. ولو كتبناها على حسب نطقها القاهري بدون ألف هكذا: (وَلْدِي) لبعدنا عن الصورة الأصلية للفظ. وعلى هذا رأيت إضافة هذه العلامة(ـَـ) فـــوق الحــــرف المهمــــل وهو الألف لنستطيع كتابة هذا اللفظ على نحو يوافق صورته الأصـــلية هكـــذا: (وَالدي) waldi وليست هذه العلامة سوى حرف الميم من لفظ (إهمال).

وأمـــا علامـــة النبر فقد رسمتها هكذا: (ـــٓ) أي شرطة متجهة من اليسار إلى اليمين ومائلة من أعلى إلى أسفل وترسم فوق الحرف الذي يقع النبر عليه.

وبـــيان موضـــع النبر عند كتابة نصوص اللهجات مهم جدًّا في دراستها. وقد يفـــوق في أهميته بعض الحركات إذ قد تتفق لهجتان في معظم الظواهر الصوتية واللغوية ولا يفرق بينهما إلا موضع النبر.

مثال ذلك لفظ (مدرَسَة) الذي ينطق في بعض جهات مصر وخاصة في شمال الدلـــتا بنـــبر حركة الميم ويرسم هكذا: (مَدرَسَة) màdrasa وفي بعضها الآخر بنبر حركة الراء ويرسم هكذا: (مَدرسة) madràsa .

حذف علامة السكون

أما السكون فلست أرى داعيًا لكتابته إذا التزمنا كتابة الحركات على نحو يفي بالغرض المقصود منها.

بـــيان ذلـــك أننا إذا زوّدنا كل حرف متحرِّك بحركته الخاصة وحذفنا حركة الحـــرف الـــذي يلـــيه أحد حروف المدّ (التي هي الألف والواو والياء)، لدلالة هذه الحـــروف على حركة الحرف الذي يسبقها، وألغينا علامة السكون، إلا عند حدوث لـــبس، اســـتغنينا بذلـــك – كما يتضح من النصوص المضبوطة على هذا الأساس في الصـــفحات مـــن (٧١ – ٧٣) عمَّـــا يقرب من ثلث الشكل عند كتابة النصوص،

أمـــا المفـــردات: مَحمود، مَسجِد،كاتب، حَديقَة، سامي ، إسماعيــل، استـــدراك، مِفْتاح، مَساكين، نام.

فـــيلاحظ أن مـــنها مـــا لا يحتاج إلى ضبط مطلقًا مثل: سامي، نام. ومنها ما يحـــتاج إلى ضـــبط حرف واحد فقط، كمحمود ومِفْتاح وكاتب وإسماعيل ومساكين وما يماثلها وزنًا. ومنها ما يحتاج إلى ضبط حرفين، كمَسْجد وحَدِيقة واستدراك.

الحروف

في الأبجديـــة العربية طائفة من الحروف كثيرًا ما يختلف نطقها في اللغة الفصحى عنه في اللهجات العربية الحديثة. وهذه الحروف أهمها ستة، وهي: الجيم والقاف والذال والظاء والثاء والعين.

(١) فالجـــيم تـــنطق جـــيمًا معطَّشة مشوبة بدال عند ابتداء النطق بها وتشبه الحرف g في الكلمة الإنجليزية (damage) وتلك هي الجيم الفصحى.

وتنطق جيمًا معطشة دون أن تكون مشوبة بدال، وتشبه الحرف(j) في اللغة الفرنســـية كما في لفظ (journal) وتلك هي الجيم الرِّخْوة. وهذه قد جرى العرف - في مصـــر - عـــلى كتابـــتها جيمًا بثلاث نقط (چ)، ويسود هذا النوع من النطق في لهجتي سوريا ولبنان وفي بعض الجهات الأخرى.

أما النطق الثالث وهو نطقها جيمًا قاهرية بغير تعطيش كما ينطق الحرف g في الكلمة الإنجليزية (go) أو كما تنطق الكاف الفارسية (گ)، وتعرف بالجيم الشديدة، فـــلا بأس أن نكتبه جيمًا بنقطتين هكذا (چ)، دلالة على هذه الجيم الشديدة. وعلى هـــذا يكتـــب لفظ جمل في الفصحى بنقطة واحدة للجيم، و(جمل) بنقطتين في لهجة القاهرة. و(جمل) بثلاث نقط في لهجة سوريا.

(٢) أما القاف فلها في النطق أنواع مختلفة، منها:

نطقها قافًا فصيحة، ونطقها همزة، ونطقها جيمًا شديدة قاهريَّة. وهناك طريقتان لكتابة هذين النوعين الأخيرين:

أولاهما: الطريقة الصوتية: وهي التي تهتم بنطق الحروف وكتابتها على حسب نطقها تمامًا فالكلمات: (قال، وقمر، وبرق) تكتب على حسب لهجة القاهرة هكذا: آل، وأمر، وبرء، أي بالهمزة لا بالقاف.

والأخرى: الطريقة الاشتقاقية الصوتية: وهي التي تحافظ ما أمكن على صورة اللفـــظ في اللغـــة الفصـــحى، فتكتبه على هيئة تتراءى فيها صورة اللفظ في الفصحى ويتضـــح معها اشتقاقه، ثم تحافظ في الوقت نفسه على تصوير نطقه في الكتابة تصويرًا صحيحًا ينظر إلى الأصل في غالب الأحيان.

وعلى هذا تكتب الكلمات (قال، وقمر، وبرق) هكذا: (قال، وقَمَر، وبَرق) أي بوضع همزة فوق القاف، دلالة على أننا عدَلْنا عن نطق القاف قافًا إلى نطقها همزة.

أمـــا القـــاف الـــتي تنطق في الصعيد كالجيم الشديدة القاهرية، فإنها تكتب على حسب الطريقة الصوتية: (ج) أي جيمًا بنقطتين وعلى الطريقة الاشتقاقية (ق) أي قافًـــا ولكن بنقطتين من تحت. وذلك رغبة في المحافظة على الصورة الأصلية للحرف. وعـــلى هـــذا تكتب الألفاظ (قال، وقمر، وبرق) في لهجة الصعيد:إما (جال وجمَر وبَرج) بنقطتين للجيم حسب الطريقة الصوتية. وإما (قال وقمر وبَرق) على حسب الطريقة الاشتقاقية الصوتية:

أمـــا (الثاء، والذال، والظاء) فهي في الفصحى حروف لثويَّة، ولكنها تُنْطق في كثير من اللهجات على نحو آخر:

فالـــثاء تـــنطق في بعض اللهجات سينًا، والذال زايًا، والظاء زايًا مفخَّمة تفخيمًا شـــديدًا، وللتفريق في الكتابة بين نطقها الفصيح ونطقها في اللهجات، وجدت أنّ من المستحسن كتابة (الذال، والظاء) بنقطتين من فوق للدلالة على أن نطقها صار شيئًا آخر، هو الزاي والزاي المفخمة مثل:

مذهب (في الفصحى) — مذهب بنقطتين فوق الذال (في العامية).

مظلوم (في الفصحى) — مظلوم بنقطتين فوق الظاء (في العامية).

أما (الثاء) فقد يستحسن كتابتها في العامية بثلاث نقط متجاورات لمجرد التفريق بين هذا النطق وبين النطق الفصيح، هكذا: مثل (الفصحى) مثل (في العامية).

ولـــو كتبنا لفظي (مذهب، ومثل) الفصيحتين بزاي وسين في العامية، هكذا: (مزهب، ومَسَل) لبعدنا بهذا عن الصورة الأصلية للّفظين. وإن وافقت كتابتهما على هذا النحو الطريقة الصوتية.

أمـــا (العـــين) فتنطق في بعض لهجات السودان همزة، ولهذا وضعت همزة فوق العـــين للدلالة على أننا عدلنا عن النطق بالعين عينًا إلى النطق بها همزة، أي أنّ الاسم (عـــلي) يكتـــب عـــلى الطريقة الصوتية (أَلِي)، وعلى الطريقة الاشتقاقية الصوتية (عِلِي) .

وفيما يلي أمثلة لهذه الحروف جميعًا:

الحرف	اللفظ في اللغة الفصحى	اللفظ في العامية		كتابته على طريقة المستشرقين (عامي)
		كتابته على الطريقة الصوتية	كتابته على الطريقة الاشتقاقية الصوتية	
ج	جَمَل	جَمَل	جَمَل	gāmel
ق	قال	آل (لهجة القاهرة)	قَال	āl
		جال (لهجة الصعيد)	قَال	gāl
	قمر	أمر (لهجة القاهرة)	قَمَر	ámar
		جَمَر (لهجة الصعيد)	قَمَر	gámar
ث	مَثَل	مُسَل	مَثَل	másal
ذ	مَذهَب	مَزهَب	مَذهَب	mázhab
ظ	مَظلوم	مَظلوم	مَظلوم	maẓlūm
ع	عَلى	أَلِي	عَلِي	Alī

ولا بـــأس مـــن أن أورد الآن بعض أمثلة من اللهجات العربية الحديثة مكتوبة بالطريقة التي سبق بيانها:

من لهجة أم درمان (السودان)

(١) نص مكتوب على الطريقة الاشتقاقية الصوتية :

سِمِعنا مِن ناس أوّلي ڤالوا : مَرّة رَبُّنا جا لِي أُمّنا حَوّا وْڤال لِيها: وَرّيني وِلِيداتِك . ڤالَت لِيهُ : سَمِح . وْدَخلت بيتَ عَزلَت وِلِيدات السَّمحين دَسَّتُن تِحتَ الدُّوكَه وْمَرَقِت لِيهُ الشّينين . وَكِت شافُن شوَيّ ڤال لِيها: إيّاهُن دِيل أولادِك ؟ ڤالَت لِيهُ : إِيّاهُن . ڤام ڤال لِيها: ما إِيَّاهُن كُلّهُن دَسّيتِيهُن . وْڤ شان كِدِه. سَوّينا الدَّسّيتِيهُن عَبيد لِدِيل . وَكِت رَوَّح مِنّها مَرَقِت الدَّسَّتُن تِحتَ الدُّوكَه لِيقَتُن سود وْبِقوا عَبيد لِي هَ السَّع .

(٢) النص نفسه مكتوبًا على الطريقة الصوتية :

سَمِعَن مِن ناس أَوَّل جالُ : مَرّ رَبُّنا جَ لِي أُمّنَ حَوَّ أجَل لِيهَ : وَرّيني وِلِيداتِك جالَت لِيهُ : سَمِح . أدَخلَت بيتَ عَزلَت وِلِيداتَ سَّمحين دَسَّتُن تِحتَ دُّولَك . أُمَرَجَت لِيهُ شّينين . وَكِت شافُن شوَيّ جَل لِيهَ : إيّاهُن دِيل أَولادِك ؟ جالَت لِيهُ : إِيّاهُن . جَم جال لِيهَ : ما إيّاهُن كُلّهُن ؛ دَسّيتِيهُن اُف شان كِدِه سَوّين دَّسّيتِيهُن عَبيد لِدِيل وَكِت رَوَّح مِنّهَ مَرَجَت دَّسَّتُن تِحتَ دُّولَك لِيجَتُن سود أبِجُ عَبيد لِي هَسَّع .

نص بلهجات مختلفة
مكتوب على الطريقة الاشتقاقية الصوتية

(١) شُفت أختى عمّاله بتخبز فى الفُرن ،
قُلت لها : ورّينى بتعملى ازّاى ؟
قالت لى : أهو باعمل كده . (القاهرة)

(٢) شِفت أختى عمّال بتخبز بالفرن ،
قُلت لا : فرجينى إش لون بتعملى ؟
قامت قالت : هَ هيك بأعمل . (حلب)

(٣) شُفت إختى عم تخبز فى الفرن ، قلت لى :
أرجينى كيف عم تعملى ؟ قامت قالت لى :
ليك هيك بأعمل . (طرابلس - لبنان)

(٤) شُفت أختى عمّالها تخبز فى الفرن ،
قلت لها : أرجينى كيف بتعملى ؟
قالت لى : هيّو باعمل هيك . (يافا)

(٥) شُفت أختى عمّالهى تخبز فى الفرن ،
قلت لهى : فرجينى كيف بتعملى ؟ إجت
قالت لى : هيّو هيك بأعمل . (نابلس)

(٦) شُفت أختى دَ تخبز بالفرن ، قُلت لها :
راوينى ش لون تشتغلين ؟ قالت لى :
هَ الشكل أشتغل . (بغداد)

النص السابق
مكتوبا على الطريقة الصوتية

(١) شُفتُ ختِ عَمّالَ بتِخبِز فِ لفُرن ،
أَلتِ لهَ : وَزّينب بتِعمِل زاى ؟
أَلِت لِ : أهُ بعمِل كِدِ . (القاهرة)

(٢) شِفت أُختِ عَمّال بتِخبِز بِلفْرن ،
أُلتِ لَّ : فَرجين إش لَون بتِعملِ ؟
آمِت آلِت : هَ هِيك بعِمل . (حلب)

(٣) شُفت إخت عَمّ تِخبِز فِ لفِرن ، إلتِ لِّ : أَرچين
كيف عَم تِعملِ ؟ آمِت آلِت لِ : بِيك
هيك بعمِل . (طرابلس - لبنان)

(٤) شُفْت أُختِ عَمّالهَ تِخبِز فِ لفُرن ،
أُلتِ لهَ : أَرچين كيف بتِعمَلِ ؟
آلَت لِ : هَيّو بعمَل هيك . (يافا)

(٥) شُفت أُختِ عَمّالهى تِخبِز فِ لفُرن ،
أُلتِ لهى : فَرجين كيف بتعملِ ؟ إچت
آلِت لِ : هَيّو هيك بَعمِل . (نابلس)

(٦) شُفت أُختِ دَ تُخبُز بِلفْرن ، جُتّ لهَ :
رَاوين شَ لَون تِشتَغلين ؟ جالَت لِ :
هَ شَكِل أَشتُغُل . (بغداد)

* * *

مناقشة البحث

* **الأستـــاذ السـيد محمد رضا الشبيبي**: لا شك أن خبير اللجنة بذل جهدًا يستحق التقدير، ومن رأيي - مع احترامي لما ورد في المحاضرة من آراء - أن نحدد أولاً الغرض من إثارة هذا الموضوع في المؤتمر.

تسنى لي أن أجتمع منذ وقت قليل بصديق من كبار علماء مصر وجرى الحديث عـن مـناهج المؤتمـر اللغوي في اجتماعه السنوي الحاضر، ولما قلت له: إن موضوع الـلهجات يعـالج في المؤتمر، قال لي: أوصيك به خيرًا. فقلت لهذا الصديق العالم: إنني أشكر لك حسن ظنك.

ربما ظن هذا الصديق أنني سيئ الظن بإثارة موضوع اللهجات في المؤتمر، والواقع أني لسـت سـيئ الظن إلى حد بعيد، وإنما يعنيني من أمر اللهجات ما يعني غيري من هـذا العلم، وهو البحث عن لهجات القبائل العربية الأولى التي أخذت عنها اللغة على اخـتلاف تلك اللهجات وهو اختلاف معروف، ومن مظاهره اختلافهم في القراءات ونحـو ذلـك، ولا يخفى أن أصول البحث ومراجعه متوفرة بيد أن هذه المحاضرة التي ألقاهـا خبير اللجنة لم تتعرض لهذا الموضوع على الشكل الذي يعنى به العلماء في هذه الـبلاد، وإنمـا عني به على شكل آخر وهو الشكل الذي يعنى به المستشرقون وبينهما بـون بعيد، ويهمني كثيرًا أن يتقرر في هذا المؤتمر أي الطريقتين هي المناسبة والتي تتفق مع تعزيز شأن الثقافة العربية .

* **الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب**: الدكتور خليل عساكر مشكور على بحثه القيم الـذي يفـتح لنا بابًا جديدًا لا في حصر اللهجات فقط بل في تعليم الأعلام الجغرافية وغيرها من اللغات الأجنبية.

ولا شـك أن مسايرة الأبحاث الأجنبية في موضوع اللهجات مظهر من مظاهر حـيوية اللغة. ولكنني كنت أرجو أن يرجع الأستاذ إلى طريقة المغاربة في كتابة بعض

الحـــروف، فالكـــتابة التي ورثوها عن أسلافهم توفق إلى حد كبير بين الكتابة العربية وبـــين أداء الأصوات غير المعروفة في اللغة العربية نفسها، ومن ذلك أنهم يكتبون الجيم المصرية فاء فوقها ثلاث نقط، والفاء الاحتكاكية المجهورة (V) فاء تحتها ثلاث نقط، ومـــثل هذه المصطلحات قد تنفع الباحث اليوم حين يتجه إلى ابتكار طريقة في الكتابة العربية وافية بأداء الأصوات جميعها.

* **الدكـــتور خلـــيل عساكر**: تركت استعمال الحرف " ڤ " الفاء ذات الثلاث نقط للدلالـــة عـــلى صـــوت الجيم المصرية لما شاع من استعمال هذا الحرف للدلالة على صوت الـــ " V " فلم أرد تغيير الوضع القائم .

***الأســـتاذ عباس محمود العقاد**: أقول تأييدًا لكلام الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب: إن المغاربـــة ســـبقونا إلى كتابة الكلمات الأسبانية بحروف عربية، واللغة الأسبانية من أكثر لغات العالم أصواتًا.

* **الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب**: لقد كتبت اللغة الأسبانية في عصر من عصورها بالحـــروف العربية، وحفظ لنا التاريخ كثيرًا من هذه الكتب، وهي تعد اليوم من أهم المـــراجع لمعـــرفة أصـــول اللغة الأسبانية؛ لأنه لا توجد معاجم أسبانية قديمة ويسميها الدارسون لهذه اللغة " الأعجمية " وهو اسم يدل على الأصل العربي لكتابتها.

* **الأستاذ الشيخ محمود شلتوت**: هذا البحث طريف بلا شك، ولكننا يجب أن ننظر إلـــيه من وجهة أخرى، فإن تركيز لهجات الأمم العربية الحديثة في نطق خاص ورسم خـــاص هـــذا التركـــيز، يخالف في جملته تركيز اللغة العربية التي جمعت هذه الشعوب وكانـــت عـــنوان وحدتها، وفي هذا ضياع لوحدة البلاد العربية واللغة العربية نفسها، والأولى أن نعـــنى بضبط اللهجات العربية القديمة ونهتدي بهدي الأقدمين في اللهجات التي وضعوها، ونعمل على تهذيب اللهجات الحديثة بأن نردها إلى أصولها الماضية.

وأخشـــى أن يـــؤدي تركيز اللهجات العامية إلى شيء من الخلط يقع في نطق القرآن الكريم، وهو اللغة العامة لكل الشعوب العربية.

* **الدكـــتور إبراهـــيم مدكور:** لاشك أن المحاضرة فيها محاولة جديدة تساعدنا على تصـــوير أصـــوات الحـــروف الأوروبية التي تنتقل إلى العربية، كما تعيننا على ضبط اللهجات العربية نفسها.

وأود أن أشير إلى أن دراسة اللهجات قسمان: دراسة تاريخية تنصب على دراسة تـــاريخ لهجات أمة من الأمم. وهذه الدراسة الآن ليس من اليسير أن تكون مكتملة؛ لأن الأصـــل في دراســـة الـــلهجات سماعها من أهلها أنفسهم، وعلى كل حال فهذه الدراســـة لها علماؤها المعنيون بها ويجب أن نعمل لها، ولكن إلى جانبها دراسة أخرى لـــلهجات على أنها ظواهر اجتماعية، وهذه الدراسة لا تتعارض مع الدراسة الأولى ولا تلغيها.

ومـــن المهـــم أن نلاحظ أن مرسوم المجمع اتجه إلى هذا الجانب الآخر أكثر مما اتجـــه إلى الجانب الأول، لا إهمالاً له ولكن لاعتباره شيئًا موجودًا له علماؤه ودارسوه، وهـــذه الدراســـة المعاصرة لها مزاياها وفوائدها. وليس من أهدافها التركيز، بل هدفها التسجيل وبيان المفارقات فقط.

ولا أظن أن هذا يجني على اللهجات القديمة أو القرآن الكريم من أية ناحية.

* **الأستاذ عباس محمود العقاد:** هذه العلامات التي وضعها الأستاذ المحاضر نافعة مفيدة، لا غـــنى عنها في دراسة اللهجات، وقد كنت أحاول أن أصل إلى طريقة أتمكن بها من ضـــبط الـــلهجات المختلفة بطريقة صحيحة، ثم رأيت حضرة المحاضر قد وصل بسعيه وجهده إلى هذه الطريقة النافعة. ولا خطر مطلقًا منها؛ لأنها – على الأقل – تغنينا عن " الدكـــتافون " للتمييز بين اللهجات ويمكننا أن نعتمد عليها في غيبته. وأعتقد أن هذه العلامـــات لم توضع لتكتب العامة بها لهجاتهم وإنما وضعت للباحثين في اللهجات. ولن يوجـــد عـــامي يستعمل هذه العلامات للتفرقة بين اللهجات المختلفة. ثم إني أعتقد أنه لا خطـــر من هذه العلامات حتى لو وصلت إلى العامة، لأن اختلاف اللهجات بينهم خاصـــة محلـــية أو شخصية، فالطفل مثلاً لا يستطيع أن ينطق (ميه) بميم مفخمة بل

ينطقها بميم مرتفعة، لأن جهازه الصوتي لا يساعده على التفخيم، ومن أمثلة الاختلاف في النطق تبعًا لاختلاف المميزات المحلية نطق (بيع) و (بوع) فالنطقان معًا معترفان بالقاعدة النحوية وهي ضم أول المبني للمجهول وكسر ما قبل الآخر، ولكن بعض القبائل غلبت الضم وبعضها غلبت الكسر.

وإذن فالخاصة النطقية هي التي تحدد طريقة النطق، وهذه الخاصة هي التي ستظل سائدة عند العامة بعد هذه العلامات، كما كانت سائدة قبلها.

* **الأستاذ الشيخ محمود شلتوت**: لو كان هذا في النطق لما كان هناك وجه للخطر ولكن الخطر يجيء من الكتابة.

* **الأستاذ خليل السكاكيني**: ليست هذه أول مرة بحثنا فيها هذا الموضوع فإني أذكر أننا بحثنا فيه من خمسين سنة، وقد اهتممنا وقتها بوضع علامات للحروف التي لا توجد في لغتنا وذلك عند كتابة الأعلام الأجنبية، فأضفنا إلى الحركات العربية الثلاث المعروفة وهي الفتحة والكسرة والضمة، علامات للحركة التي لا توجد عندنا فوضعنا لحركة " o " ضمة في وسطها فتحة ووضعنا لحركة " e " فتحة وكسرة متقابلتين وعندنا في اللغة العربية حروف للتفخيم وحروف للترقيق فلسنا في حاجة إلى علامات لهذا.

وقد لاحظت أيضًا أن الأستاذ المحاضر قد اعتمد على النقط في وضع علامات، وهذا يزيد في شكل الحروف العربية، وقد كان من الأفضل أن يعتمد على غير النقط. كما أعتقد أن السكون الذي يرى الأستاذ المحاضر إلغاءه ضروري للتمييز بين نحو (عَوْ) و (عَوُ).

* **الأستاذ ل. ماسينيون**: أريد أن أعلق على محاضرة الأستاذ خليل عساكر فأبين ثلاث نقط:

أولاً: أفضل أن نتمسك باستعمال الحروف العربية الخاصة بها الموضوعة منذ قرون بالفارسية والتركية والإندونيسية وذلك لخدمة الثقافة الإسلامية في تلك المواطن

مثل (الجاف) بثلاث نقط، وأما استعمال تلك الحروف لكتابة الحروف الشاذة لبعض اللهجات العربية فأخاف أن يؤدي إلى سوء تعليم الفصحى وبخاصة لدى النشء؛ لأن الموازاة في تصويت الحروف خاصية في العربية الفصحى. ولا يمكن أن نمزج بالحروف العربية الأصلية حروفًا هجينة لا فصل لها ولا أصل إلا عند العجم.

ثانيًا: للمجمع أن يبحث في إمكان اكتشاف نسخة كاملة من كتاب " التنبيه على التحريف " لحمزة الأصفهاني فإن فيها جدولاً بالأربعين حرفًا التي اخترعها الفيلسوف أبو الطيب السري لتبيين الحروف الأعجمية الأربعين.

ثالثًا: بمقتضى ما قلت سابقًا لاستقلال الحروف العربية الأصلية وتنزيهها عن كل شوب، لا أقبل الجدول الذي وضعه الأستاذ المحاضر للمقارنة بين كل الحركات الدولية على سطح واحد وذلك لكتابة أصوات اللهجات العربية؛ لأن للعربية الفصحى ثلاث حركات فقط: الضمة والفتحة والكسرة. وهي الأثافي للإعراب وما عداها هو اهتزازات بالتفخيم والإمالة، وللحركات الثلاثة وظائف خاصة من حيث بناء النحو العربي وهي الرفع والنصب والجر، وإذا أنزلنا الإعراب من أثافيه كان ذلك اندراسًا للعربية في التربية والتعليم.

وأخيرًا أشير إلى المناقشة الفلسفية المشهورة بين نيوتن وجوته في نظرية الألوان، قال جوته معترضًا على نيوتن: إن بين الألوان تفاضلاً وتوافقًا متزنًا. وبعض الألوان أثافي الجمال اللوني.

* **الأستاذ عباس محمود العقاد:** أذكر أنني كنت عضوًا في لجنة اللهجات، وكان من العقبات في طريقنا احتياجنا إلى آلات لتسجيل الأصوات، ولعدم توافرها لدينا وقف البحث، وأظن أن وجود طريقة كتابية لتسجيل الأصوات تغنينا – إن لم يكن كل الغنى فبعض الغنى – عن هذا. وأنا من المؤمنين بأن المعرفة لازمة لذاتها بغض النظر عما يستفاد منها. ومع ذلك فالرجوع إلى التاريخ يمدنا بأمثلة للاستفادة من فهم الفروق بين اللهجات في أمور علمية فمن ذلك أنه أثناء هجوم البدو على مصر في العهد الفاطمي

وتتـــبع أولئك البدو المتمردين. كان من الطرق المتبعة للاستدلال عليهم أن يطلب إلى المشـــكوك في أمره نطق كلمة (دقيق)، فكان البدوي لا يستطيع أن ينطقها إلا بلهجته الخاصـــة مهمـــا حاول غيرها. ومن ذلك أيضًا أنه أريد إحصاء النوبيين في أيام الثورة العرابـــية – عـــلى ما أذكر – فكانوا يكلفون الواحد منهم أن ينطق لفظة (خروب) والنوبي لا يستطيع أن ينطق الخاء إلا كافًا.

فلـــو نظرنا اليوم إلى هذه الطريقة في كتابة اللهجات ملتمسين فائدة عملية منها لرأيـــنا أنهـــا تنفعنا في التحقيق مع المجرمين للتأكد من شخصية المحقق معه اعتمادًا على معـــرفة الجهـــة التي ينتمي إليها، إذ كيف يسجل هذا في محاضر التحقيق إذا لم نقل إنه نطق كذا هكذا؟

ولذلك فأنا أشكر الأستاذ المحاضر وأرجو أن يستمر في بحثه.

* **الأســـتاذ الشيخ محمود شلتوت**: من الحق أنه لا أحد يقف أمام العلم في أية صورة مـــن صـــوره، ولـــنا أن نتعرف على اختلاف اللهجات على أن يكون ذلك في مؤتمر الـــلهجات أو مدرسة خاصة بها، أما أن يدخل هذا البحث في مؤتمر للغة العربية فيثبت للهجات مكانتها فهذا هو محل اعتراضي.

* **الأستاذ محمد فريد أبو حديد**: هذا الموضوع له جانبان: **الأول** ما يتصل باللهجات ودراســـتها، فما فهمته من خشية تسرب اللهجات إلى لغة القرآن الكريم مفهوم ولكن مـــن الممكـــن تلافـــيه، أما أن يقول فضيلة الشيخ شلتوت بعدم الاعتراف ببحث في اللهجات في مؤتمر المجمع، فإن هذا يتصل بأساس عمل لجنة اللهجات التي هي جهد من جهـــود المجمع. فهذه اللجنة التي أقرها المجمع تحتاج إلى وسائل تمكنها من أداء عملها. ومـــن هـــذه الوسائل هذه الطريقة التي يعرضها علينا الأستاذ المحاضر. وأفهم أن يقول المؤتمـــر إن هذه الطريقة خاصة ببحث اللهجات ولا تدخل في اللغة الفصحى، ولكن الـــذي لا أفهمـــه ألا نعـــترف بهذا البحث في مؤتمرنا، فإنه يتصل بصميم عمل لجنة اللهجات كما أشرت.

والجانـــب الآخر: أن بعض حضرات الأعضاء اقترح كتابة اللغة العربية بحروف لاتينية وعرضـــت عـــدة وســـائل لتيســـير الكتابة العربية، وقد اتفقنا وقتئذ على جعل كتابة المصـــحف خارجـــة عـــن دائرة بحثنا، وأرى أن نأخذ بهذا أيضًا في بحثنا اليوم فنجعل كتابة المصحف خارجة عن دائرة بحثنا لأن القرآن له حكم خاص.

والطـــريقة المعروضة اليوم تفيد الأجنبي الذي يرغب في قراءة النصوص العربية القديمـــة كما تفيد العامي الذي هو بمثابة نصف أجنبي على اللغة العربية. وأكرر أنه لا خطر من استخدام هذه الطريقة على القرآن.

***الأستاذ الشيخ محمود شلتوت**: في هذا البحث شيئان: العلامات التي تتصل بأوصاف الحـــروف وتحفظ لنا صورها كما هي دون تدخل في جوهر الكلمة كعلامات التفخيم والترقيق والإشمام وهذه لا ضرر منها.

أمـــا الـــذي نخشـــاه فهو القسم الآخر الذي يغير في جوهر الكلمة، نحو تغيير القـــاف إلى همزة وتغيير الجيم إلى جيم مصرية أو جيم سورية وما إلى ذلك، فهذا هو الذي أخشاه وأصر على رفضه.

*** الدكـــتور إبراهـــيم مدكور**: من حسن الحظ أن أكثر هذا البحث يتصل بأوصاف الحـــروف، أما عن الجزء الخاص بجوهر الحروف فقد قدم لنا الأستاذ الباحث طريقتين ومال إلى الطريقة التي تحفظ لنا أصول الكلمات وتربطها بأصلها العربي.

والمســـألة قبل كل شيء مسألة بحث علمي، فكل ما كان ميسرًا لمهمتنا قبلناه، وكل ما كان غير ذلك تركناه للعلماء المختصين ببحوثه، وليس من شك في أن المحاضرة بحث يفيد المجمع ويفيد لجنة اللهجات خاصة.

*** الأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف**: الفكرة في هذا البحث أن اللهجات القديمة قد اندثـــرت لانعدام آلة تسجيل أو حروف تعبر عنها، فأردنا أن نتوصل إلى ابتكار طريقة في الكتابة تساعد على تسجيل اللهجات الحديثة حتى تعرفها الأجيال المقبلة، واستقدمنا

عـــدة أشخاص من الجاليات العربية المختلفة إلى المجمع وحاولنا تسجيل لهجاتهم كتابة، كما قام الدكتور خليل عساكر برحلات في عدة أقاليم عربية وسجل لهجاتها.

ومـــن ذلـــك كلــه وصلنا إلى الاتفاق على هذه الطريقة لنستخدمها في عملنا بلجـــنة الـــلهجات، فهي خاصة بلجنة اللهجات وحدها. ولا يراد منا إدخال طريقة جديـــدة في الكـــتابة العادية، وإنما أرادت اللجنة استفتاء المؤتمر: هل يوافق على هذه الطريقة لتسجيل اللهجات المختلفة؟

فإذا أقرها المؤتمر لهذا الغرض مضينا فيها.

* **الأســـتاذ عـــباس العقاد:** أعتقد أنه لا خطر مطلقًا من اللهجات الحديثة على قراءة القـــرآن. فإنـــنا نلاحظ أن خير قراء القرآن في العالم الإسلامي قراء مصر، وهم الذين يـــنطقون في لهجاتهم العامية القاف جيمًا أو همزة، ولا أثر لهذا على الإطلاق في قراءتهم القرآن.

* **الأســـتاذ إبراهيم حمروش:** تأييدًا لما قال الأستاذ العقاد أذكر أن التركي يقرأ القرآن بالعربـــية والفارسي يقرؤه بها أيضًا، وكذلك الهندي ولا نلاحظ أثرًا للغاتهم المحلية على قراءة القرآن.

* **الأستاذ الشيخ محمود شلتوت:** أعتقد أن للهجات أثرها في تلاوة القرآن، ونلاحظ هـــذا بيســـر في الأزهر حيث توجد طوائف من شعوب مختلفة كل منها يقرأ القرآن بلهجته الخاصة حتى ليخيل للسامع أن كلاً منهم يقرأ شيئًا غير ما يقرؤه الآخر.

* **الدكتور إبراهيم مدكور:** طلبت لجنة اللهجات من قبل شراء " دكتافون " وتقدمت باقـــتراح إلى مكتـــب المجمع بذلك، وقامت عقبات مالية دون إجابة طلبها، وأرى أن هـــذه الطـــريقة الـــتي عرضها علينا الدكتور عساكر توفر علينا مؤقتًا شراء مثل هذه الآلة.

* **الأســـتاذ محمد فريد أبو حديد:** الغرض الذي أرادته لجنة اللهجات من عرض هذا البحث على المؤتمر هو إعلانه بطريقة اتفقت عليها في تسجيل اللهجات المختلفة.

* **الأستاذ خليل السكاكيني**: ليس الغرض من هذا البحث إدخال حروف جديدة على لغتنا العربية؛ لأن حروفنا العربية وافية وبالغة حد الكمال. ولكن الغرض وضع علامات خاصـــة لتســـجيل اللهجات، وليستطيع الأجنبي أن يقرأ كتبنا قراءة صحيحة. ولنُيَسِّر على أنفسنا ضبط الأعلام الجغرافية والتاريخية التي نستخدمها في كتابتنا العربية.

* **الدكـــتور إبراهـــيم مدكور**: أقترح أن يضع المؤتمر هذه الطريقة (التي عرضها علينا الدكـــتور خلـــيل عساكر) بين يدي لجنة اللهجات لتستعين بها في دراسة اللهجات المعاصرة.

* **الأستاذ الرئيس**: أتوافقون على هذا الاقتراح؟

(فوافق الأعضاء على ذلك).

* * *

الأطلس اللغوي(*)

للدكتور خليل محمود عساكر
خبير بلجنة اللهجات

الأطلس اللغوي من أحدث وسائل البحث في علم اللغات وفقهها، وله وظيفة ذات أثر بالغ في الدراسات اللغوية في العصر الحديث وتلك هي تسجيل الواقع اللغوي للغات واللهجات على خرائط يجمعها آخر الأمر أطلس لغوي عام، وتختص كل خريطة بكلمة فتسجل عليها الاختلافات الممكنة للكلمة الواحدة، سواء أكانت هذه الاختلافات صوتية أي خاصة بأصوات اللفظ وحركاته ونبره وطريقة النطق به، أم كانت صرفية تتناول صيغة اللفظ وبنيته. كما تسجل على الخريطة المترادفات الواردة للمعنى الواحد الذي قد يعبر عنه بلفظ خاص يختلف باختلاف القرى والمدن والأقاليم . فإذا تمت خرائط على هذا النحو في قطر من الأقطار أو إقليم من الأقاليم وكانت كل خريطة تحتوي على خمسمائة جهة مثلاً ما بين قرية وبلدة ومدينة، اتضح آخر الأمر مدى انتشار هذه المترادفات وتلك الأصوات والصيغ المختلفة للفظ الواحد، وأصبح ممكنًا تقسيم القطر أو الإقليم على هذا الأساس إلى مناطق لغوية متميز بعضها عن بعض، كما يمكن معرفة ما عسى أن يكون فيه مما يسمونه " الجزر اللغوية ".

ويعتبر الأطلس اللغوي نوعًا من العرض الجغرافي للغة ممثلة في لهجاتها المختلفة، ولا شك في أن التشابه الذي يوجد بين عدة بلاد أو عدة مناطق في طريقة حديثها، وفي ألفاظها وتعبيراتها، لم يأت عفوًا ولكنه يشير إلى ماض مشترك، وإلى مراحل تاريخية واحدة مرت على هذه البلاد المتشابهة لغة وتعبيرًا.

وتسجيل اللهجات العربية الحديثة تسجيلاً جغرافيًا على خرائط يعين إلى حد كبير على دراسة هذه اللهجات في ذاتها أولاً، وعلى دراسة اللغة العربية ثانيًا، ويعين

(*) مؤتمر الدورة الخامسة عشرة، الجلسة الحادية عشرة، سنة ١٩٤٩، و نشر البحث في مجلة المجمع الجزء السابع، ص ٣٧٩ ـــ ٣٨٤ .

ثالـــثًا على معرفة ما يمت من اللهجات العربية إلى الفصحى بسبب، وما هو متوغل في القــدم مــنها أو حديث عهد بحياتنا اللغوية، كما يعين أخيرًا على دراسة سائر اللغات السامية دراسة مقارنة. وقد أبان الأستاذ شتيجر " Steiger " العالم السويسري الذي لـــه بهذا الموضوع عناية خاصة، عن قيمة الأطلس اللغوي وأهميته للغة العربية بقوله من تقرير له :" وبالنسبة للغة العربية نقول: إن القيام بعمل أطلس لغوي لها سيحدث ثورة في كـــل الدراسات الخاصة بفقه اللغات السامية؛ لأنه سيكمل من غير شك الدراسات الـــتي تعـــتمد على النصوص القديمة بكشفه عن التطورات المتعلقة باللهجات وباللغات الشـــعبية العصرية. وسيكون لهذا الأطلس الفضل في إطلاعنا على تاريخ علم الأصوات والتغيرات التي أصابت اللغة العربية في الأماكن المختلفة التي غزها وعن مدى انتشارها وتأثـــرها بالمراكز الثقافية وتنوع مفرداها إلى غير ذلك من المكتشفات التي لا يمكن أن تـــتم إلا إذا جمعـــت هـــذه المواد. إنه سيكون عملاً ثقافيًا من الطراز الأول وسيكون تحقيقه عنوان مجد وفخار في تاريخ الثقافة العالمية ".

وليس الأمر مقصورًا على الناحية اللغوية والصوتية، بل يستعان بالأطالس اللغوية عـــلى الدراسات الاجتماعية والتاريخية على أساس أمتن وأشمل. وفي هذا يقول الأستاذ يود (Jud) وهو أستاذ سويسري متخصص في اللغات الرومانية: الفرنسية والأسبانية والإيطالـــية:" مـــن المستحيل أن يكتب تاريخ صحيح للشعب الفرنسي أو الإيطالي أو الأســـباني إلا إذا عرفـــت اللغات المحلية في تلك البلاد، ودرست دراسة عميقة. تلك حقيقة خطيرة أصبحت مقررة معروفة".

* * *

أمـــا الفكـــرة في عمل الأطالس اللغوية فقد بدأت في النصف الثاني من القرن الماضـــي. وكان رائدا هذا النوع من الدراسة، التي اعترف علماء اللغات بما لَها في حل المشـــكلات اللغويـــة من نفع وقيمة وخطر، هما فنكر (Wenker) الألماني، وجليرون (Gilliéron) الفرنســـي. وقد قام كل منهما بعمل أطلس لبلاده، ظهر أحدهما وهو

الأطلس الفرنسي و لم يقدر للآخر الظهور حتى اليوم، ولعل السبب في ذلك أن الخريطة في الأطلس الفرنسي تمثل من القرى والبلاد والمدن ما بين ثلاثمائة جهة وستمائة وأربعين جهـــة، عـــلى حين تمثل الخريطة في الأطلس الألماني خمسين ألف جهة أي أن النقط في الأطلس الألماني أشد كثافة منها في الأطلس الآخر.

وقـــد أخـــذت فكـــرة عمل الأطالس تتسع منذ ظهور الأطلس الفرنسي سنة ١٩٠٦، ثم هـــي تنتشـــر الآن انتشاراً واضحًا يومًا بعد يوم. وسويسرا هي البلد الذي يحتضـــن الآن هذه الدراسة حيث ينهض بها ويقوم عليها الأستاذان: يابرج (Jaberg) ويـــود (Jud) اللـــذان قاما بعمل أطلس لغوي لإيطاليا وجنوب سويسرا، وكذلك الأستاذان: هوتسنكشرلي (Hozenkoecherle) وبومجارتنر (Baumgartner) اللذان يقومان الآن بعمل أطلس لغوي للقسم الألماني من سويسرا.

أمـــا الأطـــالس التي تم طبعها والتي لا تزال تطبع، وكذلك التي تعد أو أعدت فعلاً وتنتظر الطبع فهي:

١- الأطلس اللغوي لفرنسا. نشره الأستاذ جييرون سنة ١٩٠٦ .

٢- الأطلس اللغوي للبلاد الألمانية والنمساوية، وقد قام بعمله (فنكر) ثم (فرده) (Wrede) ونشـــرا منه حوالي أربعين خريطة لبعض أقاليم ألمانيا . أما الأطلس الشامل لكل البلاد الألمانية فلم يطبع حتى الآن.

٣- الأطلـــس اللغوي لإيطاليا وجنوب سويسرا، نشره الأستاذان يابرج ويود سنة ١٩٢٨ ويقع في ثمانية مجلدات.

٤- أطلس لغوي لرومانيا. طبع منه ثلاثة أجزاء قبل بدء الحرب الماضية.

٥- أطلس لغوي لقطلونيا. وهو مطبوع.

٦- أطلس لغوي ممتاز للبلاد الهولندية (مطبوع).

٧- أطلس لغوي لكورسيكا. أوشك طبعه أن يتم.

٨- أطلـــس لغـــوي لأمـــريكا الشمالية. صدر منه الجزء الأول الخاص بولاية نيو إنجلند.

٩- أطلـــس لغـــوي صـــغير لسوريا ولبنان وفلسطين. نشره الأستاذ المستشرق برجشتريسر Bergstraesser سنة ١٩١٥.

١٠- أطلس لغوي للقسم الألماني من سويسرا، يوالي العمل فيه ويعده الآن للطبع الأستاذان: هوتسنكشرلي وبوجمارتنر.

هـــذا وقد نبتت فكرة عمل الأطالس اللغوية في بعض البلاد الأخرى كالسويد والـــنرويج والبرتغال وإنجلترا . أي أنها قد شملت معظم بلاد أوربا بل تعدتها إلى أمريكا وبعض البلاد الشرقية.

طرق عمل الأطلس اللغوي:

هناك طريقتان إحداهما ألمانية والأخرى فرنسية:

أمـــا الطـــريقة الألمانية: فقد ابتكرها وقام بتنفيذها (فنكر) وخلاصتها: أنه ألف أربعين جملة تمثل أهم ما يجري على ألسنة الناس كل يوم في بلاده، وطبعها على شكل اســـتمارة بهـــا بيانات خاصة على النحو الآتي بعد تعديلها بما يوافق اللهجات العربية. أما الجمل فقد أوردنا نماذج منها مترجمة بنصها عن الأصل الألماني:

صحيفة أسئلة لغوية خاصة باللهجات العربية الحديثة

الجهة التي سمعت فيها اللهجة العربية وسجلت : ..... المركز: ..... المديرية: ....

الراوي اللغوي الذي نقلت عنه اللهجة	المسجل اللغوي الذي سمع اللهجة ودونها
الاسم:	الاسم:
السن:	السن:
المهنة:	المهنة:
محل الميلاد:	محل الميلاد:

الجملة في اللغة العربية الفصحى	الجملة في اللهجة العربية الحديثة
(١) تسقط أوراق الشجر في الشتاء وتتناثر في الهواء.	
(٢) ضع شيئًا من الفحم في الفرن حتى يغلي اللبن.	
(٣) كانت النار قوية حتى لقد احترق الفطير واسْودَّ من شدة الاحتراق.	
(٤) إنه يأكل البيض دائمًا بغير ملح أو فلفل.	
(٥) تؤلمني قدماي ألمًا شديدًا، والظاهر أني سرت أكثر مما يجب.	
(٦) نحن ظماء متعبون .	
(٧) ألا يمكنكم الانتظار لحظة حتى نذهب معكم؟	
(٨) لقد خرجت الكلمة من قلبه.	
إلى آخر الجمل الأربعين	

وقـــد أرسلت نسخ من هذه الصحيفة اللغوية المشتملة على الجمل الأربعين إلى جهـــات ألمانية ظلت تزداد شيئًا فشيئًا حتى بلغت في النهاية خمسين ألف جهة، وكان إرســـالها على نفقة الدولة وبصفة رسمية، أما المسجلون الذين سمعوا اللهجات من أفواه الـــرواة ودونوهـــا فكانوا في معظم الأحيان من معلمي المدارس الأولية؛ نظرًا لمعرفتهم بـــأحوال القرى التي ينـــزلون فيها واتصالهم بأهلها عن كثب، ثم لثقافتهم التي أهَّلتهم لتســـجيل الـــنطق وتصويره كتابيًّا لا أقول تصويرًا دقيقًا محكمًا، بل تصويرًا قائمًا على أساس وإحساس لغويين لا بأس بهما ولا غبار عليهما في معظم الحالات.

وبعـــد أن تجمع هذه الإجابات يبدأ بعمل خريطة لكل لفظ على حدة. وذلك بـــأن تفرغ أولاً صور اللفظ وصيغه ومترادفاته على خرائط تفصيلية تشتمل على بلاد الإقلـــيم جميعها ثم تحدد عليها المناطق اللغوية المختلفة. وبعد هذا ترسم الخريطة العامة عـــلى ضـــوء الخرائط المفصلة بل على أساسها. ويبين على هذه الخريطة العامة الحدود النهائية للمناطق اللغوية على وجه الإجمال.

وأمـــا الطـــريقة الفرنســـية- وهي الطريقة السائدة الآن في عمل الأطالس — فخلاصـــتها أن تعمـــل خريطة للإقليم المراد عمل أطلس له، وتنتخب منه قرى وبلادًا يلاحـــظ في كل منها أن تمثل إلى حد ما البيئة اللغوية التي توجد البلدة أو القرية فيها. وقد بلغ مجموع هذه البلاد في أطلس إيطاليا حوالي أربعمائة بلدة.

ثم يؤلف كتاب خاص يعرف بكتاب الأسئلة (Fragebuch) يحتوي على ألفي سؤال أو على ألفين وخمسمائة، يتوخى فيها أن تكون شاملة لأهم الأشياء التي تشاهد في الـــريف وفي المديـــنة ولأكثر الألفاظ شيوعًا في الحياة اليومية، كما يتوخى فيها أن تكـــون الإجابـــة عن كل سؤال منها كلمة واحدة في غالب الأحيان. ويكون ترتيب هـــذه الأســـئلة موضـــوعيًّا بحيـــث يخـــتص كل جزء من الأطلس بموضوع أو بعدة موضوعات. ومن أمثلة ذلك في الأطلس اللغوي لإيطاليا:

أسمـــاء الأهـــل وذوي القربى، كالعم والخال والأخ والأخت وغيرهم — أطوار العمـــر والميلاد والزواج والموت وما يتعلق بذلك — جسم الإنسان وصفات الجسم من طـــول وقصر وبدانة ونحافة - أسماء الصناعات والصناع - النقود والتجارة والأعداد- الوقـــت وأقســـامه وظـــروف الزمان وظروف المكان — الأرض والمعادن — الأجرام الســـماوية والظواهـــر الجوية — الأشجار والشجيرات والأزهار — الملابس والأقمشة والغـــزل والنســـيج والحـــياكة والغســـل والتنظيف، إلى غير ذلك مما ليس هنا مكان تفصيله.

وتأليف كتاب الأسئلة هذا من أهم الأشياء التي يجب مراعاتها في هذا العمل.

بعـــد هذا تعمل من الكتاب طائفة من النسخ تعطى لرواد لغويين مدربين تدريبًا كـــاملاً من الناحيتين اللغوية والصوتية، فيذهب الرائد إلى القرية أو المدينة ويقضي بها أربعـــة أيـــام أو خمســـة يســـأل أثناءها أحد ثقاتها عن كل ما ورد في كتاب الأسئلة مستوضـــحًا إيـــاه مـــا يحتاج إلى إيضاح، وواقفًا منه على التعبير الدقيق لكل ما يراد معرفته والإجابة عنه في الكتاب المذكور.

أمـــا الشخص الذي توجه إليه الأسئلة، وأظن أنه لا بأس من أن نسميه "الراوي اللغـــوي" فيجب أن تراعى فيه أمور كثيرة منها: أن يكون من صميم أبناء البلدة التي يعـــيش فيها، وألا يكون قد نزح عنها إلى بلاد غيرها ثم عاد إليها، وذلك لكيلا تتأثر لهجـــته الخاصة بمؤثرات خارجية، وأن يكون صريحًا صادقًا مخلصًا في الإجابة عن كل مـــا يوجـــه إلـــيه من أسئلة، لا يداور السائل ولا يطوي عنه شيئًا، وأن تكون مخارج حـــروفه ســـليمة ما أمكن، وأن يكون تام القدرة على فهم السؤال والتعبير عن نفسه وعلى إدراك المراد إدراك يقظ خبير فطن.

وبذلـــك كلـــه يستطيع مثل هذا الراوي أن يمثل بلدته أو قريته تمثيلاً لغويًّا هو أدنى مـــا يكـــون إلى الصواب. وعلى الرائد أن يصور على قدر الإمكان ما يراه غريبًا غير مألوف في البلاد التي يزورها من مختلف أنواع الملابس والأزياء والأدوات المنـــزلية

والآلات الزراعية والصناعية وأن يسجل أسماءها المختلفة، إذ إن كثيرًا من هذه الأشياء في تغـــير مستمر، ومنها ما يمضي قدمًا في طريق التقدم، ومنها ما يمضي حثيثًا في طريق الفناء .

فإذا تم ارتياد المدن والقرى المعينة على الخريطة التي وضعت أساسًا للعمل جمعت صـــيغ اللفظ ومرادفاته في البلاد المختلفة وأخذ في دراستها وترتيبها؛ تمهيدًا لوضعها في شـــكلها الـــنهائي وصـــورتها الأخيرة على الخريطة، ويكون ذلك بكتابة اللفظ مكان القرية أو البلدة التي نبت اللفظ فيها وعلى ألسنة أهلها يجري ويتداول.

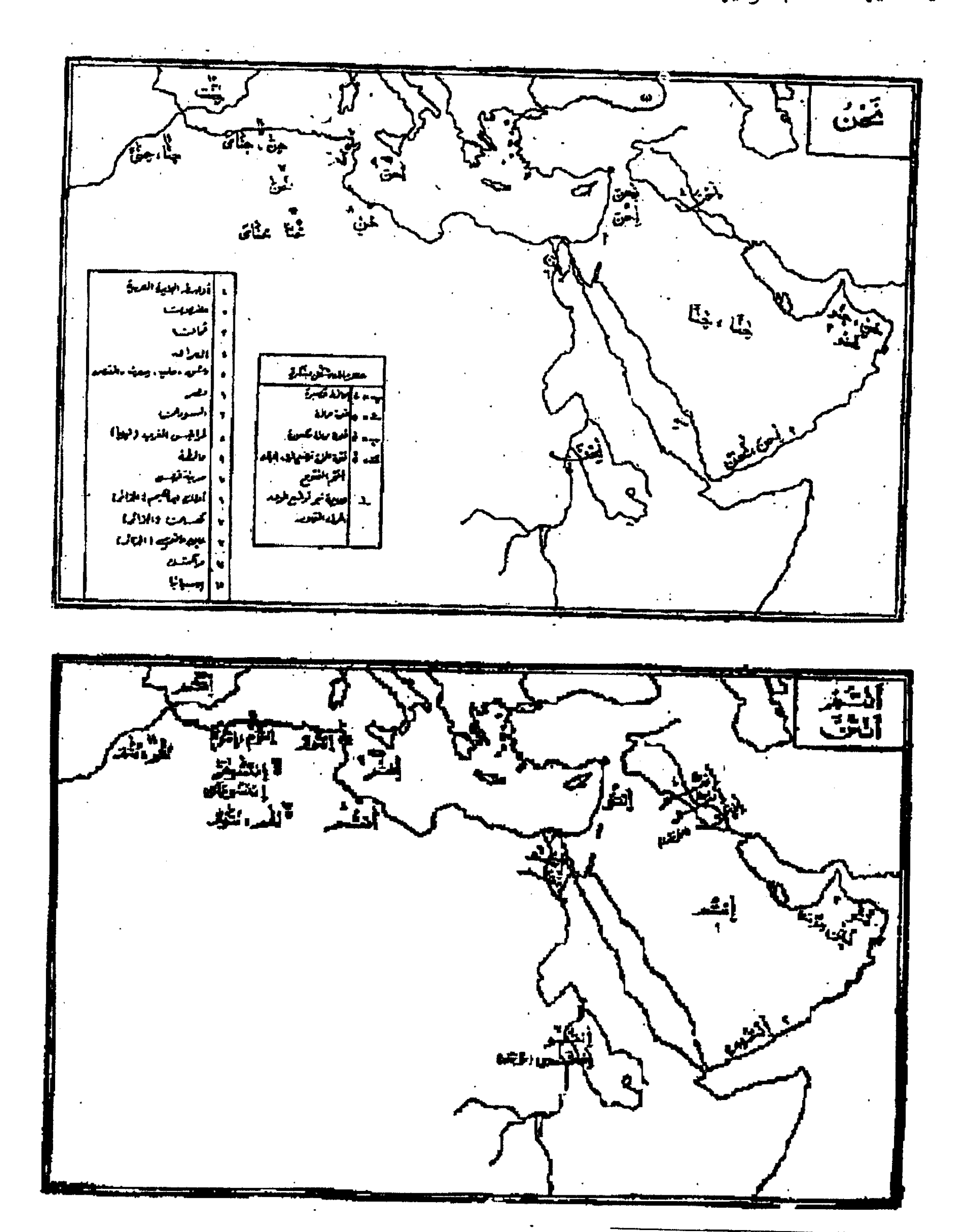
والفـــرق بـــين الطريقتين في عمل الأطلس أن الطريقة الألمانية تمتاز بالشمول؛ لأنهـــا لا تـــترك جهـــة إلا ذكرت رواية اللفظ فيها، على حين تمتاز الطريقة الفرنسية بالدقـــة؛ لأن الـــرواد الذيـــن يقومـــون بجمع مادة الأطلس قد دربوا التدريب الكافي في الناحيـــتين اللغويـــة والصـــوتية، وبذلـــك يعتـــبرون ثقة فيما يدونون عن الرواة اللغويين.

ويلاحـــظ عـــلى الطريقـــتين كذلك أن الفرنسية طريقة مباشرة وأن الأخرى طريقة غير مباشرة فكانت أقل دقة من الأولى.

هاتـــان همـــا الطريقـــتان المعروفتان لعمل الأطالس اللغوية، وقد اعتمد العلماء السويســـريون عـــلى الطـــريقة الفرنسية، مع زيادات وتحسينات أكسبتهم إياها الخبرة والـــتجربة، لذلك لم يجئ الأطلس اللغوي لإيطاليا صورة طبق الأصل من أطلس فرنسا لجييرون، بل جاء تطورًا له وتنقيحًا لطريقته.

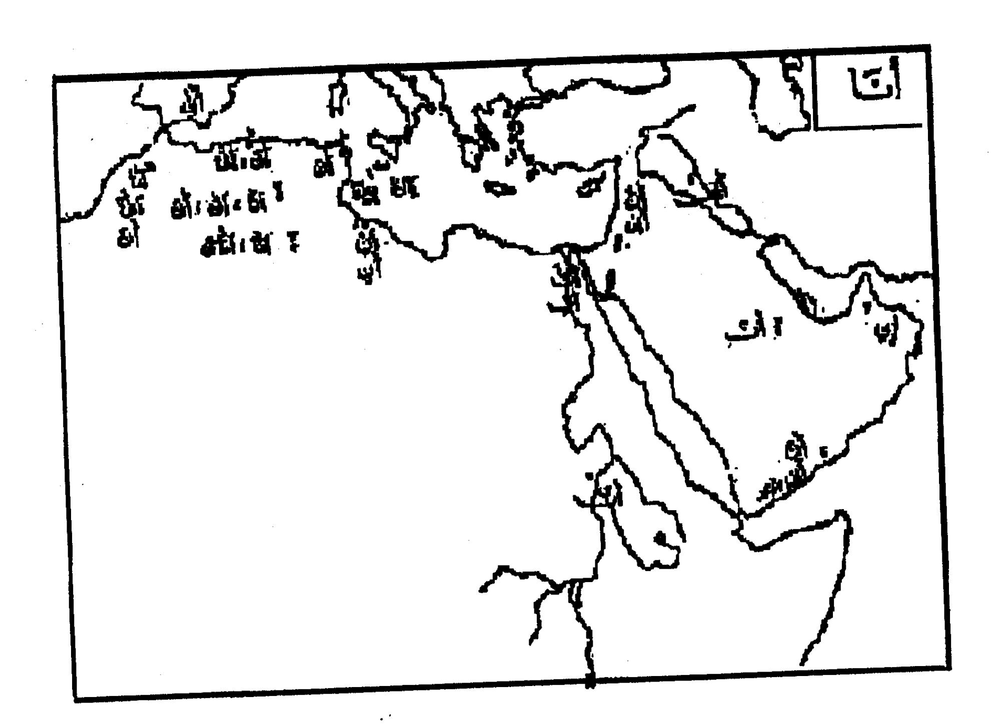
وقـــد قمـــت في صيف عام ١٩٤٨ برحلة لغوية على نفقة كلية الآداب بجامعة القاهـــرة إلى مديـــرية الفيوم مدة شهر كامل، زرت أثناءه عشرًا من المدن والقرى، في نواحيها الشمالية والجنوبية والغربية، ارتيادًا لمناطقها، وتمهيدًا لعمل أطلس لغوي لمصر . وقـــد جمعت منها مادة كافية لإعطاء فكرة أولية عن مناطق اللهجات في الفيوم. وفي النيَّة القيام برحلات أخرى إلى جهات مصرية مختلفة إن شاء اللـــه.

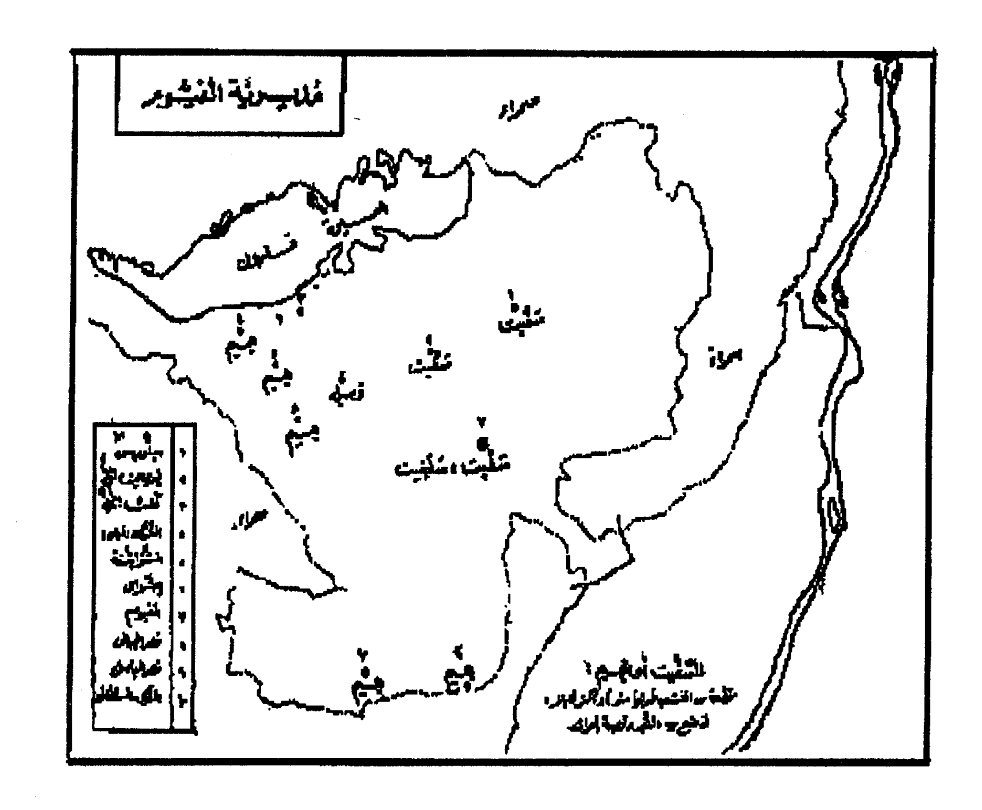
وبعد فإن الأطلس اللغوي ليقدم لكثير من الباحثين – كما رأينا – مادة للبحث قيمة فيها خصب وفيها غناء [(١)].



(١) تجد بعد البحث خمس خرائط لغوية مبدئية، عملت توضيحًا لفكرة الأطلس.







مناقشة البحث

وبعــد الانــتهاء من تلاوة البحث شكر الأستاذُ الرئيسُ مقررَ اللجنة وخبيرَها على ما بذلاه من مجهود محترم.

* **الأستاذ علي الجارم:** لسنا في حاجة إلى شيء من هذه البحوث؛ لأن لغتنا الفصحى لم تســتكمل دراستها و لم تستوف خصائصها، فأولى بنا أن نوجه عنايتنا إلى اللهجات العربــية الفصحى التي تتصل بلغتنا، أما البحث في اللهجات العامية فإنه لا يجدي. فإن كــان الغرض منه إثبات تعدد اللهجات فهذا أمر بديهي لا يحتاج إلى إثبات، وإن كان الغرض الإحصاء فإنه غير ممكن. وهذا العمل يستنفد جهدًا طويلاً في غير طائل.

* **الأســتاذ ل. ماسينيون:** هذا البحث يفيد في دراسة الأدب والتاريخ، كما يؤدي إلى وحدة العالم العربي.

* **الدكتور طه حسين:** عند وضع مرسوم المجمع كنت من أشد الناس خصومة لتكليفه دراســة اللهجات، وكنت أرى أن هذه الدراسات تحتاج إلى إعداد طويل عسير، وأن هــذا الإعــداد من شأن جمعيات خاصة تستقصي وتستقري وتستنبط وتعطي المجمع نتائج عملها لينتفع بها في دراسة الفصحى والمحافظة على سلامتها . ولكن المرسوم صدر كمــا ترون وكلف المجمع دراسة اللهجات. فهذا أمر كلفنا به رضينا أو أبينا. ودراسة الــلهجات مــن الموضــوعات الخطيرة التي يعنى بها العالم الحديث عناية عظيمة. فمن الطبــيعي ألا نتخلف عن العالم في دراسة أساسية في تاريخ اللغة العربية. وقد شهدت مؤتمــر اللغويين بباريس في العام الماضي ممثلاً للمجمع ، ومكثت أسبوعًا أشهد جلساته مصــبحًا وممسيًا، وسمعت أشياء قيمة ممتعة، ولكن الله لم يفتح عليّ بحرف واحد لأني لم أكــن مختصًّــا. وقــد علمت أن مصر احتفظ لها بمكان في لجنة الدراسات اللغوية الدائمــة، ومن الطبيعي أن المجمع هو الذي سيمثل مصر في هذه اللجنة، وقد تتصل بنا اللجنة في هذا الشأن لنشارك علماء الأرض كلهم في دراسة اللهجات وتطور اللغات.

وجدَّ عندنا بحكم المرسوم لجنة لدراسة اللهجات، وقد تقدمت إلينا هذه اللجنة بمنهج هو نفس المنهج الذي يشتغل به علماء اللغات في العالم كله غربه وشرقه، بل في بعض البلاد العربية. فقد أنبأني الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب بأنه قد عمل في الجزائر أطلس لغوي من أحسن الأطالس اللغوية التي عملت إلى الآن.

فلنهيئ للجنة ما تستطيعه من وسائل العمل، ومنهجها كما سمعتم جدير بالدرس والعناية. لذا أقترح:

أولاً: إقرار المنهج الذي وضعته اللجنة بعد الدرس والاستقصاء.

ثانيًا: أن يبدأ المجمع بنشر النصوص التي تتصل باللهجات العربية الفصحى. وقد سمعتم وستسمعون كثيرًا عن تطبيق اللهجات على القراءات . فلا أقل من أن نعمل منذ الآن على نشر ما يتعلق بالقراءات؛ ليكون أساسًا لدراسة اللهجات العربية الفصحى. ونصوص القراءات كثيرة جدًّا وخطيرة جدًّا ككتاب (المحتسب لابن جني) و(الحجة لأبي علي الفارسي)، وقد حاولت أن أنبّه جامعة القاهرة إلى ضرورة نشر بعض هذه النصوص، وكدت أوفق إلى ذلك لولا ما قام في ذلك الوقت من تنافس بين الأزهر والجامعة في شأن نشر الكتب المتعلقة بالقراءات. وما دام التنافس قد أضاع على الأزهر والجامعة جميعًا ذلك العمل الجليل، والمجمع مكلف به بحكم المرسوم، فلا أقل من أن يضطلع به.

*__الأستاذ علي الجارم__: رأيي أن يتجه المجمع إلى دراسة اللهجات العربية القديمة، ويعدل عن هذه الطريقة في دراسة اللهجات العامية في الأقطار العربية.

*__الأستاذ عباس محمود العقاد__: دراسة اللهجات العامية نافعة جدًّا لمعرفة اللغة العربية الفصحى نفسها، فإذا لاحظنا تحول الكلمات في اللهجات العامية أمكننا الوصول إلى وضع قواعد لتحوّل هذه الكلمات في اللغة الفصحى أو إلى الاستئناس بهذه القواعد في معرفة هذا التحول. وأضرب لذلك مثلاً لبعض الظروف التي لا معنى لها الآن، ولكنها ترجع إلى جمل أو كلمات ذات معنى. ففي الصعيد يقولون (ضَلَك) بمعنى (الآن)،

هـــذه الكلمة لا نفهم كيف وصلت إلى أداء هذا المعنى إلا بموازنة بين نطق هذه الكلمة عـــند القبائل المختلفة، فنجد بعضهم ينطقونها (ضَلَك) وغيرهم (ضُلْوَكيتْ) وآخرين (ضُـــلْوكْتِ) فـــنعرف من هذا كيف تطور الظرف إلى لفظ لا معنى له وكان عبارة ذات معـــنى. ومثله كلمة (لِسَّهْ) نسمعها في السودان (لِلسَّاع) وفي الصعيد (لِلسَّعْ) وكذلـــك الحـــال في بعض الحروف. فقد سمعت في أدفو: (فلان كيف الجَمَر) وفي منطقة أخرى مجاورة (فلان كي الجمر) وفي منطقة ثالثة (فلان كالجمر) . ومن هذا نستطيع أن نعرف كيف تطورت كاف التشبيه في اللغة العربية. وكذلك حرفا التنفيس لا يؤديان معنًى مستقلاً، لكن إذا قورنا بما يساويهما في العامية فقد نهتدي إلى أصلهما. ففـــي الصـــعيد يقولون (فلان عمال يِجْرا) وفي جهة أخرى (فلان عَمَّا يِجرا) وفي جهـــة ثالثة (فلان عايِجْرا). ونسمع في جهات أخرى (فلان رايح يكتب) و(فلان راح يكتـــب) و(فلان حَيِكْتِب) فمثل هذه الملاحظات تؤدي إلى وضع قواعد لتطور النطق بالكلمات تفيدنا في دراسة الفصحى نفسها.

وكذلـــك تفـــيدنا دراسة اللهجات في معرفة التاريخ، ففي إقليمي (أسوان) يـــبدلون المـــيم بـــاء فـــيقولون (البكان) بدلاً من (المكان) و(البُسمار) بدلاً من (المُســـمار). فقد نفهم من هذا أن أصول القبائل التي نزلت في هذا الإقليم ترجع إلى القبائل العربية التي كانت تقلب الميم باء .

هـــذه فوائـــد في دراســـة التاريخ ومعرفة تطور الكلمات نستفيدها من دراسة اللهجات. ولئن كان هذا بعض ما يستفاد من تلك الدراسة، إنها لجديرة بالعناية. ولكني أعتقد أنها ستفيدنا فائدة أكثر.

***الدكـــتور عـــبد الوهاب عزام بك:** لا أنكر أن لهذه الدراسة فوائد لغوية وتاريخيّة، ولكن لا ينبغي أن تشغلنا عما لدينا من أبحاث أكبر منها فائدة.

خطـــر لي حين سمعت هذا البحث مثل سمعته في مدينة (مارسين) بتركيا: كان رجل جالسا على شاطئ البحر ذات يوم، فمر به صاحب له فسأله: متى أتيت إلى هنا؟

قال الأول: أنا هنا منذ الصباح. فسأله صاحبه: وماذا تفعل؟ فأجاب: أعد الموج. عند ذلـك سأله صاحبه: كم عددت؟ فما زاد على أن نظر إلى موجة وقال: هذه واحدة. فعـد الأمواج قد يكون ذا فائدة ومتعة. ولكنه يشغل عن أمور أهم منه. ولئن كانت دراسـة الـلهجات أكـثر فـائدة من عد الأمواج، إن بينهما مع ذلك بعض الشبه، فليخصص المجمع لهذا العمل جانبًا صغيرا من جهده لا يشغله عما هو بصدده من أمور هامة.

***الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي:** أرى أن دراسة اللهجات على هذه الطريقة تنافس عمل المجمع، فعمل المجمع تثبيت اللغة الفصيحة ولا أعني لغة امرئ القيس ولبيد، بل لغة عربية فصيحة تصلح للصحف وللاستعمال الحديث، فإن قام المجمع بعمل هذه الخرائط اللغوية وأثبت عليها الألفاظ العامية فإنـه يعطي العاميـة بذلك اعتبارًا في أعين الناس يعرضون به عما نعلمهم من الفصيح.

وقـد يكون بحث اللهجات مفيدًا لأولئك الغربيين المستعمرين الذين ينـزلون بالـبلاد العربـية المختلفة ذات اللهجات المختلفة ليشتغلوا بالتجارة أو ليسعوا بالفتنة. أما اشتغالنا نحن بهذا العمل فحرام حرام.

***الدكـتور طـه حسـين:** ضرب لنا الدكتور عزام مثل التركي الذي يعد الموج، فأنا أضرب هذا المثل لكل عالم، فليس للعالم عمل إلا أن يعد الموج، وإن لم يعد الموج فليس بعـالم. وإذا كان من عملنا هنا أن نعد الموج في اللغة العربية فلنعد الموج ولا بأس بألا نصـل إلى إحصـاء الموج كله، فسنحصي منه شيئًا، ويحصي من بعدنا أشياء، وتظل الإنسانية كلها محاولة عد الأمواج.

فعـد الأمواج لا يخيف، أما ما يخشاه زميلنا الشيخ المغربي من تثبيت اللهجات العامـية بدراستها هذه الدراسة العلمية فخشية مبالغ فيها، ذلك أن بعض القدماء ألفوا كتـبًا في تسجيل المعرب والدخيل والتنبيه على الأغلاط إلى آخره، فلتكن دراستنا لهذه

الــلهجات لتصحيح ما يصح في العربية منها، والتحذير مما لا يصح، والعلم على كل حال يقصد لذاته لا للمنافع القريبة.

فلنــترك حديث السياسة والاستعمار حين نتكلم في العلم، ومع أني لست من أنصــار الاستعمار الفرنسي في أفريقيا الشمالية، أستطيع أن أفاخر في كثير من الغبطة بدراســات (مرســيه) في الــلهجات العربية في أفريقيا الشمالية، ومهما يكن غرض (مرســيه) من هذه الدراسة فلا شك أنه خدم العربية خدمة جليلة، وليس مما يليق أن يطــوف (مرســيه) بشمال أفريقيا وأن تبلغ به المغامرة على تقدم السن فيذهب إلى (فــزان) وإلى أقصى البلاد المعمورة في الصحراء، ونظل نحن لا نعمل شيئًا من هذا ولا شــيئًا يقــارن بــه. بل نترك الناس يعملون حتى إذا عملوا قلنا استعمار وخلطنا بين الاستعمار والبحث العلمي. وإني لأرجو بفضل حرص المجمع على دراسة اللهجات أن يوجــد عــندنا مــن الشبان والشيوخ من يعملون مثل عمل (مرسيه). فإذا استطاع الملائكــة المصــريون والعرب أن يعملوا مثل عمل (مرسيه) استطعنا أن نطرد هؤلاء الشياطين الذين يسعون في الأرض فسادًا.

***الأســتاذ خلــيل السكاكيني:** من يدرس اللهجات الفلسطينية يجد أمرًا عجبًا؛ فإنك تســتطيع أن تعرف بلد الرجل ودينه من لغته. حتى المدينة الواحدة مثل (القدس) نجد فــيها لغــة للمسلمين ولغة ثانية للنصارى. بل إن النصراني الأرثوذكسي يتكلم لهجة مغايــرة للهجة النصراني الكاثوليكي. فالمسلمون يقولون مثلاً (تجرُبة) ويجمعونها على (تجــارُب)، والمسيحيون يقولون (تجرِبة) ويجمعونها على (تجارِب)، والمسلم يقول (أُكتُب) والمسيحي يقول (اكتِب). والمسلم يقول (أُسم) والمسيحي يقول (اسم) إلى كلمات كثيرة هذه.

وأعتقد أن اللغة الحميرية شائعة في فلسطين ؛ فمن ذلك قلب اللام ميمًا فيقولون في (الــبارحة) (امبارح) ويحققون التاء المربوطة فيقولون (اللُّغت العربيَّت). وليس قصــدي البحث في هذه اللهجات بل استنباط فائدة منها، هي أننا يجب أن نتتبع هذه

الـــتطورات، ونستخلص منها قواعد لفهم لغتنا. ورأيي أن من أظهر القواعد في تطور اللغـــات العدول عن الكلمات الطويلة إلى كلمات قصيرة. فبعد أن كان يقال: (هذه الساعة) يقال فقط: (اسًّا)، وكذلك استبدال الحروف السهلة بالحروف الصعبة، فأهل الـــبادية يقولون مثلاً: (هَسَّعّ)بالعين المشددة. والعربية الفصحى نفسها خضعت لمثل هذا التطور. فالقواعد التي نستنبطها من دراسة اللهجات تنفعنا في دراسة الفصحى.

***الأســـتاذ أحمد أمين:** كنت أريد القول إن البحث عن فائدة لكل علم من العلوم ليس مـــن دأب العـــلماء ولا من مصلحة العلم، وقد أغناني زميلنا الدكتور طه حسين عن الكلام في ذلك، ولكني أحب أن أضيف إليه ملاحظة التناقض في مسلكنا كلما عرض موضـــوع " الفائدة ": حين يمس البحث اللهجات العامية نقول ما الفائدة ونحن نكتب بالفصـــحى. أمـــا إذا رأينا شيئًا لا فائدة فيه في الفصحى فنحن نلزم الصمت. نجد في العربـــية كلمات ميتة. فإذا أريد منا أن نحذفها من المعجم لزمنا الصمت. ونرى قواعد للإمـــلاء ككـــتابة الهمزة أشكالاً وألوانًا، والألف اللينة أشكالاً وألوانًا كالبهلوان. فلا يقول أحد: ما الفائدة؟

إذا قلنا: ما الفائدة؟ فلنلتزم هذا القول في العامية والفصحى على السواء.

ودراســـة الـــلهجات عمـــل مجـــيد ولا شك، بما يتضمنه من تقييد الأصوات وتســـجيلها إلى آخره. فسنجني من هذه الدراسة فوائد تاريخية واجتماعية عظيمة تلذ الباحث، وهذه اللذة نفسها فائدة، ولكن المجمع بحالته الحاضرة لا يستطيع القيام وحده بهـــذه الدراســـة، فمـــن الخـــير أن نتعاون مع قسم اللهجة بكلية الآداب. ومع المعهد الفرنسي بما عندهما من المراجع والكفاءات.

***السيد الأستاذ محمد رضا الشبيبي:** لاحظت في مجرى النقاش أن كثرة الآراء تميل إلى أن دراســـة اللهجات لا تخلو من فائدة، ولكن المسألة المهمة هي: أهذه الدراسات من صميم أعمال المجمع أم هناك أعمال ومواضيع أهم من هذا يجب أن يشتغل بها المجمع؟

وأنـــا أوافـــق أكـــثرية الآراء على أن هذه الدراسة لا تخلو من فائدة للفصحى نفسها، ولكني أرى أن يتركها المؤتمر للأشخاص الذين توفروا عليها في كل قطر عربي . ومن هؤلاء عدد من اللغويين في العراق عنوا بمفردات العامية العراقية وقواعدها وأمثالها، وقد رأيت محاولات كهذه في مصر.

أما المجمع فعنده أعمال أهم من هذا تستغرق وقته وجهده.

***الأســـتاذ عباس محمود العقاد:** المثل الظريف الذي ساقه الدكتور عزام يؤدي بنا إلى تقريـــر فائدة للعلم ولو عن غير قصد، فوظيفة العلم دائما كما قال الدكتور طه حسين هـــي أن يعـــد الموج ولا وظيفة لعالم من العلماء إلا عد الموج. وإذا سئلنا مع هذا عن فائدة عد الموج لم يمكن أن تقطع بجواب. فقد لا ينتهي بنا البحث إلى عد الموج حقًّا، بـــل إلى أشياء أخرى مفيدة كأن يعرف اختلاف حال الموج في الشاطئ عنه في عرض الـــبحر، واختلافه عند هدوء الجو عنه في الجو العاصف، فقد نستخلص من محاولة عد الموج قوانين ملاحية ذات نفع مادي قريب.

***الأســـتاذ أحمد العوامري:** سمعت من الدكتور خليل عساكر أن دراسة اللهجات تفيد في درس التاريخ، وقد سبق أن سمعت مثل هذا القول من المرحوم الأستاذ نللينو، فلعل أحدًا من حضراتكم يوضح لي هذا القول:

(وكـــان الدكتور خليل عساكر قد غادر الجلسة، فتولى الأستاذ محمد فريد أبو حديد الرد على استفسار الأستاذ أحمد العوامري بوصفه مقررًا للجنة اللهجات).

***الأســـتاذ محمد فريد أبو حديد:** اللغة وثيقة الاتصال بالقوم الذين يتكلمونها، فدراسة الـــلهجات بمـــا تكشـــفه من اتصال بين هذه اللهجات تدل على صلات كانت بين الأقـــوام الذيـــن يتكـــلمونها فقلب اللام ميمًا كما في لهجة فلسطين كما قال الأستاذ السكاكيني وقلب الميم باء في لهجة أسوان كما قال الأستاذ العقاد يصح معه أن نستنبط انتقال بعض القبائل التي تميزت لهجتها بهذا القلب إلى فلسطين أو إلى أسوان.

وفي الإنجلـــيزية مـــثلا كلمة (Mutten) تدل على لحم الضأن مع أن أصلها الفرنســـي (Mouton) يـــدل على الغنم نفسها. وقد سمعت في تفسير ذلك طرفة من الطـــرائف لها دلالتها عند كتاب التاريخ، وهي أن النورمانديين أهل فرنسا حين ذهبوا إلى إنجلـــترا وكـــانوا السادة هناك كانوا يتحدثون بالفرنسية فإذا جلسوا إلى موائدهم وذكروا أن اللحم الذي أمامهم لحم (Mouton) أي لحم أغنام، حسب من حولهم من الإنجلـــيز الذيـــن لا يعرفون لغتهم أن هذه الكلمة اسم للحم نفسه فقالوا (Mutton) يريدون بها لحم الضأن.

وفي العربية القديمة نفسها أمثلة لدلالة الدراسة اللغوية على التاريخ الاجتماعي، كوجـــود بعـــض الكلمات الفارسية وغيرها في اللغة العربية القديمة، ودلالة ذلك على اتصال العرب بالفرس من قديم الأزمان.

هـــذا وأود أن أرد عـــلى ما قيل من خلو دراسة اللهجات من الفائدة لدراسة الفصـــحى. فالاستفتاء الذي بين أيدينا مثلاً قد نصل منه إلى جملة فوائد عملية، فيمكن أن نعـــرف منه مثلاً أي اللهجات الحديثة أقرب إلى الفصحى. وإذا وجد لفظ صحيح في إقلـــيم ، محـــرف في إقليم آخر، عرفنا أن من السهل رده إلى أصله، وهذا ييسر لنا تقريب الفصحى من العامية.

كذلـــك إذا وجدنـــا أن اللهجات الحديثة كلها أو جلّها أجمعت على كلمة لم توجـــد في المعاجم القديمة، جاز لنا أن نفترض أن هذا اللفظ عربي فصيح، وإن ندَّ عن أصحاب القواميس.

أما الخشية من أن تشغل هذه الدراسة وقت المجمع وجهده فيرد عليها بأن سوابق عمـــل اللجنة لا تدل على هذا، فقد جهدت اللجنة سنة أو تزيد لتقدم إلى حضراتكم هـــذا العمـــل الذي قدمته، فلن تزيد اللجنة عن الزاوية المقسومة لها، ولن يلح عليكم أعضاؤها بأبحاث لا تجدون فيها فائدة.

*الدكـــتور منصـــور فهمي: طالب الحقيقة كما أعلم وكما أشار كثير من حضرات الزملاء لا يقصد إلى المنفعة قصدًا، بل يبحث عن كل ما غمض عليه، وهدفه الوصول إلى الحقـــيقة. وكل العلوم يساعد بعضها بعضًا؛ لأن كل العلوم تنتهي إلى الوصول إلى الحقـــيقة. هذا وكل هيئة مهما ائتلفت لأداء غرض من الأغراض فلكل فرد منها ميول خاصـــة، ولذلك قسم المجمع لجانًا، فإن كان من بين أعضاء المجمع من تدعوهم ميولهم إلى البحـــث في الـــلهجات، فلا ينبغي أن نقول لهم ونحن هيئة علمية تريد الوصول إلى الحقيقة من كل باب: لا تسيروا في اتجاهكم الذي هيأتكم له الطبيعة.

هـــذا من جهة، وأعتقد من جهة أخرى أنه كما يساعد درس الجسم المريض أو المشـــوه في دراسة الجسم السليم، فكذلك دراسة اللهجات العامية – إذا عددناها لغات مريضة – تساعد على دراسة اللغة الفصيحة.

ولـــيس لدينا عمل يغمرنا لأن عملنا خالد، وقد تمضي لجنة اللهجات في درسها ســـنوات لتكتـــب لنا تقريرًا في صفحات. فمسألة الأهم والمهم، كمسألة الفائدة، لا ينبغي أن تدخل في حساب المجمعيين .

*الدكـــتور طـــه حسين: أوافق على المنهج الذي وضعته اللجنة؛ لأنه هو المنهج الذي يعمـــل بـــه المختصـــون في كل البلاد. وأستطيع أن أقول إنه منهج دولي أقرته كافة المؤتمرات الغوية.

وأرجو أن يأخذ الأستاذ الرئيس الرأي على هذا التقرير.

فاعترض الأستاذ علي الجارم وطلب أن يبحث المنهج فقرة فقرة، وأيده الدكتور عبد الوهاب عزام.

ثم دارت مناقشة بين حضرات الأعضاء موضوعها:

أيقـــر المؤتمر لجنة اللهجات على الخطة التي وضعتها بفقراتها الخمس أو يكتفي بإقرارها على البحث في اللهجات وإقرارها على أن تمضي فيه؟

وانتهى حضرات الأعضاء إلى الموافقة بالأغلبية على القرار التالي[١]:

" قـــرر المؤتمـــر الموافقـــة عـــلى الخطة التي تقدمت بها لجنة اللهجات، وتيسير الوسائل التي تؤدي إلى تحقيق الأغراض التي تقدمت ببيانها في تقريرها الذي عرض على المؤتمر".

* * *

(١) سبق إيراد هذا القرار في مقدمة تقرير اللجنة، ص

الجغرافيا اللغوية وأطلس (برجشتراسر)(*)

للدكتور رمضان عبد التواب

خبير بلجنة اللهجات

يمـــتّ علم اللغة في العصر الحديث بصلات وثيقة إلى علوم أخرى، فهو يقتبس بعـــض طـــرائقها في معالجة الظواهر المختلفة، أو يفيد من النتائج التي وصلت إليها، في محاولة لفهم أسرار اللغة، وهي أرقى ما وصل إليه النشاط الاجتماعي لدى بني البشر.

ومـــن فروع علم اللغة في العصر الحديث علم الاجتماع اللغوي، وعلم النفس اللغـــوي، كما أن عالم اللغة لابد له من الإلمام بعلم الفسيولوجيا أو وظائف الأعضاء، وعلم التشريح، وعلم الطبيعة، في دراسة الأصوات اللغوية بأنواعها المختلفة.

ويتصـــل علم اللغة الحديث كذلك بعلم الجغرافيا اتصالاً وثيقًا، فقد اقتبس علم اللغة منذ أكثر من نصف قرن مضى طرائق علم الجغرافيا؛ ليضع حدودًا لغوية للهجات المخـــتلفة، في خرائط تبين معالم كل لهجة، وتفرق بين لهجة وأخرى، ولا تختلف هذه الخرائط عن خرائط الجغرافيا إلا في أن ما يدون عليها ظواهر لغوية، تطلع القارئ على أدق الفروق في الأصواتِ والمفردات، بين اللغات المختلفة واللهجات المتباينة.

وتطلعـــنا هـــذه الخـــرائط على الاختلافات الصوتية بين المناطق المختلفة، فقوم يجهـــرون أصواتًا، وقوم يهمسونها، وطائفة تنطق الفتحة صريحة، وأخرى تنطقها ممالة، ولهجة تنبر الكلمة في مقطعها الأول، وأخرى تنبر المقطع الأخير منها .. وهكذا.

كما يبرز في هذه الخرائط الدرس الواسع للمفردات، من حيث البنية والمترادفات المخـــتلفة للمعنى الواحد، واختلاف الألفاظ باختلاف المناطق اللغوية، ومقدار انتشار الكـــلمات في الأقطـــار والأقاليم، وغير ذلك مما يتيح لنا معرفة الواقع اللغوي للغة من اللغـــات، ســـواء كانت لغات فصحى أو مشتركة أو خاصة، أو لهجات اجتماعية أو إقليمية أو عاميات خاصة.

(*) نشر البحث بمجلة المجمع، الجزء السابع والثلاثين ، ص ١١٩ - ١٢٤.

هـــذه الدراســـة الجغرافية اللغوية، تعد من أحدث وسائل البحث في علم اللغة، ولهـــا وظيفة ذات أثر بالغ في الدراسات اللغوية في العصر الحديث؛ لأنها تسجل الواقع اللغوي للغات أو اللهجات على خرائط، يجمعها آخر الأمر أطلس لغوي عام، وتختص كـــل خـــريطة بكـــلمة أو بظاهرة صوتية معينة، يبدو فيها الاتفاق أو الاختلاف بين المـــناطق اللغوية المتعددة، ومما لا شك فيه أن هناك تشابهًا بين لهجة إقليمية وأخرى أو بـــين لهجتين اجتماعيتين، أو بين عاميات خاصة، ما دامت هذه جميعًا ترجع إلى أصل لغوي واحد.

وعلى الرغم من تقدم هذا الفرع من فروع الدراسة اللغوية، لدى علماء الغرب، فإنـــه لا يـــزال غض الإهاب في بلادنا، فليس لدينا في لغتنا العربية إلا محاولات قليلة مـــنها محاولة قام بها المستشرق الألماني برجشتراسر Bergstraesser لعمل أطلس لغوي لسوريا وفلسطين، نشره في ليبزج سنة ١٩١٥م.

و(برجشتراســـر) مستشرق ألماني مشهور، ولد في عام ١٨٨٦م، ونال درجة الدكـــتوراه من جامعة ليبزج سنة ١٩١١م، برسالته عن " استعمال حروف النفي في القـــرآن الكريم"، ودرس في جامعات ليبزج، وبرسلاو، وهيدلبرج. واستقر به المطاف بعد ذلك في ميونخ سنة ١٩٢٦م، وانتخب عميدًا لكلية الآداب بها سنة ١٩٢٨م.

وفي العـــام الجـــامعي ١٩٢٩ – ١٩٣٠م دعته كلية الآداب بالجامعة المصرية القديمـــة، لإلقاء محاضرات في النحو المقارن بعنوان: "التطور النحوي للغة العربية"، وقد طبع في مصر سنة ١٩٣٠م، ثم دعته الحكومة المصرية مرة ثانية في العام الجامعي ١٩٣١ – ١٩٣٢م لـــيلقي محاضـــرات في الجامعـــة عـــن تحقيق النصوص، وقد نشرت هذه المحاضـــرات بعـــد ذلـــك في كتاب بعنوان: " نقد النصوص ونشر الكتب " في مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية سنة ١٩٦٩م.

وكـــان (برجشتراســـر) يكره (هتلر) ودعوته النازية، لتفضيله الحديد على الـــزبد، وتفضـــيله العلـــوم العملية على العلوم النظرية، وكان لا يرى مانعًا من حمل

بندقيـــته والخروج لمحاربته، فدفع (هتلر) إليه بمن يقتله؛ وكان مغرمًا بتسلق الجبال، ففـــي إحدى المرات، حينما كان يتسلق الجبال ومعه طالب من طلبته، إذ تعلق الطالب بقدمـــه، فهوى من ارتفاع شاهق إلى قاع الوادي، حيث لقي حتفه في شهر أغسطس سنة ١٩٣٢م.

أمـــا أطلســـه اللغـــوي، الذي عمله لبلاد سوريا وفلسطين، فقد قـــام بعمل تســـجيلاته كلها بنفسه في عام ١٩١٤م، بعد أن حصل على إجازة من جامعة ليبزج، ليقضـــي شهورًا في بلاد الشرق، فسافر إلى الآستانة، ومنها إلى سوريا. وفيها تنقل بين بلادهـــا باحـــثًا وراء اخـــتلاف اللهجات الدارجة بها، فمكث أولاً في (دمشق)، ثم سافر إلى الجنوب في (معان) ثم إلى (حلب) في الشمال وفلسطين ولبنان.

وكانت حصيلة هذه التسجيلات، أن وضع أطلسًا لغويًا لسوريا وفلسطين، وهو عـــبارة عـــن ٤٢ خريطة تفصيلية، وخريطة واحدة إجمالية، مع شرح لغوي في كتاب مستقل، نشر في ليبزج سنة ١٩١٥م.

وســـنعرض فيما يلي لطريقة (برجشتراسر) في عمله هذا، كما بين هو ذلك في مقدمته لأطلسه؛ إذ ذكر أن بحث اللهجات العربية قبله كان مقصورًا على دراسة كل لهجـــة محلـــية دراسة مستقلة، وبين أن هذه الدراسات السابقة تفتقر إلى التكملة، عن طريق دراسة الفروق اللغوية، في مناطق كبيرة، باستخدام الجغرافيا اللغوية.

وقـــد اســـتخدم (برجشتراسر) الطريقة الألمانية[1]، في عرض جمل معينة على راوي الـــلهجة، غير أنه اختار جملاً متصلاً بعضها ببعض، في سياق قصة من القصص الشـــائعة في المـــنطقة، وعلل للسر في اختياره هذه الطريقة بأن المقارنة عن طريق قوائم الكـــلمات، لا يستطيع معها المرء أن يدرس الظواهر النحوية، التي تحتاج إلى التراكيب؛ فقال في المقدمة:

---

(١) انظر عرضًا للطريقتين الألمانية والفرنسية في عمل الأطالس اللغوية، في مقال للدكتور خليل عساكر ، بمجلة مجمع اللغة (الجزء السابع) ص ٣٧٩ – ٣٨٤.

" ويواجـــه تدبير المادة اللغوية القابلة للمقارنة، صعوبات كبيرة، بصرف النظر عـــن الصعوبات الأخرى، التي تعترض سبيل تسجيل اللهجات، فقد يكون من السهل عمـــل قوائـــم كلمات لموضوع ما، ولكن مثل هذه القوائم - كما هو معروف - لا تحـــتوي في الغالب إلا على أسماء وأعداد، وقد تحتوي على أفعال وصفات وحروف، غـــير أننا نفتقد هنا الأمر الذي لا يزال كل شيء بالنسبة لعرض اللهجة عرضًا كاملاً نوعًـــا ما، وهذا الأمر هو التركيب موضوع دراسة النحو، فإنه لا يمكن الحصول عليه بهـــذه الطـــريقة مطلقًا، فيما عدا بعض التصريفات النحوية، التي قد يخرج بها المرء بعد ســـاعات طويلـــة مـــن الأسئلة. وهكذا لم تبق إلا طريقة واحدة، وهي تسجيل نص مـــتكامل (أو عـــلى الأقـــل جمل متكاملة) . غير أن مثل هذا النمط من السلوك في معالجـــة اللهجة عن طريق النص الكامل، تصعب معه المقارنة الكاملة المطلوبة، فلم يبق إلا أن يقســـم الـــنص إلى جمـــل صغيرة، وينطق بها أمام الشخص الذي يمثل اللهجة (الـــراوي) وهـــو يعيدها منطوقة بلهجته، وهذا أمر خطير بالطبع، ويحتاج إلى حذر شـــديد للوثـــوق من أن الراوي يتحدث حقًّا بلهجته، ولا يحاول حسبما يستطيع أن يردد ما يسمعه من غيره، غير أنه لا يجوز لنا أن نبالغ في رفض الصيغ التي تشبه نظائرها في نطق المسجل أمام الراوي . وقد حدث لي في أحيان كثيرة، أن الأهالي عندما كنت أســـائل أحـــد الـــبدو في حضورهم، كانوا يحاولون - حينما يفهمون ما أريد - أن يصححوا للبدوي كل الصيغ الغريبة، التي ينطق بها البدوي على سجيته ".

وقـــد ذكر (برجشتراسر) الصعوبات التي قابلته في عمله الذي تولاه بنفسه في مـــنطقة واسعة، ومدة قصيرة نسبيًّا، فقال: " ومن القواعد المقررة أنه لا يجوز الاعتقاد فيما يرويه العربي عن لهجة لا يتكلمها هو نفسه.وإلى جانب هذا تأتي صعوبات أخرى، وعـــلى الأخـــص، عندما يكون في المكان الذي تبحث لهجته تعبيرات واصطلاحات أخـــرى، غير تلك التي ألقاها المسجل أمام الراوي، فإن المرء لا يحصل عليها عندئذ إلا بطريق الصدفة، أو في حالة ما إذا كان راوي اللهجة شخصًا ذكي الفؤاد.

"وعـــلى العموم فإن الطريقة المبينة من قبل، تظهر الفروق بين اللهجات، أقل مما هي عليه في الواقع – وإنه ليفترض دائمًا حتى الآن، أن الراوي قد أفلح عمومًا في فهم مـــا يــــريده المرء منه – وذلك عسير مع البدو خاصة – وأنه ذكي بدرجة كافية، فقد اضطررت إلى قطع التسجيلات في أحيان كثيرة، عند أول حديث مباشر في النص الذي عرضته؛ لأن الراوي لم يكرره على أنه حديث مباشر بضميره المناسب.

" وقد تضاعفت هذه الصعوبات بسبب بعض الأمور الأخرى، وقبل كل شيء بسبب ضيق الوقت الذي أملكه؛ إذ اضطررت للقيام بتسجيلاتي كلها في ٤٥ يومًا في منطقة ذات أبعاد هائلة. وهكذا أصبحت مراكز التسجيل أقل مما كنت أرغب. وفيما عـــدا ذلك، كان لابد أن يقصر النص المعد للتسجيل ، وأن يصرف النظر في كثير من الحالات عن فحص التسجيل ومراقبته بسبب ضيق الوقت. وقد تسببت العجلة كذلك، في أنني لم أكن حذرًا في انتقاء رواة اللهجة، إذ يجب أن يختاروا من بين الأفراد الذين لم يتعرضوا لأي تأثير أجنبي".

ويشير (أنطوان مييه) A. Meillet إلى مثل هذه الصعوبات التي تقوم في وجه تســـجيل لهجـــة ما، فيقول[١] : " فإذا كان الأمر يتعلق بلغة محلية، نجد أن الأشخاص الذين يستخدمونها محرومون عادة من كل ثقافة لغوية لوصفها. وأما الأجانب، ففضلاً عـــن أنهم يفهمونها فهمًا غير كامل، مع تفاوتهم في ذلك، فإنهم يجدون مشقة في تمييز الأشـــخاص الذيـــن يتكـــلمونها عـــلى نحو عادي، بل إنهم عندما يعثرون على هؤلاء الأشـــخاص ، لا يســـتطيعون بسهولة أن يأخذوا عنهم المعلومات اللازمة؛ وذلك لأن هـــؤلاء الأشخاص أنفسهم لا يعون على وجه دقيق الطريقة التي يتكلمون بها ؛ بل إن مجرد محادثة شخص يتكلم لغوة ما لشخص آخر لا يتكلم نفس هذه اللغوة – عادة – ليكفي لإلقاء الاضطراب ، في استعمال تلك اللغوة ، والحيدة بها عن الدقة ".

---

(١) انظر علم اللسان لأنطوان مييه ، ترجمة الدكتور محمد مندور ص ٤٥٤ – ٤٥٥ .

وقـد بـين (برجشتراسر) كيف اختار النص الذي عرضه على رواة اللهجة، فذكـر أنـه أخذ القصة المعروفة بقصة " الفلاح والثور والحمار والديك " في صيغتها الدمشقية، من كتاب (أوستروب) Oestrup، غير أنه أعاد كتابتها مرة أخرى، لكي يتجنـب الصـيغ الفصيحة فيها، ولكي يتأكد من عربيتها الدمشقية، بعد هذا كله ، عرضها على أحد الرواة من دمشق فأقرها.

وفيما يلي جزء من هذه القصة التي قسمها إلى ٩١ فقرة على النحو التالي:

" (١) كان فيه رجل فلاح (٢) بيعرف كلام الحواوين (٣) وعندو حمار وتور (٤) التور يحـرت الأرض (٥) والحمار يركب عليه الفلاح (٦) يوم من الأيام قال التور للحمار (٧) أنا طول النهار باشتغل (٨) وانته بتقعد (٩) ما بتعمل شي منوب (١٠) يـا ريـتني متلك يوم واحد (١١) اعطيني نصيحة إيشما كان (١٢) شوبدي أعمل (١٣) قاللو الحمار عندي نصيحة (١٤) قاللو فرجيني شو عنك (١٥) قاللو الليلة لا تاكل عليقك (١٦) بيجي صاحبنا بيشوفك (١٧) بيظن أنك ضيعف (١٨) بيدشرك يومين تلاتة (١٩) قاللو التور ايو الله هادا رأي (٢٠) رايح اعمل هيك ".

وفـيما يلي أمثلة من دراسته اللغوية، للهجات التي سجلها في سوريا وفلسطين، وأقام عليها أطلسه اللغوي:

ففي الناحية الصوتية مثلاً، لاحظ (برجشتراسر) أن (الكاف) يختلف نطقها بـين البدو والحضر، وأن كشكشة الكاف[1] لا تسود على العموم في الحضر إلا في منطقة صغيرة، وعلى الأخص في تلك الجهات التي تحول فيها البدو إلى مستوطنين في العصـر الحديث ، وأن المدن كلها تنطق بصوت الكاف، وأن مدينة (السلط) تنطق الكاف بالكشكشة، فيما عدا المتعلمين فيها؛ إذ ينطقون بالكاف، وأن منطقة (عنيزة) في الشـمال، تنطق الكاف بالكسكسة، وأن في شمال منطقة الكشكشة يتأرجح النطق بين الكاف المكشكشة وصوت (ty) كما في منطقة (سولم) مثلاً.

---

(١) انظر لظاهرة الكشكشة والكسكسة كتابنا " فصول في فقه العربية " ص ١٢٠ - ١٣٠ .

وبالنســبة إلى الصيغ لاحظ (برجشتراسر) مثلاً أن الضمير (نحن) ينطق (نحن) بين الحضريين في الشمال، وعدد قليل جدًّا من البدو. وينطق (إحنا) بين الحضريين في الجــنوب، والبدو في الغرب. وينطق " حِنّا " بين البدو في الشرق، كما يذكر أن عددًا قليلاً من البدو ينطق به (لحنا).

وفي الدلالــة على الزمن الحالي، يذكر (برجشتراسر) أن كل الحضريين يزيدون الــباء في أول المضارع، وإن لم يكن الجميع تابعين في هذا لقواعد تطابق تمامًا القواعد المتــبعة في دمشق، ودائرة الاستعمال في معظم الأحوال أوسع منها في دمشق. أما بين الــبدو فــلا تسود هذه الباء إلا لدى القليل جدًّا منهم، وربما يكون ذلك بسبب التأثر بالحضر.

وفي مجال المفردات يذكر " برجشتراسر " أن البدو يستخدمون في معنى (الآن) مــثلاً كلمة : (هسّع) أو (هسّاع) وكذلك الحضريون في شرقي الأردن. أما باقي الحضريين فإنهم يستخدمون " هلّقْ " أو " هلأ " أو " هلقت " أو " هلأت " وما أشبه ذلك . وكذلك يستخدمون " إسّا " أو هَلْقيت " أو " هلئيت ".

كمــا يذكر أن الحضر في الجنوب الغربي يقولون:"في عرضك "أو" بعرضك ". أما البدو هناك فيقولون :" دخالك " ، وباقي المناطق تقول: " دخيلك ".

هذه بعض أمثلة لما في هذا الأطلس اللغوي، من ملاحظات لغوية قيمة، ويلاحظ في هذا العمل أنه ككل دراسة جغرافية – وصفي بحت، يعنى بالواقع اللغوي ويسجله، ولا يهمــه البحــث عــن الأسباب والدواعي التي قادت إليه، أو بمعنى آخر، لا يعني بأصول الظواهر اللغوية، والقوانين التي أدت إلى تطورها، وهذا هو الفرق بين منهجين مــن مــناهج الدراســة اللغوية، وهما المنهج الوصفي الذي يبحث اللغة بحثًا عرضيًّا لا طولــيًّا، ويصــف مــا فيها من ظواهر مختلفة، ويسجل الواقع اللغوي تسجيلاً أمينًا، والمــنهج الــتاريخي الــذي يدرس اللغة دراسة طولية ويتتبع الظاهرة اللغوية في عصور مختلفة، محاولاً الوقوف على السر في تطورها.

وقـــد أشـــار (برجشتراسر) في خاتمة أطلسه اللغوي إلى ذلك، فقال: " وهذا البحث يرمي إلى توضيح الصلات اللغوية الحاضرة بين سوريا وفلسطين ".

وأمـــا بحث تطورها التاريخي، فإنه عمل قائم بذاته، ويحتاج في تنفيذه إلى النقل الواسع عن المراجع التاريخية.

وعـــلى العكـــس من ذلك لا تكمل البحوث التي تتعلق بلغة سوريا وفلسطين، ولا تلـــك الـــتي تتعلق بفتح العرب لهذه المنطقة، إلا بمعرفة الصلات اللغوية الحاضرة. وإذا كـــان الفتح العربي لهذه المنطقة قد أدى إلى اندثار اللغة الآرامية، فإن هذا البحث يحـــتاج إلى تكملـــة من جانب اللغة الآرامية، ممثلة في بحث تأثير الآرامية على العربية، وأثـــر العربية في اللهجات الآرامية الباقية، وهي لهجة "معلولا" إحدى قرى ضواحي دمشق . والله أعلم

* * *

القراءات واللهجات(*)

للأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي
عضو المجمع

مــن أهم أعمال لجنة اللهجات البحث عن اللهجات العربية القديمة، والكشف عمــا بيــنها مــن وجــوه الخلاف في شكل المفردات وأصواتها ومعانيها، وتصريف المشــتقات ووجــوه الإعــراب وطرق الأداء ... وما إلى ذلك، وبيان ما تركته هذه الــلهجات مــن آثار في اللهجات العامية المتداولة في الوقت الحاضر، في البلاد العربية وخاصة مصر.

ولتحقــيق هذا الغرض تلجأ اللجنة إلى مراجع كثيرة، من أهمها: التراث العربي شعره ونثره. وهذا مرجع هامّ جدًّا، ينبغي أن تتابع اللجنة الاعتماد عليه، مع بذل مزيد مــن الــتحرِّي في توثيق النصوص، فقد يكون بعضها موضوعًا، أو صادرًا ممن لا يوثق بعربيته، أو صادرًا بعد عصور الاحتجاج، أو يكون شكل مفرداته أو إعرابها أو وضع تراكيبه قد جاء لضرورة من ضرورات الشعر.

وأقترح أن توجِّه اللجنة في هذا الصدد قسطًا كبيرًا من العناية إلى قراءات القرآن الكريم، وخاصة القراءات التي أجمع الباحثون على تواترها أو تواتر معظم ما جاء فيها، لأن هــذا المــرجع موثوق به كل الثقة، ولأن في هذه القراءات مجالاً كبيرًا لاستنباط كثير من وجوه الخلاف بين اللهجات العربية القديمة.

وذلــك لأنّ معظــم وجــوه الاختلاف بين هذه القراءات يرجع إلى اختلاف الــلهجات العربية، وأن الشارع الحكيم قد قصد من تغير هذه الوجوه أن ييسر قراءة القرآن لمعظم قبائل العرب وبطونها التي كانت حينئذ في الجزيرة العربية، وفق ما درجت

(*) اقــتراح قدّم إلى لجنة اللهجات بمجمع اللغة العربية، من الأستاذ الدكتور علي عبد الواحد (عضو اللجنة)، وقد وافقــت اللجنة عليه، وأخذت في تطبيقه في عدة جلسات، عرض على مجلس المجمع في ١٨ فبراير سنة ١٩٨٥، في الدورة الحادية والخمسين. ونشر بمجلة المجمع، بالجزء السابع والخمسين ص ٩ – ١٥ .

عليه ألسنة كل منها في نواحي الأصوات والمفردات والاشتقاق والتراكيب وطرق الأداء ... وما إلى ذلك.

ويدلُّ على ذلك الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه: " أن النبي ﷺ كان عند أضاة بني غفار (وهو مستنقع في المدينة كان ينسب إلى هذه القبيلة) فأتاه جبريل فقال: إن الله يأمرك أن تُقرئ القرآن على حرف (أي على وجه واحد من وجوه لهجات العرب)، فقال: سل الله معافاته ومعونته، فإن أمَّتي لا تطيق ذلك، (أي لأنها متعددة اللهجات، فلا تُطيق قراءة القرآن وفق لهجة واحدة)، ثم أتاه الثانية، فقال: اقرأ على حرفين، فقال له مثل ذلك، ثم أتاه الثالثة بثلاث، فقال له مثل ذلك، ثم أتاه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تُقرئ أمتك على سبعة أحرف، فأيّما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا " (النووي على مسلم ٦/١٠٣).

فهذا الحديث صريح في أن الغرض الأساسي من اختلاف هذه الوجوه هو تيسير قراءة القرآن لمختلف القبائل، حتى تستطيع كل قبيلة منها قراءته وفق ما درجت عليه ألسنتها. وذلك أنه يصعب على أفراد قبيلة ما الانتقال من طرائق لهجتها إلى طرائق لهجة أخرى، بل قد يكون ذلك غير مقدور عليه ألبتَّة، وخاصة في طوائف الشيوخ والنساء والأميِّين، وهذه الطوائف كانت تستقطب حينئذ معظم العرب. وما قلنا في القبائل نقول مثله في بطون القبيلة الواحدة.

وقد روي هذا الحديث من عدَّة وجوه، وبلغ في صحته التواتر، حتى لقد رَوَى الحافظ أبو يعلى الموصلي، في مسنده الكبير:" أن عثمان بن عفان قد طلب يومًا، وهو على المنبر يخطب الناس، أن يقف كل من سمع هذا الحديث من الرسول ﷺ، فقاموا حتى لم يُحْصوا، فقال عثمان: وأنا أشهد معكم أني سمعته من رسول الله ﷺ".

وقد اختلف الحفَّاظ في تفسير كلمة " سبعة أحرف "، ولكنهم مُجْمعون على أنها تتضمن تيسيرًا لمعظم قبائل العرب، التي كانت في الجزيرة العربية في ذلك العهد،

بـأن تقـرأ كـل قبيلة منها في الحرف الذي اعتادته في لهجتها. وهذا هو ما يهمنا في موضوعنا.

وهذا، وقد روى البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قـال" سمعـت هشام بن حكيم يقرأ (سورة الفرقان) على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسـول اللـه ﷺ. فكـدت أساوره في الصلاة. فتصبرت حتى سلم. فلببته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي أسمعك تقرؤها ؟ فقال: أقرأنيها رسول اللـه ﷺ. فقلت: كذبت، فإن رسول اللـه ﷺ أقرأنيها على غير ما قرأت. فانطلقت به أقوده إلى رسول اللـه ﷺ. فقلت: إن هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها. فقال رسـول اللـه ﷺ: أرسله. اقرأ يا هشام. فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرؤها. فقال: كذلك أنزلت. ثم قال: اقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأنيها. فقال: كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه " (٩/٢٠ فتح الباري على صحيح البخاري).

وروى الإمام مسلم في صحيحه أن " أبي بن كعب قال: دخلت المسجد أصلي، فدخل رجل (هو ابن مسعود) فافتتح سورة النحل فقرأ فخالفني في القراءة. فلما انفتل قلت: من أقرأك؟ قال: رسول اللـه ﷺ. ثم جاء رجل فقام وصلى فقرأ فافتتح النحل فخـالفني وخالف صاحبي، فلما انفتل قلت: من أقرأك؟ قال: رسول اللـه ﷺ. قال: فدخـل في قلـبي مـن الشك والتكذيب أشد مما كان في الجاهلية. فأخذت بأيديهما وانطلقـت بهما إلى رسول اللـه ﷺ، فقلت استقرئ هذين، فاستقرأ أحدهما فقال: أحسـنت. فدخل قلبي من الشك والتكذيب أشد مما كان في الجاهلية. ثم استقرأ الآخر فقـال: أحسـنت. فدخل في صدري من الشك والتكذيب أشد مما كان في الجاهلية. فضـرب رسـول اللـه ﷺ صدري بيده، فقال: أعيذك باللـه يا أبيّ من الشك، ثم

تلا عليه الحديث السابق ذكره والخاص بإنزال القرآن على سبعة أحرف (النووي على مسلم ١٠٣/٦).

فهـــذان الاختلافان (اختلاف عمر مع هشام بن حكيم واختلاف أبي مع ابن مســـعود ورجــــل آخر) يدلان على أن الرسول عليه السلام كان قبل حدوثهما يقرأ القـــرآن على عدة وجوه. وكل ما هناك أن بعض الصحابة لم يكن قد سمع غير الذي كـــان يقـــرأ به، ولم يكن قد بلغه الحديث السابق ذكره، فظن في مبدأ الأمر أن الذي معه هو الحرف المعين في القراءة حتى هداه الرسول عليه السلام إلى الحقيقة.

وقد قلنا إن معظم وجوه الاختلاف بين القراءات يرجع إلى اختلاف اللهجات العربية، ولم نقل إن جميع وجوه الاختلاف يرجع إلى هذا الغرض؛ لأن طائفة من وجوه الاخـــتلاف بـــين هذه القراءات لا ترجع إلى اختلاف اللهجات، وإنما ترجع إلى أمور أخرى كالاختلاف في إثبات حرف أو كلمة أو حذفهما (مثال ذلك:" وسارعوا إلى مغفرة من ربكم "، " وقالوا اتخذ اللــــه ولدًا "، " فإن الله هو الغني الحميد " في سورة الحديــــد، " وتجرى من تحتها الأنهار " في سورة التوبة، بإثبات الواو في الآيتين الأوليين وإثـــبات هـــو في الآيـــة الثالـــثة وإثبات من في الآية الرابعة في قراءات وحذف هذه الأحـــرف والكلمات في قراءات أخرى). وكالاختلاف في توجيه المعنى وجهة خاصة (مـــثال ذلـــك :" غلبت الروم " ، " يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال ... " ببناء الفعلين للمجهول في قراءات وبنائهما للمعلوم في قراءات أخرى).

فهـــذه الأنواع وما شاكلها في اختلاف القراءات لا تهمنا في موضوعنا، لأنها لا علاقة لها بما نحن في صدد دراسته وهو اختلاف اللهجات.

وهـــذا، وأرى أن تتجه معظم غايتنا إلى القراءات السبع المجمع على تواترها، أو تواتـــر معظـــم ما جاء فيها (وهي قراءات ابن كثير ونافع وابن عامر وأبي عمرو بن العـــلاء وعاصم وحمزة والكسائي) والقراءات الثلاث التي يرجح الباحثون أنها متواترة كذلك (وهي قراءات يعقوب وأبي جعفر وخلف) .

ومعنى التواتر أن معظم ما جاء فيها ثبت سماعه عن الرسول عليه السلام عن جمع يستحيل تواطؤهم على الكذب. فكل قارئ من هؤلاء القراء قد أخذ قراءته مشافهة من صحابي أو تابعي ممن سمعوا هذه القراءة عن الرسول عليه السلام. فعاصم ابن أبي النجود مثلاً قد أخذ قراءته - وفق ما رواه هو عن نفسه - عن مصدرين: أحدهما الإمام أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي، وقد تلقى هذا قراءته عن عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وزيد بن ثابت وأبي بن كعب عن الرسول عليه السلام ، والمصدر الآخر هو الإمام زر بن حبيش عن ابن مسعود عن النبي عليه السلام، ورواية حفص عن عاصم تمثل ما تلقاه عاصم عن المصدر الأول ، ورواية شعبة عن عاصم تمثل ما تلقاه عاصم من المصدر الثاني.

و لم يأت واحد من هؤلاء بشيء من عنده، حتى إن كثيرًا منهم قد أثر عنه قوله:" لولا أنني سمعت الآية على هذا الوجه لأمكن لي قراءتها على وجه آخر"، و" لولا أن ليس لي أن أقرأ إلا بما سمعت لقرأت بحرف كذا وكذا "، ومن أجل ذلك حمل الحفاظ من القراء ورواة الحديث حملة شعواء على (الزمخشري) في نقده لقراءة ابن عامر: "وكذلك زُيِّنَ لكثير من المشركين قتل أولادَهم شركائهم"، وظنِّه أن ابن عامر قد جاء بهذه القراءة من عنده. بل كاد بعضهم يحكم بكفره. وفي ذلك يقول ابن المنير في تعقيبه على كلام الزمخشري في تفسيره (الكشاف): "و لم يعلم الزمخشري أن هذه القراءة قد قرأها الرسول عليه السلام على جبريل، ثم رواها النبي على عدد من التواتر من الأئمة إلى أن انتهت إلى ابن عامر، فقرأها كما سمعها. ولولا أن الزمخشري ليس من أهل الشأنين، أعني علم القراءة وعلم الأصول، لخيف عليه الخروج من ربقة الدين، وإنه مع هذا العذر لفي عهدة خطرة وزلة منكرة" (٢/٤١ الكشاف في تفسير القرآن للزمخشري مع تعقيبات ابن المنير عليه).

وأما ما يروى عن بعض أئمة القراءات السبع من عبارات يفهم منها أنهم قد تصرفوا باجتهادهم في قراءة بعض الآيات فهي روايات مختلقة مكذوبة عليهم.

ومـــع أنني أرى أن تتجه معظم غايتنا إلى هذه القراءات المتواترة، فإنني أرى ألا نغفـــل القراءات الشاذة، ومنها القراءات الأربع الزائدة على العشر، وهي قراءات ابن محيصـــن والأعمش ويحيى اليزيدي والحسن البصري. وذلك أن هذه القراءات الشاذة - وإن كـــان لا يصـــح التعبد بها ولا قراءتها في الصلاة - يمكن في ضوئها الوقوف على كـــثير مـــن مظاهر الاختلاف بين اللهجات العربية القديمة. وفي هذا يقول ابن جني في كـــتابه (المحتسب) الذي وقفه على الاحتجاج لشواذ القراءات والإيضاح عنها :" من ضروب هذه القراءات ما سماه أهل زماننا شاذًّا، أي خارجًا عن القراء السبعة ... إلا أنه مـــع خـــروجه عنها نازع بالثقة إلى قراءة ، محفوف بالروايات من أمامه وورائه، ولعله أو كثيرًا منه مُساوٍ في الفصاحة للمجتمع عليه ... ولسنا نقول ذلك فسحًا بخلاف القراء المجـــتمع في أهـــل الأمصار على قراءتهم، أو تسويغًا للعدول عما أقرته الثقات عنهم، لكـــن غرضنا منه أن نُرِي وجه قوة ما يسمى الآن شاذًّا، وأنه ضارب في صحة الرواية بجـــرانه، آخـــذ من سمت العربية مهلة ميدانه، لئلا يُرى مُرًّى (أي لئلا يظن ظان) أن العدول عنه إنما هو غَضٌّ منه أو تهمة له. ومعاذ الله، وكيف يكون هذا، والرواية تنميه إلى رسول اللـــه ﷺ، واللـــه تعالى يقول: " وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانـــتهوا " ... فكيف يسوغ مع ذلك أن نرفضه ونتجنبه، فإن قصر شيءٌ منه عن بلوغه إلى رســـول اللـــه ﷺ فلن يقصر عن وجه من الإعراب داع إلى الفسحة والإسهاب. إلا أنـــنا وإن لم نقرأ في التلاوة به مخافة الانتشار، ونتابع من يتبعُ في القراءة كل جائز روايـــة ودرايـــة ، فإننا نعتقد قوة هذا المسمى شاذًّا " (المحتسب، الأول ، ٣٢ ، ٣٣ تحقيق النجدي ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح شلبي).

غير أنه ينبغي اتخاذ مزيد من الاحتياط ومن التحري في توثيق النص وفي إسناده لمن يوثق بعربيته حينما يستدل بهذه القراءات الشاذة على اختلاف اللهجات.

وبين أيدينا الآن مراجع كثيرة لجميع هذه القراءات صحيحها وشاذها. فمن أهم المـــراجع في القراءات السبع: أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابة (القراءات)، و(ما

ورد في القــرآن من لغات العرب)، وابن مجاهد في كتابه (السبعة)، وأبو عمرو الداني في كتابه (التيسير)، والشاطبي في منظومته (حرز الأماني)، وأبو شامة في شرحه لهذه المــنظومة. ومــن أهم المراجع في القراءات الثلاث المتمة للعشر، والتي يرجح الباحثون أنها متواترة كذلك كتاب ابن الجزري (النشر في القراءات العشر). ومن أهم المراجع في القراءات الأربع بعد العشر كتاب الدمياطي البنا: (إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعــة عشــر). ومن أهم المراجع في القراءات الشاذة الأخرى والتي ينسب بعضها لــبعض الصــحابة كــتاب (المصــاحف) لابن أبي داود، و (المحتسب) لابن جني و (مختصر البديع) لابن خالويه، وكتاب (الشوارد) للصغاني.

وبــين أيدينا كذلك كثير من تفاسير القرآن التي تعنى ببيان الاختلاف في وجوه القراءات ومن أهمها تفسير (البحر المحيط) لأبي حيان .

وبــين أيدينا كذلك مراجع حديثة منها كتاب "القراءات واللهجات" للمرحوم الأســتاذ عبد الوهاب حمودة، وكتاب (مع المصاحف) للمرحوم الشيخ يوسف النور الســوداني، ومراجع لزملائنا أساتذة علم اللغة وفقه اللغة في الجامعات المصرية وغيرها، ومــنها مؤلفــات الأســتاذين الخــبيرين في اللجــنة الدكتورين رمضان عبد التواب وعبد الصبور شاهين.

وقــد عرضت أنا لموضوع القراءات واللهجات وما يتصل بذلك في نحو أربعين صــفحة مــن كتابي (فقه اللغة) وعرضت لهذه الموضوعات كذلك في كتابي (علم اللغــة) ، وفي عدة تعليقات على ما جاء في مقدمة ابن خلدون في هذا الصدد، وذلك في الطبعة التي قمت بتحقيقها والتعليق عليها.

وتدلــنا هــذه القراءات على وجوه كثيرة من وجوه الاختلاف بين اللهجات واللغات العربية القديمة، وما تركته هذه اللغات واللهجات من آثار في اللهجات العامية المتداولة في الوقت الحاضر في مختلف البلاد العربية وخاصة مصر. ومن أهم هذه الوجوه ما يتعلق بالنواحي الأربع الآتية :

١- اختـــلاف القـــراءات في وجـــوه الأداء تبعًا لاختلاف اللغات واللهجات العربـــية القديمـــة، كالإمالة ، والتسهيل ، والإدغام ، وترقيق بعض الحروف (وخاصة الـــراء)، وتغليظ حروف أخرى (وخاصة اللام المفتوحة عند وقوعها بعد صاد أو ضاد أو طـــاء أو ظاء مفتوحة أو ساكنة) ، ونقل حركة الحرف إلى الساكن قبله مع حذف هذا الحرف وهو المسمى بالنقل عند القرَّاء، والهمز وعدمه، ومخارج الحروف ... وما إلى ذلك من الوجوه .

٢- اختـــلاف القـــراءات في شكل الكلمات تبعًا لاختلاف اللغات واللهجات العربـــية القديمـــة. ففـــي القرآن الكريم مئات من الكلمات اختلف شكلها باختلاف القراءات، وكل شكل منها يمثل لغة أو لهجة عربية قديمة .

٣- اختلاف القراءات في وزن الأفعال وما يتصرف منها، وفي الجمع والتذكير والتأنيث تبعًا لاختلاف اللغات واللهجات العربية القديمة.

٤- اختـــلاف القـــراءات في الإعراب تبعًا لاختلاف اللغات واللهجات العربية القديمة .

وهـــناك وجه آخر وجَّه نظرَنا إليه زميلُنا الفاضل الأستاذ محمد شوقي أمين في مذكـــرته القيمة الملحقة بهذا البحث. وهو اختلاف معاني بعض المفردات القرآنية تبعًا لاختـــلاف الـــلهجات، وإن كان هذا الوجه لا علاقة له باختلاف القراءات؛ لأن هذا النوع من المفردات لا تختلف في قراءته القراءات. وينبغي أن يخصص لهذا الموضوع بحث على حدة.

وأمـــا فـــيما يتعلق برجع كل وجه من وجوه هذه الاختلافات إلى القبيلة التي جاء وفقًا للهجتها ، فإننا نجد كثيرًا من ذلك منصوصًا عليه في كتب القراءات والتفسير واللغـــة، ولا يضيرنا في شيء ألا نجد وجهًا من هذه الوجوه فيما أتيح لنا الاطلاع عليه من مراجع إلى القبيلة التي جاء وفقًا للهجتها. فإنه من المستحيل استقصاء جميع المراجع في هـــذا الصـــدد ولأنـــه متى التزم القارئ، وخاصة من أصحاب القراءات المتواترة،

بظاهرة لغوية في جميع مواقعها في القرآن الكريم، فإنه لا يمكن أن يكون قد أتى بها من عـــنده، ولابـــد أن تكـــون متفقة مع لغة من لغات العرب. وفي هذه الحالة يكفي أن نقـــول – كما يقول كثير من كتب اللغة –: ومن العرب من يذهب إلى كيت وكيت ودلـــيل ذلـــك قـــراءة فلان وفلان في جميع المواطن التي وردت فيها هذا هو الوضع (ونذكر بعض أمثلة من هذه المواطن).

وأرى مـــن الخير أن نستعين أحيانًا بخبير في القراءات، وخاصة في الأمور التي لا تمكـــن معرفـــتها بوجـــه يقـــيني إلا بسماعها ممن تلقوها مشافهة عن موقف، وذلك كالإمالـــة الصـــغرى والكـــبرى والتسهيل والروم والإشمام والنطق بالصاد بين مخرجي الضاد والزاي ... وما إلى ذلك.

هـــذا، وينبغي بعد الانتهاء من هذه البحوث وإقرارها في مجالس المجمع ومجالس المؤتمـــر أن تجمـــع في كتاب بعنوان (القرآن واللهجات) ، ويعقد فيه لكل وجه من الوجـــوه الأربع السابق ذكرها باب على حدة، يتفرع عند الاقتضاء إلى عدة فصول، ويلـــتزم فيه بالترتيب الأبجدي في الوجوه التي تقتضي هذا الترتيب ، مع العناية في كل فصـــل مـــن فصـــول هذا البحث ببيان ما تركته اللهجات العربية القديمة من آثار في اللهجات العامية المتداولة في الوقت الحاضر في مصر وفي البلاد العربية الأخرى .

* * *

أمثلة على صلة القراءات باللهجات

وسنذكر فيما يلي أمثلة لكل وجه من الوجوه الأربعة السابق ذكرها:

أولاً: أمثلة من اختلاف شكل الكلمات غير الأفعال باختلاف القراءات

١- ﴿ إِيَّـاك نعـبد ﴾ (الفاتحـة ٥) " بكسر الهمزة وتشديد الياء وبها قرأ الجمهـور. وبفتح الهمزة وتشديد الياء (أَيَّاك) وبها قرأ الفضل الرقاشي. وبكسر الهمزة وتخفـيف الـياء (إِيَـاك) وبها قرأ عمرو بن فايد عن أُبيٍّ بن كعب. وبإبدال الهمزة المكسـورة هاء (هياك) وبذلك قرأ أبو السوار الغنوي. وقال صاحب اللوائح: "وقد جـاء فيه (وياك) أبدلت الهمزة واوًا، فلا أدري أذلك عن الفراء أم عن العرب. وهذا عـلى العكس مما فروا إليه في نحو إشاح فيمن همز (أي في إبدال واو وشاح همزة)؛ لأنهـم فـروا من الواو المكسورة إلى الهمزة استثقالاً للكسرة على الواو، وفي (وياك) فروا من الهمزة إلى الواو " (البحر المحيط ٢٣/١).

وقد أورد ابن جني في (المحتسب) هذه القراءات وذكر أن فتح الهمزة لغة فيها، وأن إبـدال الهـاء بالهمزة تخفيف كقولهم في أرقت هرقت، واستدل عليه ببيت ينسب لمضرس بن ربعي أو لطفيل الغنوي وهو :

فهِيَّاك والأمْرَ الذي إن توسَّعَتْ ـــ موارِدُه ضاقتْ عليك مصادِرُه

ثم قال: وقرأ عمرو بن فايد " إِيَاك نعبد وإِيَاك نستعين " بتخفيف الياء فيهما ، فوزن " إِيا " على هذا فِعَل كِرِضًا وحِمًى (المحتسب الأول ٣٩ – ٤١).

ووردت كذلك قراءات أبي السوار الغنوي والفضل الرقاشي وعمرو بن فايد في مختصر البديع لابن خالويه (ص١).

هذا، وقد فقدت هذه الكلمة في اللهجات العامية المصرية معنى الضمير وتخصص استعمالها للتحذير.

٢- ﴿ ولا الضالين ﴾ (الفاتحة ٧): قال أبو حيان في البحر المحيط : " قرأ أيوب

السختياني﴿ولا الضألّين﴾ بإبدال الألف همزة فرارًا من التقاء الساكنين، وحكى أبو زيد دأبة وشأبة في كتاب النوادر وجاءت منه ألفاظ، ومع ذلك فلا يقاس هذا الإبدال لأنه لم يكثر كثرة توجب القياس . نصَّ على أنه لا ينقاس عند النحويين. وقال أبو زيد: سمعت عمرو بن عبيد يقرأ: ﴿ فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جأنّ ﴾ (الرحمن ٣٩) فظننته قد لحن حتى سمعت عن العرب دأبّة وشأبّة. قال أبو الفتح ابن جني في المحتسب وعلى هذه اللغة قول كثيِّر: إذا ما العوالي بالعبيط احمأرت (صدر البيت: وأنت ابن ليلى خير قومك مشهدا). والبيت من قصيدة في مدح عبد العزيز بن مروان، وقول الآخر (الصحيح أن البيت الآتي هو لِكُثَيِّر نفسه لا لشاعر آخر):

وللأرض أما سودها فتجلتْ   بياضًا وأما بيضها فادهأمّت

وعلى ما قاله أبو الفتح: إنه لغة، ينبغي أن ينقاس ذلك (البحر المحيط،الأول٣٠).

وفي مختصر البديع لابن خالويه:"ولا الضألين، بالهمز، أيوب السختياني" (ص١).

٣- ﴿لا ريب فيه ﴾ (البقرة) " بضم الهاء في فيه، قراءة مسلم بن جندب (مختصر البديع لابن خالويه ص ٢).

٤- ﴿ وبالآخرة هم يوقنون ﴾ (البقرة٤)" قرأها أبو حية النميري (يؤقنون) بالهمزة " (الشوارد للصغاني ص١، ومختصر البديع لابن خالويه ص٢) . ويمكن أن يعد هذا من باب اختلاف الشكل في الأفعال .

٥- ﴿ وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ (البقرة ٧) " قرأ السبعة بكسر الغين، وهي لغة الحجاز، وقرأ عبد الله والأعمش بفتحها، وهي لغة ربيعة، وقرأ الحسن، وزيد بن علي، وعبد الله أيضًا بضمها، وهي لغة عُكليَّة، وقرأ بعضهم غِشْوَة، وأصوب هذه القراءات: ما عليه السبعة من كسر الغين على وزن عمامة "(البحر المحيط الأول ٤٩).

" الغِشاوة والغَشاوة لغتان، وقرأ زيد بن علي واليماني: وعلى أبصارهم غُشاوة بالضم " (الشوارد للصغاني ص٢).

" غُشَّاوة " عن الحسن " غَشَاوة " عن الحسن أيضًا " غشوة سفيان وأبو رجاء (مختصر البديع لابن خالويه ص٢).

٦- ﴿ في قُلوبِهــم مَرَضٌ ﴾ (البقرة ١٠) قال ابن جني في المحتسب: " قرأ ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي عن أبي عمرو﴿ في قلوبهم مَرْضٌ﴾ بسكون الراء. ولا يجــوز أن يكون " مَرْض " مخففًا من " مَرَض "، لأن المفتوح لا يخفف ، وإنما ذلك في المكســور والمضــموم كإبل وفخِذ وطُنُب وعُمُد. وما جاء عنهم في ذلك في المفتوح فشــاذ لا يقــاس علــيه "، وبعد أن ذكر أمثلة لذلك من الشعر قال: وهذا ونحوه في الضــرورة، والقرآن يَتَخيَّر ولا يُتخيَّر عليه. وينبغي أن يكون "مَرْض" هذا الساكن لغة في مَــرَض كالحَلْب والحَلَب والطَّرْد والطَّرَد " (المحتسب لابن جني الأول ٥٣، ٥٤). وفي الشــوارد للصــغاني: " المرض بسكون الراء مَرَض القلب خاصَّة، وقرأ أبو عمرو: ﴿ في قلوبهم مَرْض فزادهم الله مرضًا ﴾ (الشوارد للصغاني ٣).

٧-﴿ أنؤمــن كما آمن السفهاء ألا﴾ (البقرة ١٣) في قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وأبي جعفر ورويس عن يعقوب تبدل همزة ألا واوًا .

٨- ﴿حملته أمه كرهًا ووضعته كرهًا ﴾ (الأحقاف ١٥): قرأ الجمهور بضم الكــاف، وقرأ سيبويه وأبو جعفر والأعرج والحرميان (ابن كثير ونافع) بالفتح. والضم والفتح لغتان بمعنى واحد. وقد وردت القراءتان كذلك في كلمات كثيرة من هذا النوع في القــرآن الكــريم، منها البخل والضعف والقرح. وتسير اللهجات العامية في مصر على الضم في " الكره " و " البخل ".

٩- ﴿مــن يــوم الجمعــة ﴾ (الجمعة ٩) قرأ الجمهور بضم الميم وهي لغة الحجــازيين، وقــرأ ابن الزبير وأبو حيَّة وابن أبي عبلة ورواية عن أبي عمرو وزيد بن عــلي والأعمــش بسكونها وهي لغة تميم – وعلى اللغة الأخيرة تسير معظم اللهجات العامية المعاصرة في مصر .

١٠- ﴿ تـــأكل منسأته ﴾ (سبأ ١٤) قرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر بألف بعد السين من غير همزة، وهي لغة الحجاز، وهذه الألف بدل من الهمزة، وهو مسموع عـــلى غـــير قـــياس، ووافقهم يحيى اليزيدي والحسن. وقرأ الباقون على الأصل بالهمزة المفتوحة (إتحاف فضلاء البشر ٣٥٨).

قال سيبويه: " واعلم أن الهمزة التي يحقق أمثالَها أهلُ التحقيق من بني تميم وأهل الحجـــاز وتجعل في لغة أهل التخفيف بين بين ، وتبدل مكانها الألف إذا كان ما قبلها مفـــتوحًا والياء إذا كان ما قبلها مكسورًا، والواو إذا كان ما قبلها مضمومًا، وليس ذا بقـــباس متلئب، وإنما يحفظ عن العرب... فمن ذلك قولهم: منساة وإنما أصلها منسأة " (شرح شواهد الشافية ٣٣٥ ، والبحر المحيط ٢٥٥/٧)

١١- ﴿ فلأمـــه الثلـــث ﴾ (النساء ١١). قرئ بضم الهمزة وكسرها وهما لغـــتان. قال أبو جعفر النحاس في كسر همزة "فلأمه": هذه لغة حكاها سيبويه، قال: وهـــي لغة كثير من هوازن وهذيل . وقراءة الكسر لحمزة والكسائي، والباقون بضمها (الإتحـــاف ١٨٧). هـــذا، وتسير جميع اللهجات العامية المعاصرة في مصر علي ضم الهمزة، وتسير بعض لهجات الشام ولبنان علي كسرها.

١٢- ﴿وزنـــوا بالقسطاس ﴾ (الإسراء ٣٥): قرئت كلمة القسطاس بكسر القاف (حفص عن عاصم) وقرئت بضمها (وهي قراءة معظم السبعة)، وهما لغتان فالضم لغة الحجاز والكسر لغة غيرهم (البحر المحيط ٣٤/٦، الإتحاف ٢٨٣)

١٣- ﴿ولـــيجدوا فـــيكم غلظة﴾ (التوبة ١٢٣) : قرأ الجمهور بكسر الغين وهـــي لغـــة أسد، وقرأ الأعمش وأَبان بن تغلب والمفضل كلاهما عن عاصم بفتحها وهـــي لغة الحجاز. وقرأ أبو حيوة والسلمي وابن أبي عبلة والمفضل وأبان أيضًا بضمها وهي لغة تميم (البحر المحيط ٥/ ١١٥ ، الإتحاف ٢٤٥).

١٤- ﴿أو يأتيهم العذاب قبلا﴾ (الكهف ٥٥): قرأ الحسن والأعرج والأعمش

وابـــن أبي ليلى والكوفيون (عاصم وحمزة والكسائي) بضم القاف والباء وهي لغة تميم، وقرأ باقي السبعة ومجاهد وعيسى بن عمر بكسر القاف وفتح الباء، وهي لغة .

١٥- ﴿إن يـــأجوج ومـــأجوج﴾ (الكهـــف ٩٤) : قرأ عاصم والأعمش ويعقوب بالهمز وهي لغة بني أسد، ذكره الفراء. وقرأ باقي السبعة بألف غير مهموزة، وهي لغة جميع العرب غير بني أسد (البحر المحيط ٦/١٦٣ والإتحاف ٢٩٥).

١٦- ﴿هـــيهات هـــيهات لما توعدون ﴾ (المؤمنون ٣٦): قرأ الجمهور بفتح الـــتاءين وهي لغة الحجاز، وقرأ أبو جعفر وشيبة بكسرهما وهي لغة تميم وأسد (البحر المحيط ٦/٤٠٤، والإتحاف ٣١٨).

ثانيًا: أمثلة من اختلاف شكل الأفعال والمشتقات والجمع والتذكير والتأنيث باختلاف القراءات

١- ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ (الفاتحة ٥): قرأ زيد بن علي ويحيى بن وثاب وعبـــيد ابن عمير الليثي نعبد (بكسر النون). وقرأ الجمهور بفتح النون. وكذلك قرأ الجمهـــور بفـــتح نون نستعين، وقرأ عبيد بن عمير الليثي وزرّ بن حبيش ويحيى وثّاب والـــنخعي والأعمـــش بكســـرها. والفـــتح في حرف المضارعة هي لغة الحجاز وهي الفصـــحى، والكسر لغة قيس وتميم وأسد وربيعة. وقال أبو جعفر الطوسي في تفسيره (وهو من أئمة الشيعة الجعفرية): إن الكسر هي كذلك لغة هذيل (البحر المحيط الأول ٢٣، ٢٤)"نِسْتعين بكسر نون المضارع جناح بن حبيش المقرئ" (مختصر البديع ص١).

هـــذا ، وعلى كسر حرف المضارع تسير اللهجات العامية المتداولة في مصر في العصر الحاضر.

٢- ﴿ومـــا يخدعون إلا أنفسهم ﴾ (البقرة ٩): " قرأ أبو طالوت عبد السلام ابن شداد والجارود بن أبي سبرة: وما يُخْدَعون إلاَ أنفسَهم (بناء الفعل للمجهول). وهـــذا على حد قولك خَدَعْتُ زيدًا نفسه، ومعناه عن نفسه. أي بحذف حرف الجر

ووصـــل الفعل كقوله تعالى: ﴿ واختار موسى قومه ﴾ أي من قومه. وإن شئت قلت حملـــه عـــلى المعنى، وذلك أن قولك خدعت زيدًا عن نفسه يدخله معنى انتقمته نفسَه وملكـــت عليه نفسَه، وهذا من أشد وأدق مذاهب العربية (يقصد تضمين الفعل معنى فعل آخر) (المحتسب الأول ٥١ ، ٥٢).

" ويُخَدَّعـــون بالتشديد مورق الجعلي، ويُخادَعون بفتح الدال أبو طالوت عن أبيه " (البديع لابن خالويه ص٢).

٣- ﴿ وإذا قـــيل لهم ﴾ (البقرة ١١): قال أبو حيان في البحر المحيط: " الفعل الـــثلاثي الـــذي انقلبـــت عين فعله ألفًا في الماضي إذا بني للمفعول أخلص كسر أوله وسكنت عينه ياء في لغة قريش ومجاوريهم مُن بنى كنانة، وضُمَّ أولها عند كثير من قيس وعُقيل ومن جاورهم وعامة بني أسد.

وهـــذه اللغة قرأ الكسائي وهشام في: قيل وغيض وحيل وسيء وسيئت وجيء وسيق (إشمام كسرة القاف حركة الضم مع بقاء الياء) . ووافقه نافع وابن ذكوان في: ســـيء وسيئت وزاد ابن ذكوان: حيل وسيق. وباللغة الأولى قرأ باقي القراء. وفي ذلك لغة ثالثة وهي إخلاص ضم فاء الكلمة وسكون عينه واوًا، ولم يُقْرأ بها، وهي لغة لهذيل وبني دُبَير. والكلام على هذه اللغات وتوجيه أحكامها مذكور في كتب النحو. (البحر المحيط الأول ٦٠ ، ٦١).

٤- ﴿إنمـــا نحن مستهزئون﴾ (البقرة ١٤) : تبدل الهمزة ياء مضمومة لحمزة عـــند الوقـــف، وعنده أيضًا وجهان آخران عند الوقف أحدهما تسهيل الهمزة والآخر حـــذف الهمزة مع ضم الزاي. والوجه الأخير هو كذلك قراءة أبي جعفر. وفي البديع لابن خالويه ويقرؤها يزيد القعقاع ياء مضمومة في الوقف والوصل (البديع ٢).

٥- ﴿الله يســـتهزئ بهم ﴾ (البقرة ١٥) : تبدل الهمزة ياءً ساكنة عند الوقف في قراءة حمزة وهشام (عن ابن عامر).

٦- ﴿أئـذا ضللنا في الأرض﴾ (السجدة ١٠): قرأ الجمهور بفتح اللام وهي لغـة أهل نجد، وقرأ يحيى بن يعمر وابن محيصن وأبو الرجاء وطلحة وابن وثاب بكسر اللام وهي لغة غيرهم.

٧- ﴿إذا قومـك مـنه يصدون﴾ (الزخرف ٥٧): قرأ أبو جعفر والأعرج والـنخعي وأبـو رجاء وابن وثاب وعامر ونافع والكسائي بضم الصاد، وقرأ عاصم والفراء بكسرها، وهما لغتان مثل يعرُشون ويعرِشون .

٨- ﴿والهـدي معكوفا﴾ (الفتح ٢٥): قرأ الجمهور بسكون الدال وهي لغة قريش . وقرأ ابن هرمز والحسن وعصمة عن عاصم وخارجة عن أبي عمر " والهَدِيّ " بكسر الدال وتشديد الياء وهي لغة تميم كمطية ومَطِيّ.

٩- ﴿سـنفرغ لكم أيها الثقلان ﴾ (الرحمن ٢١): قرأ الجمهور بضم الراء من فـرغ بفتح الراء وهي لغة الحجاز، وقرأ قتادة والأعرج بفتح الراء مضارع فرغ بكسر الراء وهي لغة تميم.

١٠- ﴿إني لـيحزنني أن تذهبوا به﴾ (يوسف ١٣): قرأ نافع بضم الياء وكسر الراء من أحزنه يحزنه وهي لغة تميم، وقرأ عاصم لَيَحْزُنني بفتح الياء وضم الياء ، فالفعل متعد بنفسه، وهي لغة قريش.

١١- ﴿ويهيـئ لكـم مـن أمركم مرفقا ﴾ (الكهف ١٦): قرأ أبو جعفر والأعـرج وشـيبة وحميد وابن سعدان ونافع وابن عامر بفتح الميم وكسر الفاء، وعن الفـراء هـي لغة الحجاز وقرأ الباقون بكسر الميم وفتح الفاء وهي لغة غيرهم (البحر المحيط ١٠٧/٦، والإتحاف ٢٨٨).

١٢- ﴿أو الطفـل الذين لم يظهروا على عورات النساء ﴾ (النور ٣١): قرأ الأعمـش عَـوَرات بفتح الواو، وهي لغة هذيل بن مدركة وبني تميم، وقرأ الجمهور بإسـكان الواو. قال البغدادي في الخزانة: لغة هذيل فتح عين فَعَلات جمع فَعْلة المعتلة العين مثل جوزة وجوزات وبيضة وبيضات (البحر المحيط ٤٢٦/٣ و ٤٧٢/٦)

١٣- ﴿إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما ﴾ (البقرة ٢٦): قرأ ابن محيصن يستحي بكسر الحاء وحذف الياء من استحى يستحي، وهي لغة تميم. وقرأ الباقون يستحي بياء بعد الحاء وهي لغة غيرهم (الإتحاف ١٣١) وتسير اللهجات العامية المعاصرة في مصر على حذف الياء .

١٤- ﴿قال رب إني وهن العظم مني﴾ (مريم ٤): قرأ الجمهور وهن بفتح الهاء، وقرأ الأعمش بكسرها، وقرئ بضمها وهي ثلاث لغات في هذا الفعل (البحر المحيط ١٧٣/٦)

١٥- ﴿وترى الناس سكارى ﴾ (الحج ٢): قرأ الجمهور سكارى بضم العين. وقرأ أبو هريرة وأبو نهيك وعيسى بفتح السين، قال أبو حاتم هي لغة تميم، وكذا قرأ حمزة والكسائي وخلف . (البحر المحيط ٣٥٠/٦ ، الإتحاف ٣٠٣).

وكذلك كلمة كسالى (النساء١٤٢). وهذا وتسير اللهجات العامية المعاصرة في مصر على لغة الفتح .

١٦- ﴿فأسر بأهلك﴾ (في ثلاث سور في هود والحجر والدخان): قرأ نافع وابن كثير بوصل الهمزة من سرى يسري، وقرأ الباقون بهمزة قطع مفتوحة من أسرى (إبراز المعاني ٣٥٠، الخزانة ٥٥١/١، الإتحاف ٣٥٩).

١٧- ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله ﴾ (آل عمران ١٦٩) قرأ نافع بكسر السين في مضارع حسب في جميع مواطن وروده في القرآن. وقد جاء في المصباح للفيومي: حسبت زيدًا قائمًا أحسبه من باب تعب في لغة جميع العرب إلا بني كنانة فإنهم يكسرون المضارع مع كسر الماضي أيضًا على غير قياس.

١٨- ﴿الصراط المستقيم ﴾ (الفاتحة ٥): قال أبو جعفر الطوسي في تفسيره: أهل الحجاز يؤنثون الصراط كالطريق والسبيل والزقاق والسوق. وبنو تميم تذكر هذا كله وعلى لغة تميم ذكر الصراط في الآية .

ثالثًا: أمثلة من اختلاف طرق الأداء وأصوات الحروف ومخارجها باختلاف القراءات

١- ﴿الرحـــيم مالك﴾ (الفاتحة ٣ ، ٤): إدغام الميم في الميم وتسكين الأولى وفـــتح الثانـــية والـــنطق بهما كأنهما ميم مشددة: السوسي عن أبي عمرو عن طريق الشـــاطبية، وأبـــو عمرو براوييه (السوسي والدوري) عن طريق الطيبة ويعقوب عن طـــريق الطيبة ويسمى هذا بالإدغام الكبير عند أبي عمرو، وهو مطرد في قراءته في كل حرفين من هذا القبيل، مثل: ﴿ وترى الناس سكارى ﴾ و﴿ لا تبديل لكلمات الله ﴾ و﴿فيه هدى﴾، ﴿في قلوبهم مرض ﴾.

٢- ﴿اهدنـــا الصراط﴾ (الفاتحة ٦): " أصل الصراط بالسين، وعلى الأصل جـــاءت قراءة قنبل (عن ابن كثير) ورويس (عن يعقوب). وإبدال سينه صادًا هي الفصـــحى، وهي لغة قريش،وبها قرأ الجمهور، وبها كتبت في الإمام، وإشمامها زايًا لغة قيس، وبها قرأ حمزة بخلاف وتفصيل عن رواته. قال أبو علي (الفارسي) وروي (هذا) عـــن أبي عمرو. (وروي عنه كذلك السين والصاد والمضارعة (التوسط) بين الزاي والصاد (كما ينطق في العامية المصرية الظاء العربية) ورواه عنه العريان عن أبي سفيان. وروى الأصـــمعي عـــن أبي عمرو أنه قرأها زايًا خالصة. قال بعض اللغويين ما رواه الأصمعي في هذه القراءة خطأ منه. وإنما سمع أبا عمرو يقرؤها بالمضارعة (أي بالتوسط بـــين الصـــاد والزاي) فتوهمها زايًا، ولم يكن الأصمعي نحويًّا فيُؤْمَن على هذا. وحكى هـــذا الكلام أبو علي عن أبي بكر بن مجاهد. قال أبو جعفر الطوسي في تفسيره، وهو إمـــام مـــن أئمة الإمامية: الصراط بالصاد لغة قريش وهي اللغة الجيدة، وعامة العرب يجعلونها سينًا. والزاي لغة لعذرة وكعب وبني القين . وقال أبو بكر: وهذه القراءة تشير إلى أن قـــراءة مـــن قرأ بين الزاي والصاد تكلف حرفًا بين حرفين، وذلك صعب على اللســـان، وليس بحرف يبنى عليه الكلام، ولا هو من حروف المعجم، ولست أدفع أنه من كلام فصحاء العرب إلا أن الصاد أفصح " البحر المحيط، الأول ٢٥ ".

٣- ﴿المستقيم﴾ (الفاتحة ٦): حدث اختلاف كبير في مخرج القاف عند العرب، وفي هذا يقول ابن خلدون في مقدمته في أثناء كلامه على لغة البدو في عهده إذ يقلبون القاف جافًا (كما ينطق بها في معظم اللهجات العامية في مصر والبلاد العربية الأخرى): " ومما وقع في لغة هذا الجيل العربي لهذا العهد (يقصد بذلك لغة البدو في عهده) حيث كانوا من الأقطار، فإنهم لا ينطقون بها من مخرج القاف عند أهل الأمصار، كما هو مذكور في كتب العربية أنه من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى كما هي، بل يجيئون بها متوسطة بين الكاف والقاف (وهي الجاف التي تسير عليها معظم اللهجات العامية في مصر وغيرها من البلاد العربية). وهو موجود للجيل أجمع حيث كانوا من غرب أو شرق، حتى صار ذلك علامة عليهم من بين الأمم والأجيال لا يشاركهم فيها غيرهم . حتى إن من يريد التعرب والانتساب إلى الجيل والدخول فيه يحاكيهم في النطق بها. وعندهم أنه إنما يتميز العربي الصريح من الدخيل في العروبة والحضري. بالنطق بهذه القاف. ويظهر بذلك أنها لغة مضر بعينها. فإن هذا الجيل الباقين معظمهم ورؤساؤهم شرقًا وغربًا من ولد منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن عيلان من سليم بن منصور ومن بني عامر بن صعصعة بن معاوية ابن بكر بن منصور. وهم لهذا العهد أكثر الأمم في المعمور وأغلبهم، وهم من أعقاب مضر، وسائر الجيل منهم في النطق بهذه القاف أسوة .

وهذه اللغة لم يبتدعها هذا الجيل، بل هي متوارثة فيهم متعاقبة. ويظهر من ذلك أنها لغة مضر الأولين ولعلها لغة النبي ﷺ بعينها. وقد ادعى ذلك فقهاء أهل البيت (يقصد فقهاء الشيعة) وزعموا أن من قرأ في أم الكتاب ﴿اهدنا الصراط المستقيم ﴾ بغير القاف التي لهذا الجيل فقد لحن وأفسد صلاته .

و لم أدر من أين جاء هذا؟ فإن أهل الأمصار أيضًا لم يستحدثوها (فإنهم كانوا لعهده ينطقون القاف قافًا) ولا يزال معظم أهل تونس والجزائر والمغرب إلى هذا العهد ينطقون القاف قافًا، وإنما تناقلوها من لدن سلفهم، وكان أكثرهم من مضر لما دخلوا

الأمصـــار مـــن لدن الفتح. وأهل الجيل أيضًا لم يستحدثوها " المقدمة، طبعة دار نهضة مصـــر، تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي، الجزء الثالث ١٢٨٣، ١٢٨٤). فيظهر من كلام ابن خلدون أن كلا النطقين يمثل لغة قديمة من لغات العرب .

٤- ﴿أنعمت عليهِم﴾ (الفاتحة ٧): قال أبو حيان في البحر المحيط: " حكى القـــوم في علـــيهم عشر لغات: عليهِمْ وهي قراءة الجمهور ، عليهُم وهي قراءة حمزة ويعقـــوب، عليهِمِي وهي قراءة الحسن وزاد ابن مجاهد أنها قراءة عمرو بن فايد، عليهِمِ وهـــي قراءة عمرو بن فايد ، عليهِمُو وهي قراءة ابن كثير وقالون بخلاف عنه (وهي كذلك قراءة أبي جعفر) عليهِمُ، عليهِمُو وهي قراءة الأعرج والخفاف عن أبي عمرو، عليهُمُ ، عليهُمِي ، عليهُمِ وقرئ بهما (البحر المحيط ص ٢٦ ، ٢٧).

- وفي المحتســـب لابـــن جني: " وذكر أبو بكر أحمد بن موسى أن فيها سبع قراءات (وذكر سبعة أوجه من الأوجه السابق ذكرها)، ثم قال: " وزاد الحسن سعيد ابن مسعدة الأخفش على ما قال ثلاثة أوجه، فصار الجميع عشرة أوجه" (وذكر ثلاثة أوجـــه مـــن الأوجـــه الســـابقة وذكر من قال بهذه الأوزان، وعلل كل وزن منها) (المحتسب الأول ٤٣ - ٣٦).

- وفي مختصـــر البديع لابن خالويه: " عليهُمُ بضم الهاء والميم ابن أبي إسحاق، عليهِمِ بكسر الهاء والميم الحسن البصري وعمرو بن فايد " (البديع ١)

- هـــذا، وتسير اللهجة العامية المعاصرة المتداولة في مصر وفي كثير من البلاد العزبية على ضم الهاء وسكون الميم .

وفي الـــلهجة العامـــية المصرية تقلب الياء الساكنة إلى حرف لين يشبه صوتé الفرنسي .

٥- ﴿يؤمـــنون بالغيب﴾ (البقرة ٣): عدم الهمز ورش والسوسي وأبو جعفر وصـــلاً ووقفًـــا. وبالهمزة قرأ الباقون. والهمز لغة تميم وعدم الهمز لغة الحجاز - وهذا مطرد على النحو المبين في كتب القراءات.

٦- ﴿يقـــيمون الصلاة﴾ (البقرة ٣): تغليظ الصاد ورش عن نافع . والقاعدة هـــي تغلـــيظ الـــلام المفتوحة إذا وقعت بعد صاد أو ضاد أو طاء أو ظاء مفتوحة أو ســـاكنة . وهـــي قراءة ورش عن طريق الأزرق من الشاطبية والتيسير - وباقي القراء يرققون هذه اللامات .

٧- ﴿وبالآخـــرة هـــم يوقنون﴾ (البقرة ٤): جمهور القراء على تسكين لام الـــتعريف وإقـــرار الممـــدودة، وورش عن نافع ينقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ويحذف الهمزة ويسمى هذا عند القراء بالنقل. ويطرد هذا عند ورش إذا توافر شرطان: الأول أن يكـــون الساكن آخر الكلمة والهمز أول الكلمة التي تليها، والشرط الثاني أن يكون الساكن صحيحًا أي ليس حرف مد نحو: في أنفسهم ، واقتصر ورش على هذا الوضـــع لأنه المنقول إليه عن الرسول ﷺ، وليس هذا الشرطان لازمين في لغة من يجيز النقل، فالنقل عندهم جائز في وسط الكلمة كما هو جائز في آخرها (إبراز المعاني لأبي شامة شرح الشاطبية ١١٥).

وتســـير بعـــض اللهجات العامية في مصر وغيرها على طريقة النقل في بعض المواضع .

٨- ﴿وبالآخرة هم يوقنون﴾ (البقرة ٤): ترقق راء "وبالآخرة" عند ورش عن نافع، وهو مطرد عنده على شرط أن يكون قبلها كسرة متصلة بها في نفس الكلمة أو ياء ساكنة .

٩- ﴿ولهم عذاب أليم﴾ (البقرة ١٠): تنقل الهمزة إلى نون التنوين وتحذف الهمزة عند ورش عن نافع. وهذا من باب النقل الذي تكلمنا عليه في رقم ٧. ومن هذا يتـــبين أنه لا يشترط في النقل أن يكون الحرف الأول حرفًا مكتوبًا في الكلمة بل يمكن أن يكون نون التنوين.

١٠- ﴿ســـواء عليهم أأنذرتهم﴾ (البقرة ٦): قال أبو حيان في البحر المحيط: " لغة تميم تحقيق الهمزتين (أي النطق بهما همزتين) في نحو أأنذرتهم، وبه قرأ الكوفيون

(عاصم وحمزة والكسائي) وابن ذكوان (عن ابن عامر) وهو الأصل. وأهل الحجاز لا يـــرون الجمع بينهما طلبًا للتخفيف. فقرأ الحرميان وأبو عمرو وهشام (عن ابن عامر) بتحقـــيق الأولى وتســـهيل الثانية، إلا أن أبا عمرو قالون وإسماعيل بن جعفر عن نافع وهشـــام (عـــن ابن عامر) يدخلون بينهما ألفًا، وابن كثير لا يدخل ... وروي عن ورش كـــابن كـــثير وقالون إبدال الهمزة الثانية ألفًا فيلتقي ساكنان على غير حد عند البصـــريين. وقـــد أنكر هذه القراءة الزمخشري وزعم أن ذلك لحن وخروج عن كلام العرب من وجهين: أحدهما الجمع بين ساكنين على غير حده، والثاني أن طريق تخفيف الهمـــزة المتحركة المفتوح ما قبلها هو بالتسهيل بين بين لا بالقلب ألفًا ... وما قاله هو مذهب البصريين. وقد أجاز الكوفيون الجمع بين الساكنين على غير الحد الذي أجازه البصـــريون. وقراءة ورش صحيحة النقل، ولا تدفع باختيار المذاهب. ولكن عادة هذا الرجل (يقصد الزمخشري) إساءة الأدب على أهل الأداء ونقلة القرآن (البحر المحيط ٤٧ ، ٤٨). فيحصـــل ممـــا تقدم أن ثم أربعة أوجه عربية عند التقاء الهمزتين في نحو أأنذرهـــم: أحدهـــا تحقيق الهمزتين، وثانيها تحقيق الأولى وتسهيل الثانية، وثالثها زيادة ألف بعد الأولى وتسهيل الثانية، ورابعها إبدال الثانية ألفًا وحدها.

وثم قـــراءتان أخريان أشار إليهما كذلك أبو حيان في البحر المحيط : إحداهما لا تتصـــل بموضوعنا وهي قراءة الزهري وابن محيصن: أنذرهم بإثبات همزة الفعل وحذف همـــزة الاســـتفهام لدلالة المعنى عليها ولثبوت ما يعادلها وهي كلمة أم (أشار إلى هذه القـــراءة كذلـــك ابن خالويه في البديع ص٢)، والأخرى تتعلق بموضوع النقل الذي تكلمـــنا علـــيه في رقمـــي ٨ ، ٩. وهي قراءة لأبي بن كعب بحذف همزة الاستفهام وحذف همزة أنذرهم ونقل حركتها المفتوحة إلى ميم عليهم: سواء عليهم نذرهم .

١١- ﴿على قلوبهم﴾ (البقرة ٧): قرأ قلوبهمو ابن كثير وجعفر وقالون في وجه لـــه عن نافع، ويقاس على ذلك كل ميم جمع في ضمير"هم" بعد متحرك وليس بعدها ساكن. ويدخل ورش عن نافع إذا كان بعد ميم الجمع همزة قطـــع (سواء عليهمو).

وكلا الوجهين في ميم "هم" يمثل لغة من لغات العرب (انظر كلمة عليهم رقم ٤).

١٢- ﴿وعلى أبصارهم﴾ (البقرة ٧): قرأ معظم القراء بفتح الألف في أبصارهم، (أي عدم إمالتها. ويطلق القراء كلمة "الفتح" على عدم الإمالة). وقرأ ورش بالإمالة الوسطى (أي إمالة صوت الألف إلى صوت الياء إمالة متوسطة)، وقرأ أبو عمرو براوييه (السوسي والدوري) بالإمالة الكبرى .

هذا، والفتح لغة الحجاز، والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وقيس وأسد. والفتح عبارة عن فتح الفم بلفظ الحرف السابق للألف. وهو منقسم إلى فتح شديد وفتح متوسط، فالشديد هو نهاية فتح القارئ لفيه بلفظ الحرف الذي بعده ألف، ويسمى التفخيم، والقراء يعدلون عنه ولا يستعملونه. وهو في القراءة مكروه معيب. وأكثر ما يوجد في ألفاظ أهل خراسان ومن قرب منهم، لأن طباعهم في العجمة جرت عليه، فاستعملوه كذلك في اللغة. والإمالة أن تنطق بفتحة الحرف السابق للألف قريبة من الكسرة وبالألف قريبة من الياء، وهي على ضربين متوسطة وشديدة، والقراء يستعملونهما معًا (أبو عمرو الداني في التيسير والموضح لابن خيرون في القراءات العشر، عن عبد الوهاب حمودة القراءات واللهجات ١٥١ ، ١٥٢).

هذا، وللإمالة رواسب في كثير من اللهجات العامية المتداولة في العصر الحاضر، وخاصة عند أهل بني غازي بليبيا وعند جميع العرب النازحين إلى مصر من ليبيا (البراعصة، الفوايد، الرماح، الحرابي، أولاد علي، سمالسوس، الضعفاء ... الخ) ومقام معظهم في المنيا وبني سويف والفيوم .

١٣- ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ (الكوثر ١): قرأ الجمهور "أعطيناك" بالعين. وقرأ الحسن وطلحة وابن محيصن والزعفراني: " أنطيناك " بالنون . وهي قراءة مروية عن رسول الله ﷺ. قال التبريزي: هي لغة للعرب العاربة من أولي قريش. ومن كلامه ﷺ: " اليد العليا المنطية خير من اليد السفلى المنطاة " البحر المحيط لأبي حيان.

وعلى هذه اللهجة تسير الآن اللهجة العامية المعاصرة في العراق .

رابعًا: أمثلة من اختلاف الإعراب باختلاف القراءات

١- ﴿لـيجزي قومًا بما كانوا يكسبون﴾ (الجاثية ١٤): الجمهور على بناء يجـزي للفـاعل وفاعلـه الله وقومًا مفعول به. وقرئ لُيجزى بالبناء للمفعول والجار والمجـرور حـل محل نائب الفاعل وقومًا مفعول به. وقد ذهب كثير من النحويين إلى عـدم جواز إنابة الجار والمجرور أو الظرف أو المصدر عن الفاعل مع وجود المفعول به في حالة بناء الفعل للمجهول . ولكن هذا المذهب غير صحيح لمعارضة هذه القراءة له، وفي هذا يقول ابن مالك في ألفيته :

وقابل من ظرف أو من مصـدر . أو حرف جر بنيابة جـرى

ولا ينوبُ بعض هذى إن وجد في اللفظ مفعول به وقد يرد

ففي قوله " وقد يرد " إشارة إلى جواز ذلك بدليل هذه القراءة .

٢- ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾(النساء ١): قرأ الجمهور بفتح الميم في الأرحام على أن الأرحام عطف على كلمة " الله " أن اتقوا الله الذي تساءلون بـه، واتقوا الأرحام أي قوموا بواجبكم نحو الأرحام. وقرأ حمزة بجر الأرحام على أنه عطـف على الضمير في به أي اتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام. وقد ذهب كثير مـن النحويين إلى عدم جواز العطف على ضمير مخفوض إلا بإعادة حرف الجر. وهذا المذهب غير صحيح لمعارضة هذه القراءة له. وفي هذا يقول ابن مالك في ألفيته:

وعود خافض لدى عطف على ضمير خفض لازمًا قد جعـلا

وليس عندي لازمًا إذ قد أتـى في النظم والنثر الصحيح مثبتا

ويقصد بالنثر الصحيح قراءة حمزة في " والأرحام " بالكسر وبالنظم مثل قول الشاعر:

فاليوم قد بت تهجوني وتشتمني فاذهب فما بك والأيامِ من عجب

٣- ﴿وكذلـك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم﴾ (الأنعام ١٣٧): قـرأ الجمهـور ببناء الفعل للمعلوم ونصب قتل على أنه مفعول مقدم ورفع شركاؤهم على أنه فاعلٌ مؤخر. وقرأ ابن عامر ببناء الفعل للمجهول ورفع قتل على أنه

نائب الفاعل ونصب أولادهم على أنه مفعول للمصدر وجر شركائهم على أنه مضاف إلى قتل .

وقد ذهب كثير من النحويين إلى أنه لا يجوز الفصل بين المضاف والمضاف إليه إلا بالظرف . وهذا المذهب غير صحيح لمعارضة هذه القراءة السبعية له. وفي هذا يقول ابن مالك في الكافية محتجًّا لجواز هذا الفصل:

وحجتي قراءة ابن عامر   وكم لها من عاضد وناصر

وقد اعترض الزمخشري في الكشاف على هذه القراءة فقال: " وأما قراءة ابن عامر برفع القتل ونصب الأولاد وجر الشركاء على إضافة القتل للشركاء، والفصل بينهما بغير الظرف ، فشيء لو كان في مكان الضرورات، وهو الشعر، لكان سمجًا مردودًا، فكيف به في الكلام المنثور، فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته، والذي حمله على ذلك أنه رأى في بعض المصاحف " شركائهم " مكتوبا بالياء ".

وقد رد عليه كثير من الباحثين ومنهم ابن المنير في تعقيبه على الكشاف إذ يقول: " لقد ركب المصنف في هذا الفصل متن عمياء، وتاه في تيهاء. وأنا أبرأ إلى الله، وأبرئ حملة كتابه وحفظة كلامه مما رماهم به. فإنه تخيل أن القراء أئمة الوجوه السبعة اختار كل منهم حرفًا قرأ به اجتهادًا لا نقلاً ولا سماعًا؛ فلذلك غلط ابن عامر في قراءته هذه ... ولم يعلم الزمخشري أن هذه القراءة قرأها الرسول عليه السلام على جبريل كما أنزلها عليه، ثم تلاها النبي على عدد التواتر من الأئمة، ولم يزالوا يتناقلونها ويقرءون بها خلفًا عن سلف أن انتهت إلى ابن عامر فقرأها أيضًا كما سمعها ... ولولا أن المنكر ليس من أهل الشأنين أعني علم القراءة وعلم الأصول لخيف عليه الخروج من ربقة الدين، وإنه مع هذا العذر لفي عهدة خطرة وزلة منكرة ".

٤- ﴿ما هذا بشرا ﴾ (يوسف ٢١) ﴿ما هن أمهاتهم ﴾ (المجادلة ٢): تعمل ما النافية عمل كان في لغة الحجازيين خلافًا للتميميين الذين لا يعملونها. وعلى لغة

الحجـــازيين قـــرأ الجمهور ﴿ ما هذا بشرا ﴾ و ﴿ ما هن أمهاتهم ﴾. وقرأ المفضل بن عاصم: "ما هن أمهاتهم" بضم التاء على لغة تميم .

٥- ﴿ومـــا هم بمؤمنين﴾ (البقرة ٨) " الباء في بمؤمنين زائدة والموضع نصب على أن ما حجازية وأكثر لسان الحجاز جر الخبر بالباء، وجاء معظم آيات القرآن على الأكثر . وجاء النصب في قوله: ﴿ ما هذا بشرا ﴾ و ﴿ ما هن أمهاتهم ﴾. ولا تختص زيادة الباء بلغة الحجاز بل تزاد كذلك في لغة تميم الذين يهملون عمل ما خلافًا لمن منع ذلك (البحر المحيط ١/٥٥)

٦- ﴿إن هذان لساحران﴾ (طه ٦٣): قرئ بتشديد إن ورفع هذان. وقد جاء هذا على لغة بلحرث بن كعب التي تلزم المثنى الألف.

٧- ﴿ولا يلتفـــت منكم أحد إلا امرأتك ﴾ (هود ٨١): قرأ ابن كثير وأبو عمـــرو بضـــم التاء في " امرأتك " وقرأ بقية السبعة بالنصب. وهما لغتان في المثنى بعد الجملة المنفية في الكلام التام، فالنصب على أنه مستثنى والرفع على أنه بدل من المستثنى منه وهو لفظ " أحد " المرفوع .

٨- ﴿أنـــه من يتقِ ويصبرْ﴾ (يوسف ٩٠): قرأ الجمهور " يتقِ " بحذف الياء عـــلى أنـــه مجـــزوم بمن ، وقرئ يتقي ويصبر على أن من موصولة ويتقي مرفوع وهو وفاعلـــه جملة الصلة، وجزم يصبر على تضمين الجملة معنى الشرط وجعل يصبر جوابًا للشرط.

٩- ﴿لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين﴾(المنافقون١٠):
قـــرأ أبو عمرو بن العلاء: فأصدق وأكون بنصب أكون على أنه معطوف على أصدقَ المنصـــوب. وقرأ بقية السبعة: فأصدق وأكن، وذلك على تضمين الجملة معنى الشرط وجعل أكن جوابًا للشرط.

* * *

القراءات القرآنية واللهجات

ورقة عمل مقدمة من الأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي

منهج العمل في مشروع القراءات واللهجات

كما أقرته لجنة اللهجات بجلسة ١٣/١٢/١٩٨٤

١- يشـمل عمـل اللجـنة القرآن الكريم كله مرتبة سوره بحسب ترتيبها في المصحف.

٢- تعهـد اللجنة في كل جلسة من جلساتها إلى كل عضو من أعضائها وكل خـبير مـن خبرائها بدراسة آيات معينة؛ لبيان ما جاء فيها من اختلاف في القراءات وتحديـد مـا يرجع من وجوه هذا الاختلاف إلى اختلاف اللهجات العربية؛ لأن هذه الوجوه وحدها هي التي تهمنا في هذا المشروع.

٣- لا تقتصـر هـذه الدراسـة على القراءات العشر، بل ينبغي أن تشمل ما يسـمى بالقـراءات الشاذة، مع اتخاذ مزيد من التحرّي في توثيق النص وإسناده لمن يوثق بعربيته حينما يستدل بهذه القراءات الشاذة على اختلاف اللهجات.

٤- يعـتمد في هـذه البحوث على المراجع الأصلية في كتب القراءات واللغة وتفسـير القـرآن الكريم، وينبغي في كل نقطة هامة بيان مرجعها وطبعته والصفحات التي نقل منها النص. وقد أشار الاقتراح إلى طائفة من أهم هذه المراجع .

٥-وفي ضـوء المراجع التي سبقت الإشارة إليها ينبغي أن يعنى برجع كل قراءة إلى الـلهجة أو اللغـة التي جاءت وفقًا لها كلما أمكن ذلك. وعند تعذر هذا الرجع يكتفي بالقول بأن من العرب من يذهب إلى كيت وكيت بدليل قراءة فلان وفلان.

٦- حيـنما يعـرض الباحث لقاعدة التزم بها القارئ في قراءته يجب أن تشرح هـذه القـاعدة بالتفصـيل، ثم يشـار إليها مجرد إشارة كلما تكررت في آي الذكر الحكيم.

٧- ينـــبغي أن يعنى الباحث كذلك في كل موضوع من موضوعات بحثه ببيان مـــا تركته اللهجات العربية القديمة التي تدل عليها قراءات القرآن من آثار في اللهجات العامية المتداولة الآن في مختلف البلاد العربية وخاصة مصر.

٨- تـــناقش اللجنة في كل جلسة ما أعده الأعضاء والخبراء، وتسجل ما يستقر عليه رأيها، وتعيد للباحث ما ترى وجوب استكمال دراسته.

٩- يحســـن أن تستعين اللجنة في بعض أعمالها بخبير في القراءات، وخاصة في الأمـــور التي لا يمكن معرفتها بوجه يقيني إلاّ بسماعها ممن تلقوها مشافهة من موقف، وذلـــك كالإمالـــة الصغرى والكبرى، والإدغام، والتسهيل، والروم، والإشمام، وترقيق بعض الحروف، وتغليظ حروف أخرى، ومخارج الحروف ... وما إلى ذلك.

١٠- بعـــد أن تنـــتهي اللجـــنة من قدر من القرآن الكريم تعرض أعمالها على مجلس المجمع لإقرارها.

١١- يعـــرض في كل مؤتمر من المؤتمرات أعمال اللجنة في العام كله لإقرارها كذلك من المؤتمر.

١٢- بعد الانتهاء من حصر الأوجه في القرآن الكريم كله طبقًا للمنهج المذكور وإقـــراره من مجالس المجمع ومجالس المؤتمر تجمع في كتاب بعنوان "القراءات واللهجات" ويعقـــد فيه لكل وجه من الوجوه الأربعة المبينة في الاقتراح باب على حدة يتفرع عند الاقتضـــاء إلى عـــدة فصول، ويلتزم فيه بالترتيب الأبجدي في النواحي التي تقتضي هذا الترتيـــب كالاخـــتلاف في شكل الكلمات والاختلاف في تصريف الأفعال باختلاف القراءات.

ويضـــاف إلى ذلـــك اخـــتلاف مدلول بعض الكلمات في القرآن الكريم تبعًا لاخـــتلاف المفسرين واختلاف اللهجات وفق ما جاء في مذكرة الأستاذ محمد شوقي أمين.

* * *

دراسة اللهجات في ألفاظ القرآن (*)

للأستاذ محمد شوقي أمين
عضو المجمع

١- مـا إن عـرض أستاذنا الجليل الدكتور علي عبد الواحد وافي على اللجنة اقتراحه أن تدرس القراءات في القرآن الكريم من ناحية منابعها في لهجات العرب، حتى بـادرت إلى الأنس بهذا الاقتراح السديد، لما يثمره من الفائدة في الدراسات اللغوية من ناحية، ومن توثيق القراءات وصلتها بالعربية من ناحية أخرى.

وحيـنما روَّيـتُ في الخطـة التي ينبغي أن تنتهج في وضع هذا الاقتراح موضع التنفـيذ بـان لي انفساح جوانبه ومناحيه، وخلصت إلى أن الاقتصار في التعبير القرآني عـلى ما اختلفت فيه القراءات لا يستوعب كل هذه الجوانب والمناحي، إذ يقف عند صور الأداء والمغايرة في تصريف الأسماء أو الأفعال، وما هو من هذا بسبيل.

٢- ثمـة جانـب آخر، وهو جانب الألفاظ أو الصيغ التي لا خلاف فيها بين قـراءة وقراءة الخلاف فيها مناطه الدلالة أو المعنى، إذ تتعدد الدلالات أو المعاني للفظ القـرآني، ولا يصـدر هـذا التعدد عن آراء المفسرين أو الفقهاء، وتغاير أفكارهم أو اجتهاداتهم بل يصدر عن تعدد الدلالات أو المعاني في لغة العرب بوجه عام، أو رجوعها إلى الـلهجات منسـوبة أو غير منسوبة، والاستشهاد عليها بالمأثور من ديوان العرب، وأعـني به الشعر وربما كان ذلك الاستشهاد أقوى في الحجة من مجرد النسبة إلى قبيلة بعينها، دون شاهد مأثور.

وحسـبي في بيان ذلك أن أسوق ما تسعف به الذاكرة من الأمثلة، فمنها كلمة " العنت " وكلمة " المقيت " وكلمة " هيت لك " فإن من النصوص في دلالة كل منها ما ينسب الاختلاف في معانيها إلى لهجات موسومة .

(*) عرض على مجلس المجمع بجلسته في ١٨ من فبراير سنة ١٩٨٥، في الدورة الحادية والخمسين .

٣- واستخلاص هذه الألفاظ القرآنية التي تتعدد دلالاتها اللغوية تعددًا لهجيًّا، يتطلب الغوص في المراجع اللغوية عامة، ومراجع التفاسير القرآنية خاصة، ولا سيما ما كان منها ظاهره العناية بالجانب اللغوي، بالإضافة إلى ما عني بالنص على لغات القبائل، كما في كتاب " ابن سلام ".

ولقد كنا نقف على بعض ذلك، متناثرًا في أجلاد التراث اللغوي المطبوع أو المخطوط، وكان يستوقفني ما ينسب إلى (ابن عباس) في أجوبته عن أسئلة (نافع بن الأزرق)، ومنذ عهد قريب خرج كتاب عنوانه " شواهد القرآن " لمؤلف محدث هو (أبو تراب الظاهري)، وفي هذا الكتاب دراسة لتلك الأسئلة وأجوبتها، ومنه على سعته طرف لا بأس به من الألفاظ القرآنية التي تعددت دلالاتها، معها الاستشهاد على هذا التعدد بمأثور الشعر، أو نسبته إلى هذه القبيلة أو تلك .

وخلاصة الرأي عندي - إن كان لي " عند " - أن هذا الجانب ينبغي أن يحتل مكانته في دراسة ما في القرآن من ظواهر اللهجات، دون تقيد بما اختلفت فيه القراءات .

* * *

جملة من معاني الألفاظ القرآنية في اللهجات العربية

للأستاذ محمد شوقي أمين
عضو المجمع

١- في كلمة لي سابقة [1]، نوهت بوجوب دراسة ما في القرآن الكريم من ألفاظ تختلف دلالاتها في لهجات العرب، وذلك تكملة لدراسة القراءات القرآنية ومنابعها من تلك اللهجات، غير أن ثمة من الألفاظ ما لا خلاف فيه بين قراءة وقراءة لخلاف فيه مناطه الدلالة والمعنى، بحسب الاختلاف في لغات العرب، ومن المسلم به عند العلماء أنه لا يجوز صرف المعنى إلى غير ما عرف من هذه اللهجات، كما لا يجوز صرف المعنى إلى غير ما يحتمله مقام التعبير القرآني. ولقد كان السلف الأول من أعلام المسلمين يرجعون إلى شعر العرب لاستبانة ما يغمض عليهم معناه أو يلتبس من ألفاظ القرآن، ومن ذلك ما يؤثر عن عمر بن الخطاب وابن عباس وغيرهما من صحابة وتابعين، وعلى هذا النهج سار من بعدهم من اللغويين والمفسرين والفقهاء.

٢- وقد حفل تراث العربية بالبحث في هذا المجال، فأفردت له أو شاركت فيه عشرات المؤلفات، في القديم والحديث، ومنها على سبيل التمثيل: مسائل ابن الأزرق وأجوبة ابن عباس، ولغات القبائل لابن سلام، والشوارد للصغاني، والبحر المحيط لأبي حيان، وبصائر ذوي التمييز للفيروزابادي، والأشباه والنظائر للبلخي، والوجوه والنظائر للدامغاني، وكشف السرائر لابن العماد البصري، ومعترك الأقران للسيوطي، وشواهد القرآن لأبي تراب الظاهري.

وعلى الرغم من كثرة الكتب في هذا المجال، فإن موضوعها متناثر متفاوت، يحتاج إلى تجميع وتوثيق وتصفية، وذلك بالتطواف الشامل في مختلف المصادر والمراجع، سواء منها ما يتصل باللغة أو بالتفسير أو ما يترتب عليه حكم الفقهاء، بحيث يتألف من ذلك معجم وثيق يسرد الألفاظ القرآنية التي احتمل مقام التعبير القرآني دلالات

---

(١) قدمت إلى لجنة اللهجات بعنوان: " دراسة اللهجات في ألفاظ القرآن ".

مختلفة لها متقاربة أو متباعدة، بالاستشهاد على ذلك بلغات العرب ولهجاتها، منسوبة أو غـير منسوبة، تعويلاً على ما اجتهد فيه علماء اللغة وأئمة التفسير وفقهاء الشرع. وفي ذلك كسب علمي متعدد الجوانب، فهو لِلُّغويِّ تأصيلٌ، ولِلْمُفسِّر تبصيرٌ، ولِلْفقيه تنوير وتذكير .

٣- وحسـبي في هذه العجالة أن أقدم جملة من قبيل تلك الألفاظ القرآنية التي يتـناقل اللغويـون والمفسـرون وغيرهـم من أعلام العلوم العربية اختلاف دلالاتها باخـتلاف مـا أثر عن العرب من لهجات أو استعمالات. وسأقتصر على ذكر اللفظ وبعـض مـا عرض له علماء اللغة والتفسير من اختلاف دلالته، دون الإفاضة في بيان الأقـوال في هـذا الاختلاف، والنص على مراجعتها من اللغات، فما أقدمه ليس إلا نموذجًا غاية في الإيجازة :

١- التأييد: الوقاية - التقوية.

٢- الإله: الله - العهد - القرابة.

٣- الحسبان: المحاسبة - النار - البرد.

٤- التخوف: ظهور الخوف - التيقظ - التنقص.

٥- الثبور: الحبس - المنع - اللعن - الهلاك.

٦- ييأس: يقنط - يعلم.

٧- الحفدة: أولاد الأولاد - البنات - الأصهار - الأعوان.

٨- الريش: الزينة - الثياب - المال - الحمرة.

٩- الينع: النضج - الخيرة .

١٠- الرئي: المنظر - الشراب.

١١- المقيت: الحفيظ - القدير.

١٢- السري: النهر - عيسى.

١٣- الكنود : العاصي - البخيل - الكفور.

١٤- العنت: المشقة - الفجور - الزنا.

١٥- الكبد: الجهد - الانتصاب - الاستقامة.

١٦- الخصومة: الخصام - يخصم.

١٧- القانع: السائل - الراضي.

١٨- المشيد: المجصص - الطويل.

١٩- الفوم: الثوم - الحنطة - الخبز.

٢٠- السمود: اللهو - الغناء - الباطل - الذهاب عن الشيء.

٤- بقيت كلمة خاطفة في شأن معجمات ألفاظ القرآن، فإن معظمها يعتمد الأشهر والأعرف وما انعقدت عليه الجمهرة من الدلالة، وكذلك معظمها لا يستوفي عزو اختلاف الدلالات إلى مستندها من اللهجات .

* * *

ثانيًا:

في اللهجات العربية القديمة

لغات النقوش العربية الشمالية وصلتها باللغة العربية(*)

للأستاذ الدكتور مراد كامل

عضو المجمع

هاجـــرت قـــبائل من الجزيرة العربية في الألف الرابع قبل الميلاد واستقرت فيما بين النهرين وهم الأكديون، وهاجرت منها قبائل في الألف الثالث قبل الميلاد واتجهت إلى الشـــمال الغربي من شبه الجزيرة وهم الكنعانيون، وفي الألف الثاني هاجرت قبائل إلى شمـــال الجزيرة هم الآراميون. وبقي من بقي في الجزيرة، يسكن الواحات ويحترف الزراعة حينًا والتجارة حينًا، أو يقوم على رعاية الإبل والماشية في البادية.

وقل اختلاط هؤلاء بالشعوب المجاورة فحافظوا على سلامة جنسهم ولغتهم.

واحتفظـــت لغات شبه الجزيرة بالأصوات التي كانت في اللغة السامية الأصلية مـــع بعض تطورات طفيفة، واحتفظت كذلك بالإعراب على مثال ما نجده في البابلية القديمة، واحتفظت بالصيغ الفعلية كما كانت في السامية الأصلية.

وطوّعـــوا اشتقاق المفردات حتى سدت جميع النواحي التي احتاج إليها الناس في حـــياتهم البدوية، و لم يدخل العربية إلا القليل من الألفاظ الأجنبية، أخذها أهل الحضر مـــنهم ممـــن تـــاخموا البلاد الواقعة في شمال الجزيرة - أخذوا بعض ألفاظ الحضارة من الآرامـــيين، وأخذوا من الرومان قصر Castra وبلد Palatium وسراط Strata وهي مـــن ألفـــاظ الجيش، كما أخذوا القليل من الألفاظ الفارسية القديمة مثل رزق وأنبار وخندق .

إن تـــاريخ لغات شمال شبه الجزيرة العربية غامض لا نكاد نعرف عنه شيئًا إلا مـــا روي من الشعر الجاهلي في اللغة العربية، مع كثير من التحفظ. والواقع أن معرفتنا لتاريخ اللغة العربية التي يعتبرها علماء اللغة من أكثر اللغات المحافظة على أصلها البعيد، سيفيد في دراستنا لفقه اللغات السامية بخاصة وفي فقه اللغة بعامة، وقد هيأت الظروف

(*) مؤتمر الدورة الثامنة والعشرين، الجلسة السادسة في ٢٠ من مارس سنة ١٩٦٢ .

منذ أواخر القرن الماضي العثور على آلاف النقوش مبعثرة في شمال الجزيرة العربية في المنطقة الواسعة الممتدة من وسط الجزيرة إلى الصفاة في الشرق والجنوب من حوران. وأخذ العلماء في معالجتها وحل رموزها وفهمها حتى توصلوا إلى ذلك في الربع الثاني من القرن الحالي.

اشتقت هذه النقوش قلمها من الخط المسند في اليمن واحتفظت بالأصوات العربية عددًا أي بثمانية وعشرين حرفًا، وليس للحركات في هذا الخط من نصيب فهي لم تثبت لها علامات .

وكنا نتوقع أن نجد في هذه الكثرة من النقوش مادة كافية لتاريخ اللغة العربية قبل الإسلام، ولكن للأسف لم تعالج هذه النقوش إلا موضوعات قليلة غير منوعة، فهي لذلك لا تحمل إلينا مادة لغوية كاملة وبالتالي فإننا لا نفيد منها إلا بمقدار . وكان هذا هو السبب في أننا لا نعتبرها لغات متكاملة بل لغات نقوش ينقصها الكثير من الصيغ والتراكيب .

ودراستها على كل حال واجبة على من أراد الوقوف على أصول العربية وتاريخها ، وتنقسم هذه النقوش إلى ثلاث مجموعات:

١- أقدمها المجموعة التي نسميها الثمودية وقد عثر على كتاباتها في حايل وعلى مقربة من الوجه وفي الطائف وتيماء ومدائن صالح (الحجر) والعلا (ددان القديمة) وخيبر والجوف ونجد ومدين القديمة وفي شرقي الأردن وفي شبه جزيرة سيناء وفي الصحراء الشرقية بمصر أي على الأكثر في المنطقة الشمالية الغربية من شبه الجزيرة .

وقد ورد اسم الثموديين في نقوش الملك سرجون الأشوري سنة ٧١٥ ق . م. (٧٢١ - ٧٠٥ ق .م) وجاء ذكرهم بين الشعوب التي أخضعها هذا الملك في شمال شبه الجزيرة العربية، وعرفوا في العصر الروماني بأنهم فرسان مهرة وكانت منهم كتيبة في مصر . ويرجع تاريخ النقوش الثمودية التي عثر عليها من القرن الخامس قبل الميلاد وتنتهي بالرابع بعد الميلاد.

٢- المجموعة الثانية هي التي تعرف بالصفوية وسميت بذلك لوجودها في منطقة الصفاة منقوشة أو مخربشة على حجارة اللابا (اللافا) في الحرّة في جنوب شرق دمشق ووجـــدت أيضًا في حوران وفي الرحبة وفي حرة الراجل وفي شمال سورية وفي الصالحية على الفرات .

وكـــان الصفويون وهم رعاة فقراء يسكنون أرضًا جدباء، وكان الحكم عندهم شـــورى. هـــذا ويرجح أن أقدم الكتابات الصفوية من القرن الثاني قبل الميلاد وتنتهي بالثالث بعد الميلاد.

٣- المجموعات اللحيانية: عثر على النقوش اللحيانية في شمالي الحجاز وفي مدائن صـــالح (الحجر) وفي الخريبة – والعلا (ددان) . وتلعة الحمّادي – وجبل أثلب – وخشم جبلة وتيماء – وقبور الجندي – ووادي المعتدل

عرفـــت العـــلا وهي (ددان) التي ورد اسمها في العهد القديم: بغزارة مياهها ووقوعهـــا عـــلى الطريق التجاري وهو الطريق الذي كان يصل بلاد العرب الجنوبية بـــبلاد الـــبحر الأبيض، وتحمل فيه أنواع البخور والبضائع التي كانت تصل من الهند وإفريقـــية عـــن طـــريق اليمن جنوبًا إلى الشمال، وكانت العلا تقع وسطًا عند ملتقى الطـــرق: طـــريق الحجر شمالاً والطريق إلى الحرة شرقًا وإلى الغرب والطريق الذي يتبع وادي الحمـــد إلى شـــاطئ الـــبحر الأحمـــر حتى الميناء الذي عرف عند اليونان باسم ليكوكومي والطريق إلى ميناء الوجه، وكان يسكن العلا قديمًا مهاجرون من أهل اليمن المعينيين وأهل ددان ثم اللحيانيين .

وتـــبدأ الكـــتابات من القرن الرابع قبل الميلاد وتنتهي بالقرن الرابع بعد الميلاد، وظهـــرت مملكة ددان في القرن الثالث قبل الميلاد وتلتها مملكة لحيان، ويظهر أن قبائل لحـــيان كانـــت تســـكن الشاطئ أصلاً وعلى صلة بالحضارة المصرية ويتبين ذلك من أسمـــائهم مثل تحمى Ptahmay تلمي Ptolemaios وقد اتسعت رقعة مملكتهم حتى احتل النبطيون الحجر سنة ٦٥ ق . م وكذلك تيمـــاء وليكوكومي واقتصرت المملكة بذلك

على الداخل دون الشاطئ وانتهى احتلال النبط لهم سنة ١٠٦ ميلادية .

ولم يمض وقت طويل حتى اجتاح زلزال مدينة ددان فدمرها وأخذ أهلها في إعادة بناء المعبد، ونحن نعرف من النقوش أن مدة إعادة البناء قد امتدت حوالي ثلاثين سنة، وقل الأمان وظهرت وظيفة جديدة هي وظيفة " خفير " لحماية القوافل .

وفي أوائل القرن الرابع الميلادي نجد أن اليهود سكنوا ددان، ويظهر أن اللحيانيين تركوا المدينة وأصبحوا بدوًا وهاجر تجارهم إلى الحيرة التي أنشئت في أوائل القرن الثالث الميلادي غربي الفرات، ونعرف أن في القرن الرابع الميلادي كان بالحيرة حيٌّ يسمى حي اللحيانيين، كما التحقت بطون من لحيان بهذيل .

والنقوش اللحيانية أكثر تنوعًا في موضوعاتها من الثمودية والصفوية؛ ولهذا فإن المادة اللغوية فيها أكثر من المادة اللغوية في المجموعتين.

١- أما **الثمودية فلا** تكتب حروف اللين (أوى) وكذلك الحركات المركبة سقطت في الخط مما يدل على أن أو au أصبحت Π وأي ai أصبحت é فأوس كتبت أس وأودد كتبت أدد وأذينة كتبت أذنة وأويس كتبت أوس . وثبتت في الخط ياء النسبة كما ثبتت في أخّى وخى .

وكتبت تاء التأنيث بالتاء لا بالهاء .

الضمائر المنفصلة وردت أنا (أنَ ana) وأنتِ (أتّ atti) والمتصلة تطابق العربية. كما ورد ذو (ذ) بمعنى الذي من كذا .

وذا للإشارة وذان للمذكر (هذا) وذين للمؤنث (هذه) ويلاحظ أن اللهجة العربية بمالطة هنا dana, dan, da = هذا وللمؤنث هذه din, dina ولا تفرق الثمودية ذا بدون النون وذان بالنون في الاستعمال وهي في ذلك مثل الحبشية القديمة.

وبها أداة التعريف هـا.

وللموصول ذو الطائية .

الأفعـــال: وردت أفعـــال كثيرة على صيغة فعل مثل علم وحل وبات ورعى ورهـــب وروم (أى رام) وبان وكتم وودد وعشق وتوى (أى هلك) وزيل (أي تشـــتت) وحيد (أي حاد = ابتعد) وبنّ (أي مكث) وطحّ (أي ضرب أو تتبع) وكـــلم (أي جرح) ونوى (أي هاجر) وقام (أي أوقف بمعنى قاوم) وقعم (أي أصابه مرض مميت) وراع أو ريع (أي عاد أو رجع) وقد وردت في الحديث .

وورد للمجهول صيغة فُعِلَ مثل قُنِص وصِيد .

واسم الفاعل على وزن فاعل مثل عاشق .

وردت صـــيغة فعّل مثل خطط (أي كتب) ودمّي (أي رسم) وشوّر (أي ألهـــب الـــنار) ورمّع (أي أسرع الخطى) وضئ في الأمر (أي قلل) وحصى الأمر (أي أحرس).

وصيغة فاعل مثل ساعد .

ووردت صيغة أفعل مثل أبتر .

واسم الفاعل منه مثل محب .

ووردت صيغة تفعّل مثل تشوق أى اشتاق .

الحـــروف: وردت إلى والـــباء وفي ومن اللام ووردت اللام في الصفوية مع ما أي لم (نم) وهـــي صيغة متشابهة بما نجده في العربية في مثل الكاف وكما، ويظهر أن (لم) كانـــت تستعمل في لهجة (ونم) في لهجة أخرى، ومن المؤكد أن (نم) نشأت عـــن لم، وقلـــب الـــلام نونًـــا في الحروف معروف في اللغة المصرية القديمة وفي اللغة (التيجرينيا) في الحبشة .

الظـــرف: وردت بـــذا (بذ) أي هنا، وهذه الصيغة معروفة في الحبشة القديمة أيضًا (bazé) ووردت هنا (هن) .

العطف: وردت الواو والفاء كما في العربية.

النداء: وردت الهاء للنداء .

لام الأمر: وردت اللام في الاستعمال مثل لام الأمر في العربية .

المفردات:

نجـــد أن معظم الألفاظ التي وردت في الثمودية معروفة بمعناها ووزنها في اللغة العربـــية مثل جمل وناقة وفرس ووعل وفلان وفلانة وآل وإلاه وأمير وأسد وأتاز وبأس (أي بـــؤس) وذئـــبة وذكر وذعر وحزم وظلم ونصر ونقم وسلامة وسعادة وسقم وسرور وصيد وخرّ وقر ورشم (أي كتابة) وأيد (أي قوة) ولوم ولطيم (أي يتم) وليل ومرتع وست (أي ٦) وقين (أي عبد).

ومن أسماء الأعلام :

أحمـــد وبدر وجشم ووائل وزيد وحلم وطاهرة وظريف وكلب ولبيد ومذكور ومطـــر ومكـــين ومالك وحصن ومر ومروان ونمر ونعم ونوفل وسعد اللـــه وفجيع وفلـــيط وفالطة وصمدع وصراخ وضيف وضفران وقنفذ وقيس وقسيس وقرد وربيبة ورهين وراشي ورقاش ورشد (أورشاد) وشهر وتيم وتميم وثعبان وأمين وأنوح وذميم وزيت .

وشـــذت بعـــض ألفـــاظ مثل ماء كتبت مي وابن كتبت باء فقط، ووردت كـــلمات قليلة لم نجدها في العربية مثل طروس أي كلب الصيد وسنا أي سلام (وهي بهذا المعنى في العربية الجنوبية)

٢- الصفوية:

المعـــبودات: أهمها اللات (أي الإلاهة) واللاه ورضو (رضا) وهو إله نجمة الصـــباح (الزهري) وشمس وذو الشري وشيع القوم أي حامي القوم (وكان أتباعه لا يشربون الخمر) ومنهم حد عويذ وهو معبود الحظ عند قبيلة عويذ بحوران وكذلك الإله رحام أو رحام وأوس وسعد ونهار .

واللغـــة الصفوية هي لهجة عربية شمالية، ووجه الاختلاف فيها عن اللغة العربية أن أداة الـــتعريف فيها هي الهاء، وبها بعض تأثيرات آرامية في المفردات وأسماء الأعلام والآلهة وذلك لصلتهم بالآراميين .

وقد ورد في الصفوية استعمال المنصوب في حالة النداء والمفعول المكاني والحال مـــثل " فهلاّت سلاما " وقد دل على ذلك وجود النص اليوناني في حالة النصب إلى جانـــب الصفوي، " ووجم على أبيه وعلى أخيه ترحًا " أي فألقى حجرًا على قبر أبيه وأخيه وهو حزين .

ولم تحـــتفظ الصـــفوية بالتـــنوين مثل العربية الشمالية ولا بالتمييم مثل العربية الجنوبية والدليل على ذلك أنها لم تثبتها في الكتابة .

المفردات:

كلمة أثر وسفر أخذت معنى الكتابة، ونلاحظ أنه في شعر الهذليين كلمة " آية " جاءت بمعنى كتابة .

كـــلمة جواي وادي (وردت بمعنى المنخفض في نقائض جرير والفرزدق ومنها الجواء في معلقة عنترة) .

دار بمعنى خيام العشرة أو منازلها (وردت في معلقة زهير بهذا المعنى).

ها: للنداء وهي هاء التنبيه في العربية والتي نجدها في يا أيها .

ذا للإشارة وذو للموصول .

والـــواو والفـــاء للعطـــف، وقد وردت الفاء أيضًا للاستئناف، واللام للملكية وللمفعولية .

ومن ومن والميم (بمعنى من) وعلى .

الأفعال:

نجـــد من الأفعال نجى ونفر (بمعنى هرب) ونظر وندم (بمعنى الندم أو التكدر وبمعنى الأسف أيضًا) وتشوق (أي اشتاق) .

ووجم على (أي ألقى بحجر على قبر) وقد اشتقت الصفوية الفعل من الوجم وهي الحجارة المرقومة، وكان العرب في الجاهلية يضعون الحجارة على قبور من مات منهم أو قتل، وإذا مر العرب على تلك القبور وضعوا حجرًا أو أحجارًا عليها، وظلت تلك الأوجام يهتدي بها العرب في الصحراء إلى ما بعد الإسلام، ولا تزال هذه العادة شائعة في بعض البلاد العربية .

حرص (أي تطلع) وكلم (أي جرح) ولعن ومرق (أي مر) ونجع (أي اشتقاق) ونهل (أي أطفأ ظمأه) ونعم وسأر (أي ترك) وسمع وساعد وسار (أي سافر) عور (أي عمي أو محا : قارن العامية المصرية عوّر) وغنط (وقع في محنة) وغنم وفلط (أي أنقذ) وفصى (أي خلص) وفرج (أي عزى) وقتل وراح (أي ذهب) ورعى (أي رعى أو حرس) وشتى (أي استقر في الشتاء . أو شتّى) وثأر وخبل (أي أتلف) .

واشتقت الصفوية من المضعف وزن أفعل بفك التضعيف.مثل أبلل (من بل) وأبرر (من بر) وأجمم (من جم) ، وهذا الاشتقاق شائع في اللهجات العربية الآن مثل فلسطين ومصر ومالطة .

وقد تدغم النون في الفعل أحيانًا مثل: واتظر أي وانتظر .

أما الجمع فقد ورد جمع المذكر السالم في الصفوية بالنون مثل: ضالون أو ضالين، كما وردت أوزان جمع التكسير مثل أشياع وأسفار وألسنة ومهالك .

ومن المفردات :

فرس – ضأن – ضال – خيل – خال – خمسة – كبير – لهبة (أي ظمأ ملهب) – ملك – معزى (أي ماعز) – نخل (أي وادي) – نعم (من نعمة ومعناها النعمة أو القطيع) – نقأة (أي دفعة) – نقمة (أي ثأر) – سلام – سمي (أي سماء) – سنة – سيف – سطر (أي أثر أو كتابة) – سقم (بمعنى مرض) – عبد – عور (أي عمى) – عرج – عشرة – غيرة (أي مساعدة) – ضيف – قبلان (أي الحول) – رواح (أي

هدوء) – شنأ (أي عدو أو شانئ) – ترح (أي حزن) – ثلج – ثمان .

وللقبر أسماء عدة في الصفوية منها: قبر – ضريح – نفسة – مقيل – نية .

ومن أسماء الأعلام:

أسمـــاء الأعـــلام التي وردت في الصفوية هي أسماء عربية شمالية، وقد اختصت الصفوية بذكر النسب بعد اسم العلم حتى وصل بعضها إلى الجد العاشر .

وأدغمت أحيانا في اسم العلم مثل أفّس من أنفس .

أبجر – أبان – أذينة – أحلم – أحمض – إياس – أكّال – أمير أو أمر – أنعم – أنيف – أوس – أسود – أصلح _ أشيم _ بانة (مذكر) – برد – جلحان – جليس – حمال – ذكران – ذكر – همام – هانئة (مذكر) أو هناءة (ربما صيغة للتصغير من هانئ – هرّة (مذكر : وازن هريرة) – وادع أو وديع – وهب – وهب الله – وأفى – ورد – زاحك – (أغاني ج ١٠ ص ٢٩ زحك) – حبيب – حي – حميان – حمل – حنّ – حنّى – حين – حلّ – حالص – خصمان – طمثان – ظالم – ظانن – كاهل – كامد – كون (اسم قبيلة) – كعمّه (أي يشابه عمه) – كاتف – لبان – لعثمان – مـــولم – محلّ – محنن – مالك – مليكة (مدكر) – ماسك – معاز – معن – مغابر – مغـــنى – مـــارئ أو مربئ – مشعر – نداء – نيار – نمارة (اسم مكان) – نسيم – نعمـــان – نغبر (اسم قبيلة) نصر أو ناصر – نقم – نور – سخر – سكران – ساخر – سالم أو سليم أو سلام – سمع أو سميع – سنى أو سنى – سعد – سور – سرى أو سرى – عـــابد أو عبـــيد أو عباد – عبيط – عود أو عود – عدّي – عوذ – عهد – عويذ – عضّاس – عم – عقرب – عاتي – غانم أو غنام أو غنيم – غاسم – غضاضة (مذكر) – غوث – فهر – فالطة (مذكر) – صاعد – صبّاح أو صباح (مذكر) – صعد – قدم – حسس – رب – رواط – شبر – شداد أو شديد – شامت – تيم .

ونحن نعرف ما للأسماء من قدسية في الكتابة؛ ولهذا كان كاتب النقش يدعو لمن لا يفسد النقش ويباركه، وقد استخدم للدعاء فعل سأر أو دعى أو سلم أو عهد (أي

ترك النقش سليمًا)، اللعنة لمن يمحو النقش (عور) أو أتلفه (خبل) .

وهناك تعبير " حي لذي يقرأ هكتاب " أي ليحيى من يقرأ هذا الكتاب.

مثال ذلك:

لحـــل بـــن معن بن أعرج بن معن بن مالك بن رومان ذو آل (أي من قبيلة) فهـــر: وولدهما عز (أي وأنتجت الماعز) بسنة ثمان عشرة (والسنة الثامنة عشرة هي سنة ١٢٣ ميلادية وحسابها من خراب بصرى عام ١٠٥ ميلادية .

لسمع بن ظنال بن نور بن يمر بن ذكر بن جرجال بن مرئ بن عهد بن جذلي . وعـــور لذى يعور هسف (أي العمى لمن يتلف هذا النقش) ورعي هابل (أي ورعي الإبل) فهلات سلام مشانئ (أي فيا اللاة حماية أو سلام من الشانئ أي العدو) .

لعوذ بن غوث بن غوث بن عوذ بن غوث بن وادم بن سور بن صباح: وبكى ووجـــم (أي رمى حجرًا على قبر) على أبيه قتيلاً (أي المقتول) فهيا اللـــه ثأرًا (أي يا اللـــــه اثأر لي) وتشوَّق إلى داره (أي اشتاق إلى جده لأمه) (ويلاحظ أن الصفوية خصصـــت الجد لأب الأب والواد لأب الأم) وأشياعه كلهم (لأقاربه كلهم) وعور الذي يعور (أي العمى لمن يتلف هذا النقش).

٣- اللحيانيّة:

أهم معبودات اللحيانيين :

ذو غابـــة وهو أهمها ثم محر وهانئ كاتب والمعبودة عزى ، والعزى معروفة في العربية وهي نجمة الصباح .

أمـــا هانئ كاتب أي خادم الكاتب فهو معبود يغلب الظن أنه أخذ من المعبود المصري تحوت وهو يمثل عطارد ، وعرف عطارد في الغرب من البلاد الإسلامية باسم الكاتب .

وظهـــر عـــندهم في عصور متأخرة المعبود سلمان وأبو إيلاف وكان يضحي لسلمان للتكفير على جانبي القبر (حقويه) .

أما أبو إيلاف فكان يرمز إليه بأسد بن حارسين في عالم الموتى، ومنها أل والاه والمعبودة اللات وهي معروفة أيضًا عند النبطيين والتدمريين ثم عند العرب .

ومنها معبودة القدر مناة - ووردت منوة - وهي من النبطية منوتو وقد وردت أيضًا بالواو عند العرب.

ومنها معبودات وردت بصفاتها مثل :

قوس: وهي معبودة عند اللحيانيين وعند أهل أدوم في الشمال معبود مذكر (والقوس مؤنث في العربية).

صلم :

شمس : وهو معبود مذكر .

قيس : معبود (وهو حارس الحدود) .

ونلاحــظ أن الأسمــاء في النقوش من عصر مملكة ددان كانت تذكر اسم العلم فقط وقد تذكر اسم الأب ولكنها في العصر اللحياني ذكرت اسم الجد أيضًا .

لغة النقوش اللحيانية :

الحروف: كما في العربية.

الإمــلاء : حــروف اللين (أوى) لا تثبت في الخط اللحياني ولكنها تثبت إذا وقعت آخر الكلمة، وكتب: عويذ (عوذ)، وطلال (طلل)، وادع أو وديع (ودع)، وائل (وال)، عاص (عصى) وعلى (على) .

وكتــبوا زيد (زد)، أوس بن حجر (أس بن حجر)، قاسم (قسم) وكتبوا هانئ (هنا) ما (ما) ، إذا (إذا) .

وفي اسم العلم المؤنث: هاني (هنى)، ذو (ذو)، زبيد (زيد)، ددان (ددان) طود أي الجبل (طد)، عاصم أو عصام أو عصيم (عصم)، عثمان (عثمن) .

وكتبــت هــا للنداء والضمير المتصل للمؤنثة (ها)، و (نا) للضمير المتصل للمتكلمين .

الأصوات:

قلــب ي إلى ج: ورد اســم (يثمت) في الكتابات القديمة و(جسمت) في الحديــثة أي أن الياء قلبت إلى جيم حنكية ثم إلى ج معطشة على الأغلب. وهذا شائع إلى اليوم في بعض لهجات الكويت وهي الجعجعة مثل راعى وراعج والثاء قلبت إلى س في المثال السابق .

وقــد يطــبق الحرف بالقياس (الاتباع) مثل: واسق وردت في بعض النقوش واصق.

وكلمة سقا (أي قربة) وردت صقا ، وعسقر وردت عصقر .

وعرفت اللغة الإدغام للتشابه :

ورد إدغام النون إذا تلاها الباء في مثل :

نتان بعل: نتا بعل أي عطية الله بعل

أو الثاء في مثل ثنتّين ثتين (اثنتان)

أو الثاء في مثــل اثنت: أثّت، أي أنثى أو زوجة .

أو الصاد في مثل انصف: أصَّف، أي نصّف أو كسر.

أو الميم في مثل عَنْ مَنْ أصبحت: عمّن .

وإدغام اللام إذا تلاها الباء في مثل:

بعل سمين (بعسّمين) وهو (بعل السماوات).

والثاء إذا تلاها التاء في مثل:

ثلاثة أصبحت ثلاتّ أي ثلاثة .

وورد الــتخالف في بعض المواضع منها: إذا جاء ثائلن قلبت الثانية تاء في مثل مــثلوث وردت مثلوت أي ما يمتلكه ثلاثة أفراد وثلاث وردت ثلاث، ولكن وردت ثلاثين بدون قلب .

وقلبت الصاد قبل النون إلى زاي مثل:

مصنع وردت مرتع أي مجمع الماء أو حوض لجمع الماء.

وكذلك إذا التقى همزتان في أول الكلمة مدت الأولى مثل :

أأذى أصبحت آذى أي آذى .

أألاف صارت إيلاف في الكنية أبو إيلاف.

أأفاع أصبحت آفاع .

وقـــد تســـقط الدال بعد الباء في مثل عبد منات صارت عبمنات، والقاف بعد الدال في مثل صدق أصبحت صد أي صادق أو مجتهد .

وورد التبادل بين الفاء والثاء في مثل:

رياث أصبحت رياف (اسم علم) .

ولفع صارت لثع أي أحاط أو لفع .

والراء واللام في مثل:

حملاج وردت حمراج اسم علم وهو في الصفوية والنبطية باللام.

- واللام والميم في مثل :

برما وردت برلا صيغة الجمع لوعاء من الحجر (ربما: برام).

- والهمزة والواو في مث :

وافقوا صارت آفقوا أي أتم الاتفاق .

ضـــمائر الـــرفع المنفصلة والمتصلة ورد بعضها في النقوش وتبين لنا أنه كان بها المفرد والمثنى والجمع.

فمن المنفصل ورد أنا وهم .

ومن المتصل ورد هُ وها ومثنى الغائب همى والجمع نا وهم وهّن.

أما ضمائر الإشارة فجمعت العناصر ذو، وذا، وها، فذو للعاقل وذا لغير العاقل.

وتستخدم ها ... ذا للملكية في حالة التذكير لغير العاقل.

وها ... ذات للملكية في حالة التأنيث لغير العاقل .

أما ذو الاسمية (الطائية) فتتصرف تصرف الاسم .

وضـــمائر الموصول في اللحيانية: ذو، ومن، وما، وتستخدم ذو للعاقل وللملكية لغير العاقل ومن للعاقل وما لغير العاقل.

الفعل:

يـــتفق مـــع الفعل في العربية في الوزن والاشتقاق والتصريف، ولكنه يختلف في حالتين:

١) صـــيغة أفعـــل العربية كانت في اللحيانية القديمة هفعل مثل همتع أي أشفى (متعه بالصحة)، ثم أخذت صيغة أفعل تظهر في اللحيانية المتأخرة مثل أشهد.

٢) وصـــيغة المـــثنى في الماضي وردت (أي) ولكننا نجد الجمع قد حل محل المثنى في الناقص اليائي وربما كان السبب في ذلك صوتيًّا .

الاسم:

أداة الـــتعريف في اللحيانـــية القديمة ها ، وهان إذا دخلت على حرف حلقي ولكنها وردت في النقوش المتأخرة " أل ".

وكانـــت الـــتاء في الـــنقوش القديمة في نهاية المؤنث المفرد، ولكنها في النقوش المتأخرة وردت أيضًا هاء.

ويـــنتهي المـــثنى بـــأي في حالة الإضافة وهو في حالة الإثبات أين، وفي حالة الإضافة في المذكر الجمع مثل بنو وفي حالة الإثبات ون مثل بنون .

أمـــا صيغ التصغير في أسماء الأعلام فقد ورد منها القليل، كما وردت صيغ في أسماء الأعلام منتهية بآن .

ونرجح أنها صيغة من صيغ التصغير.

وأوزان الاسم المفرد هي كما في العربية ورد منها :

فَعْـــل : مثل عبد ورب وبيت ورأى (أي رأى أو مشورة أو حكم) ومرء أي رجل أو امرئ .

فعْل : مثل عرض (أي وادٍ معشب) وغلّ (غلل) أي كراهية أو (غلّ).

فُعْل : مثل نعم (أي أجر) .

فَعِل : مثل ملك.

فَعَل : مثل صلم (أي صنم).

فعَل : مثل حوَل .

فُعُل : مثل ثُعُل (أي ثعلب).

فَعْلة : مثل مرأة (أي امرأة).

فعْلة : مثل شيعة (أي شيعة أو جماعة) ونية (أي شاهد قبر).

فَعْلة : حرة (أي حرة أو شريفة).

فَعلة : مثل خيرة (أي منخفض به ماء وشجر).

فَعَلَة : مثل قارة.

فعال : مثل رتاج (أي باب).

فُعَال : مثل غلام .

فَعَالة : مثل خلاقة (أي نصيب).

فَعيل : مثل كبير.

فَعيلة : مثل نفيية (اسم) وقييمة (أي مديرة).

فَعُول : مثل لجوج.

فَعّال : مثل نحاس.

فعّيل : مثل قدّيس (أي قديس أو مقدس).

فاعل : مثل صانع وعايذ (أي مستغيث وعاصي).

فاعلة : مثل دافّة (جماعة من التجار).

مفعول : مثل مقتول.

مَفْعَل : مثل منبر (أي كهف أو مقبرة).

مَفْعَلة : مثل ممّرة (أي ممر أو مدخل).

مَفْعِل : مثل موثب (أي عراك أو نزال).

مِفْعال : مثل محوار (أي وعاء لغسل الملابس البيضاء).

مُفَعِّل : مثل محنّن (اسم علم).

مفعَّل : مثل مقدر (أي المقدّر أو المرسوم).

مُفْعِل : مثل ملّم (اسم علم).

مُفْعَل : مثل مومأ (أي إشارة).

أَفْعَل : مثل أسفل (أي الأسفل) وأعلى (أي الأعلى) وأملج (أي بني اللون).

فُعلى : مثل عزّى (أي العزّى).

فعلـــة : مثل جهمة (اسم علم أي جاحظ) وشمة (اسم علم : أي أشم) وعيطة (اسم علم: أي طويل الرقبة) .

فَعْلان : مثل عبدان (اسم علم: أي عنيد).

فعلة : مثل عبدة (اسم علم: أي عنيد).

فُعْلان : مثل نعمان (اسم علم).

فعيل : مثل عليم (تصغير أعلم).

فُعَيْلة : مثل مليلة (تصغير).

أما المثنى فقد وردت صيغته في حالة الإثبات:

من وزن مفعل على مفعلين مثل مثبرين .

ومن وزن أفعل على أفعلين مثل أسفعين (أي أسود مشرب بحمرة).

وفي حالة الإضافة:

من وزن فَعْل على فعلي مثل عبدي وحقوي .

ومن وزن فَعِل على فعلي مثل ملكي .

ومن وزن فَعِيل على فَعيلي مثل كبيري .

أما الجمع السالم فقد وردت صيغة للمذكر المنصوب من وزن أفعل هي أصدقين أي صادقين ومن وزن فعلة (سنة) سنين .

ووردت صيغة المؤنث السالم:

من وزن فعلة فعلات مثل شامات (أي خطوط أو شامات).

ومن وزن فعيلة على فعيلات مثل خطيئات (أي خطايا).

ومن وزن فعّيل على فعّيلات مثل قدّيسات (أي قديسات).

أما جموع التكسير فقد وردت بعض أوزان:

من فَعْل على أفعال مثل ألحان وأرباب وأيام.

ومن فَعِل على أفعال مثل أنمار (جمع نمر) .

ومن فُعْلة على فُعَل مثل حمم (أي الضحايا المحروقة).

ومن فِعَال على فُعُل رُتُج (أي أبواب).

ومن فعيل على فعلة مثل قيمة (أي مديرون).

ومن فاعل على فعّال مثل وارث (أي وارثون) وحجاج .

ومن مَفْعَل على مفاعل مثل مناهل (أي آبار للري).

ومن أَفْعل على فُعْل مثل زكر وحمر (أي أحمر بنفسجي).

ومن فعيلة على فعالل مثل جهابل (أي خراطيم).

العدد: ورد من العدد:

١- أحد و (مؤنثه إحدى).

٢- اثنين و (مؤنثه ثنّين)

٣- ثلاث و (مؤنثه ثلاثة) .

٥- خمس و (مؤنثه خمسة).

٩- تسع و (مؤنثه تسعة).

١٠- عشر و (مؤنثه عشرة).

٢٠- عشرين.

٢٢- عشرين وثنّين.

٢٩- عشرين وتسع.

٣٥- ثلاثين وخمس .

٤٠- أربعين .

١٢٠- مئة وعشرون .

١٤٠- مئة وأربعون .

أما الظروف التي وردت في اللحيانية فهي مثل العربية وهي:

ب، بعـــد، تحت، خلف، على، عن، في، قبل، ل، لدى، لم، مع، من، وشذ عد بمعنى إلى، ومنها المركب مثل عدكي بمعنى إلى، عن على أي من .

كمـــا وردت إذا ، أن ، ما (المصدرية) ، بما ، لا (للنفي) ، إنّ . وللعطف الواو والفاء .

وها للنداء .

هـــذا العرض المختصر لما وصل إلينا من لغة النقوش اللحيانية التي امتدت حوالي سبعة قرون حدثت فيها تطورات داخلية في لغة النقوش وأصبحت قريبة كل القرب من اللغة العربية الفصحى وذلك في الأصوات والصيغ والاشتقاق والضمائر وأداة التعريف والحروف والمفردات .

وكانت اللحيانية لغة الحضر في شمال شرق بلاد العرب .

وللأسف لم يصل إلينا من أدبهم ما يمكن منه أن نستدل على شعرهم أو نثرهم وصلة ذلك بالعربية .

وكـــل ما حملته إلينا النقوش من أدبهم جملة واحدة من النثر المسجوع تنم عما كـــان لديهـــم من أدب منثور وهي " سيم الّه ، وزال غلّه " (أي خف غضبه وزال

حقـــده) ويذكر هذا بالتعبير العربي السائد في مصر (ألّه الألّ وتعب السّرّ) أي أتعبه الغضب .

* * *

مراجع في الصفوية

H. Grimme / Texte and Untersuchungen Zn safatenisch- arabischen Religion, Paderborn ١٩٢٩.

J. Eulting, Tagbuch einer Reise in Inner- Arabien, Leiden ١٨٩٥ und ١٩١٤

E. Littmann, şafâ- Inschiften, in Semitic Inscriptions New York ١٩٠٤.

M. De vogüè , Syrie Centrale, vol . ٢ . paris ١٨٧٧.

Zur Entzifferung der şafà-Inschiften
Leipzig ١٩٠١.

مراجع في اللحيانية

C.M. Doughty, Documents épigraphiques recueillis dans le nord de l' Arabie, paris ١٨٨٤ , Vol. Ipp, ١٢٧-١٦٣ , Travels in Arabia Deserta, Cambridge ١٨٨٠.

D.H. Muller, Epigraphische Denk mà ler aus Arabien, Wiener Akademie der Wisse nschaften , Bd. ٣٦،٢ : Wien ١٨٨٩ .

J. Euting, Tagbuch enier Reise in Innerarabien, Teil ٢, ed. E.Littmann, Leiden ١٩١٤.

Gh. Huber, Journal d'un voyage en Arabie, Paris ١٨٩١ .

H. Grimme, Neubearbeitung der wichtigeren dedanischen und lihjanischen Inschriften, Le Muséon ٥٠: ١٩٣٧ , pp. ٢٦٩-٣٢٢ paris ١٩٠٩ – ١٩٢٢ , Vol/lpp. ٢٦٢ –٢٧٠ pl. xxx Vol, ll (Lih) .

F>V. Winnett, A study of the lihyanite and thamudic Inscriptions, Toronto ١٩٣٧ .

Notes en the lihyanite and thamudic Inscriptions, Le Muséon, ١٩٣٨ pp. ٢٩٩-٣١٠.

W. Caskel, Lihyan und Lihyanisch, Koln und opladen ١٩٥٤ Das altarabische Konigreich lihjan, Krefeld ١٩٥٠ .

H. St. J. B. Philby, Arabian Highlands, Ithaca ١٩٥٢.

C. Rathjens, Die pilgerfahrt nach Mekka Von der Weihrauchs-trasse zur Olwirtschaft, Hamburg ١٩٤٨ .

مراجع في التيمورية

Harding , G. Lankester, Some thamudic Inscriptions from the Hashimite Kingdom of the Jordan, Le-iden ١٩٥٢ .

A. Hamme, piêepigraphioues de heaid, bin Apil, La Necropole de Timna (Hagr Kohlân) , Bibl. Du museon, vol, ٣٠ , Louvain ١٩٥٢.

Une Inscription thamoudeenne, Museon Lxlll (١٩٥٠) pp. ٤٧ –٥١.

La jarre de goschen, Museon Lxvl (١٩٥٣), pp. L٣٣-l٨٨

La divinite thamoudeenne, museon Lxvll (١٩٥٤).

pp. ٣٤٩-٣٥٤.

Les Textes thamoudeens du Huber et d'Euting, Museon Lxix (١٩٥٦).

Les Textes thamoudeens de philby Biol du Museon, Vol, ٤٠, ٤١, Louvain ١٩٥٤ (Vol. I. Inscript – ions du sud, vol. Ii : Inscriptions du Nord).

E. Littmann, thamud und Safa, Abhanbdlungen Fur die kunde des Morgenlandes, xxv, ١ (Leipzig ١٩٤٠) .

Zur Entzifferung der thamudischen Inscfriften, Mitteilungen der Vorderasiatischen Gesellschaft ١٩٠٤ , ١.

لهجات عربية شمالية قبل الإسلام(*)

للأستاذ أنوليتمان

عضو المجمع

قـــال الأســـتاذ المشهور (أغناطيوس غويدي) - رحمة اللـــه تعالى - في كتابه المسمى بـــ " المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة " ما يأتي:

اعـــلم أن معرفتنا للسان الذي كان أهل جزيرة العرب الجنوبية يتكلمون به قبل الإسلام إنما هي من النقوش، وكان هذا اللسان يشمل لهجات شتى: أي المَعِينية والسَّبَئِيّة والقَتَبانِـــيّة والأَوْسَـــانيَّة والحضْرَمِيَّة وغيرها، ونحن نعرف أن تلك اللهجات قريبة من الـــلهجات الحبشـــية الســـامية، ونعلم أيضًا أن هناك فرقًا بين العربية الجنوبية والعربية الشـــمالية، أما الشمالية فأشهرها اللغة العربية الفصيحة، التي هي لغة القرآن الشريف، ولغـــة التألـــيف، ونعلم غير ذلك أن للغة المتكلم بها بين الأمم العربية والمتعربة لهجات كـــثيرة، في عصورها القديمة والمتوسطة والحديثة، كما حدثنا بذلك النحويون وعلماء اللغة، فقد رووا لنا كلمات وصيغًا مختلفة كانت مستعملة في اللهجات القديمة .

وكمـــا أن النصـــوص التي حفظت لنا اللهجات العربية الجنوبية هي النقوش ، كذلك الحال في اللهجات العربية الشمالية، التي نستطيع أن نميز بين أربعة أنواع منها، وهـــي اللّحيانية والثمودية والصَّفَوية والنَّبَطية . وتمتاز اللهجات الثلاث الأولى بخطوطها المشتقة من الخط العربي الجنوبي، بخلاف اللهجة الرابعة المنقوشة بخط آرامي، كما تمتاز اللّحيانية والثمودية والصَّفَوية أيضًا باشتمالها على كلمات وصيغ مخصوصة ، لا تختلف كثيرًا عن اللغة العربية الفصحى، على حين أن النَّبَطية هي لهجة آرامية اختلط بها صيغ وكـــلمات عربـــية، لأن الناس الذين كتبوها كانوا من العرب العاربة، وأخذوا لغتهم المكـــتوبة وخطهـــم المكـــتوب من الآرام، ولما كانت لهجتهم المتكلم بها هي أقـــرب اللهجات العربية إلى لغـــة الحجاز استطعنا أن نفهم بسهولة اشتقاق الخط العربي مـــن الخط النَّبطي.

(*) نشر البحث بمجلة المجمع - الجزء الثالث ص ٢٤٧ - ٢٥٣ .

وقـد سمـى العلماء تلك اللهجات العربية الشمالية القديمة بالأسماء المذكورة للأسباب الآتية:

سميت النقوش اللّحيانية بهذا الاسم؛ لأنه ذكر فيها بنو لحيان، والثمودية لشهرة بـني ثمـود قبل الإسلام في نجد وشمال جزيرة العرب. أما الصَّفَوِيَّة فاسمها مأخوذ من جـبل الصـفاة، الموجود في بادية الشام، وقد ذكره جرير في بيت أشار إليه المبرد في كتاب الكامل (ص٤٦٨ من طبع الأستاذ رايت Wright) وهو كما يأتي :

هَبَّتْ شَمالاً فذِكْرى مَا ذكَرْتُكُمُ عنْدَ الصَّفَاةِ إلى شَرْقِيّ حَورَانَا

وهـو جـبل وعـر، ليس به دَيَّار، ولا نافخ نار، وأنا لم أجد به نقشًا واحدًا صَفَوِيًّا، وقد وجدت الآلاف منها بالحرة الواقعة بين حَوارن وجبل الصفاة، وقد اقترح مقترح أن تسمى بالنقوش الحرّية، ولكن كثرة الحرّات في الجزيرة العربية مما يجعل هذه التسـمية موضعًا للبس، ولذلك اتفق العلماء على تسميتها بالنقوش الصفوية، نسبة إلى جبل الصفاة، الذي هو علم تلك الناحية .

أما الفرق الخاص الذي يفرق بين هذه اللهجات فهو أداة التعريف، التي هي في الـثمودية والصَّفَوية (الهاء)، وفي العربية النبطية (الألف واللام)، فنستطيع أن نفرق إذن بـين لهجـات الهاء ولهجات الألف واللام، مثال ذلك (هـ م ل ك) عند أهل ناحـية الصـفاة بمعنى الملك، ولكن كان النبط يستعملون الألف واللام مع الكلمات والأسماء العربية المعرّفة .

والآن أذكـر عـلى سـبيل المـثال النقشين الصفويين الآتيين اللذين وجدتهما ونسختهما في الحرّة .

ل غ س م ب ن ش م ت ب ن خ ل أ ل ب ن ب ن ت و ح ل ل هـ د ر س ن ت ق ن س هـ م ل ك أل ع و ذ و خ ر ص أ ش ى ع هـ أ س ر ت ف هـ ب ع ل س م ن ر و ح ل ذ غ ن ظ .

وترجمته بالعربي الفصيح كما يأتي :

لغاســـم بـــن شامت بن خلّئيل (أي خليل الله) بن بانت وحل بالدار (أي المنـــزل) سنة قنس (أي قاصٍّ أو طلب دية) الملك آل عويذ ورصد الأشياع الأسيرة (أي الأصحاب الأسرى) فيا بعل السماء رواحًا للذي غنظ .

نقش آخر

ل ب د ر ب ن أ ص ل ح ب ن أ ب ج ر و ش ت ى هـــ د ر و ذ ب ح ف هـــ ل ت س ل م

وبالعربي الفصيح كما يأتي:

لبدر بن أصلح بن أبجر وشتا بالدار وذبح فيا اللات سلامًا.

وقد اخترت هذين النقشين لاشتمالهما على خصائص لغوية شتى، منها ما يتعلق بأسمـــاء الرجال، وأسماء الآلهة، والاسم الموصول، وأداة التعريف، وإضافة المنعوت إلى النعـــت، ومعـــاني بعـــض الكلمات وصيغها، وقد كتب بعض هذه الأعلام بحروف يونانـــية، في نقوش يونانية مثلاً شامت وبانت Bavaoos وأبجر aByaoos وهذا الاسم الأخـــير مشـــهور جدًّا، وكان اسم تسعة من ملوك (الرُّها) المدينة المعروفة بالجزيرة، وقـــال ابـــن دريـــد في كـــتاب الاشـــتقاق (ص ٢٠٨ من طبع الأستاذ فيستنفلد wuestenfeld): وبُجَيْر: تصغير أبجر، فمن ولده حَجَّار بن أبجر بن بجير، وكان شريفًا أدرك الإســـلام ، وأسلم على يد عمر رضي الله عنه. واللات واردة في سورة النجم، وفي كـــتاب الأصنام لابن الكلبي. و(بعلسمين) اسم آرامي معناه رب السماء، أخذه أهـــل ناحية الصَّفاة من أهل سورية، وهو معروف أيضًا عند النَّبط، ولكن اسمه الأصلي (بعلشـــمين) بالشـــين لا بالسين، وكتابته بالسين تدل على أن نصف هذه التسمية معـــرّب، ويظهـــر من كلمة (هملك) الذي هو ملك الروم أي قيصر أن الهاء في هذه الـــلهجة هي أداة التعريف، كما هو الحال في العبرية، ونحن نعلم أيضًا أن الحرف التالي للهاء كان مشددًا عند العبرانيين وعند أهل اللهجة الصَّفَوية ، وذلك يتضح لنا من نقش

يوناني ورد فيه اسم Auuaoixos وهو بالصفوى هـــ م س ك ham- mâsik وبالعربي (الماســـك) ولكـــن ورد بعـــض الأسماء في نقوش يونانية أخرى هكذا Aλavoos, AλaBδos يعني الأوس والعبد، وهما معرفتان بالألف واللام، ثم إنه ورد: روح ل ذ غ ن ظ، أي: (رواحًـــا للذي غنظ)، ومن هنا نعلم أن الاسم الموصول كان (ذ) كما هو الحـــال عند عرب طيئ في قديم الزمان، ولكنا لا نعلم صرف تلك الذال ولفظها أكان ذو، أم ذي؛ أم ذا ، وترجمـــت (أ ش ى ع هـــ أ س ر ت) بالأصحاب الأسرى، معتـــبرًا أن صيغة المنعوت مضافة إلى النعت، كما هو الحال في العبري المتأخر ، وكثيرًا مـــا يحدث ذلك أيضًا في الحبشية، وفي بعض اللهجات العربية، فيقال مثل جبل الأحمر، عوضًـــا عن الجبل الأحمر، ونقرأ في النقش الثاني كلمة (ش ت ى) بمعنى شتا، وبيان ذلك أن الفعل الناقص له في الصَّفَوية صيغة واحدة فقط، وهي أن لامه دائمًا ياء، وهذا التغـــيير نصـــادفه في لهجـــات ولغات سامية كثيرة، ويتضح لنا أيضًا أن الفعل الناقص يصرف في الصَّفَوية مثل الفعل السالم أي شَتَىَ أو شَتَىْ. لو كان لفظه شتا لكتب (ش ت) كمـــا يكتب (ع ل) بمعنى، و(أ ل) بمعنى إلى، وترجمت كلمة قنس بـــ (قاص) وكـــلمة خـــرص بـــ (رصد) ، وذلك لأن قنس وردت بذلك المعنى أيضًا في العبري المـــتأخر، وقـــد اشتقت من لفظة يونانية أصلها باللاتينية، وأما خرص فمعناها محزور، ونحـــن نعلم أن خرص بالعربية الفصحى معناها ظن الشيء وخرص العدد حزره، وقد ورد في النقوش الصَّفوية (خ ر ص هـــ ش ن أ و خ ر ص أ ب هـــ و خ ر ص أ ش ى ع هـــ) يعني خرص الشانئ أي العدو، وخرص أباه، وخرص أصحابه. ويخيَّل إليَّ أنـــه من معنى خرص العدد: أي حزره، اشتق معنى خرص البُعْد والمكان، يعني بُعد العدو، أو مكان أبيه، أي حزره راصدًا؛ فليجمل هنا شيء من نحو اللهجة الصَّفوية :

الحـــروف كلها كما هي في العربي الشمالي عددًا، ولكن من المحتمل أن الضاد كانت تلفظ مثل لفظ الظاء عند الأعراب، وليس مثل لفظ التجويد ، وأن الظاء كانت تلفـــظ مثل الثاء المفخمة. والألف كانت تقلب واوًا في بعض الكلمات مثلاً(و ن س)

بمعنى أنس، و (و د م) بمعنى أدم، و (م و ر ب) بمعنى مؤارب، كما يقال (واكل) بمعـــنى آكل في اللهجات العربية الحاضرة. ولا يدغم الحرف الثاني مع الثالث في الأسماء المشـــتقة من الفعل المضاعف، خلافًا لأكثر اللغات السامية، مثلا (ظ ن ن) وهو اسم رجل مكتوب في النقوش اليونانية هكذا lavevos، ومن هذا يستدل أن نطق هذا الاسم كـــان ظـــانن كما يقال في اللهجات العربية (مادد ، وضالل) الخ . وكذلك نجد من بـــين الأسمـــاء الواردة في النقوش الصفوية (أ ب ل ل و أ ج م م ، و أ ر ت ت) . والأول مـــنها (أبلـــل) معناه: الأبل، والثاني والثالث اسمان معروفان عند العرب؛ إذ ذكـــر المقريـــزي الأجم بن درماء في (البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب ص ٤٦ مـــن طبع الأستاذ Wuestenfeld) ونجد في نقش يوناني Ayụaụos عند أهل حـــوران. وأرتت معناه الأرت، وهذا هو اسم ورد ذكره في كتب مختلفة، خصوصًا في كـــتاب الاشتقاق لابن دريد (ص ٢٣٥ و ٢٢٧ من طبع Wuestenfeld) وكذلك وجـــدت (أخفف، وأشدد) في لهجات عربية، عوضًا من أخفّ وأشدّ. أما الحركات فلـــيس لها علامات، لا للفتح ولا للكسر أو للضم أو للإشباع أو لاتحاد الفتحة والواو والـــياء. مثل ذلك در أي دار، و م ق م أي مقيم، و ر م أي روم، و ب ن أي بين، و ك ن أي كـــون. ويوجد إله مشهور عند أهل تدمر وعند النبط يسمى شيع القوم، قـــيل عنه إنه لا يشرب خمرًا، أي أنه لا يقرب له خمر، وإن عابديه لا يشربونها. وهو يكتـــب في الصـــفوية هكـــذا ش ع هـــــ ق م. ومن الواضح أن الاسم كان يلفظ shê hag-gôm. وفي لهجات عربية كثيرة يلفظ ê و ô عوضًا عن ay و aw .

اسم الإشارة: كان (ذ)، والمظنون أن لفظه كان (ذ) وكان يتبع المشار إليه، لا يـــتقدمه نحـــو (ج و ذ) بمعنى هذا الوادي، كما يقال (النهار ذا) عوضًا عن هذا الـــنهار، وكمـــا قيل في العربية الجنوبية (هجران ذان) بمعنى هذه المدينة، أما الاسم الموصول فكان أيضًا (ذ) والمظنون أنه كان يلفظ (ذو) موافقًا (ذو) الطائية المومأ

إلـــيها سابقًا، ومثالها بيت في حماسة أبي تمام (ص ٢٩٢ من طبع فريتاغ Freytag)
وهو " وبئري ذو حفرت وذو طويت " .

وقد تكلمنا عن الأفعال الناقصة، وذكرنا (ش ت ى) بمعنى شتا، وفي النقوش الصـــفوية أيضًا (ب ن ى) أي بنى، و (أ ت ى) أي أتى، و (ن ج ى) أي نجا، و (ر ع ى) أي رعـــى، و (د ع ى) أي دعا، بمعنى حفظ أو حمى. وبعض الجمل التي وردت فيها هذه الأفعال هي كما يأتي :

(ن ج ى م ن ر م) : أي نجا من الروم . (ن ج ى م ن هـــ س ل ط ن) : أي نجا من السطان (يعني دولة الروم). (ن ج ى م ن م ر ت هـــ س ل ط ن ع ل أل ع و ذ): أي نجا من نمارة السلطان على (يعني إلى) آل عويذ . (ر ع ى هـــــ ض أ ن). أي رعى الضأن . (ر ع ى هـــ أ ب ل): أي رعى الإبل (ر ع ى هـــ م ع ز ى): أي رعى المعز . (ر ع ى هـــ ب ق ر): أي رعى البقر. وقيل في نقش من النقوش (و ر ع ى هـــ أ ب ل س ن ت م ر ق ن ب ط ج و ذ) أي رعـــى الإبل سنة مر النَّبط بهذا الوادي. وكلمة مرق معناها: مر، كما هي في اللهجات العصرية. ونجد فعل (د ث أ) بمعنى: ارتبع مشتقًّا من دثأ، وهـــو الربـــيع عند عرب الجنوب. ثم كلمة (ن خ ل) بمعنى واد، كما هي في العبرية والسريانية، وكلمة (م د ب ر) بمعنى البادية، كما هي أيضًا في العبرية والسريانية .

ونســـتنتج من كل ما ذكر أن دراسة اللهجات العربية قديمها وحديثها تساعدنا كثيرًا على درس أصل العربية وتاريخها .

* * *

التميميون ومكانتهم في العربيّة(*)

للدكتور أحمد علم الدين الجندي

خبير بلجنة اللهجات

نسبها:

مـــن أكـــبر القبائل العربية العدنانية، وتنتسب كما يقول القلقشندي[١] إلى تميم ابـــن مُر بن أُدّ بن طابخة، ويتصل النسب بعد ذلك إلى إِلْياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان .

منازلها:

وكانت منازل تميم بأرض نَجْد دائرة من هنالك على البصرة واليمامة، وامتدت إلى العُذيْـــب[٢] مـــن أرض الكوفـــة، ثم تفرقوا بعد ذلك في الحواضر، وورث منازلهم (غَزيَّة) من طيِّئ وخفاجة من بني عُقَيْل بن كعب[٣]، وقد كانت القبيلة تسيطر على جـــزء كـــبير من نَجْد، إذ كان يجاورها من ناحية الغرب قبائل (أسد) شمالاً، وقيس جـــنوبًا، وفي الجـــنوب أيضًـــا بنو حنيفة من بكر بن وائل، وعبد القيس من جَديلَة، ويحدثـــنا الـــبكري في معجمه أن أبناءَ أُدّ ومنهم تميم " نزلوا إلى بلاد نجد وصحاريها، فحلوا منازل بكر وتغلب ... ثم مضوا حتى خالطوا أطراف هجر، ونزلوا ما بين اليمامة وهجـــر "[٤]كمـــا نفـــذت بنو سعد بن زيد مناة بن تميم إلى يَبْرين وتلك الرمال حتى خـــالطوا بـــني عامـــر بن عبد القيس في بلادهم قطر، ووقعت طائفة منهم إلى عمان، وصـــارت قـــبائل مـــنهم بين أطراف البحرين إلى ما يلي البصرة. فلما جاء الإسلام وأشرقت شمسه كانت " تميم كلها بأسرها باليمامة "[٥] .

(*) نشر البحث بمجلة المجمع، بالجزء الخامس والعشرين، ص ١٩٥ ـ ١٧٦ .

(١) نهاية الأرب : ١٨٨

(٢) ماء لبني تميم على مرحلة من الكوفة . اللسان ٢/ ٧٥ .

(٣) صبح الأعشى : ١ / ٣٤٧

(٤) معجم ما استعجم : ١ / ٨٨

(٥) المرجع السابق : ١ / ٩٠

بطونها:

ومـــن بطونهـــا: زيد مناة، وعمرو بن تميم، والحارث بن تميم، وأولاد عمرو بن تمـــيم: العنبر بن عمرو، والهُجيم ، وأُسيِّد ومالك، والحارث، وهو الذي يقال لأولاده " الحَبطات " كما أن من بطونهم بني ثعلبة بن يَرْبوع بن حنظلة، وبني رياح[1].

تاريخها:

امتازت تلك القبيلة بمجدها القديم، وعزها الطريف، وسطوتها بين قبائل العرب، وقـــد ساق المؤرخون كثيرًا من أيامها وحروبها: كيوم النِّسار[2]، ويوم الجِفَار[3] وكان بعـــد النِّسار بحول، وهو بين بكر وتميم، ويوم رَحْرحان[4] ، ويوم الزَّحيخ وهو لتميم على اليمن. وروى الهيثم بن عديّ عن عوانة قال: سأل زياد دَغْفلاً عن العرب، فقال : " الجاهلـــية ليمن، والإسلام لمضر، قال: فَخبرني عن مضر، قال: فاخر بكنانة، وكابر بتميم " [5]. كما اتصفت تميم بأنها من " الصميم[6] " أي صميم العرب.

ولا نستطيع أن نرتقي بتاريخ تميم عن القرن السادس للميلاد، فليست لدينا مواد تاريخـــية موثوقة تصلنا إلى ما قبل ذلك، ويظهر أن بعض تميم قد اعتنقوا المسيحية كما اعتـــنق بعضـــهم المجوســـية، ومن هؤلاء زُرَارة بن عُدَس التميمي وابنه، والأقرع بن حـــابس، ولما أشرق الإسلام ظلت تميم بعيدة عنه، حتى قدم على النبي (ﷺ) سنة ٩ هـــ وفد بني تميم وهم سبعون، وهم الذين نادوا رسول الله من وراءِ حجراته: أن اخرج إلينا يا محمد ، فتأذى الرسول من صياحهم فخرج إليهم، فقالوا: جئناك لنفاخرك فـــأذن لشـــاعرنا ، فقام عُطارد وقال:" الحمد لله الذي له علينا الفضل – وهو أهله –

---

(١) معجم قبائل العرب : ١ / ١٢٧ .

(٢) نهاية الأرب: ٤٥٧ .

(٣) مجمع الأمثال : ٢ / ٤٣٠ .

(٤) صبح الأعشى : ١/ ٣٩٣.

(٥) بلوغ الأرب : ٣ / ٢٠١ .

(٦) بلوغ الأرب : ٣ / ٢٠٣.

الـــذي جعلنا ملوكًا ووهب لنا أموالاً ... وجعلنا أعزَّ أهل المشرق، وأكثره عددًا فمن مثلنا في الناس؟ ألسنا برؤوس الناس وأُولى فضلهم ؟" [١] وهذا الوفد هو الذي نزل فيه قولـه تعـالى :﴿ إن الذين ينادونك من وراءِ الحجرات أكثرهم لا يعقلون ﴾[٢]، وفي قـراءة عبد اللـه بن مسعود " وأكثرهم بنو تميم لا يعقلون "[٣] . وذلك يشير إلى أن البداوة كانت أصيلة فيهم للنـزق والطيش .

ما نزل فيهم من القرآن :

﴿ ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرًا لهم﴾ [٤]حتى كابروا وطلبوا أن يفاخـروا رسـول الله (ﷺ)، وإذا كانوا يتَّسمون بالشدة والغلظة في المحسوس من أمورهـم كالأصوات والأقوال حتى إن اسم " تميم " قد اشتق من الصلابة والشدة [٥]، فـإنهم أشـد وأغلـظ في خفـيات الأُمور ودخائل النفوس، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿ الأعـراب أشد كفرًا ونفاقًا ﴾[٦]، ثم نزلت فيهم آيات أُخريات من كتاب الله [٧]، وهـي تؤكد غطرستهم وصلفهم، ولهذا ارتدت تميم عقب وفاة النبي (ﷺ) وادعت سَـجَاح بنـت الحارث منهم النبوة، فتبعتها تميم، وكانت لها جولات في اشتباكها مع الجيوش الإسلامية حتى اندحرت أخيرًا على يد خالد، ولكن بعد أن أظلتها راية الإسلام ثانـيًا كـان معظم الوحدات الحربية التي تحركت شرقًا نحو فارس ثم خراسان، ثم إلى إفريقية غربًا بزعامة إبراهيم بن الأغلب الذي أرسى قواعد أسرة الأغالبة في إفريقية – يغلـب علـيها النسب التميمي، وفي سنة ١٤هـ أمدّ عمر بن الخطاب سعد بن أبي

---

(١) صبح الأعشى : ١ / ٣٧٢

(٢) سورة الحجرات : ٤

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة : ٢ / ٢١٩

(٤) سورة الحجرات : ٥

(٥) الاشتقاق : ١٢٣ وستنفلد.

(٦) سورة التوبة : ٩٧

(٧) سورة الأنعام : ٥٢ ، وانظر الكشاف : ٢/ ٢١؛ وكذلك : بنو تميم ومكانتهم في الأدب ٢٠٥

وقـــاص في مواقعه بثلاثة آلاف بطل تميمي، يؤكد بطولة تميم هذه ما جاءَ عن ابن حزم من أنها " قاعدة من أكبر قواعد العرب" [١] وأمنع قبائلها .

شعراؤها:

مـــن أَشـــهر شعرائها: أَوس بن حجر، وعَلْقمة بن عَبدة التميمي، وسلامة بن جـــندل، أَحـــد نعات الخيل، ومالك ومُتَمم ابنا نويرة [٢]، وسُلَيْك بن سَلكة وهو من صعاليك العرب، والعجاج ملك الرجز في العصر الأموي، والفرزدق وجرير، ومعروف مـــا كان بينهما من تصارع وتنافر حتى كانت "النقائض" بينهما سجلاً خالدا لأَيامهم ومآثرهم، وفوق هذا كانت معلمة كبرى في تاريخ الأَدب، فجمعها أَبو عبيدة، وفسّر مفرداتها، ووضح علاقتها بالأَدب واللغة والحياة العربية .

خطباؤها:

ومـــن أَشهرهم: الأَحنف بن قيس، وأَكثم بن صيفي حكيم العرب في الجاهلية، وحاجـــب بن زُرارة، وكان عضوًا في الوفد الذي أَرسله النعمان بن المنذر إِلى كسرى، والأَقرع بن حابس .

علماؤُها:

ومـــن أَعلامهم في الثقافة: أَبو عمرو بن العلاءِ ١٥٤هـــ، وهو مفخرة العربية، والأَخفش الأَوسط ٢١٥هـــ إِمام اللغة في البصرة، وابن ولاّد النحوي ٣٣٢هـــ .

وكانـــت تمـــيم – لما لها من نفوذ وصولة – تتولى القضاءَ في الأَسواق العربية، يقـــول القلقشـــندي: " وكان الذي يقوم بأَمر الحكومة فيها من تميم "[٣]، وفي ذلك يقول شاعرهم :

ونحن الحاكمون على عكاظ　　　كفينا ذا الجزيرة والمصابا

---

(١) جمهرة أنساب العرب: ١٩٦.

(٢) الشعر والشعراء: ١١٩

(٣) نهاية الأرب : ٤٦٤ .

وهــذا المجد يفسره ما جاءَ في اللسان[١] في حديث القبائل عندما سئل السائل عن مُضَر، فقال : تميم بُرْثُمتُها وجُرثُمتُها، أي خلاصتها.

وبعد:

فهــذه نبذة قصيرة من صفحات التاريخ سجلها عن تميم، وما كان لها من دور مهــم في مملكــة الشعر والأدب، أما دورهم في الحياة اللغوية فنصوره في هذه الخطوط العريضة .

حياتها اللغوية :

روايات وشواهد:

١- قال الأصمعي:"والعرب لا تروي شعر أبي دُاود وعدي بن زيد، وذلك أن ألفاظهــا ليست بنجدية "[٢] . والعلماءُ كانوا يريدون (بنجد) عند إطلاقها – تميمًا، فكأن الألفاظ التميمية هي القياس والحكم على اللغة .

٢- يــرى سيبويه في (ما) الحجازية والتميمية " أن الحجازية أكثر استعمالاً وإن كانــت التميمية أقوى قياسًا "، ويصف الفراء لهجتهم في كتاب (معاني القرآن) بأنهــا أقوى الوجهين في العربية[٣]. ومما يحسن الإشارة إليه ما روي من أن رجلاً طلب مــن محبوبه أن ينتسب إلى قبيلته، فلم يجبه وإنما أشار إليه بأثر لهجي يفهم منه قبيلته – تظرفًا – في قوله:

ومُهفهفِ الأعطاف قلت له انتسبْ فأجاب ما قَتْل المحب حرام[٤]

فأفاد بأنه من تميم، لأنها ترفع خبر (ما).

٣- وكثيرًا ما كان يجتمع السماع والقياس والإجماع على تأييد لغتهم[٥] .

---

(١) ١٦ / ١٩٥.

(٢) الشعر والشعراء : ٦٩ ط المعاهد.

(٣) ٢ / ٤٢.

(٤) الشيخ عبادة على شذور الذهب : ١/ ٦٨ .

(٥) الاقتراح : ٧٢ .

٤- أن أبـــا زيد الأنصاري كان يطـــوف في قبائل تميم وفروعها إذا حزبه أمر لغـــويّ، فـــلا يسأل إلا هذا الحيّ من العرب، ولقد طاف مدة طويلة يسألهم عن باب (فعل يفعل) ليعرف ما كان منه بالضم أولى، وما كان منه بالكسر أولى[١] .

٥- وكانـــت لهجـــتها لهجة عامة العرب، ذكر الأخفش أن كل من ورد علينا من الأعراب لم يقل إلا (تِعلم) بالكسر. قال: نقلته من نوادر أبي زيد [٢]. وهذه اللغة هي لغة تميم ... وعامة العرب، كما زعم سيبويه [٣] .

٦- اقتـــبس الســـيوطي في المزهر جانبًا من نوادر يونس بن حبيب ١٨٢هــ، كمـــا أورد عدة اقتباسات من نوادر أبي محمد اليزيدي ٢٠٢ هــ ، وجميعها تشير إلى مقابلـــة الصـــيغ بين الحجاز وتميم على مستويات مختلفة، وهذه المقابلة تؤكد أن تميمًا تقـــف في وجـــه الحجاز في ثبات وقوة، كما نلمح إشارات تصف لهجة تميم في بعض الصيغ بأنها لهجة " سائر العرب "[٤] .

مكانة اللهجة بين اللهجات العربية:

١- ممـــا يقوي مكانة تميم في العربية ما جاءَ في حديث[٥] رسول الله (ﷺ) مـــن أنـــه ورد عليه الوفود، فأقرأ الأخماس[٦] كلّ خمس على لغته، فكان أعرب القوم تميم .

٢- يقول ابن العلاء: "أفصح الناس عليا تميم ..." [٧]وفي رواية"سفلى تميم[٨] ".

٣- وذكرت تميم في قائمة القبائل التي اعتمد عليها الرواة في مادة اللغة و"عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتّكل في الغريب، وفي الإعراب والتصريف "[١].

---

(١) المزهر : ١/ ٢٠٧ .
(٢) اللسان : ٢٠/ ٢٨٣ .
(٣) اللسان : ٢٠/ ٢٨٣ .
(٤) المزهر : ٢ / ٢٧٧ .
(٥) الفاضل للمبرد : ١١٣ .
(٦) يريد أخماس البصرة وهي : العالية، وبكر بن وائل، وتميم ، وعبد القيس، والأزد.
(٧) المزهر : ٤٨٣/٢ وقارنه بما ورد في معجم فيشر ص ١٦ ط الرسالة .
(٨) الصاحبي : ٢٨ .

٤- وذكر ابن عطية أن تميمًا من القبائل التي نزل القرآن الكريم بلغتها[٢]، وقال جمال الدين بن مالك : بأن القرآن نزل بعضه بلغة تميم، وساق آيات وافقت لهجة تميم في الإدغام والاستثناء [٣].

٥- وروايات ترى أن التميميين كانوا مرجعًا في التشريع اللغوي كرؤبة والعجاج وأُمّ الهَيْثم وعلقمة الفحل، إذ كانوا يرتجلون ألفاظًا لم تسمعها العرب، من ذلك :

(أ) جاءَ في أمالي القالي: أن الكِثْر: السّنام، قال علقمة التميمي:

كِثْر كَحَافةِ كِير القَيْن ملمومُ [٤]

وعلق الأصمعي بقوله: " ولم أسمع (بالكِثْر) إلا في هذا البيت " فهي من مبتكرات تميم .

(ب) ما جاء عن ابن دريد من قوله: " ويقال: فلان ابن جلا – أي ابن المكشوف الواضح، وابن أَجلى – لم يجئ به غير العجاج وحده، وهو مثله، وساق شاهدًا[٥] شعريًّا للعجاج التميمي. والعجاج هنا مشرع لغوي، وهذا التشريع مقبول منه؛ لأنه حجة ثقة " فإن الأعرابي إذا قويت فصاحته وسمت طبيعته، تصرف وارتجل ما لم يسبق إليه" [٦].

(ج) ونستشف من خبر ساقه صاحب العقد الفريد[٧] ، وابن دريد في كتابه الملاحن[٨] – أسلوبًا تميميًّا أشبه بالرّمز والإيماء أو لغة (الشَّفْرة) [١] تلك التي لا

---

(١) الاقتراح : ١٩ .

(٢) مقدمتان في علوم القرآن : ٢٦٩ .

(٣) الإتقان : ١٣٦/١ .

(٤) المزهر: ٢٥٢/١، والبيت في وصف ناقة.

(٥) الجمهرة: ١١٣/٢ .

(٦) الخصائص : ٤٠٨/١ سطر ١٨ ط الهلال .

(٧) ٤٤/٦ط الاستقامة .

(٨) ص ٤ ط السلفية .

يُهـــتدى إِليها إِلا بحلّ رموزها، وقد اعتمد الخبر في تحقيق غرضه على تشويه الكلمات دلاليًّا، وانتقال مجال الدلالة، وتطورها ضيقًا وسعة .

٦- آراء نـــادى بهـــا المستشـــرقون ومنها: أن الفصحى تولدت من إِحدى لهجات نجد[٢]. وأكبر قبيلة كانت تسكنها قبيلة تميم وبطونها وفروعها .

والآن، وبعد أن عرضنا طرفاً مما قاله اللغويون وعلماء العربية عن لهجة تميم أرى أن نستشـــير لغة الإِحصاء لنلمس مدى شيوعها وانتشارها، وسنعرض إِحصائيات - تمـــثل جانـــبًا كـــبيرًا من علوم العربية ومصادرها - بين أقوى لهجتين في العربية وهما: الحجاز وتميم:

(١) بنو تميم ومكانتهم في الأدب والتاريخ : ١٢٦ .

(٢) مجلة الهلال: أكتوبر ١٩١٧ من مقال للأستاذ نللينو ص ٤٧ .

المجموعة	اسم الكتاب	لهجة تميم	لهجة الحجاز
		مرة	مرة
مجموعة النحو والعربية	(١) كتاب سيبويه ١٨٠هـ	٢٨	٢٦
	(٢) شرح السيرافي ٣٦٨هـ	٣٣	٢٩
	(٣) شرح المفصل لابن يعيش ٦٤٣هـ	٣١	٢٤
	(٤) شرح التصريح لخالد الأزهري ٩٠٥هـ	٢٧	٢٠
	(٥) همع الهوامع للسيوطي ٩١١هـ	٢٨	٢٤
	(٦) شرح الأشموني ٩٢٩هـ	٢٧	٢٠
	(٧) الخزانة للبغدادي ١٠٩٣هـ	١٨	٩
مجموعة المعاجم	(٨) جمهرة اللغة لابن دريد ٣٢١هـ	١٤	١٢
	(٩) المخصص لابن سيده ٤٥٨هـ	٣٩	٣٨
	(١٠) لسان العرب لابن منظور ٧١١هـ	١١	١١٠
مجموعة الأمالي والأدب	(١١) النوادر في اللغة لأبي زيد ٢١٥هـ	٤	–
	(١٢) إصلاح المنطق لابن السكيت ٢٤٤هـ	١٣	٦
	(١٣) الأمالي للقالي ٣٥٦هـ	١٠	٧
	(١٤) المزهر للسيوطي ٩١١ هـ	٥٨	٤٩
مجموعة شروح الأشعار	(١٥) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤٢١هـ	٤	٢
	(١٦) شرح ديوان الحماسة للتبريزي ٥٠٢هـ	٤	٢
مجموعة الصرف	(١٧) الأفعال لابن القطاع ٥١٠هـ	٨	٣
	(١٨) شرح شافية ابن الحاجب للرضي ٦٨٨هـ	٢٢	١٥
مجموعة خاصة	(١٩) الإبل للأصمعي ٢١٦هـ	١	١
	(٢٠) النخل للأصمعي	٤	٤(١)
	(٢١) التذكير والتأنيث لأبي حاتم السجستاني ٢٥٥هـ	٢	٢
	(٢٢) الرحل لابن قتيبة ٢٧٦هـ	١	١(٢)
مجموعة علوم القرآن	(٢٣) معاني القرآن للفراء ٢٠٧هـ إلى آخر سورة الزمر	١١	١٦
	(٢٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢١٠ هـ إلى آخر سورة الزمر	١	١
	(٢٥) مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ٣٧٠هـ	٦	–
	(٢٦) المحتسب لابن جني ٣٩٢هـ	١١	٧
	(٢٧) البحر المحيط لأبي حيان ٧٤٥هـ	١١٧	٩٧
مجموعات المنظومات	(٢٨) الكافية(٣) لابن مالك ٦٧٢هـ	١٥	٨
	(٢٩) ألفية ابن مالك	٣	–
	(٣٠) ألفية المختار ابن بونة	٣	١
	(٣١) عقد الجوهرة في الأسماء المؤنثة والمذكرة نظم الإمام عبد الرحمن بن الحسن	١	١

(١) يعزو لنجد ويقصد تميمًا .

(٢) عزاه لنجد ويقصد تميمًا. (٣) وتقع في ثلاثة وسبعين وسبعمائة وألفي بيت من الرجز .

وهذه الإحصائيات تؤكد شيوع لهجة تميم وكثرتها في الجزيرة العربية حتى إبان نزول الوحي[١] .

ونستشير الآن لغة الإحصاء مرة أخرى لنسمع رأيها في لهجة قريش ومدى شيوعها وانتشارها فتجيب بأن عدد ورود هذه اللهجة القرشية هي:

لغة الإحصاء تتكلم عن لهجة قريش:

اسم الكتاب	عدد ورود اللهجة
(٣٢) كتاب سيبويه	-
(٣٣) النوادر في اللغة لأبي زيد	١
(٣٤) شرح السيرافي	-
(٣٥) المخصص لابن سيده	٢
(٣٦) شرح المفصل لابن يعيش	٢
(٣٧) شرح الشافية للمحقق رضي الدين ...	-
(٣٨) لسان العرب لابن منظور	٨
(٣٩) البحر المحيط لأبي حيان	٢٤
(٤٠) الهمع للسيوطي	-
(٤١) خزانة الأدب للبغدادي	١

وبمقارنة لهجة قريش هذه بلهجة تميم فيما سبق بيانه يتضح أن مجموع لهجات تميم ٦٦٢ لهجة، والحجاز ٥٣٥ لهجة، وقريش ٣٨ لهجة، وتكون النسبة التقريبية بين هذه القبائل هي :

تميم : الحجاز : قريش

٦،٦ : ٥,٤ : ٠,٤

(١) انظر كتابنا (اللهجات العربية كما تصورها كتب النحو واللغة) ص ٤٩٧ .

وهـــذه النسبة تؤكد شحوب لهجة قريش في هذه المصادر وضآلتها، بل أحيانًا يصل هذا الشحوب إلى الاضطراب والتناقض .

الاضطراب في عزو اللهجة بين قريش وغيرها من القبائل :

١- (اجْتَبَيْتَها[١]):أتيتها - بلغة قريش[٢]- وفي كتاب الدميري[٣]عزيت لثقيف.

٢-(لأَحْتَنِكَنَّ[٤]):لأستأصلنَّ، بلغة قريش، وفي الدّميري[٥] بلغة الأشعريين .

٣- (ولا هَضْمًا[٦]): نقصًا، بلغة قريش، وفي الدميري[٧] بلغة هذيل .

٤- (لوَّاحَة للبشر[٨]): حرّاقة، بلغة قريش، وفي الدميري[٩] بلغة أَزْد شَنوءة .

ومـــن هـــذا يتضح لنا مقدار ما أصاب اللهجة القرشية من الاضطراب والقلق والتخـــلخل، وممـــا ســـاعد على هذا أن الرواة كانوا دائمًا يخلطون بين لهجة الحجاز ولهجة قريش، وينظرون إليهما على أنهما لهجة واحدة، ومن ذلك:

١- (أَسْـــرَيْت) لغـــة قرشية كما في الكامل[١٠]. وفي المصباح[١١]، واللسان: للحجاز .

٢- (قـــرِرْت) بالمكان أَقرّ - عزاها الكسائي في الغريب المصنف إلى الحجاز، وعزاها أبو حيان في البحر المحيط[١٢] إلى قريش .

---

(١) سورة الأعراف : ٢٠٣.

(٢) كتاب اللغات في القرآن : ٢٨ .

(٣) التيسير في علوم التفسير : ١١٩ .

(٤) سورة الإسراء ٦٢ .

(٥) اللغات في القرآن: ١٢٧ .

(٦) سورة طه : ١١٢.

(٧) اللغات في القرآن: ١٢٩ .

(٨) سورة المدثر: ٢٩ .

(٩) اللغات في القرآن: ١٤٢.

(١٠) ٦٢/١.

(١١) المصباح : ٤٢٠/١ ، واللسان : ١٠٣/١٩ .

(١٢) ١٧٠/٦.

٣- (ذلــك وتلــك) عــزاها الفراء في معاني القرآن[١] لغة لقريش ، وعزاها الأشموني[٢] إلى الحجاز. والحق أن لهجة قريش تختلف إلى حد ما عن اللهجات الحجازية الأخرى؛ لاختلاف مجتمعها، بل نرى أبعد من ذلك ، إذ نجد فرقًا في اللهجة بين قريش (الــبطاح) وقــريش (الظّواهــر) وممــا يساعدنا على هذا الفهم ما لمحه صاحب الإتحــاف[٣] حيث يقول: (بين الصّدفين) بضم الصاد والدال لغة قريش وبها قرأ ابن كــثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب، وبفتحهما – لغة الحجاز، وهذا يوضح ما وقع فيه الرواة من خطأ منهجي .

استدراك على اللوحات الإحصائية :

في بعض المصادر وجدتُ أن لهجات اليمن وحمير قد فاقتا لهجة تميم والحجاز – بالرغم من المكانة السامية لهاتين اللهجتين – ففي مؤلفات نشوان الحميري، والهمداني، وابــن دريد قد بلغت لهجات اليمن وحمير (٤٢) لهجة، في كتاب (منتخبات في أخبار الــيمن من كتاب شمس العلوم، ودواء كلام العرب من الكلوم) لنشوان الحميري ت ٥٧٣هــ ، كما بلغت في جمهرة اللغة لابن دريد ٢٢٧ لهجة، وكذلك الهمداني ٣٣٤ هــــ في (الإكليل)، كما لوحظ على ديوان الحماسة لأبي تمام شرح المرزوقي أن لهجة طيّــئ كانت لها الصدارة ثم تلتها تميم فالحجاز. والشبهة تزول عندما نعلم أن المؤلفين الســابقين وقعوا تحت تأثير العاطفة القبلية اليمنية، فكان لابد من أن تدور ألفاظ هذه المؤلفات في فلك تاريخ اليمن ولغاته وحضاراته، كما أن أبا تمام قد اختار أكثر شعراء الحماســة من قبيلة طيّئ ، لأنه منها. والرقعة الجغرافية والمناخ الفكري أكثر ما يحددان اللهجات كمًّا وكيفًا .

---

(١) ١/١٠٩ .

(٢) ١/١٤٢ .

(٣) ص ٢٩٥ .

أدلّة تؤكد لغة الإحصاء في انتشار اللهجة التميمية :-

أولاً: انتشـــار اللهجة التميمية مرده إلى أنهم كانوا على صلة بالحضارة الحيرية، كمـا كـانوا عـلى صـلة بالآراميين والفرس والأسواق الأدبية الشرقية، فتأثروا بها، وشاركوا في الحركات الثقافية المختلفة، فسجلوا نشاطهم اللغوي، ونظامهم الشعري، وبقـي هـذا النشاط التسجيلي قويًّا حتى جاء الإسلام فرحل إليهم الرواة واللغويون، وسـجلوا مـا سمعوه من أفواه تميم، حتى لهجات النساء التميميات[١]. بعكس الجانب الحجـازي الـذي كـان منصرفًا عن جمع التراث، فبقيت ثقافته راكدة جامدة؛ لأن البيزنطـيين لم يعـنوا بتشـجيع عرب الغرب على بعث تراثهم وتسجيله؛ إذ كانت سياسـتهم مادية نفعية[٢] . أضف إلى ذلك أن حاضرة الحجاز لم تدخل دائرة القبائل الـتي عنها أخذ اللسان العربي، وبهم اقتدى، وعليهم اتّكل في الغريب والتصريف، لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدءوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم[٣] .

ثانـيًا: أثبتنا أن ظواهر لهجية عديدة عزيت في الروايات والنصوص لشعب كبير كمضـر، لكنني بعد البحث والدرس حملتها على لهجات تميم[٤]، اعتمادًا على أن تميمًا في عرف علماء الأنساب هي الممثلة لمجموعة مضر.

ثالـثًا: إن بعض ظواهر لهجة تميم كانـت منتشرة في الجزيرة انتشارًا أكثر مما حددته الروايات التقليدية، وأوسع مما أدركه علماء العربية:

(أ) فمـثلاً ظاهرة العنعنة حددتها الروايات بأنهـا إبدال الهمزة عينًا من (أن) المفـتوحة الهمزة، وهدفها الحرص على تحقيق الهمزة خشية أن يجور عليها بدء النطق أو

---

(١) انظر نصًّا لهجيًّا معزوًّا للنساء التميميات في اللسان : ٢٥٩/٨ .

(٢) الأمثال في النثر العربي القديم : د . عابدين .

(٣) الاقتراح : ٢٠ .

(٤) انظر : اللهجات العربية كما تصورها كتب النحو واللغة (الإبدال) .

الوقـــف، فيقوون الهمزة إلى أن تقارب العين، وباستعراض النصوص على تلك الظاهرة نرى أن هذا الإبدال الذي قيِّد بكونه في (أن) المفتوحة إذا وقعت بعدها النون لا يثبت أمـــام النصوص؛ لأن الظاهرة وجدت في (أن) وفي غيرها، بل في وسط الكلمة وفي آخـــرها معزوة إلى تميم[١] . ومما يؤكد ذلك وجود هذا الإبدال في الحبشية وفي الأصل السّـــامي في الأول والوســـط والآخـــر، وبهـــذا الفهم تكون ظاهرة العنعنة قد غطت مســـاحات جغرافية شاسعة من الجزيرة العربية، ومساحات أوسع مما قدره لها اللغويون في المعجم العربي .

(ب) وبهـــذا الإدراك والعمـــق يمكـــن أن ندرس ظواهر تميمية كثيرة: كظاهرة الهمـــز والإدغـــام والإمالة حيث ثبت بالدراسة أنها شملت مناطق حجازية، ومساحات جغرافية أوسع مما جاء في المصادر من روايات تقليدية :

١- فالمعـــروف أن القســـم الشرقي الممثل في تميم يميل، ولكن الظاهرة اتسعت حـــتى رأينا بعض الإمالة قد عزي إلى المناطق الغربية من الجزيرة كالحجاز[٢]، كما ثبت بالسماع أن أهل الحجاز يميلون الألف للكسرة[٣]، ويطالعنا سيبويه في عدة أماكن من كتابه[٤] بنسبة بعض أحوال الإمالة إلى الحجاز كإمالة نحو: خاف وطاب، كما نرى في هذه المناطق الغربية إمالة من نوع آخر وهي إمالة الفتح إلى الضم ، وكانت اليمن أيضًا تمـــيل مـــثل هـــذا، ولم تكن الحجاز وحدها في اتساع دائرة الإمالة حتى شملت طائفة كـــبيرة من الكلمات، وإنما شاركتها خزاعة وكانت منازلها في مكة، وبنو سعد حضنة الرسول علية الصلاة والسلام، كما سار على هذا المهيع في الإمالة قضاعة، وقد تنقلت هـــذه القبـــيلة إلى الشّحر ونجران والحجاز والشام، وكلما ظعنت من مكان إلى آخر

---

(١) كـــتاب العين للخليل : ٥١ ط بغداد ، ١٤١ تحقيق د: عبد الله درويش ، أمالي القالي : ٢ /٧٩ ، الجمهرة: ١/ ٢٣٧ ، اللسان : ١١ / ١٦٤ .

(٢) الهمع : ٢/ ٢٠٠ .

(٣) الهمع : ٢/٢٠١ .

(٤) ٢/ ٢٦١ ، شرح السيرافي : ٣٣٤/٥ مخطوط بمكتبة تيمور .

حملت معها بذور هذه الظاهرة؛ ولهذا كان من الممكن أن نربط بين الإمالة الغامرة اليوم في سوريا وبين قضاعة المميلة، والتي كان لها ذات يوم سلطان على الشام، كما أن العلاقة كانت قوية بين إقليم نجد- ونجد أصحاب إمالة- [١] وإقليم الشام ...

فإذا تركنا الشرق واتجهنا إلى الغرب وجدنا إمالة في الأندلس[٢]، والشبه قائم بين الشام والأندلس؛ حيث كانوا يسمون (غرناطة) بدمشق لا لشبهها الجغرافي الشديد بدمشق – وهي بالفعل أشبه البلاد بها – بل لأن العنصر الدمشقي كان غالبًا فيها[٣] ، ومما يزيد الصلة توثيقًا بين القطرين أن العرب في أسبانيا كانوا على مذهب الإمام الأوزاعي إمام أهل الشام، مما يشير إلى أن السّواد الأعظم من العرب الذين فتحوا أسبانيا كانوا من أهل الشام .

كما حلقت الإمالة بجناحيها في رقاع جغرافية شاسعة شملت: ليبيا ومصر وغيرهما .

٢- وما قيل في الإمالة يقال في الإدغام، وهو في الأصل ظاهرة تميمية، ولكنه انتشر في أجزاء من الجزيرة العربية: شرقيها: كعُقَيل، وعامر بن صَعْصَعة، وبني عِجْل، وبكر بن وائل ، وبَلْعَنْبر، وبني سعد بن زيد. وغربيها: فقد جاء الإدغام على لسان النبي[٤] (ﷺ) وابن عباس[٥] وكثير من قراء مكة والمدينة[٦]؛ ولذلك كان هو اللغة الرسمية السائدة التي تلقفها القرآن الكريم؛ لأنه ظاهرة راقية تهدف إلى الوصول بالكلمة إلى أقصى درجات الخفة والسّهولة؛ ولهذا يقول أبو عمرو: " الإدغام كلام العرب الذي يجري على ألسنتها ولا يحسنون غيره "[٧] .

---

(١) الهمع : ٢٠٤/٢ .
(٢) الإحاطة : ٣٥/١ .
(٣) المقتطف يناير ١٩٣٢ ص ٤٣ .
(٤) اللسان : ج ١٢٥/٣ ط بيروت .
(٥) شرح السيرافي : باب إدغام القراء .
(٦) الإضاءة : ١٣١ .
(٧) النشر : ٢٧٥/١ .

ومـــن أجـــل هـــذا عبر الإدغام القرون حتى وجدنا صداه في لهجاتنا الحديثة، فـــنحن نقـــول: قـــالّك ، جعـــل لّـــك، حدّتّهم في (حدثتهم). وهذا يقوي الربط بـــين الخـــالفين والســـالفين، ويمهـــد لدراســـة (ديناميكـــية) للهجة عبر التاريخ الطويل .

٣- كذلك انتشرت ظاهرة الهمز - وهي تميمية - في بقاع كثيرة من الجزيرة بما فيها البيئة الحجازية، فقد همزت بيئة مكة بعض الصيغ، مع أن طبيعتها النفور من الهمز، ولعـــل الســـبب في همـــزها أنهم - وهم أهل تسهيل - شعروا بالنقص، فحققوا هذه الصـــيغ كـــردّ فعل لإحساسهم بشعور النقص في الظاهرة العامة عندهم وهي تسهيل الهمـــزة، بـــل كـــثيرًا ما كانوا يعاملون همزة الوصل كأنها همزة قطع؛ مبالغة منهم في تحقـــيقها، كمـــا انتشـــر الهمز في بيئة الحجاز على ألسنة القراء[1] حتى اقتحم حصون الفصـــحى نفســـها، وأصبح من مميزاتها، بل بالغ العرب فيه حتى همزوا ما ليس أصله الهمز[2]. وكان عالم العربية عيسى بن عمر الثقفي يؤثر نطق تميم ويقول :" ... ما آخذ مـــن قول تميم إلا بالنبر" [3]، كما كانوا يقرنون النبر بالفصاحة، ففي اللسان:" ورجل نبار: فصيح الكلام " [4].

رابعًا: كما أن كثيرًا من الظواهر اللهجية والتي يمكن أن تنسب لتميم قد عزيت إلى غيرها من القبائل خطلاً أو خطأً:

فالمـــثال الواوي ليس في كلام العرب منه (فعَل يفعُل) بفتح العين في الماضي وضـــمها في المضـــارع إلا حرفًا واحدًا ذكره سيبويه وهو (وجد - يجد) ولم يعزه سيبويه لقبيل مـــن العرب. وقـــد عزاه الرضي إلى بني عامر[5] وكذلك الفـــارابي[6]،

---

(١) الإتحاف : ٥٩ ، ١٣٨ .

(٢) معاني القرآن للفراء : ٤٥٩/١ ، اللسان : ١٠/١، المزهر : ٢٥٢/٢.

(٣) اللسان : ١٤/١ .

(٤) اللسان : ٤٠/٧ .

(٥) الشافية : ١٣٢/١ .

(٦) ديوان الأدب : ورقة: ١٣٤ مخطوط بدار الكتب .

والفـــيومي[١]، واللسان [٢]، وصاحب التصريح [٣]، والسيوطي[٤]، وصاحب التاج في مـــادة (وجـــد) يعـــزوه إلى لبيـــد العامـــري، وفي مادة (نقع) من المصدر نفسه، يستشهد بالظاهرة ويسوق شاهدًا يعزوه إلى جرير وهو :

لو شئت قد نقع الفؤاد بشربة   يدع الصَّوادي لا يَجُدْنَ غليلا

وأمـــام هذا القلق رجعت إلى ديوان لبيد العامري فلم أجد الشاهد السابق فيه، فأيقنـــت أن الظاهرة اللهجية ليست لبني عامر، بل عثرت في ديوان لبيد العامري على عكس الظاهرة في قوله :

فإن لم تجدْ من دون عدنان والدًا   ودون معدٍّ فَلْتَزِعْكَ العواذل[٥]

بكسر الجيم من (تجد) ، ووجدت الشاهد في ديوان[٦] جرير (التميمي) .

وأُرجح أن الذي جر الرواة والعلماء إلى الوهم في عزو الظاهرة إلى بني عامر، أن ابن عامر قرأ بها في سورة النساء [٧](ولا يجد لهم ..) بضم الجيم[٨] ، فظنوا أنه من بني عامر ، ولكنه يَحْصُبيّ يمني[٩] .

شبهة وردها:

ولكـــن قـــد يقـــف في طريق هذه الإحصائيات، التي تشير إلى انتشار اللهجة التميمـــية وقوتهـــا في الجزيرة العربية، ما ورد من ربط بين لهجة الحجاز وقريش وبين الـــلهجة الـــتي نـــزل بهـــا القـــرآن الكـــريم من جانب، اعتمادًا على بعض روايات

---

(١) المصباح : ١٠٠٤/٢ .

(٢) ٤٥٨/٤ .

(٣) ٣٩٦/٢ .

(٤) المزهر : ٢٩/٢ .

(٥) ديوانه : ٢٥٥ ط الكويت ، المغني ٩٥/٢ .

(٦) ص ٤٥٣ ط الصاوي ، ٣٦٤ ط بيروت .

(٧) آية ١٢٣ .

(٨) مختصر شواذ القرآن لابن خالويه : ٢٩ .

(٩) طبقات القراء : ١٠٦/٢، جمهرة أنساب العرب: ٤٠٨ وما بعدها .

الإخــباريين[١]، وكذلــك الربط بين الحجاز وقريش وبين الفصحى من جانب آخر، وأن لهجــة قريش كانت تجتبي- أي تختار - أفضل لغات العرب حتى صار أفضلَ لغاتها لغــتُها فـــنـــزل القرآن بها[٢]، وأنهم أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة. وأغلب هذه الروايات جاءَ عن طريق قتادة ت ١١٧هــ، وقد وصف بأنه مدلّس ولا يجوز الأخذ عــنه[٣] ، وأن سند بعض هذه الروايات ضعيف؛ لأن بعض رجاله لم يلتقوا في حياتهم بمن حدثوا عنهم.

وربمـــا اعتمدوا في ذلك على الاحتجاج بقوله تعالى: ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلســـان قومه ﴾[٤] فلما كان قوم الرسول هم قريش كان نزول القرآن بلهجتهم، والذي أُرجحه أن القومية في الآية عامة تشمل العرب جميعًا، بدليل قوله تعالى: ﴿ وهذا لسان عربي مبين ﴾[٥] .

وقد اعترف القرآن بعربيته لا بقرشيته عشر مرات (يوسف آ:٢ - الرعد آ: ٣٧ النحل آ : ١٠٣ - طه آ : ١١٣ - الزمر آ : ٢٨ - فصلت آ : ٣- الشورى آ : ٧ - الزخـــرف آ : ٣ - الأحقـــاف آ : ١٢ - الشعراءَ آ : ١٩٥) يؤيد ذلك ما جاءَ في الحديث :" أُرسل كل نبي إلى أُمته بلسانها "[٦] والذين أُرسل إليهم الرسول هم العرب فيجب أن يكون القرآن وهو رسالته بلسانهم.

وقد وردت روايات أُخرى تعارض ما سبق وتؤكد أن القرآن نزل بلغات أُخرى غـــير لغة قريش، وأن القرآن حوى خمسين لغة[٧]، وأنه كما نزل بلغة الحجازيين نزل بلغـــة التميمـــيين، وأن كثيرا من القبائل العربية قد اشتركت في لغته[٨]، كما وردت

---

(١) تفسير الطبري : ٢٣/١ ، روح المعاني : ٢٠/١ .
(٢) اللسان : ٧٧/٢.
(٣) تفسير الطبري ٢٣/١ ، ميزان الاعتدال : ٣٤٥/٢ .
(٤) إبراهيم : ١٠٣ .
(٥) النحل : ١٠٣ .
(٦) القرطبي : ٢٤٠/٩ .
(٧) الإتقان : ١٣٦/١ .
(٨) اللسان : ٣٨٥/١٠ ، فتح الباري : ٢٢/٩.

روايـــات تعـــزو الفصـــاحة إلى قـــبائل عربية غير قرشية ومن هذه القبائل: عليا تميم وسفلاها[١] .

ونخــرج من هذه الروايات والأخبار المتضاربة على أن الفصاحة لم تكن خاصة في قــريش، وأن القــرآن لم ينــزل بلهجتها وحدها، بل تبلورت جميع اللهجات فيه. فحولهـــا إلى عصارة نافعة غذت العربية فكانت لحمتها وسداها، وبهذا مثّل القرآن اللغة الفصـــحى بين العرب جميعًا[٢] وبها تحدى الخطباء اللّدن، والفصحاء اللّسن ﴿ أن يأتوا بسورة من مثله ﴾ [٣].

وأخـــيراً : فإن ما جاءنا من لهجة تميم يعد من أكثر ما جاءنا عن سائر لهجات القبائل العربية.

فقـــد أمـــدّت العربـــية بروافد غنية – على جميع المستويات: الصوتية والدلالية والمعجمية والتركيبية – لا ينقطع مددها ولا ينضب معينها .

وقـــد اعتمدنا في تحديد أبعاد اللهجة ومسارها، ورسم مواقعها وحدودها على لغة الإحصاء، وهي المنهج العلمي الحديث الذي يعتمد عليه في إظهار الحقائق وتقويمها، و لم نقع تحت تأثير رواية من الروايات التقليدية السابقة، والتي نرى أن السياسة صاغتها حينًا، والعصبية أحيانًا، والغيبيات أحيانًا أُخرى .

وبعد هذا يمكن أن ننتقل إلى دراسة نَصّيَّة لقبيلة تميم .

* * *

---

(١) الصاحبي: ١٨ ، الفائق للزمخشري : ٤٥٩/٢ ، اللسان : ٢٢٥/١٧ ، المزهر : ٤٨٣/٢ .

(٢) انظر حديثًا مفصلاً عن الفصحى ولغة القرآن في " مستقبل اللغة العربية " : ٨ ، ٩ دكتور إبراهيم أنيس .

(٣) البقرة آ : ٢٤ .

المصطلحات اللغوية في اللهجات العربية القديمة (*)

الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين: قامت لجنة اللهجات بجمع اللهجات العربية القديمة من (لسان العرب)، وصنّفت المادة المجموعة بطريقة تيسّر على الباحثين الانتفاع بها، فوضعت ما نسبه اللسان منها إلى كل قبيلة على انفراد ، وبهذا أصبح من الميسور الرجوع إلى ما يتصل بلهجة كل قبيلة على حدة، ثم أعادت تصنيف ما يتصل بالقبيلة الواحدة وفقًا لمستويات اللغة بالترتيب الآتي:

ما يتصل منها بعلم الأصوات، ثم ما يتصل بعلم الصرف، ثم ما يتصل بعلم النحو، وفي النهاية ما يتصل بعلم المعاجم (متن اللغة).

وقد اختارت اللجنة مجموعة من كتب اللغة والقراءات والنحو والصرف لتستخرج منها اللهجات العربية القديمة بالطريقة السابقة، وقد وجدت اللجنة أن هذا العمل سوف يعطي للباحثين مادة لغوية وفيرة عن هذه اللهجات تكفي لتقديم صورة قريبة إلى الواقع اللغوي لهذه الظواهر التي وصفها القدماء .

وقد وجدت اللجنة في هذه المرحلة من الجمع والتصنيف أن الحاجة ماسة إلى بيان المقصود من عديد من المصطلحات التي تتردد كثيرًا حين الحديث عن لهجة من اللهجات، فرأت أن تجمع هذه المصطلحات وتعرّف بها، ومنها:

- ما يتصل بالجانب الصوتي نحو: التلتلة ، العجعجة، الكسكسة ... الخ .
- ما يتصل بالجغرافيا اللغوية نحو: أهل الحاضرة، أهل البادية، أهل السواد " ... إلخ .
- ما يتصل بعيوب النطق نحو اللثغة، الفأفأة، اللكنة ... الخ

(*) قدّمتها لجنة اللهجات، وعرضت على مجلس المجمع في الدورة الحادية والأربعين، بالجلسة الثلاثين، في ١٤ من فبراير سنة ١٩٧٥، وعرضت على مؤتمر الدورة نفسها، الجلسة التاسعة، في ٨ من مارس سنة ١٩٧٥، وتولى عرضها على مؤتمر المجمع، خبيرا اللجنة: الأستاذ بخاطره الشافعي، والدكتور عبد الصبور شاهين. ودارت حولها مناقشات مثبته بمحاضر الجلسات.

- مـــا يتصـــل بالأحكام التي أطلقها القدماء على الظواهر اللغوية للهجات، نحو: لغة رديئة، لغة جيدة، لغة عالية، لغة فصيحة ... الخ

وقد بدأت اللجنة بالجانب الصوتي، وراعت عند تقديمه إليكم ما يأتي:

١- التعريف بالمصطلح من الناحية اللغوية، ما دعت الفائدة إلى ذلك.

٢- التعريف بالمصطلح من الناحية الاصطلاحية - كما عرفه اللغويون القدامى.

٣- إسناد الظاهرة إلى القبائل التي توجد فيها.

٤- مناقشة الآراء المختلفة التي قدمها اللغويون عن تفسير الظواهر المدروسة.

٥- الاهتمام بما يشابه الظاهرة من اللغات السامية القديمة.

٦- التعرف على ما يتصل بهذه الظاهرة من اللهجات العربية المعاصرة.

٧- تقديم التفسير اللغوي الحديث.

* الدكتور إبراهيم مدكور: هل لديكم ملاحظات على المذكرة؟

* الأســتاذ سعيد الأفغاني: هل يمكن أن نقول " متن اللغة " بدلاً من " علم المعاجم "، وأن نقول " المناطق اللغوية " بدلاً من " الجغرافيا اللغوية " ؟

* الدكـــتور إبراهـــيم مدكور:" علم المعاجم " مصطلح يراد به مقاصد لغوية كثيرة لا يؤديهـــا التعبيـــر المقترح، كما أن " الجغرافيا اللغوية " لها مدلولات خاصة كفرع من فروع علم اللغة .

* الأســتاذ ســعيد الأفغاني : أود أن أذكر أن الخطة التي وضعتها اللجنة لعملها جادة وعمـــيقة، والـــزمن كفيل أن يحكم لها؛ لأن جمع ما يتصل بكل قبيلة من ظواهر لغوية عمل بالغ الخطورة، فيما يتصل بدراسة اللهجات العربية .

ثم نوقش ما يلي:

١- التلتلة :

في اللغـــة: التحريك والإقلاق والزعزعة والزلزلة، وفي الاصطلاح - على الرأي الشـــائع - كسر تاء المضارعة. وقد اختلف اللغويون في المقصود بها، فيرى (الحريري):

أنهـــا كســـر حـــروف المضـــارعة، ويرى (شهاب الدين الخفاجي) أن بني الأخيل يكســـرون حـــروف المضارعة ما عدا الألف، ويرى (البغدادي) أنها كسر حروف المضـــارعة مـــا عـــدا الياء. ويرى (ابن يعيش) أنها خاصة بالفعل إذا كان على فَعل يَفْعَل.

ويخـــتلف اللغويـــون كذلك في نسبتها إلى القبائل العربية، فيرى (الفراء) أن قريشًا تفتح، وأسد وغيرهم يكسرون، ويرى أبو عمرو أن الكسر لغة قيس وتميم وأسد وربـــيعة وعامـــة العرب، والفتح لغة أهل الحجاز وقوم من أعجاز هوازن وأزد السراة وبعـــض هذيل، وينسب (أبو حيان) الفتح إلى الحجاز، والكسر إلى قيس وتميم وأسد وربيعة، وقد نسبها اللسان إلى بهراء وبهذه التسمية عرفت .

وقـــد وردت بعض القراءات القرآنية على هذه اللهجة، فيروي (أبو حيان) في قوله تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ الفتح في الفعلين " نعبد ونستعين " على لغة أهـــل الحجاز، ويذكر أنها لغة الجمهور، والكسر على لغة غيرهم، وهي قراءة عبيد الله بن عمير الليثي وزرّ بن حبيش، ويحيى بن وثاب، والنخعي، والأعمش .

وقـــد رويت آيات أخرى على هذه اللهجة في غير النون من حروف المضارعة، مثل قوله تعالى: ﴿ مالك لاتيمنا على يوسف ﴾، وقوله: ﴿فإنهم ييلمون كما تيلمون﴾ وقوله: ﴿ فكيف إيسى على قوم كافرين ﴾.

ويلاحـــظ أن بعض اللهجات العربية الحديثة، في مصر وبعض جهات فلسطين، تكســـر هذه الحروف ما عدا الهمزة، وتفتح أو تضم أحيانًا في حالات خاصة لأسباب صوتية، وبعض اللهجات تفتح هذه الحروف، كما في السودان .

ويحسن الإشارة إلى أن من اللغات السامية ما تكسر هذه الحروف مثل: العبرية والســـريانية والحبشـــية القديمـــة، ومـــنها ما يفتحها مثل: البابلية والأشورية والعربية الفصحى.

٢- الشنشنة:

في اللغــة (بكسر الشينين): الخليقة والسجية، ولا علاقة بين الاستعمال اللغوي للكلمة واستعمالها الاصطلاحي.

وفي الاصــطلاح - عــلى مــا ذكــر السيوطي -: جعل الكاف شينًا مطلقًا كــ " لبيش اللهم لبيش " : أي " لبيك " وينسبها إلى أهل اليمن .

وقد ورد وصف هذه الظاهرة لدى بعض السابقين على السيوطي دون استخدام هــذا المصــطلح، ومــن هؤلاء: ابن فارس، والقلقشندي الذي قال: تبدل حمير كاف الخطاب شينًا معجمة فيقولون في " قلت لك " : " قلت لش ".

(انظر: الكشكشة)

وتفســير هــذه الظاهرة من الناحية الصوتية أن مخرج الكاف قد تقدم قليلاً إلى وسط الحنك وهو مخرج الشين.

٣- الطمطمانية :

في اللغــة : العجمــة. وفي الاصطلاح : إبدال لام التعريف ميمًا، مثال ذلك: " طــاب امهواء " في: " طاب الهواء "، وفي الحديث الشريف:" ليس من امبر امصيام في امســفر " أي: " لــيس مــن البر الصيام في السفر "، ومنه " يرمي ورائي بامسهم وامسلمة ".

وتنسب إلى حمير ونفر من طيئ. ومن المعروف أن أداة التعريف (الألف والميم) هي أداة التعريف على الإطلاق عند أهل اليمن وحمير وطيئ قديمًا.

وذهب ابن هشام إلى أن هذه اللغة مختصة بالأسماء التي لا تدغم لام التعريف في أولها نحو " غلام وكتاب " بخلاف " رجل وناس ".

ولا تــزال هذه الظاهرة شائعة في اليمن في بعض جهات حماشد وأرحب وبني حشيش وبعض بلاد همدان وسحار من صعدة، وفي معظم مناطق تهامة، وهي بقية من بقايا اللهجة الحميرية أو السبئية القديمة.

ومـــن اليســـير تفسير هذا التبادل بين اللام والميم في أداة التعريف، إذ إنهما من الأصوات المتوسطة المتقاربة في الصفات والمخارج.

٤- العجعجة :

في اللغـــة: التصويت. وفي الاصطلاح: إبدال الياء المشددة والمخففة جيمًا، مثال ذلك: " أبو علج " في أبو علي " و " بالعشج " في " بالعشي " في قول الشاعر:

خالي عويف وأبو علجّ   المطعمان الطعام بالعشجّ

ونحـــو " تميمج " في " تميمي " و " حجتج " في " حجتي " و " يأتيك بج " في " يأتيك بي ".

ويشـــترط بعض العلماء شرطين لهذا الإبدال، هما: الياء المشددة والوقف، ومتى خـــرج هذا الإبدال عن هذين الشرطين عدوه شاذًا. ويعد (ابن عصفور) من العجعجة إبـــدال الجيم من الياء أيًّا كان موضع الياء من الكلمة، ومما ورد في ذلك: " أمسجت " في " أمسيت " و " إجَّل " في " إيَّل ".

وقـــد علل القدماء الإبدال في العجعجة بقول شارح شواهد أبي علي الفارسي: " إن ناسًـــا مـــن العـــرب يبدلون من الياء جيمًا، لما كان الوقف على الحرف يخفيه، والإدغام فيه يقتضى الإظهار ويستدعيه، أبدلوا من الياء المشددة في الوقف الجيم، لأنها أبين، وهي قريبة من مخرجها ".

وهـــي لغة لقضاعة، وقد تنسب لناس من بني سعد، ومنهم من يصرح بأنها لغة طيئ وبعض أسد.

ولهذه الظاهرة تفسير صوتي يتلخص في أن كلاًّ من الياء والجيم العربية المعطشة ينتج مما بين مقدم اللسان وسقف الحنك، مع فارق وحيد هو أن الياء تصدر عن تضييق بين هذين العضوين، بينما تصدر الجيم عن إغلاق بينهما، أي أن صوت الجيم في الواقع هو صوت ياء مبالغ في تضييقه إلى درجة الغلق . ولهذا إذا وقف على الياء وهي مشددة - والتشـــديد كمـــا نعلم يطيل الصوت ويحدث توترًا في أعضاء النطق - فإن مقدم

اللسان قد لا يستطيع التوقف عند حدود صوت الياء، بل يستمر في اندفاعه نحو سقف الحـــنك إلى أن يصطدم به فيدخل في منطقة الجيم، ومعنى هذا أن صوت الياء لم يقلب جيمًا بل أضيفت إليه جيم معطشة.

ولهـــذه الظاهـــرة مثيل في نطق بعض المصريات، للكلمات التي تنتهي بصوت الياء، وإن كن يضفن إلى الياء جيمًا شامية (أي احتكاكية) فيقلن في "أوى" " أوج".

وقـــد وردت أمثلة بحدوث عكس هذه الظاهرة، أي قلب الجيم ياء، في بعض المواضع، نحو قول الشاعر:

إن لم يكن فيكن ظل ولا جنى فأبعدكن الله من شيرات

ومنه القراءة الشاذة: " ولا تقربا هذه الشّيرة ".

ويوجـــد هذا النطق على لسان أهل الكويت والخليج حديثًا فيقولون: "أنا ياى" في " أنا جاي "، و " لما ييي " في " لما ييجى " و " ريَّال " في " رجَّال ".

وتقترح اللجنة أن يطلق على هذه الظاهرة مصطلح " اليجيجة ".

٥- العنعنة:

في الاصـــطلاح: إبـــدال العـــين من الهمزة المفتوحة، وهو إبدال سماعي، فإذا كُسِرت بقيت كما هي. وتقع في أول الكلمة، مثال ذلك :"عمًّا عَنْت" في " أما أنت" و " عـــن " في " أن " ، و" عَسْـــلم " في " أســـلم " . وقد وردت في وسطها ، نحو " السعف " في " السأف " و " ذُعاف " في " ذؤاف " .

وقـــد وردت أحـــيانًا في آخرها نحو"الكُتعة " في " الكُتأة "، و " تكعكع " في " تكأكأ "..

وتنســـب إلى تمـــيم وقـــيس وقضاعة ومن جاورهم ، ولهذه الظاهرة أمثلة في لهجـــات البوادي في مصر، فيقولون: " اسعل عليّ " في " اسأل عليّ "، و " الجُرْعان" في " القـــرآن "، وبعـــض أهـــل الصـــعيد يقولون: " لع " في " لأ " و " سعل " في " سأل".

وتعرف اللغة التيجانية في شمال الحبشة – وهي من اللغات السامية – هذا اللون من الإبدال، فيقولون: " صَبَع " في " صَبَأ "، " وعربْعَ " في " أربع " أي أربعة .

ويمكـــن تفســـير الظاهرة بتقارب مخرج العين من الهمزة، وشدة النطق بها عند بعض القبائل، والرغبة في إظهارها.

٦– الفحفحة :

في اللغة: الكلام، والنفخ ، وتردد الصوت في الحلق. وفي الاصطلاح: جعل الحاء عينًا. وينسبها (السيوطي) لهذيل، وقد جاء في اللسان أن هذيلاً وثقيفًا تقولان " عتى " في " حتى " وأن ابن مسعود (الهذلي) قرأ : " عتى حين ".

ولســـنا نـــدري على أي شيء اعتمد (السيوطي) إذ قال: إن هذيلاً تجعل الحاء عينًا. فلم يرد أن (ابن مسعود) أبدل الحاء في " حين " كما لم يرد عنه مثل هذا الإبدال إلا في موضع آخر من قراءاته هو " وطلع منضود " في " وطلح منضود "، ومن الغريب أن (ابن هشام) يروي في المغني أن (ابن مسعود) قرأ: " نَحَمْ " في " نَعَمْ " مما يتناقض مع القول بقلب هذيل للحاء عينًا .

وقـــد أورد اللسان في مواضع متفرقة كلمات عديدة بلغة هذيل اشتمل بعضها عـــلى صوت الحاء في أول الكلمة وفي وسطها وفي آخرهـــا دون قلبها عينًـــا مثل : الحَمْز: التحديد، والضحضاح: الكثير، والصريح: الخالص، وغيرها.

ويبدو أننا – فيما يتعلق بهذيل – بصدد ظاهرة صوتية فردية هي استخدام "عتى" بـــدلاً مـــن " حـــتى "، وليس ذلك عسير الفهم، فاللغات السامية الأخرى، ولهجات الجـــنوب العربية تستخدم العين والدال في مقابل الحاء والتاء في الكلمات المقابلة لحتى فيها.

أمـــا مـــا روي مـــن قراءة ابن مسعود : " بحثر ما في القبور " في " بعثر ما في القبور"، وقول تميم " مَحهم " في " معهم "، و " أحهد " في " أعهد " فمرجع ذلك إلى التأثير الصوتي لمجاورة صوت العين المجهورة وهي ساكنة لصوت التاء والحاء المهموستين.

وقـــد أورد اللسان كلمات تشتمل على صوت الحاء، ثم ذكر في كل منها لغة غـــير منسوبة وردت بصوت العين،كما أورد كلمات أخرى كان الأمر فيها بالعكس، أي وردت أصلاً بصوت العين ثم ذكر فيها لغة غير منسوبة بصوت الحاء.

فمـــن النوع الأول: " القلعم ": الشيخ المسن، مثل " القلحم "، والحاء أصوب، " والعَبَكة " قول في " الحبكة " وهي الحبَّة من السويق .

ومـــن الـــنوع الـــثاني: " الطلح " لغة في " الطلع "، و " ومتح " النهار لغة في " متع "، إذا ارتفع .

وتقترح اللجنة أن يطلق مصطلح الفحفحة على النطق المرجوح بالعين بدلاً من الحـــاء، في الحالات التي يتبادل فيها الموضع ذاته صوتا الحاء والعين من الكلمة، نتيجة لاختلاف اللهجات مثل " القَلْعمَ " لغة في " القلْحَم " وألا يضاف ذلك إلى هذيل[1].

٧- المعاقبة (*):

١- في المعـــاجم: عاقبته في الراحلة؛ إذا ركبت أنت مرة وركب هو مرة، وهما يتعاقبان كالليل والنهار، ونخل معاقبة؛ تحمل عامًا وتخلف آخر .

والتعاقب والاعتقاب: التداول. وهما يتعاقبان ويعتقبان، أي : إذا جاء هذا ذهب هذا .

وأعقبت الرجل وعاقبته في الراحلة؛ إذا ركب عُقْبة وركبتَ عقبة، مثل المعاقبة.

والمعاقبة في الزحاف: أن تحذف حرفًا لثبات حرف كأن تحذف الياء من مفاعيلن وتبقي النون، أو تحذف النون وتبقي الياء.

٢- والعرب تُعقب بين الفاء والثاء وغيرها وتعاقب مثل: جدث وجدف، ولقد شاع الإبدال على أنه: القلب والمضارعة والتعاقب والمعاقبة والاعتقاب والنظائر.

---

(١) وردت العـــبارة :" كما تقترح إيجاد مصطلح آخر للحالات المقابلة هو " العفعفة " ويطلق على النطق المرجوح بالحاء بدلاً من العين في مثل الأحوال السابقة نحو " متح " لغة في " متع " في المذكرة المقدمة إلى مجلس المجمع في الدورة الحادية والأربعين – الجلسة الثلاثون.

(*) بـــدءاً من هذا المصطلح وحتى المصطلح العاشر، قدّمها عن طريق اللجنة الدكتور أحمد علم الدين الجندي (خبير بلجنة اللهجات).

لكن مصطلح (المعاقبة) ذاع وشاع فيما كان بين الواو والياء وأدلة ذلك:

(أ) أوبة وأيبة على (المعاقبة)، اللسان ١/٢١١ .

(ب) وفي اللسان ٢/٣٢٥ يذكر قول الشاعر: (جَاوتَهَا فَهاجَهَا جُواتُه) ويروي بعضهم: جايتها، وهذا إنما على المعاقبة الحجازية كالصياغ في الصواغ، والمياثق " فهما جها جواته " إلى الأصل الذي هو الواو.

(ج) روى الأصمعي: سألت المفضل عن قول الأعشى:

لعمري لمن أمْسى من القوم شاخصًا لقد نال خيصًا من عفيرة خائصا

فقلت ما معنى خيصًا خائصًا؟ فقال: أراه من قولهم: فلان يخوص العطاء في بني فلان؛ أي يقلّله، فكأن خيصًا شيء يسير، ثم بالغ بقوله: خائصًا. قلت له: فكان يجب أن يقول: لقد نال خوصًا، إذ هو من قولهم: هو يخوص العطاء. فقال: هو على (المعاقبة)، وهي لغة لأهل الحجاز (المخصص سفر ١٤ ص ١٩).

وأنشد أبو علي:

ليث عليه من البردي هبريه كالمزبراني عيار بأوصال

ويروى: عيال وعوال . فأما عوال فمن عال عولاً، وأما عيال فلا أعرف ما هي؛ إلا أن يكون على (المعاقبة) التي بين الياء والواو بغير علة وهي حجازية. (المخصص سفر ٨ ص ٦٢).

ومما سبق نرى أن المعاقبة اصطلاح للتحول من الواو إلى الياء على الوجه الذي سبق.

كما أن لهجة الحجاز آثرت الصيغة البائية، يؤكد ذلك:

١- أهل الحجاز يسمون: الصواغ - الصياغ، ويقولون: الصيام للصوام ومثله كثير. (اللسان ٨/٣٠٠). كما عزا الفراء الصيغة اليائية للحجاز (معاني القرآن للفراء ١/١٩٠) كذلك عزاها ابن جني في محتسبه (١ - ١٧٥ بالتيمورية دار الكتب)، وابن خالويه في شواذ اللغة (ص ١٩) .

كذلـــك نرى أن الصيغة الواوية هي الأصل لما ورد في اللسان ١٩/ ٣٨ وتثنية الرضـــا رضـــوان ورضـــيان الأولى على الأصل والأخرى على المعاقبة. وانظر اللسان لتأكـــيد هذا الأصل ٣٢٥/٢، وإنما كانت الواو هي الأصل كما رجح لكثرة استعمال الصـــيغ الواوية كما أن اشتقاق الصيغ جاء منها، وإنما تحولت الواو إلى الياء؛ لأن الياء أخف من الواو، والضم وهو الواو الصغيرة – كما يرى علماء العربية – يحتاج إلى جهد عضلي أكثر؛ لأنه يتكون بتحرك أقصى اللسان، على حين يتكون الكسر بتحريك أدنى اللســـان، وتحرك أدنى اللسان أيسر من تحرك أقصاه، ولهذا مالت الحجاز – وهي بيئة متحضـــرة – إلى الكســـر، والكسرة رمز المؤنث، وهي – كما يقول علماء العربية – الياء الصغيرة. ومن هذا المنطق نرى أن البيئات المتحضرة شاركت الحجاز في الياء وأدلة ذلك:

١- حكـــى الفراء عن بعض بني كلب (عنيان الكتاب) في (عنوانه وعلوانه) (إبدال ابن السكيت ص ٨).

٢- شذ في تثنية الممدود خمسة أشياء منها (حمرايان) وحكى بعضهم أنها لغة فزارة. (الأشموني ١١٤/٤) . وقياسها (حمراوان).

٣- وفي اللســـان ١٣/١ عن أبي زيد: " سمعت بعض فزارة يقول: هما كسايان وخـــبايان وقضـــايان فـــيحول الـــواو إلى الـــياء " وقـــد حكم النحاة بشذوذ لهجة فـــزارة (التصـــريح ٢٩٥/٢) والكوفـــيون قاسوا عليها (الهمع ٤٤/١) ومنع ذلك غيرهم.

٤- وفي الغريـــب المصـــنف مخطوط بدار الكتب رقم ١٢١ ورقة ٥٠٢ " أن الكســـائي ســـأل بني سليم عن (نما ينمو) فلم يعرفوه بالواو " ومعنى هذا أنهم عرفوه بالياء.

فالقبائل السابقة سارت مع الحجاز في إيثار الياء، فما العلاقة بينها وبين الحجاز؟ وأعلل لذلك فيما يلي:

* تأثر بني كلب بالحجاز لأنهم عاشوا على الطريق الذي كان يسلكه الحجازيون في تجارتهم على حدود الشام، وأما فزارة فقد كانت بطونها تسكن منطقة الحجاز، وأما سليم فكانت على صلة وثيقة بقريش (تاريخ العرب قبل الإسلام، د.جواد علي ١٧٦/٤) كما أرجح أن البيئات البدوية آثرت الواو، وأدلتي على ذلك:

١- ما ورد في مجالس ثعلب:

تحن إلى الفردوس والشير دونها وأيهات عن أوطانها حوث صلت

قال أبو العباس: هذه لغته، وهو رجل من طيئ.

٢- وقال عياض بن أم درة :

حمى لاَ يُحلّ الدهرَ إلا بإذننا ولا نسأل الأقوام عهد المواثق

(نوادر أبي زيد ٦٤ – ٦٥) ورواه ثعلب: " عقد المياثق " .

٣- حكي عن طيئ: أنهم يقولون: أونق. وغيرهم: أينق (إصلاح المنطق ١٤٤).

٤- ويروى عن أهل نجد قولهم: لهوت عنه ألهو ، وغيرهم : لهيت .

(نوادر أبي زيد ٨٩).

٥- وحكى ابن سيده عن العرب يقولون: ما أعبج من كلامه بشيء، أي: ما أعبأ به: وبنو أسد يقولون: ما أعوج. (المخصص ٢١/١٤) .

٦- وروى ابن السكيت: عزيته إلى أبيه، وبنو أسد يقولون: عزوته إلى أبيه. (المخصص ٢٣/١٤)

٧- وروي عن تميم أنهم يقولون:

(أ) القنوة، وقلنسوة. مقابل الحجاز حيث تقول: القنية، قلنسية. (المزهر ٢٧٦/٢).

(ب) قنوت ، وقنيت بالياء للحجاز. المرجع السابق .

(ج) ما جاء عن ابن السكيت من قوله: " يقال فلان ذو دغوات ودغيات "، ولم يسمع دغيات إلا في بيت رؤبة فإنهم زعموا أنه قال: " نحن نقول: دغية، وغيرنا

يقـــول: دغوة " وأنشد: (ذا دغيات قلب الأخلاق) (المزهر ٢٥٤/١) والمعنى: ذو أخـــلاق رديـــئة متلونة، ورؤبة هذا من تميم وآثر الياء على الواو، ولكني رجعت إلى مصـــادر أخـــرى لتأكيد ما جاء عن ابن السكيت أو تفنيده، فوجدت الشاهد السابق بـــالواو (في إبدال أبي الطيب ٥١٩/٢)، وكذلك (في اللسان ٢٨٨/١٨)، وما لي أذهـــب بعيدًا فقد وردت بالواو في ديوان رؤبة ص ١٨٠، وهذا يقوي اتجاهنا، ثم إن قـــول ابن السكيت السابق حاليًّا رواية الياء لرؤبة تجعلنا نقف موقف الشك منها لقوله " فـــإنهم زعموا " فكأن برواية الياء لم تفارق منطقة الزعم والظن، والظن لا يغني من الحق شيئًا .

وهناك بعض القضايا التي لابد أن نوضح وجهة نظرنا فيها وهي :

أولاً: هـــل المعاقـــبة تكـــون بين قبيلتين مختلفتين، كما سبق بين الحجاز وتميم وغيرهما؟

وأرجح أنه يمكن ذلك كما سبقت الإشارة إليه، ويمكن أيضًا أن تقع المعاقبة عند قبيلة واحدة ، ويؤكد ذلك ما ورد في المخصص ٢٢/١٤ من قول أبي صخر:

فَإِنْ يَعْذِرِ القَلْبُ العَشِيَّةَ في الصِّبا   فُؤَادَكَ لا يَعْذِرك فيه الأَقَاوِمُ

وقـــد روي (الأقـــايم) يريد القوم، وبما أن صخرًا هذا من هذيل، وهذيل تقع في منطقة الحجاز، فعليها أن تقول حسب ما رأيناه (الأقايم) إلا أنها وردت بالياء مرة، والواو أخرى، ولذا أرجح أن هذيلاً وإن كانت تسكن منطقة الحجاز المتحضرة، إلا أن جـــزءًا مـــنها كان متبدِّيًا يعيش على قنن الجبال يثير الرعب والفزع، وينهب القوافل، وتـــاريخ العرب حافل بالصعاليك والعدائين منهم، فهو مجتمع شاذ، والشذوذ الطبيعي يتـــبعه شذوذ لغوي ، ولهذا رأينا فيهم الظاهرة اللغوية وعكسها لذلك؛ لهذا رجحنا أن الصيغة الواوية للبدو منهم ، واليائية للحضر، فالواو أصل ، والياء تطور منها .

وعـــلى تلك النظرة يمكن أن نحل كثيرًا من الروايات المختلفة المنسوبة إلى قبيل بعينه.

ثانـيًا: نـرى في المعاقبة وحدة الصيغتين في المعنى كما سبق، فما اختلفت فيه الدلالـة بـين الصيغتين لا يكون من المعاقبة في شيء، كقولهم: الكور: المبني من طين، والكـير: الـزق الذي ينفخ فيه. وقولهم: قلوت وقليت: يقال نَقْلِي البسر والبر، وكل شـيء يقلى بالواو والياء، ولا يكون في البغض إلا قليت. (المزهر ٢/ ٢٧٧، إصلاح المنطق ١٣٩) .

ثالـثًا: أن التحول من الواو في المعاقبة يكون لغير علة، يقول ابن سيده: فأما ما دخلـت فـيه الواو على الياء ، والياء على الواو لعلة فلا حاجة بنا إلى ذكره في هذا الكـتاب لأنـه قانون من قوانين التصريف (المخصص ١٩/١٤)، ويقول ابن جني: " ولـيس هـناك علـة تضطر إلى إبدالهما أكثر من الاستخفاف مجردًا، هو المعتد غير المسـتنكر، المعول عليه المحتج به، فلذلك اعتمدناه .. إذ كان تلعبًا بالحرف من غير قوة سبب ولا وجوب علة ... " (الخصائص ٤٦٣ ط الهلال).

رابعًـا: أن المعاقـبة ليست بلازمة في لهجات الحجاز، ومن سار سيرها، وإلا لخلت من منطقهم الواوات. فالمعاقبة ليست بمطردة في كلامهم. هذا، وأحب أن أشير إلى أن بين صوتي الواو والياء مشابهة منها :

(أ) أن كلاً من الواو والياء من أصوات اللين الضيِّقة .

(ب) الواو أخت الياء، والضم أخو الكسر، والدليل على ذلك أنهما يجتمعان في الردف في القصيدة الواحدة.

(ج) كـثرة شيوعهما في النسيج العربي. ونظرية الشيوع تنادي بأن الأصوات الـتي يشيع تداولها في الاستعمال تكون أكثر تعرضًا للتطور من غيرها؛ ولهذا وقع بينها التعاقب وتطورت الواو إلى الياء في:

القرآن الكريم:

١- ﴿ لا تذر على الأرض من الكافرين ديارًا ﴾ (نوح ٢٦) - وهو: دوار من دار يدور: فأقرت الياء بالمصحف على لهجة الحجاز .

٢- ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قيامًا ﴾ (المائدة ٩٧)

والأصل: قوامًا، وبها قرأ بعضهم. (تفسير الطبري ٩١/١١ ط دار المعارف).

وفي العاميات:

تقول العامة للذي يستصبح به على أبواب الملوك : منيار بالياء والصواب منوار، لأنــه مــأخوذ من: النور أو من النار، وكلاهما من الواو ، ولو بنيت مفعالاً من النول والقــول لقلــت: منوال ومقوال بالواو، ولم تقله بالياء (تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة للجواليقي٣٣) ويلاحظ على هذا النص تحامل الجواليقي على الصيغة المتطورة، وهــي الياء، وهذا يشبه موقف النحاة حين حكموا على أمثالها[1] بالشذوذ. وإنما كان التطور إلى صيغة الياء لأنهــا أخف من الــواو، ومظهر من مظاهر التحضر والرقة في معظم البيئات اللغوية، بعكس الواو التي تصور مظهرًا من مظاهر الخشونة البدوية .

وفي الساميات :

وكمــا وقعت المعاقبة في العربية ولهجاها حدثت كذلك في أخواها، فقد حدث ذلك في الآرامية، كما وجدت في النقوش اليمنية، فكلمة: قول؛ تقابل الكلمة العربية: قَيْل [2].

٨- الغمغمة:

١- ترى المعاجم أن الغمغمة مثل الهمهمة: كلام لا تفهمه (الجمهرة ١٦١/١).

وأنهــا مــن: غم الشيء: إذا غطّاه .. ومن المجاز: سحاب أغمّ : لا فرجة فيه. والغمغمــة قد تكون من الكلام وغيره ؛ لأنها صوت لا يفهم تقطيع حروفها. (العقد الفــريد ٢٩٤/١) . ويرى البغدادي أنها : " قد تكون من الكلام وغيره؛ لأنها صوت لا يفهــم تقطيع حروفه " . (خزانة الأدب ٥٩٦/٤) . ثم يقول : والغمغمة ألا يتبين الكلام، وأصله أصوات الثيران عند الذعر وأصوات الأبطال عند القتال .

---

(١) انظر في هذا البحث صيغتي : حمرايان وكسايان . حيث حكم جمهور النحاة بشذوذهما .

(٢) Rabin , p. ١٤٨ ,F ,٦ .

(وفي الجمهـــرة ٤٥٧/٣) أن الغمغمة: صفة للقسي إذا كانت هتوفًا – أي أن صوتها يطيف بالقوس فيكون له رنة .

وإذا ذهبنا لبحث: الغمغمة، وجدنا لها نفس المعنى، يقول ابن دريد في ١٦١/١: مغمغ كلامه؛ إذا لم يبنه .

ويفهـــم مـــن المعـــنى المعجمـــي أنك تسمع الصوت، ولكن تخفي فيه مقاطع الحـــروف وبـــيان أجزائها، وتميز كلماتها، لسرعة النطق، ولهذا يقال لأصوات الأبطال والثيران عند الذعر: غماغم (شرح الدرة ٢٣٥) .

والمعـــنى الجامع لما سبق هو: الاختلاط وعدم التميز والإفصاح في نطق الكلام فـــلا يفهـــم السامع المراد، وحينئذ تكون أشبه شيء: باللفف، وهو: إدخال حرف في حرف (العقد الفريد: ٢٩٦/٢ وانظر التذكرة الحمدونية).

وهـــذا الخفـــاء في النطق سببه الحيف على الصوت ، وظاهرة الحيف والحذف معروفة في بعض اللغات السامية التي عاشت في منطقة الشمال الغربي في عصور قديمة.

وقبيلة قضاعة لها صلة بالسامية الشمالية؛ إذ كانت تعيش في المنطقة التي وجدت فـــيها الـــنقوش: اللحيانية والثمودية والصفوية والتي يُطلق عليها (العربية الأولى) أو (الطفولة العربية Proto Arabic) .

فظاهرة الغمغمة نقلتها قضاعة عن بقايا اللغات السامية القديمة، يؤكد ذلك أن اسم الغمغمة نفسه ورد في العبرية .

١- (المشنا) ومعناها : قرأ بسرعة دون إيضاح للأصوات .

٢- وقـــد اخـــتلف العلماء في نسبة هذه الظاهرة فالأكثرون على أنها لقضاعة (الكامل للمبرد ٣٧٠/١، الفائق للزمخشري ٤٥٨/٢، المفصل ٣٣٣، وشرحه ٤٨/٩، والـــدرة ١١٤، وشـــرح السيرافي ٤٦٨/٥ مخطوط بالتيمورية). وينفرد تاج العروس بنســـبتها إلى قريش لا قضاعة (٦/٩) وهي رواية ضعيفة في زعمنا؛ لأن قريشًا كانت تجتبي أفضل لغات العرب، وأنها أعرب القبائل لسانًا، وأصفاها لغة.

والعجيـــب أن العلماء بعد الاستقصاء والبحث لم يذكروا شاهدًا يوضح هذا، وربمـــا يرجع سبب ذلك إلى أن الغمغمة من الصفات التي لم تستحسنها الفصحى، بل خلعت عليها صفات تنطوي على الذم؛ لأن أصحابها عاشوا على أطراف شبه الجزيرة فلم يأخذوا بها في الاحتجاج .

٣- أما آثار الغمغمة في لهجاتنا المعاصرة فيظهر في :

(أ) لهجات اليمن: الحديثة فيقولون: أبزايد، أبسلطان. وربما كان معناها: ابن زايد، ابن سلطان. يؤكد ذلك أن الهمذاني ت ٣٣٤ هـــ يصف بعض أهل اليمن أنهم " يجرون في كلامهم ويحذفون " صفة جزيرة العرب ١٣٤. تحقيق ابن بليهد النجدي.

(ب) وفي لهجات السودان (عِنْ سوادَ الليل) أي: عند .

(ج) وفي مصر، في إقليم الشرقية في قريتي: تلّ رُوزنَ وميتْ حَمَل .

(مميزات لغات العرب ٣٥ حفني ناصف) .

ولكن ما العلاقة بين قضاعة وهذه الأقطار العربية التي ظهرت فيها الغمغمة؟

أما اليمن: فقضاعة يمنية الأصل ثم نزحت إلى الشمال .

أمـــا الســـودان ومصر: فجزء كبير من قضاعة قد تفرق في القطرين الشقيقين؛ يقـــول المقريـــزي: وبلى (وهي من قضاعة) قبيلة عظيمة فيها بطون كثيرة، وكانت بالشـــام فنادى رجل من بلى بالشام ياآل قضاعة، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب، رضي اللـــه عنه، فكتب إلى عامل الشام أن يسير ثلث قضاعة إلى مصر فنظروا، فإذا بلى ثلث قضـــاعة فسيروا إلى مصر (البيان والإعراب ٢٩) وبلى هذه سكنت الصحراء الشرقية، كما أن قبائل عدة من جهينة (وهي فرع من قضاعة) سكنت الشرقية ومركز فاقوس، حيث بها إلى الآن قرية قديمة تسمى " دوار جهينة " وهذا يشير إلى أن الغمغمة في بعض قـــرى مديـــرية الشـــرقية موروثة عن قضاعة اليمنية، وهذا يقوي العلاقة اللهجية بين الســـالفين والخالفين. وهذا على الرغم من أن نقلة العربية لم ينقلوا لنا الهيئات التي كان عليها نطق العرب، ولم يضعوا لها في الكتابة إشارات تدل عليها .

٩- قُطْعَة طَيِّئ:

١- أقــدم إشارة لقُطْعَة طَيِّئ ما ورد في معجم العين للخليل بن أحمد (٦١ ط بغــداد ، ١٥٦/١ تحقيق د. عبد الله درويش) ومثل لها بقولهم: يا أبا الحكا وهو يريد " يا أبا الحكم " فيقطع كلامه عن إبانة بقية الكلمة، ويظهر أن المعاجم التي جاءت بعد الخليل لم تزد شيئًا عن ذلك.

١- ففــي القــاموس وشرحه: والقطعة أيضًا لثغة في بني طَيِّئ كالعنعنة في تميم وهي أن يقول: يا أبا الحكا - يريد: يا أبا الحكم أ هـ .

٢- وفي اللسان كما في القاموس (١٥٩/١٠) .

٣- وفي شفاء العليل ص ١٨١ نفس الشيء .

ولا نــرى مــا ذهب إليه القاموس من أنها لثغة ، بل هي لهجة التزمتها القبيلة ؛ لذلــك لا نرى ما ذهب إليه في تشبيه (القُطْعَة في طيئ) بالعنعنة في تميم ، إذ إن كلاًّ منهما مختلف عن الآخر، إلا إذا أراد بذلك (شيوع) كل منهما في بيئتهما .

٢- إن المعــاجم لم تذكر لقطعة طيئ إلا المثال السابق المختوم بالميم، فهل معنى هذا أن طيئًا كانت تقطع الميم وحدها كما في " يا أبا الحكم " ؟ أو أنها كانت تقتطع الحرف الأخير أيًّا كان؟ وشبهة أخرى وهي: هل كانت هذه القُطْعَة أو هذا الحذف في طيئ وحدها، أم شاركتها قبائل أخرى غيرها؟ وهل هذا الحذف خاص بالترخيم؟

ومعروف أن آخر الكلمة محط للتغيير، ولهذا يتضاءل جرس الصوت شيئًا فشيئًا حــتى يفــنى ويكون عرضة للسقوط، فطيئ كانت تميل إلى الحيف على آخر الكلمة؛ لأنها من القبائل البدوية تلك التي تميل إلى السرعة فتسقط الأصوات تحت هذه العجلة، وليس الأمر خاصًّا بالميم كما نصت المعاجم على ذلك.

ولعــل الراوي صادف سماع هذا النص الذي به الميم فقط ، أو لعل الميم كانت أكــثر حذفًا من غيرها، ويمكن أن يعلل لحذف الميم بأنها من أكثر الأصوات شيوعًا في العربية، والشيء كلما شاع وتداول كان عرضة للحذف .

ومالنا نذهب بعيدًا وقبيلة (شمر) العربية، وهي تسكن أرض طيئ اليوم لا تكاد تـــنطق بالأصوات الآتية إذا وقعت في آخر الكلمات وهي: ل ، م ، ن ، ت ، ي، ر . فالميم التي جاءت في المعاجم العربية أيدها الواقع المعاصر .

وأيدهـــا الواقـــع المعاصـــر مرة أخرى، وذلك أن طيئًا من الوجهة العرقية يمنية الأصل، ثم هاجرت بعد ذلك إلى الشمال في ضواحي نجد. ولهجة اليمن الحديثة تحذف الأصـــوات (م ، ن ، ل) إذا وقعـــت متطرفة، وتلك سمات مشتركة بين طيئ وبين موطنها الأصلي.

ولـــيس هـــذا فحسب ولكن أثر القطعة الطائية يظهر في أماكن أخرى شاسعة متناثرة من ذلك:

(أ) أنهـــا ظهـــرت في السودان حيث خفت النون في قولهم في الشعر الشعبي: بالتعرفو الدركا (ن)[1]، يا قمريت اللبخ [2] والبا (ن) .

وفي مديـــرية (بربـــر) يقولون: أعطيته الكتا، وسمعت الكلا. يريدون الكتاب والكلام.

(ب) في لهجـــات المغرب والأندلس يقولون: النّسْرى (النّسرين)، وهي الريحانة المعروفة، والجَني (الجَنين) (الجمانة ص ٣٢ ، ٣٤).

(ج) وفي بـــلاد مصـــر: كالمحلة الكبرى وما حولها، وجزيرة بني نصر، وأبيار، وكثير من مديريتي البحيرة، وبني سويف يقولون: النهار طلا والنور ظها والنار حمدت (مميزات لغات العرب ص ٢٩)، ويقولون: يا وا ياحم هات القلة وحطها جن (يا ولد يـــا أحمـــد هات القلة وحطها جنبي) (مجلة المجمع العلمي المصري للثقافة ص ١٠٩/ ١٩٣٥ جورج صبحي).

---

(١) الدركان : المجهود المنهوك .

(٢) نـــداء للطائـــر الذي يقف على شجر اللبخ والبان (من أصول اللهجات العربية في السودان : ٨٣ د. عابدين) وانظر الخزانة : ٢٠٤/٣ ط السلفية .

(د) وفي جـبل لبـنان في قرية (نيعا الشوق) يقولون: (أبو حسا) في: (أبو حسن) (مجلة المقتطف ص ٣٢٣ مارس ١٩٣٢).

وإذا كانـت (القُطْعَة) في مديرية البحيرة فلا نعجب؛ لأن طيئًا لما خرجت من ديارهـا أخذت تنتقل شمالاً حتى هبطت، ونزلت مديرية البحيرة (معجم كحالة ٢ - ٦٩٠).

٣- والقُطْعَـة في طيـئ تشـارك الترخيم في أنها حذف آخر الكلمة، إلا أن الحـذف في الترخـيم وارد على آخر الاسم المنادى، وهنا وارد على كل كلمة حرفًا كانت أو فعلاً، أو اسمًا منادى أو غير منادى.

٤- كـان لطيئ مكانة كبيرة في العربية الشمالية بدليل إطلاق اسمها عند بعض قدامـى المؤرخـين، وعـند الفرس والسريان وعند يهود بابل على جميع العرب، حتى إن ظواهـرها اللهجـية غـزت الفصـحى، ووجدنا صداها في النحو العربي في باب (الترخيم) وفي القراءات القرآنية والمعاجم العربية وإليك نماذج منها:

(١) قوله تعالى: ﴿ ونادوا يا مال ليقض علينا ربك ﴾ أي: مالك .

(٢) في قراءة الكسائي: " وأكل أزمان الهزال والسِّني " (أي : السنين)(*) .

(٣) "وحاتم الطائي وهاب المِئِي" أي المئين من قول المرأة تمدح أخوالها في طيئ.

(٤) " في لجة أمسك فلانًا عن فُلِ " أي عن: فلان.

(٥) " خـذوا حذركـم يا آل عكرم واحفظوا " أي: عكرمة، فرخم من غير النداء (الشنتمري على سيبويه ١-٣٤٣).

(٦) (**) " وأوضـحت مـنه تاسعة أماما " أي " أمامة " فرخم في غير النداء وهو من قبل جرير ديوانه ٢٣٤ .

(*) ورد الشاهد في ضرائر القزاز ١٠٢ تونس، والمرأة تمدح أخوالها من اليمن :

حيـدة خالـي ولقيط علي ... وحاتم الطائي وهـاب المئي

ولم يكن لخالك العبد الدعي ... يأكل أزمان الهزال والسني

(**) وانظر ما يشبه هذا الحذف في سيبويه ج١ / ٣٤٣ .

(٧) "درس المنا بمتالع فأبان" المنازل (الهمع ٢- ١٥٦،الدرر اللوامع٢- ٢٠٨).

(٨) " أو ألفا مئة من ورق الحمى " الحمام (الهمع ٢-١٥٧، الدرر اللوامع ٢ - ٢١٨) .

(٩) " ليس حي على المنون بخال " بخالد (شرح السيرافي ١- ٢٥٥ تيمور).

(١٠) مقدم بسبا الفتان ملثوم أي "سباسب" (شرح السيرافي:تيمور١- ٢٥٥).

وبعض هذه الشواهد، وإن ذكر في كتب الضرورة، إلا أن الضرورة في كثير من الأحيان تعكس لهجة عربية ووجهة نظر، كما قد تعكس خطأ في الرواية .

(١١) كيف الأخوه والأخواه وكيف البنون والبناه (التصريح ٢- ٣٤٣، شرح المفصل ١٠ - ٤٥).

(١٢) قرأ الكسائي والبري: هيهاه - هيهاه (المؤمنون ٣٦) (مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ٩٨) وعزاها الأشموني لطيئ ٤- ٢١٤.

٥- وإن نظرة واحدة في معاجم اللغة لترى القطعة تتناثر في حباتها مما يدل على انتشارها أيضًا فمن ذلك:

- احتسب واحتسي بمعنى: اختبر. - الحصى والحصب

- والشجى والشجن: وهو الحزن. - وكظب وكظا: بمعنى اكتنز لحمًا.

(سر الليالي ٢٧)

- أقهم عن الطعان وأقهى أي " أمسك " (اللسان ١٥- ٣٩٧)

٦- حذف أحد المثلين:

(أ) خلا أن العناق من المطايا أحس به فهن إليه شوس

الخصائص ٤٣٨/٢ والأصل: أحسن: والبيت لأبي زبيد الطائي.

(ب) عوى ثم نادى هل أحسَتُمْ قلائصا وسمن على الأفخاذ بالأمس أربعا

(مجـــالس ثعلب ٦٠٥/٢) والأصل: أحسستم. والشاهد لابن عنان الطائي وهو بدوي.

(ج) " ينحطن من الجبل " لأعرابي من بني نمير ، (اللسان ٣٩٤/٦) .

(وفي التصريح ٤٩٧/٢): ظلت ومست وأحست لغة سليم ونمير " ترجع إلى قيس ".

وسـليم كذلك وبعض بطون سليم كان ينـزل مع طيئ. يقول الهمذاني (صفة الجزيـرة ١٣١ ط. ليدن) فمن وادي القرى إلى خيبر إلى شرقي المدينة إلى حد الجبلين إلى مـا ينـتهي إلى الحرة – ديار سليم – لا يخلطهم الأصرم من الأنصار سيارة، وقد يخالون طيِّئًا هي التي نشرت الظاهرة فيما حولها .

وقـول عـربي عرقب ناقته لضيف فقيل له: هلا فصدتها وأطعمته دمها مشويًّا فقال، هذا فصدي أنه (ابن يعيش ٩٤/٣) يريد (أنا) وفي شرح الشافية ٢٩٤/٢ فما بعدها أن هذا العربي حاتم طيئ .

٧- حذف ألف الغائبة في الوقف :

(أ) قول عامر الطائي :

فلم أر مثلها خباسة واجد ونهنهت نفسي بعد ما كدت أفعله

والأصـل : أصـلها (أي الخصـلة) وقد عزيت لطيئ في الجمهرة ٢٣٤/١ والأشموني ٢٠٥/٤ والدرر ١٣١/٢ .

وقـرأ عـلي وعروة ﴿ ونادى نوح ابنه ﴾ أي: ابنها : والمعنى " ابن امرأته " (البحر٥ – ٢٢٦، المحتسب ٣٢٢/١ ط المجلس الأعلى) .

(ب) وقولهـم " والكرامة ذات أكرمكم الله به " والأصل: بها، فحذفت الألف وسـكنت الهاء بعد نقل حركتها للباء (الهمع ٢٠٦/٢، وعزيت لطيئ . الجمهرة ١/ ٢٣٤ ،والأشموني ٢٠٥/٤).

وبعـــد مـــا ســـقناه من أثر لهجة طيئ في تراثنا العربي، والعاميات المعاصرة في أرجاء الوطن العربي يحق لنا أن نعترف بصدق مقولة الزمخشري " إن طيئًا لا تأخذ من لغة، ويؤدى من لغاتها " الفائق ٩١/٣ .

ويؤنسنا فيما سقنا ، أن (القُطْعَة) تركن من الفصحى إلى ركن أصيل، وسند قويم .

١٠- تَضَجُّعُ قَيْس:

١- نسبت ظاهرة التضجع في قبيلة قيس:

(أ) في خـــزانة الـــبغدادي ٥٩٦/٤ بولاق: " ورأيت في أمالي ثعلب: ارتفعت قـــريش في الفصـــاحة عـــن عنعنة تميم وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن، وتضجع قيس ... " ولم يفسر التضجع .

(ب) ووجـــدت الـــنص السابق في مجالس ثعلب ١ : ١٠٠ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ، وانظر تضجع قيس في: المزهر ٢١٠/١ ولم يفسره أيضًا .

٢- وفي كـــتاب العين للخليل ٢٤٣/١ تحقيق د. عبد الله درويش " كل شيء خفضته فقد أضجعته " ثم يقول: " والإضجاع في القوافي أن يميلها ".

وفي القـــاموس: " والإضجاع في القوافي كالإكفاء أو كالإقواء، وفي الحركات كالإمالة (الخفض) . أ هـــ " .

وفي شرح القاموس : يقال : أضجع الحرف أي : أماله إلى الكسر . أ هـــ .

وفي اللسان (ضجع) ٨٧/١٠ " وضجعت الشمس وضجّعت.. مالت للمغيب " " ويقال: أراك ضاجعًا إلى فلان أي: مائلاً إليه ... " " ورجل أضجع الثنايا – مائلها ". " ودلـــو ضـــاجعة: هي الملأى التي تميل في ارتفاعها من البئر لثقلها " " والإضجاع في باب الحركات مثل الإمالة والخفض " أ هـــ اللسان من المادة السابقة في أماكن متفرقة. فالمادة السابقة تؤكد أن التضجع هو الإمالة في اللغة ، وفي الاصطلاح كذلك لما جاء في النص السابق من قولهم : " والإضجاع في باب الحركات مثل الإمالة والخفض ".

ونعرض الآن بعض النصوص التي تؤكد أن قبيلة قيس من القبائل المميلة:

١- " العـــرب مختلفون في ذلك فمنهم من أمال وهم : تميم وأسد وقيس وعامة أهل نجد " (الهمع ٢/٢٠٤ السعادة) .

٢- " الفـــتح لغة أهل الحجاز والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وقيس وأسد" (إبراز المعاني ١٥٢ ط الحلبي) .

٣- وابن الجزري في النشر ٢ - ٣٠ يدخل قيسًا في القبائل المميلة .

(أشرف على مراجعته الشيخ الضباع . ط مصطفى محمد).

٤- وفي الأشموني ، وشرح التصريح للشيخ خالد الأزهري ٢- ٣٤٧ دار إحياء الكتـــب العربية يقول :" وأما أصحابها (أي الإمالة) فتميم وقيس وأسد وعامة نجد " وكذلك كتب علوم القرآن تدخل قيسًا في القبائل المميلة؛ لهذا لا نوافق المستشرق رابين في كـــتابه (Ancient West Arabian-P.١٠٤) حين زعم أن التضجع هو الكسل في النطق، وأنه أشبه بالعجعجة والغمغمة .

وفي حاشـــية الصـــبان عـــلى الأشموني ٤- ٢٢٠ ط عيسى الحلبي " وتسمى (الإمالة) الكسر والبطح والإضجاع، وتسمى الكسر، لما فيها من الإمالة إلى الكسر . والـــبطح، لمـــا فيها من بطح الفتحة إلى الكسر، أي : إمالتها إليه، وأصل بطح الشيء إلقاؤه ورميه، ويلزمه إمالته ".

وتســـمية الإمالة بالكسر، يوضحه ما ورد في شرح المفصل لابن يعيش ٩/٥٤: " وعامـــة أهـــل نجد من تميم وأسد وقيس يسرون إلى الكسر" فالكسر في هذا النص معناه الإمالة.

٣- والتفخـــيم هـــو الأصل، والإمالة فرع عليه (الحجة لابن خالويه ورقة ٣ مخطـــوط بـــدار الكتب المصرية رقم ١٩٥٢٣) . وكل من أمال أو فخم له وجه في العربية لا يدفع ، وقصد لا ينكر، إذ إن كل من أمال أو فتح له سند من النقل والرواية،

وقــد أمــال بعض القراء أفعالاً فخمها غيرهم، وحجة كل : أنه أتى باللغتين ليعلم أن القارئ بهما غير خارج عن ألفاظ العرب.

٤- وإذا كــان التضجع في قيس هو الإمالة كما أثبتنا، فالإمالة: تقريب الألف نحــو الــياء ، والفتحة التي قبلها نحو الكسرة، وهدفها كما يقول ابن يعيش: " تقريب الأصوات بعضها من بعض لضرب من التشاكل " (شرح المفصل ٥٤/٩) ففي تضجع قــيس تقريــب الألف من الياء؛ لأن الألف من الياء، ولأن الألف تطلب من الفم إلى أعلاه، والكسرة تطلب أسفله، فتنافرا ، ولهذا جنحت الفتحة نحو الكسرة، والألف نحو الياء ، وبهذا زال الثقل ، وحل محله الانسجام والتماثل.

ومن الجدير بالذكر أن بطون قيس كانت تؤثر (التضجع) الإمالة. ففي (جمال القراء) عن صفوان بن عسال أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقرأ " يا يحيى" فقيل له: يا رســول الله، تمــيل وليس هي لغة قريش. فقال: هي لغة الأخوال بني سعد. (الاتفاق ٩٣/١ط حجازي). وبنو سعد ينتهي نسبهم إلى قيس صاحبة التضجع .

ومن القبائل المميلة (هوازن) وهي من قيس كذلك .

كمــا أن نظــرة واحدة في كتب القراءات القرآنية تريك نماذج للإمالة كثيرة، ويتردد كثيرًا اسم " الكسائي " و" حمزة " في باب الإمالة (النشر ٣٥/٢ ، ٥٤ ، ٦٢، ٧١ ، ٨٢، الإضاءة ٣٨).

٥- ولقد ربطت تلك الظاهرة بين قيس في داخل الجزيرة العربية وخارجها:

(أ) أن قبائل (نجد) أصحاب إمالة (الهمع ٢- ٢٠٤)، وقيس كانت تسكن نجــدًا، والوطــن الشامي نزلت فيه قبائل نجدية كثيرة، يقول شكيب أرسلان: وتحار عندما ترى جميع الشام تقريبًا تلفظ بالإمالة (المقتطف: يناير ص (٤٠) سنة ١٩٣٢) .

(ب) كما نجد إمالة غامرة في الأندلس، فأهل غرناطة يقولون: كتيب بدلا من كتاب .

وفي الإحاطة لابن الخطيب ١/٣٥، أن (كوند) المؤرخ الإسباني كان يكتب (هشام) هكذا Hixem ولا يكتبها Hixam ، وسافر شكيب إلى الأندلس مرة، وطلب قطع ورقة السفر إلى دانية " تلفظ بها بدون إمالة، فلم يفهموا ماذا يريد حتى ردّه أحدهم: هي Dénia لا Dania " المقتطف يناير ص ٤٢ فما بعدها ١٩٣٢، ومعلوم أن السواد الأعظم من العرب الذين فتحوا إسبانيا كانوا من أهل الشام.

(ج) يميل البدو على ساحل مريوط إلى الإمالة. (دراسة لغوية في لهجات البدو في مصر ٣٢٨ مخطوط بمكتبة دار العلوم . د. عبد العزيز مطر).

ويرى القلقشندي: أن هؤلاء من بني سليم، وبنو سليم من قيس، ومساكنهم ببرقة مما يلي المغرب، ومما يلي مصر (معجم كحالة ٢/٥٤٣) ولهذا تتميز اللهجة الليبية بالإمالة، وهي أشد في " طرابلس "؛ لأن قبائل سليم أقامت في جهات طرابلس زمنًا .

(د) أما في مصر فتظهر الإمالة في مدينة بلبيس من الشرقية، وفي مديريتي المنوفية والبحيرة وبعض أجزاء الفيوم، وتعليل ذلك سهل ميسور إذا عرفنا أن بطون قيس نزلوا بلبيس كما نزلها مائة أهل بيت من قبيلة سليم التي هي بطن من قيس (البيان والإعراب) .

وفي صبح الأعشى ١/٣٦٤ - ٣٦٦ " أن لواتة وهم من قيس لهم بمصر بطون كثيرة ... وبالمنوفية منهم بنو يحيى ، والسوّه ... ومنهم جماعة بالبحيرة، وجماعة بالمنوفية" .

ويرى د. عبد المجيد عابدين في كتابه: "من أصول اللهجات العربية في السودان" (ص ٦٤) أن أغلب الظن في الإمالة التي اشتهرت بها معظم اللهجات العربية التي انتشرت في أقطار البحر الأبيض المتوسط قديمًا وحديثًا، إنما ترجع إلى ترادف الهجرات اليمنية والقيسية على هذه الأقطار مع تعاقب العصور .

ومن أجل ذالك احتفظت بطون قيس في المنازل الجديدة التي هاجرت إليها بعد الفــتح العــربي بالتضجع (الإمالة)؛ لأن لهجاتهم الحديثة تحمل بذورًا أصيلة للهجات القبيلة (الأم) في الجزيرة العربية .

* * *

قرار اللجنة بشأن
الخصائص اللغوية للهجة طيِّئ(*)

نسبها وموطنها:

قبـــيلة طيئ إحدى القبائل القحطانية اليمنية، ينتهي نسبها إلى سبأ بن يشجب ابـــن يعرب بن قطحان. وقد انتقلت هذه القبيلة مع غيرها من القبائل اليمنية إلى شمالي الجزيـــرة العربية، وأقامت في شمالي الحجاز، فنـــزلوا (سميراء) و(فيدا) في جوار بني أسد، ثم غلبوا بني أسد على جبلين في بلادهم وهما (أجأ) و(سلمى) .

فصاحتها:

تعـــد طيئ من القبائل الفصيحة التي أخذت عنها اللغة، فقد كانت قيس وتميم وأسد وطيئ وهذيل - كما يقول الفارابي - معظم من نقل عنه لسان العرب .

أولاً: الظواهر الصوتية في لهجة طيِّئ :

١- موقفها من الهمزة:

كانت تميل إلى التخلص من صوت الهمزة في مثل:

يؤاخـــي، ويؤاكـــل، ويؤاسي، فتبدلها حرفًا من جنس حركة ما قبلها، فتصير الأمثلة السابقة: يواخي، ويواكل، ويواسي. والماضي منها واخيت، وواكلت وواسيت.

كمـــا كـــانوا يبدلون الهمزة هاء في بعض المواضع، يقولون: هِنْ فعلتَ فعلتُ، يريدون: إن، وكذلك أبدلوها من همزة الاستفهام، يقولون: هَزَيْدٌ فعل ذلك ؟ يريدون: أزيد فعل ذلك ؟

أما ما رواه الفراء عن طيئ من أنهم كانوا يهمزون ما لا يستحق الهمز من نحو: رثـــأت زوجي بأبيات، ويقولون: لبأت بالحج، وحلأت السويق، فيمكن تفسيره بأنه مـــبالغة في التفصح ومحاولة منهم لمحاكاة اللغة الأدبية في شعر الشعراءِ ومواقف الجد من القول .

(*) ملحق محاضر جلسات الدورة السادسة والأربعين المؤتمر (سنة ١٩٧٩)، ص ١٢٩ .

٢- جهر السين والصاد:

السين والصاد صوتان مهموسان. وقد روي أن طيئاً كانت تجهر هذين الصوتين بقلبهما زايًا، كانوا يقولون في سقر: زقر ، وفي الصقر: زقر، وفي الصراط : زراط . والزاي هي المقابل المجهور للسين، أما المقابل المجهور للصاد فهو الزاي المفخمة التي تشبه نطق العوام للظاء في مثل كلمة : ظُلم . ويبدو أن الطائيين كانوا ينطقون الصاد نطقًا مماثلاً لهذا النطق، غير أن اللغويين دلوا عليها برمز الزاي المرققة لعدم وجود رمز للزاي المفخمة. وقد قرأ كل من حمزة والكسائي وخلف قوله تعالى: ﴿ حتى يصدر الرعاء ﴾ وقوله: ﴿ يومئذ يصدر الناس أشتاتًا ﴾ فوصفوا ذلك بأنه إشمام الصاد زايًا، وسمى ابن سينا هذا النطق (الزاي الطائية) وقال عن نطقها: يكون وسط اللسان فيها أرفع، والاهتزاز في طرف اللسان خفي جدًّا .

وقد زعم ابن الكلبي أن هذه الظاهرة تسمى: الرسو والتمعدد.

٣- قلب الياء والواو في مثل : بقي وسَرُو ألفًا .

المعروف أن الياء والواو تقلبان ألفًا إذا تحركتا وانفتح ما قبلهما .

ولكن طيئًا كانت تقلبهما ألفًا في نحو الأمثلة المتقدمة بشرط تحرك ما قبلهما ولم تشترط الفتح، كانت طيئ تقول : بقَى وبَقَيْت، مكان : بقِيَ وبقيتُ، وكذا أخواتها من المعتل. وكانت تقول في دُهِي: دُهَى، وهذه الظاهرة واضحة في شعر الطائيين، لاسيما شعر زيد الخيل، يقول :

أفي كل عام مأتم تبعثونه   على مِحمرٍ ثوبتموه وما رُضَا

وقال أيضًا:

فردوا علينا ما بقا من نسائنا   وأبنائنا واستمتعوا بالأباعر

وليست هذه الظاهرة مقصورة على الأفعال، بل هي في الأسماء أيضًا قالوا: ناصاة، وباداة، وتوصاة، في: ناصية وبادية وتوصية.

٤- قلب ألف المقصور ياء:

كانوا يقولون في : أَفْعَى وحُبلَى: أَفْعَيْ وحُبْلَيْ، بالياء في الوقف والوصل.

ونحاة العرب يرون الألف هي الأَصل، وأن الياء عند طيئ بدل منها . ولو جاز لـــنا أن نستخبر ما في اللغات السامية مما يتصل بذلك لكان من غير المستبعد أن مثل : حبـــليْ وأفعيْ، بالياء ، أسبق في سلسلة التطور اللغوي منها بالألف، فالأفعال الناقصة، مثل رمى ودعا، كانت تعامل في الأصل معاملة الصحيح. وقد بقيت في العربية من هذه المرحلة بقايا من الأفعال الجوفاءِ، نحو : حَوِر وعَوِر واستحوذ، ثم مرت بطور التسكين، فأصبح الفعل رَمَيْ ودَعَوْ.

وقد بقيت هذه المرحلة عند طيئ مع المقصور: أفعَيْ وحبلَيْ، ومُثَنَّيْ. أما الطور الثالـــث فهـــو طور الإمالة، فأصبحت الفتحة تنطق بحركة بينها وبين الكسرة، وآخر الأطوار هو الفتح الخالص.

وفيما يلي:

الخصائص اللغوية لقبيلة طيئ القديمة، للدكتور رمضان عبد التواب - خبير لجنة اللهجات:

الخصائص اللغوية لقبيلة طيئ القديمة(*)

للدكتور رمضان عبد التواب

خبير بلجنة اللهجات

نسب طيئ:

تنسب قبيلة طيئ إلى جدها الأكبر: طيئ بن أُدَد بن زيد بن يشجُب بن عَريب ابن زيد بن كهلان بن سبأ[١]. و(طيئ) لقب له، واسمه (جُلْهُمة)، وقال ابن حزم: " ولـد أُدد بن زيد: مُرَّة بن أُدد، ونَبْت بن أُدد، وهو الأشعر، وجلهمة بن أدد، وهو طيئ، ومالك بن أُدد، وهو مذحج "[٢] .

وقبيلة طيئ هي في الأصل إحدى القبائل القحطانية اليمنية، فإن (سبأ) هو: سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان[٣].

ويبدو أن هذه القبيلة قد انتقلت مع غيرها من القبائل اليمنية ، إلى شمالي الجزيرة العربـية، بعـد خراب سد مأرب، في عهد عمران بن عامر (ماء السماء) بن حارثة (الغطـريف) بن امرئ القيس (البطريق) بن ثعلبة (البهلول) بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ[٤].

ويرى الشيخ (حمد الجاسر) أن تحديد انتقال القبائل اليمنية بخراب سَد مأرب أمـر مشـكوك فيه؛ وذلك أن المتقدمين يؤرخون حادثة الخراب بأنها في عصر الملك الفارسـي دارا بـن بهمن . ودارا هو الذي غزاه الاسكندر الأكبر، في منتصف القرن الـرابع قبل الميلاد. والأدلة التاريخية والنقوش التي عثر عليها في أمكنة كثيرة في جنوبي الجزيرة وشماليها، وفي أمكنة أخرى خارجهـا، تدل على انتشار كثير من تلك القبائل،

(*) ملحق محاضر الجلسات للدورة السادسة والأربعين للمؤتمر (سنة ١٩٧٩)، ص ١٣٤.

(١) العقد الفريد ٣٩٩/٣.

(٢) جمهرة أنساب العرب ٣٩٧.

(٣) الاشتقاق لابن دريد ٣٦١.

(٤) انظـر: معجم البلدان (مأرب) ٣٨٥/٤، وجمهرة أنساب العرب ٣٣٠ ، وصفة جزيرة العرب ٣٧٠ - ٣٧٤ وسيرة ابن هشام ١٣/١.

التي ورد ذكرها خارج اليمن قبل سيل العرم. كما يقول: " وليس من المعقول أن تلك الرقعة الصغيرة من الأرض، وهي مأرب، تتسع لعدد كبير من السكان يتكون من قبائل. والأمر الذي لا ريب فيه أن انتقال تلك القبائل، كان في فترات متفرقة، وفي أزمان متباعدة، فعندما تضيق البلاد بسكانها، ينتقل قسم منها بحثًا عن بلاد تلائم حياتهم" [١].

مكان إقامة طيئ:

أقامت قبيلة طيئ في شمالي الحجاز. قال ابن خلدون:" كانت منازلهم باليمن، فخرجوا منه على إثر خروج الأزد منه، ونزلوا (سميراء) و(فيدا) في جوار بني أسد، ثم غلبوا بني أسد على (أجأ) و(سلمى)، وهما جبلان في بلادهم يعرفان بجبلي طيئ، فاستمروا فيها ثم افترقوا في أول الإسلام في الفتوحات "[٢].

وقد ذكر اليعقوبي بعض الأماكن التي كانت تقيم فيها على طريق الحاج من الكوفة إلى المدينة ومكة، فقال: "والأجْفُر منازل طيئ، ثم فَيد، وهي المدينة التي ينزلها عمال طريق مكة، وأهلها طيئ، وهي في سفح جبلهم المعروف بسلمى، وتوز وهي منازل طيئ "[٣].

كما يقول الإصطخري :" وليس بين المدينة والعراق، مكان يستقل بالعمارة والأهل جميع السنة، مثل فَيْد، وفيد في ديار طيئ . وجبلا طيئ منها على مسيرة يومين، وفيها نخيل وزرع قليل لطيئ، وبها ماء قليل، يسكنها بادية من طيئ ، ينتقلون عنها في بعض السنة للمراعي " [٤].

---

(١) في سراة غامد وزهران ، لحمد الجاسر ٢٢٤ .

(٢) العبر لابن خلدون ٢/٢٥٤ وانظر: قلائد الجمان للقلقشندي ٧٢ ، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي ٣٢٦ .

(٣) البلدان لليعقوبي ٧١- ٧٢ ، وانظر كذلك : صفة جزيرة العرب ٣٣٧ .

(٤) المسالك والممالك ٢٤ .

ويذكـــر الزمخشـــري بعـــض مـــياههم وأمكنتهم، مثل: أُبْضَة، وحساء ريث، والحوراء وغَضُور، والسَّبْعان، وبُلْطة ، ومناع، وغير ذلك كثير[١] .

فصاحة طيئ:

تعـــد طيـــئ عند اللغويين والنحاة العرب من القبائل الفصيحة، التي تؤخذ عنها اللغـــة، فقد قال أبو نصر الفارابي، وهو يتحدث عن العرب:"فإن فيهم سكان البراري، وفـــيهم ســـكان الأمصـــار، وأكثر ما تشاغلوا بذلك من سنة تسعين إلى سنة مائتين، وكـــان الذي تولى من بين أمصارهم، أهل الكوفة والبصرة من أرض العراق، فتعلموا لغـــتهم والفصـــيح منها، من سكان البراري منهم دون أهل الحضر، ثم سكان البراري ممن كان في أوسط بلادهم ومن أشدهم توحشًا وجفاء، وأبعدهم إذعانًا وانقيادًا، وهم قـــيس وتمـــيم وأسد وطيئ ثم هذيل، فإن هؤلاءِ هم معظم من نقل عنه لسان العرب. والـــباقون فلم يؤخذ عنهم شيء، لأنهم كانوا في أطراف بلادهم، مخالطين لغيرهم من الأُمـــم، مطبوعين على سرعة انقياد ألسنتهم، لألفاظ سائر الأُمم المطيفة بهم من الحبشة والهند والفرس والسريانيين وأهل الشام ومصر "[٢] .

ومـــا يدل على مكانة اللغة الطائية في نفوس القوم، ما رواه أبو عبيد القاسم بن سلام[٣]، من حديث طلحة بن عبيد اللـــه أنه قال:" فوضعوا اللُّجَّ على قَفَيَّ " ثم فسره فقال: " قوله: قفيَّ، هي لغة طائية. وكانت عند طلحة امرأة طائية. ويقال إن طيئًا لا تأخذ من لغة أحد ويؤخذ من لغاتها. وما يؤخذ من لغات طيئ إلا لفصاحتها ومكانتها

---

(١) انظر: الأمكنة والمياه والجبال للزمخشري (فهرس أعلام الأشخاص والجماعات ٢٤٧).

(٢) الحروف للفارابي ١٤٧، وقد نقل السيوطي هذا النص في كتابه المزهر ٢٢١/١ والاقتراح ١٩ بصيغة مختلفة فقال: وقال أبو نصر الفارابي في أول كتابه المسمى : الألفاظ والحروف:" والذين عنهم نقلت اللغة العربية، وبهم اقتدي ، وعنهم أخذ اللسان العربي، من بين قبائل العرب هم: قيس وتميم وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين . ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم ".

(٣) غريب الحديث ١١/٤، وانظر كذلك: الفائق للزمخشري ٩١/٣ .

بـــين القبائل الأُخرى. كما أن اعتزاز طيئ، بلغاتها، كان هو السبب - فيما يبدو - في عدم أخذها مما عداها من لغات العرب، فيما رواه لنا أبو عبيد " .

اشتقاق طيئ:

" قال ابن خالويه: سئل ثعلب عن طيئ مم أخذ؟ فقال: من طاءة الفرس، وهو أعــلاه ". فكــأن ثعلــبًا يرى في طيئ علوًّا في النسب، وإن كان ابن الكلبي يرى أنه " سمي طيئًا، لأنه أول من طَوَى المناهل ". وطي المناهل عبارة عن بناء الآبار بالحجارة .

طيئ واللغة السريانية:

عرفــت اللغة السريانية الاسم (ܛܝܝܐ (tayyāyāi) (طَيَّايا) بمعنى: " الرجل الطائي" ثم بمعنى: "العربي" مطلقًا. كما تسمى العربية عند السريان ܠܫܢܐ ܛܝܝܐ Leššānā tayyāyā (لِشَّانَا طَيَّايا) بمعنى: " اللسان العربي ".

وقــد عــرف العرب هذه التسمية السريانية لقبيلة طيئ، فقد روي أن المفضل الضــبي، الراوية الكوفي المشهور، التقى في الكوفة بأعرابي فقال له المفضل: ممن الرجل؟ قال: من طيئ، فقال له المفضل وكان قليل المزح:

وما طيئ إلا نبيط تجمعت   فقالوا " طيايا " كلمة فاستمرت[1]

* * *

(١) انظر : إنباه الرواة ٣/٣٠٠ .

الظواهر الصوتية في لغة طيئ

أولاً: موقف طيئ من الهمزة:

يـــبدو أن قبيلة طيئ كانت تميل إلى التخلص من صوت الهمزة، في مثل: يؤاخي ويؤاكـــل، ويؤاســـي، فتـــبدلها حرفًا من جنس حركة ما قبلها فتصير الأمثلة السابقة: يواخـــى، ويواكـــل، ويواســـي[١]، وتشتق الماضي من هذه الصيغ الجديدة ، فتقول : واخيت ، وواكلت، وواسيت .

ويؤيـــد كراهـــية طيـــئ لنطق الهمزة، ما روي لنا عنهم من أنهم كانوا يبدلون الهمـــزة في بعـــض المواضع هاء، فقد " حكى ابن جني عن قطرب أن طيئًا تقول: هِنْ فعلـــتَ فعلتُ، يريدون: إنْ، فيبدلون "[٢]. وهذا يذكرنا بما حدث في اللغة العبرية، إذ قلبت فيها همزة (إنْ) الشرطية هاء كذلك، فيقال فيها: hinné (هِنّى) = إن.

و لم يقتصـــر الأمر في قلب الطائيين الهمزة هاء على (إنْ) الشرطية وحدها، بل حكي ذلك عنهم في همزة الاستفهام كذلك، يقولون:" هَزَيْدٌ فعل ذلك؟ يريدون: أزيد فعل ذلك ؟ " [٣]. ومثل هذا حادث في اللغة العبرية كذلك .

أمـــا ما رواه لنا الفراء عن طيئ، من أنهم كانوا يهمزون مالا يستحق الهمز في قولـــه: " وربمـــا غلطت العرب في الحرف، إذا ضارعه آخر من الهمز، فيهمزون غير المهمـــوز، سمعت امرأة من طيئ، تقول: رثأت زوجي بأبيات. ويقولون: لبأت بالحج، وحلأت السويق، فيغلطون "[٤]، فليس هذا الهمز منهم إلا حذلقة أو مبالغة في التفصح وتقعرًا في الكلام .

---

(١) تهذيب اللغة ٦٣٣/٧، واللسان (أخا) ٢٣/١٨ .

(٢) اللسان (أنن) ١٧٨/١٦، والممتع لابن عصفور ٣٩٧/١.

(٣) اللسان (ها) ٣٧٣/٢٠.

(٤) معـــاني القـــرآن للفراء ٤٥٩/١، وقد حرف الأزهري طيئًا، فجعلها: " غنى " في هذا الخبر ، ونقل عنه صاحب اللســـان الكلمة محرفة، يقول الأزهري (تهذيب اللغة ٦٨٣/١٥ = لسان العرب ١٠/١): " ومنها همزة التوهم، كمـــا روى الفراء عن بعض العرب أنهم يهمزون مالا همز فيه إذا ضارع المهموز. قال: وسمعت امرأة من غنى ، تقول: " رثأت زوجي بأبيات. قال: ويقولون : لبأت بالحج ، وحلأت السويق ، فيغلطون ".

وكــلها اصطلاحات من عندنا لما يقابل في اللاتينية: Hyperurbanismus، وفي الإنجليزية: Overcorrectness [(١)].

وهــو اصــطلاح اتخذ لدى علماء اللغة للصيغ التي تنتج بسبب الحرص الشديد عــلى محاكــاة اللغة الأدبية، ممن لا يملك زمامها من عامة الشعب، فهو يحاول أن يرد العامية التي يتحدث بها إلى نمط اللغة الأدبية ، وهو في محاولته هذه لا يفرق بين الظواهر الجديدة والقديمة، في لغة الخطاب، فإذا ردَّ كلمة جديدة إلى أصلها القديم أصاب.

أمــا إذا فعل مثل ذلك مع الكلمات التي احتفظت بالأصل القديم، وشابهت مع ذلــك الجديــد، فإنه يكون حينئذ متقعرًا ومتحذلقًا، وذلك كمن يعرف أن الصوت المركــب (aw) مثلاً في العربية الفصحى، يقابل حركة الضم الممالة (ō) في العامية، وذلــك مثل: صُوم في صَوْم، وعُوم في عَوْم، ونُوم في نَوْم ، ويُوم في يَوْم، فهو إذا رد هــذه الكــلمات إلى أصلها كان مصيبًا في كلامه، غير أن هناك كلمات لها مثل هذه الصورة في الأصل، في اللغة الفصحى نفسها، مثل: " ثُوم " ، و " حُوت " و " رُوح " وغــير ذلــك، وهنا يحاول ذلك المتفصح أن يقلب هذه الضمات الأصلية إلى الصوت المركب الذي تتميز به اللغة الفصحى، فيقول: ثَوْم وحَوْت ورَوْح، قياسًا على ما فعله في تلــك الكلمات السابقة، وعندئذ يأتي بشيء لا هو في لهجات الخطاب، ولا هو في اللغة الفصحى، وليس ما فعله إلا نوعًا من أنواع القياس الخاطئ .

وعــلى هــذا النحو يمكن تفسير همز ما ليس أصله الهمز، في خبر الفراء السابق لأن أولئك الطائيين يتركون الهمز في كلامهم – كما سبق أن عرفنا – فيقولون مثلاً: فقيــت عيــنه، ووجيت بطنه، بلا همز، ولكنهم يسمعون اللغة الأدبية في شعر الشعراء ومواقــف الجد من القول، وفيها فقأت عينه، ووجأت بطنه، بالهمز؛ فيقولون بناء على هــذا: حلأت السويق، ولبأت بالحج، ورثأت الميت، عن طريق القياس الخاطئ، مبالغة في التفصــح، بدلاً من: حليت ولبيت ورثيت، كما يمكن فهم ما روي عنهم من أنهم

(١) يسمي فندريس (اللغة ٨٠) هذه الظاهرة: الإسراف في المدنية والغلو في مراعاة الصحة .

كـــانوا يهمـــزون " السؤدُد " [1]، وهو من سودته، أي جعلته سيدًا، فلا أثر للهمز في أصله.

ثانيًا: جهر السين والصاد:

السـين والصـاد من الأصوات الأسنانية اللثوية، المهموسة أي التي لا تتذبذب معها الأوتار الصوتية. والسين هي مرقق الصاد، والصاد هي مفخم السين.

وقـد روي عن قبيلة طيئ أنها كانت تجهر الصوتين، أي تجعل الأوتار الصوتية تـتذبذب معهما. وقد دل اللغويون على هذا الجهر فيهما بقلبهما زايًا، فقالوا: إن طيئًا تقول في سَقَر: زَقَر، وفي الصَّقْر: زَقْر، وفي الصِّراط: زراط. والزاي هي المقابل المجهور للسـين. أمـا المقابل المجهور للصاد، فهو الزاي المفخمة التي تشبه نطق العوام للظاء في مثل كلمة : ظُلْم.

وأغلـب الظن أن الطائيين كانوا ينطقون الصاد نطقًا مماثلاً لهذا النطق، غير أن اللغويـين دلوا عليه بالزاي المرققة؛ لعدم وجود رمز للزاي المفخمة في الكتابة العربية، وإن كـان هؤلاءِ اللغويون يتحدثون عما يسمونه بإشمام الصاد صوت الزاي، فقد قرأ كـل من حمزة والكسائي وخلف ورويس قوله تعالى: ﴿حتى يصدر الرعاء﴾ [2] وقوله عـز وجل : ﴿ يومئذ يصدر الناس أشتاتًا ﴾ [3] بإشمام الصاد زايًا. وقد سمى ابن سينا هـذا الـنطق: (الـزاي الطائـية) وقال عن نطقها:" يكون وسط اللسان فيها أرفع، والاهتزاز في طرف اللسان خفي جدًّا "[4] .

ويـزعم ابـن الكلبي أن هذه الظاهرة تسمى: (الرَّسْو) و (التمعدد) وهو يفسر قول حاتم طيئ:

---

(١) انظر: الاشتقاق لابن دريد ٢١١ .

(٢) سورة القصص ٢٣/٨٨ ، وانظر : إتحاف فضلاء البشر ٣١٠.

(٣) سورة الزلزلة ٦/٩٩ ، وانظر : إتحاف فضلاء البشر ٢٧٣ .

(٤) أسباب حدوث الحروف ١٩.

إلههمُ ربِّي وربي إلههمْ　　فأقسمتُ لا أرسُو ولا أتَمَعْدَدُ

قال: "الرَّسْو أن يقال للصَّقْر: زَقر، ولسَقَر: زَقَر، وللصِّراط: زراط، وللصَّقعب: زقعب. قال: وسمعت أبا أسماء وغير واحد من طيئ يقولون: اللهم إنا نعوذ بك من شر زَقَر، وهذا كلام مَعَد، فلذلك قال: لا أتمعدد "(١) .

ومع أن حاتمًا الطائي ينفي هذه الظاهرة عن نفسه - إن صح تفسير ابن الكلبي للبيت - فقد رُوي أنه هو نفسه قد قلب الصاد زايًا، في حكاية رواها لنا مؤرج السدوسي، فقال: " وكانت عنزة أسروا حاتم طيئ، فغزت رجالهم وتُرِك مع النساء والضعفة من الرجال فقالوا له: افصد لنا، فقام إلى ناقة معقرها، فقالوا له : أهكذا الفصد؟ وأوجعوه ضربًا .. قال: هكذا فزدي أَنَهْ، يريد : فصدي أنا "(٢).

ويقيد أبو الطيب اللغوي انقلاب الصاد زايًا في لغة طيئ، بسكونها، إذ يقول: " ويقال هي المِزْدَغة والمِصْدَغة، للمخدّة . وطيئ تقلب كل صاد ساكنة زايًا، قال الأصمعي: كان حاتم الطائي أسيرًا في عنزة، فجاءته النساء بناقة ومفصد، وقلن له : افصد هذه الناقة، فأخذ المفصد فلتم في سبلتها أي نحرها وقال : هكذا فزدي أنه، أي فصدي أنا "(٣).

ثالثًا: قلب الياء والواو في مثل " بَقِي " و" سَرُوَ " ألفًا:

من المعروف في اللغة العربية الفصحى أن الياء والواو إذا تحركتا وفتح ما قبلهما قلبتا ألفين، مثل سَعَى، وأصلها : سَعَيَ، ودَعَا، وأصلها : دَعَوَ. فإن كان ما قبلها مكسوراً أو مضمومًا، لم تقلب واحدة منهما ألفًا ، ولذلك بقيت الياء في مثل: "رضي " والواو في مثل: " سَرُوَ " لاختلاف شرط الفتح قبلهما .

---

(١) ديوان حاتم ق ١/٣ ص ٥ ، ولا وجود للرسو والتمعدد بهذا المعنى في المعاجم العربية.

(٢) كتاب الأمثال لمؤرج ٥١ وفي المثل : لم يحرم من فزد له، يعنون من فصد له ذراع البعير وكانوا يفعلون ذلك عند المجاعات ، ويطبخون الدم ويأكلونه. انظر: لحن العوام للزبيدي ١٩٤ .

(٣) الإبدال لأبي الطيب ١٢٦/٢ .

أما قبيلة طيئ، فإنها تطرد الباب على وتيرة واحدة "ولطيئ توسُّع في اللغات" [١] كمـــا روي عـــنها، فهـــي هنا تطرد الباب على وتيرة واحدة، فتقلب كل ياء أو واو مـــتحركة ألفاً، بشرط تحرك ما قبلها على الإطلاق، دون تخصيص هذه الحركة بالفتح. قـــال الجوهري:" وطيئ تقول: بَقَا وبَقَيْت، مكان : بقي وبقيت، وكذلك أخواتها من المعتل "[٢] .

كمـــا يقول القزاز القيرواني : " ومما يجوز للشاعر أن يقول في دُهِيَ: دُهَا، وهي لغـــة لطيئ ، وكذلك يجوز له أيضاً أن يفعل في الواو. وحكي أن ذلك في طيئ أيضًا، وأنهم يقولون في قَرْنُوة وعَرْقُوة: قرناة وعرقاة، فيصنعون في الواو ما صنعوا في الياء من البدل "[٣] .

ويمتلـــئ شـــعر الطائيين بهذه الظاهرة. ويتضح ذلك بصورة خاصة في شعر زيد الخيل الطائي، فمن ذلك قوله :

أفي كلِّ عام مأتم تبعثونه   على مِحْمَر ثَوَّبتمُوه وما رُضَا[٤]

وكذلك قوله :

تجدُّون خمشًا بعد خمش كأنه   على فاجع من خير قومكم نُعَا[٥]

وقوله كذلك :

لعمرك ما أخشى التصعلك مابَقَا   على الأرض قيسيٌّ يسوق الأباعرا [١]

---

(١) انظر في هذا القول : الأفعال لابن القوطية ٥، والأفعال لابن القطاع ١/١٥، والمزهر للسيوطي ٢/٩٨ .

(٢) الصـــحاح (بقي) ٦/٢٢٨٤، وانظر كذلك: تسهيل الفوائد لابن مالك ٣١١، وشرح المفضليات لابن الأنباري ٧٦٧، والمصباح المنير (بقي) ١/٣٢ ، وشمس العلوم ١/٣١، والممتع لابن عصفور ١/١٥٣، والجنى الداني للمرادي ٤٩٠ ، والبارع للقالي ٥١٢ ، واللسان (فني) ٢٠/٢٣ .

(٣) ما يجوز للشاعر في الضرورة ١٢٨ .

(٤) ديوانه ق ١/١ص٢٥، وسيبويه ١/٦٥، ٢/٢٩٠، ونوادر أبي زيد٨٠، والخزانة ٤/١٤٩، وجمهرة اللغة ٢/١٤٣، والحماسة ١١، والبارع ٥١١، وشرح شواهد سيبويه ١/١٢١، وشرح ديوان كعب ١٣١، ونوادر القالي ٢٥.

(٥) ديوانـــه ق١/٢ص ٢٦، والـــبارع للقـــالي ٥١١، ونـــوادر أبي زيد ٨٠، وشرح شواهد سيبويه لابن السيرافي ١/١٢١ وشرح ديوان كعب ١٣٢، ونوادر القالي ٢٥ .

وقوله أيضًا :

فردوا علينا ما بقا من نسائنا وأبنائنا واستمتعوا بالأباعر[٢]

وقوله :

فلولا زهير أن أكدِّر نعْمَةً لقاذعت كعبًا ما بَقَيْتُ وما بقا[٣]

وقوله :

فليت أبا شريح جار عمرو حَيَا عوفٌ وغيّبة القبورُ[٤]

وقوله:

نصول بكل أبيضَ مشرفي على اللاتي بقا فيهن ماء[٥]

كما يقول جوين بن عامر الطائي:

وأسْمَر مربوع رَضَاه بنُ عازب فأُعْطَى ولم يُنْظَر ببيع حِلالِ[٦]

كما يقول البَوْلاني[٧]:

نستوقد النبل بالحضيض ونصـــ ـــطاد نفوسًا بُنَتْ على الكرم[٨]

كما يقول رجل من طيئ:

إذا لم يكن مالٌ يرى شنِقت له صدور رجال قد بقا لهم وَفْر[٩]

---

(١) ديوانه ق ٢٥/ ٨ ص ٦٢، ونوادر أبي زيد ٦٨ ، وتفسير القرطبي ٣٧٠/٣ .

(٢) شـــرح شـــواهد سيبويه لابن السيرافي ٢٧٨/٢ ، وروايته في الديوان ق ٢/٢٧ ص ٦٤ : " بني أسد ردوا علينا نساءنا " ولا شاهد فيه .

(٣) ديوانه ق٦/١ ص ٢٧، والبارع للقالي٥١١، ونوادر أبي زيد ٨٠، وشرح ديوان كعب ١٣٤، ونوادر القالي ٢٦.

(٤) ديوانه ق ١/٢٤ ص ٦٠ ، والبارع للقالي ٥١١ ، ونوادر أبي زيد ٨٠.

(٥) ديوانه ق ١/٢ ص ٣٠ ، والاقتضاب ٤٢٧.

(٦) نوادر أبي زيد ٧٨.

(٧) بولان بطن من طيئ . انظر شرح المرزوقي للحماسة ق ٣١.

(٨) الصحاح (بقي) ٢٢٨٤/٦ ، والسان (بقي) ٨٦/١٨.

(٩) نوادر أبي زيد ١٧٩ .

وهــذه الظاهــرة، وإن عزيت في المصادر العربية إلى طيئ وحدها، فإننا نجد لها أمــثلة لــدى شــعراء من قبائل أخرى غير قبيلة طيئ، فمثلا يقول بشر بن أبي خازم الأسدي:

بذِعلبةٍ براها النصُّ حتى بلغتْ نضارها وفَنَا السنام[١]

ومثله قول طفيل الغنوي:

لزجرت قلبًا لا يَريعُ إلى الصِّبا إن الغَويَّ إذا نُهَا لم يُعْتبِ[٢]

وكذلك قال طفيل الغنوي :

فلما فَنَا ما في الكنائن ضاربوا إلى القُرع من حلد الهجان الُمحَوَّبِ[٣]

كما يقول المستوغر بن ربيعة التميمي:

هل ما بقا إلا كما قد فاتنا يومٌ يكُرّ وليلةٌ تحدونا[٤]

ويقول زهير بن أبي سلمى المزني :

تربَّع صارة حتى إذا ما فَنَا الدُّحلان عنه والإضاء[٥]

ويقول معن بن أوس المزني :

أعاذل هل يأتي القبائل حظُّها من الموت أم أُخْلا لنا الموتُ وحدنا

كما يقول كلثوم بن صعب:

فليت غدًا يومٌ سواه وما بقا من الدهر ليل يحبس الناس سرمدا[٦]

---

(١) ديوانه ق ٤١/ ١١ ص ٢٠٤ ، وشرح اختيارات المفضل الضبي للتبريزي ١٣٩٩/٣ .

(٢) عجــزه منســوب لطفيل الغنوي في سيبويه والشنتمري ٢٩١/٢ والبيت بتمامه بلا نسبة في ما يجوز للشاعر في الضرورة للقزاز ١٢٨ وتفسير الطبري ٦١/١١ ، وليس بديوانه .

(٣) ديوانه ق ٦٠/١ ص ١٣ ، والجيم لأبي عمرو ١٢١/٣ ، واللسان (قرع) ١٣٧/١٠ .

(٤) طبقات ابن سلام ٣٣/١ .

(٥) ديوانه ص ٦٥ ، وطبقات ابن سلام ٣٣/١.

(٦) ديوانه ق ١/٧ ص ٢٣.

وقـــد فطـــن إلى ذلك بعض علماءِ العربية، كابن سلاّم الذي يقول: " بَقَا وفَنَا لغتان لطيئ، وقد تكلمت بهما العرب، وهما في لغة طيئ أكثر"[١] كما يقول ابن دريد: " ومـــا رُضَا في معنى : ما رَضِي ، وهي لغة لطيئ ، وقد تكلم بها بعض العرب[٢]، غير أنها " لغة فاشية في طيئ "[٣] . وبعض هؤلاء الشعراء من قبائل تجاور طيئاً ، كبشر بن أبي خازم الأسدي، كما أن زهير بن أبي سلمى كان متزوجًا من طائية[٤].

وقد رويت لنا بعض أبيات الشعر، وفيها هذه الظاهرة، بلا نسبة لشاعر معين، فيمكن لذلك أن تكون لبعض طيئ أو لغيرهم، فمن ذلك قول الشاعر :

ألا ليت عمي يوم فَرَّق بيننا ... سُقَا السمّ ممزوجًا بشبٍّ يماني[٥]

وقول الآخر:

لم تلق خيل قبلها ما قد لَقَتْ ... من غبِّ هاجرة وسَيْر مُسأَدِ[٦]

وبعـــض شعراءِ طيئ، كانوا يحرصون على طريقة الفصحى في هذه الظاهرة فلا يقلبون الياءَ ألفا، إلا إذا فتح ما قبلها، كحاتم الطائي الذي يقول:

كريم لا أبيت الليـــل جـــاذ ... أعد بالأنامـــل مـــا رُزيتُ

إذا ما بتّ أشرب فـــوق ربي ... لسكر في الشراب فـــلا رَويتُ

إذا مابت أختل عرس جـــاري ... ليخفيني الظلام فــــلا خَفيتُ

أأفضح جارتي وأخون جـــاري ... معاذ الله أفعـــل ما حَيِيتُ[٧]

كما يقول كذلك:

تبغّ ابن عمّ الصدق حيث لقيته ... فإنّ ابنَ عمّ السُّوءِ إن سرَّ يُخْلِفُ[٨]

---

(١) الحماسة بشرح المرزوقي ق ٥٧٦/ ٢ ص ١٣٨٨.
(٢) طبقات ابن سلام ١/٣٣ .
(٣) جمهرة اللغة ٢/١٤٣.
(٤) الممتع لابن عصفور ١/١٥٣ ، وديوان امرئ القيس ص ١٢٣ .
(٥) ديوانه بشرح ثعلب ٢٨٣.
(٦) جمهرة اللغة ١/٣٢ ، وتثقيف اللسان ٢٧١.
(٧) ديوانه ق ٣٦ ص ٢١
(٨) ديوانه ق ٣٧/ ٢ ص ٢٢

ولم تقتصـــر هذه الظاهرة على الأفعال المعتلة عند طيئ ، فإنهم يقلبون كل ياء ألفـــاً،إذا تحركـــت وتحـــرك ما قبلها في الأسماء كذلك، فيقولون:ناصاة[١]، وبادَاة[٢]، وتَوْصَـــاة[٣]، وخحظـــاة بظاة[٤]، وفالاة[٥]، وباناة[٦]، وباقاة[٧]، وأوداة [٨]، في: ناصية، وبادية، وتوصية، وخحظية بظية، وفالية، وبانية، وباقية، وأودية.

وقد ورد بعض ذلك في شعر طيئ، كقول حريث بن عتاب الطائي:

لقد آذنت أهل اليمامة طيئ ... بِحَرْبٍ كناصاة الحصان المُشَهَّرِ[٩]

ومثل ذلك قول حاتم الطائي :

فقلت لأصباة صغار ونسوة ... بشهباء من ليل الثمانين قَرَّتِ[١٠]

يريد : أصبية جمع صبيّ .

وقد وردت هذه الظاهرة في شعر امرئ القيس كذلك في قوله :

رُبّ رامٍ مـــن بنـــي ثُعَـــل ... مخرج كفيـــه مـــن سُتَرهْ

عـــارض زوراء عـــن نشم ... غير باناة على وَتَـــرِه[١١]

يـــريد: غير بانية. والبانية من القسيّ التي لصق وترها بكبدها حتى كاد ينقطع وترها في بطنها للصوقه بها، وهو عيب فيها .

ويبدو حرص حاتم الطائي على استخدام العربية الفصحى مرة أخرى، في قوله :

يا كعب إنا قديمًا أهل رابية ... فينا الفَعال وفينا المجد والخِيَرُ[١٢]

---

(١) اللسان (نصا) ٢٠/١٩٩ (وري) ٢٠ /٢٦٨ والممتع ٢/٥٥٧ والمخصص ٦/٤٠ وتفسير القرطبي ٣/٣٧٠ .
(٢) اللسان (نصا) ٢٠/١٩٩ ، وديوان امرئ القيس ١٢٣، والمخصص ٦/٤٠ .
(٣) اللسان (وري) ٢٠/٢٦٨.
(٤) اللسان (خظا) ١٨/٢٥٤.
(٥) مجالس ثعلب ٢/٤٩٦ .
(٦) مقاييس اللغة ١/٣٠٢ ، واللسان (بني) ١٨/١٠٤ ، والمخصص ٦/٤٠.
(٧) الممتع ٢/٥٧٧.
(٨) اللسان (ودي) ٢٠/٢٦٣.
(٩) نوادر أبي زيد ١٢٤، وما يجوز للشاعر في الضرورة للقزاز ١٢٨ ، واللسان (نصا) ٢٠/٢٠٠.
(١٠) ديوانه ص ١٠.
(١١) ديوانه ق ٢/١٧ ص ١٢٣ ، ومقاييس اللغة ١/٣٠٢ ، والمخصص ٦/٣٩.
(١٢) ديوانه ص ٦ .

رابعاً: قلب ألف المقصور ياء:

روي لـــنا عن قبيلة طيئ أنهم كانوا يقولون في مثل : أَفْعَى وحُبْلى، وغيرهما مما ينـــتهي في اللغـــة العربـــية الفصحى بالألف المقصورة: أَفْعَيْ وحُبْلَيْ، بالياء في الوقف والوصـــل. ويشارك طيئاً فزارة وناس من قيس، في هذه الظاهرة في الوقف فقط، قال ســـيبويه: " قول بعض العرب في أفعى: هذه أفعيْ، وفي حبلى: هذه حبليْ، وفي مثّنى: هـــذا مثـــنّيْ، فإذا وصلت صيرتها ألفًا وكذلك كل ألف في آخر الاسم. حدثنا الخليل وأبو الخطاب أنها لغة لفزارة وناس من قيس وهي قليلة، فأما الأكثر الأعرف فأن تدع الألـــف في الوقـــف على حالها ولا تبدلها ياء، فإذا وصلت استوت اللغتان. وأما طيئ فزعموا أنهم يدعونها في الوصل على حالها في الوقف" [١] .

كمـــا يقول أبو علي الفارسي:" الياء في الأواخر وقعت موقع الألف في الوصل والوقـــف وذلك لغة طيئ، فيما حكاه (سيبويه) عن أبي الخطاب وغيره من العرب، وذلـــك قولهم في أفعى : أفعيْ ... كما أن ناسًا يقولون : أفعيْ في الوقف، إذا وصلوا قالوا: رأيت الأفعى فاعلم. وجعلت طيئ الحرف في الوصل والوقف ياء"[٢].

ويـــرى علماء العربية أن الألف المقصورة هي الأصل، وأن الياء في مثل : حُبْلَيْ وأَفْعـــيْ في لهجـــة طيئ وغيرها، ليست إلا انقلابًا لتلك الألف، انظر مثلاً إلى قول ابن جني: " ومنهم من يبدل هذه الألفات في الوقف ياء "[٣] .

غـــير أن الاطلاع على اللغات السامية من جانب، وتحكيم القوانين الصوتية من جانب آخر يدلان على أن مثل: حُبْلَيْ وأَفْعَيْ بالياء، أسبق في سلسلة التطور اللغوي من أَفْعَى وحُبْلَى بالألف .

فـــإن الـــنظر إلى الأفعال الناقصة، مثل رمى ودعا، وهي تماثل في صورتها هذه صـــورة الأسمـــاء المقصورة في الفصحى، يرينا أنها في أصلها الأول في اللغات السامية

(١) كتاب سيبويه ٢٨٧/٢.
(٢) الحجة لأبي علي الفارسي ٦٣/١ - ٦٤ .
(٣) المحتسب ٧٧٠/١.

كانت تتصرف تصرف الصحيح تمامًا. والدليل على ذلك وجود هذا الأصل القديم في اللغـــة الحبشـــية الجعزية، وهي إحدى اللغات السامية، ففيها مثلاً يقال: "صَحَوَ" في: صـــحا، و " تَلَوَ " في: تلا، و " رَمَيَ " في: رمى، وليس الأمر مقصوراً في الحبشية على الأفعـــال الناقصـــة، بل إن الأفعال الجوفاء يعامل شيء منها معاملة الصحيح كذلك، فيقال فيها : " دَيَنَ " في : دان ، و " بَيَنَ " في : بان ، وغير ذلك[1] .

و لم تـــبق من هذه المرحلة في اللغات السامية الأخرى، إلا بقايا قليلة في العربية من الأفعال الجوفاء، مثل : حَوِر، وعَوِر، وهَيِف ، واستحوذ، واستنوق، وغيرها .

وإذا رجعـــنا بالاسم المقصور إلى هذه المرحلة القديمة، فإنه يكون مثل : هُدَيٌ وفَتَيٌ ، وعَصَوٌ ، وقَفَوٌ ، وما إلى ذلك.

أمـــا المـــرحلة الثانـــية في تطور الأفعال المعتلة والأسماء المقصورة، فهي مرحلة التســـكين أو سقوط الحركة بعد الواو والياء للتخفيف، فيصبح الفعل على نحو: قَضَيْ، ودَعَوْ كما تصبح الأسماء المقصورة على نحو : أفعيْ وعَصَوْ .

وقد فطن العلامة (ابن جني) بحسه اللغوي، إلى ضرورة وجود هذه المرحلة في طـــريق تطور الأفعال المعتلة، فقال: " ومن ذلك قولهم: إن أصل قام: قَوَمَ فقلبت الواو ألفـــاً، وكذلك باع، أصله بَيَعَ ، ثم أبدلت الياء ألفاً، لتحركها وانفتاح ما قبلها، وهو لعمـــري كذلـــك، إلا أنك لم تقلب واحدًا من الحرفين، إلا بعد أن أسكنته استثقالاً لحركته ، فصار إلى : قَوْمَ وبَيْعَ " [2].

وقـــد بقيـــت هذه المرحلة عند قبيلة طيئ، فيما روي من الأمثلة السابقة: أفعيْ وحبليْ ومثنيْ وغيرها: وقد كنا في انتظار أن يظهر الفرق بين الأصل الواوي، والأصل الـــيائي في المقصور في هذه الحالة ، ويبدو أن تلك كانت الحال في بداية الأمر، فكان يقال هذه حُبْلَيْ وهذه عَصَوْ. ولكن يبدو أن بعض طيئ قد قاست الواوي على اليائي

---

(١) انظر : ١٦٣ - ١٦٥ .Dillmann, Gramatik der äthiopischen Sprache, S

(٢) الخصائص ٢/٤٧١ - ٤٧٢ ، وانظر كذلك : شرح مراح الأرواح ١٢٢ .

فقالـــت في الجميع حبليْ وعصيْ، على حين قاس ناس منهم اليائي على الواوي، فقالوا حـــبلو وعصـــو، يقول أبو علي الفارسي: " الياء يبدلها من الألف في الوقف والوصل طيـــئ والـــواو يبدلها منها بعض طيئ" [1] كما يقول ابن جني:" ومنهم من يبدل هذه الألفـــات في الوقف ياء فيقول: هذه عصي، ورأيت حبلي، وهذه رجيْ ، أي الناحية يـــريد: رجـــاً. ومـــنهم مـــن يـــبدلها في الوقف أيضاً واوًا فيقول : هذه عَصَوْ وأفعَوْ وحُبْلَوْ " [2].

ويـــبدو أن بعض الأفعال المعتلة، قد وصلت إلى هذه المرحلة عند طيىء كذلك. يدلنا على هذا ذلك الرجز الذي يساق في المصادر العربية، للاستشهاد على قلب ألف المقصور ياء عند طيئ. وأغلب الظن أنه لواحد من رجازهم يقول :

إن لطيٍّ نسوةٌ تحت الغَضَيْ

يمنعهن الله ممـــن قـــد طَغَيْ

بالمشرفيات وطعن بالقَنَيْ [3]

يريد: الغضا، وطغى، والقنا .

ووصـــول المقصور إلى هذه المرحلة عند طيئ وغيرها، هو الذي يفسر لنا صورة هـــذا المقصور عندهم، عندما يضاف إلى ياءِ المتكلم، إذ كانوا يقولون في مثل هواي، وهداي: هَوَيَّ (هَوَيْ + يَ) وهُدَيَّ (هُدَيْ + يَ) وغير ذلك .

ففـــي حديث طلحة بن عبيد الله: " فوضعوا اللجَّ على قَفيَّ " يعني السيف على قفاي[4]، فقد نصت المصادر على أن "قفيَّ" هنا لغة طائية ، وقالوا: وكانت عند طلحة امرأة طائية .

---

(١) الحجة ١/٦٤ .

(٢) المحتسب ١/٧٧ .

(٣) المنصف ١/١٦٠ ، والمحتسب ١/٧٧ .

(٤) غريب الحديث لأبي عبيد ٤/١١، والفائق للزمخشري ٣/٩١ ، والنهاية لابن الأثير ٤/٩٤، واللسان (قفا) ٢٠/ ٥٥.

وقد عرفت هذه الظاهرة عند غير طيئ كذلك، قال الفراء:" وهي لغة في بعض قـــيس وهذيل : يا بشرَيَّ ، كل ألف أضافها المتكلم إلى نفسه ، جعلتها ياء مشددة ، أنشدني القاسم بن معن (لأبي ذؤيب الهذلي):

تركوا هَوَيَّ وأعنقوا لهواهم   ففقدتهم ولكل جنب مصرع

وقـــال لي بعـــض بني سليم: آتيك بمولِيَّ فإنه أروى مني . قال أنشدني المفضل (للمنخل اليشكري) :

يُطوِّفُ بي عِكبٌ في معـــدٍّ   ويطعنُ بالصُّمُلَّة في قَفَيَّـــا

فإن لم تثأروا لي من عِكبٍ   فلا أرويتما أبداً صَدَيَّا"[1]

فهـــذا الـــنص للفـــراءِ يعـــزو الظاهـــرة لبعض قيس وهذيل وبعض بني سليم ولليشكريين كذلك.

وقد صدق ابن جني حين قال: " هذه لغة فاشية في هذيل وغيرهم "[2] .

ومما يصدق هذا أيضًا، ورودها في بيت لأبي دواد الإيادي، وهو :

فأبلوني بليتكم لعلّي   أصالحْكم وأستدرجْ نويَّا[3]

وبيت آخر لأبي الأسود الدؤلي (من بكر) وهو :

أحبهم لحب الله حتى   أجيءَ إذا بعثت على هويَّا[4]

كـــان هـــذا كله في المرحلة الثانية من مراحل تطور المقصور والأفعال المعتلة في العربـــية واللغات السامية. أما المرحلة الثالثة، فهي المرحلة التي تسمى في عرف اللغويين المحدثـــين: " انكمـــاش الأصوات المركبة[5] " . والأصوات المركبة في العربية هي الواو والياء المسبوقتان بالفتحة، في مثل: " قول " و" بيت " فإن الملاحظ في تطور اللغات هو

---

(١) معاني القرآن ٣٩/٢ ، وانظر المحتسب ٧٦/١، والخصائص ١٧٧/١ .

(٢) المحتسب ٧٦/١ .

(٣) النقائض ٤٠٨/١ ، والخصائص ٣٤١/٢ .

(٤) الكامل للمبرد ٢٠٥/٣ .

(٥) انظر : C. Brockelmann, Syrishe Grammatik,S.٦ .

انكماش هذه الأَصوات، وتحولها إلى حركات ممالة، مثل قولنا في العامية: يُوم ، وصُوم، ونُوم، بدلاً من: يَوْم، وصَوْم، ونَوْم. ومثل قولنا كذلك: بِيت، وليل، وعين، بدلاً من: بَيْت، ولَيْل، وعَيْن .

وهـــذه المرحلة هي الشائعة في اللغة الحبشية في الأَفعال الجوفاء، ففيها مثلاً: قُومَ بمعـــنى. قـــام، و (شِيطَ) بمعنى: باع، وغير ذلك. كما توجد هذه المرحلة أَيضًا، في الـــلهجات العربـــية التي تميل، في مثل قوله تعالى: ﴿ والضُّحِـــى والليل إِذا سَجِى، مَا وَدَّعَكَ رَبّكَ وَمَا قِلَى ﴾ في قراءةِ من أَمال[1].

أَمـــا المـــرحلة الـــرابعة والأَخيرة في تطوز الأَسماءِ المقصورة، والأَفعال الناقصة والجوفـــاء فتتمثل في التحول من الإمالة إِلى الفتح الخالص. ونحن نلحظ ذلك في تطور عـــبارة " السـلام عليكم " إِلى : " السلام علاكم " في بعض لهجات الخطاب القديمة والحديثة ، فقد مرت هذه اللهجات بالإِمالة أَولاً ثم الفتح الخالص .

ونحن نلحظ مثل هذا التطور في العربية القديمة، في قول بعض العرب:" إِن الرجز لعـــابٌ، أَي لعَيْب، والرجز ارتعاد مؤخر البعير "[2]، كما جاءَ في قولهم: " تبت إِليك فتقـــبل تـــابتي، وصمت إِليك فتقبل صامتي "، أَي توبتي وصومتي. ذكره الواحدي في تفسير قوله تعالى :﴿ إن هذان لساحران ﴾. قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي لغة بـــلحرث بن كعب وهي قبيلة من اليمن "[3]، وهي تلك القبيلة التي روي لنا عنها أَنها كانـــت تلزم المثنى الأَلف في جميع أَحواله[4]، فقد قال أَبو زيد الأَنصاري في تفسير قول الراجز :

* طارت علاهن فشل علاها *

---

(١) التيسير في القراءات السبع للداني ٢٢٣ .

(٢) النوادر لأبي زيد ٣.

(٣) شرح مراح الأرواح ١٢٠ .

(٤) تسهيل الفوائد ١٢ ، وشرح التسهيل ٦٦/١.

"وعلاهـــا، أراد: عليها ولغة بلحرث بن كعب قلب الياء الساكنة، إذا انفتح ما قبـــلها ألفـــاً، يقولـــون: أخذت الدرهمان، واشتريت ثوبان، والسلام علاكم. وهذه الأبيات على لغتهم " [1].

وهـــذا الطـــور الأخـــير، هو الذي وصلت إليه العربية، في المقصور والناقص والأجـــوف في نحـــو: الفـــتى والهدى، وحبلى وأفعى، ودعا وسعى، وقام وباع، وغير ذلك، والله أعلم .

* * *

(١) النوادر لأبي زيد ٥٨ ، وانظر : الصاحبي لابن فارس ٤٩ .

ظواهر لغوية
من لهجة طيئ القديمة

للدكتور رمضان عبد التواب
خبير بلجنة اللهجات

(١) لغة أكلوني البراغيث :

مـــن المعروف في العربية الفصحى، أن الفعل يجب إفراده دائمًا، حتى وإن كان فاعلـــه مـــثنىً أو مجموعًا، أي أنه لا تتصل به علامة تثنية ولا علامة جمع، للدلالة على تثنـــية الفـــاعل أو جمعه، فيقال مثلاً: "قام الرجل" و " قام الرجلان " و" قام الرجال" بإفـــراد الفعل "قام" دائمًا، إذ لا يقال في الفصحى مثلا: "قاما الرجلان" و " لا قاموا الرجال " .

وعـــلى هذا النحو، جاءت جمهرة الجمل الفعلية في القرآن الكريم، يقول اللـــه تعـــالى مثلاً: ﴿ وكأين من نبي قاتل معه ربِّيون كثير ﴾ (آل عمران ١٤٦/٣) ولم يقـــل: قـــاتلوا معـــه. كمـــا قال جل شأنه: ﴿ إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا ﴾ (آل عمران ١٢٢/٣) ولم يقل : همتا طائفتان .

تلـــك هـــي القاعدة المطردة، في العربية الفصحى، شعرًا ونثرًا. أما قبيلة طيئ، فقـــد روي لـــنا عنها[1] أنها كانت تلحق الفعل علامة تثنية للفاعل المثنى، وعلامة جمع للفاعل المجموع.

وتعـــرف هذه الظاهرة عند النحاة العرب بلغة " أكلوني البراغيث " وقد عرفت عندهم بهذا الاسم؛ لأن سيبويه هو أول من مثل لها في كتابه واختار هذا المثل، فقال : " في قول من قال: أكلوني البراغيث " [2]، كما قـــال في موضع آخـــر: " ومن قال :

(*) الدورة السابعة والأربعون. (١٩٨٠ - ١٩٨١م).

(١) انظـــر: الجـــنى الداني للمرادي ١٧١ ، وشرح درة الغواص للخفاجي ١٥٢ ، وبصائر ذوي التمييز ١٤٩/٥ ، وشرح التصريح ٢٧٥/١ ، ١١٠/٢ ، وهمع الهوامع ١٦٠/١ ، والقاموس المحيط (الواو) ٤١٣/٤ ، والنهاية لابن الأثير ٢٩٧/٣ ، والفائق للزمخشري ٧٤/٣ .

(٢)كتاب سيبويه ٥/١ .

أكلـــوني البراغيث، قلت على حد قوله: مررت برجل أعورين أبواه "[١]، وإن كان قد ضـــرب لهذه الظاهرة أمثلة أخرى في كتابه، فقال: " واعلم أن من العرب من يقول : ضـــربوني قومـــك وضرباني أخواك، فشبهوا هذه بالتاء التي يظهرونها في : قالت فلانة فكأنهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامة، كما جعلوا للمؤنث علامة، وهي قليلة "[٢].

وتدل مقارنة اللغات السامية، أخوات العربية، على أن الأصل في تلك اللغات، أن يـــلحق الفعـــل علامـــة التثنية والجمع للفاعل المثنى والمجموع، كما تلحقه علامة التأنيث، عندما يكون الفاعل مؤنثًا، سواء بسواء .

ففـــي اللغة العبرية مثلا: wayyāmōtū g̅am šnēhem mohlōm w – kilgōn وترجمـــته الحرفـــية :" فماتـــا كلاهمـــا محلون وكليون "[٣] .ومثل ذلك أيضًا فيها : lō yākōmū ršāˇtm bammišpāt وترجمته الحرفية :" لا يقومون الأشرار بالعدل"[٤].

ومـــثل ذلـــك في الآرامـــية، في نحو: dalmā ngūrūn hrānē battāk وترجمته الحرفية :" لئلا يزنوا الآخرون بامرأتك "[٥].

وكذلـــك الحال في الحبشية في نحو: wahōrū āhzāb وترجمته الحرفية: " فعادوا الشـــعوب "[٦]. ومثل ذلك أيضًا: wabazhū welūdōmū وترجمته الحرفية: "وكثروا أطفالهم "[٧].

وقـــد تخلصـــت العربـــية الفصحى من هذه الظاهرة رويدًا رويدًا، أخذًا بمبدأ الاســـتغناء عن بعض العلامات، عند تكدُّسها للدلالة على الظاهرة الواحدة، فإن الذي

---

(١) كتاب سيبويه ١/٢٣٧ .

(٢) كتاب سيبويه ١/٢٣٦ .

(٣) سفر روث ١/٥ .

(٤) سفر المزامير ١/٥ ، وانظر أمثلة أخرى في سفر التكوين ٢/١ ، ٦/٢، ٨/٢ ، وسفر الأمثال ٥/١٠ وغير ذلك.

(٥) أحـــيقار حكيم من الشرق الأدنى القديم ١/٣٣ ، وانظر أمثله أخرى في إنجيل متى ٥/١ ، وإنجيل لوقا ١/٢٣ ، وغير ذلك.

(٦) انظر : (النصوص ٤١) F.praetorius, Aethiopische Grammatik

(٧) انظر : المصدر السابق (النصوص ٤٢).

كـــان يـــدل على التثنية هنا هو علامة التثنية في الفعل، ووضع الفاعل في صيغة المثنى. وكذلك كان يدل على الجمع علامته المتصلة بالفعل، ووضع الفاعل في صيغة الجمع.

وإذا اســـتغنت اللغـــة عن العلامات المتصلة بالفعل، لم تخسر الدلالة على التثنية والجمـــع، لوجود ما يدل عليهما في صيغة الفاعل نفسها، ولذلك قال سيبويه : "وإنما قالـــت العـــرب: قال قومك، وقال أبوك؛ لأنهم اكتفوا بما أظهروا، عن أن يقولوا قالا أبواك، وقالوا قومك، فحذفوا ذلك، اكتفاء بما أظهروا " [(١)] .

وإذا كانـــت العربـــية الفصحى قد تخلصت رويدًا رويدًا من هذه الظاهرة، فإن بقاياهـــا ظلت حية عند بعض القبائل العربية القديمة كقبيلة طيئ، وقد حُكيت لنا هذه اللغـــة كذلـــك عن قبيلة" بلحارث بن كعب " [(٢)]، وقبيلة " أزد شنوءة " [(٣)] وهما من القبائل، التي تمتّ لأصل قبيلة طيئ بصلة " [(٤)] .

كمـــا بقيـــت بعـــض أمثلتها في العربية الفصحى: في القرآن الكريم، والحديث الشريف، واحتفظ بها الكثير من أبيات الشعر العربي القديم .

أمـــا القرآن الكريم، فقد ورد فيه قوله تعالى: ﴿ ثم عَمُوا وصَمُّوا كثيرٌ منهم ﴾ (ســـورة المائدة ٥/٧١)، وقوله عز وجل: ﴿ وأسَرُّوا النَّجْوَى الذين ظلموا ﴾ (سورة الأنبياء ٢١/٣).

وقـــد أكثر النحويون، والمفسرون، وعلماء اللغة العرب، القول في تخريج هاتين الآيتين الكريمتين، فقد قال الإمام القرطبي في تفسير الآية الأولى مثلاً:" ثم عموا وصموا كـــثير منهم أي عَمِيَ كثير منهم وصم بعد تبين الحق لهم بمحمد عليه السلام، فارتفع (كثير) على البدال من الواو، كما تقول: رأيت قومك ثلثيهم. وإن شئت كان على

---

(١) كتاب سيبويه ١/٢٣٤ .

(٢) انظر : بصائر ذوي التمييز ٥/١٤٩ ، والقاموس المحيط (الواو) ٤/٤١٣، ومغني اللبيب ٢/٣٦٥ .

(٣) انظـــر : بصائر ذوي التمييز ٥/١٤٩ ، وشرح التصريح ١/٢٧٦ ، والقاموس المحيط (الواو) ٤/٤١٣ ، ومغني اللبيب ٢/٣٦٥.

(٤) انظر : الاشتقاق لابن دريد ٣٦١ .

إضمار مبتدأ، أي العُمْيُ والصُّمّ كثير منهم. ويجوز أن يكون على لغة من قال : أكلوني البراغيث"[١] .

كمـــا قال في الآية الثانية: ﴿ وأسرّوا النجوى الذين ظلموا ﴾ أي تناجوا فيما بيـــنهم بالتكذيـــب، ثم بيّن من هم ، فقال : الذين ظلموا، أي الذين أشركوا، فالذين ظـــلموا، بدل من الواو في (أسرّوا) وهو عائد على الناس المتقدم ذكرهم، قال المبرّد: وهـــو كقولـــك: إن الذين في الدار انطلقوا بنو عبد اللـــه، فبنوا بدل من الواو في : انطلقوا. وقيل هو رفع على الذم، أي هم الذين ظلموا. وقيل: على حذف القول، أي يقـــول الذيـــن ظلموا. وقول رابع: أن يكون منصوبًا بمعنى أعني الذين ظلموا. وأجاز الفـــراء أن يكون خفضًا بمعنى: اقترب للناس الذين ظلموا حسابهم، فهذه خمسة أقوال. وأجاز الأخفش الرفع على لغة من قال: أكلوني البراغيث، وهو حسن. وقال الكسائي: فيه تقديم وتأخير، ومجازه: والذين ظلموا أسروا النجوى " [٢] .

تلـــك هي آراء المفسرين والنحاة واللغويين العرب في هذه الظاهرة، وهم فيها مقلّبون لكل الأوجه الممكنة في العربية، من التخريج والتأويل .

وممـــا جـــاء في الحديـــث الشريف، قوله ﷺ:" يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار " [٣] بدلاً من: تتعاقب فيكم ملائكة، وإن كان بعض العلماء يرى في هـــذا الحديـــث، أنـــه مختصر من حديث طويل، وأن الواو فيه ضمير، يعود على اسم ظاهر متقدم، وليس علامة جمع، وأن أصل الحديث:" إن للـــه ملائكة يتعاقبون فيكم، ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار " [٤] .

وقـــد وردت هذه الظاهرة في بعض أحاديث الصحابة والتابعين، كما في قول

---

(١) تفسير القرطبي ٢٤٨/٦ .

(٢) تفسير القرطبي ٢٦٨/١١ ، وانظر : معاني القرآن للفراء ٣١٦/١ ، وشرح التصريح ٢٧٥/١ -٢٧٧ .

(٣) انظر : مغني اللبيب ٣٦٥/٢ ، والقاموس المحيط (الواو)٤١٣/٤، وبصائر ذوي التمييز ١٤٦/٥ .

(٤) انظر : شرح الأشموني على الألفية ٤٨/٢ .

الحسن البصري يصف طالب العلم:" قد أوكدتاه يداه، وأعمدتاه رجلاه " [١].

أمـــا أبيات الشعر القديم التي وردت فيها هذه الظاهرة، فما أكثرها في دواوين الشعر العربي. ومن أمثلة ذلك قول عمرو بن مِلْقط الطائي وهو شاعر جاهلي:

أُلفيتا عيناك عند القفا ... أولى فأولى لك ذا واقيه [٢]

بدلاً من: ألفيت عيناك. ومثله قول أمية بن أبي الصلت:

يلومونني في اشتراء النخيـــ ... ـــل أهلي فكلُّهُمُ يعذلُ [٣]

بدلاً من: يلومني أهلي. وكذلك قول أبي عبد الرحمن العتبي :

رأين الغواني الشيب لاح بعارضي ... فأعرضن عنّي بالخدود النواضر[٤]

أي: رأت الغواني. كما يقول الفرزدق :

ولكن دَيَافيٌّ أبوه وأمه ... بِحَوْران يعصرن السَّليط أقاربُه [٥]

أي يعصر أقاربه . ويقول عبيد الله بن قيس الرقيّات :

تولّى قتال المارقين بنفسه ... وقد أسلماه مبعدٌ وحميم[٦]

أي: أسلمه مبعد وحميم. وكذلك يقول عروة بن الورد :

دعيني للغِنَى أسعي فإنـــي ... رأيت النـــاس شرُّهم الفقير

وأبعدهم وأهونهم عليهم ... وإن كانا له نَسَبٌ وخير[٧]

---

(١) انظر الفائق للزمخشري ٧٣/٣ ، والنهاية لابن الأثير ٢٩٧/٣ ، ولسان العرب (عمد) ٢٩٦/٤ ، وانظر أحاديث أخرى في إعراب الحديث للعكبري ٢٨ - ٣٩ .

(٢) شرح شواهد المغني ١١٣ ، وأمالي ابن الشجري ١٣٢/١ ، وشرح ديوان أبي تمام ١٠/٣ .

(٣) ديوانـــه ص ١٦ ، والدرر اللوامع ١٤٢/١ ، وأمالي ابن الشجري ١٣٣/١ ، وشرح التصريح ٢٧٦/١ ، وهمع الهوامع ١٦٠/١ ، وإعراب الحديث للعكبري ٤٠ ، وفي شرح شواهد المغني ٢٦٥ :" عزاه السخاوي في المفصل إلى أحيحة بن الجلاح ".

(٤) العيني على هامش الخزانة ٤٧٣/٢ .

(٥) ديوانـــه ص ٥٠ ، وكتاب سيبويه ٢٣٦/١ ، وأمالي ابن الشجري ١٣٣/١ ، وشرح ديوان أبي تمام ٢٢٤/١ ، وإعراب الحديث للعكبري ٢٩-٤٠ ، وشرح ابن يعيش ٨٩/٣ ، وهمع الهوامع ١٦٠/١ .

(٦) ديوانه ق٢/٣٥ ص١٩٦ ، وأمالي ابن الشجري ١٣١/١ ، وشرح التصريح ٢٧٧/١ ، وهمع الهوامع ١٦٠/١ .

(٧) ديوانه ص ٩١ ، وشرح التصريح ٢٧٧/١ .

أي: كان له نسب وخير. ومثله قول مجنون ليلى:

ولو أحدقوا بي الإنس والجنّ كلهم   لكي يمنعوني أن أجيكِ لَجيتُ [(١)]

أي: ولو أحدق الإنس والجن . ومثله قول الشاعر :

نصروك قومي فاعتززتَ بنصرهم   ولَوَ انهم خذلوك كنتَ ذليلا[(٢)]

أي: نصرك قومي. ومثله أيضًا قول الآخر:

نُسيا حاتم وأوس لدن فا   ضت عطاياك يا بن عبد العزيز[(٣)]

أي نُسِي حاتم وأوس .

وغـــير ذلك كثير في الشعر العربي القديم. وقد استمرت هذه الظاهرة في أشعار المولّديـــن من الطائيين، فها هو أبو تمام الطائي يمتلئ ديوان شعره بالأبيات التي جاءت على هذه اللغة، مثل قوله:

شجًى في الحَشَى ترداده ليس يفتُر   به صُمْنَ آمالي وإني لمفطر

وقـــد قال عنه أبو العلاء المعرى في هذا الموضع [(٤)] :" يبين في كلام الطائي أنه كان يختار بإظهار علامة الجمع في الفعل، بمثل قوله: صمن آمالي. ولو قال: صام آمالي، لاستقام الوزن. وقد جاء بمثل ذلك في غير هذا الموضع ".

ومن أمثلة ذلك في شعره أيضًا:

وغدًا تبيَّنُ كيف غبّ مدائحي   إن ملن بي هممي إلى بغداد [(٥)]

ومنها كذلك قوله:

ولو كانت الأرزاق تجري على الحِجَا   هلكن إذن من جهلهن البهائم [(٦)]

وقد جاءت بعض أمثلة هذه الظاهرة في شعر المتنبي، فمن ذلك قوله:

---

(١) ديوانه ق ٥٨ / ٤ ص ٧٤ .

(٢) شواهد التوضيح لابن مالك ١٩٢ .

(٣) شواهد التوضيح لابن مالك ١٩٢ .

(٤) شرح الديوان للخطيب التبريزي ٢١٤/٢ .

(٥) شرح الديوان للخطيب التبريزي ١٣١/٢ .

(٦)شرح الديوان للخطيب التبريزي ١٧٨/٣، وانظرأمثلة أخرى في٢٢٤/٢،١٢٨/٢،١٢٨/٣،٢٨٨/٣،١٠٧٤/١وغيرها.

ورمى وما رمتا يداه فصابني سهمٌ يعذّب والسهام تريح [١]

وقال كذلك:

نَفْدِيكَ من سَيْلٍ إذا سُئِل النَّدَى هَوْلٍ إذا اختَلَطا دَمٌ ومَسِيحُ [٢]

ويبدو أن هذه الظاهرة كانت شائعة في عصر الحريري (المتوفى سنة ٥١٦هـ) الذي عدها من اللحن[٣]، ورد عليه الشهاب الخفاجي فقال:" وليس الأمر كما ذكره، فإن هذه لغة قوم من العرب، يجعلون الألف والواو حرفي علامة للتثنية والجمع، والاسم الظاهر فاعلاً. وتعرف بين النحاة بلغة أكلوني البراغيث، لأنه مثالها الذي اشتهرت به، وهي لغة طيئ كما قاله الزمخشري. وقد وقع منها الآيات والأحاديث، وكلام الفصحاء، مالا يحصى " [٤].

وقد بقيت هذه الظاهرة، شائعة في كثير من اللهجات العربية الحديثة، كقولنا مثلاً في لغة الخطاب في مصر: " ظلموني الناس" و" زاروني الجيران" . والله أعلم.

* * *

(٢) ذو الموصولة :

تستخدم قبيلة طيئ (ذو) اسمًا موصولاً وهو اسم موصول قديم في اللغات السامية، منه بقايا في لغة الشعر العبرية [٥]، ومن أمثلته فيها: Hàlà ˜adōnày zū hattànūlō " أليس الرب الذي أخطأنا إليه "[٦]. وقد ورد كذلك في نقش عربي قديم، هو "نقش النِّمارة " الذي اكتشفه المستشرق (رينيه ديسُّو) في مدفن امرئ القيس بن عمرو بن عديّ، ويرجع تاريخه إلى سنة ٣٢٨ بعد الميلاد، ففي السطر الأول من هذا النقش، نقرأ

(١) ديوانه ص ١٦٥ ، وانظر كذلك أمالي ابن الشجري ١/١٣٣ .

(٢) ديوانه ص ١٦٩ ، وانظر كذلك أمالي ابن الشجري ١/١٣٣ .

(٣) انظر : درة الغواص في أوهام الخواص ص ٦٥ .

(٤) انظر: شرح درة الغواص للشهاب الخفاجي ١٥٢ .

(٥) انظر : Gesenius, Hebräische Grammatik ١١٥; ٤٦٧ .

(٦) سفر أشعيا ٤٢/٢٤ ، وانظر أمثلة أخرى في المزامير ١٣٢/١٢؛١٤٢/٤؛١٤٣/٨ وغير ذلك .

الجملـــة التالية: " تِي نفس مر القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو أسر التّج "، وهي تعني :" هذا قبر امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلها الذي حاز التاج "[١].

وقـــد شاع استخدام (ذو) هذه في كلام أهل طّيئ، اسمًا موصولاً عامًّا للمفرد والمثنى والجمع، والمذكر والمؤنث بصورة واحدة لا تتغير في كل ذلك [٢].

وهـــي كـــثيرة الورود بهذه الصورة في أشعار طيئ، فمن أمثلة ذلك قول سنان الطائي:

فإن الماء ماء أبي وجَدّي   وبئري ذو حفرتُ وذو طويتُ [٣]

وقول قيس بن جروة الطائي الملقب بعارق :

لئن لم تغيّر بعضَ ما قد صنعتُمُ   لأَنْتَحِيَن للعظيم ذو أنا عارقُه [٤]

وقول بُجير بن عنمة الطائي :

وإنّ مولاي ذو يعاتبني   لا إحنة عنـــده ولا جـــــــرمه

ذاك خليلي وذو يعاتبني   يرمي ورائي بامسهم وامسلمه[٥]

وقول قوال الطائي :

قولا لهذا المرء ذو جاء ساعيًا   هلم فإن المشرفي الفرائض[٦]

---

(١) انظر كتابنا: فصول في فقه العربية ٣٩ –٤٠ .

(٢) انظر في ذلك : لسان العرب (الألف اللينة)٣٤٨/٢٠ ، وشرح الحماسة للمرزوقي ٥٩١/٢ ، والأزهية للهروي ٣٠٣ ، وأمالي ابن الشجري ٣٠٥/٢ ، وشرح الرضي على الكافية ٤١/٢ .

(٣) البيت له في شرح المرزوقي للحماسة ٥٩١/٢ ، وشرح التصريح ١٣٧/١ ، ولسان العرب (الألف اللينة) ٢٠/ ٣٤٨ ، والأزهية ٣٠٣ ، ومجمع الأمثال ٤٥/١ ، وتوضيح المقاصد للمرادي ٢٢٨/١ ، وأمالي ابن الشجري ٢/ ٣٠٥ ، وشـــرح التسهيل لابن مالك ٢٢٢/١ ، وشرح ابن يعيش للمفصل ١٤٧/٣ ، وتهذيب اللغة ٤٤/١٥ ، والدرر اللوامع ٥٩/١ ، وعجزه في شرح الرضي للكافية ٤١/٢ ، وبصائر ذوى التمييز ٢٥/٣ .

(٤) البيت له في ديوان حاتم الطائي ١٧٠ ، والنقائض ١٠٨٢/٢ ، وشرح المرزوقي للحماسة ١٤٤٧/٣، ١٧٤٦/٤ وخـــزانة الأدب ٣٣٠/١٢ ، والمزهر ٤٣٨/٢ ، وألقاب الشعراء ٣٢٧/٢ ، وشرح ابن يعيش للمفصّل ١٤٨/٣ وينسب له أو لعمرو بن ملقط الطائي في نوادر أبي زيد ٦١ .

(٥) البيتان في لسان العرب: (سلم) ١٨٨/١٥ ،(ذو) ٢٠ /٣٤٦ .

(٦) البيـــت له في شرح المرزوقي للحماسة ٦٤٠/٢، وخزانة الأدب ٢٩٥/٢ ، وهو بلا نسبة في شرح الرضي على الكافية ٤١/٢ .

وقوله كذلك :

أظنك دون المال ذو جئت تبتغي ستلقاك بيض للنفوس قوابض[(١)]

وقول ملحة الجرمي الطائي :

يغادر محض المـــاء ذو هـــو محضه على إثـــره إن كان للماء مـــن محض

يروِّي العروق الهامدات من البِلَى من العرفج النجديّ ذو باد والحمض[(٢)]

وقول حاتم الطائي:

إذا ما أتى يوم يفرّق بيننا بموت فكن ياوَهْمُ ذو يتأخر [(٣)]

وقوله كذلك:

ومن حسد يجور عليّ قومي وأي الدهر ذو لم يحسدوني [(٤)]

وقوله أيضًا:

كلوا ما به خُضْرًا وصُفْرًا ويانعا هنيًّا وخير النفع ذو لا يكَدَّرُ [(٥)]

كما قال رجل من طيئ أدرك الإسلام:

فإن بيت تميم ذو سمعت به فيه تَنَمَّت وأرست عزّها مضر [(٦)]

وقد وردت هذه الظاهرة كذلك في شعر رجل من بني أسد (وقبيلة أسد تجاور طيئًا) وهو منظور بن سحيم الفقعسي الأسدي، في قوله:

فإما كرام موسرون أتيتهم فحسبي من ذو عندهم ما كفانيا [(٧)]

---

(١) البيت في شرح المرزوقي للحماسة ٦٤٢/٢ ، وخزانة الأدب ٢٩٦/٢ .

(٢) البيتان له في شرح الحماسة للمرزوقي ١٨٠٩/٤ ، ومعجم الشعراء للمرزباني ٤٤٤ .

(٣) ديوانـــه ص ٢٧٢ ، وشعراء النصرانية قبل الإسلام ١٠٣، ورواه ابن قتيبة في الشعر والشعراء ٢٤٩/١: "بموت فكن أنت الذي يتأخّر " ولا شاهد فيه !

(٤) ديوانه ص ٢٩٠ ، وشرح التسهيل لابن مالك ٢٢٢/١ ، والعيني على هامش الخزانة ٤٥١/١.

(٥) ديوانه ص ٣٧٣ .

(٦) نـــوادر أبي زيـــد ٦١ ، والكامل للمبرد ٢١٧/٣ ، والأزهية للهروي ٣٠٣ ، وأمالي ابن الشجري ٣٠٥/٢ ، وصدره في لسان العرب (الألف اللينة) ٣٤٨/٢٠ ، وتهذيب اللغة ٤٥/١٥ .

(٧) شرح المفصل لابن يعيش ١٤٨/٣، ومعجم الشعراء ٢٨٢، والدرر اللوامع ٥٩/١، وشرح التصريح١٣٧/١.

كما وردت هذه الظاهرة أيضًا في أمثال قبيلة طيئ، نحو قولهم :" أتى عليهم ذُو أَتى "[١] أي أتى عليهم الذي أتى على الناس، وهو الموت .

وجاءت كذلك في قول زيد الخيل الطائي لبني فزارة، وذكر عامر بن الطفيل: " بـــإني أرى في عامر ذو ترون "[٢]. ويروي الجاحظ عن الأصمعي أنه قال:" قال أبو ســـليمان الفقعسي لأعرابي من طيئ: أيا مرأتك حمل ؟ قال: لا وذو بيته في السماء، ما أدري! واللـــه مالها ذنب تشتال به، وما آتيتها إلا وهي ضبعة " [٣].

كمـــا وردت (ذو) الموصـــولة أيضًا على لسان (حذيفة بن سور العجلاني) حين قابل الأصمعي فسأله من هو ؟ قال الأصمعي: أنا عبد الملك بن قريب الأصمعي. فقال حذيفة : ذو يتتبع الأعراب، فيكتب ألفاظهم !! [٤].

ويـــبدو أن قبيلة طيئ لم تكن كلها تجعل (ذو) الموصولة ملازمة لحالة واحدة دائمًـــا، فقـــد كان بعض الطائيين يجريها مجرى (ذي) بمعنى صاحب، فيقيسها عليها ويعـــربها بالحروف. قال المرادي:" وبعض طيئ يعرب (ذو) الطائية إعراب التي بمعنى صاحب فيقول: جاء ذو قام، ورأيت ذا قام، ومررت بذي قام " [٥]. وقد حكى ذلك ابن الدهان أيضًا[٦]، وعلى لغة هؤلاء قول منظور بن سحيم السابق:

فإما كرام موسرون أتيتهم فحسبي من ذي عندهم ما كفانيا [٧]

---

(١) انظـــر: مجمع الأمثال للميداني ٤٥/١، ونوادر أبي مسحل ٤٦٢/٢، ولسان العرب (الألف اللينة) ٢٤٨/٢٠، وتهذيب اللغة ٤٥/١٥ .

(٢) انظر : الكامل للمبرد ٢١٩/٣ ، وعنه في ديوان زيد الخيل الطائي ١٠٧ .

(٣) البيان والتبيين ٨١/٢ ، وانظر كذلك: لسان العرب (ضبع) ٨٥/١٠ .

(٤) المزهر للسيوطي ٣٠٨/٢ .

(٥) الجنى الداني ٢٤٢ ، وانظر : شرح التسهيل لابن مالك ٢٢٧/١ ، وشرح التصريح ١٣٧/١ .

(٦) انظر : شرح الرضي على الكافية ٤١/٢ .

(٧) روي البيـــت عـــلى هذه اللغة في شرح الحماسة للمرزوقي ١١٥٨/٢ ، وشرح التسهيل لابن مالك ٢٢٢/١ ، والمقرب ٥٩/١ ، وتوضيح المقاصد للمرادي ٢٢٩/١ .

كمـــا أن بعـــض الطائيين يفرق بين المذكر والمؤنث في الموصول، فيجعل (ذو) لـــلمذكر مطلقًـــا، مفـــردًا ومثـــنًّى ومجموعًا، و(ذات) للمؤنث مطلقًا، مفردًا ومثنًّى ومجموعًا كذلك[١]. قال ابن الشجري:" وذو موحدة على كل حال في التثنية والجمع، وكذلك ذاتُ موحدة مضمومة في كل حال" [٢] وحكى هذه اللغة الجزولي [٣] .

وقـــد جاء عليها ما رواه الفراء في كتابه "لغات القرآن" من أنه سمع أعرابيًّا من طيـــئ يسأل ويقول:" بالفضل ذو فضلكم الله به ، وبالكرامة ذاتُ أكرمكم اللهُ بهْ "[٤] أي بهَا .

وبعـــض هـــؤلاء الطائيين يصرّف هذا الاسم تصريفًا كاملاً، يختلف في المفرد والمـــثنى والجمـــع، والمذكر والمؤنث [٥] . فيقول: هذا ذو نعرف، وهذان ذوا نعرف، وهـــؤلاء ذوو نعرف، وهذه ذات نعرف، وهاتان ذواتا نعرف، وهؤلاء ذوات نعرف. ويضمون التاء من: (ذاتُ) و (ذواتُ)على كل حال .

وأنشد الفراء على هذه اللغة قول رؤبة بن العجاج:

* جمعتها مـــن أنيق مـــوارق *

* ذواتُ ينهضن بغير سائق *[٦]

وخلاصـــة القول في هذه المسألة، أن طيئًا تنقسم في (ذو) الموصولة على أربع فرق :

الأولى: توحّد (ذو) دائمًا، وتبنيها على الضم .

---

(١) انظر : الأزهية ٣٠٣ ، وشرح الرضي على الكافية ٤١/٢ ، ولسان العرب (الألف اللينة)٣٤٨/٢٠.

(٢) أمالي ابن الشجري ٣٠٥/٢ .

(٣) انظر : شرح الرضي على الكافية ٤١/٢ .

(٤) انظر : شرح التصريح ١٣٨/١ ، والأزهية ٣٠٣ ، وأمالي ابن الشجري ٣٠٥/٢، ولسان العرب (الألف اللينة) ٣٤٨/٢٠ ، وتهذيب اللغة ٤٤/١٥ ، وشرح التسهيل لابن مالك ٢١٨/١ ، والمقرب ٥٩/١ .

(٥) روى ذلك الفراء في كتابه لغات القرآن. انظر : شرح التصريح ١٣٨/١ ، والمقرب ٥٩/١ .

(٦) انظـــر : الأزهية ٣٠٣ ، وأمالي ابن الشجري ٣٠٥/٢ ، والمقرب ٥٨/١ ، وشرح التصريح ١٣٨/١ ، وشرح التسهيل لابن مالك ٢١٨/١ ، وانظر كذلك ملحق ديوان رؤبة ق ٧٠/١ ص ١٨٠ .

الثانية: توحّد (ذو) دائمًا وتعربها إعراب (ذي) بمعنى صاحب .

الثالثة: تجعل (ذو) للمفرد المذكر ومثناه ومجموعه، و(ذاتُ) للمفرد المؤنث ومثناه ومجموعه .

الرابعة: تصرّف (ذو) على حسب الإفراد والتثنية والجمع، والتذكير والتأنيث.

والفــرقة الأولى تمــثل الظاهرة في صورتها القديمة بدليل ما في العبرية والنقوش العربــية القديمــة. وما عند غير هذه الفرقة تطور لعب فيه القياس اللغوي دورًا كبيرًا، واللــه أعلم .

* * *

(٣) الوقف على تاء التأنيث:

مــن المعــروف أن العربية الفصحى تقف على تاء التأنيث في الاسم بالهاء[١] ، ولكــن قبيلة طيئ وحدها، من بين القبائل العربية القديمة، كانت تقف على هذه التاء بغــير إبدال، فتبقيها تاء كحالتها في الوصل سواء بسواء، قال الفراء: " والعرب تقف عــلى كل هاء مؤنث بالهاء إلا طيئًا ، فإنهم يقفون عليها بالتاء ، فيقولون: هذه أمتْ، وجاريــتْ، وطلحــتْ " [٢] ، وقد ذكر سيبويه هذه الظاهرة وإن لم يسم القبيلة التي تخصها، وروى ذلك عن أبي الخطاب الأخفش، فقال :" وزعم أبو الخطاب أن ناسًا من العــرب يقولــون في الوقف: طلحتْ، كما قالوا في تاء الجميع قولاً واحدًا في الوقف والوصل " [٣].

وعلى هذه اللغة، جاء قول بعضهم:" وعليه السلام والرحمتْ " [٤] .

وقول أبي النجم العجلي:

---

(١) انظر في تفسير هذه الظاهرة : مقدمة تحقيقنا لكتاب البلغة لابن الأنباري .

(٢) اللسان (ها) ٣٧٠/٢٠ ، وانظر كذلك : شرح شواهد الشافية ١٩٩/٤ .

(٣) كتاب سيبويه ٢٨١/٢ ، وانظر : شرح شواهد الشافية ٢١٨/٤ .

(٤) شــرح ابــن يعيش للمفصل ٨١/٩، والخصائص ٣٠٤/١، والمحتسب ٩٢/٢، وشرح شواهد الشافية ١٩٩/٤؛ ٢٢٠/٤.

* اللـــه نجّـــاك بكفـــــي مَسْلَمَتْ *

* من بعدهـــا وبعدمـــا وبعـــد مَتْ *

* صارت نفوس القوم عند الغَلْصَمَتْ *

* وكادت الحرة أن تدعــــى أمَتْ * [١]

وقول سؤر الذئب:

* بـــل جَوْزتيها كظهر الحَجَفَتْ * [٢]

وهـــذا الـــذي تصنعه طيئ، هو ما يوجد في اللغتين الأكادية والحبشية [٣] من اللغـــات السامية أخوات اللغة العربية. وهو يروى كذلك عن اللغة الحميرية، قال ابن مـــنظور: " والوثب: القعود، بلغة حمير، يقال: ثِبْ، أي اقعد. ودخل رجل على ملك مـــن ملـــوك حمـــير فقال له الملك: ثِبْ، أي اقعد، فوثب فتكسر، فقال الملك: ليست عندنا عربيّتْ، من دخل ظَفَارِ حَمّر، أي تكلم بالحميرية. قوله: عربيتْ، يريد: العربية، فوقف على الهاء بالتاء وكذلك لغتهم " [٤].

وقـــد حدث ذلك أيضًا في كثير من المؤنثات العربية التي دخلت اللغة التركية، ولذلـــك كتبها الأتراك بالتاء المفتوحة، ومنها كثير من الأعلام العربية، التي جاءتنا من تركيا بصورتها الجديدة. مثل طلعت، وعزّت، وألفت ، وقسمت، ونعمت، وحشمت، ومدحـــت، وعفّت، وبهجت، وعصمت، وشوكت، ومرْفت، وثروت، وغيرها. فهذه الأعلام ليست في الحقيقة إلا الصورة التركية للمصـــادر والأسماء العربية التالية: طلعة،

(١) الأبـــيات لأبي النجم في اللسان (ما) ٣٦١/٢٠ ، وشرح التصريح ٣٤٤/٢ ، والدرر اللوامع ٢١٤/٢، وهي بلا نســـبة في شـــرح المفصل ٨١/٨٩،٩/٥ ، والعيني على هامش الخزانة ٥٥٩/٤ ، والدرر اللوامع ٢٣٥/٢ ، والخزانة ١٤٨/٢ ، والخصائص ٣٠٤/١ .

(٢) هو لسؤر الذئب في ١٤ بيتًا في اللسان (حجف) ٣٨٣/١٠ و ١٣ بيتًا في شرح شواهد الشافية ٢٠٠/٤ ، وهو بـــلا نســـبة في اللسان (بلل) ٧٤/١٣ ، والإنصاف ٢٣٢ ، والمحتسب ٩٢/٢ ، والمخصص ٧/٩؛ ٩٦/١٦؛ ١٢٠/١٦ ، وشرح المفصل ١١٨/٢؛٦٧/٤ ؛ ٨٩/٥ ؛٨١/٩؛ ٤٥/١٠ ، والخصائص ٣٠٤/١؛٩٨/٢ .

(٣) انظر : فقه اللغات السامية لبروكلمان ٩٦ .

(٤) لسان العرب (وثب) ٢٩١/٢ ، والخصائص ٢٨/٢ ، وإصلاح المنطق ١٦٢ ، والمخصص ١٦ /٨٤ .

وعــزة، وألفة، وقسمة، ونعمة، وحشمة، ومدحة، وعفّة، وبهجة، وعصمة، وشوكة، ومَــرْوَة، وثــروة ونحوها، غير أن العربية تروي لنا كذلك أن قبيلة طيئ كانت تقف على تاء جمع المؤنث السالم وما يماثلها بالهاء، وهذا ما يحكيه قطرب عنهم[1]، فقد سمع بعضــهم يقــول :" دَفْن البَنَاه من المكرماه" يريد: دفن البنات من المكرمات، ويقول : " كــيف الإخوة والأَخَواه" يريد: كيف الإخوة والأخوات. ومثل ذلك أيضًا قولهم : " هيهاه" و" أولاه " في هيهات وأولات [2].

ويبدو أن ذلك لم يكن لغة لهم جميعًا، بدليل قول بعض المصادر العربية في عرض هــذا الظاهرة :" وسمع إبدالها هاء في قول بعضهم "[3]. ونحن نفترض في بعض هؤلاء الطائيين أنهم كانوا يقفون على تاء التأنيث في المفرد بالهاء[4]، كما في العربية الفصحى تمامًا، غير أن هؤلاء القوم قاسوا تاء جمع المؤنث السالم على تاء تأنيث المفرد، ولاسيما تلــك التاء التي تقع في المفرد بعد ألف، مثل تاء : صلاة، وزكاة، وحياة، وقناة، وأداة، وأناة، ونجاة، وحماة، وفلاة، ووفاة، وحصاة، ونواة، وفتاة، ودواة، ومهاة، وغيرها .

وقــد فطن إلى هذا الشيخ خالد الأزهري فقال وهو يتحدث عن المثال " دفن البناه من المكرماه": "بإبدال تاء الجمع هاء في الوقف، تشبيهًا بتاء التأنيث الخالصة" [5].

وفي بعــض الــلهجات العربــية المعاصرة كلهجة" القصيم" في الجزيرة العربية، قــياس عكســي في هــذه الظاهرة، إذ يقف الناس في لهجات الخطاب هناك على تاء التأنيــث المســبوقة بالألف في المفرد، بالتاء ، قياسًا على الوقف على تاء جمع المؤنث السالم بالتاء. واللــه أعلم .

* * *

---

(١) انظر: الممتع ٤٠٢/١، وشرح التصريح ٣٤٣/٢، وشرح ابن يعيش للمفصل ٤٥/٢ .

(٢) انظر: شرح الأشموني ٢١٤/٤، وهمع الهوامع ٢٠٩/٢، والممتع ٤٠٢/١، وشرح التصريح ٣٤٣/٢ .

(٣) انظر: شرح الأشموني ٢١٤/٤ .

(٤) انظر: شرح المفصل لابن يعيش ٤٥/١٠ .

(٥) شرح التصريح ٣٤٣/٢ .

مصـــادر البحث

١- أحيقار ، حكيم من الشرق الأدنى القديم، لأنيس فريحة - بيروت ١٩٦٢ م.

٢- الأزهية في علم الحروف، للهروي تحقيق عبد المعين الملوحي - دمشق ١٩٧١م.

٣- الاشتقاق، لابن دريد الأزدي - تحقيق عبد السلام هارون القاهرة ١٩٥٨م.

٤- إصلاح المنطق، لابن السكيت - تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون - القاهرة ١٩٥٦ م.

٥- إعـــراب الحديـــث النبوي، لأبي البقاء العكبري - تحقيق عبد الإله نبهان . دمشق ١٩٧٧م.

٦- ألقاب الشعراء، لمحمد بن حبيب - تحقيق عبد السلام هارون في نوادر المخطوطات (المجموعة الثانية) القاهرة ١٩٥٥ م .

٧- الأمالي، لابن الشجري - حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٤٩هـــ .

٨- الإنصـــاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، لأبي البركات بن الأنباري - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - القاهرة ١٩٥٣م.

٩- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزابادي - تحقيق الشيخ محمد علي النجار - القاهرة ١٣٨٣ وما بعدها .

١٠- الـــبلغة في الفـــرق بين المذكر والمؤنث لابن الأنباري - تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب من مطبوعات مركز تحقيق التراث بالقاهرة ١٩٧٠م .

١١- البـــيان والتبـــيين، لـــلجاحظ - تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة ١٩٤٨ - ١٩٥٠م.

١٢- تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - القاهرة ١٩٦٧ م .

١٣- تهذيـــب اللغـــة، لأبي منصور الأزهري - تحقيق عبد السلام هارون وآخرين - القاهرة ١٩٦٤ - ١٩٦٧م.

١٤- توضـيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، للمرادي - نشر عبد الرحمن علي سليمان - القاهرة ١٩٧٧م .

١٥- الجـنى الداني في حروف المعاني، للمرادي - تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل - حلب ١٩٧٣م .

١٦- خزانة الأدب ولب لباب العرب - لعبد القادر البغدادي - بولاق ١٢٩٩هـ .

١٧- الخصائص لابن جني - تحقيق محمد علي النجار القاهرة ١٩٥٢ - ١٩٥٦ م.

١٨- درة الغـواص في أوهام الخواص للحريري - مطبعة الجوائب باستانبول ١٢٩٩ هـ.

١٩- الـدرر اللوامع على همع الهوامع، لأحمد بن الأمين الشنقيطي - القاهرة ١٣٢٨ هـ.

٢٠- ديوان أمية بن أبي الصلت - تحقيق شوالتهس - ليبزج ١٩١١م.

٢١- ديـوان حـاتم الطائي - تحقيق الدكتور عادل سليمان جمال - نشر مكتبة وهبة بالقاهرة (بلا تاريخ) .

٢٢- ديوان رؤبة بن العجاج - تحقيق أهلورت - ليزج ١٩٠٣ م.

٢٣- ديـوان زيـد الخيل الطائي - تحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي - النجف ١٩٦٨م.

٢٤- ديـوان عبـيد اللـه بن قيس الرقيات - تحقيق الدكتور يوسف نجم - بيروت ١٩٥٨م.

٢٥- ديوان عروة بن الورد، بشرح ابن السكيت - تحقيق عبد المعين الملوحي - دمشق ١٩٠٦م.

٢٦- ديوان الفرزدق - نشر عبد الله إسماعيل الصادي - القاهرة ١٩٣٦م.

٢٧- ديوان المتنبي - وضع عبد الرحمن البرقوقي - القاهرة ١٩٣٨ م .

٢٨- ديوان مجنون ليلى - تحقيق عبد الستار فراج - القاهرة (بلا تاريخ).

٢٩- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك - مطبعة عيسى الحلبي (بلا تاريخ).

٣٠- شــرح التســهيل، لابــن مالك - تحقيق الدكتور عبد الرحمن السيد (القاهرة ١٩٧٤م)

٣١- شرح التصريح، للشيخ خالد الأزهري - القاهرة ١٣٢٥ هـ.

٣٢- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - القاهرة ١٩٥٧ م.

٣٣- شــرح حماســة أبي تمام، للمرزوقي - تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون - القاهرة ١٩٥١ - ١٩٥٣ م .

٣٤- شرح درة الغواص، للشهاب الخفاجي - مطبعة الجوائب باستانبول١٢٩٩هـ.

٣٥- شــرح ديــوان أبي تمام، للتبريزي - تحقيق محمد عبده عزام - القاهرة ١٩٥١ وما بعدها .

٣٦- شــرح الرضــي الأستراباذي على الكافية في النحو لابن الحاجب - استانبول ١٣١٠هـ .

٣٧- شــرح شواهد الشافية لعبد القادر البغدادي - تحقيق محمد الزفزاف وآخرين - القاهرة ١٣٥٦ هـ .

٣٨- شرح شواهد المغني، للسيوطي - القاهرة ١٣٢٢هـ .

٣٩- شرح ابن يعيش للمفصل - القاهرة (بلا تاريخ) .

٤٠- شعراء النصرانية قبل الإسلام - جمع لويس شيخو - بيروت ١٨٩٠م.

٤١- الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري - تحقيق أحمد شاكر - القاهرة ١٩٦٦م.

٤٢- العــيني - شرح الشواهد الكبرى، للعيني - على هامش خزانة الأدب للبغدادي- بولاق ١٢٩٩هـ .

٤٣- الفائق في غريب الحديث، للزمخشري - القاهرة ١٩٤٥ - ١٩٤٨م.

٤٤- فصول في فقه العربية، للدكتور رمضان عبد التواب - القاهرة ١٩٧٣م.

٤٥- فقه اللغات السامية، لبروكلمان - ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب - الرياض ١٩٧٧م.

٤٦- القاموس المحيط، للفيروزابادي - القاهرة ١٩١٣ م.

٤٧- الكامل في اللغة والأدب للمبرد - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة ١٩٥٦م.

٤٨- الكتاب، لسيبويه - وعلى هامشه شرح الشواهد للشنتمري - بولاق ١٣١٦-١٣١٧هـ.

٤٩- لسان العرب لابن منظور الإفريقي - بولاق ١٣٠٠ -١٣٠٧ هـ.

٥٠- مجمع الأمثال للميداني - القاهرة ١٣١٠ هـ .

٥١- المحتسب لابن جني - تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين - القاهرة ١٣٨٦هـ.

٥٢- المخصص في اللغة لابن سيده الأندلسي - بولاق ١٣١٦-١٣٢١ هـ.

٥٣- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين - القاهرة ١٩٥٨م.

٥٤- معاني القرآن للفراء - تحقيق محمد علي النجار - القاهرة ١٩٥٥ - ١٩٧٢م.

٥٥- معجم الشعراء للمرزباني - تحقيق عبد الستار فراج - القاهرة ١٩٦٠م.

٥٦- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام المصري - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - القاهرة (بلا تاريخ).

٥٧- المقرب لابن عصفور - تحقيق أحمد عبد الستار الجواري، وعبد الله الجبوري بغداد ١٩٧١-١٩٧٢م.

٥٨- الممتع في التصريف لابن عصفور - تحقيق فخر الدين قباوة - حلب ١٩٧٠م.

٥٩- النقائض = نقائض جرير والفرزدق - تحقيق بيفان - ليدن ١٩٠٥ - ١٩٠٧م.

٦٠- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير - تحقيق محمود الطناحي - القاهرة ١٩٦٣ - ١٩٦٥م.

٦١- النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري - نشر سعيد الشرتوني - بيروت ١٨٩٤م.

٦٢- النوادر ، لأبي مسحل الأعرابي - تحقيق الدكتور عزة حسن - دمشق ١٩٦١م.

٦٣- همع الهوامع شرح جمع الجوامع، للسيوطي - القاهرة ١٣٢٧ هـ.

٦٤- W. Gesenius, Hebräische Grammatik, leipzig ١٩٠٩ .

٦٥- Praetorius, Aethiopische Grammatik, New york ١٩٠٠.

* * *

ظواهر لغوية من لهجة طيِّئ القديمة(*)

للدكتور رمضان عبد التواب

خبير بلجنة اللهجات

أولاً: كراهة توالي الأمثال:

من المعروف في العربية الفصحى أن مضعف الثلاثي من الأفعال الماضية، يفك تضعيفه عند إسناده إلى ضمير الرفع المتحرك ، فيقال في مثل :" ظَلَّ " و " أَحَسَّ " : " ظَلِلْت " و " أَحْسَسْت " .

وقد جاء عن قبيلة طيئ أنها كانت تحذف الحرف الأول من المتماثلين هنا، فرارًا من كراهة توالي الأمثال، فتقول في المثالين السابقين مثلاً: "ظَلْت" و"أَحَسْت"(١)، وجاءت هذه الظاهرة في أشعار الطائيين بكثرة كما في قول الطرماح بن حكيم الطائي:

آذَنَ الناوِي بِبَيْنُونة　　　ظَلْتَ منها كصريع المُدَام (٢)

فقد جاء في شرح الديوان: " أراد: ظَلِلْت، وهي لغة طيئ "(٣).

ومثله قول الطرماح كذلك:

فتلك نبيُّ الحنظليِّين أصبحت　　　مضمَّخةً في خِدرها قد تَظَلَّت(٤)

يريد : تَظَلَّلَت .

ومثل ذلك أيضًا قول حديث بن عناب الطائي :

عوى ثم نادى هل أَحَسْتُم قلائصًا　　　وُسِمْنَ على الأفخاذ بالأمس أربعا(٥)

يريد: أَحْسَسْتم .

(*) عُرض على مؤتمر الدورة الخمسين، ودارت حوله مناقشات مهمة، تمت الموافقة خلالها على القرارات كما عُرضت من اللجنة (انظر محاضر وبحوث مؤتمر الدورة الخمسين، الجلسة الخامسة، ٢٨ من فبراير سنة ١٩٨٤).

(١) يسمي ابن يعيش ذلك "ضربًا من الإعلال للتخفيف كراهة اجتماع المتجانسين" (انظر شرح المفصل ١٠/١٥٣).

(٢) ديوان الطرماح ق ٢٢/٢٧ ص ٤٠٠ .

(٣) ديوان الطرماح ص ٤٠١ .

(٤) ديوان الطرماح ق ٤٤/٤ ص ٦٢، والشاعر هنا يتحدث عن سجاح بنت الحارث، التي ادعت النبوة بعد وفاة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

(٥) مجالس ثعلب ٥٣٧/٢، وخزانة الأدب ٥٨٣/٤، وشرح شواهد المغني ١٩٠.

ومثله قول أبي زبيد الطائي :

خلا أن العتاق من المطايا   أَحَسْنَ به فهن إليه شُوس[١]

وبهـذه اللغـة جاء القرآن الكريم في مثل قوله تعالى : ﴿ وانظر إلى إلهك الذي ظَلْت عليه عاكفًا ﴾ [٢] وقوله عز وجل: ﴿ فَظَلْتم تفكهون ﴾ [٣] .

وقـد أجـاز اللغويون في مثل هذا النوع من الأفعال ، عند إسنادها إلى ضمير الرفع المتحرك، ألا يحذف منها شيء، فيقال: " ظَلِلْت " مثلاً، وأن تحذف العين بلا نقل لحركـتها، فـيقال : " ظَلْـت " ، أو أن تحذف مع نقل حركتها على الفاء، فيقال: " ظِلْـت " قـال الفراء :" إنما جاز الفتح والكسر (في: ظَلْت وظِلْت) لأن معناهما: ظَلِلَـت، فحذفت اللام الأولى، فمن كسر الظاء جعل كسرة اللام الساقطة في الظاء ، ومـن فـتح الظـاء قال: كانت مفتوحة فتركتها على فتحها. ومثله: مَسِسْت، تقول العـرب: قد مَسْت ذلك ومِسْته، وهَمَمْت بذلك وهَمْت .. وهل أحْسَسْت صاحبك وهل أَحَسْت ؟ [٤] .

ويقـول الأزهري:" وقد تقول العرب: ما أَحَسْت منهم أحدًا، فيحذفون السين الأولى. وكذلـك في قوـله: وانظـر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفًا. وقال: فظلتم تفكهـون. وقرئ: فظِلْتم، ألقيت اللام المتحركة، وكانت: فظَلِلْتم. وقال لي المنذري: سمعت أبا العباس يقول: حَسْت وحَسَسْت، ووَدْت ووَدِدْت، وهَمَمْت وهَمْت "[٥] .

(١) البيت في الاقتضاب ٢٩٩ ، وأمالي ابن الشجري ٩٧/١ ، وهو غير منسوب في الخصائص ٤٣٨/٢، وشرح ابن يعيش ١٥٤/١٠ ، ومجاز القرآن ٢٨/٢، ١٣٧/٢، والمقتضب ٢٤٥/١، ويروى: " حَسِينَ به " في ديوانه ق ٩/٣٣ ص ٩٦ ، وأمالي القالي ١٧٨/١ ، والزاهر لابن الأنباري ٣٣٢/١ ، وتهذيب اللغة ٤٠٨/٣ ، والصحاح (حسس) ٢/ ٩١٤ ، وشمس العلوم ١٨/١ ، ومجالس ثعلب ٤١٨/٢ ، والجمل للزجاجي ٣٨١ .

(٢) سورة طه ٩٧/٢٠ .

(٣) سورة الواقعة ٦٥/٥٦ .

(٤) معاني القرآن ١٩٠/٢ - ١٩١ .

(٥) تهذيب اللغة ٤٠٨/٣، وانظر : معاني القرآن للفراء ٢١٧/١ .

وقـــال ابن الشجري، وهو يتحدث عن الحذف لكراهة اجتماع المثلين:" ونظير هـــذا الحذف في الكلمة الواحدة قولهم في: ظَلِلْت وَمسِسْت: ظِلْت ومِسْت ومنهم من يسقط حركة ما قبل المحذوف، ويلقي حركة المحذوف عليه فيقول: ظِلْت ومِسْت... فإن كـــان مـــا قـــبل المحذوف ساكنًا لم يكن بد من إلقاء حركته على الساكن لئلا يلتقي ساكنان، وذلك قولهم في أَحْسَسْت : أَحَسْت " [١] .

ويعد كثير من العلماء الحذف مع نقل الحركة من شواذ التخفيف، قال سيبويه في باب ما شذ من المضاعف فشبه بباب أقمت وليس بمتلئب:" وذلك قولهم: أَحَسْت، يـــريدون أَحْسَنْـــت، وأَحَسْن، يريدون: أَحْسَسْن... مثل ذلك قولهم: ظِلْت ومِسْت، حذفوا وألقوا الحركة على الفاء، كما قالوا: خفت. وليس هذا النحو إلا شاذًا، والأصل في هذا عربي كثير، وذلك قولك: أَحْسَسْت ومَسِسْت وظَلِلْت " [٢] .

كمـــا قـــال الزجاجي:" ومن الشاذ قولهم في أَحْسَسْت بالشيء: أَحَسْت، وفي مَسِسْت: مِسْت، وفي ظَلِلْت: ظِلت " [٣] .

ووصـــفه المبرد بأنه " ليس بجيد ولا حسن" [٤]. كما قال عنه الجوهري:" وهو من شواذ التخفيف" [٥] . ووصفه نشوان الحميري بأنه: " شاذ قليل " [٦].

ثانيًا: القُطعة:

القُطعة [٧] عبارة عن قطع اللفظ قبـــل تمامه. قـــال الخليل بن أحمد الفراهيدي:

---

(١) أمالي ابن الشجري ٩٧/١.

(٢) كتاب سيبويه ٤٠٠/٢.

(٣) انظر : المجمل ٣٨٠ .

(٤) المقتضب ٢٤٥/١ .

(٥) الصحاح (حسس) ٩١٥/٢ .

(٦) شمس العلوم ١٨/١ .

(٧)ضم القاف في هذه الكلمة هو الصواب.وقد نص عليه في القاموس المحيط (قطع) ٧١/٣ ، وهو كذلك في نشرة الدكـــتور عبد الله درويش لكتاب العين ١٥٦/١ أما نشرة الدكتورين إبراهيم السامرائي ومهدي المخزومي فقد ضبطت الكلمة فيها ١٣٧/١ بكسر القاف، وهو خطأ.

"والقُطعة في طيئ كالعنعنة في تميم، وهي أن يقول: يــا أبا الحكا [١]، وهو يريد يا أبا الحكم، فيقطع كلامه عن إبانة بقية الكلمة "[٢].

والقطعة على هذا نوع من ترخيم اللفظ، كما نقول نحن الآن في مصر:"ياوَلَ" في: "يــا ولد"، و" سلخي" في:" مساء الخير". ويقول حفني ناصف: "إنها لغة كثير من الــبلاد المصرية الآن، كالمحلة الكبرى وما حولها، وجزيرة بني نصر، وأبيار، وكثير من قــرى مديــريتي البحيرة وبني سويف، يقولون: النهار طلا أي طَلَع، والنور ظها، أي ظهــر، وخمــدت النا، أي النار ، وهلم جرا " (٣). ومما ينبزبه في بني سويف قولهم: " العي والبي والبلا لحمر"، والمراد: العيش والبيض والبلح الأحمر !

ثالثًا: كسر همزة (إخال) :

المعروف أن العربية الفصحى تفتح حرف المضارعة في الثلاثي، أما قبيلة (بهراء) فإنهــا كانــت تكســره. وقد عرفت هذه الظاهرة عند كثير من اللغويين باسم "تلتلة بهــراء ". غــير أن صاحب لسان العرب قد عزاها إلى كثير من القبائل العربية، فقال: " وتِعْلَــم بالكسر لغة قيس وتميم وأسد وربيعة وعامة العرب. وأما أهل الحجاز وقوم مــن أعجاز هوازن وأزد السراة وبعض هذيل، فيقولون: تَعْلم، والقرآن عليها. وزعم الأخفش أن كل من ورد علينا من الأعراب لم يقل إلا تِعْلم، بالكسر" [٤] .

وقــد وضــح ذلــك الرضي، فقال :" واعلم أن جميع العرب إلا أهل الحجاز يُجــوِّزون كسر حرف المضارعة سوى الياء في الثلاثي المبني للفاعل، إذا كان الماضي عــلى فَعِــل بكسر العين، فيقولون: أنا إعْلَم، ونحن نِعْلَم، وأنت تِعْلَم. وكذا في المثال

---

(١) في نشرة الدكتور عبد الله دوريش للعين ١٥٦/١ :" الحكأ " بالهمزة ، وهو تحريف.

(٢) انظــر : العين ١٥٦/١، وهو بالنص في تهذيب اللغة ١٩٦/١ ، والقاموس المحيط (قطع) ٧١/٣ ولسان العرب قطع) ١٥٩/١٠، وشفاء الغليل ١٥٩ .

(٣) انظر : مجالس ثعلب ٨١/١ ، وعنه في الخصائص ١١/٢ ، وسر صناعة الإعراب ٢٣٥/١ ، ودرة الغواص ١١٤، وخزانة الأدب ٥٩٦/٢ ، ومميزات لغات العرب ٢١ .

(٤) لسان العرب (وقى) ٢٨٣/٢٠ .

والأجوف والناقص والمضاعف، نحو: إيجل، وإخال، وإشقى، وإعض" [١].

وظاهـــرة كســـر حـــرف المضارعة ظاهرة سامية قديمة، توجد في العبرية [٢]، والســـريانية [٣]، والحبشية[٤]، وقد اشتهرت عن قبيلة طيئ في مضارع الفعل: "خال" عـــند إسناده للمتكلم وهو: " إخال " وقد ورد كذلك في شعر رجل من جرم الطائية، وهو قوله:

إخالُكَ مُوعدِي ببني جُفَيف   وهالةَ إنني أنهاكِ هالاَ [٥]

ويـــبدو أن العربـــية الفصـــحى قد تأثرت باللغة الطائية في كسر همزة الفعل: " إخال"، فاستخدمه الشعراء كثيرًا بهذه الصورة، مثل قول أبي ذؤيب :

فَغَبَرْتُ بعدهمُ بعيشٍ ناصبٍ   وإخالُ أني لاحقٌ مستتبعُ [٦]

وقول العباس بن مرداس السُّلمي :

قد كان قومك يحسبونك سيِّدًا   وإخالُ أنك سيِّدٌ مَعْيونُ [٧]

وقول زهير بن أبي سُلمى :

وما أدري وسوف إخال أدري   أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أم نساءُ [٨]

وقول كعب بن زهير :

أرجو وآملُ أن تدنو مودَّتها   وما إخال لدينا منكِ تنويل[٩]

ولذلك وجدنا المرزوقي يقول بعد أن ساق البيت الطائي السابق:" يقال: خِلت

(١) شرح الشافية ١/١٤١ .

(٢) انظر . Gesenius, Hebraische Grammatik , S, ١٣٣

(٣) انظر : . Brockelmann, Syrische Grammatik , S , ٨٥

(٤) انظر : . praetorius, Aethiopische Grammatik , S, ٤٨

(٥) الحماسة بشرح المرزوقي ١/٢٤٨ .

(٦) ديوان الهذليين ١/٨ ، والمنصف لابن جني ١/٣٢٢ .

(٧) ديوانه ق ٢/٣٨ ص ١٠٨ ، ولسان العرب (عين) ١٧/١٨٦ .

(٨) ديوانه ٧٣ ، ولسان العرب (قوم) ١٥/٤٠٨ .

(٩) ديوانه ص ٩ .

أخال وإخال طائية، فكثر استعمالها في ألسنة غيرها، حتى صار (أخال) كالمرفوض"[(١)] .

كما يقول الرضي:" والكسرة في همزة إخال وحده أكثر وأفصح من الفتح" [(٢)].

رابعًا: الطمطانية :

الطمطمانـــية ظاهرة تنسب في كثير من المصادر إلى قبيلة طيئ [(٣)]، وعزتها بعض هذه المصادر كذلك إلى الأزد أو إلى حمير .

وهـــي عبارة عن إبدال لام التعريف ميمًا، فيقال مثلا: " طاب امهواء ، وصفا امْجَوُّ " أي طاب الهواء وصفا الجو [(٤)].

ومن شواهده لدى طيئ قول بُجير بن عَنَمة الطائي :

ذاك خليلي وذُو يعاتبني   يرمي ورائي بامْسَهْم وامْسَلِمَة [(٥)]

أي: بالسهم والسلمة .

وقول أحد الطائيين:

أإنْ شِمْتَ من نجدٍ بُرَيْقًا تألقَا   تبيتُ بليلِ أم أرمدِ اعتاد أوْلَقَا [(٦)]

أي: بليل الأرمد .

---

(١) شرح المرزوقي للحماسة ٢٤٨/١ .

(٢) شـــرح الشافية ١٤١/١ ، وانظر كذلك : خزانة الأدب ١١/٤ ، ومادة (خيل) من لسان العرب ٢٤٠/١٣ ، والمصباح المنير ٩٥/١ ، وشرح التصريح للشيخ خالد ٢٥٨/١ .

(٣) انظـــر : الجـــنى الداني ٢٠٧ ، وشرح التصريح ٣٦٥/٢ ، وشرح الأشموني على الألفية ٣٧/١، ٩٦/١ ، وهمع الهوامع ٧٩/١ ، ومغني اللبيب ٤٨/١ ، وشرح درة الغواص ٢٣٤ ، وشرح الشافية ٢٠١٥/٣.

(٤) محاضرات الأدباء٦٣/١ ، والمزهر٢٢٣/١ ، وفقه اللغة للثعالبي ١٧٣ ، ومميزات لغات العرب ١٢ ، وقد أهملت بعض المصادر في تعريف الطمطمانية، كالمبرد الذي قال (الكامل٢٢١/١):" والطمطمة : أن يكون الكلام مشبهًا لكـــلام العجـــم" . ونقله عنه في العقد الفريد٤٧٦/٢ ، وخزانة الأدب٥٩٦/٤ كما قال المبرد (الكامل٢٢٥/٢) مرة أخرى:" وأما الطمطمانية ففيها يقول عنترة :

تبري له حُولُ النعام كأنها   حِزَقٌ يمانية لأعْجَمَ طِمْطِمِ .

وانظر كذلك : العقد الفريد٤٧٧/٢ ، والنهاية لابن الأثير ١٣٩/٣ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٤٩/٩ .

(٥) لسان العرب (ذو وذات) ٣٤٧/٢٠، ومغني اللبيب ٤٨/١ ، والصاهل والشاحج ٤٨٥ .

(٦) شرح العيني لشواهد الأشموني ٩٦/١، وانظر : همع الهوامع ٢٤/١ ، والدرر اللوامع ٧/١ .

وقـــد جـــاء في الأثر فيما رواه النمر بن تولب أنه ﷺ، قد نطق بهذه اللغة في قوله: " ليس من أمبر أمصيامُ في أمْسفَر" ، يريد : ليس من البر الصيام في السفر [١].

وقـــد سمـــع (ابن دريد) هذه اللهجة في عصره باليمن (وهو الموطن الأصلي لطيئ) فقال: " وسمعت رجلاً يقول: أم شيخ أم كبَّارُ ضرب رأسه بالعصو"[٢] يعني : الشـــيخ الكُـــبَّار ضرب رأسه بالعصا. كما سمعها الهمداني في أماكن مختلفة من الجزيرة العربية [٣].

والتفسير الصوتي لهذه الظاهرة، هو أن اللام والميم من فصيلة واحدة، هي فصيلة الأصوات المتوسطة أو المائعةlequida وهي مجموعة " اللام والميم والنون والراء" . وهذه الأصوات يبدل بعضها من بعض كثيرًا في اللغات السامية .

ولا تـــزال هذه الظاهرة شائعة في العصر الحاضر في بعض جهات اليمن، كما أن مـــنها كـــلمة في اللهجة المصرية، وهي كلمة: " البارحة" التي ينطقها أهل مصر: "امبارح".

خامسًا: تسكين ضمير الغائبة المتصل وفتح ما قبله :

المعـــروف في العربية الفصحى أن ضمير الغائبة المتصل بالاسم والفعل والحرف عبارة عن هاء مفتوحة ممدودة، مثل :" كتابها" و" رأيتها" و" لها " .

أمـــا أهل طيئ فإنهم يسكنون هذا الضمير ويفتحون ما قبله. ومنه قول عامر بن جوين الطائي :

فلم أر مثلها خباسة واحد   ونهنهت نفسي بعدما كدت أفعَلَهْ [٤]

---

(١) انظـــر : درة الغواص ١١٤ ، ومغني اللبيب ٤٨/١ ، والصاهل والشاحج ٤٨٥ ، والجنى الداني ٢٠٧ ، وشرح الأشموني ٣٧/١ .

(٢) جمهرة اللغة ٢٧٤/١ .

(٣) صفة جزيرة العرب للهمداني ١٣٤ - ١٣٥ .

(٤) البيت في سيبويه والشنتمري ١٥٥/١ ، وما يجوز للشاعر في الضرورة ٢٨٥ ، مع مصادر أخرى في هامشه.

وقـــال (ابـــن دريد) في التعليق على هذا البيت: " هكذا لغة طيئ، يقولون: كدت أضربَهْ، إذا عنوا المؤنث، إذا أرادوا أن يقولوا: كدت أضربُهَا. أراد: أفعَلُهَا" [١].

ويـــبدو أن ذلـــك كـــان خاصًّا بحالة الوقف عند طيئ، بدليل أن هذا الشاعر الطائي لم يجر هذه الظاهرة في كلمة :" مثلها " في حشو البيت .

ومثل ذلك أيضًا قول الشاعر :

فإني قد رأيت بدار قومي   نوائب كنت في لخم أخافَهْ [٢]

وقد جاء على هذه اللغة أيضًا ما رواه الفراء في كتابه" لغات القرآن" من أنه سمع أعرابيًّا من طيئ يسأل ويقول: بالفضل ذو فضلكم الله بِهِ، وبالكرامة ذات أكرمكم الله بَهْ "[٣]، أي : بهَا .

ومثله أيضًا قول رجل لآخر: " وأنت إن لم تلقَمَهْ"، يريد: تلقمها [٤].

وهـــذه الظاهـــرة تذكّـــرنا بما يوجد في اللغة السريانية، من بناء الضمير على الســـكون وفـــتح مـــا قبله فتحة طويلة، إذ يقال فيها مثلاً: صفُره (sefrāh) بمعنى: "كتبها "[٥].

ولا تزال هذه اللغة باقية حتى الآن في نواحي نجد وحائل في الجزيرة العربية، إذ يقول الناس هناك مثلاً: " الكتاب حِنَّا جيناك بُهْ " بضم الباء في حال التذكير .

ويقولـــون: " الكُتُب حِنّا جيناك بَهْ " بحذف ألف ضمير المؤنثة الغائبة، وإسكان الهاء وفتح الباء قبلها[٦]

---

(١) جمهرة اللغة ٢٣٤/١ .

(٢) الإنصاف ٣٣١/٢ ،وعجزه في شرح الأشموني ٢١١/٤ .

(٣) انظر : شرح التصريح ١٣٨/١ ، والأزهية ٣٠٣، وأمالي ابن الشجري ٣٠٥/٢ ، ولسان العرب (الألف اللينة) ٤٨/٢٠، وتهذيب اللغة ٤٤/١٥، وشرح التسهيل لابن مالك ٢١٨/١، والمقرب ٥٩/١، وشرح الأشموني٢٠٦/٤.

(٤) انظر : الإنصاف ٣٣١/٢ .

(٥) انظر : Brockelmann,Syrische Grammatik , S, ٤٩ .

(٦) انظر : لغات طيئ ٢٨٧ .

سادسًا: مَفْعَل من المثال الواوي للمصدر والزمان والمكان :

من المعروف في العربية الفصحى أن صيغ المصدر الميمي واسمي الزمان والمكان، تكون على وزن (مَفْعَل) بفتح العين، مثل "مَقْتَل" بمعنى: القتل، وزمان القتل ومكانه .

ويستثنى من هذه القاعدة العامة أمران:

١- الفعـــل الصحيح الآخر والمكسور العين في المضارع، فإن المصدر الميمي منه كالعـــادة على (مَفْعَل) بفتح العين. أما اسما الزمان والمكان منه، فيأتيان على (مَفْعِل) بكســـر العين، فالمصدر الميمي من" يضرِب" مثلاً هو " مَضْرَب" على العكس من اسمي الزمان والمكان، فهما من مثل هذا الفعل :" مَضْرِب " بكسر العين .

٢- المـــثال الواوي الصحيح الآخر، فإن صيغ المصدر الميمي واسمي الزمان والمكان فـــيه تكون على (مَفْعِل) بكسر العين، مثل: " مَوْعِد " بمعنى: الوعد، وزمان الوعد، ومكانه .

وقـــد خرجـــت طيئ على هذا الأمر الثاني، فلم تستثن المثال الواوي الصحيح الآخـــر من القاعدة العامة، فهو عندهم جارٍ على الأصل ، أي أن صيغ المصدر الميمي واسمـــي الـــزمان والمكان منه تكون على (مَفْعَل) بفتح العين، فيقولون لجميع ذلك: " مَوْعَد" مثلاً .

يقـــول ابن القوطية :" وما كان من الأفعال فاء فعله واوًا، فالمصدر منه والاسم عـــلى وزن (مَفْعِـــل)، ألزموا العين الكسرة في مَفْعِل، إذ كانت لا تفارقها في يَفْعِل .. وطيئ تقول في هذه البنية كلها بالفتح. ولطيئ توسّع في اللغات "[1].

ويمكن أن يفسر اتجاه الطائيين إلى فتح عين الكلمة، بالمماثلة الصوتية أو التوافق الحركي بين حركة الميم وحركة عين الكلمة. والله أعلم ،

* * *

(١) الأفعال لابن القوطية ٥، وانظر : الأفعال لابن القطاع ١٤/١ - ١٥ ، والمزهر للسيوطي ٩٨/٢ .

مصادر البحث

١- الأزهية في علم الحروف، للهروي - تحقيق عبد المعين الملوحي - دمشق ١٩٧١م.
٢- الأفعال، لابن القطاع - حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٥٩ هـ .
٣- الأفعال، لابن القوطية - تحقيق جويدى - ليدن ١٨٩٤ م .
٤- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، للبطليوسي - نشر عبد الله البستاني - بيروت ١٩٠١ م.
٥- الأمالي، لابن الشجري - حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٤٩ هـ .
٦- الأمالي، لابن علي القالي - بولاق ١٣٢٤ هـ .
٧- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، لأبي البركات بن الأنباري - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - القاهرة ١٩٥٣م.
٨- تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري - تحقيق عبد السلام هارون وآخرين - القاهرة ١٩٦٤ - ١٩٦٧ م .
٩- الجمل، للزجاجي - نشر العلامة ابن أبي شنب - باريس ١٩٥٧ م .
١٠- جمهرة اللغة، لابن دريد الأزدي - تحقيق كرنكو - حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٤٤ - ١٣٥١ هـ .
١١- الجنى الداني في حروف المعاني، للمرادي - تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل - حلب ١٩٧٣م .
١٢- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر البغدادي - بولاق ١٢٩٩هـ.
١٣- الخصائص، لابن جني - تحقيق محمد علي النجار - القاهرة ١٩٥٢ - ١٩٥٦م.
١٤- درة الغواص في أوهام الخواص، للحريري - مطبعة الجوائب باستانبول ١٢٩٩هـ .

١٥- الدرر اللوامع على همع الهوامع، للشنقيطي - القاهرة ١٣٢٨ هـ .

١٦- ديوان أبي زبيد الطائي - جمعه وحققه الدكتور نوري حموري القيسي - بغداد ١٩٦٧ م .

١٧- ديوان زهير بن أبي سلمى، بشرح ثعلب - القاهرة ١٩٤٤م.

١٨- ديوان الطرماح - تحقيق الدكتور عزة حسن - دمشق ١٩٦٨ م.

١٩- ديوان العباس بن مرداس السلمي- تحقيق الدكتور يحيى الجبوري - بغداد ١٩٦٨م .

٢٠- ديوان كعب بن زهير = شرح ديوان كعب بن زهير، للسكري - القاهرة ١٩٥٠م.

٢١- ديوان الهذليين = شرح ديوان الهذليين، للسكري - تحقيق عبد الستار فراج - القاهرة ١٩٦٥م.

٢٢- الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر بن الأنباري- تحقيق الدكتور حاتم الضامن - بيروت ١٩٧٩ م .

٢٣- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك - مطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة (بلا تاريخ) .

٢٤- شرح التسهيل، لابن مالك - تحقيق الدكتور عبد الرحمن السيد - القاهرة ١٩٧٤ م.

٢٥- شرح التصريح، للشيخ خالد الأزهري على التوضيح لألفية ابن مالك في النحو، لابن هشام المصري - القاهرة ١٣٢٥ هـ .

٢٦- شرح حماسة أبي تمام ، للمرزوقي - تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون- القاهرة ١٣٥١ - ١٣٥٣هـ .

٢٧- شرح درة الغواص في أوهام الخواص، للشهاب الخفاجي - استانبول ١٢٩٩هـ.

٢٨- شـــرح الشافية، للأستراباذي - تحقيق محمد الزفزاف وآخرين - القاهرة ١٣٥٦ هـــ.

٢٩- شـــرح شواهد الكتاب، للأعلم الشنتمري - على هامش كتاب سيبويه - بولاق ١٣١٦هـــ .

٣٠- شـــرح شـــواهد المغني، لجلال الدين السيوطي - بتصحيح الشنقيطي - القاهرة ١٣٢٢ هـــ .

٣١- شرح ابن يعيش لمفصل الزمخشري - المطبعة المنيرية بالقاهرة (بلا تاريخ).

٣٢- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، لشهاب الدين الخفاجي - القاهرة ١٣٢٥ هـــ .

٣٣- شمـــس العلوم ودواء كلام العرب من العلوم، لنشوان الحميري - مطبعة عيسى البابي الحلبي (بلا تاريخ) .

٣٤- الصاهل والشاحج، لأبي العلاء المعرى - تحقيق الدكتورة بنت الشاطئ- القاهرة ١٩٧٥م .

٣٥- الصحاح للجوهري = تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر الجوهري - تحقيق أحمد عبد الغفور عطار - القاهرة ١٩٥٦ م.

٣٦- صـــفة جزيـــرة العرب، للهمداني - تحقيق محمد عبد اللـــه بن بلهيد النجدي - القاهرة ١٩٥٣م .

٣٧- العقـــد الفـــريد، لابن عبد ربه - تحقيق أحمد أمين وآخرين - القاهرة ١٩٤٨ - ١٩٥٣م.

٣٨- العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي- تحقيق الدكتور عبد اللـــه درويش - بغداد ١٩٦٧م.

٣٩- العـــين، للخلـــيل بـــن أحمـــد الفراهيدي - تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي والدكتور مهدي المخزومي - بغداد ١٩٨٠ وما بعدها .

٤٠- فقه اللغة وسر العربية، للثعالبي - مطبعة الاستقامة بالقاهرة(بلا تاريخ).

٤١- القاموس المحيط، للفيروزابادي - القاهرة ١٩١٣م .

٤٢- الكامل في اللغة والأدب ، للمبرد - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاتة القاهرة ١٩٥٦م .

٤٣- الكتاب، لسيبويه - بولاق ١٣١٦ - ١٣١٧هـ .

٤٤- لسان العرب، لابن منظور الإفريقي - بولاق ١٣٠٠ - ١٣٠٧ هـ .

٤٥- لغات طيئ، لمحمد يعقوب تركستاني - رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى ١٤٠٢ هـ .

٤٦- ما يجوز للشاعر في الضرورة، للقزاز القيرواني - تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب والدكتور صلاح الدين الهادي - القاهرة ١٩٨٢م.

٤٧- مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى - تحقيق فؤاد سزكين - القاهرة ١٩٥٤-١٩٦٢م.

٤٨- مجالس ثعلب - تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة ١٩٦٠ م .

٤٩- محاضرات الأدباء، للراغب الأصفهاني - بيروت ١٩٦١م.

٥٠- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، لجلال الدين السيوطي - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين - القاهرة ١٩٥٨م .

٥١- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للفيومي - القاهرة ١٣١٠هـ .

٥٢- معاني القرآن، للفراء - تحقيق الشيخ محمد علي النجار - القاهرة ١٩٥٥ - ١٩٧٢م .

٥٣- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام المصري - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - القاهرة (بلا تاريخ) .

٥٤- المقتضب، لأبي العباس المبرد - تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة - القاهرة ١٩٦٣ - ١٩٦٨م.

٥٥- المقـــرب، لابن عصفور - تحقيق أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري - بغداد ١٩٧١ - ١٩٧٢م.

٥٦- مميزات لغات العرب، لحفني ناصف - القاهرة ١٩٥٧م.

٥٧- المنصـــف ، لابـــن جـــني ، بشرح التصريف للمازني - تحقيق إبراهيم مصطفي وعبد اللــــه أمين - القاهرة ١٩٥٤م.

٥٨- الـــنهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير - تحقيق محمود الطناحي - القاهرة ١٩٦٣ - ١٩٦٥م.

٥٩- همع الهوامع شرح جمع الجوامع، لجلال الدين السيوطي - القاهرة ١٣٠٧هـ

٦٠- c. Brockelmann, Syrische Grammatik, leipzig ١٩٥٥

٦١-W. Gesenius, Hebräische Grammatik, Volling umgearbeitet von E. Kautzsch, ٢٨ Auflage, leipzig ١٩٠٩ .

٦٢- F. Praetorius, Aethiopische Grammatik, New York ١٩٥٥.

* * *

قرار اللجنة بشأن

الخصائص اللغوية للهجة هذيل (*)

نســـب هذيـــل: هي هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار. وفي هذيل بطنان كبيران: سعد بن هذيل، ولحيان بن هذيل .

ديـــار هذيل: كانت ديار هذيل بالسروات بالحجاز بين خطي عرض ٢٠°،٢٥° شمـــالاً وهـــي مـــنطقة وعرة، وكانت حياة هذيل مقسمة بين الرعي والصيد والغزو والـــتجارة، وتـــراوح الـــناس الناس بين غني مترف وعبد مفلس، ولذا ظهرت فيهم الصعلكة، والصعاليك يغيرون على الأغنياء .

وقـــد كانت هذيل حلقة وسط بين قبائل الحجاز في الغرب وبين قبائل تميم في الشرق. وقد تفرقت هذيل على الممالك في الفتوح الإسلامية، و لم يبق لهم حي يطرق .

فصـــاحتها: وحسبك أن الشافعي لزم هذيلاً فتعلم لهجتها، كما أنها من القبائل الفصيحة، التي أخذت عنها اللغة .

خصائص لهجة هذيل

الأبنية

قلب ألف المقصور ياء عند إضافته إلى ياء المتكلم:

المشـــهور أنـــه إذا أضيف الاسم المقصور إلى ياء المتكلم تظل الألف على حالها فـــيقال: فتاي وعصاي وهواي. أما هذيل فكانت تقلب الألف ياء وتدغم الياء في الياء مثل: فتيّ وهويّ قال أبو ذؤيب الهذلي:

سبقوا هويَّ وأعنقوا لهواهمو　　　فتخرموا ولكل جنب مصرع

هـــذا ويرى نحاة العرب أن الألف هي الأصل القديم، وأن الياء تطورت عنها. ويـــبدو أن العكـــس هو الصحيح، لوجودها في كثير من الكلمات قبل أن تتطور الياء إلى الألف .

(*) ملحق محاضر جلسات الدورة السادسة والأربعين للمؤتمر، ص ١٥٢ .

ذلـــك أن بعـــض القبائل العربية كطيئ تقول: هذه أفعيْ بالياء، وأفعو بالواو، ونســـب ذلـــك أيضًـــا إلى فزارة وقيس، وهذا هو الطور الأول، ثم تطور إلى الألف، ومعـــنى هذا أن الفصحى تخلصت من صوت اللين المركب Diphtong، وهو au (أوْ) و ai (أيْ) إلى الفـــتح à . عـــلى أن الصفويين كانوا ينطقون بالأفعال مثل: بكَيْ وأتيْ ودَعيْ، بالياء ساكنة. وهذا قد يؤكد أصالة الياء في لهجة هذيل .

وقد حافظت بعض القراءات القرآنية على هذا الطور الأول:

١- قرأ أبو الطفيل وعيسى بن عمر وغيرهما: ﴿ فمن اتبع هُدَيَّ ﴾.

٢- وقرأ ابن أُبيّ وعيسى: ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومَحْيَيَّ ﴾.

٣- وقرأ أبو الطفيل والحسن وآخرون: ﴿ قال يا بُشْرَيَّ ﴾ .

وفيما يلي :

الخصـــائص اللغويـــة لـــلهجات هذيل للدكتور أحمد علم الدين الجندي - خبير لجنة اللهجات.

* * *

الخصائص اللغوية للهجة هذيل(*)

للدكتور أحمد علم الدين الجندي
خبير بلجنة اللهجات

(١) القبيلة وتاريخها:

تشير كتب الأنساب إلى أنها: هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار. وكانت ديارهم بالسروات، وسراتهم متصلة بجبل غزوان بالطائف، وكان لهم أماكن ومياه في أسفلها من جهات نجد وتهامة بين مكة والمدينة .

وهم بطنان: سعد بن هذيل، ولحيان بن هذيل.

والمنطقة التي سكنتها هذيل تشتمل على جبال كثيرة وعرة، طالما حمتهم ويسّرت لهم سبيل الهرب، كما أنها بقممها الشاهقة كانت محطًا لسكنى النحل واشتيار العسل، والقصص التي دارت حوله معروفة في الشعر الهذلي، كما وزعت هذيل بطونها وعشائرها على منطقة بالحجاز بين خطي عرض ٢٠° و ٢٥° شمالاً.

والحياة في قبيلة هذيل كانت مقسمة بين الرعي والصيد والغزو والتجارة، وكانت القبيلة تكيف نفسها، فإن كان رعيًا رعت وإن كان غزوًا غزت، يقول قائلهم:

قليل عزار النوم أكبر همه ‏ ‏ ‏ ‏ دم الثأر أو يلقى كميًّا مسفعا

وبرز في تاريخ الهذليين نظام الصعلكة والصعاليك؛ لأن البيئة شحيحة ضنت عليهم بالثراء، فأعلنها الفقراء الصعاليك حربًا ضروسًا على الأغنياء منهم. والصعلوك يسعى على رزق غيره من الفقراء أولاً، ثم على رزقه ثانيًا بالإغارة والسلب والنهب من الأغنياء المترفين، وأكبر ميزة للصعلوك أنه يشعر بالناس أكثر مما يشعر بنفسه، ومن أشهر صعاليكهم: عمرو ذو الكلب، وصخر الغي، والأعلم، وأبو خراش، يقول أحدهم:

(*) ملحق مؤتمر الدورة السادسة والأربعين، ص ١٥٤ .

أقسم جسمي في جسوم كثيرة وأحسو قراح الماء والماء بارد

فسياســة أفرادها تقوم على القوة، وأكثر الصعاليك فقدوا التوافق في الحياة مع الأثــرياء. وكذلــك كــان عالم الجغرافيا في المنطقة الهذلية: فعشائر من هذيل تسكن القرى، وبعضها يسكن قمم الجبال، وآخرون في الأغوار حول منابع ضحلة ينبت فيها الكــلأ، إلى صحراء قاحلة ملتهبة. وكذلك كان مجتمعهم في عالم الاقتصاد: فمن غني مــترف إلى عــبد مفلس . ومن هنا كان الصراع والشذوذ الداخلي عنيفًا، والخارجي أعــنف فكانــت أيامهم ووقائعهم: يوم خشاش، ووقعة الجُرف بين هذيل وسليم في موضــع قرب مكة، حتى جاء الإسلام وقال الرسول لهم: " يا هذيل لأوصينك بسليم ويــا ســليم لأوصينك بهذيل"وإذا كان الشذوذ عندهم في الجغرافيا والبيئة والاقتصاد كمــا سبق، فإنه كان كذلك في الأخلاق، وليس أدل على ذلك من أنهم سألوا رسول اللــه أن يحل لهم الزنا، ودليل هذا قول حسان:

سالت هذيل رسول الله فاحشة ضلّت هذيل بما سالت و لم تصب

(اللهجات العربية في التراث ٢٥٢ د.أحمد علم الدين الجندي)

فقــد فسر المبرد سؤال هذيل هذا بأن يحل لهم الزنا (الكامل للمبرد ٣٠٠/١) وإذا كان الأمر كذلك، فلا عجب أن تشذ لغتهم أيضًا عن مناطق الحجاز وهي منهم، والشــذوذ، كما يقولون، يجلب الشذوذ. قال المرزوقي في شرح الفصيح: "ذكر أهل اللغــة أنه ليس في الكلام كلمة أولها ياء مكسورة إلا يِسار لغة في اليَسار لليد اليسرى، وقولهــم: يِعاط بكسر الياء لفظة يحذر بها هذلية "(المزهر ١٠٣/٢) بل كانوا يتفردون بألفــاظ لا تعــرفها بقية العرب (المزهر ٢٥١/١) وبصيغ لا نجد لها مثيلاً في القبائل الأخــرى. وقــد اتســم شعر الصعاليك بالسرعة الفنية والقصر ليتواكب مع سرعة عدوهــم واندفــاعهم. وهذا الربط بين مجتمع هذيل ولغتها من المقاصد الرئيسية التي نســعى لها، ونرجو تحقيقها ، وليست اللغة إلا ظاهرة من ظواهر المجتمع: تولد، وتحيا، وتتطور، وتشذ، ثم تموت .

أمـــا أعلامها في الإسلام فحسبنا سيدنا عبد الله بن مسعود الصحابي المشهور، ومن نسله المسعودي، علي بن الحسين، المؤرخ المشهور .

وهذيـــل كانـــت حلقة وسطًا بين قبائل الحجاز في الغرب وبين قبائل تميم في الشرق، فهي من أكبر قبائل الحجاز اتصالاً بقبائل نجد .

وقـــد افترقـــت هذيـــل في الفتوح الإسلامية على المماليك، ولم يبق لهم حي يطـــرق، وكان بإفريقية منهم قبيلة بنواحي باجة، كما كانت منهم طائفة بطوخ الجبل من إخميم بالديار المصرية [1] ، يؤيد هذا قول أبي العيال الهذلي يصف قومه :

فاستقبلوا طرف الصعيد إقامة   طورًا وطورًا رحلة وتنقل

(ديوان الهذليين ٢/٢٥٥)

(ب) مكانتها في اللغة :

مما يؤكد فصاحة هذيل، أن الحسن قال يومًا لبعض جلسائه: توضيت. بتحويل الهمـــزة "يـــاء" فقيل له: أتلحن يا أبا سعيد؟ فقال: إنها لغة هذيل[2] .وقال ابن جني في الجئاوة: الجواءة والجياء والجياءة ثم قال : ترك الهمز لغة هذيل [3] .

روى مصـــعب بن عبد اللـــه الزبيري قال : كان أبي والشافعي يتناشدان فأتى الشـــافعي على شعر هذيل حفظًا، وقال : لا تعلم بهذا أحدًا من أهل الحديث، فإنهم لا يحتملون هذا . (الإمام الشافعي ٧٥ عبد الحليم الجندي)

وتتردد في القاموس كلمات (وهذه عن الإمام الشافعي) رضي الله عنه.

وحسبك أن كلام الشافعي (لغة يحتج بها).

وكـــان يختلف إليه الناس من غير طالبي اللغة، ولما سئلوا عن ذلك قالوا: نسمع لغة الشافعي.

---

(١) ســـيرة ابن هشام على هامش الروض الأنف ٢/١٦٨، صفة جزيرة العرب ١٧٣ للهمداني ، تاريخ ابن خلدون ٣١٩، معجم قبائل العرب ٣/١٢١٣ لكحالة، ديوان الهذليين، شعر الهذليين د . أحمد زكي .

(٢) تاريخ آداب العرب : الرافعي ١/٢٤٦ .

(٣) المخصص لابن سيده ٥ / ٥٤ .

يقـــول الأصمعي: صححت أشعار هذيل على فتى من قريش يقال له محمد بن إدريس الشافعي [١].

قـــال الشافعي: ثم إني خرجت من مكة فلزمت هذيلاً في البادية أتعلم كلامها وآخـــذ طـــبعها وكانت أفصح العرب، فبقيت فيهم سبع عشرة سنة أرحل برحيلهم وأنـــزل بنـــزولهم[٢]، ورُوي كذلك في معجم الأدباء أن محمودًا المصري قال: سمعت ابـــن هشام يقول: جالست الشافعي زمانًا فما سمعته تكلم بكلمة إلا اعتبرها المعتبر لا يجـــد كلمة في العربية أحسن منها. قال: وسمعت ابن هشام يقول: الشافعي كلامه لغة يحتج بها [٣].

(ج) الأبنية :

ســـوف نسجل بعض الظواهر اللهجية من خصائص لهجة هذيل في مستويات مخـــتلفة كالأصـــوات والأبنـــية والتراكيب والدلالات، حتى نتعرف على علاقة هذه الظواهر اللهجية بالفصحى النموذجية والقراءات القرآنية والعاميات في لهجتنا المعاصرة.

وفيما يلي نقدم ظواهر من الأبنية، منها:

(إضافة الاسم المقصور إلى ياء المتكلم):

المشـــهور أنـــه إذا أضيف الاسم المقصور إلى ياء المتكلم – يظل على حاله من بقـــاء الألـــف كما هي فيقال: فتاي وعصاي، وهواي. أما في حروف الجر مثل "إلى، وعـــلى" والظروف مثل " لدى" فإن الألف تدغم في ياء المتكلم فيقال: إليَّ وعليَّ – تلك هي اللغة الفصحى .

لكـــن هذيـــلاً انفردت بالسير في الطريق الآخر – إذ تقلب هذه الألف ياءً عند الإضـــافة إلى ياء المتكلم وتدغم الياء في الياء مثل فتيَّ وعصيَّ، أما شواهد تلك اللهجة فهي :

---

(١) معجم الأدباء ٢٩٩/١٧ .
(٢) معجم الأدباء ١٧/ ٢٨٤ ، ٢٨٥ .
(٣) معجم الأدباء ١٧/ ٢٩٩ .

(أ) قال أبو ذؤَيب الهذلي يرثي أبناءه:

سبقوا هويَّ وأعنقوا لهواهمو فتخرموا ولكل جنب مصرع[1]

(ب) قال أبو داود الإيادي:

فأبـــــلوني بليتكم لعلي أصالحكم واستـــدرج نويَّـــا [2]

(ج) ما جاء عن ابن جني في باب "حكم المعلول بعلتين" حين استشهد بقول الشاعر:

فـــإن لم تثأرا لي من عِكبّ فـــلا أرويتما أبدًا صديَّا[3]

لكن هناك أمرًا لابد من مناقشته، وهو أن الظاهرة السابقة والمعزوة إلى هذيل - عزيت إلى قبائل أخرى فمن ذلك:

(١) أنها عزيت لطيئ بدليل ما جاء في اللسان من حديث طلحة" فوضعوا اللجَّ عـــلى قفـــي - أي وضـــعوا الســـيف على قفاي. قال هي لغة طائية: يشددون ياء المتكلم"[4].

ولكـــن كـــيف يتكـــلم رجل ليس من طيئ بلهجة طيئ - قد يزول العجب عـــندما نعـــرف أن طلحة هذا كان متزوجًا من امرأة من قبيلة طيئ [5] -كما جاء في رواية عن الزمخشري .

وكمـــا أن ابن الأثير يؤكد أنها لهجة طيئ [6]، كما روى الواحدي في البسيط أنها لهجة طيئ أيضًا [7] .

(٢) عزيت كذلك هذه اللهجة إلى قريش، والذي عزاها عيسى بن عمر [8] .

---

(١)ابن عقيل : ٧٣/٢ ، شرح الحماسة : ٥١/١ - ٥٢ للمرزوقي ، البحر : ١٦٩/١ .

(٢) حاشية الأمير على المغني : ٩٧/٢ .

(٣) الخصائص ١٨٣/١ .

(٤) اللسان : ٥٥/٢٠ .

(٥) الفائق في غريب الحديث : ٩١/٣ .

(٦) النهاية في غريب الحديث : ٢٧٠/٣.

(٧)التصريح : ٦١/٢ .

(٨) الأشموني : ٢٨٢/٢ .

والـــذي أرجحـــه أنها لهذيل خاصة رغم هاتين الروايتين اللتين لن تصمدا أمام جحفلة من الروايات الكثيرة القوية، وحسبك أنها عزيت في كتب علوم القرآن – لهذيل – كالـــبحر [١] والمحتسب [٢] لابن جني، وغيرها من كتب القراءات، والقراء في الضبط والـــتحري بالمكان الذي لا يجارى لعنايتهم ودقتهم في كل أمر يتعلق بكتاب الله تعالى من قريب أو بعيد . ثم هناك أمر آخر يرجح أن الظاهرة في هذيل، إذ إنها كانت تسكن إقلـــيمًا جغرافيًّا " فمن جبال فارعة الطول إلى وديان فسيحة، ومن منابع ضحلة ينبت فـــيها الكلأ وتكثر المراعي، إلى صحراء قاحلة ملتهبة، ولهذا كان مجتمع هذيل شاذًّا، لشذوذ عالم الجغرافيا فيه فشذت لغتهم لذلك، والشذوذ، كما يقولون، يجلب الشذوذ" فهـــم يـــتفردون بألفـــاظ لا تعرفها بقية العرب [٣] وبصيغ لا نجد لها مثيلاً في القبائل الأخرى .

قال المرزوقي في شرح الفصيح:" ذكر أهل اللغة أنه ليس في الكلام كلمة أولها يـــاء مكســـورة إلا يِســـار لغة في اليسار لليد اليسرى، وقولهم: يِعاط لفظة يحذر بها هذلية "[٤] .

فـــإذا أضفنا إلى ذلك ما يتواتر عنهم من كثرة هذه الظاهرة عندهم كان دليلاً على أنها لهم - وإذا كنا قد وجدنا هذه الظاهرة في لهجة رجل قد بنى بامرأة من طيئ - فلـــيس معنى هذا أن الرواة يؤكدون أنها في طيئ، لأنه دليل غير مباشر، ومن قال بأن مـــن تزوج بامرأة يتكلم لهجتها ويسير على سنتها؟ وأما من ادعى بأنها في قريش، فقد بحثت كثرة من شعر شعرائهم فلم أعثر على أثر لهذه الظاهرة فيهم .

بقـــي أن نبحث هذه اللهجة من ناحية تصحيحها وإعلالها أو تطورها، وأرجح أن لهجـــة هذيـــل - هي القدمى وهي الأصل وهي الطور الأول من أطوار النطق، ثم

---

(١) البحر المحيط : ٢٦٢/٤ .
(٢) ٦٧/١ ، ٤١٧ مخطوط .
(٣) المزهر : ٢٥١/١ .
(٤) المزهر : ١٠٣/٢ .

تطور في الفصحى إلى الألف، فهذيل قد التزمت مرحلة من مراحل التطور ثم توقفت، أما في الفصحى فقد أخذ التطور مجراه الطبيعي حتى وصلت الصيغة إلى ما نعهده الآن: عصـــاي: قفاي. ومفاد كلام النحاة أن الألف هي الأصل القديم في الكلمات السابقة، وأن الياء تطورت عنها، ولا أوافق علماء العربية على رأيهم لما يأتي:

١- أن العكس هو الصحيح ، والياء هي الأصل لوجودها في كثير من الكلمات قبل أن تتطور تلك الياء إلى الألف، ومما يؤيد ذلك بعض القبائل العربية القديمة كبعض طيئ تقول: (هذه أفعيْ) بالياء (شرح الشافية ٢/٢٨٦، وشرح السيرافي ٥/٤٣٩خط تيمور) وبعضها يقول (أفعو) (الكتاب ٢/٢٨٧، وشرح الحماسة للمرزوقي ٢/٨٢٩، والهمع ٢/٢٠٦ ، وشرح التصريح للشيخ خالد الأزهري ٢/٣٣٩).

وقبـــيلة فـــزارة العربية كانت تقول: أفعيْ بالياء (الهمع ٢/٢٠٦) وصاحب التصريح يعزوها إلى فزارة وقيس (التصريح ٢/٣٣٩) وفي شرح الحماسة للمرزوقي ٢/ ٨٢٩ (أنهـــا لغة فزارة وناس من قيس: وهي قليلة) ولا منافاة إذ فزارة قبيلة من قبائل قـــيس. وفي كـــتاب الفائق في غريب الحديث للزمخشري ١/١١٩ ط أولى " لا بأس بقـــتل الأفعوْ، ولا برمي الحدو " وهذا الطور الأول والأصل التاريخي له، ثم تطور في الفصـــحى إلى الألـــف فصار: أفعى، عصا، فتى . ومعنى هذا أن الفصحى تخلصت من صوت اللين المركب Diphthong وهو au (أو) ai (أيْ) إلى الفتح (à).

٢- أن الصفويين لم يكونوا ينطقون بنهاية هذه الأفعال مثل: بكى وأتى ورعى ألفًـــا، وإنمـــا كانوا ينطقونها ياءً فيقولون: بكيْ ورعيْ وأتيْ وهي في ذلك كالحبشية، وهذا يؤكد أصالة الياء في لهجة هذيل العربية، وذلك على عكس ما رآه علماء العربية حين قالوا بأصالة الألف .

ويظهر أن بعض القراءات القرآنية قد حافظت على الطور الأول لتلك اللهجة، ويمكن أن نتلمسها فيما جاء من القراءات الآتية :

(أ) قــرأ أبــو الطفيل وعبد اللــه بن أبي إسحاق، وعاصم، وعيسى بن عمر "هديَّ" [١] في قوله تعالى ﴿ فمن اتبع هداى ﴾ [٢].

(ب) قرأ ابن أبي إسحاق وعيسى " مَحْيَي " [٣] في قوله تعالى: ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ﴾ [٤].

(ج) كما قرأ أبو الطفيل والحسن وآخرون " بُشْرَيَّ " [٥] في قوله تعالى: ﴿قال يا بشراي ﴾ [٦].

فورود القرآن بلهجتهم يعتبر توثيقًا لها ، وتأييدًا .

أمــا قراءة الجمهور فهي على اللغة المشهورة. وبهذا يكون الكتاب الكريم مرآة تجد فيه كل قبيلة بيانها ولسانها. والله أعلم .

* * *

---

(١) البحر ١ / ١٦٩ .
(٢) سورة البقرة، الآية ٣٨.
(٣) البحر ٤/٢٦٢ .
(٤) سورة الأنعام ، الآية ١٦٢.
(٥) البحر ٥/٢٩٠.
(٦) سورة يوسف، الآية ١٩ .

من الخصائص اللغوية لقبيلة هذيل القديمة(*)

للدكتور أحمد علم الدين الجندي

خبير بلجنة اللهجات

القضية : تبدل الهمزة من الواو جوازًا في موضوعين :

أحدهما: إذا كانت مضمومة ضمًّا لازمًا غير مشددة، كوُجوه، وأُجوه، ووُقوت، وأقوت في جمع: " وقت " و " وجه ".

ثانيهما: إذا كانت مكسورة في أول الكلام، كإشاح، وإفادة، وإسادة. في: وِشَاح، وَوِفادة، وَوِسادة .

البحث والدراسة

يقول سيبويه في باب ما كانت الواو فيه أولاً، وكانت فاء: " اعلم أن هذه الواو إذا كانت مضمومة فأنت بالخيار إن شئت تركتها على حالها، وإن شئت أبدلت الهمزة مكانها وذلك نحو قولهم في: وُلِدَ: أُلِدَ، وفي: وجُوه: أُجوه " [1].

ثم يقول سيبويه بعد ذلك: " ولكن ناسًا كثيرًا يجرون الواو إذا كانت مكسورة مجرى المضمومة فيهمزون الواو المكسورة إذا كانت أولاً ... فمن ذلك قولهم: إسادة وإعاء " فسيبويه لم يعز الظاهرة لقبيل معين من العرب، كما أهملت مصادر كثيرة في التراث عزو الظاهرة[2]، ولكن الظاهرة عزيت إلى هذيل في مصادر أخرى منها: جمهرة ابن دريد، حيث يقول: "هذيل تقول: إشاح في معنى وشاح"[3] وفي مكان آخر من الجمهرة [4] يقول: "وإسادة في وِسادة لغة هذلية "، كما عزيت إلى هذيل في الإبدال [5] لابن السكيت حين يحكى عن الفراء قوله: وتقول هذيل

(*) درسته اللجنة في الدورة السابعة والأربعين (١٩٨٠ - ١٩٨١م).

(١) الكتاب ٣٣٠/٤ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون .

(٢) انظر: سر الصناعة ١٠٤ لابن جني، والمنصف ٢٢٩/١، والكامل للمبرد مع رغبة الآمل ٩٥/١، ٢٣٩/٣، وإصلاح المنطق ١٥٩ فما بعدها لابن السكيت، والمخصص ٧٤/٤، وشرح الشافية ٧٦/٣.

(٣) الجمهرة ١٦١/٢.

(٤) ٢٦٧/٢.

(٥) ٥٧ تحقيق هنز .

للوقـــاء: إقـــاء، وللوعـــاء: إعاء، وللوضاء: إضاء، ويقال: وِشاح وإشاح، ووسادة وإســـادة، وولدة وإلدة، كما عزيت إلى هذيل في مقدمة كتاب المباني[١] وذلك عند قولـــه تعالى: ﴿إذا الرسل أقتت﴾ بضم الهمز، والأصل وقتت. ويقول أبو حيان عند قولـــه تعـــالى: ﴿قبل وعاء أخيه﴾ [٢]: "وذلك مطرد في لغة هذيل يبدلون من الواو المكســـورة الواقعة أولاً همزة " [٣]. وعزيت إلى هذيل في حاشية الصبان على كتاب الأشموني [٤].

ومـمـــا سبق نرى أن الظاهرة مهملة العزو حينًا، أو معزوة إلى قبيلة هذيل حينًا آخـــر، ولكـــن يطالعنا ابن منظور بقول مخالف لما سبق حيث يقول: وِقاط وإقاط. الهمزة بدل من الواو، ولغة تميم في جمعه: الإقاط مثل: إشاح . يصيِّرون كل واو تجيء على هذا المثال ألفًا [٥].

مناقشة نسبة الظاهرة ومكانها

وأمـــام هــــذا كان لابد من بحث مستفيض في شواهد الظاهرة والتعرف على مكانها في الجزيرة العربية وقبائلها يوم ظعنت وحين أقامت، وإليك ما يلي :

١- يقول مالك بن خالد الخناعي:

أحمى الصريمة أحدان[٦]الرجال له صيد ومستمع بالليل هجّاسُ[٧]

(أُحدان في وحدان)

٢- وقال البريق الخناعي:

أبا معقل إن كنت أُشّحتَ حُلّةً أبا معقل فانظر بنبلك مَن ترمي [٨]

---

(١) ٢٣تحقيق المستشرق آرثر جفري .

(٢) آية ٧٦ من يوسف .

(٣) البحر المحيط ٣٣٢/٥.

(٤) ج ٤ ص ٢٩٦ ط أولى ١٩٤٧.

(٥) اللسان (وقط).

(٦) أحدان جمع واحد، وهو الرجل المتقدم في بأس أو علم كأنه لا مثل له .

(٧) ديوان الهذليين ٤/٣ ، ومقدمتان في علوم القرآن ٢٢٣ .

(٨) ديوان الهذليين ٦٥/٣ .

(أُشّحت في وُشّحت)

٣- ومن شعر البريق :

فأصبحت أدعو من الناس واحدًا   سوى إلدة في الدار قين مقيم [١]

(إلدة في وِلدة)

٤- وروى ابن الأعرابي :

وآخر ملتاتٌ يجُرّ كساءه   نَفَى عنه إجْدانُ الرِّقين الملاويا [٢]

(إجدان في وجدان). وتقول العرب: وجدان الرّقين يغطّي أفنَ الأفين .

٥- وقال صخر الغي :

فكان لها أدّى وزَيقة ميعتي   وليدًا إلى أنْ رأسِيَ اليومَ أشيبُ [٣]

(أدّى في وُدّى)

٦- وقال حبيب الأعلم :

هوِاء مثل بعلك مستميت   على ما في إعائك كالخيال [٤]

(إعائك في وِعائك)

٧- وقول المعطل :

له إلدة سفْعُ الوجوه كأنهم   يصفِّقهم وَعْك من الموم ماهن [٥]

(إلدة في ولدة)

٨- ويقول مالك بن خالد الخناعي :

لإلْدِك أصحابى فلا تَزْدهيهمُ   بساية إذ مدّت عليك الحلائبُ [٦]

---

(١) ديوان الهذليين ٣/٦١، مقدمتان في علوم القرآن ٢٢٣ .

(٢)اللسان ٤/٤٥٨ .

(٣)التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله السكري لابن جني ١٩٤ تحقيق أحمد ناجي القيسي وآخرين . ط بغداد، وانظر فريتاج صـــ ٨٣ في كتابه :

Einldeitung indus studium arabischen sprache Bonn ١٨٦١. .

(٤) ديوان الهذليين ٢/٨٣

(٥) ديوان الهذليين ٣/٤٥. إلدة = أولاد. والولد بكسر الواو وضمها: ما ولد أيًّا كان، ويقع على الواحد والجميع والمذكر والأنثى، وقد جمعوا على أولاد وولدة وإلدة. الوعك : الحَرُّ. الموم: البرسام، كناية عن أنهم مهازيل.

(٦) الديوان ٣/٩ ، وساية : اسم واد .

(إلدك في وِلدك)

٩- أجدّ الخليط اليومَ أُشك التنابُل فجاءة فجاع من البين عاجل [١]

(أُشك في وُشك) وقد عزا (فريتاج) الصيغة المهموزة لهذيل .

ومما يلاحظ أن الشعراء السابقين من قبيلة هذيل، وهذا يؤكد الظاهرة فيهم، إلا أنني عثرت على الظاهرة نفسها في شعر الشنفرى حيث يقول في لاميته :

فأيّمتُ نسوانًا وأيتمت إلدة وعدت كما أبدأت والليل أليل

كما عثرت على الظاهرة أيضًا في شعر النابغة حين يقول :

فهن إضاء صافيات الغلائل [٢]

أراد وِضاء: أي حسان نقاء فأبدل الهمزة من الواو المكسورة .

أمـا الشـنفرى فهو شاعر قحطاني جاهلي من الأزد عاش في البادية بعد أن عـاف الحضر وكره سكان القرى والمدر. والمعروف في عالم الجغرافيا - كما ذكرنا سـابقًا في مقدمـة تاريخ هذيل - أن بعض بطونها كان يجاور اليمن، ومن هنا جاء التأثير فانعكست بعض الظواهر الهذلية على قبيلة الأزد اليمنية وهي قبيلة الشنفرى . وأما الشاهد الثاني فقائله النابغة وهو حجازي ، وهذيل تقع جغرافيًا في منطقة الحجاز فهي لصيقة بها نسبًا وجوارًا فلا عجب أن وجدنا الظاهرة الهذلية في شعر حجازي .

شبهة وردُّها

ومعـنى ماسـبق أن هذيلاً آثرت الصيغة المهموزة، ولكن الروايات والأخبار تؤكد أن هذيلاً كانت لا تحقق الهمز، بل كانت تسهله بدليل:

أ- قـول أبي زيد:" أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون. وقف علـيها عيسـى بن عمر فقال : ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر، وهم أصحاب نبر، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا " [٣]، والنبر معناه الهمز .

---

(١) فريتاج صـ ٨٣ في كتابه :

Eindeitung indus studium arabischen sprache Bonn ١٨٦١ .

(٢) اللسان : ١٩/١ مادة (وضأ) .

(٣) اللسان ١٤/١ .

ب - وما روي من أن قريشًا كلها، ومن جاورها من قبائل العرب: كهذيل، وسعد بن بكر، وكنانة يقولون: (سورة) بغير همز، على حين كانت تنطقها قبيلة تميم (سؤرة) [١] بالهمز .

ج- كما روي أن الحسن البصري قال يومًا لبعض جلسائه: توضيت، فقيل له : أتلحن يا أبا سعيد؟ فقال: إنها لغة هذيل، وفيهم نشأت [٢].

د- وفي محاورة لابن جني قال: ترك الهمز لغة هذيل [٣].

وعلى الرغم من هذه الأدلة التي تؤكد عدم الهمز في هذيل، إلا أنني أرى أنها حولت الواو المكسورة في أول الكلمة إلى همزة كما في: إشاح وإعاء وإسادة وإفادة ، كما حولت الواو المضمومة في أول الكلمة إلى همزة كما في: أُقّتت وأُشك وأُد. فهذيل عندما همزت كانت تهمز في حالة خاصة بها، وهي: وقوع الواو في أول الكلمة وبشروط خاصة، وليس معنى هذا أن طبيعتها وديدنها الهمز، يؤكد هذا ما في تصريف المازني[٤] " واعلم أن الواو إذا كانت أولاً وكانت مكسورة فمن العرب من يبدل مكانها الهمزة ويكون ذلك مطردًا فيها فيقولون في: وسادة: إسادة، وفي : وعاء : إعاء، وفي: وفادة: إفادة، وزعم سيبويه أنه سمعهم ينشدون:

إلا الإفادة فاسلوت ركائبنا عند الجبابير بالبأساء والنعم

ثم يقول: ولا يهمزونها مكسورة إذا كانت غير أول".

فهذيل تهمز إذا كانت الواو أولاً وكانت مكسورة كما رأيت في هذا النص، وأكثر العلماء يقفون في همز الواو المكسورة على السماع دون القياس إلا المازني فإنه كان يراه مطردًا. كما أنها تهمز إذا كانت الواو مضمومة بشروط أيضًا وهي أن تكون الواو مضمومة ضمًّا لازمًا غير عارض [٥] .وهذا الهمز مطرد عند العلماء كقولهم في: وُلِدَ أُلِدَ، وفي: وجوه أُجوه، وفي: وُعِد أُعِد، وفي: وقّتت أُقّتت فلا يجوز

---

(١) مقدمتان في علوم القرآن ٢٨٣ - ٢٨٤ .

(٢) تاج العروس ١/١٣٤، وانظر : تاريخ الأدب العربي ١/٢٤٦ للرافعي .

(٣) المخصص ٥/٥٤ .

(٤) ١/٢٢٨ .

(٥)تصريف المازني ١/٢١٢ .

الهمــز في (هذا دَلْوٌ) لأن الضمة عارضة يزيلها النصب والجزم، ولا يجوز في : ﴿ولا تنسوا الفضلَ بينكم ﴾ ؛ لأن الحركة غير لازمة إنما هي لالتقاء الساكنين [١]، كما أنها لا تقلــب همــزة إذا كانــت الــواو مضمومة مشددة كالتقول، لقوتها بالتشديد، وصيرورتها كالحرف الصحيح[٢] .

بين القدماء والمحدثين في تفسير الظاهرة

عـــرف القدماء من علماء العربية سر تحول الواو إلى الهمزة فيما سبق وعللوه بالـــثقل، وفي ذلك يقول سيبويه: " وإذا التقت الواوان أولاً: أبدلت الأولى همزة، ولا يكون فيها إلا ذلك؛ لأنهم لما استثقلوا التي فيها الضمة فأبدلوا، وكان ذلك مطردًا إن شئت أبدلت وإن شئت لم تبدل، لم يجعلوا في الواوين إلا البدل؛ لأنها أثقل من الواو والضمة [٣]، ومعنى هذا نقل الضمة على الواو؛ لأن الضمة تجري مجرى الواو، وهي كمـــا يقولون واو صغيرة، كما أن الكسرة ياء صغيرة، والفتحة ألف صغيرة وكذلك اســـتثقلت الكسرة على الواو في أول الكلمة دون وسطها نحو: طويل وعويل؛ لأن الابـــتداء بالمستثقل أشنع. وفي هذا يقول سيبويه:" ولكن ناسًا كثيرًا يجرون الواو إذا كانـــت مكســـورة مجرى المضمومة فيهمزون الواو المكسورة إذا كانت أولاً " [٤]. كـــرهوا الكســـرة فيها فهم شبهوا الواو المكسورة بالواو المضمومة لأنهم يستثقلون الكســـرة كمـــا يستثقلون الضمة. يوضح هذا ابن يعيش حيث يرى أن " همز الواو المكسورة وإن كثر عندهم فهو أضعف قياسًا من همز الواو المضمومة وأقل استعمالاً، ألا تـــرى أنهـــم يكرهون اجتماع الواوين فيبدلون من الأولى همزة نحو (الأواقى)، ولا يفعلـــون ذلك في الواو والياء نحو: ويح وويس، فلما كان حكم الضمة مع الواو قريبًا من حكم الـــواو مع الـــواو وجب أن يكون حكم الكسرة مع الواو قريبًا من حكم الياء مع الواو" [٥] .

---

(١) انظر شرح المفصل ١٢/١٠ لابن يعيش .

(٢) شرح الشافية ٧٨/٣ تحقيق الزفزاف وآخرين .

(٣) الكتاب ٣٣٣/٤ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، وانظر: تصريف المازني ٢١٦/١ فما بعدها .

(٤) الكتاب ٣٣١/٤ .

(٥) شرح المفصل ١٤/١٠ .

وأيًّـــا مـــا كان فالواو صوت انتقالي عند المحدثين [١] يبدأ تكوينه من موضع صوت اللين ثم ينتقل اللسان بسرعة إلى موضع صوت لين آخر؛ ولذا تسمى عندهم (نصـــف ساكن) أو (ساكن ضعيف) لأننا نسمع لها نوعًا ضعيفًا من الحفيف. كما تتميز الواو بانفتاح يقربها من الحركات، لذلك تعتبر (نصف حركة semi – vowel) وهـــذه الخاصـــية تجعلها كثيرة الحذف والتغير، ومن أجل هذا فإننا لا نستطيع رسم حـــركة مســـتقلة عـــن الحرف، وكان من الضروري أن تعتمد الحركة على حرف وكـــان هذا الحرف الهمزة؛ لأنها من أشد الأصوات وأجلدها فهو صوت شديد فيه ينحبس الهواء عند المزمار انحباسًا تامًّا ثم ينفرج دفعة واحدة محدثًا هذا الصوت .

وحســـب الـــنحاة الأقدمون وعلماء العربية قاطبة أن ذلك من باب الإعلال والإبدال، وليس من ذلك في شيء – من وجهة نظرنا – فلا إعلال ولا إبدال، كما ظـــن القدماء ونفر من المحدثين، وإنما حدث حذف للواو مع بقاء الحركة، ولما كانت العربـــية لا ترسم الحركات وحدها مستقلة عن الحروف، فقد اعتمدت الحركة على حرف هو الهمزة – واللجوء إلى الهمزة لتعتمد عليها الحركة سنة إنسانية عامة تعرفها جمـــيع اللغـــات – فظن القدماء أن الواو قلبت وأبدلت همزة، وليس كذلك إلا إذا اعتـــبرنا قـــول القدمـــاء نوعًا من التعليم أو التبسيط، والأمر لا يعدو أن هذيلاً تؤثر تـــتابع الحـــركات؛ ولهذا لجأت إلى نبر المقطع الأول فكانت الهمزة الموجودة في أول الكلمات التي أشرنا إليها آنفًا .

والقدمـــاء وعـــلى رأسهم سيبويه يرون في الظاهرة (إبدالاً) [٢]، والباقون يجدون لها مكانًا في باب (الإعلال)[٣]. يقول سيبويه:"وليس حرف أقرب إلى الهمزة من الألف ... والواو والياء شبيهة بها أيضًا مع شركتهما أقرب الحروف منها " [٤]. ويعلـــق السيرافي على قول سيبويه بقوله: " يعني بذلك أن الألف هي شبيهة بالهمزة،

---

(١) الأصوات اللغوية ٤٩ ط ٢ دكتور إبراهيم أنيس .

(٢)انظر: شرح التصريف ٢٢٨/١ ، وابن يعيش ١٠/١٠ ، وشرح الشافية ٧٨/٣ فما بعدها .

(٣) انظر : كتب التصريف ومطولاتها وشروحها .

(٤) الكتاب ٥٤٤/٣ .

والــواو والياء أيضًا شبيهة بالهمزة مع شركة الواو والياء لأقرب الحروف منها، أعني مــن الهمزة .. وأراد بهذا تقريب أمر هذه الحروف الثلاثة من الهمزة ليبين أنه سائغ إبدالهن منها[١]، فسيبويه يرى علاقة بين الهمزة والواو ليصح عنده الإبدال، والحقيقة أنه لا علاقة مخرجية أو وصفية بينهما تسوغ هذا الإبدال، بل بين الصوتين مفارقات كثيرة منها:

أ- أن الهمــزة من أقصى الحلق، والواو من أقصى اللسان وليس من الشفتين كما رأى سيبويه .

ب - أن الهمزة صوت انفجاري شديد، والواو صوت انتقالي نصف حركة.

ج - والهمزة صوت مهموس، والواو صوت مجهور .

فــلا علاقــة إذن تســوغ هذا الإبدال كما توهم أكثر علماء العربية وعلى رأسهم سيبويه.

وأرى أنه لبعد العلاقة بين الواو والهمزة فلا نستطيع أن نقول بالإبدال بينهما، بــل همــا من المترادف في حالة اتفاق الكلمتين في المعنى، فإذا اختلف المعنى بينهما رجحت أن كل صيغة منهما أصل مستقل. من ذلك ما نقله السيوطي [٢] عن القالي في أماليه: " قرأت على أبي عمر المطر قال: حدثنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي قال: الورث في الميراث والإرث في الحسب " .

عــلى أن كثيرًا من علماء العربية - باستثناء الفراء وعلماء القراءات - كانوا يرون وقوع الإبدال بين الحرفين مع اختلافهما مخرجًا وصفة [٣]، وهنا يجب أن نشير إلى تلــك اللفتة الذكية من ابن سيده حيث يرى: أن ما لم يتقارب مخرجاه البتة فقيل على حرفين غير متقاربين فلا يسمى بدلاً، وذلك كإبدال حرف من حروف الفم من حرف من حروف الحلق[٤] .

---

(١) الكتاب ٥٤٤/٣ تحقيق الأستاذ هارون، وانظر الهامش .

(٢) المزهر ٢٨٨/٢ .

(٣) انظــر مــثلاً : الإبدال لأبي الطيب اللغوي ٢٠٥،٢٣٤/١، ٢٣٨، ٣٠٣، ٣٠٧ ، أمالي القالي ٧٨/٢ ، سر الصناعة ١٧٤/١ .

(٤) المخصص ٢٧٤/١٣ .

مناقشة عزو الظاهرة إلى تميم

في أول البحث أشرنا إلى أن صاحب اللسان عزا الظاهرة إلى تميم، وقد سقت أدلــة وشــواهد عدة تؤكد أن الظاهرة في هذيل، ولكن ما السر الذي دفع صاحب اللسان إلى القول بهذا ؟ !!

أرجــح أن الــذي دفعــه إلى ذلك الرأي هو أن الهمز من خصائص تميم في الأصل، وهو كذلك إلا أن الفصحى قد اتخذت الهمز شعارًا لها ، وأصبح الهمز ينتمي إلــيها أكــثر مــن انتمائه إلى بيئة تميم، ولهذا أرى أن هذيلاً وهي التي تسهل الهمز شــعرت بالنقص لهذا، فحققوا هذه الصيغ بالشروط التي أشرنا إليها - كرد فعل - لإحساســهم بشــعورهم بالنقص في الظاهرة العامة عندهم وهي تسهيل الهمز، ومن ذلــك أن بعض القبائل كانت تهمز ما ليس بمهموز[١]، وفي الصحاح: وربما خرجت بهــم فصــاحتهم إلى أن يهمــزوا ما ليس بمهموز[٢] وذلك قولهم: حلأت السويق، ورثــأت زوجي بأبيات، واستلأمت الحجر ولبَّأت بالحج [٣]، فأصولها غير مهموزة لأن الأولى من الحلواء، والثانية من المرثية، والثالثة من السلام وهي الحجارة ، والرابعة من التلبية، وسبب الهمز التوهم ، وهي ظهرة شائعة في اللغات بعامة، وتسمى القياس الخاطئ [٤] popular Etymology واعتبر الهمز(موضة العصر) [٥] فهذيل أرادت أن تــنطق الكــلمات الســابقة على نمط الفصحى فأضافت الهمزة، إذ الهمز من سمات الفصحى، ولهذا ظهر في شعر الشعراء ومواقف الجد من القول، وأيًا ما كان فالظاهرة في هذيــل تعتبر مبالغة في التفاصح، ولهذا كان حمزة القارئ المشهور يحذر الناس من المبالغة في تحقيق الهمز عند التلاوة، والدليل على أن الهمــــز قد ذاع وانتشر أن نافعًا

---

(١) معاني القرآن للفراء ٤٥٩/١ .

(٢) المزهر ٢٥٢/٢ .

(٣) المزهر ٤٩٦/٢ .

(٤) ومن القياس الخاطئ قولهم: مصائب بالهمز ، وأصلها الياء ولكنهم شبهوا مصيبة بصحيفة فكما همزوا صحائف همزوا مصائب وليست ياء مصيبة بزائدة كياء صحيفة .

(٥) Robin. Ancient, West Arabian, p, ١٤٥ London : ١٩٥١.

المدني وابن كثير المكي كانا يلتزمان تحقيق الهمز في بعض الكلمات مع أنهما من بيئة الحجاز التي تنفر من الهمز[١]، ولهذا لا نعلق إذا وجدنا بعض الظواهر اللهجية في الهمز تخالف ما عرفناه، فهذيل وهي التي تسهل الهمز قد حققته في تلك الكلمات السابقة، ومثلها في ذلك مثل أهل مكة - وهم المشهورون بالتسهيل - عندما اختلفوا مع غيرهم من العرب فهمزوا: النبيء، والبريئة، والذريئة، والخابية، على حين ترك العرب كلهم الهمز في تلك الصيغ[٢]، ولعل ذلك من أهل مكة كان من قبيل المبالغة أيضًا، ومن ذلك أن شعراء البيئة الحجازية - ومنها هذيل - كانوا يعاملون همزة الوصل كأنها همزة قطع غالبًا، مبالغة منهم، أو حذلقة كما يرى رابين [٣].

على أن هذيلاً عندما حققت الهمزة فيما سبق، مخالفة بذلك بيئة المنطقة الحجازية التي هي فيها لا يعدو أن تكون أشبه بالجزيرة العربية اللغوية (speech island) عندما تخالف ما يشيع في جيرانها، وقد سبق في مقدمة الدراسة التاريخية للقبيلة أن وصفناها بالشذوذ الجغرافي والاجتماعي، وهذا الشذوذ يغري بالشذوذ اللغوي، وإذا كانت هذيل قد خالفت منطقة الحجاز التي هي منها في ظاهرة صوتية كما تقدم، فقد خالفتها في ظاهرة إعرابية أيضًا من هذا: أن الحجاز تنصب الخبر في مثل: ﴿ما هذا بشرًا﴾، وتميم ترفعه، وهذيل خالفت لهجة الحجاز في ذلك وسارت في ركب تميم فلا نعجب إذا خالفت هذيل الحجاز فهمزت هذه الصيغ، وعلينا ألا نجزع لهذه التنبؤات اللهجية في المنطقة الجغرافية الواحدة، من ذلك مثلاً أن الإدغام تميمي وهو سمة شرق الجزيرة العربية، ومع ذلك نرى ابن مسعود الهذلي يقرأ بالإدغام أحيانًا في قوله تعالى: ﴿ ومن يعمل سوءًا ﴾ [٤]، كما يقرأ فتختم[٥] مع أن الإظهار لهجة المناطق الحجازية وفيها ديار هذيل حيث كانت بين مكة والمدينة.

---

(١) كان نافع يحقق: النبيين . النبيون . الأنباء. النبي. النبوة. إتحاف فضلاء البشر ١٣٨ .

(٢) المخصص ١٥٣/١٧ ، ٨/١٤ .

(٣) Rabin. Ancient, west Arabian .

(٤) مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ٢١.

(٥) تاريخ المصاحف؛ نشرة آرثر جفري.

وربمــا أكون مطمئنًا حين أرجح أن البدو من هذيل هم الذين كانوا يحققون هــذه الألفاظ، وأن الحضر منهم كانوا يسهِّلونها، أى ينطقون بالواو المضمومة والواو المكسورة، ومما يرجح ما أذهب إليه أنني وجدت تلك الألفاظ المنسوبة إلى هذيل في ديوانهــا محققة الهمزة، ووجدتها نفسها في روايات أخرى غير محققة الهمزة من ذلك مثلاً:

١- أن صــيغة (أحــدان) بالهمز في شعر مالك الخناعي الهذلي وردت في رواية أخرى (وحدان)[١] .

٢- صــيغة (إلدة) في شعر البريق الهذلي[٢] بالهمز، وفي بقية أشعار الهذليين بغير الهمز (ولدة).

٣- صــيغة (لإلدك أصحابي) في شعر مالك الخناعي الهذلي[٣] بالهمز، وفي رواية (لولدك) بالواو.

٤- صــيغة (فكان لها أدى) في شعر صخر الهذلي[٤] بالهمز، ورواية أخرى (ودي) بغير همزة[٥].

ظهور اللهجة في الساميات والمصاحف القديمة والفصحى

ظهرت اللهجة الهذلية في المستويات الآتية:

أ- في المصاحف القديمة ومن ذلك مصحف أبي بن كعب في قوله جل شأنه :

﴿ ويوم ترى الذين كذبوا على الله أجوههم مسودة ﴾[٦] بدل وجوههم.

ب - وفي مصحف أُبيّ ﴿ ثم استخرجها من إعاء أخيه﴾[٧] بدل وعاء، كما وردت قراءة الهمزة في مصحف سعيد بن جبير.

---

(١) ديوان الهذليين ٣/٤ .

(٢) المرجع السابق ٣/٦ .

(٣) المرجع السابق ٣/٩ .

(٤) التمام في تفسير أشعار هذيل ١٩٤.

(٥) الأغاني ٢/٢٢٨ ط دار الكتب.

(٦) آية ٦٠ من الزمر. تاريخ المصاحف: مصحف أبي تحقيق آرثر جفري، والبحر المحيط ٧/٤٣٧، ومختصر شواذ القرآن، وانظر موقف أبي عمرو بن العلاء من هذه القراءة حيث ينكرها ويردها.

(٧) آية ٧٦ من يوسف.

ج- وقرأ زيد بن علي ﴿ فاجعل إفادة من الناس تهوي إليهم ﴾ [١]، وزيد هذا كانت إقامته بالكوفة مهبط عبد الله بن مسعود الهذلي، وقال عنه أبو حنيفة: ما رأيت في زمانه أفقه منه ولا أسرع جوابًا ولا أبين قولاً[٢].

د- ﴿ وإذا الرسـل أقتـت ﴾ [٣] وهي قراءة الجماعة وأصلها: فعلت: من الوقت فالواو أصل وأبو عمرو بن العلاء قرأها بالواو[٤].

هـ - تحول الواو في بعض مفردات اللهجة الصفوية إلى همزة: (و ن س) أ ن س، (و د م) أدم [٥].

و- كما تحولت الواو إلى همزة في أول الكلام في لغة النقوش اللحيانية[٦]، وفي العلم الشخصي: وهيب أهيب.

ز- (ورقـة أرقـة) للتعبير إذا كان يخالط سواده بياضًا[٧]، والأصل: الواو (وريق أريق) ما كان لونه لون الرماد[٨]. قلبت الواو همزة للضمة.

ط- وفي الحديـث الشـريف: " اثبتوا على مشاعركم فإنكم على إرث من إبراهيم " والأصل ورث بالواو.

* * *

(١) البحر ٤٣٣/٥.

(٢) الأعلام ٩٨/٣ .

(٣) المرسلات ١١ .

(٤) مختصـر شـواذ القرآن لابن خالويه ١٦٧، والمحتسب لابن جني ١٦٤. ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهـرة ، وشواذ القراءة ورقة ٢٥٦ للكرماني. مصور بمكتبة كلية دار العلوم، ومقدمتان في علوم القرآن ٢٢٣، والبحر المحيط ٤٠٥/٨ ، والتطور النحوي ٣١ برجشتراسر القاهرة.

(٥) مجلة مجمع اللغة العربية ٢٤٧/٣ مقال للأستاذ ليتمان.

(٦) البحوث والمحاضرات في مؤتمر المجمع اللغوي بالقاهرة (٦١ - ١٩٦٢).

(٧) اللسان (ورق).

(٨) اللسان (ورث).

دراسة في لهجة بني أسد (*)

للدكتور عبد الصبور شاهين

خبير بلجنة اللهجات

الموقــع الجغــرافي: أســد من الناحية الجغرافية هي أصلاً من قبائل شرقي الجزيرة العربــية، ولكن القبائل البدوية في الجزيرة لم تكن تبقى على حال، بل كانت دائمة التنقل؛ طلبًا للمرعى، أو التماسًا للأمان.

ولا ينــبغي أن يخــتلط اسم هذه القبيلة بما عرف بقبائل الأزد، إذ قد تنطق بالســين ساكنة (الأسْد)، والزاي – كما قال الجوهري – أفصح، ومنها: أزد شنوءة، وأزد عمـــان، وأزد الســـراة (وهؤلاء جميعًا ليسوا موضوع بحثنا). فأما قبائل أسَد بــتحريك السين، فهم بطن من ربيعة، ومن قبائلهم بنو عنــزة، وكانت منازلهم تمتد مـــن نجد إلى الحجاز، فوادي السرحان، فالحماد، فبادية الشام، ولهم منازل كانت في خيبر من ضواحي المدينة .

ومـــن قبائـــلهم جديلة، ومن جديلة عبد القيس، وكانت ديارهم بتهامة حتى خرجوا إلى البحرين[1].

مـــن هذه الأخبار القليلة يتضح أن وجود أسد وقبائلها كان يمتد من البحرين حتى بادية الشام، عبر الجزيرة العربية، وهذا في ذاته يدل على أنها قبائل لم تكن تعرف الاستقرار فهي حينًا حضرية، وأخرى بدوية .

مكانة أسد :

وأسد، أو بنو أسد، هم قبيلة من القبائل الكبرى التي أخذ عنها الرواة العربية الفصـــحى. يقـــول ابن خلدون في مقدمته :" ولهذا كانت لغة قريش أفصح اللغات العربـــية وأصـــرحها، لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم، ثم من اكتنفهم من ثقـــيف، وهذيل، وخزاعة، وبني كنانة، وغطفان، وبني أسد، وبني تميم. وأما من بعد عنهم من ربيعة ولخم وجذام وغسان وإيـــاد وقضاعة وعرب اليمن ، المجاورين لأمم

(*) درسته اللجنة في الدورة الخمسين (١٩٨٣ – ١٩٨٤).

(١) اللهجات العربية في التراث / ٢٣.

الفــرس والــروم والحبشة فلم تكن لغتهم تامة الملكة بمخالطة الأعاجم، وعلى نسبة بعدهــم مــن قــريش كان الاحتجاج بلغاتهم في الصحة والفساد عن أهل الصناعة العربية" [١].

وجاء في معجم البلدان: أن من أهل العالية (طوائف من بنى أسد)[٢] .

وذكــر ابن الأنباري: " قال أعرابي في مجلس الخليل للكسائي: تركت أسدًا وتميمًا وعندهما الفصاحة " [٣].

غــير أن امتداد الرقعة التي عاشت فيها القبيلة، وتغلغل هذه الرقعة عبر الخط الــذي يمر بوسط الجزيرة، وتعايشها مع قبائل الوسط والشمال - يبدو أن ذلك قد مــزج لسانها باللسان المشترك، وقرب ما بين مستوى أدائها اللغوي وما كانت عليه أغلب قبائل الفصاحة .

ولذلــك يعســر على من ينظر في الروايات اللغوية المنسوبة إلى أسد أن يجد ظاهــرة مطردة يتميز بها لسانها - إلا قليلاً - بين القبائل الأخرى كتميم وطيئ وإن جاءت الروايات ببعض الأمثلة المميزة. ومن الظواهر اللهجية التي عرفت وجاءت بها الروايات:

الكشكشة:

وهــي أكــثر الظواهــر شيوعًا وانتسابًا لبني أسد، على ما في الصحاح[٤] : " يجعلــون الشين مكان الكاف، وذلك في المؤنث خاصة، فيقولون: عليشِ، ومنشِ، وبشِ، وينشدون فعيناشِ عيناها وجيدشِ جيدها " .

وينسب الوجه الآخر من الكشكشة، وهو (الكسكسة) لربيعة .

وقــد ســبق لنا دراسة هاتين الظاهرتين من ظواهر اللهجات العربية، غير أن ملاحظتــنا هــنا تقتصر على تسجيل أن ظاهرة الكشكشة هذه تجعل أسد بين قبائل

---

(١) مقدمة ابن خلدون ١٠٧٢/١ .

(٢) معجم البلدان ٧١/٤ ، وانظر كذلك المزهر ٢١١/١.

(٣) نزهة الألباء / ٥٩.

(٤) وكذا في الصاحبي / ٥٣ .

البادية، مشتركة مع تميم وقيس، في مقابل ما عرف عن أهل الحجاز من خواص ترتفع بهم - كما قال ابن فارس - عن سائر لهجات العرب، قال: " ألا ترى أنك لا تجد في كلامهم عنعنة تميم، ولا عجرفية قيس، ولا كشكشة أسد، ولا كسكسة ربيعة، ولا الكسر الذي تسمعه من أسد وقيس، مثل: تِعلمون، ونِعلم، ومثل شعير وبعير "[١].

ومع هذا التميز اللهجي لقبيلة أسد فيما يتصل بالكشكشة نجد بعض الروايات مأخوذًا عن (أسد وأهل الحجاز)، وهو ما يؤيد ملاحظتنا عن عدم استقرار القبيلة في محيط بعينه، حضري أو بدوي، فحينًا هنا، وحينًا هناك.

ولسوف نبدأ دراسة مجموعة من الأمثلة المروية عن أسد يتجلى في نقلها هذا الخلط بين القبائل، وهي عن تبادل الحروف أو الحركات في مواقع معينة، سواء أكان ذلك من باب الإبدال، أم كان من باب التقابل في الاستعمال بين لهجة أسد، وبين ما أثر عن غيرها من استعمال كان أكثر شيوعًا، وهو من ثم أكثر فصاحة.

ولابد أن نسجل بادئ ذي بدء ملاحظة عن مدى المرويِّ من الأمثلة اللغوية في الدلالة على الواقع اللهجي الأسدي، فلقد أخذ الرواة أمثلتهم عن الأعراب الفصحاء تارة، وعن بعض الصبية تارة أخرى، وفرق كبير بين درجتي الثقة في كلا المصدرين:

قال أبو عمرو :" تغدى عندي أعرابي فصيح من بنى أسد، فلما رفع يده قلت له: ازدد، فقال: والله ما طعامك يا أبا عمرو بذى توبة، أي: لا يستحيا من أكله وأصل التاء واو "[٢].

وقال الأصمعي:" قال لي صبي من أعراب بني أسد: دَلْبِحْ، أي: طَأطِئْ ظهرك قال: ودربح مثله " [٣].

---

(١) الصاحبي: ٥٢ ، ٥٣ .

(٢)اللسان / دأب.

(٣) اللسان / د ر ب ح.

فإذا لاحظنا أن الكلام في (دلبح) يمكن أن تكون نتيجة عجز الصبي عن نطق الـراء، قلـنا: إن مـثل هذه الرواية لا تنشئ واقعًا لهجيًّا، بل هي لثغة، وإن جاءت الرواية في مادة (دلبح) عن أعراب بني أسد.

ثم إن حـرص أبي عمـرو - وهـو الراوية الممتاز - على أن يصف في نقله الأعرابي بأنه (فصيح) يجعل للمروي عنه وزنًا لا يتصف به المروي عن الصبي الأسدي في رأيـنا، وقـد كـان شـيوخ الأعـراب ينصحون الرواة ألا يأخذوا عن الصبية (الأوناع)[١].

أمثلة في الإبدال :

(١) بـنو أسد وأهل الحجاز: أَمْلَلْتُ، وبنو تميم وقيس: أمليت، ونزل القرآن باللغتين معًا [٢].

(٢) قـال الأزهري: وسمعت غير واحد من أعراب قيس وتميم يقول للأصم: أصلج[٣].

(٣) وبعـض بني أسد يقول: مُذَّكِر، فيقلبون الدال فتصير ذالاً مشددة، وقد قال الليث: الذّكر ليس من كلام العرب[٤] .

(٤) قال أبو عمرو: الدِّمْدِم: أصول الصِّلِّيان المحيل، في لغة بني أسد، وهي في لغة بني تميم: الدندن [٥].

(٥) الدنـدم: النبـت القديم المسود، كالدندن بلغة بني أسد، قال ابن سيده: ولولا أنه قال: بلغة بني أسد لجعلت ميم الدندم بدلا من نون الدندن[٦].

(٦) قال ابن الفرج: يقال: ألحق الحِسَّ بالإسِّ، قال : وسمعت بعض بني أسد: ألحق الحِشَّ بالإشِّ ... جاء به أبو تراب في باب الشين والسين وتعاقبهما[٧].

---

(١) المزهر ١/٤٠ .
(٢) اللسان / ملل.
(٣)اللسان / صلج .
(٤) اللسان/ دكر.
(٥) اللسان /دندن
(٦) اللسان/ دندم .
(٧) اللسان/ حسس .

(٧) الفراء: بنو أسد يقولون: قُولَ وقِيلَ بمعنى واحد، وأنشد:

وابتدأَتْ غَضْبى وأُمَّ الرِّحال وقُولَ: لا أهْلَ له ولا مالْ [١].

(٨) وبــرّ مكــيل، ويجوز في القياس: مكيول، ولغة بني أسد: مَكُول، ولغة رديــئة: مَكَــال، قــال الأزهري: أما مكال فمن لغات الحضريين، قال: وما أراها عربية محضة، وأما مكول فهي لغة رديئة، واللغة الفصيحة: مكيل، ثم يليها في الجودة: مكيول[٢].

(٩) قــال يعقــوب: تمــيم وأسد يقولون: قشطت - بالقاف، وقيس تقول: كشطت، وليست القاف في هذا بدلاً من الكاف؛ لأنهما لغتان لأقوام مختلفين [٣].

(١٠) أسد وتميم: قشط، وقريش تقول: كشط [٤].

(١١) قريش تقول: كشطت، وقيس وتميم وأسد تقول: قشطت، وفي مصحف عبد اللــه بن مسعود: قشطت بالقاف[٥].

(١٢) بنو أسد يقولون: ما أعوج بكلام، أي: ما أَلْتَفِتُ إليه، أخذوه من عُجْت الــناقة، وأصله: ما يعيج بقلبي شيء من كلامك، وما عجت بخبر فلان، ولا أعيج به[٦].

(١٣) والعسق: العرجون الرديء - أسدية [٧].

إن الــنظر في هذه الروايات من الناحية التوزيعية يقفنا على صواب ملاحظتنا في مقدمــة هــذا البحــث، من أن أسدًا لم تعرف الاستقرار في بيئة محددة، فهي في الــرواية الأولى مــع أهل الحجاز في مقابل تميم وقيس، وهي في الرواية الثانية منفردة في مقــابل تميم وقيس، وفي الرواية الرابعة مقابلة للغة تميم، وهي في الرواية السادسة

(١) اللسان / قول.

(٢) اللسان /كيل .

(٣) اللسان /قشط .

(٤) اللسان/ كشط.

(٥) إبدال ابن السكيت /١١٤.

(٦) اللسان / عيج .

(٧)اللسان / عسق .

تقــف في مقــابل اللغة العامة، وكذا في السابعة، ثم يتغير الموقف في التاسعة فتكون مــع تميم في مقابل قيس، على حين تضطرب الرواية الحادية عشرة فتجعلها مع قيس وتميم في مواجهة قريش.

فإذا ذكرنا أن دارسي اللهجات يعتبرون أن قريشًا ترمز إلى أهل الحجاز وأهل الحضارة، وأن تميمًا ترمز إلى أهل نجد - معدن البداوة - وجدنا أن أسدًا تسلك في لهجتها مع أهل الحضارة تارة ومع البداوة تارة أخرى .

على أن ما سبق من روايات يضع أسدًا بين قبائل البداوة التي تميل إلى التفخيم فهــم يقولــون في أصــلج: أصلخ، بالرغم من عدم التقارب بين الجيم والخاء. وهم يقولــون: قشطت في كشطت، والقاف مستعلية فوق الكاف، وهم يقولون: مكول في مكــيل، والضم أفخم من الكسر الذي هو علامة الرقة والتأنيث[1] ،كما يقولون: ما أعوج بكلامه، في مقابل: ما أعيج به . ولعل نزوعهم إلى التفخيم هو الذي يفسر نطقهــم: ألحق الحِشَّ بالإشِّ، والسين لغيرهم، والشين صوت متفشٍّ، بعكس السين الصفيرية.

ولــو أننا قارنا درجة الغنة ما بين النون والميم لكانت النون أغن، وقد نطقت أسد بالميم في مقابل النون لغيرها، فقالوا في الدندن: الدمدم أو الدندم.

أما رواية (العسق): العرجون الرديء - وهي أسدية - فلم نعثر على مقابل لها في مــادة (غرق) مثلا، ورغم أن اللغة عرفت علاقة ما بين غرق وعسق، وهي دلالة الأصــلين على التواء الخلق وعسره وضيقه وسوئه، ولكن لا علاقة بينهما في الدلالة على العرجون الرديء، فلعل ذلك من باب الترادف بين العسق والعرجون على سبيل تخصيص نوع منه .

كذلك يؤكد بدوية أسد ما روي عن أحد فصحائهم من طريق أبي عمرو من قولــه (تُؤَبــة) في موضع (وُأبة)، فالهروب من الواو المنطلقة إلى التاء الشديدة لائق بالــبدو أكــثر من الحضر، وهو بمنــزلة قول بعض العرب في وسادة: إسادة، وفي وشاح: إشاح.

---

(١) في اللهجات العربية /١٦١ .

ويبقى من الروايات السابقة مثال: أمللت، وأمليت، والأصل باللام، وقد خالف من خالف عن هذا الأصل تحقيقًا لنهج شاع في مثل: تظنى في تظن، وتمطى في تمطط، وهو نهج لا يشذ عن سنن الفصاحة التي التزم بها القرآن الكريم .

أما العدول عن (مدكر) - بالدال الشديدة - إلى (مذكر) بالذال الرخوة (وهو نطق لبعض بني أسد) فيبدو - والله أعلم - أنه كان نطقًا في بطن من بطونهم، عاشوا قريبًا من بيئة حضرية تميل إلى الأصوات الرخوة، بعكس ما عرفت به قبائل البداوة من ميل إلى الأصوات الشديدة .

ظاهرة التأنيث :

الجوهري: لغة بني أسد: سكرانة (١).

هذا المثال عنوان على مشكلة ثارت بين المجمعيين خلال الستينات (٢) .

وجوهرها أن مسلك الفصحى في تأنيث بعض الصفات المنتهية بالألف والنون أن تختمها بألف التأنيث المقصورة فيقال في (سكران): سكرى، وفي (غضبان): غضبى.

غير أن الرواية جاءت عن بني أسد باستعمال سكرانة وغضبانة، أي : باستعمال التاء في موضع الألف المقصورة، ومعنى ذلك أن ظاهرة تأنيث المذكر عندهم اتجهت إلى أن تأخذ قياسًا واحدًا فيما جاء عن الفصحى بقياسين. وإذا كانت المعاجم قد أشارت في روايتها لبعض الأمثلة إلى أنه (من لغة بني أسد) فقد جاء فيها روايات أخرى دون هذه الإشارة ففي اللسان / مادة (غرث):" غرثان ومؤنثه غرثى وغرثانة"، وفي ماده (كسل): " كسلان، والأنثى كسلى وكسلانة" وهو ما يكاد يسجل ميل الفصحى إلى إجازة الوجهين إساغة لاطراد طريقة التأنيث .

وهذا هو المسلك الذي مالت إليه اللهجات الحديثة في العالم العربي، حيث اختفي تقريبًا استعمال الألف المقصورة في التأنيث، واطراد استعمال التاء على ما روي عن بني أسد .

---

(١) اللسان / سكر .

(٢) انظر : في أصول اللغة ١/ ٨٠ - ١٠٥ .

يقـــال في العامية: سهران وسهرانة، وهيمان وهيمانة، وعيان وعيانة، وأرفان وأرفانـــة، ونعســـان ونعســـانة، وتعـــبان وتعبانة، كما يقال في الفصحى: كسلان وكســـلانة، وســـكران وســـكرانة، وغضـــبان وغضبانة، وذلك مع وجود الصيغة الأخرى بالألف المقصورة .

والتفســـير اللغـــوي لهذه الظاهرة أن نموذج (كسلانة) قد ظهر في فترة ما تنافســـا للـــنموذج (كسلى)، ثم طغى عليه آخر الأمر في سلوك العاميات، والأساس فصيح كما نرى .

ولقـــد يكـــون لازمًا لاستعمال هذا القياس في التأنيث ما رواه الأستاذ حفني ناصـــف قال: " بنو أسد يصرفون مالا ينصرف، وإنما يقع منهم ذلك فيما علة منعه الوصـــفية وزيـــادة الألف والنون، فيقولون: لست بكسلان - بالتنوين، ويلحقون المؤنث التاء فيقولون: سكرانة" [1] .

وإيـــراد الكـــلام عـــلى هذا النحو يكاد يشعر بأن الصرف والتأنيث في هذا الباب كون المؤنث من فعلان هو فعلى، فلما أنثوه بالتاء صرفوه لزوال علة المنع .

ولقـــد يترتب على ذلك أن تتجه جهود تيسير النحو العربي إلى إطلاق الحكم بصـــرف الصـــفات المشتملة على ألف ونون زائدتين، فتتساوى في المعاملة النحوية، ويـــزول عـــنها قيد عدم الصرف مع انعدام استعمال الألف المقصورة في الاستعمال اللغوي السائد .

كسر حرف المضارعة:

(١)"ويِعلم - بالكسر - لغة قيس وتميم وأسد وربيعة وعامة العرب، وأما أهل الحجـــاز وقوم من أعجاز هوازن وأزد السراة وبعض هذيل فيقولون: تَعلم، والقرآن علـــيها. قـــال: وزعم الأخفش أن كل من ورد علينا من الأعراب لم يقل إلا تِعلم بالكسر، قال: نقلته من نوادر أبي زيد " [2].

(١) مميزات لغة العرب/١٨ .
(٢) اللسان /وقى .

(٢)"ومن قال : يِتحل بكسر الياء، فهي على لغة بني أسد، فإنهم يقولون: أنا إيجَـــل، ونحن نيجل، وأنت تِيجل - كلها بالكسر، وهم لا يكسرون الياء في (يعلم) لاستثقالهم الكسر على الياء، وإنما يكسرون في ييجل لتقوى إحدى الياءين بالأخرى. ومن قال: تيجل بناه على هذه اللغة " [١].

(٣)" وبـــنو أسد يقولون: يِيجع بكسر الياء، وهم لا يقولون: يِعلم، استثقالا للكسرة على الياء، فلما اجتمعت الياءان قويتا فاحتملت ما لم تحتمله المفردة، وينشد لمتمم بن نويرة على هذه اللغة :

قعيدك ألا تسمعيني ملامة ولا تنكئ قرح الفؤاد فَيِيجَعَا

ومنهم من يقول: أنا إيجع وأنت تيجع " [٢].

(٤) ولهذا قالوا في لغة بنى أسد ييحل، وهم لا يقولون يعلم "[٣].

(٥) إذا أرادت الـــناقة أن تضع قيل: مَخِضَت، وعامة قيس وتميم وأسد تقول مِخِضَت بكسر الميم، ويفعلون ذلك في كل حرف كان قبل أحد حروف الحلق"[٤].

هـــذه روايات تشترك في نسبة الكسر إلى أسد مع قبائل أخرى كقيس وتميم وغيرهـــم من عامة العرب. والواقع الذي تؤيده الشواهد المروية أن الكسر كان فاشيًا في جمـــيع العـــرب ماعدا أهل الحجاز، ولكن بعض الأمثلة يروى عن بعضهم دون بعض، ومن ذلك ما ذكره خليل مردم بك في (كتاب الأعرابيات) من أن " التلتلة في بهـــراء، وهم بطن من تميم، يكسرون أحرف المضارعة مطلقًا، ونسب ابن فارس هـــذا الكسر لأسد وقيس وجعله عامًّا في أوائل الألفاظ، مثل: يِعلمون، ويِعلم، ومثل شعير، وبعير" [٥] .

وقـــد ذكـــر الحريري هذه الظاهرة بشكل عام حين قال: " وأما تلتلة بهراء فيكسرون حروف المضارعة فيقولون: أنت تِعلم " [٦] .

---

(١) اللسان /وجل.
(٢) اللسان / وجع.
(٣) اللسان/ يسر .
(٤) اللسان / مخض.
(٥) في كتاب الأعرابيات/ ٥٣: شعر وبعر، وانظر: الصاحبي لتصويبه/ ٥٢ ، ٥٣ .
(٦) درة الغواص / ١٨٤ .

والحق أن في هذه المسألة تفصيلاً ينبغي الوقوف عنده:

أولاً: ما يتصل بصيغة فعيل فيما عينه أو لامه أحد الحروف الستة الحلقية، وأهل الحجاز يفتحون فاءه على القياس، وتميم يكسرون الفاء إتباعًا لحركة العين، فيقولون: بِئيس ولِئيم وشِهيد وسِعيد وبِخيف ورِغيف وبِخيل، ويقولون: شِهْدٌ ولِعْبٌ وضِحْكٌ ونِغْلٌ ووِخْمٌ [(١)].

ولعل من هذا الباب ما روي عن قيس وتميم وأسد من قولهم (مِخِضَت)، ويفعلون ذلك في كل حرف كان قبل أحد حروف الحلق.

ثانيًا: " ومن الاتباع أيضًا قول بعض العرب: مِغِيرة ومِعِين، أتبعوا الكسرة الكسرة، كما قالوا : مِنِين، وقالوا في حرف شاذ: إِجِب ونِجِب ويِجِبّ، شبهوه بقولهم مِنِين " [(٢)].

ثالثًا: قال سيبويه: هذا باب ما تكسر فيه أوائل الأفعال المضارعة للأسماء كما كسرت ثاني الحرف حين قلت: فَعِل، وذلك في لغة جميع العرب، إلا أهل الحجاز، وذلك قولهم: أنت تعلم ذاك، وأنا إِعلم ، وهي تِعلم، ونحن نِعلم ذاك. قال: وكذلك كل شيء فيه فعِل من بنات الياء والواو إلى الياء والواو فيهن لام أو عين، والمضاعف وذلك قولك: شقيت فأنت تِشقى، وخشيت فأنا إِخشى، وخلنا فنحن نِخال، وعضضن فأنتن تِعْضَضْنَ وأنت تِعضين. وعلل سيبويه لذلك بقوله: إنما كسروا هذه الأوائل لأنهم أرادوا أن تكون أوائلها كثواني فعِل، وقالوا: ضربت تَضرب وأضرب، ففتحوا أول هذا كما فتحوا الراء في ضرب.

ثم قال: ولا يكسر في هذا الباب شيء كان ثانيه مفتوحًا، نحو: ضرب وذهب ... وشذ كسر أبى فأنت تِئبي، وهو يِئبي – على ماقرره سيبويه. ثم قال: وكل ذلك مفتوح في لغة أهل الحجاز وهو الأصل "[(٣)].

---

(١) كتاب سيبويه ١٠٨/٤

(٢) السابق ١٠٩/٤.

(١) الكتاب ١١٠/٤ – ١١١.

رابعًا: وبقي أخيرًا ما نص على نسبه إلى أسد، خاصًّا بالفعل (وجل يوجل)، وقد أورد سيبويه وجوه نطق الفعل على النحو التالي:

أهل الحجاز: يَوجل، مثل علم يَعلم .

غيرهـــم من العرب: هي تِيجل، وأنا إِيجل، ونحن نِيجل. وأما الياء فعلى ثلاثة أوجه:

بعض العرب: يَيْجَل كراهية الواو مع الياء .

وقال بعضهم: ياجَل فأبدلوا مكانها ألفًا كراهية الواو مع الياء .

وقال بعضهم: يِيجل، كأنه لما كره الياء مع الواو كسر الياء ليقلب الواو ياء.

وهـــذا (البعض) الأخير هم بنو أسد في رواية اللسان، وقد يوهم النص على اختصاصـــهم بهذه الرواية أنهم يقتصرون على كسر هذا الحرف من صور إسناد هذا الفعـــل، ولكن الواقع أنهم كانوا يكسرون حرف المضارعة باطراد، أي: بما في ذلك الـــياء. بل يبدو أنهم لم يقتصروا على هذا الفعل (وجل يوجل)، وإنما طردوا قياس ذلـــك في كـــل ما يشبهه من الأفعال. قال الجوهري: " في المستقبل منه أربع لغات: يَوْجَـــل، ويَـــاجَل، ويَيْجَل، ويِيجَل، بكسر الياء، قال: وكذلك فيما أشبهه من باب المثال إذا كان لازمًا، فمن قال: ياجَل جعل الواو ألفًا لفتحه ما قبلها " [1].

وقـــد يعـــثر المرء إذا تابع هذا الباب من الأفعال على روايات تثبت تصريفها عـــلى بعض الأوجه المذكورة، ففي اللسان / وسع: " وسمع الكسائي: الطريق ياتَسِع أرادوا يوتَسع ، فأبدلوا الواو ألفًا، طلبًا للخفة، كما قالو : ياجَل ونحوه".

" وحكى سيبويه يَمَن يَيْمَن: أخذ ذات اليمين "[3].

ولذلك نجد أن سلوك العامية الظاهرية يحاكي بعض هذه التصريفات اللهجية ، ســـواء فيما يماثل هذا الفعل المثال الواوي، فهو يأخذ عن أهل الحجاز تصحيح الواو، ويأخذ عن غيرهم من العرب كسر حرف المضارعة مطلقًا.

---

(١) اللسان / وجل .

(٣) اللسان / يمن .

فتقول العامة: يوْيَد ، ويِوْجَع ، ويِوْرث، ويوْرد، ويِوْسَع، ويِوْصَل، ويِوْصِف، ويوضع، يؤكَل، ويِوْهَب.

غير أن كسر المضارعة في غير هذا الباب، أعني في أبواب الصحيح لا يتبع حركة العين في الماضي، كما قرر سيبويه، بالنسبة إلى سلوك الفصحى، بل يبدو أنه يتبع حركة العين في المضارع، وهو يقتصر على الكسر والضم دون الفتح على أحد احتماليه:

(١) فإذا جاء الفعل في الفصحى من باب فَعَل يَفعُل ، فحرف المضارعة في العامية مضموم مثل : يُدخُل، ويُخرُج، ويُنصُر ... إلخ.

(٢) وماعدا ذلك من أبواب الفعل فحرف المضارعة مكسور في العامية الظاهرية مثل: يِلعَب - يِضْرَب - يِقفِل - يِنجَح - يِصغَر - يِحسِب ... إلخ .

* * *

تغير الجيم إلى ياء
في لهجات شبه الجزيرة العربية(*)

بقلم : ت.م. جونستون
ترجمة : الأستاذ سعد مصلوح

من أهم الظواهر الفونولوجية لكثير من لهجات شبه الجزيرة العربية نطق الجيم ياء. وهذا التغير الصوتي ليس محصورًا في مجموعة واحدة من اللهجات، كما أنه غير خاضع لظروف موقعية، وذلك على العكس من نطق الكاف والقاف نطقًا مزجيًّا أي انفجاريًّا - احتكاكيًّا (١) (**).

والأدلة على أن الجيم كانت تصير إلى ياء في اللغة العربية الفصحى أو في اللهجات القديمة ليست مقنعة تمامًا، كما أن هذا التغير لم يعد بصفة قاطعة -إلا عند قلة من المؤلفين - تغيرًا صوتيًّا على النحو الذي حكم به على العجعجة - مثلاً - تلك التي نسبت إلى لهجة تميم (٢) (وهي تغير iy إلى ij في حالة الوقف أساسًا).

وعندما كان بروكلمان Brockelman يعالج موضوع التغير الصوتي الحديث (٣)، بنى مناقشته على أن هذه الظاهرة قديمة أيضًا بالنسبة للصيغة (مَسْجِد)

(*) مجلة المجمع، الجزء السادس والعشرون، ص ١٨٣ - ١٩٤.
ونشر البحث في مجلة معهد الدراسات الشرقية والأفريقية التابع لجامعة لندن
(BSOAS, 1965, VOL. XXVIII,PART 2.)
بعنوان: (The Sound changejy in the Diatects of Arabic of peninsular Arabia)

(١) of Johnstone, The Affrication of 'Kaaf ' and "gaaf" in the Arabic dialects of the Arabian Peninsular, JSS, Vol. XIII, 2 1963, 210- 26.

(**) تترجم لجنة اللهجات بمجمع اللغة العربية المصطلح affricated بالمزجي (المترجم).

(٢) نسبت هذه الظاهرة أيضًا إلى قبائل أخرى. وفي هذا النوع من التغير الصوتي في اللهجات قارن كتاب سيبويه بتحقيق (ديرنبرج) ١/٣٦١ ، ٢/٣١٤ ، ٢/٣٤٢ .
وابن جني : سر صناعة الإعراب (بتحقيق السقا وآخرين ، القاهرة ، ١٩٥٤) ١/١٩٢.
وقارن أيضًا : Fleisch, Traité de philologogie arabe, Beyrouth, 1960, 78.
وكذلك: Cantineua, Cours de phonetique arabe, Paris, 1960, 86-7 .
وأيضًا : Kofler, WZKM, XIVII, 1940, 122.
وعن إمكانية الخلط بين أكثر من تغير صوتي قارن : Rabin, Ancient West Arabian, London, 1951, 199
وفي تلخيص آراء النحاة قارن: Howell, Arabic grammar, IV Allahabad, 1991,1374-8

(٣) GVG, 1 , 123.

الـــتي صارت إلى (مَسيد)، والتي اقترضتها السنسكريتية في العصور الوسطى وجعلتها (مَســـيتا) . ولكننا مع ذلك نلاحظ أن (مَسيد) تظهر الآن في عدد من اللهجات التي لا ترد فيها هذه الظاهرة النطقية كما في اللهجة السودانية مثلاً [١] .

وكذلك فإنه على الرغم من أن الجواليقي [٢] في زمن مبكر قد عاب (مَسيد) بأنهـــا نطـــق سوقي لكلمة (مَسْجِد)، فإن الأمر في الحقيقة لا يبدو كذلك، وقد دلل الدكـــتور محمود الغول بأدلة مقنعة[٣] على أن الكلمة (مَسيد) مشتقة من (سود)[٤] لا من (سجد) [٥] .

وإنـــه لمـــن المعقول في ضوء هذه الحجج أن نفترض أن (مسيد) كلمة عربية جنوبـــية قديمة من الجذر (سود)، ولقيت انتشارًا واسعًا، ووصمت بأنها سوقية، إذ نظـــر إليها على أنها تحريف لكلمة(مسجد). ولعل هذا يفسر ورودها في لهجات لا يقع فيها تغير صوتي من الجيم إلى الياء .

وقد ناقش كوفلر Kofler [٦] ولندبرج [٧] Londberg أمثلة أخرى يبدو أن الجـــيم فـــيها صارت ياء في العربية الفصحى أو في اللهجات القديمة، يناقش كوفلر تغـــير (شجر) إلى (شيَر) ، و(جشجاث) إلى (جشياث)، و(صهريج) إلى (صهريّ)، و(حصّص) إلى (يصص).

---

(١) قـــارن : م.م. المجذوب : شخصيات تربوية ١٢٩/١ الخرطوم ١٩٦٣ عند مناقشته للصيغة التونسية المقابلة.

وتعـــرض بروكـــلمان (GVG, Loc. Cit) لهذه المنطقة كان في معرض الإشارة إلى تغير الياء إلى جيم قارن:
Stumme, Marchen und Gedichte aus der stadt Tripolis in Nordafrika, Leipzig, 1893,202.

(٢) أخطاء العوام ١٤٥ - ١٤٦ (تحقيق ديرنبورج وآخرين ليبزج ١٨٧٥).

(٣) Early Southern Arabian Language and Classical Arabic sources (University of London, ph. D. thesis, 1962), 250-2 .

وأنا مدين للدكتور الغول بهذه الإشارة والإشارة التالية .

(٤) قارن تاج العروس مادة سود.

(٥) يناقش كانتنيو (cours, 60) هذه الحالة منفصلة انفصالاً كليًا عن مناقشته لتغير الجيم إلى ياء قائلاً : " تسقط الجيم قطعًا بعد السين وتنقلب إلى ياء في الكلمة (مسيد) ... "

(٦) المقال السابق ذكره ١٢١ - ١٣٢ .

(٧) Hadramoût 539, Glossaire datinois, 258 f.

ويقـــول لســـان العرب مفسرًا هذه الظاهرة بالنسبة لهذه الأمثلة كلها:" لأن العرب تجعل الجيم ياء " (مادة يصص) [١].

أما أعظم هذه الأمثلة طرافة من حيث الدلالة على التغير الصوتي، فهي الكلمة (شـيَر) التي يصاحب تغير السواكن فيها تغيرًا في الحركات. وبسبب هذا التغير زعم ابـــن جني [٢]- وهو بالتأكيد مخطئ في زعمه - أن (شيَر) هي الأصل و(شَجَر) هي الصيغة المتطورة عنها.

ويقـــدم لـــنا (لندبرج) - فيما يقدم من أمثلة - الصيغة الفصيحة (مشيَّع)[٣] مساوية لكلمة (مشجع)، و(راع) مساوية لكلمة (رجع)[٤]. ويبدو على أي حال أن هذيـــن المـــثالين يـــرجعان إلى أصلين مختلفين [٥] تداخلت بعض معانيهما أكثر من كونهما مثالين لتغير صوتي قديم .

ولهذا السبب نجد علماء فقه اللغة العربية لا يقدمون أية فكرة واضحة عن أي تغـــير صوتي عام يمكن مقارنته بما يقع في اللهجات الحديثة. على أن هناك عددًا من الحالات المعينة التي تشير إلى أن هذا التغير ربما كان خاصة لهجية في العصور القديمة.

أمـــا بالنســـبة للهجات الحديثة فقد وثقت هذه الظاهرة توثيقًا يكفي للتدليل على وقوعها في لهجات جنوبي شبه الجزيرة العربية وشمالها. وقد جاءَ ذكر شمالي شبه جزيـــرة العرب لأول مرة على لسان وتزستين Wetzstein [٦] الذي لاحظ أن الجيم تـــنطق ياء في لهجات سرديَّة، وبني صخر، وفُحَيب، وسرحان، وشرارات، وفي لهجة السكان المستقرين في تيما، ودومة الجندلية (بالجوف) ، وجبة، وحايل، والقبائل التي

---

(١) في طبعة بيروت ١٩٥٢ جثجاث. قارن أيضًا: Musil, Arabia deserta, New York, 1927,600

(٢) لسان العرب مادة شجر (والبدل لا تغير فيه الحركات) . قارن على أي حال : Leslau, Lexique soqitri, paris, 1938,424.

(٣) Glossaire datinois, loc. Cit .

(٤) po. Cit.,1626 .

(٥) نفـــس الطـــريقة مثلاً بالنسبة للصيغتين (خلغ) و(جلع). (ابن السكيت، كتاب القلب والإبدال٢٩ تحقيق هافينر) : (ed. Haffiner, Texte zur arabischen Lexiko – graphie, Leipzig, 1905).

(٦) Sprachliches aus den Zeltagern der syris. Chen Wuste', ZDMG, XXLL, 1868, 163 .

تسكن أدنى الفرات [١] .

وقـــد استطاع كانتينيو [٢] أن يؤكد هذه الظاهرة لسرحان وسردية والجوف، ولكنه لم يستطع إثباتها لبني صخر [٣] .

وكذلـــك لم يســتطع أحـــد الرواة اللغويين الذين يعرفون نجدًا معرفة جيدة أن يثبتها لحايل[٤] ، ولكنه زعم وقوعها في لهجة بني تميم في الحوطة جنوبي الرياض.

ويقـــدم (لندبرج) أمثلة عديدة لهذه الظاهرة في حضرموت، وإن كانت مواقعها الجغرافـــية لسوء الحظ لم تحدد تحديدًا دقيقا[٥]. وهو يلحظ مع ذلك وقوعها نادرًا في لهجة دثينة [٦] .

ويـــلحظ رودو كاناكيس Rhodokanakis أيضًا وقوع هذا التغير الصوتي في لهجة ظفار [٧] .

وتمـــثل لهجات الساحل الشرقي للصحراء العربية حلقة الاتصال بين اللهجات الجنوبية والشمالية [٨] ، ولهذا كان في استطاعتنا أن نحدد المنطقة التقريبية التي توجـــد

---

(١) قد أكدها مؤخرًا سوسين Socin انظر ص ١٨٧ فما بعد .

(٢) " E'tudes sur quelques parlers de normades arabes d'orient" ,AIEO, 11,1936,24-5, and . 111,1937,137-8.

(٣) على أي حال فقد قال عن تحرياته في بني صخر: " كان الاستفتاء صوريًا حتى إنه من الصعب أن نجعله أساسًا للحكم " (art . cit, 138)

(٤) يبدو من تحرياتي أن من المستبعد عدم وقوعها في لهجة حايل.

(٥) Hedremoût, 539 .

وقد أخبرني دكتور سرجانت Serjeant أن هذا التغير الصوتي عام في عربية الطبقات غير المثقفة .

(٦) Glossaire datinois, 259 .

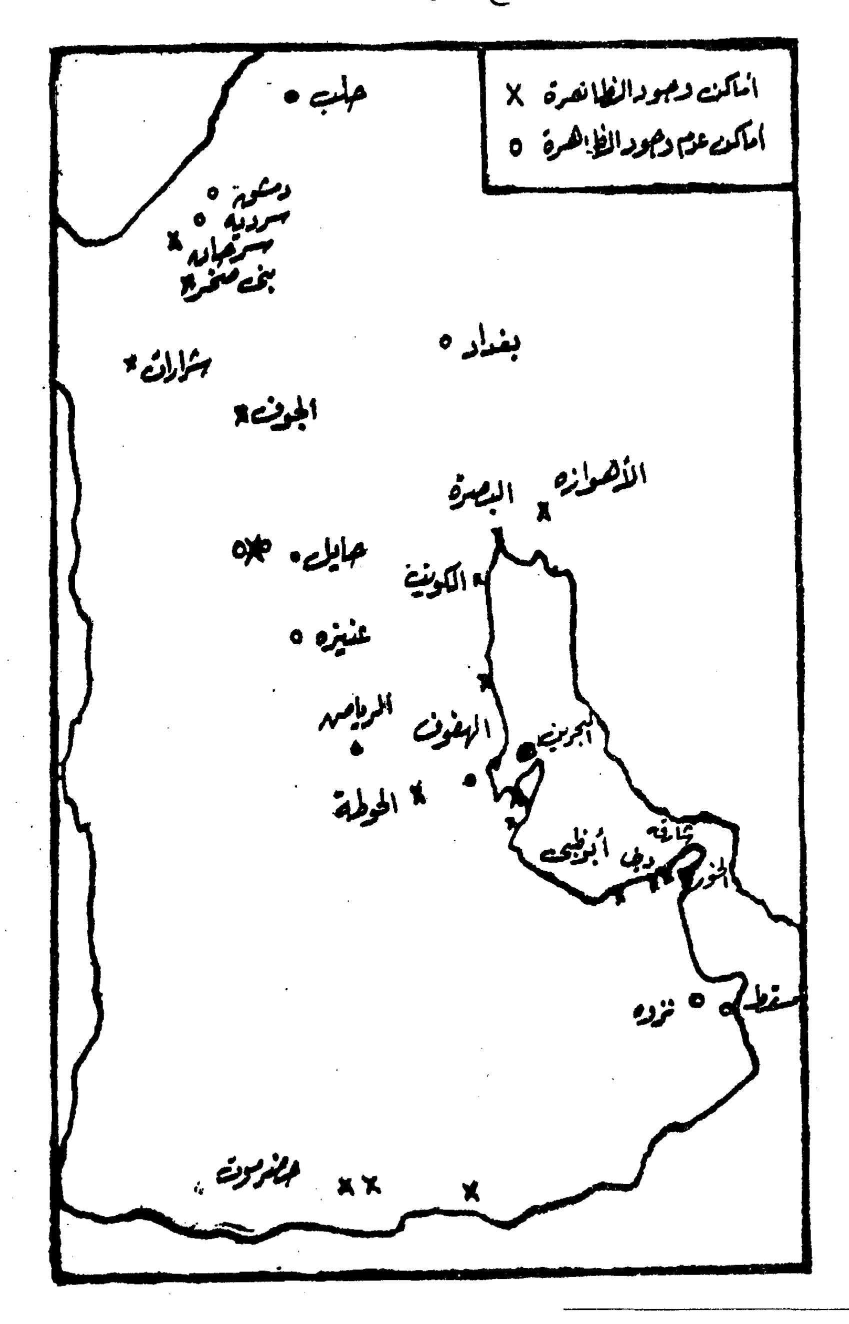
(٧) Cf. Der Vaulgarorabische Dialekt in Dafâr .

CK. Akad. d. wiss Sudarabisch e ,Exedition x) wein 1911, 76.

(٨) من الطريف أن نعرف أن هذه الظاهرة قد لاحظها في هذه المنطقة بلجراف palgrave قبل أن ينشر وتزستين بحـــثه، وذلك إذ يقول عن عربية الشارقة على الخليج العربي: إن تغير الجيم العربية إلى ياء خطأ نطقي محلي في اللهجة حيث تتحول مسجد إلى مسيد وأجمان إلى أيمان وهكذا .

(Narrative of a year's Journey through centeral and eastern Arabia, 11. London, 1865, 252.

فيها هذه الظاهرة كما هو موضح بالخريطة (١).



---

(١) فيما يتعلق بعدم وقوع هذه الظاهرة، اقتصرت الخريطة على الإشارة إلى مناطق الأطراف التي كان من المتوقع حدوثها فيها .

فـــالحد الشــــمالي الشـــرقي لوقـــوع هذه الظاهر يمكن أن يمتد على امتداد الأهواز[١].

والحـــد الجنوبي الشرقي يمتد إلى خور فكان (ويصل على وجه التأكيد إلى ما يقارب الفجيرة) في شبه جزيرة رأس الخيمة [٢].

وقـــد ســـجل لوريمر Col. Lorimer الأمثلة الآتية في الأهواز ما بين عامي ١٩٠٧ - ١٩٠٨ [٣] :

الكلمة في لهجة الأهواز	المقابل
جا، (وفي أماكن أخرى) يا جا	[أتى[*]]
جلد، ى ى ليد [**]	جلد
جَديد، يَديد	جديد
جوعان [***] ، يوعان	جوعان
جَريذى، يريذى	(جريذى) [فأر]
جُرُف ، يُرُف	جرف
يَرَس والجمع يَرُوسا	جرس

الكلمة في لهجة الأهواز	المقابل
جَرَب، يَرَب[١]	(جرب)
ى ى لا ل (وفي	

(١) من مذكرات لوريمر COL. D. L. R.Lorimer عن عربية الأهواز التي أخذت عنها الأمثلة المذكورة في ص ٧ و ٨ (وهي بمكتبة معهد الدراسات الشرقية والإفريقية).

(٢) هذا الحد الشرقي على أي حال يمكن أن يمتد حتى عمان ذاتها. وبالرغم من أن هذه الظاهرة لا توجد في لهجة مسقط إلا في الكلمة (وايد) المنقلبة عن (واحد) بمعنى كثير .
Cf. Jayakar, " the O'manee dialect of Arabic, part 1 " JRAS, NS, XXI, 1889,652.
فمن المحتمل وقوعها في لهجات الساحل العماني قرب شبه جزيرة رأس الخيمة.

(٣) احتفظ بالكتابة الأصلية في هذه الأمثلة مع تعديلات طفيفة، وقد وضعت الإضافات بين قوسين مستديرين.

(*) الكلمات التي بين الأقواس المعقوفة من الإضافات المفسرة التي ذكرها المؤلف (المترجم).

(**) لجـأت إلى فصـل الحرف للدلالة على أن الكلمة تبدأ بحركة فالياء المنفصلة مقابل الكسرة وتكرارها دلالة على أن الكسرة طويلة (المترجم).

(***) العلامة الموجودة فوق الواو والياء للدلالة على الإمالة (المترجم).

أماكن أخرى) ى لا ل [٢]	(حلال) [سرج]
جود ، يود [٣]	(جود) [قربة ماء]
جيب ، ييب	
والجمع ى يوب	جيب
حايز الجمع : حُوَايز	(حاجز)
رِيَّال	والجمع رِيَايل ، رِجَاجيل
	رجل (رجال)
ريَف	رجف
روى	روج [موجة مائية]
سُراي، والجمع سُرَايات	سراج
عرَج، عَرَى	عرج
عَوَىْ	اعوج
فنجان، فنيان	فنجان
واجد، وايد [٤]	فجْر

ويمكن أن نلاحظ هنا أمرين :

الأول: أن الجـيم والـياء في هـذه الأمثلة كلها تقريبًا يبدو أنهما صورتان اختياريتان للنطق.

---

(١) ملاحظة يفسر فيها المؤلف معنى الجرب للقارئ الأجنبي (المترجم).

(٢)of Meiszner, Neurabische Geschichten au dem Iraq, Leipzig, 1903, 116 (Pocksattal).

(٣) Meiszner, op. Cit. 171 (Lkeiner Schlauch) .

(٤) يمكن أن تكون الكلمة البغدادية (هوايا) هي هذه الكلمة نفسها ومع ذلك قارن :

N. Malaika, Grundzuge der Grammatik des arabischen Dialektes von Bagdad, Wiesboden, 1963, 35.

والـتغير الصوتي من الجيم إلى الياء ليس ظاهرة من ظواهر عربية بغداد، وانظر المرجع السابق ولاحظ الكلمة (رجال) وجمعها (ر(ى) ياجيل) المنقلبة عن : (رجا جيل) .

الثاني: لم يلاحظ وجود الصيغ المشتملة على الياء بالنسبة لكثير من الكلمات (مثل: واجب، جبهة، جرادة).

ويوجد هذا التغير الصوتي أيضًا في لهجة البصرة كما نجد في (يا - جا) .

أمـــا فيما يتعلق ببقية جنوب العراق فقد لاحظ (سوسين) أن هذا التغير سمة من سمات العربية في المنتفج وسوق الشيوخ [١] .

وفـــيما يـــلي أمثلة توضح هذه الظاهرة في لهجة الكويت في سياقات صوتية متنوعة[٢] :

ييب	جيب [أحضـــر]
يِبْت	جبت [أحضرت]
نَسِي	نسج
سِرِى	سرج
يَيت	جيت [أتيت]
يامعَه	جامعة [ربطة وهي من الكلمات البحرية]
يَرَاد	جراد
سْرَاي	سراج
دَرَىْ	درج
حَيَر	حجـــر، ثِقْـــل يستخدمه الغواص أو الصائد [لتثبيت السفينة في عرض البحر].
يوش	جـــوش [من الكلمات البحرية وهي الشراع الإضافي في السفينة]

(١) Aus einem Briefe des Dr. Soicn and prof. Noldeke ",ZDMG, XXIV, 1870, 470 .

(٢) أمثلة الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية هي من ملاحظاتي الميدانية ما لم ينص على خلاف ذلك. وبالنسبة للأمثلة الكويتية الأخرى انظر :

Holmes and Sam'aan, Handbook of Kuwaiti Arabic Arabic (publ. Kuwait Oil co.) London, c. 1951 and 1957.

وأيضًا : ج . حنفي : معجم الألفاظ الكويتية، بغداد ١٩٦٤.

يريور	جرجور [سمك القرش] .
بْلوىْ	بلوج [سكر القصب] [١]
يوعان	جوعان
يو، ياو	جاوا [جاءوا]

وقد نبذ الميل إلى هذا النطق بسبب التطور السريع في الأحوال الاجتماعية والاقتصادية الجديدة في الكويت ، واستبدلت معظم الكلمات التي تنطق فيها الجيم ياء - أو هي في طريقها للاستبدال - بما يناظرها في العربية العامة pan – Arabic Koiné

على أن هذا النطق مازال يفرض نفسه في كلمات معينة كثيرة الشيوع (مثل: يا)، وفي كلمات محلية ليس لها نظير دقيق في العربية العامة، ويتصل أكثر هذه الكلمات بالبحر والملاحة [٢]. وبالرغم من أن الميل إلى نطق الجيم ياء أصبح في حكم العدم، ومن ثم كان من الصعب أن نفصل في الأمر - فإنه يبدو صحيحًا أن الجيم في كلمات كثيرة في اللهجة الكويتية لم تنطق ياء أبدًا حتى في المصطلحات البحرية الراسخة في القدم كما في (جِيب) وجلنكًا وجالبوت [٣] .

ولا توجد هذه الظاهرة في كلام الكبار من أفراد القبائل التي كانت تقطن مناطق ما وراء الساحل الكويتية، وأعني بها الرشايدة والعوازم والمطير والعجمان. وينطبق هذا الأمر عليهم، حتى بعد استيطانهم الكويت بوقت طويل. ولكن هذه الظاهرة، مع ذلك، يمكن ملاحظتها في كلام الجيل الأصغر سنًّا من أفراد القبائل الذين قضوا سنوات المراهقة في الكويت، حتى ولو كانوا يتكلمون في حضرة من يكبرونهم سنًّا.

---

(١) cf. Socin, Diwan aus Cenetralarabien, Leipzig, 1900, glossary.

(٢) من ذلك مثلاً بعض المصطلحات الفنية التي سجلها جونستون وموير Muir في بحثهما :
'Some noutical terms in the Kuwaiti dialect of Arabic", BSOAS, XXVII, 2 1964, 299-332.

(٣) انظر البحث السابق. وكون هذه الكلمات مقترضة لا يؤثر على هذا الادعاء فإن التغير الصوتي المحلي يؤثر على كلمات مقترضة أخرى كما في الكلمة الفارسية (جرخ) التي صارت إلى (كرخ) و (شرخ) كما تظهر في صورة (جرخ).

ونطق الجيم ياء من ظواهر لهجات السحا [(١)] والبحرين. والأمثلة التالية شواهد من لهجة البحرين:

تْبِينّا	تجينا [أنت تحضرين إلينا]
يد [ى] رى	جدرى
يهَّال ، يْهَال	جهال [أطفال]
يابوا	جابوا (أحضروا)
يَــ (je,jae)	جا (جاءَ) .
نْعَيز	تعجز
عَيَل (منقلبة عن أجل)	عجل [بمعنى : ثم ماذا ؟ أو وبعدين ؟]
[ى يون	يجون [يحضرون]
عَيُوز	عجوز [امرأة عجوز]

وفي الأمثلة الآتية يحدث التحول بالصورة الآتية:

ij, ji → ii, aj → ee, yij (yaj) → y (I) , yj (I) (y) i

مِيدَاف	مجداف (منقلبة عن مجداف)
رِيل	رجل
مِستَعِيل	مستعجل
ويــه	وجه

(الـــلا) يـــزيك (خير) (الله) (يـــ) ييون (y) iibuun [(٢)] يجيبون يجزيك (خير)

ولاحظ أيضًا الكسرة الطويلة الخالصة ii المنقلبة عن ayu (aju) في : [(٣)]

رِيل رَجُل

---

(١) سجلت في مذكراتي وجود هذه الظاهرة في الظهران وإن لم أورد أمثلة على ذلك.

(٢) ى ى يــبون iibuun أكثر اختصاصًا بلهجة البحرين و (ييبون) أخص بلهجات شرقي شبه الجزيرة العربية الأخرى . (Hadramoû p. 59)

(٣) يقدم لاندبرج Landberg مثالاً مشابهًا له هو : عجز الذي تحول إلى عيز .

وهـــناك على أية حال كثير من الكلمات الشائعة التي لا تنطق فيها الجيم ياء كمـــا في نحو حجْرة لا حيرة، وجماعة أكثر من يماعة. ولا تقع هذه الظاهرة كذلك في الكلمات المأخوذة عن اللغة العامة كما في عالج (علاجا طبيًّا).

وتتمتع ظاهرة نطق الجيم ياء بحرية الوقوع في قَطَر في لهجات سكان الشمال المستقرين استقرارًا تامًّا. ولكنها تختفي بشكل ملحوظ من كلام أنصاف المستقرين: بـــني هاجر في الشمال، والمناصر في الجنوب، وتتمتع بحرية أقل في الحدوث في كلام السكان المستقرين من أهل الدوحة.

وكـــلام أهـــل الشـــمال - من هذه الناحية ومن نواح أخرى - أكثر شبهًا والتصـــاقًا بكـــلام البحرين، على حين يميل الكلام الجنوبي إلى أن يكون أكثر شبهًا بكلام السعوديين جيران قطر من ناحية الجنوب [1].

وهذه الأمثلة التالية من الشمال:

عايلين	عاجلين
عَوِى	عوج (ركن)
نَيم	نجم (نوع من الحشائش)

أما الأمثلة الآتية فهي من الدوحة :

ريَّال، ريَّال	رجال (رجل)
وايد	واجد (كثير)
برِى	برج (للمراقبة)
(ى) ببرون	يجرون (أو يدفعون في التحديف)
يِسْره	جسرة (جندل)

وبالـــرغم مـــن أن هـــذه الظاهرة لا توجد في كلام العناصر القبلية التي هي حديـــثة الاستقرار نسبيًّا في قطر، أو العناصر التي ظلت على بدويتها فإنها موجودة في

(١) لا يصـــدق هذا على أهل الدوحة الذين ينحدرون من أصل فارسي، والذين لا يقع في كلامهم نطق الجيم ياء بصورة غير نادرة .

لهجات القبائل القطرية الأقدام استقرارًا، ومن ثم نجد في بلدة بيت كثير [١] .

خَرِي والجمع خِرُوِيْ   خُرْج .

عَيَأي   عجاج (أثر السفينة)

(عجاج)   (عجاج) (الغبار)

وفي لهجـات ساحل الصلح البحري [*] Trucial Caost يظهر تغير الجيم إلى يـاء في عدد من الكلمات أكثر مما هو موجود في اللهجات الأخرى في شرقي شبه الجزيـرة العربـية. وتلاحـظ هذه الظاهرة بصورة أكثر في مجرى الحديث العادي، ولكـنها تقـع عـلى نحو أقل في كلام المثقفين من أهالي دبي وشارحة (الشارقة) ، وتمثلها الأمثلة الآتية:

دبي :

انْيرَ	انجر (هلب - خُطّاف)
ياوَشِ	جَاوَش [غير اتجاه السفينة]
ويـــه	وجـــه

البوريمي :

فنْيان	فنجان
حْياي	حجاج (حاجب العين)
خارِي [٢]	خارج
مْسِيد [٣]	مسجد
تريع	ترجع (أنت)
يابية	جابية (صهريج)

---

(١) من ملاحظات صديقي ويلكنسون .

(*) مصطلح يطلق على مجموعة من المشيخات ارتبطت بمعاهدة مع بريطانيا، وتشمل الشارقة، ورأس الخمية، وأم القيوين، وعجمان، ودبي، وأبو ظبي، وكلبة ، ومشيخة الفجيرة غير المحمية (المترجم) .

(٢) في معظم اللهجات الأخرى لشرقي الجزيرة العربية تنطق : خارج .

(٣) قارن هذا النطق بالنطق (مسجد) في مسقط Muscat (Masqat) ففي هذه المنطقة يمكن أن يكون أصل الكلمة هو مسيد أو مسجد .

نايح [1] ناجح

أبو ظبي [2] :

ميْهود	مجهود (مريض)
ميْرور	مجرور (ممدود)
يَلّف	جلف (قشر)
بِداد	جداد (البلح الظازج)
يِفْره	جِفره (حفرة)
يناح	جناح
يرْز	جرز (كلمة تطلق على الفأس في الشحوح)

ومن التغيرات الصوتية الأكثر تعقيدًا في (أبو ظبي) الأمثلة الآتية :

ساروق ←ـ سارو گ ←ـ ساروج (*) سارويْ (ممشى رملي).

لدغ ←ـ لد گ ←ـ لَدَىْ

وتمكننا المادة التي قدمت من لهجات شرقي الجزيرة العربية، منضمًا إليها تلك المعلومات المتاحة لنا عن المناطق الأخرى من الوصول إلى نتائج معينة هي:

(أ) أن التطور الصوتي من الجيم إلى الياء ليس مشروطًا بالسياق الصوتي.

(ب) أن الجيم لا تنطق ياء في عدد من الكلمات الشائعة، ومن ثم نجد في البوريمي ذاتها: حجرة بالجيم لا بالياء [3] .(بمعنى حُجْرة) .

(ج) من الممكن وقوع العكس على ما هو ظاهر في نطق الجيم ياء بطريقة اختيارية .

---

(١) في معظم اللهجات الأخرى لشرقي الجزيرة تنطق : ناجح .

(٢) مأخوذة من ملاحظات ويلكنسون .

(*) النجمة هنا للإشارة إلى أن الصيغة مفترضة (المترجم) .

(٣) cf, also Cantinueau, "Etudes", 137 .

والكلمة msiid استثناء من هذا التعميم في لهجة عمان المحمية. وقد يعني هذا تأييد القول بأن msiid = مسيد.ومهما يكن الأمر فعدم وقوع masjid = مسجد يمكن تفسيره أيضًا من زاوية النطق المحلي للكلمة (مسقط).

(د) هـــذه الظاهـــرة تخـــترق الحدود اللهجية العادية، ومن ثم نجدها في بعض اللهجات الشَّمَّرية (سردية وسرحان) ولهجات الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية (وإن كانت لا تظهر في اللهجات ذوات القربى في وسط نجد)، وفي بعض لهجات جنوبي الجزيرة العربية .

* * *

من وجوه الاختلاف بين لغة الحجاز واللُّغات الأخرى وآثار ذلك في اللهجات العامِّيَّة المعاصرة(*)

للدكتور علي عبد الواحد وافي
عضو المجمع

أولاً: في الأسماء المفردة:

١- الأم: بضم الهمزة وفقًا للغة الحجاز، وبكسرها وفقًا للغة هوازن وهذيل، وعلى لغة الحجاز تسير معظم اللهجات العامية المعاصرة. وعلى لغة هوازن وهذيل تسير بعض اللهجات العامية في سورية ولبنان.

٢- إياك: بكسر الهمزة وتشديد الياء المفتوحة وفقًا للغة الحجاز، وبكسر الهمزة وتخفيف الياء المفتوحة وفقًا للغة بعض العرب. وعلى لغة الحجاز تسير اللهجات العامية المعاصرة، غير أن هذه الكلمة قد فقدت في هذه اللهجات معنى الضمير، إلا في موضع واحد وهو أن تجيء بعد واو العطف، وفي هذه الحالة تسقط همزتها في النطق (رُحْت وَيَّاك). وفيما عدا هذه الحالة يجيء هذا الضمير في اللهجات العامية المعاصرة للتحذير وللترجي (إيَّاك تمشى مع فلان، إيَّاك تكون عملت بالوصية)، ومجيئه للتحذير عربيّ فصيح. وأما مجيئه للترجي فلم نعثر عليه في لغة عربية فصيحة. ولعل هذا الاستعمال من باب الأضداد.

٣- الجمعة: بضم الميم وفقًا للغة الحجاز، وبسكونها وفقًا للغة تميم. وعلى لغة تميم تسير اللهجات العامية المعاصرة.

٤- الحصاد: بكسر الحاء وفقًا للغة الحجاز، وبفتحها وفقًا للغة تميم. وعلى لغة تميم تسير بعض اللهجات العامية المعاصرة، وعلى لغة الحجاز يسير بعضها الآخر.

٥- الصِّراط: بالصاد وفقًا للغة قريش، وبالسين وفقًا للغات عامَّة العرب، ما عدا عذرة وكعب وبني القين فإنهم ينطقونها بالزاي، ومن العرب من ينطقها بين

(*) بحث عرض على اللجنة، في الدورة الحادية والخمسين سنة ١٩٨٥، وأقرته اللجنة.

الصاد والزاي كما ينطق بالظاء في عامية مصر. وعلى لغة السين تسيربعض اللهجات العامية المعاصرة، وعلى لغة الصاد يسير بعضها الآخر.

٦- الصِّراط، السَّبيل، الزُّقاق، الطَّريق ... إلخ: هذه الكلمات مؤنثة في لغة الحجاز، ومذكرة في لغة بني تميم، وعلى لغة بني تميم تسير اللهجات العامية المعاصرة.

٧- الضّعف: بضم الضاد لغة قريش، وبفتحها لغة تميم، وعلى لغة تميم تسير معظم اللهجات العامية المعاصرة.

٨- عليهم: بكسر الهاء وسكون الميم وفقًا للغة قريش. وبضم الهاء وسكون الميم لغةٌ لبعض العرب. وبكسر الهاء ومدِّ الميم بالواو لغةٌ لبعض العرب كذلك. وتسير اللهجات العامية المعاصرة على ضم الهاء وسكون الميم. وفي اللهجة المصرية تُقْلَب الياء إلى حرف مدٍّ شبيه بحرف é الفرنسية.

٩- غشاوة: بكسر الغين وفقًا للغة قريش، وبفتحها وفقًا للغة ربيعة، وبضمها وفقًا للغة بعض العرب. وعلى لغة قريش تسير اللهجات العامية المعاصرة.

١٠- غلظة: بفتح الغين وفقًا للغة الحجاز، وبكسرها وفقًا للغة أسد، وبضمها وفقا للغة بعض العرب. وعلى لغة أسد تسير اللهجات العامية المعاصرة.

١١- المرض: بفتح الراء وفقًا للغة قريش، وبسكونها وفقًا للغة بعض العرب. قال ابن جني في المحتسب: "ينبغي أن يكون "مرض" هذا الساكن لغة في "مرض" كالحلب والحلب والطرد" (الأول ٥٣، ٥٤). وفي الشوارد للصغاني " المرض بسكون الراء مرض القلب خاصة" (ص٣) — وعلى لغة قريش تسير اللهجات المعاصرة.

ثانيًا: في الجمع:

١٢- سكارى، كسالى: بضم السين والكاف وفقًا للغة قريش، وبفتحهما وفقًا للغة تميم. وعلى لغة تميم تسير اللهجات المعاصرة.

١٣- عورات: بسكون الواو وفقًا للغة قريش، وبفتحها وفقا للغة بني تميم وهذيل، قال البغدادي – في الخزانة – : "لغة هذيل فتح عين فعلات، جمع فعلة،

المعـــتلة العين مثل عورة وعورات، وجوزة وجوزات، وبيضة وبيضات" – وعلى لغة قريش تسير اللهجات العامية المعاصرة.

١٤– الهـــدى (ما يهدى للبيت الحرام من الذبائح): بسكون الدال وفقا للغة قريش، وبكسر الدال وتشديد الياء – كمَطِيَّة ومَطِيّ – لغة بني تميم. وعلى لغة قريش تسير اللهجات العامية المعاصرة.

ثالثًا: في الأفعال:

١٥– اســـتحيى: بياء بعد الحاء وفقًا للغة قريش، وبدون ياء بعد الحاء وفقًا للغة تميم. وعلى لغة تميم تسير اللهجات المعاصرة.

١٦– أعطى: بالعين لغة قريش، وإبدال العين نونًا لغة اليمن، ومن كلامه – علـــيه السلام – محاكيًا لغة اليمن: "اليد العليا المنطية خير من اليد السفلى المنطاة " – وعلى لغة اليمن تسير اللهجة العراقية، وعلى لغة قريش تسير معظم اللهجات العامية المعاصرة.

١٧– تجلـــس، نجلـــس، يجلـــس ... إلخ: بفتح حرف المضارعة لغة قريش وبكســـره لغة تميم وربيعة. قال أبو جعفر الطوسي – في تفسيره – :"إن الكسر هو كذلك لغة هذيل، " وعلى لغة تميم وربيعة وهذيل تسير اللهجات العامية المعاصرة.

١٨– حـــزن: مـــتعدٍّ بنفسه وفقًا للغة قريش، ومتعدٍّ بالهمزة وفقًا للغة تميم. ويتعدى بالتضعيف في اللهجات العامية المعاصرة.

١٩– حســـب يحســـب: من باب فَرِحَ وفقا للغة قريش، وبكسر السين في الماضـــي والمضارع لغة بني كنانة، قال في المصباح: "حسبت زيدًا قائمًا، أحسبه، من بـــاب تعـــب، في لغة جميع العرب إلا بنى كنانة فإنهم يكسرون المضارع، من كسر الماضي أيضًا، على غير قياس ". وعلى لغة بني كنانة تسير اللهجات العامية المعاصرة.

٢٠– فـــرغ: من باب نصر لغة قريش، ومن باب فرح لغة بني تميم. وتسير بعـــض الـــلهجات العامية على فتح الفاء والراء في الماضي، وفتح الراء في المضارع، ويسير بعضها الآخر على كسر الفاء والراء في الماضي، وفتح الراء في المضارع.

رابعًا: التقاء الساكنين:

٢١- تجيز لغة الحجاز التقاء الساكنين: إذا كان أولهما ألفًا والحرف الآخر مشددًا، مثل دابَّة، شابَّة، الضالِّين ... إلخ، وفي بعض لغات العرب تبدل الألف همزة فرارًا من التقاء الساكنين. قال أبو حيَّان في - البحر المحيط -: حكى أبو زيد دأبة، وشأبة في كتاب الهمز. وجاءت منه ألفاظ، ومع ذلك لا يقاس على هذا الإبدال؛ لأنه لم يكثر كثرةً تسمح بالقياس. وقال أبو زيد: سمعت عمرو بن عبيد يقرأ: ﴿فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جأن﴾ فظننته قد لحن، حتى سمعت عن العرب: دأبة وشأبة. قال أبو الفتح ابن جني: وعلى هذه اللغة جاء قول كثير:

فأنت ابن ليلى خير قومك مشهدًا إذا ما العوالي بالعبيط احمأرَّت

وقول الآخر (الصحيح قول كثير هو نفسه):

وللأرض أمَّا سودُها فتجلَّلَتْ بَياضًا وأمَّا بيضها فادْهأمَّتِ

وعلى ما قال أبو الفتح " إنها لغة " ينبغي أن ينقاس- وعلى لغة قريش تسير اللهجات العامية المعاصرة.

خامسًا: الهمز وعدمه:

٢٢- قريش لا تهمز فتقول: يومنون، المومنون ... الخ: وتميم تهمز فتقول: المؤمنون، يؤمنون ... إلخ - وعلى لغة تميم تسير معظم اللهجات العامية المعاصرة.

٢٣- الإمالة: أن تنطق بفتحة الحرف السابق للألف قريبة من الكسرة وبالألف قريبة من الياء، وهي على ضربين متوسطة وشديدة. والإمالة لغة عامَّة أهل نجد من تميم وقيس وأسد. والفتح هو: إبقاء فتحة الحرف السابق للألف وإبقاء الألف على حالهما. والفتح لغة الحجاز، وهو منقسم إلى فتح شديد وفتح متوسط، فالشديد: هو فتح المتكلِّم لفيه بلفظ الحرف الذي بعده ألف، ويسمى التفخيم، وهو **غير مستعمل عند العرب. وأكثر ما يوجد في ألفاظ** أهل خراسان ومن قَرُبَ منهم؛ لأنَّ طباعهم في العجمة جرت عليه، فاستعملوه كذلك في اللغة العربية. والمتوسط: هو عدم فتح المتكلِّم لفيه بلفظ الحرف الذي بعده ألف. ويسير على طريقة الفتح

المتوسط معظم اللهجات العربية المعاصرة. ويسير على طريقة الإمالة بعض هذه اللهجات، وخاصة عند أهل بني غازي بليبيا، وعند جميع العرب النازحين إلى مصر من الغرب البراعصة، الفوايد، الرماح، الحرابي، أولاد علي، سمالوس، خويلد، الضعفاء .. إلخ.

ومقام معظمهم في المنيا وبني سويف والفيوم والإسكندرية وضواحيها.

سابعًا: القاف وإبدالها جيمًا غير معطَّشة:

٢٤- حدث اختلاف كبير في مخرج القاف عند العرب، وفي هذا يقول ابن خلدون - في مقدمته في أثناء كلامه على لغة البدو في المغرب في عصره إذ يقلبون القاف جيمًا غير معطشة -: " وما وقع في لغة هذا الجيل العربي لهذا العهد (يقصد بذلك لغة البدو في المغرب في عصره) حيث كانوا من الأقطار فإنهم لا ينطقون بها من مخرج القاف عند أهل الأمصار، كما هو مذكور في كتب العربية: أنّه من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى، ولا ينطقون بها أيضًا من مخرج الكاف، وإن كان أسفل من موضع القاف وما يليه من الحنك الأعلى، بل يجيئون بها متوسِّطة بين القاف والكاف (وهي الجيم غير المعطَّشة). وهو موجود لهذا الجيل أجمع حيث كانوا من غرب أو شرق، حتى صار ذلك علامة عليهم من بين الأمم والأجيال لا يشاركهم فيه غيرهم، وحتى إن من يريد التعرُّب والانتساب إلى الجيل والدخول فيه يحاكيهم في النطق بها. وعندهم أنه إنما يتميز العربي الصريح من الدخيل في العروبة والحضرى بالنطق بهذه القاف. ويظهر بذلك أنها لغة مُضَرٍ بعينها، فإن هذا الجيل - الباقين معظمهم ورؤساؤهم شرقًا وغربًا - من ولد منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن عيلان، من سليم بن منصور، ومن بني عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن منصور، وهم لهذا العهد أكثر الأمم من المعمور وأغلبهم، وهم من أعقاب مُضَر، وسائر الجيل منهم في النطق بهذه القاف أُسْوةً. وهذه اللغة لم يبتدعها هذا الجيل، بل هي متوارثة فيهم متعاقبة. ويظهر من ذلك أنها لغة مضر الأولين، ولعلّها لغة النبيِّ (ﷺ) بعينها. وقد ادَّعى ذلك فقهاء أهل البيت (يقصد بذلك فقهاء الشيعة)، وزعموا

أن مـــن قـــرأ في أمّ الكـــتاب ﴿اهدنا الصِّراطَ المُسْتقيم﴾ بغير القاف التي لهذا الجيل (المستجيم) فقد لَحَنَ وفسدت صلاته - و لم أدْرِ من أين جاء هذا؟ فإن أهل الأمصار أيضًـــا لم يستحدثوها (فإنهم كانوا لعهده ينطقون القاف قافًا) وإنما تناقلوها من لدن سلفهم، وكان أكثرهم من مُضَر لَمَّا دخلوا الأمصار من لَدُنِ الفتح. وأهل الجيل أيضًا لم يستحدثوها" (المقدمة تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي، الجزء الثالث، صفحتي ١٢٨٣، ١٢٨٤).

فيظهر من كلام ابن خلدون أن كلا النطقين يمثل لغة قديمة من لغات العرب .

هذا، وعلى لغة القاف تسير اللهجات العامية في بعض بلاد مصر (وخاصة في رشيد وبعض بلاد بني سويف) وفي معظم مناطق تونس والجزائر والمغرب. وعلى لغة الجيم غير المعطَّشة تسير معظم اللهجات العاميَّة المعاصرة. وتقلب القاف همزة في لهجة القاهــرة وضواحيها والجيزة والفيوم وبني سويف، ولهجة أهل فارس، وبعض لهجات الشام .

من أهم المراجع في جميع ما تقدم:

لســـان العرب، القاموس المحيط، المصباح المنير، معجمات مجمع اللغة العربية، الشوارد للصغاني، الحجة لأبي علي الفارس، المحتسب لابن جني، البديع لابن خالويه، الخزانة للبغدادي، البحر المحيط لأبي حيان.

* * *

مختارات من أسماء المدن المصرية القديمة وصلاتها اللغوية بصورها الحالية الموظفة على ألسنة الدارجة ربطًا للحديث بالقديم(*)

للدكتور عبد العزيز صالح محمد
عضو المجمع

استمرت بعض الأسماء المصرية القديمة باقية حتى الآن بالنسبة لعدد من أسماء المدن والقرى المعاصرة، وإن حدث شيء من التغير في صورها النطقية مع إضافة أدوات التعريف العربية إليها أحيانًا، مع ما يدل عليه هذا من تسامح الإسلام ولغته العربية مع بعض المسميات القديمة. ونستشهد فيما يلي بنماذج مختارة من أسماء هذه المدن والقرى مرتبة ترتيبًا ألفبائيًّا :

١- أدفو:

اسم لمدينة في أقصى الصعيد، ورد في اللغة المصرية القديمة بلفظ " زبا " و " زبو " (بالزاي والباء)، وجاءت في النصوص القبطية " ثبو " (بالثاء) في اللهجة الصعيدية بتحويل الزاي ثاء؛ و " اتبو " في اللهجة البحيرية بتحويل الثاء تاء، مع قالب الباء فاء فيهما.

وجدير بالذكر أن هناك بلدة في الوجه البحري باسم (اتفو) بالتاء والفاء ذكرها ياقوت الحموي في كتابه (المشترك) باسم ادفو بالدال. وعرفت المدينة كذلك باسم " بحدة " بمعنى العرش، عرش معبودها حور، المرموز إليه بهيئة الصقر، وأطلق عليها الإغريق اسم " أبوللو بوليس ماجنا"(Apollo polis Magna أي مدينة أبوللو الكبرى ؛ ويُعْتَبَر معبدها القديم من أكملِ المعابدِ المصرية القديمة في عصورها المتأخرة .

٢- إسنا:

اسم لمدينة في محافظة قنا، ورد في النصوص المصرية القديمة بلفظ "سني " ولفظ " تاسني " أيضًا بعد إضافة تاء كأداة تعريف للمؤنث المفرد، أو تاء بمعنى أرض

(*) عرض هذا البحث على مؤتمر الدورة الستين (١٩٩٣ - ١٩٩٤).

العبور. وكتب هذا الاسم في اللهجات القبطية بلفظ " سين " و لفظ " اسنه " ووصفت المدينة بأنها " أونية " Iwnyt ربما بمعنى " ذات عمد " تشبيهًا لها بمدينة أونو الشمالية (عين شمس) وأطلق الإغريق عليها اسم " لاتوبوليس ".

٣- أسوان :

وردت بلفظ سونو Swnw منذ القرن ١٢ ق. م . بمعنى " السوق"، وهو سوق التبادل التجاري بين جنوب مصر والنوبة وما يليها؛ تحول اللفظ إلى "سوان" في النصوص القبطية ؛ ثم حُرِّف في الإغريقية إلى " سويني" أو " سيني " وكانت قد سبقته تسمية " آبو " بمعنى (العاج) وأطلقت على الجزيرة المقابلة لأسوان، إذ كان العاج يرد إليها من الجنوب ويباع في سوقها .. وأطلق الإغريق عليها اسم "إلفانتين" بمعنى جزيرة الفيل .

٤- جرجا :

تنطق أحيانًا (جرجة): اسم وظف مصطلحًا مصريًّا قديمًا؛ ويعني في الأصل: المنشأة أو المنشية والمؤسسة والعزبة؛ وهكذا قيل: " جرجة بتاح حتب " بمعنى منشأة أو عزبة بتاح حُتب .

٥- دندرة:

مدينة قديمة في الصعيد الأعلى كتب اسمها بالهيروغليفية " تانثرة " بالتاء والثاء، ثم أبدلت التاء دالاً لما بينهما من صلات صوتية - وكذلك الحال في الثاء التي يبدو أنها أبدلت تاء ثم دالاً فيما بعد؛ ومعناها أرض المعبودة (حتحور) .. المرموز إليها بهيئة بقرة مقدسة .

٦- سيوط (أو أسيوط) :

اسمٌ للمدينة المعروفة بهذا الاسم في صعيد مصر على نهر النيل، وهذا الاسم له عدة معان فهو المحروسة ، والحارسة، والمحمية، والمرْقب .. وكان لها دور سياسي قديم في بداية العصور التاريخية في القرن الثاني والثلاثين ق. م .. وكذلك الحال في عصر الانتقال الأول في القرن الحادي والعشرين ق . م .

وتسمية المدينة بصيغتين مختلفتين نسبيًا امتد أثرها إلى الاصطلاح العام كما في نحو السيوطي أو الأسيوطي إشارة إلى العالم المصري المعروف .

٧- طيبة: Thebes

اســـم مصري قديم متأغرق لكبرى المدن الأثرية في مصر القديمة، ورادف في أهميـــته الشـــهرة التاريخية الحالية لكلٍّ من مدينة الأقصر ومعبد الأقصر معًا .. وكان تالـــيًا مـــن حيث الزمن والاستعمال لاسم " واسة " الذي سبق أن خُلِع على هذه المدينة وإقليمها ومعناه " الصولجان ".

ويحـــتمل اشتقاق الاسم " طيبة " في حوالي القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد مـــن لفظـــة " إبـــة " المصرية القديمة، ومعناها الحرم والحريم، وذلك بعد إلحاق تاء الـــتعريف لـــلمفرد المؤنث في أولها، فصارت " تاإبة " أو " تيبة " بالتاء ثم " طيبة " بالطـــاء ؛ وصارت أيضًا علمًا على معبدها الرئيسي، وهو معبد الأقصر تمييزًا له عن معـــابد الكرنك التي تقع في شماله، وكانت مواكب المعبود (آمون) تحتفي فيه بعيده الأكـــبر (عيد الإخصاب والزواج المقدس) خلال شهر " بابه " - في أكتوبر - من كـــل عام .. وظلت لفظة " إبة " أو طيبة أكثر شيوعًا في النصوص الدينية والأدبية ، عـــنها في النصوص العادية أو اليومية الحياتية، وكثيرًا ما كان يشار إليها باسم " نوت آمـــون " أي مدينة معبودها الأكبر (آمون) مع الاكتفاء أحيانًا بلفظة " نوت " أو لفظة " نة " أي " المدينة " فحسب ..، وهو ما تغير إلى " نو " في العبرية و " نيي " Niie في الأشـــورية، وإلى " نه " NH في النصوص القبطية بلهجتها الصعيدية . وما زالت آثار طيبة وفنونها وكنوزها القديمة تعد من أروع منشآت عصرها؛ وقد أسماها الإغـــريق " ديوس بوليس ماجنا " (Deus polis Magna) أي مدينة الإله الكبرى ، تعبيرًا عن قداستها المطلقة .

وقـــد وقع خلط قديم بينها وبين " ثيباي " HSBai أي طيبة التي أسست في بلاد الإغريق فيما بعد. أما تسميتها بالأقصر حاليًا فلها أكثر من احتمال: ربما سميت كذلـــك تشبيهًا لمعابدها الشامخة بالقصور. والأقل احتمالاً كون التسمية ذات صلة

بالعـــبارة اللاتينـــية (دوا كاسترون) (ومعناها المعسكران) والتي تحولت في نطق بعض العرب المجاورين لها إلى لقصور .

٨-قوص:

وردت بصـــيغة " جوســـي " في النصوص الهيروغليفية بجيم تشبه نطق الجيم القاهـــرية، ودُوِّنـــت بحرف القاف ثم بحرف الكاف؛ في إطار ما بين هذه الأصوات الثلاثة من قرابة نطقية، ومعروفٌ أن القاف الفصيحة تنطق في الصعيد جافًا بما يشبه الجيم القاهرية، مع إبدال السين صادًا.

٩- الكاب:

اســـم بلدة أثرية قرب أدفو في محافظة أسوان؛ وأغلب الظن أن لفظها القديم يـــرجع إلى لفظة " انخاب " حيث تحولت (خاؤها إلى كاف ونونها إلى لام) نتيجة للتـــبادل الصوتي بين هذه الأصوات؛ وقد رمز سكانها الأوائل إلى معبودتها (نخبة) أو (نخابة) بهيئة أنثى العُقَاب واعتبرها الملوك المصريون القدماء من الأمهات المقدسات وتباركوا بتزيين جباههم برمزها في المحافل الدينية التقليدية ..

١٠- كوم أمبو:

تســـمية لمدينة في أقصى الصعيد يُحتمل أنها ترجع في أصلها إلى لفظة "نبيت" أو " نبـــية " Nbyt ربمـــا بمعنى الذهبية – ثم تحولت في النصوص القبطية إلى " نبو " بالـــنون في الـــلهجة الصـــعيدية، " وأمبو " بالميم في اللهجة البحيرية باستبدال الميم بالنون وإضافة الهمزة في أولها، ثم أضيفت إليها لفظة " كوم "، والكوم معروف لكل ما تجمع وارتفع له رأس من تراب أو رمل أو حجارة أو غيره .

* * *

ثالثًا:

اللهجات العامية المحلية

العامية عاميّات (*)

والواجون حمآتها: أنماط

للدكتور عدنان الخطيب

عضو المجمع

١ -فاتحة الكلام :

قـــال الله عـــزَّ من قائل: ﴿ وَهٰذَا لِسَانٌ عربيٌّ مُبِينٌ ﴾ (١)، وكان كتابه الكريم عنوانَ الفصاحة الذي لا يجارى، وقمةَ البيان الذي لا يبارى، فلمَّا ساد الإسلام العرب، وكانت لقبائلهم لهجاتٌ فيها تفاوت، ثمَّ لـــمَّا انتشر بين أُممٍ لا تتكلم العربية، جاعلاً مـــن جمعهم أُمةً واحدةً، أفرادُها أُخوةٌ لا يتفاضلون إلاَّ بالتقوى، أخذ اللحن يتسربُ إلى نطـــقِ الخاصـــةِ فـــيهم، كما تفشت الرطانةُ في مجتمعاتِهم، ممَّا أفزع علماءَ الدين واللغـــة، وأخافهم على الفصحى من سوءِ الجوار، فأخذوا يتصدَّوْنَ للحنِ ويكافحون للقضاءِ عليه بما لديهم من علمٍ وقوةِ إيمان .

وكان أول من تصدى للحن النبي ﷺ يوم سمع رجلاً قرأ فلحن فقال: " أرشدوا أخاكم " (٢)، وبعده كتب الخليفة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري ـــ بعد أن قرأ رسالة منه فيها لحن ـــ يقول: "إنَّ كاتبكَ الذي كتب إليَّ لحن فاضربْه سوطًا" (٣).

وجـــاء بعدهما الإمام علي، وقد خاف فشوَّ اللحن، فأمر بتقعيد العربية وضبط أُصولها حتى عَجم حروفها .

ثم تـــتالى الغَـــيارى على الفصحى، يكتبون ويؤلفون ويحثُّون الخاصة قبل العامة على وجوب الابتعـــاد عن اللحن، والتقيد بضوابط اللغـــة والتـــزام النطق بالسليم من

(*) ألقي البحث في الجلسة الثانية لمؤتمر الدورة السابعة والخمسين، في ٢١ من فبراير سنة ١٩٩٠م . ونشر بالعدد ٦٦ من مجلة المجمع، ص ٢٩ .

(١) النحل ١٦ / ١٠٣ .

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه عن أبي الدرداء . صحيح ٢/ ٤٣٩.

(٣) سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ١١٢ القاهرة .

اللفـــظ. وكـــان الكسائي في طليعتهم ولحق به الفرَّاءُ وأبو عبيده فالسجستاني والمازني فـــابن قتيبة، إلى أن انتهت سلسلةٌ طويلةٌ من علماءِ اللغة بالحريري والجواليقي ثم بابن بريٍّ والخفاجي في القرن الحادي عشر الهجري[1].

(١) تجد سلسلة هؤلاء العلماء وأسماء مؤلفاتهم وتواريخ وفاتهم ضمن جداول صنعناها لأشهر المشاركين في بناء المعجم العربي، نثبتها فيما يلي توثيقًا ودعمًا للإفادة من هذا البحث .

أشهَرُ المشتركِينَ في بنَاءِ المُعْجَم العَرَبيِّ

العصر	الشهرة	الاسم الكامل	الولادة	الوفاة	معطياته للمعجم وأهم مؤلفاته اللغوية	مرجع معجمي لترجمته
القرن الأول	الليثي	نصر بن عاصم	.. ..	٨٩ هـ ٧٠٧م	ترتيب حروف الهجاء .	الأبناء ٢٢٤/١٩
القرن الثاني الهجري	أبو مالك الأعرابي	عمرو بن كركرة النميري	.. ..	.. ..	خلق الإنسان . الخيل . النوادر .	البغية ٢٦٧/٢
	أبو خيرة	الأعرابي العدوي	.. ..	.. ..	الحشرات .	الفهرست ٤٥/١
	أبو عمرو	زبان بن العلاء عمار التميمي	٧٠هـ ٦٩٠م	١٥٤هـ ٧٧١م	النوادر .	الأعلام ٧٢/٣
	الخليل	ابن أحمد الفراهيدي أبو عبد الرحمن	١٠٠هـ ٧١٨م	١٧٠هـ ٧٨٦م	العين. معاني الحروف . النقط والشكل .	الأعلام ٣٦٣/٢
	الليث	ابن المظفر الخراساني أبو هشام	.. ..	١٨٠هـ ٧٩٦م	إتمام العين .	الأنباء ٤٣/١٧
	يونس النحوي	ابن حبيب الضبي	٩٤هـ ٧١٣م	١٨٢هـ ٧٩٨ م	معاني القرآن . اللغات .	الأعلام ٣٤٤/٩
	الكسائي	علي بن حمزة الأسدي أبو الحسن	١١٩هـ ٧٣٧م	١٨٩هـ ٨٠٥م	معاني القرآن. المصادر. الحروف. ما تلحن فيه العامة .	الأعلام ٩٣/٥
القرن الثالث الهجري	النضر	ابن شميل التميمي أبو الحسن	١٢٢هـ ٧٤٠م	٢٠٣هـ ٨١٩م	الصفات . السلاح . غريب الحديث .	الأعلام ٣٥٧/٨
	أبو عمرو	الشيباني إسحاق بن مرار	٩٤هـ ٧١٣م	٢٠٦هـ ٨٢١م	الحروف. غريب الحديث . النحلة . الإبل. الخيل. النوادر. خلق الإنسان .	الأعلام ٢٨٩/١
	الفراء	يحيى بن زياد الديلمي أبو زكريا	١٤٤هـ ٧٦١م	٢٠٧هـ ٨٢٢م	معاني القرآن. اللغات. ما تلحن فيه العامة. مشكل اللغة .	الأعلام ١٧٨/٩
	اللحياني	علي بن حازم أبو الحسن	.. ..	٢٠٧هـ ٨٢٢م	النوادر .	معجم المؤلفين ٧ /٥٦
	أبو عبيدة	معمر بن المثنى التميمي	١١٠هـ ٧٢٨م	٢٠٩هـ ٨٢٤م	ما تلحن فيه العامة. الإنسان. الزرع . الشوارد. معاني القرآن. غريب الحديث .	الأعلام ١٩١/٨
	أبو زيد	الأنصاري سعيد بن أوس	١١٩هـ ٧٣٧م	٢١٥هـ ٨٣٠م	النوادر. المطر. المياه. خلق الإنسان. الشهر. غريب الأسماء .	الأعلام ١٤٤/٣
	الأخفش الأوسط	سعيد بن مسعدة المجاشعي	.. ..	٢١٥هـ ٨٣٠م	تفسير معاني القرآن . الاشتقاق .	الأعلام ١٥٤/٣
	الأصمعي	عبد الملك بن قريب أبو سعيد	١٢٢هـ ٧٤٠م	٢١٦هـ ٨٣١م	غريب الحديث. الإبل. الأضداد. خلق الإنسان. المترادف. الجهات. الخيل .	الأعلام ٣٠٨/٤
	ابن سلام	القاسم الهروي أبو عبيد	١٥٧هـ ٧٧٤م	٢٢٤هـ ٨٣٨م	الغريب المصنف. غريب القرآن. غريب الحديث. الأنساب.	الأعلام ١٠/٦
	أبو مسحل	الأعرابي عبد الوهاب بن حريش	.. ..	٢٢٨هـ ٨٤٣م	النوادر . الغريب.	معجم المؤلفين ٦ /٢١٨
	ابن الأعرابي	محمد بن زياد أبو عبد الله	١٥٠هـ ٧٦٧م	٢٣١هـ ٨٤٥م	أسماء الخيل. البئر. النوادر. الدرع .	الأعلام ٣٦٥/٦
	الباهلي	أحمد بن حاتم أبو نصر	.. ..	٢٣١هـ ٨٤٦م	اشتقاق الأسماء. ما تلحن فيه العامة. الزرع والنخل. الشجر والنبات. الجراد .	الأعلام ١٠٤/٩
	ابن السكيت	يعقوب بن إسحاق أبو يوسف	١٨٦هـ ٨٠٢م	٢٤٤هـ ٨٥٨م	الألفاظ. إصلاح المنطق. الأضداد. الحشرات . غريب القرآن . النبات والشجر .	الأعلام ٢٥٥/٩

	ابن حبيب	محمد البغدادي أبو جعفر	.. ..	٢٤٥هـ ٨٦٠م	المحبّر . خلق الإنسان. المنمق. الأمثال على أفعل .	الأعلام ٣٠٧/٦
	السجستاني	سهل بن محمد الجشمي أبو حاتم	.. ..	٢٤٨هـ ٨٦٢م	ما تلحن فيه العامة. الشجر والنبات. الأضداد. الطير. الوحوش. الحشرات. العشب والبقل .	الأعلام ٢١٠/٣
	أبو إسحاق	إبراهيم بن سفيان الزيادي	.. ..	٢٤٩هـ ٨٦٣م	أسماء السحاب والرياح والأمطار .	الأعلام ٣٤/١
	المازني	بكر بن محمد أبو عثمان	.. ..	٢٤٩هـ ٨٦٣م	ما تلحن فيه العامة .	الأعلام ٤٤/٢
	الهروي	شمر بن حمدويه أبو عمرو	.. ..	٢٥٥هـ ٨٦٩م	الجيم. غريب الحديث. السلاح. الجبال والأودية .	الأعلام ٢٥٣/٣
	ابن قتيبة	عبد الله بن مسلم الدينوري	٢١٣هـ ٨٢٨م	٢٧٦هـ ٨٨٩م	غريب الحديث. الاشتقاق. مشكل القرآن. النبات. غريب القرآن. أدب الكاتب .	الأعلام ٢٨٠/٤
	الدينوري	أحمد بن داود أبو حنيفة	.. ..	٢٨٢هـ ٨٩٥م	النبات. ما تلحن فيه العامة. إصلاح المنطق.	الأعلام ١١٩/١
	المبرد	محمد بن يزيد الأزدي أبو العباس	٢١٠هـ ٨٢١م	٢٨٦هـ ٨٩٩م	الكامل. المذكر والمؤنث. إعراب القرآن. المقتضب .	الأعلام ١٥/٨
	ثعلب	أحمد بن يحيى الشيباني أبو العباس	٢٠٠هـ ٨١٦م	٢٩١هـ ٩٠٤م	الفصيح. المجالس. معاني القرآن. معاني الشعر. ما تلحن فيه العامة .	الأعلام ٢٥٢/١
القرن الرابع الهجري	كُراع النمل	علي بن الحسن الهنائي أبو الحسن	.. ..	بعد ٣٠٩ هـ ٩٢١ م	المنجد. المنضد. غريب اللغة .	الأعلام ٧٩/٥
	الأخفش الأصغر	علي بن سليمان النحوي أبو الحسن	.. ..	٣١٥هـ ٩٢٧م	المهذب. الأنواء. التثنية والجمع .	الأعلام ١٠٣/٥
	الهمذاني	عبد الرحمن بن عيسى	.. ..	٣٢٠هـ ٩٣٢م	الألفاظ الكتابية .	معجم المؤلفين ١٦٣/٥
	ابن دريد	محمد بن الحسن الأزدي أبو بكر	٢٢٣هـ ٨٣٨م	٣٢١هـ ٩٣٣م	الجمهرة. الاشتقاق. الملاحن. صفة السرج واللجام. المطر والسحاب . اللغات .	الأعلام ٣١٠/٦
	نفطويه	إبراهيم بن محمد الأزدي أبو عبد الله	٢٤٤هـ ٨٥٨م	٣٢٣هـ ٩٣٥م	غريب القرآن .	الأعلام ٥٧/١
	الأنباري	محمد بن القاسم أبو بكر	٢٧١هـ ٨٨٤م	٣٢٨هـ ٩٤٠م	المزهر. الأضداد. غريب الحديث. شرح المعلقات.	الأعلام ٢٢٦/٧
	قدامة	ابن جعفر البغدادي أبو الفرج	.. ..	٣٣٧هـ ٩٤٨م	جواهر الألفاظ.	الأعلام ٣١/٦
	الزجاجي	عبد الرحمن بن إسحاق أبو القاسم	.. ..	٣٣٧هـ ٩٤٩م	الإبدال والمعاقبة والنظائر. الأمالي. معاني الحروف .	الأعلام ٦٩/٤
	غلام ثعلب	محمد بن عبد الواحد أبو عمر	٢٦٠هـ ٨٧٥م	٣٤٥هـ ٩٥٧م	اليواقيت في غريب القرآن. غرائب الحديث. المداخل. المستدرك .	الأعلام ١٣٢/٧
	البشتي	أحمد بن محمد الخارزنجي	.. ..	٣٤٨هـ ٩٥٩م	تكملة العين.	الأعلام ٢٠٠/١
	الفارابي	إسحاق بن إبراهيم أبو إبراهيم	.. ..	٣٥٠هـ ٩٦١م	ديوان الأدب .	الأعلام ٢٨٤/١
	أبو الطيب اللغوي	عبد الواحد بن علي الحلبي	.. ..	٣٥١هـ ٩٦٢م	المثنى. الإبدال. الأضداد. الفروق .	الأعلام ٣٢٥/٤
	الأصبهاني	علي بن الحسن الأموي أبو الفرج	٢٨٤هـ ٨٩٧م	٣٥٦هـ ٩٦٧م	الأغاني .	الأعلام ٨٨/٥
	القالي	إسماعيل بن القاسم البغدادي أبو علي	٢٨٨هـ ٩٠١م	٣٥٦هـ ٩٦٧	البارع. الأمالي. الممدود والمقصور. الأمثال.	الأعلام ٣١٩/١

	الأزهري	محمد بن أحمد الهروي أبو منصور	٢٨٢هـ ٨٩٥م	٣٧٠هـ ٩٨١م	تهذيب اللغة. غريب الألفاظ .	الأعلام ٦/٢٠٢
	علي أبو القاسم	علي بن حمزة البصري اللغوي	.. ..	٣٧٥هـ ٩٨٥م	التنبيهات على أغاليط الرواة. ردود على إصلاح المنطق. الفصيح .	الأعلام ٥/٩٤
	الزبيدي	محمد بن الحسن الأندلسي أبو بكر	٣١٦هـ ٩٢٨م	٣٧٩هـ ٩٨٩م	مختصر العين. لحن العامة.	الأعلام ٦/٣١٢
	العسكري	الحسن بن عبد الله أبو أحمد	٢٩٣هـ ٩٠٦م	٣٨٢هـ ٩٩٣م	تصحيفات المحدثين. المختلف والمؤتلف.	الأعلام ٢/٢١١
	الرتابي	علي بن عيسى أبو الحسن	٢٩٦هـ ٩٠٨م	٣٨٤هـ ٩٩٤م	الألفاظ المترادفة.	الأعلام ٥/١٣٤
	الصاحب	ابن عباد إسماعيل أبو القاسم	٣٢٦هـ ٩٣٨م	٣٨٥هـ ٩٩٥م	المحيط. جوهرة الجمهرة .	الأعلام ١/٣١٢
	ابن جني	عثمان الموصلي أبو الفتح	.. ..	٣٩٢هـ ١٠٠٢م	الخصائص. سر الصناعة.	الأعلام ٤/٣٦٤
	الجوهري	إسماعيل بن حماد أبو نصر	.. ..	٣٩٣هـ ١٠٠٣م	الصحاح .	الأعلام ١/٣٠٩
	ابن فارس	أحمد بن زكريا أبو الحسين	٣٢٩هـ ٩٤١م	٣٩٥هـ ١٠٠٤م	مقاييس اللغة. المجمل. الصاحبي. الفصيح. فقه اللغة.	الأعلام ١/١٨٤
	العسكري	الحسن بن عبد الله أبو هلال	.. ..	بعد ٣٩٥هـ ١٠٠٥م	الفروق. أسماء بقايا الأشياء. ما تلحن فيه الخاصة.	الأعلام ٢/٢١١
	البرمكي	محمد بن تميم أبو المعالي	.. ..	بعد ٣٩٧هـ ١٠٠٧م	المنتهى في اللغة. ترتيب الصحاح بحسب أوائل الكلمة.	معجم المؤلفين ٩/١٣٨
القرن الخامس الهجري	الهروي	أحمد بن محمد أبو عبيد	.. ..	٤٠١هـ ١٠١١م	غريب القرآن. غريب الحديث.	الأعلام ١/٢٠٣
	الإسكافي	محمد بن عبد الله الخطيب	.. ..	٤٢٠هـ ١٠٢٩م	غلط العين . مبادئ اللغة.	الأعلام ٧/١٠٢
	الثعالبي	عبد الملك بن محمد أبو منصور	٣٥٠هـ ٩٦١م	٤٢٩هـ ١٠٣٨م	فقه اللغة . المتشابه . المضاف والمنسوب.	الأعلام ٤/٣١١
	ابن التيجاني	همام بن غالب الأندلسي	.. ..	٤٣٦هـ ١٠١٤م	الموعب.	الأعلام ٢/٧٠
	ابن سيده	علي بن إسماعيل أبو الحسن	٣٩٨هـ ١٠٠٧م	٤٥٨هـ ١٠٦٦م	المحكم والمحيط الأعظم. المخصص. شرح التسهيل .	الأعلام ٥/٦٩
القرن السادس الهجري	الراغب الأصفهاني	حسن بن محمد أبو القاسم	.. ..	٥٠٢هـ ١١٠٨م	المفردات في غريب القرآن. تحقيق البيان .	الأعلام ٢/٢٧٩
	التبريزي	يحيى بن علي الشيباني أبو زكريا	٤٢١هـ ١٠٣٠م	٥٠٢هـ ١١٠٨م	تهذيب إصلاح المنطق. وتهذيب الألفاظ لابن السكيت.	البغية ٢/٤١٢
	الحميري	نشوان بن سعيد	.. ..	٥١٣هـ ١١٧٨م	شمس العلوم.	الأعلام ٨/٢٣٦
	ابن القطاع	علي بن جعفر السعدي أبو القاسم	٤٣٣هـ ١٠٤١م	٥١٥هـ ١١٢٢م	التنبيه والإيضاح عما وقع في كتاب الصحاح. تهذيب الأبنية والأفعال .	معجم المؤلفين ٧/٥٠٩
	الحريري	القاسم بن علي البصري أبو محمد	٤٤٦هـ ١٠٥٤م	٥١٦هـ ١١٢٣م	مقامات أبي زيد. درة الغواص في أوهام الخواص .	الأعلام ٦/١٢
	البطليوسي	عبد الله بن محمد أبو محمد	٤٤٤هـ ١٠٥٢م	٥٢١هـ ١١٢٧م	المثلث. الاقتضاب .	الأعلام ٤/٢٦٨
	ابن الأشتركوني	محمد بن يوسف التميمي الأندلسي	.. ..	٥٣٨هـ ١١٤٣م	المسلسل في غريب اللغة.	الأعلام ٨/٢٢
	الزمخشري	محمود بن عمر أبو القاسم	٤٦١هـ ١٠٧٥م	٥٣٨هـ ١١٤٤م	أساس البلاغة. مقدمة الأدب. الفائق في غريب الحديث .	الأعلام ٨/٥٥
	الجواليقي	موهوب بن محمد أبو منصور	٤٦٦هـ ١٠٧٣م	٥٤٠هـ ١١٤٥م	المعرب. تكملة إصلاح ما تخلط فيه العامة.	الأعلام ٨/٢٩٢

	البيهقي	أحمد بن علي	٤٧٠هـ ١٠٧٧م	٥٤٤هـ ١١٥٠م	ينابيع اللغة. المحيط بلغات القرآن. تاج المصادر.	الأعلام ١٦٨/١
	الأنباري	عبد الرحمن بن محمد الأنصاري أبو البركات	٥١٣هـ ١١١٩	٥٧٧هـ ١١٨١م	أسرار العربية. لمع الأدلة .	الأعلام ١٠٤/٤
	ابن بريّ	عبد الله بن محمد المقدسي أبو محمد	٤٩٩هـ ١١٠٦م	٥٨٢هـ ١١٨٧م	حواشي على الصحاح. حواشي على درة الغواص .	الأعلام ٢٠٠/٤
القرن السابع الهجري	ابن الأثير	مجد الدين مبارك بن محمد الجزري	٥٤٤هـ ١١٥٠م	٦٠٦هـ ١٢١٠م	النهاية في غريب الحديث والأثر على حروف المعجم.	الأعلام ١٥٢/٦
	ابن الأثير	محمد بن نصر الله الشيباني	٥٨٥هـ ١١٨٩م	٦٢٢هـ ١٢٢٥م	نعت الفواكه والثمار.	الأعلام ٣٤٧/٧
	الصاغاني	الحسن بن محمد العمري	٥٥٧هـ ١١٨١م	٦٥٠هـ ١٢٥٢	العباب. مجمع البحرين. التكملة والذيل. الشوارد في اللغات. الأضداد .	الأعلام ٢٣٢/٢
	الزنجاني	محمود بن أحمد أبو المناقب	.. ..	٦٥٦هـ ١٢٥٨م	تهذيب الصحاح. تنقيح الصحاح.	الأعلام ٣٧/٨
	الرازي	زين الدين محمد بن محمد	.. ..	٦٦٦هـ ١٢٦٨م	مختار الصحاح . غريب القرآن.	الأعلام ٢٧٩/٦
	الشاطبي	محمد بن علي الأنصاري أبو عبد الله	٦٠٩هـ ١٢٠٤م	٦٨٤هـ ١٢٨٥م	حواشي على صحاح الجوهري .	الأعلام ١٧٣/٧
القرن الثامن الهجري	ابن منظور	محمد بن مكرم الأنصاري	٦٣٠هـ ١٢٣٢م	٧١١هـ ١٣١١م	لسان العرب.	الأعلام ٣٢٩/٧
	أبو حيان	محمد بن يوسف الأندلسي	٦٥٤هـ ١٢٥٦م	٧٤٥هـ ١٣٤٤م	تحفة الأريب في غريب القرآن. ارتشاف الضرب من لسان العرب .	الأعلام ٢٦/٨
	الفيومي	أحمد بن محمد المقري أبو العباس	.. ..	٧٧٠هـ ١٣٦٨م	المصباح المنير .	الأعلام ٢١٦/١
القرن التاسع	الفيروزآبادي	مجد الدين محمد بن يعقوب أبو طاهر	٧٢٩هـ ١٣٢٩م	٨١٧هـ ١٤١٥م	القاموس المحيط. الجليس. البلغة. تحبير الموشين. اللامع. العين. الإشارات. المثلث.	الأعلام ١٩/٨
القرن العاشر	السيوطي	جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر	٨٤٩هـ ١٤٤٥م	٩١١هـ ١٥٠٥م	المزهر. الأشباه والنظائر. بغية الوعاة. أسماء الأسد.	الأعلام ٧١/٤
القرن الحادي عشر	الخفاجي	شهاب الدين أحمد بن محمد	٩٧٧هـ ١٥٦٩م	١٠٦٩هـ ١٦٥٩م	شرح درة الغواص. شفاء الغليل.	الأعلام ٢٢٧/١
القرن الثاني عشر	الزبيدي	مرتضى محمد بن محمد الحسيني	١١٤٥هـ ١٧٣٢م	١٢٠٥هـ ١٧٩٠م	تاج العروس. مختصر العين. التكملة والصلة والذيل للقاموس. الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف.	الأعلام ٢٩٧/٧

٢-العامية في عصر النهضة العربية :

كـــان القرن الثالث عشر للهجرة (القرن التاسع عشر الميلادي) عصر النهضة العربـــية بعـــد سُبات عدة قرون، أخذ الواعون خلاله يتغنون بالأمجاد العربية، ويدعون إلى العـــناية بنشـــر التراث العربي وينادون بوجوب أن تكون العربية لغة التعليم، ولغة الإدارة والدواويـــن، وفـــيه ظهرت معجماتٌ عربيةٌ حديثة ومؤلفاتٌ لغويةٌ قيمة، كما نشـــرت مؤلفـــاتٌ تدعـــو حملةَ الأقلامِ إلى اجتناب الأخطاءِ اللغوية، وتبين لهم ما في كتاباتِهم من تحريف وتصحيف ومنافاة للفصحى .

وكانـــت سياســـة المطامع الأوربية، التي تخفي الرغبة في بعثرة الأقطار العربية، تعمـــل ما وسعها لزعزعة الأواصر بين تلك الأقطار وبثِّ روح الإقليمية فيها، مع دعم أنصـــار العامـــيَّة ليزدادوا تمسكًا بها، وسعياً وراء سيادتِها في كل قطر من تلك الأقطار الشقيقة .

وتقتضـــينا الدِّقة في البحث أن نفرد نبذةً خاصة لكل قطر من الأقطار التي تعاني مـــن طغـــيان العاميَّة فيها مع قيام محاولاتٍ للحدّ من انحرافات العاميَّة لتثبيت دعائمها وذلك فيما يلي:

٣-أولاً: في مصر :

شـــهدت مصر في القرن الماضي نهضةً عربيةً قويَّة بلغت الأوج في نشاطها، بعد أن ابتُعِثـــت الـــبعوث للتزود بالثقافة العصريَّة، واستقدمت الحكومة علماءَ أوربيين ، وكلَّفتهم تدريس اختصاصاتهم بالعربيَّة.

(١) مـــن لطـــيف ما اطلعت عليه، أن شابًّا مصريًّا يدعى حسن توفيق كان في النصـــف الـــثاني من القرن التاسع عشر، يدرس بعض العلوم في ألمانيا – على ما ظهر لي – وقـــد كُلف بتدريس اللهجة المصرية بالمدرسة الشرقية ببرلين، فلمَّا عاد إلى مصر مدرسًـــا للتربية وتاريخ أدب اللغة بمدرسة المعلمين نشر رسالة عنوانها (أُصول الكلمات

العامية)[١] قدَّمها لقارئيه بقوله :

"... كنت أجد في الألفاظ والتراكيب التي يستعملها المصريون في التحاور إما عربية محضة، ولكن اعترى الكثير منها القلب والإبدال والتصحيف والتحريف، أو غير عربية جاءت بها الدول التي حكمت مصر، وليس عدد هذه الكلمات باليسير، وحال بيني وبين نفوذي في هذا البحث وقتئذ الاشتغال بدراستي الخصوصية في فنون أُخرى" [٢] .

وإليكم بعض نماذج مما جاءَ في رسالة (حسن توفيق) الأُولى مع تعليق شخصي عليها:

١-بَـحْ: تستعمل هذه الكلمة للأطفال بمعنى لم يبق، وأَصلها (بحباح)، ففي لسـان العرب قال اللحياني: زعم الكسائي أنه سمع رجلاً من بني عامر يقول: إذا قيل لنا: أبقي عندكم شيءٌ؟ قلنا: بحباح، أي لم يبق .

وأنـا أَقول: إذا كان المعجم الوسيط عرف لفظة بحباح بقوله: كلمة تنبئ عن نفـاد الشيء وفنائه، فلا مانع من أن نضيف إلى هذا التعريف قولنا: ويستعمل مقطع الكلمة الأول (بَحْ) في مخاطبة الأطفال تخفيفًا.

٢-دحْ: كلمة يقولونها للأَطفال بمعنى حسن ولطيف، وأَصلها (داح) بالألف بـين الـدال والحـاء، ففي الصحاح: الداح: نقش يلوح به للصبيان يعللون به، يقال للدنيا : داحة . ا هـ .

أَقول لم يذكر الوسيط التعريف المذكور، ولا أَرى مانعًا من إثباته .

٣-صَـهْين: يقولون: صهين. فعل أَمر بمعنى انتظر أَو اسكت قليلاً، وأَصل هذه الكلمة (صهٍ) بالتنوين وهو اسم فعل أَمر بمعنـى اسكت ، زادوا فيه اليـاءَ وصرَّفوه تصريف الأَفعال .

---

(١) وهي تحمل تحت هذا العنوان جملة (الرسالة الأولى)، وقد طبعت بمطبعة الترقي بمصر سنة ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م.
(٢) انظر صفحة ٣ من مقدمة الرسالة .

وجـــاءَ في المعجم الوسيط أن (صَهْ) بمعنى اسكت وقد يُنَوَّن .. فإذا نوّن كان معناه دع كل حديث ولا تتكلم. وأنا لا أرى مانعًا من أن يضيف الوسيط إلى تعريفه مـــثل هذه الجملة : (والعامة تضيف ياء إلى الفعل المنوّن فيقولون: صَهْيِن بمعنى انتظر ولا تتكلم) .

(ب) وقيض الله للعربية من غيارى مصر على الفصحى مدرسًا بالمدارس الأميرية اسمـــه الشـــيخ محمـــد علي الدسوقي، إذ نشر قبل الحرب العالمية الأُولى كتابًا عنوانه (تهذيب الألفاظ العامية)[1] .

وصـــف الشيخ الدسوقي أدواءَ اللغة العربية، وحاول أن يصف لها الدواءَ ببيان مـــا طـــرأ على الفصحى من علل، وكان لحن العامة بالفصيح من ألفاظها أهم ما رأى ضـــرورة معالجـــته، وبخاصة تخفيفهم اللفظ المشدّد أو تشديد المخفّف وتحريك الحرف الســـاكن أو تســـكين المـــتحرك، وضم المكسور أو المفتوح وكسر أو فتح المضموم، وزيادة حرف على الكلمة أو حذف حرف .

ومـــيَّز الشـــيخ الدسوقي بين لهجة أهل القاهرة ولهجة أهل الإسكندرية، وبين لهجات أقاليم الوجه البحري ولهجات الوجه القبلي .

وانـــتهى، قبل ما يزيد على ثلاثة أرباع القرن، إلى ما نؤمن به نحن مجتمعين في دورتـــنا السادسة والخمسين إذ تحدث عن المعجم المأمول أن يضعه المتخصصون قائلاً: "يجـــب أن يضم جميع الأسماءَ التي قدم عليها العهد وتداولتها العامة حتى صارت معرَّبة ولـــيس لهـــا في العربـــية مـــرادف، نحو: البندقية والمدفع، وكذلك أسماء المعادن التي استكشـــفت حديـــثًا نحو: البلاتين، والراديوم، أما ما اخترع حديثًا ولم يصـــل إلـــى أفواه العامة فتوضع له ألفاظ مناسبة لمعناه إن أمكن، وإلاّ هذّب وبقي على حاله" [2].

---

(١) طبع هذا الكتاب سنة ١٣٣١هـ = ١٩١٣م بمطبعة أبي الهول بالقاهرة .

(٢) انظر ص ٧ من الكتاب الملمح إليه آنفاً .

أقــول: ما بالنا نحن اليوم وقد سجلنا في معجمنا الوسيط كلمة (فوتوغراف) الاسم الذي كان شائعًا للحاكي، ثم نتردد في تسجيل كلمة (فيديو vidio) الدخيلة الاســم الشــائع للمسجل التلفازي، أو لكلمة Remote — Control الدخيلة أيضًا الاسم الشائع لجهاز السيطرة عن بعد أي المسيطر التلفازي .

وكذلــك اسم الدّب الحائر الجنسية بين الصين والهند، وكان غير معروف قبل أواخر القرن الماضي Panda، كما عرّبه زميلنا البعلبكي (بندة) ؟

(ج) وطلع علينا في الثلاثينيات المجمعيّ الكبير أحمد عيسى بكتاب قيم عنوانه: (المحكــم في أُصــول الكلمات العامية) [1] فكان فيه مدققًا متتبعًا جذور الألفاظ التي يــرددها المصريون في أحاديثهم وأسواقهم، في قراهم ومدنهم، ضابطًا نطقهم بها مشيرًا إلى التحريف الذي دخَل الكلمة الفصحى حتى وصلت إلى الشكل الذي ينطق به العامة أو إلى أصل الكلمة إن كانت دخيلة غير عربية .

ثم جــاءَ الدكتور عيسى بعد بحث دقيق عن تاريخ اللحن في العربية ومسبباته، يقــول عــن العامــية المصرية: " هي تبتعد عن الفصحى في شيئين الإعراب وتركيب الحــروف " [2] . ثم يقول: " وقد يستغرب المتأمل في بعض الكلمات بُعدها هذا البعد عــن أصــلها الفصــيح " إلى أن يقول: " إن هذا الاستغراب ليزول، وهذا الاستبعاد ليــنمحي متى عُلم أن التغيير في الكلمات الفصيحة لم يحدث مرة واحدة، بل إن هذه الألفــاظ قــد تعاورتها أدوار من التغيير تناولتها مرة بعد أُخرى، وأنه كان هناك عامةٌ علــيا وعامــةٌ سفلي أتت بعد الأُولى، وزادت عليها في تغيير ألفاظ اللغة "[3] .ويختم الدكــتور عيسى مقدمة كتابه بإيضاحِ غايته من الجهود التي بذلها في تتبع العامية قائلاً: " وإني لأرجــو أن يستفيد منه كل قارئٍ ويعمل به كل كاتب حتى يعود للغة رونقها

(١) طبع هذا الكتاب في مصر سنة ١٩٣٩ .

(٢) انظر صفحة س من مقدمة الكتاب المذكور .

(٣) انظر صفحة ف من المقدمة السابق ذكرها .

الساحر، ويرجع إليها غناها الباهر ، فتفخر وتتيه على كل اللغات بقدمها أدهرًا عظيمة وأعمارًا طويلة " .

(د) ومـــنذ الخمسينيات أخذت لجنة نشر المؤلفات التيمورية تغزو المكتبة العربية بالمؤلفـــات التي تركها فقيد مجمع دمشق العلامة أحمد تيمور، وهي عديدة قيمة وكان فيها مؤلفات تثبت أنه أوغل في العامية المصرية وأغرب .

لقـــد كانت الجهود التي بذلها أحمد تيمور في جمع التراث العامي في مصر تفوق في تقويمهـــا كـــل تقديـــر، غير أنه لم يسجل في كل كتاب تركه الدافع إلى بذل تلك الجهود، وكذلك لم تجد اللجنة التي تولت نشر الذخائر التي تركها عندما نشرت كتاب (الكنايات العاميّة)[١] ما تفسر ذلك الدافع المجهول غير قولها :

" إذا قـــرأت كـــتاب الكنايات العاميَّة - وكل هذا رغم تزمت المتعصبين ضدّ العامـــيّة - فـــإن أحمـــد تيمور يرجع الكنايات في أغلب معارضها إلى أصلها العربي، ويناظر لها بما عند العرب، ويستشهد بما قيلت فيه من شعر أو مواليا .

هو علَمٌ لِمَا فيه من هذا التحليل، والإرجاع، وهو علَمٌ لما فيه من تطور الألفاظ والمعـــنى في الزمان والمكان، هو عَلَمٌ لما يورده عليك من أسباب التحريف والانحراف، وهـــو عَلَمٌ لتبويب هذه الكنايات وتقسيمها على حسب أبواب النحو في "اسم الفعل" و " اســـم الفاعل " و " أسماءِ الإشارة " و " الأسماءِ الموصولة "، وإن لم يرقك كل هذا فسل معاهد أوربا: لِمَ تشغل نفسها بدراسة العاميَّات واللهجات؟! ثم سل نفسك: لِم اشتغل عالم من كبار علماء المسلمين بجمع هذه العبارات العامية في مقدمة للتاريخ يعتز بها الأدب العربي، لمكانتها ومكانة مؤلفها ابن خلدون؟! "[٢] .

ورأي اللجنة هذا فيه انتقاص مجحف من قدر عالم مسلم كبير مثل أحمد تيمور، كمـــا فـــيه بُعْدٌ شاسع عن تقييم حقيقة الدوافع لدى مؤرخ مسلم كبير كابن خلدون

---

(١) انظر الكتاب في طبعته الثالثة، بيروت ١٩٧٠ .

(٢) انظر ص ٦ من كلمة لجنة النشر في الكتاب السابق ذكره .

فيما سجله في مقدمته، على أن لجنة نشر المؤلفات التيمورية كانت أقل إجحافًا في تقديرها دوافع العلامة أحمد تيمور للاشتغال بجمع الكلمات العامية وتصنيفها وذلك عندما قدمت كتاب (الأمثال العاميَّة)[1] كما كانت أقل بعدًا عن الإنصاف وأقل دقة في الوصف إذ قالت : " لقد عرف العلامة المحقق أحمد تيمور أن مصر بمرح أهلها مُلْهَمة الروح في النادرة الطريفة، والفكاهة الظريفة، حتى أصبحت الأمثال العامية المصرية ذائعة الصيت في الأمم العربية (!)، وهام بها الشرق العربي (!) وتقبل هذا الأدب المحلى باللّذة والشوق .

كما عرف أن الأمثال أدبُ العرب، ومرآةٌ صادقة تتجلى فيها صور الأُمم، وما عليها من أخلاق وعادات، وأن الأُمة لا ترقى إلى العمران، أو تتألف لها لغة، إلاّ وهي تنطق بـ " الأمثال " لأنها غرسُ الحكمة، وبنتُ الخبرة، ومقياسُ الأدب ... " إلى أن قالت: "... حتى ساير ابن المقفع حين قال: إذا جعل الكلام مثلاً، كان أوضح للنطق، وآنق للسمع، وأوسع لشعوب الحديث " [2] .

إن العالم المحقق المسلم العاشق للعربية أحمد تيمور الذي ترك ذخيرة من مخطوطات التراث لا نظير لها، وأُخرى من مخطوطات صنعها بيده بعد أن تفرغ لقراءة كل ما جمع من كتب قيمة وقد فهرسها، ولخَّصها مدونًا ما يربط المعلومات التي فيها مع ما يراه يستوجب التعليق عليه أو الإشارة إليه، إنما ينتقص من فضله وعميق حبّه للعربية القول بأن ما كتبه عن اللغة العامية كان مجرد تتبع خطوات الإفرنجة في تسجيل مختلف العاميات .

فما أحمد تيمور غير عالم مدقق ومؤرخ كان يسجل كلّ ما قرأه أو وقع تحت سمعه وبصره، شأْنه شأن العالم المسلم الفذ ابن خلدون الذي خصّ مقدمته بذكر فضل علم التاريخ وطبيعةِ العمران أو الحضارة ومستلزماها وتطوراها وما يعرض لها من رقيّ

---

(١) انظر الطبعة الثالثة، القاهرة، مطابع الأهرام سنة ١٩٧٠ .

(٢) انظر مقدمة اللجنة للكتاب المذكور آنفًا ص و .

وفساد في علومها ولغتها .

أمـــا عـــناية الفرنجة بما في مقدمة ابن خلدون ممَّا طرأ على الفصحى من فساد وانحراف، فلم تكن خالصة لوجه العلم بمقدار ما هي تنقيب عن عيوب العربية ومواطن قصورها عن اللحاق بحضارتهم . وهل كانت الدعوة إلى استبدال العامية بالفصحى إلاّ دعوةٌ هُم ابتدعوها وحَمَلُوا أتباعهم على الترويج لها مذ كانت وحتى يومنا هذا .

بينما فقيد مجمع دمشق الكبير أحمد تيمور كان منذ سنة ١٩٢٣كتب ما نصه: "إننا في حاجة كبيرة لألفاظ عربية تغنينا عن الدخيل، ولهذا نرحب بكل لفظة فصيحة تـــرادف أقـــرب لفظة دخيلة، بل إن النظر في وضع هذه الألفاظ من أهم ما يجب أن تشتغل به المجامع اللغوية، إن لم يكن أهمها كلَّها "[١].

بل كان فقيدنا الكبير أكثـــر صراحةً في بيان غرضه مـــن أضخم كتاب له عن العامية [٢] إذ قال في مقدمته:

" غرضـــنا الأول مـــن وضـــع هذا الكتاب إحياءُ اللغة العربية الصحيحة بذكر العامي وتفسيره،وردّه إلى نصابه من الصحة إن كان عربيّ الأصل،أو بيان مرادفه - إن لم يكن ذلك - ليحلَّ محله، ويرجع إليه في الاستعمال " [٣] .

كما كان أوضح بيانًا عن دوافعه إلى الإيغال في العاميَّة وأشدَّ صلابة في الدفاع عـــن الفصحى وهو يستهل كتابه الملمع إليه، وهو أوسع ما تركه الفقيد عن العاميَّات المصرية إذ قال رحمه اللـــه وأجزل ثوابه:

"أمـــا بعد، فإن اللغة الشريفة العربية **صانها اللــــه وأعادها لسابق جدها** - لما تطرق إليها الفساد بكثرة الدخيل، وشيوع اللحن والتحريف، بسبب ما استلزمه الفتح

---

(١) هذا ما كتبه الفقيد بتاريخ ١٩٢٣/٦/٢، وقد سجلته لجنة نشر المؤلفات التيمورية في الصفحة ٤٥٣ من التذكرة التيمورية القاهرة ١٩٥٣ .

(٢) كان آخر ما نشر من آثار الفقيد الكبير الجزء الأول من (معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية) حققه الدكتور حسين نصار وطبعته الهيئة العامة للتأليف والنشر بمصر سنة ١٩٧١ .

(٣) انظر ص ١٨ من مقدمة الكتاب الآنف الذكر .

الإســـلامي من الاختلاط بغير العرب، هبَّ أئمتها – رضي اللـــه عنهم وجزاهم خير الجـــزاء – لحياطـــتها والذود عن حياضها، بتدوين أصولها وقواعدها وتقييد شواردها وأوابدهـــا، حفاظًـــا لها من الضياع بتغير الأزمان والأوضاع، فلم يغادروا صغيرة ولا كـــبيرة إلاّ وأحصـــوها فيما ألّفوه ودوَّنوه، ما يختص بالتفريق بين العربي الأصيل، وما صـــار في حكمه من معربات العرب، وما ولّده المحدثون، وابتذلته العامة صونًا للغة من الخطل وتمييزًا للطيب من الخبيث والصحيح من البهراج ... "[1].

هـــذا، وكـــان محقق الكتاب افتتح تحقيقه بكلمه عن اللغة العاميَّة منذ نشوئها واهـــتمام العـــلماء بها لبيان انحرافاتها (على الرغم من اختلاف موقفهم منها رفضًا أو قـــبولاً عـــلى حد تعبيره) ، والاهتمام بالعاميَّة زاد أضعافًا في وقتنا الراهن؛ فقد لقيت العامية ما يشبه الاعتراف الرسمي بها !

اعـــترافٌ بما تضمه من أدب شعبي (فولكلوري) أنتجه الشعب المتحدث بهذه العامـــيَّات معـــبرًا عن وجدانه ... واعترفٌ بما تضمُّه من أدب عاميٍّ أنتجه أدباءُ آثروا اســـتخدامها عـــلى استخدام الفصحى؛ لأنهم عدّوا العامية " لغةَ الحياة " التي ألهمتهم ... إلخ (كذا) [2] !

وهـــذا الاعتراف غريبٌ صدوره عن مثل محقق الكتاب وكان معروفًا بأنه من أشد أنصار الفصحى !!

وبمناســـبة إيـــراد محقق كتاب أحمد تيمور لفظة (فولكلوري) توضيحًا لجملة (الأدب الشعبي) أقول :

مـــن حق الناس أن يجدوا في المعجم العربي كلمة (فولكلور) الدخيلة معرَّفة بأنها المـــأثورات الشـــعبية ما دام المؤلفون والصحافيون ووسائل الإعلام لا يجدون غنى عن استعمالها .

---

(١) انظر ص ١٧ من الكتاب نفسه.

(٢) انظر ص ٧ من مقدمة الدكتور حسين نصار .

(هـــ) وكان من المؤلفات الحديثة عن العاميَّة " معجم الألفاظ العاميَّة المصريَّة ذات الأُصول العربية " [١].

قال صاحب المعجم في مقدمته :" اتجه القادة في كل مكان نحو اللغة لاستغلالها في توحـــيد أهداف الناس وأحاسيسهم وميولهم .. – وتابع يقول -: ونحن إذا ما اتبعنا لغـــة التخاطب الآن لنعلم نسبتها من العربية ، وجدناها نفس العربيَّة ولكن طرأ عليها التحريف بنقص أحوال الإعراب أو تغيير حروف الكلم .. ومما لا شك فيه أن الكثرة الكـــبرى من الألفاظ العاميَّة إما عربيَّة قرشيَّة صحيحة، وإما محرفة عنها تحريفًا قليلاً ، وإما عربية من لهجات قبائل أُخرى غير قريش أو محرفة عنها تحريفًا قليلاً ... – إلى أن قـــال – : وبُعْدُ الألفاظ العاميَّة عن العربية مبالغ فيه، فالفرق لا يزال ضئيلاً بينها وبين الفصـــحى ومـــن اليسير تدارك الأمر، إذا نحن عُنينا بجمع كل المفردات العامية وعُنينا بإعـــادة الاعتـــبار إلى كل ما يمكن ردّ الاعتبار إليه، وصححنا كل ما يمكن تصحيحه منها بغير إبعاد لها عن صورها كلما أمكن ذلك".

ويتابع المؤلف تقديمه قائلاً :

" لذلك كانت مهمتي في هذا المعجم التنبيه إلى كلمات حرَّفت العامة لفظها أو غـــيَّرت معـــناها، ثم ردّ هذه الألفاظ المحرفة إلى أصلها العربي ... " إلى أن يقول: " لم أُســـجل في هـــذا الكـــتاب جديدًا، وإنما عملت على إحياء ألفاظ عربية أهملها كتابنا وشـــعراؤنا ومعلمونا وغيرهم ممن وُكِّل إليهم أمر اللغة بحجة أنها ألفاظ عاميَّة ... ولم أشـــأ أن أنزلق فأُضمن هذا المعجم كل ما يجري على ألسنة الناس من ألفاظ لا صلة لها بالعربـــية، فـــأُقحم نفسي في دائرة نقاش مفرغة، يتخاطفها فريقان أحدهما يؤيد فكرة هذا المؤلف والآخر يعارضها ..." [٢] .

(و) وطلع علينا من مصر مؤلف ومحقق ناشرًا كتاب " لحن العوام لابن مذحج

---

(١) تأليف الدكتور عبد المنعم سيد عبد العال، طبع في مصر سنة ١٩٧٠ .

(٢) انظر ص ٤ وما بعدها من المعجم الملمح إليه آنفًا .

الزبـيدي الأندلسي" [١]، فإذا به يتهم أصحاب المعجمات حتى القرن الخامس الهجري بالقصـور عـن فهم تطور النطق بالألفاظ العربية فلم يعيروه التفاتًا قائلاً: " بل كانوا ينظرون إلى هذا التطور على أنه نوع من المولد أو اللحن " .

ثم أشار مُستَخِفًّا إلى أن " ما يسمى بكتب لحن العامة عبارة عن رسائل صغيرة أُلفت على مرّ العصور ومختلف الأصقاع التي تتكلم اللغة العربية ".

وعـاب المحقق على الذين ألفوا في لحن العامة عدم تعليلهم لنشوءِ هذا اللحن، وهـو يطلـق علـيه بدعة (التطور) قائلاً فيهم: " بل كانوا يعيبونه، ويتقززون منه وينعون على أصحابه وقوعهم فيه "!!!

إلى أن كشف رأيه فقال :" إذا جُمع كلُّ تراث لحن العامة وحقق تحقيقًا علميًّا أميـنًا، فإننا نستطيع أن نمسك إلى حدّ ما بخيط التطور"! [٢] واعدًا قراءه بالقيام بكل ذلك .

أفـلا يعتـبر مثل هذا الكلام وتعليل نشوءِ اللحن، دعوة مبطنة إلى رفع الحجر عن العاميَّة باسم التطور والتعليل العلمي؟

٤- ثانيًا: في الجزائر:

من ألطف ما أخرجته المطبعة كتاب أديب جزائري عنون له " العاميَّة الجزائريَّة وصلتها بالفصحى "[٣] .

يتساءل المؤلف في مقدمة كتابه قائلاً: " ما مدى علاقة عاميتنا بالفصحى ؟

وما هي لهجاتنا العربية المختلفة في الجزائر ؟

وما منشأ الاختلاف في هذه اللهجات بين إقليم وإقليم، بل بين قرية وقرية ؟

ثم ما قيمة لهجاتنا العاميَّة بالقياس إلى اللهجات العاميَّة العربية الأُخرى ؟ ".

---

(١) هو الدكتور رمضان عبد التواب المدرس بآداب عين شمس، طبع بالقاهرة سنة ١٩٦٤.

(٢) انظر مقدمة المحقق الملمح إليه آنفاً.

(٣) مؤلفه الدكتور عبد المالك مرتاض، نشرته الشركة الوطنية للنشر والتوزيع في الجزائر سنة ١٩٨١ .

وقبل أن يبدأ كلامه حول هذه الأسئلة بادر إلى القول: " إن البحث في لهجة من اللهجات العاميَّة، لا يُعَدُّ بالضرورة دعوة إليها، ولا إغراءً بإحياءِ ما اندثر منها، ولا دفعًا إلى استعمالها في الكتابة " ثم يستدرك قائلاً: " وإن كنا نؤثر أن لا يربأ الكتَّاب عن استخدام الألفاظ الفصيحة المستعملة في العامية للتقريب بينها وبين الفصحى ".

ويواصل مقولته مؤكدًا أن " العاميَّة الجزائرية يتمثل هيكلها اللغوي العام في هذه اللهجات الإقليمية التي تختلف من جهة إلى جهة، بل أحيانًا من قرية إلى قرية مجاورة لها ..." .

ثم يواصل مقدمته قائلاً :" أرأيت أن الحصيلة اللغوية التي يتكلم بها الشعب الجزائري تختلف بين جيل وجيل ؟ فحصيلته اللغوية أثناءَ القرن التاسع عشر ليست هي حصيلته أثناءِ النصف الأول من هذا القرن ... " إلى أن يقول : " فالقضية إذن تعود إلى جهود المثقفين وإخلاصهم للعربية وأهلها، فلو أرادوا أن يقوموا بحملة تفصيحية، ولا أقول تعريبيَّة؛ لأن عامة الجزائر متعربون من حيث لهجتهم .. لتوصلوا إلى نتائج ثورية حقًّا... " [١].

٥- ثالثًا: في المغرب:

كتب فقيدنا الكبير عبد الله كَنون تحت عنوان " عاميَّتنا المعجمية "[٢] معرفًا العاميَّة بقوله: " هي اللغة التي يتكلم بها الجمهور في أي بلد عربي. ويقال لها أيضًا الدارجة؛ لأن القوم درجوا على التفاهم بها ". وبما أنه لكل قطر عربي لغة من هذا القبيل فإضافتها في العنوان إلى ضمير المتكلم ومعه غيره، مشعرة بأن المراد بها هنا العاميَّة المغربيَّة.

ولو رغب فقيدنا في بحثه هذا السعة والدقة، كما عودنا في جميع بحوثه، لأردف جمله لكل قطر عربي لغة بقوله: لا بل إن لكل بلدة أو قرية عاميَّةً يتفاهم بها الناس، قد

---

(١) انظر مقدمة الكتاب الملمح إليه آنفًا .

(٢) في Tamuda السنة الثانية للفصل الأول ص ٣٣ تطوان ١٩٥٤.

تتفاوت في قليل أو كثير عن عاميَّة بلدة أو قرية مجاورة .

وتـــابع الفقـــيد بحثه بتعريف المعجميَّة التي يعنيها قائلاً: " المراد بها كون الكلمة فصيحة من مفردات المعاجم اللغوية أعني " قاموسية " [١].

ثم تحـــدث الفقيد عن الفصحى ومالاقته في مختلف البلاد الإسلامية قائلاً: "وهي وإن لم تـــنهزم قـــط في هـــذا الصراع الطويل، فقد خلَّف ندوبًا اتسعت كثيرًا في لغة التخاطب حتى نشأت عنها هذه اللغات أو اللهجات العامية على الصحيح المستعملة في كل قطر من الأقطار العربية بما بينها من تقارب أو تباعد. أما لغة الكتابة فقد قيَّض لها في كـــل زمان ومكان من يردّ خطأها إلى الصواب ... " إلى أن يقول: " ولعل سلسلة المؤلفـــات الموضوعة في هذا الغرض من درة الغواص في أوهام الخواص للحريري، إلى لغـــة الجرائد لليازجي، وغيرهما .. غير أن هذه المؤلفات إن كانت ترد خطأ الاستعمال في المفردات والتراكيب إلى صوابه...فإن غرضنا من هذا البحث هو – على العكس – محاولة رد بعض المفردات وربما التراكيب أيضًا التي فشا استعمالها في العامية المغربية – وقد يظن أنها خطأ – إلى أصلها من الصواب والتنبيه على وجه ذلك " [٢].

ومـــن المفردات التي عدَّدها الفقيد ويحسن بي أن أنقلها وأُعلق عليها الكلمات التالية:

(أ) بابـــة في العامية المغربية: بابة الشيء: حقه وما يصلح له، وهي من الفصيح كمـــا في القـــاموس المحـــيط، غير أنها نادرة الاستعمال، على أني سمعت مؤسس مجمع دمشـــق ورئيســـه يردّدها، وكان يجيب من يعترض على عدم انتخاب فلان عضوًا في المجمع قائلاً: فلان على علمه الواسع ليس من بابة المجامع .

(ب) التـــبطين: بطانـــة الـــثوب لغة. وبطَّن الثوب تبطينًا: جعل له بطانة، قاله صاحب مختار الصحاح. غير أن المعجم الوسيط لم يأخذ بهذا .

---

(١) انـــتقد الكاتـــب اســـتعمال كلمة قاموس بمعنى معجم لغوي وهي علم على معجم الفيروزابادي، ولكن المعجم الوسيط بقرار من المجمع أثبتها بالمعنى الشائع المذكور .

(٢) انظر ص ٣٤ من البحث المشار إليه آنفًا .

(ج) الشِّـــياط: شاط الطعام لغة: احترق بعضه، والشِّياط: رائحة ما يحترق من قطن ونحوه، وفي عاميَّة المغرب وغيرها من العاميَّات: الشِّياط: رائحة الاحتراق مطلقًا، وكان على المعجم الوسيط أن يأخذ بهذا .

(د) نَقَـــزَ الظبـــي: وثَبَ، ونقَّز الصبيَّ أُمُّه بالتشديد: رقَّصته، والظبـــي لا ينقز غالـــبًا إلاَّ إذا ارتعد من شيء، وفي العاميَّة المغربية، وكثير من العاميات يُستعمل الفعل المشـــدد في التعدي واللزوم كليهما - بعد تخفيف القاف إلى همزة - بمعنى الارتعاد من شيءٍ ، وليس من مانع أن يأخذ المعجم الوسيط بهذا المعنى .

٦- رابعًا: في بلاد الشام:

كانـــت بلاد الشام - بعد مصر طبعًا - أصلبَ الأقاليم العربية في دفاعها عن الفصـــحى، وأسلســـها في قبول الصحيح من المفردات والتراكيب، وأعجَّها في الدعوة إلى العاميَّة، وسننتقى من كُلٍّ بعض النماذج فيما يلي:

١-نشـــر مجمـــع دمشق في الثلاثينيات كتاب بحر العوام لابن الحنبلي الحلبي [١] فـــأحدث نشره شيئًا من الغمغمة وبعض اللغط لدى علماء ، وكأن محقق الكتاب كان يـــتوقع مـــثل ذلـــك أو أشدَّ فضمَّن مقدمته للكتاب قولَه: " ... ولقائل أن يقول إن المصـــنف لـــيقوِّي برسالته هذه الضعيف، ولا يداوي المريض، أو يقوِّم المعوج من لغة العامـــة، وكـــان هذا يَرِدُ لو أن المؤلف لم ينص على درجاتِ اللهجات فيبيِّن القويّ والأقـــوى، والضـــعيف واللغـــيّة التي تروى، وبذلك يتمكن دارس الكتاب من معرفة مراتب الخطأ في لغة الشام، والصواب ... "[٢].

والمؤلـــف في كـــتابه يـــردُّ عـــلى ما أورده الحريري في درة الغواص في أوهام الخواص، وممَّا ذكره الأمثلة التالية :

---

(١) بحـــر العـــوام فيما أصاب فيه العوام لمؤلفه محمد بن إبراهيم المعروف بابـــن الحنبلي الحلبي من مطبوعات المجمع العلمي العربي سنة ١٩٣٧ بتحقيق عضو المجمع الراحل عز الدين التنوخي .

(٢) انظر ص ١١ من مقدمة الكتاب المذكور آنفًا .

(أ) مـــن ذلك قولهم: " أبّ . أخّ " بتشديد الباء والخاء في أب وأخ بتخفيفهما إذ همـــا لغـــتان فـــيهما، عـــلى مـــا ذكر في كتاب "عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ "[١].

(ب) ومـــن ذلـــك قولهم: " يدٌّ "، بتشديد الدال في يد بتخفيفها، وقد جاءَ في كـــتاب: " التقريب في علم الغريب "[٢] ما نصه: " وحكي في التكملة: من العرب من يقول يدّ بتشديد الدال ... إلخ ".

(ج) ومن ذلك : قولهم: هذا أبيض من ذلك، أي أشد بياضًا منه، مع أن أفعل التفضيل لا يبنى قياسًا من لون، وفي حديث الحوض: إن ماءه أبيض من اللبن .

(د) ومن ذلك قولهم: قدم سائر الحاج واستوفى سائر الخراج، مستعملين سائرًا في ذلـــك بمعـــنى الجمـــيع، وزعـــم الحريري أن ذلك من الأوهام الفاضحة والأغلاط الواضـــحة، وأن ســـائرًا في كلام العرب بمعنى الباقي. وتعقبه ابن برّي فأنشد شواهد كثيرة تدل على مجيءِ سائر بمعنى الجميع.

وأقـــول بأن المعجم الوسيط أخذ بما يراه الحريري و لم يلتفت إلى ما جاءَ به ابن بري.

(هـــ) ومـــن ذلك قولهم: الفاكهاني لبائع الفاكهة، حكاه صاحب القاموس، وعـــزاه الأنصاري إلى كتب اللغة ردًّا على الحريري، وليس كلُّ صيغةِ منسوبٍ خالفت القياس فهي خطأٌ بدليل صنعاني وحلواني.

٢- وفي الثلاثينـــيات أيضًـــا كـــان شاب لغوي متين، يشغل عملاً إداريًّا في الحكومة، وقد آلمه كثيرًا ما كان يراه من انحراف الكتاب وموظفي الدواوين عن العربية السليمة، فطلع على الناس بكتاب عنون له (أخطاؤنا في الصحف والدواوين)[٣] .

---

(١) تأليف الشهاب أحمد الحلبي المعروف بابن السمين المتوفى سنة ٧٥٦هـــ.

(٢) تأليف الشهاب أحمد المعروف بابن خطيب الدهشة المتوفى سنة ٨٣٤هـــ.

(٣) طبع الأستاذ صلاح الدين الزعبلاوي كتابه هذا بدمشق سنة ١٩٣٩.

أخذ المؤلف بمذهب المعتدلين من علماء اللغة الذين نقدوا لغة العوام وأنكروا ما فـيها مـن انحـراف عن قواعد العربية، أو الذين دافعوا عن بعض لحنها بحجة أنه من اللهجات العربية .

كمـا عـرض المؤلـف في مقدمـة كتابة أقوال المتشددين من العلماء وأقوال المتساهلين في محاربة اللحن قائلاً:"لقد عرضنا في مواطن من كتابنا إلى الردّ على طائفة من هؤلاء المؤلفين وتأييد نفر منهم، فيما قاد البحث إليه وحملنا على تحقيقه"[١] .

وعـرض المؤلف أسماء أولئك العلماء المعاصرين الذين خاضوا غمار الدفاع عن سـلامة اللغـة من إبراهيم اليازجي وإبراهيم المنذر وأسعد خليل داغر وسليم الجندي ومصـطفى الغلايـيني ومعروف الرصافي وأحمد العوامري وعبد القادر المغربي وظاهر خير اللـه إلى ما نشر من بحوث في مجلة المجمع الملكي المصري.

وكـان من أهمّ ما ركّز المؤلف عليه لغةُ الدواوين الحكومية متعقبًا كلّ انحراف في التراكيـب والمفـردات التي اعتاد عمّال الحكومة على استخدامها، مقترحًا صياغة تماثلها وتستوجبها قواعد اللغة لسلامة التعبير.

٣- وكـان من أبرز ما نشر في بلاد الشام كتاب " ردّ العامي إلى الفصيح "[٢] ألّفه مجمعي كبير سبق له أن أغنى المكتبة العربية بمعجم ضخم هو " متن اللغة "[٣].

مهّد المؤلف لكتابه بمقدمة قال فيهـا: " كنت وأنا أعمل في تأليف كتابي متن اللغـة، يعرض لذهني كلمات عاميَّة فيها معنى الفصيح .. وربما كان اللفظ العامي هو لفظ الفصيح، ولكن الفصيح غريب والعاميّ مشهور ... وقد يكون في العاميّ تحريف قلـيل أو كـثير من قلب أو إبدال ... ولم أُعن بالتحريف في الحركات؛ لأنها – فيما أرى – أكثر من أن تحصى بين العامي والفصيح.

---

(١) انظر ص ٦ من مقدمة الكتاب السابق ذكره.

(٢) ألفه أحمد رضا العاملي عضو مجمع دمشق ،وطبع في صيدا سنة ١٣٧١هـ = ١٩٥٢م.

(٣) صدر في خمسة أجزاء عن دار مكتبة الحياة في بيروت خلال السنوات ١٩٥٨ – ١٩٦١ .

وربمـــا كانـــت العامية دخيلة أو مولّدة لم يعرفها الأولون، بل عرفت في عصر العباسيين ومن بعدهم، فأذكر ما وصل إليه بحثي فيها المقصور على الكتب العربية التي بيدي.

وإنـــه لغـــني عن البيان أن أكثر ما ذكرته من العامي هو من اللهجة التي أسمعها كـــل يـــوم، بل كل ساعة، وهي لهجة جبل عاملة وساحل دمشق وما يليه من سفوح لبنان "[١].

وفيما يلي بضعة نماذج ممّا جاءَ في الكتاب مشفوعة بالتعليق عليها:

(أ) العائلـــة: ضـــمن تعليق طويل على الكلمة قال الشيخ: عال الرجل عياله: كفـــاهم ومانهم وقاتهم وأنفق عليهم. فالعائلة يراد بها على هذا المعولة فهي فاعل بمعنى المفعـــول، وورود صـــيغة فـــاعل بمعنى المفعول كثير في كلام العرب، ثم عمّت بطول الـــزمن وكـــثرة التداول وفتح باب التجوز. فأصبحت تقال لعامة الأُسرة التي يجمعها نسب واحد من باب استعمال الخاص في العام.

وأقـــول: أخـــذ المعجم الوسيط بهذا غير أنه قال: العائلة من يضمهم بين واحد من الآباء والأبناء والأقارب، ولو قال: من يجمعهم نسب واحد لكان أولى به.

(ب) الكَـــيِّس في اللغة: الظريف الخفيف المتوقد، ومصدره الكَيْس، والكُوَيِّس عند العامة تصغير الكَيِّس .

و لم يثبت المعجم الوسيط صيغة التصغير هذه.

(ج) القِضـــامة: عـــندهم حُمّص يعالج بالقلي والشي بحرارة النار بعد أن ينقع ليســـهل قضـــمه، وهي فعالة من القضم: أكله بأطراف أسنانه. وأخذ المعجم الوسيط بهذا التعريف اللغوي، ولكنه لم يثبت كلمة القضامة لعاميتها وتفصيحها سهل.

(د) ولّجـــه الأمرَ: إذا اعتمد عليه فيه، وأصل معنى الولوج الدخول، يقال: ولج في البيـــت يـــلج ولوجًا: دخل. وهو لازم لا يتعدى، وجاءَ مصدره على الولوج؛ لأنه

---

(١) انظر مقدمة الكتاب السابق ذكره .

بمعـــنى المتعدي، ومنه الوليجة. وفي القاموس: الوليجة: من تعتمد عليه من غير أهلك. والعامـــة أخذت معنى ولّجه، أي أدخله فيه على التجوز وهو شائع بين الكتاب قديمًا وحديثًا في هذا المعنى فلا بأس في استعماله.

٤- ومن كبار الذين أوغلوا في تتبع العاميَّة وجذورها صاحب معجم " العامي والدخيل "[١] .

تصدى المؤلف في مقدمة معجمه إلى العاميَّة وأثرها على اللغة، ونعى على العربية تضـــاؤل نورها قائلاً: " بينما كانت لغات الغرب تنمو وتزدهر بما وضع علماؤها من الألفاظ الجديدة للمخترعات الحديثة إلى أن طما السيل وباتت العربية في حالة النـــزع إذ ضيَّق أهلها أنفاسها ونامت عنها عيون حراسها ... – إلى أن يقول -: أما علماؤنا أعزَّهم اللـــه فيستكبرون إضافة كلمة حديثة إلى اللغة، وهم من جهة أخرى قاصرون عـــن البحـــث بين مطاوي اللغة للوقع على ما يرادف تلك المسميات، فكانت النتيجة بقاءنا حيث نحن مقيدي الأقلام بأصفاد من تلك العقول " [٢] .

ثم تحـــدث المؤلف عن يفاعته يوم نشر معجمًا صغيرًا أسماه " الدليل إلى مرادف العـــاميّ والدخيل"، فلما هاجر إلى البرازيل واصل تتبعاته عن جذور العاميَّة فكان منها هذا المعجم الكبير.

ثم تكلم عن العاميَّات وكيف أنها:" متشعبة الفروع لاختلاف لهجات الناطقين بهـــا، فما تراه عاميًّا في لبنان لا تجده كذلك في دمشق وسائر أجزاء سوريا، بل إن كلَّ قرية في لبنان لها لغة عاميَّة خاصة ولهجة يعرف بها أهلها " [٣].

وخـــتم المؤلف مقدمته بقوله :" لابدَّ من التنبيه إلى أن هذا المعجم ليس معجمًا شـــاملاً لمـــواد اللغة جامعًا لشتاتها. بل هو يحتوي – فضلاً عن الألفاظ العاميَّة الأكثر

---

(١) معجم عطية في العامي والدخيل، تأليف الشيخ رشيد عطية، طبع في سان باولو البرازيل - مهجر المؤلف - سنة ١٩٤٤.

(٢) انظر ص ١٠ من مقدمة المعجم المذكور آنفًا .

(٣) انظر ص ١٢ من المقدمة المشار إليها .

تـــداولاً – عـــلى طائفة كبيرة من الألفاظ العلمية الدخيلة أو الأعجمية الحديثة التي لا غنى لنا عن ترجمتها أو تعريبها تسهيلاً للمؤلفين والمترجمين من أبناء الضاد " [١].

ومـــرت معنا في المعجم مفردات عديدة يمكن إثباتها في المعجم العربي على أنها من الفصيح أو أن الفصحى لا تنافيها وهاكم نموذجًا منها:

(أ) أَبـــو زُريـــق: طائر متوَّج كالهدهد، أصغر من الغراب، جميل الألوان طويل الذنب، يسميه العامة أبو زُريق؛ لأن الزرقة من ألوان ريشه. يرادفه القِيق.

قـــال الدميري: القِيق بكسر أوله طائر على قدر اليمامة وأهل الشام يسمونه أبا زريق.

أقـــول: لم أجـــد في المعجـــم الوسيط هاتين الكلمتين، وإنما وجدت في كتاب " الإفصاح في فقه اللغة " صورةَ طائر بالأوصاف الململح إليها يسمى " زُرَيْق "، وليس ما يمنع الوسيط من إثبات كل هذا .

(ب) بَـــدْري: يقول العامة في مصر: بَدْري، أي باكرًا أخذوه من الغيث الذي يكون قبل الشتاء. و لم أجد مثل هذا التعليل في المعجم الوسيط.

(ج) التَّبْيِـــيض: تقول العامة: بيَّض المكتوب: إذا أعاد كتابته منقحًا، والتبييض ضـــد التســـويد والكلمتان شائعتان، والمعجم الوسيط ذكر التسويد بالمعنى الشائع و لم يذكر التبييض!!

(د) بطانـــة الرجل في اللغة: الصاحب للسر الذي يُشاور، وفي المعجم الوسيط: بطانة الرجل: صفيّه يكشف له عن أسراره.

ومـــن الشائع بطانة الملك: حاشيته، والمهللين له، ولا أرى مانعًا من إثبات هذا المعنى توسعة في اللغة.

(هـــ) جُور: من بلاد فارس[٢]، وإليها ينسب الورد الجُوري، وهو من أطيب

---

(١) انظر ص ١٤ من المقدمة نفسها .

(٢) انظر معجم البلدان .

أنــواع الورد رائحة ، يصنع منه ماء الورد، وهو ينبت في الشام، والجُوري عند العامة لــون الــورد[١] الأحمـــر الضـــارب إلى صفرة، ونسب المعجم الوسيط هذا الورد إلى دمشق لأنه ينبت فيها، ويا حبذا لو أخذ بالشائع الذي لا يعارض الفصيح .

٥- ومـــن أخطر الآراءِ وأشدها (تغريبًا) رأي عضو مراسل لمجمع دمشق من تركـــيا، لم يـــدعُ صـــاحبه فيه إلى العامية، ولكن إلى شيءٍ أدهى وأمرّ، كان كماليّ الـــنـــزعة قُحَّهـــا، عَلمانـــيًّا من ألدّ أعداء التراث الذي يفاخر العرب به الأمم كتب يقول[٢] :

" يجـــب تـــرك جميع الكتب التي ألفها العرب أو ترجموها في عصورهم القديمة وعـــدم طـــبعها وتداولهـــا بعـــد الآن ... ولا أســـتثني منها كتابًا حتى كتب التاريخ والأدب ... " !!

ويفصح صاحب هذا الرأي الخطّال عن مقصده قائلاً:" إن غايتي من هذا البحث هـــي لفـــت أنظار العرب ولا سيما أرباب الأقلام منهم إلى ما يحتاجون إليه من نهضة ســـريعة عصـــرية في اللغـــة ووســـائطها؛ لأن اللغة هي آلة الترقي والتقدم، وعجزها ونقصـــانها يُوجبان العجز والنقصان في جميع أسباب الترقي والتقدم ... والرائد الأصلي هـــو الـــترقي في العلوم العصرية حتى تترقّى اللغة، ويشمل الترقي كل شيء، وهذا لا يكـــون إلاّ بمتابعة الأمم الراقية في العصر الحاضر التي بلغت شأوًا لم يبلغه أحد قبلها لا من العرب ولا من غير العرب، متابعة بلا تردد ولا توقف ولا مناقشة ولا مكابرة "!!!

ولا يكـــتفي الكاتب بكلّ هذا، بل تابع يقول: "وعلى طابعي الكتب العربية أن يطـــبعوا الكتـــب العصـــرية من نتائج الترقي الحاضر ... وبذلك تزداد المادة العصرية

---

(١) انظر تكملة المعاجم لدوزي ترجمة النعيمي.

(٢) كاتب البحث هو السيد زكي مغامر، وكان قد بعث به إلى المجمع قبل وفاته التي كانت سنة ١٩٣٢. ولم تستطع مجلـــة المجمع أن تنشره إلا بعد عدة سنوات إذ نشرته في المجلد ١٥ ص ٢٥٢، وعلّقت عليه بما يغني في تسفيه رأيه ودحض أباطيله.

ويقف تيار التقهقر الذي ما زال يجرف تقدم الأُمة العربية " [١] !؟

٧- خامسًا: العامية في بغداد:

هذا وعاميَّة بغداد كانت من أكثر عاميَّات البلاد العربيَّة انغلاقًا على فهم الوافد علـيها من بلد عربيّ آخر، وجرس بعض الحروف فيها أشدّ وقعًا على الأُذن من وقع عاميَّات أقطار عربيَّة أُخرى إلى عهد ليس ببعيد.

لقد أخذ كثير من العلماءِ والباحثين الغيارى على الفصحى - وبعضهم من كبار زملائـنا المجمعيِّين - يعملون متأنين على تهذيب العاميَّة وتقويم انحرافاتها عن الفصحى، وردّ طائفة من مفرداتها إلى أصولها السليمة.

وكان آخر من أوغل في العاميَّة العراقيَّة - وأَطْلعَنا على ما كتبه - أحد شيوخ بغداد - وقد عكف منذ حداثته - على حدّ تعبيره - على جمع الكلمات العاميَّة، وعلى تخـريجها وتأصـيلها حتى تجمَّعت لديه مادة ضخمة فبدأ بنشر القسم الأول منها [٢] ، واعدًا قرَّاءه بمواصلة نشر بقية الأقسام.

لقـد كـان المؤلف صريحًا في بيان دوافعه إلى ما قام به من جهد، واضحًا في وصـف العامـيَّة البغداديَّة والهدف الذي رمى إليه من كتابه وهو يقدمه قائلاً:" إني لا أزعـم أن هـذا المعجـم - الذي أُقدِّمه للمكتبة الفولكلورية - يستوعب كلّ ألفاظ البغداديـيِّن، إنمـا هو في الواقع معجم موجز لم يتسن لي فيه من الألفاظ إلاّ ما جمعتُ وشرحت ... ولا أستبعد أن تكون ألفاظ كثيرة قد فاتت عليَّ ..." [٣] .

ثم أخـذ الشـيخ يصف عاميَّات بغداد فقال:" لقد كانت نفسي تهفو إلى ردّ الـتعابير المحلية إلى بيئاتها الخاصة في البلد كأن أُشير إلى أن هذه اللفظة مثلاً من ألفاظ أهـل الفضـل، وتلك من ألفاظ باب الشيخ، وغير هذه من المناطق والمحلات، إلى ما

---

(١) انظر ص ٢٦٢ من البحث الملمح إليه آنفًا .

(٢) الجـزء الأول من معجم اللغة العربية البغدادية تأليف الشيخ جلال الحنفي، وقد ساعدت وزارة التربية والتعليم العراقية على طبعه في بغداد سنة ١٣٢٨ هـ = ١٩٦٣م.

(٣) انظر الصفحة ٣ من مقدمة الجزء الأول المشار إليه آنفًا .

هـــنالك مـــن ضـــروب الخلاف اللّفظيّ بين الرصافة والكرخ والأعظيمة والكاظمية. (غير أن عوارض الاتساع في بغداد جعلت الأمر غير هين).

أمـــا مصادر العاميَّات البغداديَّة الحديثة، فيحدثنا الشيخ عنها بقوله:" لقد كانت الفصحى أحد مصادرها .. ومن مصادرها الأُخرى الآرميَّة والتركيَّة والفارسيَّة بمختلف لهجاتهـــا، والكـــرديَّة والهنديَّة والإنجليزيَّة والفرنسيَّة، والنـــزر اليسير جدًّا من الإيطاليَّة والإسبانيَّة والروسيَّة وغيرها من لغات اللـــه الكثيرة".

وعلـــل الشيخ وجود هذا العدد من اللغات في العاميَّات البغداديَّة، متنصلاً من أن يكون غرضه من تأليف المعجم تعليم الناس العاميَّة قائلاً :" ونحن نعيذ بالله أنفسنا أن تَعْرَض إليه ... ولكننا نرى أن فريقًا من هذه الألفاظ سينقرض، ويزول فيكون وروده في المعجم نموذجًا للهجة العاميَّة القائمة اليوم في بغداد ... ".

وينـــتهي الشـــيخ إلى تطمين الغيارى على الفصحى بقوله :" ولا خوف على الفصـــحى من تدوين العاميَّة ، ففي تدوينها برهان للفصحى وحجة تدحض خصومها كـــل الدحض.. فإن الذين كانوا يظنون أن العاميَّة تصلح أن تكون لسان المتكلمين في أرجـــاء البلاد العربية واهمون في ظنهم هذا .. فإن اللفظة العربية واحدة في جميع ديار العرب، ولكن اللفظة العاميَّة في بغداد غيرها في مصر والشام واليمن والمغرب، بل هي غيرها في بغداد والموصل والبصرة أحيانًا، بل هي في الرصافة غيرها في الكرخ "[١].

ولكن هل في الجزء الأول من معجم الشيخ البغدادي من المفردات الفصيحة التي تغذي المعجم العربي؟ أقول: نعم هنالك ألفاظ كثيرة إليكم مثلاً منها :

(أ) الأَســـد لغـــة: السبع، والعامة تصف كلَّ شجاع بأنه أسدٌ ، وعامة بغداد يحلفـــون أمام ضريح عليّ – كرم اللـــه وجهه – بالأَسَد الذي ضمه القبر، وهذا المعنى المجازي لم يأخذ به المعجم الوسيط ويا حبذا لو أثبته.

(ب) استملكت الدولة عقارًا: إذا نزعت ملكيته الفرديَّة، وهذا شائع في العراق،

(١) انظر الصفحات من ٤ - ٧ من المقدمة السابق ذكرها.

والشـــام وأَقطـــار أُخرى، وإِذا ما أَخذ به المعجم الوسيط نكون أَضفنا إِليه كلمة من الفصيح.

(ج) اســـتنكف عن التبليغ أَو التصويب: امتنع، وهذا المعنى شائع معروف يمكن أَن يضاف إِلى المعجم .

(د) مســـتعمل: اســـتعمال الشـــيء لغةً: التصرف فيه، والمستعمل من الثياب: القـــديم، وجـــاءَ في المعجم الوسيط: المستعمل من الثياب: الذي مُهِنَ، ومهَن الثوبُ: ابتذلـــه، وابتذل الثوب: امتهنه و لم يصنْهُ. وتعريف الوسيط لا يؤدي المعنى الشائع - فالثياب المستعملة اليوم هي القديمة المصونة المنظفة .

(هـــــ) اســـتعفى فلان من وظيفته : استقال منها، وهذا المعنى شائع مقبول، ويمكن إِضافته إِلى المعجم العربي.

٨- كلمة ختامية:

هـــانحن قد عرضنا لمحات واضحةً عن قصة العاميَّة العربيَّة كيف نشأَت، وكيف نمـــت جذورُهـــا ثم أَورقت أَغصانها، إِلى أَن طغى فيئُها، وأَصبحت لهجةً تتحدث بها مجـــتمعاتٌ عديـــدة، وإِذا بها تسيطر على مختلف الشعوب العربية، ويقوم نفر في كل شـــعب ، بعضُهم غريب الدِّيار ، وآخرون من ذوي الأَرحام، يدعون لها ويُشيدون بها ويعملون لتحلَّ محل الفصحى ليل نهار .

كما عرضنا مثلاً مما احتوته مؤلفات الذين حاموا حول العاميَّة أو ولجوا حمآتِها في العصـــر الحديث، وقد قاموا بجمع مفرداتها ودراسةِ منابتِها، وكلهم وجد نفسه أَمام عامـــيَّات تتفاوت لا بين قطر وقطـــر من أَقطـــار الوطن العربيّ، ولا بين بلد وبلـــد فحسب، بل هي تتفاوت أَحيانًا بين حيٍّ وحيٍّ.

هـــذا فضلاً عن عاميَّات خاصة بأَهل الحرف والصناعات، إِلى جانب عاميَّات تكونت لدى عمال الدولة وموظفيها، وفي كل واحدة منها تعابيرُ ومفرداتٌ لا ترفضها الفصـــحى كمـــا تُتَداول فيها أَسماء لآلات أَو أَدوات يمكن إِغناء المعجم العربيّ بالجيد

المقبول منها .

ونحن إذا أَردنا معرفةَ دافعِ أَكثرِ العلماء في محاولاتِهم التنبيه على أَخطاءِ الخاصةِ والعامـــة، لكفانـــا القـــول : بأنه كان غيرةً على الفصحى، أَما إذا أَردنا الكشفَ عن بواعث أَو دوافع الآخرين في ركضهم وراء العامية، بعد أَن استطالت شوكتُها، وغدت لهـــا أَوكـــارٌ محشـــوة بالدعاة إليها والمهللين لها [1]، لوجدنا البواعثَ والدوافعَ لديهم متعددةً متباينةً حينًا، مختلفةً متعارضةً أَحيانًا، متشابكةً متنافرةً في بعض الأَحيان.

فـــإذا أَردنا تصنيفَ أُولئك العلماءِ صعُب الأَمر على المصنِّف، إذ كلما قلَّ عدد الأَصـــناف زاد عدد الذين يحيف التصنيف بهم، لأَن الدوافع للاشتغال بالعاميَّة تختلف مـــن مؤلـــف إلى مؤلف، خاصة وأَن بعضهم غير مفصح عن دوافعه في مؤلفه، أَو أَنه يُخفـــي مـــا يكـــنُّه صـــدرُه تحت شعار دوافع مضلة، إنما الدوافع تستفاد باستقراءِ ملابسات تَحيق بالمؤلِّف وما عرف عنه من اتجاهات في سلوكه الاجتماعي.

عـــلى أَنـــنا لا نجافي الإنصاف إن نحن وزَّعنا أَنماط الموغلين في العاميَّة أَو الذين قارفوا الكتابة بها على الأَنماط العشرة التالية:

أَولاً: علماءُ كانت أَهم دوافعهم الغيرةُ على الفصحى والإيمان بقداستها.

ثانـــيًا: علماءُ كان حبُّ الفصحى والإعجابُ بروعةِ بيانها والخوفُ من المساس بمكانتها كلَّ دوافعهم.

ثالثًا: علماءُ يعتزون بالعربيَّة، وحبُّ سلامتها كان شغلَهم الشاغل.

رابعًـــا: علماءُ أَحبُّوا العربيَّة ورغبوا في تسجيل ما طرأَ عليها من لحنٍ وتحريف إثباتًا لحيويتها.

خامسًا: علماءُ يريدون للعربيَّة أَن تتطور لتواكبَ الحضارة المعاصرة.

سادسًـــا: علماءُ فتنتهم الحضارةُ الغربيـــة ورغبوا في دفع العربيَّة للحاق بلغات الغرب.

---

(١) سبق لنا في بعض بحوثنا وأَحاديثنا أَن عرضنا بالدعوات المشبوهة وذكرنا أَسماء نفر من أُولئك الدعاة .

سـابعًا: عـلماءُ أولعوا بالنظريات الغربية وتخيلوا أن التقدم الحضاريّ مرهون بتطبيق تلك النظريات .

ثامـنًا: أُنـاسٌ عجزوا عن إِتقان الفصحى ويرغبون في التملق لدعاة العَلمانية ولو على حساب لغتهم الوطنية.

تاسـعًا: فئاتٌ تكره الفصحى وتنفر من الدعوى بقدسيتها فاندفعوا إِلى المناداة بالعاميَّة .

عاشـرًا: نفـرٌ من الحاقدين على ما ترمز إِليه الفصحى ويتمنون القضاءَ عليها، بالدعوة إِلى التخلي عنها باعتماد العاميَّة لغةً معترفًا بها .

وهكـذا نجـد بواعثَ التصدي للغة العوام للقضاء عليها أو بالتساهل في تعليل انحـرافاتِها أو الاسـتماتة في رفع شأنِها ودعم سيادتِها، تتراوح بين الدوافع التي أشرنا إِلـيها وهـي متفاوتة متباينة، وقد عرضنا اليوم موجزًا لأبحاث كثيرين ممن أوغلوا في العاميَّة، وسبقَ لنا في بحوثٍ ماضية أن عرضنا بحوثًا لآخرين منهم.

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِه ﴾[1].

﴿ أَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ ﴾[2].

* * *

(١) الإسراء : ٨٤ .

(٢) الرعد : ١٧.

في تاريخ اللهجة المصرية (*)

للأستاذ محمد رضا الشبيبي
عضو المجمع

نشــر المســلمون أو العرب لغتهم، لغة القرآن المجيد، فيما فتح على أيديهم من الــبلدان شرقاً وغرباً . وما مضى أو كاد يمضي على المسلمين الفاتحين جيل أو أقل من ذلــك حتى تأثرت لغة قريش تأثراً تناول أحكامها وموازينها، بسبب الاختلاط الذي حــدث بــين المســلمين عرباً وعجماً في العراق وفارس ومصر والشام وغير ذلك من البلدان .

نقول تأثرت تلك اللغة لمكان العلة المذكورة من ناحيتين: الأولى: ناحية الأحكام والموازين، ومظهرها ظهور اللحن والشذوذ في الكلام. وقد عولج بوضع النحو أو علم الإعــراب. والناحية الثانية: هي ناحية التحريف في المواد اللغوية، وكانت هذه الناحية أكــثر استعصــاء على العلاج من الناحية الأولى، إذ عملت فيها عوامل البيئة والطبيعة والفروق البعيدة طبيعية وجغرافية، بين بلاد العرب والبلاد المذكورة العريقة في حضارتها وترفها وانغماسها في أسباب الرفاهية، واضطرار من أقام في البلاد المذكورة من العرب إلى مجاراة سكانها الأصليين في بعض ناحية النطق والكلام .

كان مظهر التحريف في اللغة ظاهرًا في تغيير الأبنية والحروف والحركات. وقد دفعــت أئمــة المسلمين حرصًا على لغتهم إلى وضع عدد لا يستهان به من البحوث والمصنفات لمعالجة التحريف وإصلاح اللغة ؛ لأن التحريف عندهم أشنع من اللحن وقد يكــون أقــدم عهداً، إذ بدأ على ألسنة المولدين. وهذه الكتب مشهورة إلا أن نفعها كــان مقصوراً على لغة التأليف والكتابة أو لغة المتعلمين والمثقفين دون غيرهم، وكان العــلماء والمتعــلمون يصفون اللهجة المحرفة عن الفصحى باللهجة السوقية أو العامية لشيوعها في الأسواق وبين الباعة .

(*) ألقي هذا البحث في الجلسة الرابعة من جلسات مؤتمر الدورة الثانية والعشرين، في ٢٩ من ديسمبر سنة ١٩٥٥، ونشر بمجلة المجمع، بالجزء الثاني عشر، ص ١٢٩.

يرجح كثير من الباحثين أن لهجة البيت والسوق تباعدت عن لهجة المدرسة منذ أوائـــل المائة الثانية للهجرة فصاعدًا، وتناولتها أدوار من التغيير والتبديل حتى انتهت إلى حالـــتها الحاضرة . فلاشك أن اللهجات العامية لم تحدث مرة واحدة . فهذه اللهجات المحكـــية الآن في مصـــر والعراق والشام وبعض أقطار المغرب إجمالاً انشقت عن أمها الفصحى خلال العصور .

يســـتفاد تـــاريخ اللهجات في بلد ما من البحث في تاريخه العام واستقصاء سير الأعـــلام والحـــوادث فـــيه، فإنها لا تخلو من نكت مفيدة في تاريخ اللهجات، وكيف بـــدأت، وأيـــن بـــدأت، ولماذا؟ وقد تيسر لي في هذه العجالة جمع نبذة من مفردات الـــلهجة المصرية التي عثرت عليها في أقدم النصوص التاريخية. وهأنذا أبسطها في مؤتمر " المجمـــع اللغـــوي "، وكـــل ما أرجوه أن يجد المعنيون بدراسة تاريخ اللهجة المصرية الحاضرة بعض الفائدة واللـــه ولي التوفيق .

(١)

متى قال المصريون (سِيدي) بالتخفيف بدل (سيِّدي) بالتشديد؟

يلفـــظ المصريون في لهجتهم (سِيدي) بالتخفيف دون التشديد كما يتلفظ بها العراقـــيون. فمتى قال المصريون (سِيدي) بالتخفيف بدلاً من (سَيِّدي) بالتشديد ؟ يبدو لنا أن هذه اللهجة قديمة جدًّا في مصر، وقد ترجع إلى عصر " الفاطميين " أو أقدم مـــن ذلك، أقدم نص في هذه اللهجة عثرنا عليه في إحدى رسائل (ابن بطلان) من أعـــلام المتفلسفين والمتطبِّبين البغداديين في منتصف القرن الخامس. وقد عاش في عصر (عضـــد الدولة) أشهر ملوك (الديالمة) في العراق، وهو - أعني ابن بطلان - رحالة زار مصـــر وبـــلاد الـــروم في عصره، وفي مصر اجتمع بمعاصره (علي بن رضوان) الفيلسوف ودارت بينهما مناقشات ومحاورات بينه وبين ابن رضوان .

وفي الرســـالة المصرية، بحوث ومقارنات بين فن العراقيين والمصريين في التطبيب والمعالجة، وقد ورد في هذه الرسالة على لسان المؤلف ما نصه: سألت الطبيب مستخبرًا عن الحمى، فقال بلفظة المصريين : نعم يا سيدي، فالمصريون في منتصف القرن الخامس يـــنطقون بلفظة (سِيدي) مخففة، ويفهم من نسبة ابن بطلان هذه الصورة من النطق إلى المصريين في ذلك العصر أنها خاصة بهم دون غيرهم. فهذا أقدم نص يدل على تاريخ اللهجة المصرية. والواقع أن لهجة الشاميين في هذه اللفظة هي عين لهجة المصريين. ولا ندري على وجه التأكيد هل انتقلت هذه اللهجة من مصر إلى الشام أو بالعكس؟ وعلى كل حال فإن العراقيين لا يعرفون التخفيف في النطق بهذه اللفظة .

ومـــن المفيد في هذا الصدد إيراد نبذة عن الخلاف والخصومة المبدئية أو العلمية بـــين (ابـــن بطـــلان) و (ابن رضوان)، وهذه الخصومة ظاهرة في الرسائل المتبادلة بيـــنهما. وكان (ابن رضوان) الفيلسوف المصري سيئ الرأي بـــ (محمد بن زكريا الـــرازي) الطبيـــب المشهور صاحب كتاب (الحاوي) و (المنصوري) وغيرهما من المؤلفـــات الباقـــية. وقد نظم (ابن أبي أصيبعة) (العيونَ الأنباءَ) ثبتًا مطولاً في أسماء مؤلفـــات الـــرازي، ومنها كتاب موضوعه " عيوب الأولياء أو مخاريق الأنبياء ". وقد جـــاء في تعليق (ابن أبي أصيبعة) عليه ما نصه: " أقول وهذا الكتاب إن كان قد ألف واللـــه أعلم فربما أن بعض الأشرار المعادين للرازي قد ألفه، ونسبه إليه ليسيء من يرى ذلـــك الكتاب أو يسمع به الظن بالرازي، وإلا فالرازي أجل من أن يحاول هذا الأمر، ويصـــنف في هـــذا المعنى، وحتى إن بعض من يذم الرازي بل يكفره كعلي بن رضوان المصري وغيره يسمّون ذلك الكتاب كتاب الرازي في مخاريق الأنبياء " .

هـــذا ما قاله (ابن أبي أصيبعة) دفاعاً عن (أبي بكر محمد بن زكريا الرازي)، ولا يخفـــى أنه دفاع لا يستند إلى نص قاطع في تنـــزيه صاحبه. أما (علي بن رضوان) الـــذي نســـب التعطـــيل والإلحاد إلى الرازي فإنه من علماء مصر في الطب والنجوم والفلســـفة، له ســـيرة كتبها بنفسه لنفسه. ولا تخلو من طرافة، ذكر فيها الكتب التي

عــوّل عليها في تحصيل الفلسفة والطب وسائر العلوم والفنون. ويلاحظ أن بينها عدة من كتب الرازي الذي كان يشنع عليه .

ذاعـــت شهرة (علي بن رضوان الطبيب) في أواسط القرن الخامس، وكانت وفاتـــه سنة أربعمائة وثلاث وخمسين في دولة (المستنصر أبي تميم) حفيد (الحاكم) مـــن الفاطميين. ويقول (ابن أبي أصيبعة): إن (ابن رضوان) كان كثير الرد على من عاصـــره مـــن الأطباء وغيرهم، وعلى كثير ممن تقدمهم . ويلاحظ (ابن أبي أصيبعة) أيضـــاً أن (ابن رضوان) كان بذيئًا في مناظرته وتشنيعه على من يريد مناقشته. وأكثر مـــن ذلك يوجد عندما كان يرد على مشاهير الأطباء في عصور العباسيين والفاطميين مـــثل: (حنين بن إسحاق)، و(أبي الفرج بن الطيب)، و(أبي بكر محمد بن زكريا الـــرازي). وكانت بينه وبين (ابن بطلان) مناقشات ومباحثات كثيرة. وفي جريدة مصـــنفات (على بن رضوان) التي أوردها (ابن أبي أصيبعة) ما يدل على صحة ما نسب إليه من التشنيع والبذاءة في المناقشة .

(٢)

لهجة أهل أسوان وتعليل وجودها

عقد (الأدفوي) في (الطالع السعيد) فصلاً حسناً في إقليم (أسوان) وصف فيه حواضرها وأريافها، وعذوبة مائها، ولطف هوائها، وكثرة فاكهتها، وأنها أخرجت عـــدداً غير قليل من أهل العلم والفقه والأدب، إلى غير ذلك من مميزاتها وخصائصها، ومـــن طريف مقارنات (الأدفوي) قوله: " ليس في العراق نوع من التمر إلا وفي صعيد قـــوص مثله ". وعُني (الأدفوي) بضبط لفظة (أسوان) وأن الأصلح فيها فتح الهمزة، مُحْـــتجًّا بـــتلفظ الأسوانيين في القديم والحديث. كما عُني بضبط اسم بلدة (أدفو) والنســـبة إلـــيها في كـــلام أورد فـــيه شـــتى الأقوال، ناقلاً فيما نقل عن كتاب سماه (الأقحوان في محاسن أسوان)، (لابن سعيد) .

خص (الأدفوي) لهجة الأسوانيين في المنطق بكلمة من الفصل المذكور فقال: " لهم - يعني الأسوانيين - لغة يجعلون الطاء فيها تاء، فيقولون: التريق والتاق والتبق " أراد (الأدفوي) أن يقول: إن القوم لا يقولون: الطريق ولا الطاق ولا الطبق بالطاء، ثم قال: ويبدلون الفاء بالباء فيقولون: خذ في هذا، يعنون بهذا، وضربته في هذا، أي بهذا. هذا ما قاله صاحب (الطالع السعيد) وهو من أعلام المائة السابعة في مصر عن لهجة أهل السودان. وهذه اللهجة كما يفهم من كلامه خاصة بأهل الإقليم المذكور، لا توجد في إقليم آخر من الأقاليم المصرية، وإن كانت المسألة تتطلب زيادة في التحقيق.

بقي علينا أن نبحث عن العلة في تكون هذه اللهجة عند الأسوانيين. وهذه العلة - فيما نرى - تعود إلى تأثرهم بلهجات بعض الأقوام المجاورة لهم (كالنوبة) فإن الطاء لا تلفظ في منطق (النوبة). و لم يقتصر تأثير هذه اللهجة على أسوان بل تجاوزت ذلك إلى "الحجاز واليمن"؛ إذ يلاحظ أن العامة من أهل القطرين المذكورين من أشد الناس تأثراً بهذه اللهجة في العصور الحديثة، لوجود أهل النوبة بكثرة في ديار الحجاز وامتزاجهم بالسكان. وإنك إن سمعت "المدني" أو " الحجازي " أو " المكي " العادي يتكلم ظننت أنه يتكلم بعربية أهل النوبة. وتوجد هذه اللهجة في بعض نواحي اليمن أيضاً بسبب المجاورة، وأكثر ما نسمعها على لسان نزلاء الأقطار المذكورة من النوبة والأحباش، ولا نعرف هذه اللهجة إطلاقاً في " العراق " و " الشام ".

(٣)

الإمالة والترخيم في اللهجة المصرية

تكثر الإمالة وترقيق بعض الحروف العربية في لهجة عرب الأندلس، وذلك نزولاً على حكم البيئة الأندلسية، وكونها في الأصل بلدًا إفرنجيًّا. وكانت (مصر) و (الإسكندرية) خاصة قبلة الأندلسيين، وأهل (إفريقية) أي المغاربة يشدون

الـــرحال إلى الشـــرق من مصر وما إليها في طريقهم لأداء فريضة الحج، أو لتحصيل العـــلم، ورواية الحديث والشعر واللغة. وكثر نزوح الأندلسيين من جزيرتهم وكذلك بعـــض المغاربـــة إلى مصر والشرق بعد استيلاء (القوط) وانتزاع الحواضر الأندلسية حاضـــرة حاضـــرة من أيدي ملوك الطوائف المسلمين، خصوصاً بين المائة السابعة إلى التاسعة من الهجرة. فهل تأثرت اللهجة المصرية المحكية ببعض لهجات المسلمين النازحين من الجزيرة الخضراء أو من الديار الإفريقية ؟

هـــذا سؤال يقال في الجواب عنه: لا يبعد بعد هذا الاختلاط أن تتأثر كل من اللهجـــتين بالأخرى، كما تدل على ذلك بعض النصوص التي ظفرنا بها في هذه الناحية على ما ستراه .

(أبـــو حـــيان الغرناطي) واللهجات العربية: محمد بن يوسف بن حيان، أثير الديـــن، شـــيخ النحاة، وصاحب العربية، في غنى عن التعريف. نشأ في (الأندلس) و(إفريقية) ثم نزح إلى (مصر) وأقام في (الإسكندرية)، كما نزح قبله إلى الشرق (جمـــال الدين بن مالك) صاحب الألفية، وهو - أعني ابن مالك - من طبقة شيوخ ابـــن حيان. وكانت مصنفاته - أي مصنفات ابن مالك - متروكة إلى أن ظهر (ابن حـــيان) ففســـرها، وحل غوامضها، ورغب الشرقيين في قراءتها، ودلهم على محاسنها وخصائصـــها، ومـــن ذلـــك الحين عُني شداة النحو والعربية بدرسها، والإقبال عليها، فشاعت ونسخت مصنفات المتقدمين من النحاة .

عُـــني (الصـــفدي) في (نكت الهميان) بترجمة (ابن حيان) شيخه وأستاذه ترجمة حسنة، وصف فيها حليته وملامحة، ورسم له صورة دقيقة كأنك تراه رأى العين.

يـــبدو لمن تأمل هذه الترجمة أن (ابن حيان) كان معنيًّا بتقييد اللهجات العربية الشـــائعة في " الأندلـــس وفي إفريقية ومصر ". وهاك ما قاله (الصفدي) في (نكت الهمـــيان) لـــه: " لابـــن حيان اليد الطولي في التفسير والحديث، والشروط والفروع، وتـــراجم الناس وطبقاتهم وتواريخهم وحوادثهم، خصوصًا المغاربة، يقيد أسماءهم على

مـــا يلفظون به من إمالة وترخيم وترقيق؛ لأنهم مجاورون لبلاد الفرنجة وأسماؤهم قريبة مـــنهم وإلقـــاؤهم كذلك. كل ذلك قد جرده وحرره وقيده. والشيخ (شمس الدين الذهـــبي) ســـأله سؤالات فيما يتعلق بالمغاربة فأجابه عنها "، وفي ترجمة (الصفدي) لشـــيخه نـــبذة أخـــرى تكشف عن جانب آخر من لهجة شيخه المذكور فهو يقول: "عـــبارته فصـــيحة. يعقد القاف قريبًا من الكاف، كلغة الأندلس على أنه ينطق بها في القرآن فصيحة. وسمعته يقول: ليس في هذه البلاد من يعقد حرف القاف ".

هـــذا ما يعنينا من ترجمة (الصفدي) لأكبر أشياخه وأساتذته. وفيه حجة قاطعة عـــلى عـــناية (ابن حيان) شيخ النحاة واللغة في عصره باللهجات العربية وتحريرها، وتقييدها على حد ما قاله (ابن حيان). فهل وصل إلينا شيء من ذلك؟ وهل أبقت علـــيه الأيام؟ هذا ما نكله إلى الباحثين المصريين، ونطلب إليهم مخلصين أن ينقبوا عن تـــراث الشـــيخ المذكور وعن بحوثه في اللهجات العربية، من أندلسية ومغربية ومصرية وفي تفـــاعل هـــذه اللهجات بسبب الهجرة والاختلاط، والباحثون المصريون أولى من غيرهم بذلك .

وقد وصلت إلينا جملة من آثار (ابن حيان) في العربية، لغة وتفسيرًا، وحديثًا. وقـــد ظفـــرنا في العـــراق بنسخ مخطوطة نادرة من مصنفاته منها (اللمحة البدرية) و (غايـــة الإحســـان والإدراك للسان الأتراك)، وهذا الكتاب الأخير نشر حديثاً في مصر.

فعـــلى الباحـــثين المعنيين بتاريخ اللهجات، أن ينقبوا عن تراث (ابن حيان) ودراســـته دراسة كافية فإنه من (مصر) وإليها في خاتمة حياته، بل في جل أيامه، والله ولي التوفيق ..

* * *

التعليق على البحث

***الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب:** أشكر الزميل المحترم الأستاذ محمد رضا الشبيبي على البحث القيم الذي ألقاه في تاريخ اللهجة المصرية، وأؤيد الزميل في أن اللهجة المصرية من أقدم اللهجات المعروفة، وأقدم الوثائق لدينا الآن تثبت أن اللهجة المصرية من أقدم اللهجات، فالوثائق البردية ترشدنا إلى كثير من الكلمات التي كانت مستعملة في القرن الأول والثاني والثالث والرابع، وتدلنا على الكلمات الدارجة بين الأمة المصرية، كما تدلنا على المصطلحات التي أدخلها العرب أو الأقباط أو البيزنطيون، وأرى أن اللهجة المصرية ترجع إلى القرون الأولى بعد الفتح العربي، كما أعتقد أن أقدم وثائق عن اللهجات العامية العربية موجودة في البلاد المصرية، إذ إن مصر تمتاز بالمحافظة على كميات كثيرة جدًّا تقدر بعشرات الآلاف من أوراق البردي pop ما بين عقود تملك، ومكاتبات بين الأفراد، ومراسيم، وأوامر، وأذون صادرة من مصطلح الحكومة، ومحاسبات وما إلى ذلك .

وقسم كبير جدًّا منها يشمل ألفاظاً وكلمات عامية أو دخيلة من مختلف اللغات كانت منتشرة حينئذ في أرض الكنانة علاوة على التحريف الوارد في الرسم مثل قولهم: " من فلان ...... إلى أبو فلان " .

أضف إلى ذلك ما تتضمنه تلك الأوراق البردية من المصطلحات المستعملة في القرون الأول والثاني والثالث والرابع سواء أكانت تلك المصطلحات في الإدارة أم في الأدوات المنزلية والبضائع والسلع والتجارات .

ثم لما جاءت الدولة الفاطمية، واستولت على مصر واستقرت بها، وكان أنصارها عساكر (كتامة) البربرية وهؤلاء أدخلوا كلمات بربرية في اللهجة المصرية، وبقي منها البعض إلى اليوم في كلام أهل مصر، هذا ووجود الأتراك في عصر المماليك وقبلهم ومجيء الجنود الأتراك إليها، كل هذا جعلهم يدخلون مصطلحات إلى اللهجة المصرية لم تكن موجودة من قبل .

وممـــا يجدر تسجيله الآن أن أوراق البردي تبلغ نحو ٨٠ ألف ورقة يوجد منها الآن نحـــو ٤٠ ألـــف ورقـــة في النمسا؛ لأن أحد السفراء النمسويين في مصر أخذها وعُـــني بهـــا، وهي محفوظة الآن في النمسا، وبعض هذه الأوراق قد نشر، وبعضها ذو أهمـــية مـــن ناحية تاريخ مصر، وتاريخ الهيئة الاجتماعية بها، وأقدم ما فيها ورقة بردية مكـــتوبة من أحد أمراء مصر إلى حاكم البهنسا يعلمه أن فرقة من الجيش العربي ذاهبة إلـــيها، وكـــان هذا في خلافه عمر بن الخطاب وولاية عمرو بن العاص، هذه الأوراق تحـــوي كثيرًا من الألفاظ المصرية الدارجة كما قلت، ويسرني أن أوجه نظر المجمع إلى أهليـــتها ووجـــوب دراســـتها، وخاصـــة أن مصر بلاد متوسطة بين الشرق والغرب وكانـــت ممـــرًّا لكـــل الأجناس الذين كانوا يستعملون ألفاظًا ربما تسربت إلى اللغة المصرية .

*__الأســـتاذ عباس محمود العقاد:__ أقترح أن نتصل بالجهات الحكومية للحصول على أوراق البردى المصرية الموجودة في النمسا للانتفاع بها .

*__الدكتور منصور فهمي:__ سبق أن تألفت جمعية في عهد الملك فؤاد كان رئيسها الأســـتاذ (جوجـــيه) كان اسمها جمعية البردي، ودار الكتب المصرية ما يزال بها عدد كـــبير من أوراق البردي، والأستاذ (جوجيه) طلب أحد النمسويين المشتغلين بالبردي، فاستقدمت كلية الآداب بجامعة القاهرة الأستاذ (جروهمان) فاشتغل معه بهذه المسألة إلى أن تـــوفي الأســـتاذ (جوجيه) فماتت أعمال هذه الجمعية، واندثرت آثار الجمعية كمـــا اندثـــر الحديـــث عـــن الـــبردي حتى أثاره الآن الزميل الأستاذ حسن حسني عـــبد الوهـــاب، والموضوع يحتاج الآن إلى البحث والدراسة، ومطالبة الزميل الأستاذ توفـــيق الحكيم، وهو المدير العام لدار الكتب بتسهيل اطلاع المجمع على هذه الأوراق، ومـــا عملـــه الأســـتاذان (جوجيه) و (جروهمان) والأخير ما يزال يشتغل بأوراق البردي وإخراج كتب عنها .

***الأستاذ محمد رضا الشبيبي**: أشاطر الزميل الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب ما قاله عن الوثائق وفائدها، غير أن الوثائق التي اطلعنا عليها والمكتوبة عن القرن الأول مدونـــة باللغة الفصحى دون غيرها، وياحبذا لو عزز الأستاذ رأيه بإيراد نصوص من الـــلهجات التي كتبت بها هذه الوثائق، لنتبين منها هل هذه اللهجات فصيحة أم غير فصيحة ؟

الأســـتاذ حسن حسني عبد الوهاب: أحب أن أسجل أن الذين عنوا بدراسة أوراق الـــبردي يعنون بدراسة اللهجات اليونانية والرومانية والبيزنطية، واللذان انفردا بدراسة اللهجات العربية هما الأستاذان (جوجيه) و (جروهمان)، وقد تركا معجمًا في المصـــطلحات المتداولة في ذلك العصر، يحوي المكاتبات الرسمية التي كانت مستعملة في الدواويـــن وغيرهمـــا ممـــا يتعلق بالمسائل السياسية والتجارية، وما تسرب إليها من اللهجات العامية وخاصة في القرون الأربعة الأولى من الهجرة .

***الأســـتاذ إبراهيم مصطفي**: أشكر الأستاذ محمد رضا الشبيبي على بحثه الذي ســـتنتفع بـــه لجـــنة اللهجات في المجمع، وهي تُعنى بدراسة اللهجات المصرية خاصة والعربـــية عامـــة، وإن دراســـة الـــلهجات جزء من دراسة تاريخ اللغة العربية، وبيان تطورها على الزمن، وهي بلا شك دراسة حديثة .

كمـــا أشـــكر الزميل الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب لإشارته إلى الأوراق الـــبردية، وما يمكن أن ينتفع به منها في تاريخ اللهجات العربية، وأتمنى لو أن المجمع اتجه إلى أن يكون بمكتبته صورة من هذه الأوراق .

وقـــد ألف المتقدمون كتبًا متعددة فيما طرأ على اللغة من اللحن، بعضها فيما يـــلحن فيه العامة، وبعضها فيما يلحن فيه الخاصة، وهذه الكتب في جملتها مرجع نافع في تـــاريخ اللغـــة وتطورها، ويحسن أن يعنى المجمع بجمع هذه الكتب لتكون قريبة من الباحثين في اللهجات العربية بالمجمع .

ومـــا يجـــدر ذكـــره أن أحد المبعوثين في دراسة اللهجات جعل بحثه في لهجة (إســـنا، وأدفـــو)، وخرج من هذا البحث بقواعد لغوية نافعة، إذ تدل على ما طرأ عـــلى اللغة من تطور في البادية والحضر، ومن الغريب أن هذه اللهجة تبدل فيها الطاء تاء، وهي أميل إلى التشديد، ولا تبدل الطاء تاء إلا إذا كان بعدها قاف، وهذا عكس مـــا يحدث في الفصحى إذ تقلب التاء طاء إذا جاءت بعد التاء قاف، وذلك لانسجام نطقها الذي يستدعى تفخيم التاء فتقلب طاء .

*__الأســـتاذ زكي المهندس__: للأستاذ العقاد بحوث قيمة في لهجات أسوان وأدفو، وأظن أنه لا يضن بها على لجنة اللهجات .

*__الأســـتاذ عباس محمود العقاد__: لقد أعطيت لجنة اللهجات بعض البحوث التي أشـــار إليها الأستاذ زكي المهندس، والبعض الآخر يمكن أن يلقى في مناسبات كثيرة . عـــلى أن هذه اللهجات بعضها يمكن أن يكون أصلاً لصيغ وردت في اللغة الفصحى ، وهـــي تعـــد بحق الحلقة المفقودة بين العامية والفصحى، وذلك مثل مصدر " فاعال " مـــثل " شـــاجره شاجارًا "، و " خابطه خاباطًا " فهذه اللهجة أعتقد أنها الخطوة بين فـــاعل و " فاعال " فالبحث في لهجة أسوان مفيد جدًّا، أما لغة (أدفو) فلها مزاياها، ومـــن هذه المزايا أنهم ينطقونها (أدفو) بفتح الهمزة، كما أنهم يقلبون الطاء في بعض الكـــلمات ويقلـــبون الـــتاء طـــاء في البعض الآخر، وهذه اللهجة ترينا تطور الحرف مـــن أولـــه إلى نهايـــته في وقـــت واحد، ففي هذه المنطقة ثلاث قرى تنطق الكلمة الواحـــدة فـــيها بـــلهجات مختلفة تدل على تدرج اللغة وتطورها، فمثلاً أهل القرية الأولى يقولـــون: فـــلان كـــيف الجمـــل، والثانية يقولون: فلان كي الجمل، والثالثة يقولون: فلان كالجمل، وهذا الاختلاف قائم في زمن واحد فهو يرينا تطور اللهجات العامـــية، واتصـــالها بالفصـــحى، مـــن حيـــث الألفـــاظ والصيغ والقواعد، وذلك يمكـــن أن يكـــون محـــل دراســـة خاصة وموضوعنا للبحث في إرسال بعثة إلى هذه المنطقة .

وهــناك قســم في بــلاد النوبة يسمى " وادي العرب " وأهله ينطقون العربية الفصــحى، ولا تزال فيهم بقية من ألفاظ ربيعة، وهذا القسم قديم الصلة بالبلاد العربية وتــرجع صــلته هــذه إلى ما قبل الإسلام، إذ وصلت قبائل من اليمن، واستقرت في أســوان فهم يقولون: محمدون، وعبدون، وحسنون للتحلية، فاللهجات في هذه المنطقة عــريقة جدًّا ودراستها تفيد المجمع في دراسة اللهجات العربية، وأنا مستعد أن أدلي بما أعلمه إلى لجنة اللهجات.

***الدكتور منصور فهمي:** أقترح إرسال بعثة لدراسة اللهجات في منطقة أسوان وأدفو على أن يكون على رأسها الأستاذ عباس العقاد .

***الأســتاذ أحمــد حسن الزيات:** بمناسبة ما ذكره الأستاذ العقاد من نطق أهل وادي العــرب من " حمدون وعبدون " أذكر أنه جاء في نفح الطيب: " إذا كان لك حاجة عند الكلب قل له: يا كلبون ".

***الأستاذ السيد محمد رضا الشبيبي:** من الأمثال السائرة عندنا في العراق :" إذا كــان لــك حاجة عند الكلب قل له: يا حج كليب "، ومع تقديري لما أورده الزميل الأســتاذ العقــاد مــن الأمــثلة للغة أسوان وأدفو أبغي بما ذكرت في بحثي أن أحث الباحــثين المجمعيين وغيرهم على التنقيب في الكتب عن تاريخ اللهجات وتطورها، وما ذكــرته من نطق المصريين والسوريين، لكلمة سيدي إنما أردت أن أسجل أن أسلافهم في القــرن الخامس كانوا ينطقونها أيضًا كذلك، كما أردت أن أنبه إلى أهمية دراسة أثر الوافدين من الأندلس وشمال إفريقية في اللهجات المصرية.

***الأســتاذ عباس العقاد:** بهذه المناسبة يوجد كتاب اسمه (الطالع السعيد) فيه شيء من هذا، وهو ينفع الدارسين.

***الدكــتور أحمد زكي:** أقترح أن يحول بحث الأستاذ السيد محمد رضا الشبيبي " دراســة في تاريخ اللهجة المصرية "، وما قيل حوله إلى لجنة اللهجات، على أن يدبر المجمــع المــال اللازم لدراسة هذه اللهجات؛ لأن كل مشروع لا يقترن بالمال لا فائدة

مـــنه، ولا تـــتم دراســـته، وأذكر أن الجامعات ترصد مبلغًا من المال للإنفاق منه على الـــبحوث والرحلات العلمية، وأرى أن يكون للمجمع اعتماد خاص لذلك، وأن تنفق من هذه الاعتمادات على الذين يعهد إليهم المجمع بتلك البحوث.

*الدكتور عبد الحميد بدوي: هذه مسائل قد تتعلق بالتعليم العام، ولذا أرى أن نطلـــب من وزارة التربية والتعليم أن تقوم المناطق بهذه الدراسة، وأن تتكفل ميزانياتها بالنفقات الخاصة بذلك.

*الدكـــتور منصور فهمي: قد يجد المجمع هذا العام ما يهفو إليه من اعتمادات لمـــثل هذه البحوث، ومن الممكن أن يخصص للجنة اللهجات ميزانية خاصة بها، تمكننا مـــن القـــيام بمـــا نريد ، وهذا لا يمنع من أن نتصل بالوزارة، ونطلب معونتها، وأؤيد الدكـــتور أحمـــد زكي فيما اقترحه من إحالة بحث الأستاذ الشبيبي وما دار حوله من نقاش ومقترحات إلى لجنة اللهجات.

اللهجة العامية المصرية

في القرن الحادي عشر الهجري(*)

للدكتور رمضان عبد التواب

خبير بلجنة اللهجات

الشـــيخ يوسف المغربي هو أبو المحاسن يوسف جمال الدين بن زكريا بن حرب المغـــربي المصري الأزهري(١)، تنحدر أسرته من أصل مغربي، وقد ولد هو بالقاهرة في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري، وتوفي بها في سنة ١٠١٩ هـــ .

وكـــتابه: " دفـــع الإصر عن كلام أهل مصر " وثيقة لغوية مهمة، سجل فيها صـــاحبه كـــثيرًا من ظواهر العامية المصرية في القرن الحادي عشر الهجري. وقد وصل إلينا في نسخة مكتوبة بخط المؤلف ، انتهى منها في منتصف جمادى الأولى سنة ١٠١٥ هـــ، أي قبل وفاته بأربع سنوات، ثم انتقلت بعد ذلك بمدة إلى أبي عبد الله محمد شمس الديـــن بـــن أحمـــد بن أبي السرور البكري الصديقي، المتوفى سنة ١٠٨٧هـــ، والذي اختصـــرها في كتابه الذي سماه: " القول المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من لغات العـــرب "(٢). ثم انتقلت المخطوطة بعد ذلك إلى يوسف الملُوي، الشهير بابن الوكيل، الذي نسخ مختصر ابن أبي السرور السابق(٣)، وانتقلت بعد ذلك إلى الشيخ محمد عياد الطـــنطاوي المعـــلم الأول للغة العربية في روسيا، وبعد وفاته في ١٢٧٨هـــ، دخلت المخطوطة في حوزة الكلية الشرقية بجامعة بطرسبرج - لينينجراد، ولا تزال هناك وتحمل رقم Ms, O, ٧٧٨ .

(*) نشر البحث بمجلة المجمع، بالجزء الثامن والعشرين، ص ٢٣٨.

(١) انظـــر ترجمـــته في ريحانة الألبا للخفاجي ٢٢/٢، وخلاصة الأثر للمحبي ٥٠١/٤ ، وهدية العارفين ٥٦٦/٢، وبروكلمان GAL II ٢٨٥ ; S II ٣٩٤ .

(٢) حققه السيد إبراهيم سالم، وطبعته المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، في سلسلة " تراثنا " بالقاهرة ١٩٦٢، وانظر كتابنا: لحن العامة والتطور اللغوي ص ٣٠٤.

(٣) انظر مقدمة المقتضب ص ٢ – ٧ .

وقــد ظهر الكتاب مصورًا عن هذه النسخة في عام ١٩٦٨ بموسكو في سلسلة آثــار الآداب الشــرقية، وذلــك بعناية الدكتور عبد السلام أحمد عواد، الذي قدم له ببحث عن المؤلف بالعربية والروسية، وذيله بفهارس كثيرة متنوعة نافعة .

ومخطوطة الكتاب ليست كاملة، بل تنقص إحدى عشرة كراسة، ويبدأ النقص مـــن أول الكراســـة الثالثة، أي في باب الباء فصل القاف (مادة: قطرب)، حتى نهاية الكراســـة الثالثة عشرة، أي إلى باب الفاء فصل الراء (مادة: ردف)، وإذا كان عدد أوراق الكراســـة عشر ورقات، فالناقص ١١٠ ورقات تقريبًا. وقد حدث هذا النقص بعـــد اختصار ابن أبي السرور للمخطوطة، وبعد نسخ ابن الوكيل لهذا المختصر؛ لأن نسختي المختصر كاملتان .

وهـــذه المخطوطـــة هـــي مسوَّدة المؤلف، ففيها تغييرات وإضافات وتنقيحات بخطه، مثلما وقع في صفحة (١٣ب/١٠) عند قوله: " ويقولون: لبن رايب، ولم أر في اللغـــة ما يناسبه، لا في رأب المهموز، ولا في راب بالألف اللينة"، فقد ضرب المؤلف على عبارة: " ولم أر في اللغة ... بالألف اللينة " وكتب على الهامش: " وهو صحيح. قـــال المجد: راب اللبن روبًا: خثر، ولبن رايب، أو هو ما يمخض ويخرج زبده، وروبه وأرابـــه ". كمـــا قال في آخره (١٣٣ أ/٢١): " وكتبه مؤلفه الفقير يوسف المغربي عفى عنه والمسلمين آمين " .

وقـــد بدأ المؤلف بالعمل فيه في منتصف شوال سنة ١٠١٤هـــ وانتهى منه في ليلة النصف من جمادى الأولى سنة ١٠١٥هـــ ، فقد ورد في آخره قوله (١٣٣ أ/٢): " فـــإن هذا الكتاب حصل في مدة يسيرة، يسر الله عسيره، فإن ما فيه من المنظوم نظم حـــال الكتابة مع جريان القلم، وكأنه نقل من نسخة ثَمَّ. وكانت البداية فيه في نصف شـــوال عـــام أربعـــة عشر وألف ، والختام ليلة النصف من جمادى الأولى عام خمسة عشـــر وألـــف، مـــع الاشـــتغال بسواه من أمور المعاش والمعاد، والقيام بأمور العيال والأولاد".

وقــد سمــى المغربي كتابه في البداية: " الفضل العام وقاموس العوام "، فقال في مقدمــته (٢ أ/٧): " فقصد الفقير يوسف المغربي أدخله اللــه في شفاعة النبي العربي أن يرتــب هــذا الكــتاب على أبهج ترتيب، ويهذب ما يقع من عوام أهل مصر بأن يــرجعه للصــواب، وهــذا هو التعريب. مغترفًا من القاموس والعباب، مبينًا لما حكم بخطئه أنه صواب. وسميته: الفضل العام وقاموس العوام ".

ثم تردد بعد هذا في تسميته بتسميات أخرى، إلى أن استقر على تسمية: " دفع الإِصر عن كلام أهل مصر "، وانظر في ذلك مقدمة الناشر ص ١١ – ١٢ .

وقد عين المغربي في النص السابق مراجعه، فحصرها في القاموس والعباب، وإن كان اعتماده على القاموس أكثر من اعتماده على العباب، وقد تأثر به في ترتيب مادة كتابه ونبه على ذلك في قوله (٣ أ/١٨): " وهو على حروف الهجاءِ كالقاموس مع تسامح في الأَصل والزائد ".

ومع ذلك فإنه لم يسلم من التصحيف والتحريف في نص القاموس، مثال ذلك قوله (٥٩ ب /٨): " يقولون: فلان زَعْلُوك، يعنون أنه فقير. وكثيرًا ما يقع هذا من المغاربــة، يقولــون عــلى الفقراءِ الحجاج منهم زعاليك. والذي في القاموس: زُعْلُوك كعصفور : السمين من الإِبل، والقصير اللئيم ، جمعه زعالك وزعاليك ".

والذي في القاموس: "الزُّعْكُوك" بكافين في باب الكاف فصل الزاي (٣/٣٠٥) ولم يــرد فيه: " زعلوك " بتاتًا. ويظهر أن النسخة التي كانت بيده من القاموس كانت قــد أهملــت وضــع شرطة الكاف الأولى، على عادة كثير من المخطوطات القديمة، فاشــتبهت لذلــك باللام، مع أن موضع الكلمة في باب الكاف كان من الممكن أن يجنبه الوقوع في هذا التحريف .

وقــد أشــار المغربي إلى هذه الكلمة مرة أخرى في صفحة (٦١ أ/١) فقال: " الصُّــعلوك كعصــفور: الفقــير، وتصعلك: افتقر. وهذا الذي تقول (العامة) فيه زعلــوك. وقــد تبدل الزاي صادًا، فلا يكون لحنًا. ولكن لم ينص عليه في القاموس".

فهـو هـنا يصر مرة أخرى على ورود كلمة " زعلوك " في القاموس بغير هذا المعنى، وإن كـان قـد فطن هنا إلى العلاقة بينها وبين كلمة " صعلوك "؛ فقد رققت الصاد، وجهـرت لـتأثرها بالعين المجهورة، فصارت زايًا، غير أنه عكس الكلام فقال: " وقد تبدل الزاي صادًا ، فلا يكون لحنًا ".

ويحكـي المغربي في كتابه كثيرًا عن نفسه، ويروي لنا بعض ما أصابه في مراحل حـياته المختلفة، فهو يقول مثلاً (٥١ أ/١١): " قلت: قد مرضت بهذا المرض، أي الفواق ، حتى التبس على بعض من عادني بالفواق عند النـزع، فظن أني أفوق بنفسي، أي أجـود بها، وهي على الخروج، فذهب من وقته لقاضي البلد، يسأله في وظيفة لي. وقـال: قد مات يوسف المغربي الآن، وبذل فيها دنيا، وكتب الحجة، فكان الشفاء في ذلـك الـيوم، ففـي عقبه عادني الأخ الأكرم سيدي محمد أبو الصواب، ويسر الأمر ووصـف لي المصـطكي والعـود الماوردي، فاستعملته فبرأت، ثم اتفق أنني سرت في جـنازة بنـت من سعى عليّ، ومشيت بالعسر؛ لأنه لم تتكمل صحتي، فقال لي بعض الأصـحاب: عجبت منك !هو يشيع موتك، ويأخذ وظيفتك، وأنت تمشي في جنازة بنته ... القصة، فتعجبت وقلت: أنا لا أتشوش منه؛ لأني بعد الفقد لا أبالي بمن تكون في يـده، بل كونها مع بعض الأصحاب أولى من الأجنبي، و لم أعاتبه، وقطعت حجته، وذهبت رشوته".

كمـا يـروي قصة أخرى طريفة في سبب تعلمه النحو وصيرورته من العلماء فـيقول (٧٠ أ/٢): " قال الفقير مصنف الكتاب: إن من التحدث بالنعمة ما سأقوله، وهـو أنني كنت أصنع حمائل السيف في حال الصغر... وذلك بعد موت الوالد، ودفن في البقـيع الشـريف، وجئت لمصر رأيت أخوالي يصنعونها وعلموني ففتح اللـه عليَّ فـيها .. ومـع شغلي أتلو القرآن العظيم وأقرأ بجامع طولون من المغرب إلى العشاء، فكنـت في أثناء القراءة أتأمل اختلاف الحركات في الكلمات، ولِمَ تكون هذه الكلمة مـرفوعة، والأُخرى منصوبة، إلى غير ذلك. فسألت عن ذلك إمام الجامع، وهو مولانا

الشـــيخ شعيب جزاه الله عني، فقال لي: إذا اشتغلت بالنحو نصف سنة، علمت ذلك خصوصًـــا إن حفظت شيئًا من متن ألفية ابن مالك، وأعطاني إياها فكتبت منها لوحًا، وصـــرت أقرأ فيه ليلاً، فمنعني أحد أخوالي عن ذلك، وقال: ما في أقاربنا علماء تطلع عـــالم لمـــن؟ وصار ينهرني ويقيمني من القراءة ليلاً؛ لئلا أنعس نهارًا، فلا أشتغل كثيرًا، فإنه يغلب عليه حب الدنيا، فلا زلت[1] أقرأ خفية بعد نومه حتى حفظت الألفية تمامًا. فقـــدر اللـــه أنهم جمعوا من الحمائل ما يساوي ألوفًا من الدنانير.. فعزموا على السفر للســـودان لأجل بيعها ... واتفق أن ساعدني جمع من الناس على أنهم يتركونني بمصر أشـــتغل بالعلم، وكان خالي يوسف – رحمه اللـــه – يحب لي ذلك، فقام على أخيه إبراهـــيم فاحتج بكوني صغير السن، وكيف نتركه وحده إلى أن سمحوا لي بالجلوس في دكـــان لهـــم ملآنـــة بالقماش من سائر الأنواع، وأن أبيع فيها وأصرف الفائدة على زوجـــاتهم وعيالهم إلى أن يحضروا، فوافقت على ذلك ظاهرًا، ثم بعد مدة يسيرة بعت الســـلعة وأخليـــت الدكان، وأبنت الزوجات عنهم؛ لأنهم وكلوني في ذلك إن طالت غيبتهم، واشتريت كتبًا وجئت الأزهر والحمد لله ... ".

ومـــع أن الكـــتاب مؤلّـــف في الدفـــاع عن لغة أهل مصر، فقد كثرت فيه الاســـتطرادات لأدنى مناســـبة، كقـــول المغربي مثلا (٩٥ أ/١٤): " ويقولون: فلان يـــبرجم: إذا كثر كلامه. ويستعملونه في صوت الحمام، يقولون الحمام يبرجم. والذي في اللغـــة: البرجمة: غلط الكلام. والبراجم: مفاصل الأصابع. والبراجم: قوم، في المثل: إن الشـــقي وافد البراجم؛ لأن عمرو بن هند أحرق تسعة وتسعين رجلاً من بني دارم، وحلف ليحرقن منهم مائـــة، فمر رجل فاشتم رائحة فظن شواء اتخذه الملك، فعدا إليه

---

(١) هـــذا التعبير من التعبيرات الشائعة حتى اليوم، وهو لحن؛ لأن "لا" حرف نفي مختص بالفعل المضارع، ولا يدخل عـــلى الماضي إلا إذا كان هناك عطف على منفي مثل: " ما كلمني ولا كلمته " أو تكررت مع الماضي المتكرر، مثل قوله تعالى: ﴿ فلا صدق ولا صلى﴾. فإذا دخلت على الماضي فيما عدا ذلك، كان الكلام دعاء لا إخبارًا، مثل قول ذي الرمة:

ألا يا اسلمي يا دار ميٍّ على البلى   ولا زال منهلاً بجرعائك القطر

ليرزأ منه، فقيل له: ممن أنت؟ فقال: من البراجم، فكمل به مائة".

كمـــا يظهـــر في الكتاب اهتمام مؤلِّفه بذكر فوائد الأعشاب والنباتات والثمار فمـــثلاً (٩٦ أ/٩) الـــثوم إذا كان مسخنًا " مخرج للنفخ والدود، جيد للنسيان والربو والســـعال المزمن، والطحال والخاصرة والقولنج، وعرق النسا والورك والنقرس، ولسع الهـــوام والحيات والعقارب والكَلب، والعطش البلغمي، وتقطير البول"، وهو إذا شوي مفـــيد" لوجـــع الأســـنان المتآكلة، حافظ صحة المبرودين والمشايخ، ورديء للبواسير والزحير والحبالى والمرضعات والصداع".

بل قد يذكر المغربي ثمرة من الثمار ليتحدث عن فوائدها الطبية فحسب، كقوله (١١٤ ب/١): " ويقولـــون: الرمان وهو معروف، الواحدة بهاء. فائدة: جلده ملين للطبـــيعة والســـعال، وحامضـــه بالعكس، ومرّه نافع من التهاب المعدة ووجع الفؤاد. وللرمان ستة طعوم كما التفاح، وهو محمود لرقته وسرعة انحلاله ولطافته".

ويـــبدو مـــن نصـــوص الكـــتاب أن صاحبة يعرف التركية وينظم فيها شعرًا (انظر مثلا ص: ٦ أ/٨ ؛ ٦ أ/١٥)، كما يعرف الفارسية كذلك، إذ يقول مثلاً (في صفحة ٢٣ أ/١٠) : " ومما ترجمته فيه من أبيات كلستان الشيخ سعدي" ، كما قال بعـــد أن ذكـــر اشتقاق كلمة بالفارسية (١٠ أ /١٤) : " وإنما ذكرت مثل هذا هنا حـــتى يعلم أن هذا الكتاب اسم على مسمى، وأنه الفضل العام، ولا يخص العربي، إلا أنني لا أكثر من ذلك لئلا يصعب على من لا يعرف الفارسي، وكثير ما هم ".

وفي الكتاب مادة نافعة لاستنباط كثير من الأحكام عن لغة أهل مصر في القرن الحـــادي عشر الهجري، وعوامل تطورها من العربية الفصحى في ضوء القوانين اللغوية الـــتي أرســـى قواعدها المحدثون من علماء اللغات. وقد اجتهد المغربي في تعليل تطور الكلمات التي أتى بها في كتابه، فأصاب المحز في بعضها، وخانه التوفيق في الكثير منها؛ لأنه كان في كثير من الأحيان يجهل أصل الكلمة، ويخدعه ما آلت إليه حالها في شكلها الأخير، فيربط بينها وبين مادة أخرى لا صلة لها بها .

ومــن ذلــك قوله (١١٤ ب/ ٢٠): " يقولون: فلان استنَّاني حتى زهق، أو استنّيته كذلك. وتأويله بعيد جدًّا، قال (يقصد صاحب القاموس كعادته، والكلام فيه (٢٣٣/٤): الأَسْتَن والأَسْتَان: أُصول الشجر البالية، واحدها أَسْتَنة. وأَستن: دخل في السنة. قلب: أَسنت، فيمكن أن يحمل قولهم: فلان استناني على ذلك، مبالغة أي كأنه انتظر سنة. ولا يخفى ما فيه من البعد".

فهــو في هذا المثال يربط بين كلمة: " استنَّى " في العامية المصرية، " وأَستن " مقلــوب "أَسنت" التي أوردها صاحب القاموس. ولو بحث قليلاً لعلم أن أَصل الكلمة هو:" استأني "بمعنى انتظر[1]، فسقطت الهمزة، وأغلق المقطع بتشديد النون، أو بعبارة أُخــرى اســتُغني عــن المد بالتضعيف، وتلك ظاهرة تعرفها اللغة العربية في تطورها؛ كقولهــم في" بالُوعة ": " بلُّوعة"، وهي الكلمة التي تطورت عندنا الآن إلى " بَلاَّعة " تبعًا لقانون المماثلة الصوتية بين الحركات[2] .

ويحار المغربي حين يكشف عن كلمة من الكلمات العامية في القاموس، فيجدها في شــكلها الأخير يماثل كلمة أُخرى، لا صلة بينهما في المعنى؛ كقوله : (٣٠ أ/٤) " ويقولــون على معلم الأَولاد: فقي، و لم تعلم؛ لأَن الفَقْي لغة وادٍ باليمامة، ونخل لبني العنــبر" وأصل هذه الكلمة، كما هو معروف: " فقيه "، سقطت منها الهاء، وهي من الأَصــوات الخفية التي تسقط كثيرًا من أَواخر الكلمات في العامية، مثل هاءِ الغائب في قولــنا: " كتابه " و" قلمه "، ثم حركت الفاء بالكَسر تبعًا لقانون المماثلة الصوتية بين الحركات .

ولكــنه كــان في بعض الأَحيان يتوقف، إذا لم يكن على علم بأصل الكلمة، كقوله (١٤ أ /٨): " ويقولون للبرسيم: ربّة. و لم أَعرف فيه شيئًا الآن "! والذي لم يعــرفه المغربي يوجد في لسان العرب لابن منظور، وهو لم يرجع إِليه. قال في اللسان

---

(١) انظر اللسان (أَبي) ٥١/١٨ .

(٢) انظر لهذه الظاهرة أمثلة أخرى في كتابنا : لحن العامة والتطور اللغوي ١٢٣؛ ٣١٦.

(ربــب) ٣٩٢/١: " والرِّبّة بالكسر: نبتة صيفية. وقيل: هو كل ما اخضر في القيظ مــن جمــيع ضروب النبات. وقيل: هو ضروب من الشجر أو النبت فلم يحدّ. والجمع الربــب ". ومــثل ذلــك أيضًا قوله (٣٥ ب /١٤): " ويقولون: هف طلع النهار، يــريدون ســرعة الشيء، وكنت أفهم أن هُفّ حكاية صوت من يطفئ السراج. ولم أنظر فيها شيئًا فانظرها ".

وأحــيانًا يقطــع المؤلــف بــأن الكلمة لا أصل لها، كقوله (١٣٢ أ / ٢): "يقولــون: ورّيــت فلانًا كذا، يريدون: أطلعته عليه، أي أريته له. وليس له أصل " . ويــبدو أن أصل هذا الفعل هو: "رَأَّى" بتضعيف الهمزة، وعندما سقطت الهمزة أصبح الفعــل: " رَوَّى " وهو ما يستعمله العراقيون حتى اليوم، فيقولون : "رَوِّيته إياه" بمعنى أريــته إياه. أما لهجة مصر فقد حدث فيها قلب مكاني بين الراء والواو، فصار الفعل: " وَرَّى ".

وهــناك أمــثلة أخــرى كــثيرة للقلب المكاني منتشرة في ثنايا الكتاب؛ كقوله (٢٣ ب/١٢): " ويقولــون: زِحْلِفــة، على الدابة المسماة: سلحفاة " فقد جهرت الســين في هــذا المثال بسبب مجاورتها للام المجهورة، ثم حدث القلب المكاني بين اللام والحاء، وقصرت حركة الفاء بسبب انتقال النبر.

وكقولــه (٢٥ ب/٧) :" ويقولون: سقّف على يديه أو بيديه، ولم أنظره "، فأصــل هــذا الفعل " صَفَّق " فحدث قلب مكاني بين الفاء والقاف، ورققت الصاد فصارت سينًا. وأغلب الظن أن القاف كانت قد قلبت هي الأخرى همزة، كما يحدث الآن في معظــم بــلاد مصر، غير أن الكتابة التقليدية المحافظة كانت تستر مظهر هذا التطور[1] .

ومثل ذلك القلب المكاني الذي نعرفه في كلمة: " مِلْعَقة " وتطورها إلى "مَعْلَقة" هــذا القلــب المكــاني كــان معروفًا كذلك في أيام المغربي؛ يقول (٤٩ ب/١٢):

---

(١) انظر هنا كذلك : لحن العامة والتطور اللغوي ص ٦٥ (هامش ١) وصفحة ٣٥٦ .

" ويقولـــون: مَعْلَقـــة لآلة يؤكل بها ويشرب. و لم أرها في القاموس، والذي فيه: رجل ذو مَعْلَقة، كمرحلة، يتعلق بكل ما أصابه انتهى . ويمكن بالقياس أن تكون الآلة: مَعْلَقة بالكسر، تعلق الطعام والشراب. أو يقال: إنها ملعقة، بتقديم اللام من اللعق". وما سبق أن قلـــناه في قاف " صفق " يمكن أن يقال هنا في قاف " ملعقة ". وانظر كذلك عنده (٥٤ ب /٣).

وكمـــا أن القلب في هذه الكلمات قديم منذ أيام المغربي، أو ربما قبل ذلك، فإن ضـــياع أصوات ما بين الأسنان من العامية المصرية قديم هو الآخر، نجد له أمثلة كثيرة عند المغربي؛ فمن أمثلة ضياع "الذال" وتحولها إلى "دال" قوله (٩٢ ب /١): " يقولون في الســـب: فـــلان ندل، بالإهمال، وإنما هو نذل بالمعجمة " وقوله (١٠٨ ب /٤): " ويقولـــون: فلان يهدرم الكلام. وله أصل؛ قال: الهذرمة: سرعة الكلام والقراءة، إلا أنـــه بالمعجمـــة "، وقوله (١٢٥ أ/١١): " يقولون: فلان جلس حِدَا فلان، أي قريبًا منه. وهي تصحيف عن حذائه، بالذال المعجمة".

ومن أمثلة ضَياع " الثاء " وانقلابها " تاء " قوله (٦٣ أ /١٩):" يقولون على الشـــجر: أتْـــل، بالمثـــناة، وإنما هو أثل بالمثلثة، واحده: أثلة"، وقوله (٦٧ أ/١٨): " ويقولـــون: أكلـــنا الشـــيء ورمينا تِفْله. والصواب: الثُّفل بالمثلثة وبالضم"، وقوله (٩٦ أ/٧): " ويقولون: تُوم بالمثناة، وإنما هو ثُوم بالمثلثة ".

ومـــن أمثلة ضياع "الظاء" وتحولها إلى "ضاد" قوله (٧١ ب /١): " ويقولون: حَنْضَل، على الحنظل، بالظاء المشالة، وليس له وجه؛ فإن الحنضل الغدير الصغير" !

و لم تكن العامة في عصر المغربي، تهمز كثيرًا من الكلمات التي تهمزها الفصحى، تمامًـــا كما ننطق اليوم: " رفا التوب " بدلاً من " رفأ الثوب " (٩ أ /١)، ومثل ذلك أيضًـــا قوله (٩٨ أ/١٦): " يقولون: يزوم عليه إذا هم به أن يغلبه. وفي القاموس: زأم كمنع: أكل أكلاً شديدًا، وزأمه ذعره ... وهذا قد يناسب قولهم: فلان زام عليّ، أي ذعـــرني". ومثل هذا الفعل كان مضارعه: " يزأم " بفتح العين كيمنع، غير أنه لما ضاع

مـــنه الهمـــز من عينه، تصرف تَصرف الأَجوف؛ مثل: قال يقول ومات ويموت، ورام يروم.

ويضـــرب قانون المماثلة بسهم وافر في تطور معظم الأمثلة التي ذكرها المغربي؛ كقولـــه (٢٤ /٢٠) : " ويقولون: عمل له الفرح بزَفّة. وليست الزَّفّة بهذا اللفظ في اللغة ... وأنسب من هذا أن الزُّفّة بالضم تطلق على الزُّمرة. والزَّفّة دائمًا في زمرة، إلا أَنهم حرفوها من الضم إلى الفتح. وفيه ما فيه" ، فتحول ضمة الزاي هنا إلى فتحة سببها المماثلة الصوتية مع فتحة الفاء.

ومـــن أمـــثلة ذلك أيضًا قوله (٦٢أ/١٠). " ويقولون: كحك العيد وإنما هو الكعـــك: خبز معروف، فارسي معرب"، فقد همست العين هنا فتحولت حاء، بسبب المماثلة الصوتية بينها وبين الكاف المهموسة.

أمـــا كـــلمة: " صُرْم " التي يطلقها المصريون على الدُّبر، فلم يعرف المغربي أَنها مـــتطورة عن كلمة " سُرْم " الواردة في القاموس المحيط (١٢٨/٤) في قوله: " السُّرم بالضـــم: مخـــرج الـــثفل وهو طرف المعى المستقيم ". فقال المغربي (١٠٢ ب /٣): " ويقولـــون عـــلى الاست: صُرم، ولم يعلم. قال: صَرَمه يصرِمه صَرْمًا ويضم: قطعه قطعًـــا. وصرم الرجل: قطع كلامه. والاسم الصُّرم بالضم " فقد خلط المغربي هنا بين كـــلمة " صُرْم " المتطورة عن " سُرْم " وكلمة " صُرْم" بمعنى قطع. والسبب في انقلاب الســـين صـــادًا هـــو المماثلة الصوتية بين السين والراء؛ لأن الراء في العربية ذات قيمة تفخيمـــية، وهـــي تميل إلى تفخيم الأَصوات المجاورة لها، كقولنا: " طور " في " ثور " و " صور " في " سور " و " أخرص " في "أَخرس" و " رَفَص " في "رفس" و"ضَرْب" في " درب " وغير ذلك .

أَمـــا إذا حدثت هذه المماثلة في الزمن القديم، أي في عصور الاحتجاج اللغوي، فـــإن المغـــربي يعترف بها، شأنه في ذلك شأن سائر اللغويين؛ كقوله (٤١ ب/٨) : " ويقولـــون – ولكـــن يقع من البعض: فلان يزدق، أي يصدق. وهو يصدق؛ قال في

القاموس: الزدق بالكسر لغة في الصدق، وأنا أزدق منه"، فقد جهرت الصاد هنا بسبب مجاورتها للدال المجهورة، فتحولت زايًا مفخمة، وكتبت بالزاي المعروفة؛ لعدم وجود رمز للزاي المفخمة في الكتابة العربية.

والاعتراف بالتطور القديم في الألفاظ، وعدّه من الفصيح، له أمثلة أخرى في الكتاب كقوله (٤٣ ب/١٣): " ويقولون ولد له مولود: أي يوم سُبوعه؟ وكان القياس: أسبوعه، ولكن قال (القاموس ٣٦/٣): " والأسبوع من الأيام والسُّبوع وبضمهما"، وقوله (١٢٩ أ/٩): " يقولون: علوان الكتاب، باللام، وهو صحيح كالعنوان بالنون " فمما لا شك فيه أن الأصل هنا هو كلمة " عنوان "، وأن الثانية متطورة عنها بسبب تأثير قانون المخالفة الصوتية بين النونين في هذه الكلمة، غير أن ذلك قد وقع من العرب في عصور الاحتجاج، ولذلك روي لنا على أنه جائز وصحيح، إذ مقياس الصواب والخطأ هنا، هو السماع وعدمه عند هؤلاء اللغويين الذين رووا لنا هذه الألفاظ.

أما السبب في تطور كلمة: " نصف " في العامية إلى " نُصّ " في قوله (٣٤ أ / ١٠) " ويقولون: نُصّ فضة، وإنما هو نصف. قال (القاموس ٣/ ٢٠٠): النصف مثلثة : أحد شقي الشيء" فهو أن الفاءَ من الأصوات المهموسة التي تخفى بعض الشيء عند النطق، فيبدو كأن الصوت السابق عليها مضعف.

وأما إطلاقهم " أتانة " على أنثى الحمار ، بدلا من " أتان " (١٠٩ أ/٨) فهو متفق مع الاتجاه العام إلى إلحاق تاء التأنيث بمعظم المؤنثات السماعية إن أريد الاحتفاظ بالتأنيث فيها؛ مثل قولنا :" حمرة " في " حمر " و " كبدة " في " كبد " و " عقربة " في " عقرب " و " سكينة " في " سكين " وما إلى ذلك .

ويبدو من بعض أمثلة الكتاب شيء من التطور في لغتنا الحالية، لغة التخاطب في مصر، عنها في عصر المغربي. ومن أمثلة ذلك انقلاب القاف غينًا في قولنا " زغزغ " بدلا من " زقزق " التي كانت لا تزال مستعملة في عصر المؤلف؛ إذ يقول

(٤٢ ب /١٦): " ويقولـــون : زقـــزقه ليضحك. قال في المختصر: الزقزقة: ترقيص الطفل. وفي القاموس: الزقزقة: الضحك الضعيف، والخفة، وصوت الطائر عند الصبح، وترقـــيص الصـــبي، كالزقزاق بالكسر، ولكن خلاف المشاهد فإن الزقزقة الآن: العبث باليد، وتحريكها في خاصرة الصبي ليضحكه. وهذا خلاف الترقيص ، فانظر فيه ".

فالـــتطور الحادث في هذا اللفظ في عصر المؤَلف ، كان في معناه لا في صوته، ولكـــن الذي حدث عندنا الآن بالإضافة إلى ذلك هو تحول القاف إلى غين. وانقلاب القـــاف غيـــنًا أمـــر يعرفه السودانيون، وبعض قرى جنوبي العراق. وعندنا من هذه الظاهرة في عاميتنا المصرية مثال آخر هو قولنا: " مش غادر " بمعنى " لا أقدر .

وقد عرف المغربي أصل كلمة: " فين " (١٢٠ أ /٦) وأنها كانت في الأصل: " في أين " فسقطت الهمزة ، وهذا ما يوافقه عليه العلماء المحدثون[1] . غير أنه ضل في البحث عن أصل كلمة: "إيمتا" في قوله (٣ ب /٩): " ويقولون إذا وعد أحد بشيء مـــثلاً فيقول له: إيمتا يكون. وليس له وجه إلا أن تكون (إي) زائدة، ومتى للسؤال عـــن الوقـــت، أو أن (إي) وحدها حرف جواب، فكأنه يقول إذا قيل له : نعم ما أشرتم به متى ؟ والحقيقة أن هذه الكلمة ليست مركبة من (إي) و(متى) كما يبدو في الظاهـــر ، بل الذي حدث هو أن " متى " سكنت ميمها للسرعة في النطق، فجيء همـــزة الوصـــل، لئلا يبتدأ بساكن، وعندما انتقل النبر إلى هذه الهمزة طالت حركتها بعض الشيء، فلذلك كتبها المغربي بالياء: " إيمتا ".

وعلى الرغم من عدم معرفة المغربي باللغة العبرية، فإنه استطاع أن يصحح التعبير العـــبري الشائع عند من يشتغلون بالسحر من العامة، وهو: אֶהְיֶה אֲשֶׁר אֶהְיֶה = أكـــون الـــذي أكون (يعني أنا من أنا)، إذ يقوله العامة: " أهيا شراهيا " وقد جعله المغـــربي: " إهـــيا أشَـــرإهيا " وهـــو قريب من النطق العبري الصحيح وهو: " إهْيهْ أشِـــرْ إهْـــيه "، وإنْ كـــان المغـــربي قد ظن أن هذا التعبير يوناني وهـــمًا منه؛ فقال

---

(١) انظر : أصول الكلمات العامية، لحسن توفيق العدل ص ٦٠ .

(١٢١ ب /١٣): " يقولــون: أهــيا شراهيا. قال: وهو خطأ، وإنما هو: إِهيا بكسر الهمزة – أَشر إِهيا ، بفتح الهمزة والشين. أي الأزلي الذي لم يزل ، يونانية ".

وهناك في الكتاب أمثلة كثيرة لتطور الصيغ في العامية المصرية؛ فمن أمثلة تطور صــيغة (فُعْلُول) ، بضم الفاء، إلى (فَعْلُول) بفتحها، قوله (٩٦ أ /٣). " يقولون: صــاحب بَلعــوم، أي كثير الأكل ، فيفتحون الباء، وإنما هو بالضم مجرى الطعام في الحلــق " ، وقــوله (٩٦ ب /١٥): " ويقولون: الخرطوم بالفتح، وإنما هو الخُرْطُوم بالضــم، كزنــبور: الأنف أو مقدمه "، وقوله (١١٦ ب /٨): " ويقولون: أعطاه العَرْبُون، بفتح العين مع أنه بضمها".

ومــن أمثل تطور (فِعليل) ، بكسر الفاء، إلى (فَعْليل) بفتح الفاء قوله (٦٥ ب / ١): "ويقولــون: البَرْطِيل شيخ كبير، فيفتحون الباء. وإنما هو البِرطيل بالكسر"، وقولـــه (٤٢ ب / ١٠) : " يقولــون : فلان زَنْدِيق، فيفتحون الزاي ، وإنما هو بكسرها"، وقوله (٩٠ ب/١): " يقولون: قَنْديل بفتح القاف، وإنما هو بكسرها".

ومــن أمــثلة تطور صيغة (مفْعَلة) بكسر الميم، إلى (مَفْعَلة) بفتح الميم قوله (١١٣ ب / ٥): " ويقولــون لمــا يوضع فيه القنديل: مَدْخَنة، بفتح الميم، وإنما هي مدْخنة، كمكنسة ".

ومــن أمثلة تطور (فعُول) بفتح الفاء وضم العين، إلى (فُعُول) بضمهما قوله (٢٥ أ/٢٠): " ويقولــون لما يسف: سُفُوف، بضم السين، وهو سَفُوف كصبور"، وقولـــه (٥٤ ب / ١): " ويقولــون: لُعُوق، بضم اللام، وإنما هو بفتحها. قال في القاموس: لعوق كصبور: ما يُلْعَق ".

أما تطور دلالة الألفاظ في عامية مصر في عصر المغربي، فلها أمثلة كثيرة كذلك في الكــتاب، فمن أمثلة تخصيص الدلالة استعمالهم كلمة: " الطرب" في معنى الفرح، كمــا نستخدمها في أيامنا هذه، وهي تدل في الأصل على حركة الفرح والحزن، يقول (١٦ أ /١٨): " ويقولــون: حصل لفلان الطرب، يخصونه بحركة الفرح، وهو يطلق

علـــى حركة الفرح والحزن من الأضداد. ورجل مطراب وطروب. وقد ظهر الآن أن قولهم لو اتفق حماران لأطربا، أي حركا حركة حزن، لا حركة فرح؛ إذ صوت الحمار بمفرده يحرك حركة الحزن، ويستفاد منه، فكيف مع الازدواج".

ومـــن أمـــثلة انـــتقال الدلالة بسبب إحدى علاقات المجاز المرسل، استعمالهم " تشـــنيف الآذان" بمعنى إسماعها ما حسن من الأصوات، وهو في الأصل يعني إلباسها الشنف وهو القرط. يقول المغربي (٢٦ ب /١٥) : " ويقولون عند السماع: شنفتم المســـامع، فلـــو مشى معهم أحد في تشنيف المسامع لما شنفوا المسامع. ومعنى ذلك أن الشِــنْف بالكسر وسكون النون ... هو القرط للأذن، وشنف الجارية فتشنفت: جعل لهـــا شـــنفًا، مثل قرطها القرط فتقرطت. فكأن المسمع بحسن سماعه ألقي في المسامع شنوفًا وجواهر ، فصح قولهم: شنفتم المسامع".

أمـــا " تقطيع فروة " الإنسان ، فمعناه في عصر المغربي: ذكره بالمحاسن، يقول (١٢٩ ب/١٣): " يقولـــون: كنا نقطع فروتك، أي كنا نذكرك بالمحاسن، ولكن لا يخفـــى ما فيه من الإبهام، فإن الفروة للخروف، والفروة جلد الرأس". وقد تطور هذا المعـــنى في عاميتـــنا الحالية، فأصبحنا لا نفهم من هذا التعبير إلا ذكر مساوئ الإنسان لا محاسنه.

هـــذا هـــو تحليل بعض الظواهر اللغوية التي يفيض بها هذا الكتاب الممتاز، وهو وثـــيقة لغويـــة نادرة في دراسة اللهجات العربية. وكم كنا نتمنى لوجاد علينا التراث العـــربي بالكـــثير مـــن أمثال هذه الوثيقة في عصور العربية المختلفة، وبقاعها المتفرقة، لتلقي بعض الضوء على مراحل التطور اللغوي لكثير من الظواهر اللغوية في العربية.

*   *   *

دراسة في اللهجة المصرية (*)

للأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي

عضو المجمع

أمـا وقد أخذ مجمع اللغة العربية الملكي في وضع المعجم وتهيئة أدواته، وإعداد جـزازاته، فقـد أصبح من الواجب علينا التفكير في الكلمات التي تصلح أن تدخل في ذلك المعجم، والتي لا تصلح.

ويمكن رد كلمات اللغة إلى صنفين كبيرين:

١- الكلمات القاموسية ونعني بها الكلمات التي تعب أسلافنا (رحمهم اللـه) في جمعهـا وإيداعهـا معجمات اللغة، ويلحق بهذا الصنف كلمات فصيحة لم تودع المعـاجم، وقد نظفر بها في كتب أخرى. فعلينا أن نجمعها من مظانها المعتمدة، وندونها في المعجم الجديد.

ولـيس كل الكلمات القاموسية يمكن أخذه في المعجم، بل إن قسمًا كبيرًا منها يؤخذ ويقبل، وقسمًا كبيرًا يترك ويهمل. ولابد لنا من وضع أصل ثابت نرجع إليه في الأخذ والترك ، وبرغم ما وضعه المجمع من قراري (المعرب) و(المولد) فإن أمر إدخالهما في المعجـم سوف يحدث ضجة بين أعضاء لجنة المعجم، تضطرهم في غالب الظن إلى تعديل القرارين المذكورين، وجعلهما أكثر تسامحًا. وأوسع صدرًا مما هما عليه الآن.

٢- الكلمات غير القاموسية وهي قسمان:

قسـم نسـميه (المعـرب)، وهـو المأخوذ من أصل أعجمي. وقسم نسميه (المولد)، وهو المأخوذ من أصل عربي.

وقـد رأيـت في بحثي هذا أن أعمد إلى طائفة من الكلمات المولدة، فأجعلها موضـوعًا لتطبـيق قـرار (المولد) الذي وضعه المجمع، فأقلب وجوه الرأي في تلك الكلمات، وأشير إلى أصلها الفصيح إن كان لها أصل، ثم أحاكمها إلى ذلك القـرار،

(*) نشر البحث بمجلة المجمع، الجزء الثالث، ص ٢٩٠.

وأنظــر مــا يجيزه منها، وما لا يجيزه، وهو عمل من أعمال التمهيد للشروع في وضع المعجــم، أو هو دراسة في كلمات عامية هي أشد ما يتشاءم به المتشائمون، ويحبون أن ينــزهوا المعجم العتيد عنه.

وقد تنخلت من الكلمات العامية كلمات شائعة في اللهجة المصرية، دون غيرها مــن اللهجات، (أولاً) لأن أكثرنا (أعني غير المصريين) يعرف معاني تلك الكلمات. ومواضــع اســتعمالها في اللهجة المصرية. (ثانيًا) لأن المعجم الجديد سوف لا يتسع صدره إلا للهجة المصرية الخلابة، التي ستبقى بجانب اللغة الفصحى بقاء الطراز المنمنم، في الــثوب المعــلم؛ وقبل الشروع في البحث آتي على خلاصة قرار (المولد)، وهي: (مــا جرى من الكلمات المولدة على أقيسة كلام العرب قُبِلَ، وما خرج عن أقيستهم بتحريف لفظ أو دلالة لا يُقْبل). فمن الكلمات المولدة في اللهجة المصرية قولهم:

١- **" ابــن بلد"** والمراد بالبلد معناه العرفي، أعني المدينة ذات الحضارة، فيكون معــنى (ابن البلد) أنه متأدب بآداب الحضر. وليس فيه عنجهية أهل البادية ولا غلظ طــباعهم. على أن التوليد في هاتين الكلمتين من قبيل التوليد في الأساليب، لا التوليد في المفــردات؛ لأن كلاًّ من (ابن) و (بلد) استعمل في معناه اللغوي، وقد جاءهما التوليد من إرادة المعنى الكنائي. وهو (أي قولهم ابن البلد) تعبير سائغ، يجوز استعماله في الكــلام الفصــيح؛ لأن التولــيد فيه جرى على أقيسة كلام العرب وطرائقهم في الــتجوزات والكــنايات. ويؤيــده ما رواه (الأحول) من أن العرب يقولون للفطن الأريــب: (هــو ابن مدينتها، وابن بلدها، وابن بجدها) والضمير في مدينتها وبجدها راجــع إلى القصــة، أو المسألة المتحدث عنها. فالعرب تريد من هذه التعابير الثلاثة أن الرجل خبير بهذه المسألة خبرته برفيق حياته الذي عاش معه في بلد واحد.

وقولهــم (ابن بجدها) يقرب معناه من معنى (ابن بلدها). وهو مأخوذ من بجد بالمكان إذا أقام فيه، فبجدة الإنسان مقامه، ثم تجوزوا بالبجدة عن دخلة الأمر وباطنه، والحاصل أن قول المصريين (ابن البلد) في الدلالة على خبرة الشخص بأساليب الحياة

المدنية، أو أساليب حياة الحضارة، مضروب على غرار أساليب العرب في الكنايات مذ قالوا هو (ابن بلدها) في الدلالة على الخبرة والمعرفة بالشيء. فالتوليد في هذا التعبير عربي مقبول، وسيذكر في المعجم في مادة (ابن) أو مادة (بلد).

فيقال مثلاً: " ابن بلد " أي متأدب بآداب الحضارة، وهو تعبير مصري مولد.

٢- " عبيط " هذه الكلمة تستعمل تقريبًا في عكس المعنى الذي تستعمل فيه كلمة (ابن البلد)، فهي تدل على بلاهة الرجل، أو غفلته، أو أقول بساطته، إن أجاز الأعضاء استعمال كلمة البساطة في معنى simplicité الفرنسية.

وكل ما ذكره علماء اللغة في مادة (ع ب ط) لا يدل على معنى الغفلة أو الغباوة، فلم يبق إلا أن (عبيط) مقلوب (بعيط)، بتقديم الباء على العين. يقال في الفصيح: " بعط في الجهل: إذ أبعد فيه وأغرق، " ومثله " أبعط في الجهل " من الأفعال، وفسروا الإبعاط أيضًا بأن يقول الرجل قولاً على غير وجهه، وربما كان هذا المعنى هو الذي أراده المصريون في وصف الرجل (بالعباطة)، ومهما يكن من الأمر فإن كلمة (العبيط) مولدة بتحريفها عن كلمة (بعيط) الفصيحة، وإذا حاكمناها إلى قرار المولد الذي وضعه المجمع حكم بتزييفها؛ لأنها خرجت عن أقيسة كلام العرب، مذ حرفت عن أصلها الفصيح، وهو (بعيط).

وبناء على هذا لا يجوز تدوينها في المعجم، ولا عدها في الفصيح. ولعل في أدباء مصر من ينتدب للدفاع عن كلمة (عبيط) فيقول إن تحريفها عن (بعيط) ليس تحريفًا بدعًا من أقيسة كلام العرب، وإن له شواهد في فصيح كلامهم؛ وتحريف (عبيط) عن (بعيط) هو الذي يسميه علماء اللغة (قلبًا)، فالعرب يقلبون (بتك) بمعنى قطع، ويقولون (تبك)، ويقلبون (لبك) بمعنى خلط، ويقولون (بكل)، واشتقوا منهما (لبيكة) و (بكيلة) لطعام لهم معروف. وقلبوا (يئس) فقالوا: (أيس) ، وقبلوا (بطيخ) فقالوا (طبيخ)؛ وقبلوا (فج عميق) فقالوا : (فج معيق).

ثم يقولـــون: والعرب قالوا (بعيط)، ونحن - معشر المصريين - قلبناها متأثرين بطريقـــتهم أو بإحدى لغاهم التي نزلت مصر، وقلنا (عبيط)، فينبغي إذن تدوينها في المعجـــم عـــلى أنهـــا لغة مصرية، كما تقول المعاجم أحيانًا: لغة يمانية، ولغة شامية في الكلمات المستعملة في بلاد اليمن والشام.

٣- " فســيخ " اســم لضرب من السمك يُمقر: أي ينقع طويلاً حتى يفسد. وهي كلمة ولدها المصريون، ولا توجد في المعاجم بهذا المعنى، فمن أين جاءوا بها؟

الظاهـــر أنهم ولدوها من مادة (ف س خ) القاموسية. وهذا التوليد مفترض بطريقتين.

(الطريقة الأولى) أن يقال: إن الفسيخ مشتق من فسخ رأيه: إذا فسد وقد جاء لازمًـــا مـــن بـــاب علم، ومتعديًا من باب نصر، فالسمك الفسيخ إما أن يكون بمعنى (فاســـخ): أي فاســـد، وإمـــا بمعنى (مفسوخ): أي مفسد: أفسده المقر الطويل. ويعـــترض عـــلى هذا التوليد بأن علماء اللغة قد قرنوا فعل الفسخ بمعنى الفساد بكلمة (الـــرأي)، ثم لم يصرحوا إن كان (الرأي) شرطًا في فصاحة استعمال (فسخ) كما صـــرحوا بذلـــك في فعل (الفرك) مذ قالوا إنه خاص بالبغض يقع بين الزوجين، فإذا قـــرر المجمـــع عدم اعتبار هذه القيود اللغوية إلا فيما نصوا عليه، صح لنا أن نقول إن لفـــظ (فســـيخ) المصرية مولد جائز الاستعمال؛ لأن الاشتقاق فيه جرى على أقيسة كـــلام العرب، فهو مشتق من (الفسخ) بمعنى الفساد، ولا عبرة بقيد (الرأي) طبقًا لقرار المجمع.

وإن لم يضـــع المجمع قراره هذا كان اشتقاق (الفسيخ) من فسخ رأيه غير جائز فلا يسوغ إذن تدوينه في المعجم، ولا استعماله في الكلام الفصيح.

(الطـــريقة الثانية) أن يقال: إن (الفسيخ) لم يشتقه المصريون من فسخ الرأي، وإنمـــا أخذوه من فعل (انفسخ اللحم إذا أصلّ) ، وإصلال اللحم: إنتانه وتغير رائحته، ولا جرم أن الفسيخ لحم متغير الرائحة .

ويعترض على التوليد بهذه الطريقة بأن القياس في اشتقاق كلمة (الفسيخ) أن يكـــون من فعل (الفسخ) الثلاثي؛ ولا يوجد في المعاجم فسخ اللحم ثلاثيًّا، وإنما وجد (انفسخ) من الانفعال، وقد نص علماء العربية أن الأصح عدم جواز اشتقاق الثلاثي مـــن المزيد، حتى إن اشتقاق نحو عذاب أليم من الإيلام، وبديع من الإبداع، وسميع من الإسماع، وهو بينهم موضع نزاع .

ولا يـــنقذنا من موقف هذا الاعتراض إلا القول بجواز اشتقاق مادة لم تذكر في المعـــاجم مـــن مادة ذكرت فيها، فتقول إن فسيخ السمك لم يذكروه بمعنى أنه فاسد، وإنمـــا ذكروا انفساخ اللحم بهذا المعنى وذكر (الانفساخ) يجعل (الفسخ) الثلاثي في الكف، ومن هذا الثلاثي نشتق فسيخ السمك.

والحاصـــل أنـــه بعـــد النص في المعاجم على أن (فسخ الرأي) بمعنى فساده، و (انفســـاخ الـــلحم) بمعنى إنتانه، لا يجوز بحال أن نحكم بإسقاط كلمة (الفسيخ) المصرية من عداد الكلم العربية، وإقفال أبواب المعجم في وجهها .

عـــلى أن أمـــر البـــت في ذلـــك يرجع إلى لجنة المعجم، حينما تصل إلى مادة (ف س خ) من حرف الفاء .

٤- **"الكتكوت"** اسم للفروج، وهو فرخ الدجاج أول ما تتقيض عنه البيضة. ولم تذكـــره المعاجم، وإنما ذكرت (الكتكتة)، وقالت: هي صوت الحبارى، وهو طائر مشهور، فكأن الكتكوت سمي بذلك من صوته الذي يشبه كتكتة الحبارى، فهو إذن، مولد جائز الاستعمال، وقد وافقوا في توليده قرارين:

قـــرار جواز (المولد) الذي لم يقع فيه تحريف يخرجه عن أقيسة كلام العرب، وقـــرار جـــواز اشـــتقاق مادة غير قاموسية من مادة قاموسية. غير أنه ينبغي ضم أول كُتكوت؛ لأنه لا يوجد في اللغة العربية، (فعلول) بفتح أوله إلا كليمات معدودات.

هـــذا، ويحتمل أن يكون (الكتكوت) مشتقًّا من فعل (كتكت) بمعنى قارب الخطو وهو يسرع في مشيه. وهذا المعنى ظاهر في مشية الكتاكيت.

وإذا ذكر الكتكوت في المعجم حسن أن يقال إنه مولد مصريّ.

٥- **" حدّوتـــه "** كذا بالتاء المثناة، اسم لقصة فيها غرابة. والظاهر أن أصلها (أحدوثـــة) بالثاء المثلثة، على وزن (أفعولة) وهي ما يتحدث به، ثم حرفتها العامة إلى (حدوتـــه)، وهـــو توليد يخرجها عن الأقيسة العربية، ويمنع صحتها وتدوينها في المعجم.

ويحتمل أن تكون (حدوته) المصرية صيغة مستقلة على وزن (فعولة) بتشديد العـــين مـــن الحديث، وأنهم حرفوها إلى (حدوته) بالتاء المثناة مكان (حدوثة) بالثاء المثلثة. وهو تحريف يخرجها أيضًا عن الأقيسة، اللهم إلا إذا طبقناها على قاعدة (توهم أصـــالة الحـــرف) وذلـــك بأن نتوهم التاء المثناة في (حدوته) أصلية بناء على توهم أصـــالتها في فعل (حَدَّتُه) بالتاء المثناة، الذي سند فيه الفعل إلى ضمير المتكلم. وهو لغة لـــبعض العـــرب كمـــا في المخصص، فالمصريون الأقدمون الذين سمعوا تلك اللغة من جـــوالي العرب في مصر جذبهم طبعهم إلى اشتقاق (حدوته) بالتاء المثناة، مذ توهموا أصالتها في فعل (حدته).

ومهما يكن فلا يخلو هذا التوجيه في تصحيح (حدوته) من تكلف.

لهـــذا يصعب اعتبارها من المولد الذي يجيزه قرار المجمع؛ لأن التحريف فيها بيِّن فتبقى (حدوته) غير فصيحة، وغير جديرة بأن تدون في المعجم.

٦- **" التنبـــيط "** مصدر نبَّط عليه بمعنى ما يقولون أيضًا نكَّت عليه، وألَّس علـــيه . ويقولون في دمشق (أنكل عليه) بالكاف المصرية. وربما قالوا في فصيح الكلام (تـــنادر علـــيه أو تندر عليه) أي استعمل النادرة والمزاحة معه بأسلوب يؤلم ويغض مـــنه. لكن هذا المعنى لفعل (تنادر) أو (تندّر) لم أره في المعجمات. وإنما أذكر أن صاحب الأغاني قال على لسان الخليفة المهدي مذ قال لبشار:

" ويحـــك يـــا بشـــار ! أتتنادر أو (تتندر) على خالي؟ " وكان خاله زعم أن الشراب الذي ذكر القرآن أنه يخـــرج من بطون النحل كناية عن الحكمة التي تخرج من

بطون بني هاشم، فقال له بشار:" أطعمك اللـــه مما يخرج من بطونهم".

وفعـــل (التنبـــيط) بمعـــنى التنكيت ربما كان مأخوذًا من (النبط) وهم قوم ســـواديون يغلـــب عليهم الاشتغال بالفلاحة، وقد اشتهروا بالحذق فيها كما اشتهروا بالخشونة وجفاء القول؛ فيكون تحليل معنى (نبط عليه) كلمة بما يثقل عليه من القول الذي يشبه أقوال جفاء الأنباط في عدم لياقته.

فنـــبط إذن فعل مولد، اشتقه المصريون من (النبط) وهذا الاشتقاق من الاسم الجـــامد صـــحيح؛ لجـــريانه على أقيسة كلام العرب. وخصه المجمع بلغة العلم ولعله يضطر في آخر الأمر إلى تعميمه في لغة الأدب أيضًا .

ومـــثل اشـــتقاق التنبيط من (النبط) اشتقاق فعل (استنبط) منه، وهو ما في قول أبي العلاء المعري:

استنبط العرب في الموامي بعدك، واستعرب النبيط

ومثله اشتقاق فعل (تمعدد) (من (معدّ) بتشديد الدال، و(معدّ) هذا أحد أجداد قريش، ومعنى (تمعدد) الغلام: خشن واشتد، ومنه قول الشاعر:

ربيته حتى إذا تمعددا كان جزائي بالعصا أن أجلدا

والحاصـــل أن فعل (نبط) مولد مصري، وأمر فصاحته وتدوينه راجع إلى لجنة المعجـــم، أو هـــو مـــتوقف على تعديل قرار المجمع في تصحيح الاشتقاق من الأعيان مطلقًا، لا في لغة العلم وحدها.

٧- " الـــنجفة " يـــريد بهـــا المصريون مجموعة المصابيح أو السرج التي تكون مصنوعة أو مؤلفة على شكل خاص .

ومـــادة (ن ج ف) في اللغـــة العربـــية لهـــا معان لا تلائم معنى (النجفة) الاصطلاحية؛ ولعل السبب في هذه التسمية أن شيئًا من هذه النجفات كان اجتلب في أول الأمر إلى مصر من مدينة (النجف) العراقية، فسماها المصريون نجفية بياء النسبة، ثم حـــرفوها إلى (نجفـــة) مـــن دون ياء. أو أنهم سموها (نجفة) من دون ياء ابتداء،

وتسـمية الأشياء باسم المكان الذي تصدر عنه معهود في اللغة العربية وغيرها، ونظيره الثياب الدبيقية والهروية والقوهية و (دامسكين) و (موصلين) إلخ .

وأمـا حذف ياء النسب من (نجفة) فنظيره حذف الياء من (مخشلب)، وهو اسم امرأة اتخذت الخرز حليًا لها، فسموا الخرز مخشلبًا باسمها، من دون ياء النسبة إليها.

هـذا قديمًـا، وأمـا في لغتنا الحديثة فيشبهه كلمة (كولونيا) وهو اسم للماء المعطر المعروف، سمي باسم المدينة الألمانية التي يجلب منها، وهي (كولوني Cologne) فتقول (كولونيا) من دون ياء النسبة، وإلا قلنا كولونيّ مثلاً.

وفي الشـام يسـمون الـنجفة (ثريا) على التشبيه بثريا السماء، وهي تسمية منطـبقة على ما في الخارج تحريرًا (أي تمام الانطباق)، فإن ثريا السماء وثريا البيوت كلـتاهما هَـنَات مجـتمعة مضيئة، وكلتاهما معلقتان في جهة العلو التي يسميها العرب سقفًا، كما يسمونها سماء.

فالتولـيد في (الـنجفة) مبني على تسمية الشيء باسم المكان الذي صنع فيه، والتوليد في (الثريا) مبني على تشبيه الشيء بما يشبهه، وكلا الأمرين جار على أقيسة كلام العرب.

والـثريا بمعنى النجفة مولد قديم، فقد ذكرته المعاجم، ولا سيما المخصص الذي نشأ صاحبه (ابن سيده) في حضارة الأندلس وهو، إن لم يكن رأى النجفات بعينيه، فقد سمع وصفها بأذنيه.

فينبغي أن تدون الكلمتان المصرية والشامية في المعجم: هذه في باب الثاء وتلك في بـاب الـنون، فـيقال مثلا: (النجفة) اسم لمجموعة المصابيح المؤلفة على شكل مخصـوص، وهو لفظ مولد مصري، ويقال في (الثريا): هو لفظ مستعمل في الشام، لكنه مولد قديم.

٨- " **الـزلط** " يريد بها المصريون الحجارة أملاء الأكف، تكون غالبًا مدملكة في استدارة، وملسًا في نعومة، ومن ثم يزلط عنها كل ما وقع عليها، ومعنى (يزلط) في

لغـــة مصــر العامــية يــزْلَق، وعامة أهل الشام يزيدون باء على فعل زلط، فيقولون (زبلط) .

ويظهر أن استعمال مادة (الزلط) بمعنى (الزلق والزلج) توليد قديم، فقد قالوا (الزلــيطة) بالتصغير: اللقمة المتزلقة من العصيدة ونحوها)، وصرح صاحب التاج أن (الـــزلط) عامــية، وفسرها بالحصى الصغار، وتوليد (الزلط) جاء من تحريفها عن (الزلج) أو (الزلق) الفصيحتين. وهو توليد لا مسوغ له في اللغة، ولا هو جار على مقاييســها المطردة، لذلك تنــزل كلمة (الزلط) عن درجة المولد المقبول، إلى درجة العامي المرذول. فلا هي بالسائغة الاستعمال في فصيح الكلام، ولا بالجائزة التدوين في المعجم العتيد.

وإذا أردنـــا كـــلمة عربــية فصــيحة تقوم مقام كلمة (الزلط) فلدينا كلمة (مَلَقة)، وتجمع على (ملَقات).

قـــالوا: هــي (الحجـــارة الملس لا يتعلق بها شيء) ومعنى لا يتعلق: لا يعلق ولا يثبـــت. ومـــنه المملق، وهو الفقير لا يعلق على يده شيء من حطام الدنيا، وربما كـــان (التملق) مأخوذًا من هذا المعنى؛ فإن المتملق لا يعلق على قلبه شيء مما يجرى به لسانه من كلمات الملق والتودد.

فهـــل في مقدورنـــا يا تُرى أن نحيي كلمة (مَلَقات) الفصيحة، ونمهد الطريق أمام استعمالها مكان (الزلط) العامية؟؟

نعـــم يمكن هذا بأن يعمد إليها كاتب لبق من كتابنا المقروئين، فيستعملها الفينة بعـــد الفيـــنة، وأنا الكفيل بأن (الملقة) و (الملقات) لا تلبثان أن تؤلفا، وتسوغا في الأذواق .

٩- و ١٠ " القرام والأقرمة. والرجيزة والرجائز" اعتاد أهل مصر أن يتخذوا بـــيوتًا من نسيج غليظ الغزل ويزينوها بقطع النسيج ذات التهاويل المختلفة الألوان من أحمـــر وأزرق وأصفر. ويسمون تلك البيوت صواوين، ينصبونها في الأفنية والساحات،

وأحـــيانًا في قـــوارع الطـــريق، ثم يـــأوون إليها في التهانئ والتعازي وسائر ضروب الاحتفالات .

ويفهـــم مـــن المخصص (جزء ٤صفحة ١٥) أن من معاني (القرام) النسيج الغلـــيظ مـــن صوف. وفهم منه أيضًا أن هذا القرام يزين بالرجائز، وأن البيت الذي يتألف من هذه القرامات يسمى (كِلَّة)، وها هي ذي عبارته:

(قـــال أبـــو عبيد: القرام : السِّتْر، وقال ابن الأعرابي : جمعه قروم)، ثم فسر القـــرام بقولـــه: (هو ثوب من صوف فيه ألوان من عهن، فإذا خيط فصار كأنه بيت فهـــو كِلَّـــة) ثم قال: (وقال صاحب العين: الرجائز نسيجة عرضها ثلاث أصابع أو أربع، حمراء يحسن بها القرام) أ . هـــ

ولا يخفـــى أن بحثـــنا في المولد العامي لا ينتظم كلمتي (القرام) و (الرجيزة)؛ لأنهمـــا مـــن الكـــلمات القاموسية الفصيحة، ولا دخل لهما في اللهجة المصرية، وإنما نحـــن نـــود أن تدخـــل هاتـــان الكلمـــتان في لغتـــنا اليومية سواء أكانت عامية أم خاصية .

وكـــلمة (القـــرام) وردت في كتب السنّة والأخبار بمعنى غير هذا المعنى الذي نقله صاحب المخصص، فإذا استعملناها اليوم في معنى قطع (الصواوين) التي يسميها الـــناس (تـــركًا) ويجمعونهـــا عـــلى (تروك) كانت كلمة (القرام) بكرًا في هذا الاستعمال، وتكون أشدَّ رسوخًا في الأذهان، واستقرارًا على أسلات اللسان .

ونجمعهـــا على (قُرُم) بضمتين ككتب، أو أقرمة أو قرامات، وكذا نستعمل (الرجـــيزة) ، واســـتعمالها بكر على كل حال، ونجمعها على (رجائز) وهو جمعها القياسي.

وبناء على هذا يصح للطارئ على مصر إذا أراد وصف عادات أهلها أن يقول: " إنهـــم في مصـــر يتخذون من القرامات (أو الأقرمة) المزينة بالرجائز الملونة صواوين يجتمعون بها في احتفالاتهم " .

ويقــول الفــرّاش: هـــات القـــرام، وخذ الأقرمة إلى القرام يصلحها. وتقول: للقـــرامات عرى وأزرار تشد أطرافها بعضها إلى بعض. وصانع القرامات (قرّام) كما أن صانع الرجائز (رَجّازى) بياء النسبة . لئلا يشتبه بالرجاز الذي ينظم رجز الشعر.

غـــير أنـــنا بهذا الاستعمال (للقرام والرجيزة) خالفنا نصوص (المخصص) بأمرين :

(الأول) أنـــنا لم نجمـــع (قرامًا) على (قروم) كما قال ابن الأعرابي: لغلبة (القـــروم) في جمـــع (قَرم) بمعنى الفحل من الإبل والسيد من الناس، وإنما عدلنا إلى جموعه القياسية المألوفة: قُرُم. أقرمه. قرامات.

(الـــثاني) أنـــنا لم نســـتعمل كلمة (الكِلّة) في صيوان الأقرمة كما فهم من (المخصـــص) بل نخصص (الكِلّة) فيما هي مستعملة فيه اليوم، أعني ناموسية السرير، الـــتي يتقى بها البعوض، ونبقى مع العامة في استعمالهم (الصيوان) للبيت الذي يتخذ من القرامات.

والغـــرض مـــن هـــذا كلـــه أننا كما نحن عاملون اليوم على إدخال الكلمات (المعـــربة) و (المولـــدة) في لغـــة الحياة الجديدة – كذلك يطالبنا وفاء الذمم للغتنا المحـــبوبة أن نحـــيي كـــلماتها السهلة الفصيحة كالقرام والرجائز، وبإحيائها على هذه الصورة نحسن صنيعًا، ﴿ ومَنْ أحياهَا فَكَأنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾.

* * *

خصائص اللهجة البدوية
في إقليم ساحل مريوط(*)

للدكتور عبد العزيز مطر
خبير بلجنة اللهجات

تمهيد:

يطلق " إقليم ساحل مريوط " جغرافيًا، على المنطقة الشمالية من صحراء مصر الغربية ، وهي المنطقة الممتدة من غربي الإسكندرية حتى الحدود التي تفصل بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة الليبية المتحدة، وتمتد شمالاً إلى البحر المتوسط، وجنوبًا إلى هضبة الصحراء الليبية، المعروفة بصحراء الدفة، التي تبعد عن البحر بنحو ستين كيلو مترًا في بعض المناطق، وأربعين في بعض[1].

وهذا الإقليم أكثر مناطق الصحراء الغربية عمرانًا وازدحامًا بالسكان، وقد بلغ عدد البدو المقيمين فيه في آخر إحصاء[2] نحو ستة وتسعين ألف شخص، والمراكز الإدارية الواقعة في هذه المنطقة هي: العامرية – برج العرب – الحمام – الضبعة – مرسى مطروح – سيدي براني – السلوم .

وسكان هذا الإقليم قبائل عربية يستقر بعضها في البلاد والنجوع الممتدة على الخط الحديدي الممتد إلى السلوم، وآخرون منهم رحل ينقلون خيامهم حيث يطيب لهم المقام في هذه الصحراء المترامية الأطراف .

وتنتمي هذه القبائل إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى : قبائل عرب " السعادي " وتشمل :

١– قبيلة " أولاد علي الأبيض "، ومن بطونها:

أولاد خروف – السناقرة – العزايم – الأفراد .

(*) نشر البحث بمجلة المجمع بالجزء العشرين، ص ٩٩.

(١) الدكتور محمد صفي الدين وآخرون: دراسات في جغرافية مصر، ص١٣٠ .

(٢) إحصاء سبتمبر ١٩٦٠ م.

٢- قبيلة " أولاد علي الأحمر "، ومن بطونها:

الكميلات – العشيبات – القنيشات .

٣- قبيلة السننة، ومن بطونها :

العجنة – المحافيظ – العراوة – القطيفة .

ويطلق على هذه المجموعة كلها اسم " أولاد علي ".

المجموعة الثانية : قبائل العرب المرابطين[1] .

وتشمل القبائل الآتية :

الجميعات – المنفة – الحوتة – الموالك – التراكي – السراحنة – هوارة – الجرارة – القطعـــان – العوامة – السمالوس – القوابيص – القريظات – الشواعر – الحبون – الشريصات – الفواخر- الصريحات – القدادفة .

وينتهي نسب أكثر هذه القبائل –بمجموعتيها – إلى "بني سُلَيم" "و بني هلال ".

خصائص اللهجة

يتكـــلم بـــدو " إقليم ساحل مريوط " لهجة متميزة، قمت بدراستها في رحلة علمـــية خـــلال عامي ١٩٥٨ / ١٩٥٩، ويمكن إجمال خصائصها الصوتية والصرفية والنحوية فيما يلي :

أولاً: أهم الخصائص الصوتية:

١- حافظـــت الـــلهجة عـــلى الأصوات الثلاثة الساكنة التي فقدت في معظم اللهجات العربية الحديثة، وهي : الثاء والذال والظاء .

٢- صـــوت الجـــيم في اللهجة شديد التعطيش، يشبه صوت الجيم في سوريا ولبنان .

٣- صوت الطاء مجهور، يشبه الضاد التي ينطقها المثقفون في القاهرة .

---

(١) قـــيل في ســـبب تســـمية هذه المجموعة بالمرابطين: إنهم كانوا يرابطون على نقط الحراسة في أثناء الحروب، أما السعادي فكانوا يخوضون المعارك ..

٤- صـــوت الضـــاد قريـــب مـــن الظاء في نطق مجيدي القراءات القرآنية في العصـــر الحاضـــر، وهـــذا الصوت شائع في العراق والكويت واليمن والمغرب وتونس وليبيا .

وإذا نظـــرنا إلى وصف القدماء لصوت الضاد وحاولنا تجربة نطقه في ضوء هذا الوصف، وجدنا وجه الشبه واضحًا بين الضاد في اللهجة ووصف القدماء .

فصوت " الضاد " – كما وصفه سيبويه – رخو، مجهور، مطبق، مخرجه من بين أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس، ومجرى الهواء معه من الجانب الأيمن من الفم، أو من الأيسر، أو من كليهما [١].

٥- القاف تشبه الجيم التي ينطق بها أهل مدينة القاهرة.

٦- لا يـــنطق البدو بالهمز محققة دائمًا، بل نراها تحذف في موقع، ويستبدل بها صـــوت الواو أو الياء في موقع، ويحل محلها إطالة الحركة قبلها في موقع ثالث، وتعامل معاملة همزة الوصل – أي تسقط في وصل الكلام وتبقى في غير حالة الوصل – في موقع رابع .

فهـــي محذوفـــة في الكلمات: بو، فو، نا، مانة، مارة. أي أبو، أخو، أنا، أمانة، أمارة.

وفي الكـــلمات الآتـــية الـــتي تشترك في أن الصوت الساكن الثاني فيها صوت حلقي: عَمَى، عوَر، عمَال، حمَر، حَرار، خَضَر، خرَس، غَلَى، هَبل.

أي أعمى، أعور، أعمال، أحمر، أحرار، أخضر، أخرس، أغلى ، أهبل .

عـــلى حـــين أنها غير محذوفة في حالة ما إذا لم يكن الصوت الثاني حلقيًّا مثل أبيض، أصفر، أسمر، أسعد، أبرار، أنظار ..

وفي الكلمات الآتية التي تتطرف فيها الهمزة نراها محذوفة فيها أيضًا:

نِسا، سَما، هَنا، شِرا، تشيل أي نساء وسماء وهناء وشراء .

---

(١) كتاب سيبويه : جـ ٢ ص ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ .

وتقلــب الهمزة واوًا في مثل: وِذِن، وكِل، وَخِذ، أي أُذُن، أَكْل، أَخْذ. ونسمع بدلِ الهمزة ياءً في مثل: سيَّات ، مِشيّه أي سيئات ومشيئة .

وتطــول الحــركة مع حذف الهمزة في مثل مامور، راس، ذيب، بير، مومن، يوكل. أي مأمور ، رأس ، ذئب ، بئر ، مؤمن ، يؤكل .

والتخلص من تحقيق الهمزة ظاهرة قديمة معروفة عن القبائل الحجازية فلعل هؤلاء الــبدو – وأكـــثرهم ينـــتمون إلى بني سُلَيم وبني هلال – احتفظوا بهذه الظاهرة من الظواهر العربية القديمة .

٧- تعــد إمالـــة الفـــتحة الطويلة (الألف) إلى الكسرة الطويلة (الياء) من الخصـــائص البارزة في اللهجة، فتمال الألف إلى الياء إذا وقع قبلها أو بعدها كسرة أو يـــاء أو كانـــت ذات أصل يائي، ولم تكن متصرفة، ولم يكن الصوت الساكن السابق علـــيها أو الـــتالي لها واحدًا من الصاد، أو الضاد أو الطاء أو الظاء أو الغين أو الخاء أو الواو مطلقًا ، أو واحدًا من الراء والكاف والقاف حين تكون مفخمة .

فالكلمات الآتية تنطق بالإمالة: تِيجِر، جيهل، عيلِم، منيهِل، مثييت (أي تاجر، وجاهل، وعالم، ومناهل، ومثابت).

أما الكلمات: صابر، ضاحك، طالع، غالي، خالي، والد، حرابي، بردقان، دكان (بتفخيم الراء والقاف والكاف) فلا إمالة فيها ..

وظاهرة الإمالة من الظواهر المعروفة في اللهجات العربية القديمة، وقد رويت عن قبائل تميم ومن جاورهم من سائر أهل نجد كأسد وقيس.

٨- تحـــل الضـــمة محل الفتحة إذا وقعت قبل صوت الواو، وكان صوت اللين الـــتالي للواو وفتحة طويلة مثل: شُوراب، حوافر، صُوابع، جُواب، دُوا. فما قبل الواو في اللهجة ضمة لا فتحة .

٩- من أهم خصائص اللهجة في التركيب المقطعي اشتمالها على مقطع يقع في جـــزء الكـــلمة، يمكن تسميته " المقطع القصير المغلق "، حيث تبدأ كلمات وصيغ في

ظــروف لغوية خاصة بهذا المقطع، وإذ لا يتسع المقام لذكر هذه الظروف نورد بعض أمثلة هذا المقطع :

فالكلمات: مْعَطَن، مْغَرف، مْحَرُوم، تْعَلم، لْحَمه، مِلْيح، تْخاصم، مَشا مبدوءة بهــذا المقطــع، أي أن الصوت الأول فيها مشكل بالسكون بخلاف كلمات: مَثْبت، مَبْروكة، عَزيز، حَمَى ..

ثانيًا: أهم الخصائص الصرفية:

١- الاســم الــثلاثي الصحيح العين تحرك عينه الساكنة في حالة إسكان لامه بحركة قد تكون كسرة مثل: بَدِر، شَمِس. وفتحة مثل: بَحَر وشَعَر. وضمة مثل: دلُو، جــرُو .. فإذا حركت اللام – في حالة الوصل – عادت العين إلى سكونها مثل: شَمس اليوم ، بَحْر النيل ، دَلْوى ..

ويبدو أن هذه الظاهرة كانت معروفة في اللهجات العربية القديمة، وأن الغرض مــن تحريك العين كان التخلص من التقاء الساكنين، عين الكلمة ولامها – في حالة الوقف – كما يدل قول سيبويه :

" هــذا بــاب الساكن الذي يكون قبل آخر الحروف فيحرك لكراهيتهم التقاء الساكنين، وذلك قول بعض العرب: هذا بَكُر ومن بَكِر " [(١)] .

٢- أحــرف المضــارعة في اللهجة ثلاثة فقط هي: النون للمتكلم والمتكلمين (ويفرق بينهما بواو الجمع) والتاء والياء. وخلت اللهجة من همزة المتكلم .

٣- حــركة حرف المضارعة في الفعل الثلاثي تتبع حركة عين الفعل ، وكذلك حركة همزة الوصل في فعل الأمر ..

وفي مضــارع غير الثلاثي يكسر حرف المضارعة إلا في صيغتي تفعل وتفاعل، حيــث يســكن حــرف المضارعة إذا كان ياء أو نونًا أما التاء فلا تسكن لئلا يدغم الصوتان حرف المضارعة وتاء الصيغة .

---

(١) كتاب سيبويه جـ ٢ ص ٢٨٣ .

٤- اسم المفعول من الأجوف لا يحدث فيه إعلال، مثل: مديون، مذيوب.

٥- اســم المفعول من المثال الواو تكون فاؤه ياء لا واوًا مثل: مَيْجود، مَيْلود، ميضوع بدلاً من موجود ومولود وموضوع.

٦- عــدد الضمائر الشخصية في اللهجة عشرة، وهي في اللغة العربية الفصحى اثــنا عشــر، وفي الــلهجات العربية الحديثة الأخرى ثمانية، فبالنسبة للفصحى خلت الــلهجة مــن ضميري المثنى، وبالنسبة للهجات العربية الأخرى اشتملت اللهجة على ضميري جمع المؤنث في حالتي الخطاب والغيبة، في الضمائر المنفصلة والمتصلة.

فقــد احتفظــت الــلهجة بنون النسوة في مثل : بَاعَنْ ، قَالَنْ ، كَلَن، شرِبْن. وفي انــتَن، هِــن .. وضــربكَنْ ، علــيكَنْ .. وتستخدم هذه الضمائر للمؤنث في مقــابل ضــمائر المذكــر في مــثل: باعوا، قالوا، كلوا، شربوا، اتِنو، هم ، ضربكم، عليكم..

٧- تحــرك الــلهجة ما قبل ضمير الغائب في الاسم والفعل والأداة بحركة قد تكــون كسرة وقد تكون فتحة. فما قبل ضمير الغائب مكسور ما لم يكن واحدًا من أصــوات الحلق أو أصوات الاستعلاء (الصاد، الضاد، الطاء، الظاء ، القاف ، الغين، الخاء) أو الراء المفخمة .

وهــذا خلافًا للهجات المصرية الأخرى التي تحرك ما قبل ضمير الغائب بالضم مطلقًا .

وظاهــرة تحــريك ما قبل ضمير الغائب بالضم أو بالكسر ظاهرة عربية قديمة، كانت مقصورة على حالة الوقف عندما يسكن ضمير الغائب، وإليها أشار " سيبويه " بقوله: " هــذا باب الساكن الذي تحركه في الوقف إذا كان بعده هاء المذكر الذي هو علامــة الإضمار ليكون أبين لها "[1]، وبين سيبويه أن هذه الحركة التي يحرك بها ما قبل ضمير الغائب ضمة، ومثل لها بقوله: ضَرَبَتُهْ، واضرِبُه، ومِنُه وعَنُه .

---

(١) كتاب سيبويه جـ ٢ ص ٢٨٦.

وهـــي عند بعض القبائل كسرة، يقول سيبويه :" وسمعنا بعض بني تميم من بني عدي يقولون: ضربته وأخذتـــه، كسروا حيث أرادوا أن يحركوها لبيان الساكن الذي بعدها، لا لإعراب يحدثه شيء قبلها" (١).

وقـــد علل أبو سعيد السيرافي هذا التحريك بأنه للتخلص من التقاء الساكنين، ولإظهار صوت الهاء.

٨- تســـتخدم اللهجة أسماء منوعة للإشارة إلى القريب والبعيد، المفرد والجمع، المذكـــر والمؤنث، وتستخدم إلى جانب ذلك الضمير (ها) سابقًا على المشار إليه سواء أكان مفردًا أم جمعًا .

وتخصص اللهجة اسم إشارة لجمع المؤنث، على حين أن اللغة العربية الفصحى لا تميز – في أسماء الإشارة للجمع – بين مذكر ومؤنث ..

فللمفرد المذكر: هاظا ، هَظَيِّة، هاظاك.

وللمؤنثة: هذي ، هَذِيِّه ، هذيك.

ولجمع المذكر: ها ظول ، هاظُولِيِّه هاظولكّه.

ولجمع الإناث: هذين، هذينيه، هذينكة.

٩- التصغير من الظواهر البارزة في اللهجة، مثل :

حويلي، رويجل، جميل في تصغير حولي، راجل، جمل ..

ثالثًا: أهم الخصائص النحوية :

١- المســـند إلـــيه يـــتقدم – غالبًا – على المسند، سواء أكانت الجملة مثبتة أم منفية أم استفهامية .

٢- تـــلحق الشين الجملة المنفية بما أو مو، غير أن موقعها يختلف من جملة إلى جملة.

---

(١) المصدر السابق ص ٢٨٧ .

٣- الفعـــل المـــتقدم عـــلى المسند إليه الظاهر يشتمل على واو الجمع إن كان المســـند إلـــيه جمع مذكر أو مثنى مذكرًا، وعلى نون النسوة إن كان المسند إليه جمع مؤنث أو مثنى مؤنثًا .

٤- أسمـــاء العـــدد من أحد عشر إلى تسعة عشر تكون بلا راء في حالة الوقف (احداش ، اتناش ..) وتعود إليها الراء في حالة الوصل .

٥- مـــن الظواهـــر الـــبارزة في الـــلهجة انتهاء بعض الكلمات الخالية من أل بالتـــنوين، مـــثل: فلين ابن عمًّا لي، " شهْرًا مُويَليك ما تْعِدّ ايّيمه "، " الشّبْعِين يفتّ للحيعين فتًّا بِطى".

٦- تخلـــو اللهجة من الباء التي تدخل على المضارع في اللهجات الأخرى لتدل على الاستمرار أو العادة، كما تخلو من الحاء الدالة على الاستقبال .

ويـــدل على الاستمرار أو العادة بسياق الكلام، وعلى الاستقبال بالسين مثل: سَنْرِد عليك أو سع مثل سَعَنجيك .

٧- تستخدم اللهجة بعض الأفعال المساعدة مثل " عاد " وهو مختص بأسلوب الـــنفي مـــثل: ما عاد نمسك فيكش. ومثل الفعل ناظ (وربما كان أصله نهض) ويرد مساعدًا في أسلوب الإثبات في مثل: ناظ الراجل كتب ها الكليم .

كما تستخدم أفعال مساعدة أخرى لبيان الحركة، مثل: مشت جت للبيت ..

هـــذه هي بعض الخصائص الصوتية، والصرفية، والنحوية، للهجة البدو في إقليم ساحل مريوط..

أمـــا معجـــم هـــذه اللهجة فيتألف أكثره من كلمات عربية صحيحة أو يمكن إرجاعهـــا إلى أصـــل عربي، وقد حافظت مفردات كثيرة على معانيها التي جاءت في المعجمات العربية .

* * *

مناخنا .. من أمثالنا العامية(*)

للأستاذ محمد قنديل البقلي

إذا درسنا الأمثال العامية في مصر الخاصة بمناخها سنرى أنها لا يمكن أن تصدق إلا عـــلى مناخ بيئة هذا الإقليم، بما عرف عن بيئته من خصائص فطن لها القدماء من الكتاب، فقد استخدم الفلاحون أشهرهم الخاصة بهم منذ القدم، تلك الأشهر التي تقوم على تقويمهم الخاص الذي يختلف عن التقويم الهجري، ومن ذلك ما قاله المقريزي[1]:

" في فصـــل الربـــيع في أمشير وبرمهات وبرمودة وبشنس فإننا نجد في مصر في هـــذا الزمان أيامًا معتدلة نقية صافية، لا يُحس فيها بحر ظاهر، ولا برد ولا رطوبة ولا يبوســـة، وتكـــون الشـــمس فيها نقية من الغيوم، وقد يعرض في أول هذا الفصل أيام شديدة البرد وذلك في أمشير، وعلة ذلك دخول فصل الربيع في فصل الشتاء، وتكثر فيه الـــرياح، ثم يدخل فصل الصيف في آخر بشنس وبؤونة وأبيب وبعض مسرى، فيشتد الحـــر واليبس وتجف الغلات وتنضج الثمار، ثم يدخل الخريف من النصف الأخير من مســـرى، ثم توت وبابة وبعض أيام هاتور، وتكثر فيه الرطوبة، ويوجد في هذا الفصل أيـــام شديدة الحر ويشتد اضطراب الهواء، ثم يدخل فصل الشتاء من النصف الآخر من هاتور ثم كيهك وطوبة ".

فهـــذا الوصف الدقيق لتقلبات الجو في مصر يدل على أن هذا الجو على وتيرة واحدة تقريبًا لا يختلف في سنة عن أخرى .

ومعنى هذا أن سكّان مصر بما عرف عنهم من دقة الملاحظة، ومن رقة الشعور ودقـــة الإحســـاس يستطيعون أن يعرفوا حالة الجو في كل شهر من غير أن يستخدموا لذلك أجهزة الرصد، وكان ذلك هو السبب في أنهم وضعوا أمثالاً لكل شهر من أشهر السنة.. والشهور عندهم هي الشهور التي كان يستخدمها القدمـــاء سكان الـــوادي،

(*) نشر البحث بمجلة المجمع، بالجزء الثلاثين ص ١٣٨ ـــ ١٤٦.

(١) خطط المقريزي ج ١ ص ٧٢.

وهـــي المعروفة بالشهور القبطية، وأخص ما تمتاز به هذه الشهور أنها تامة دائمًا أي أن الشـــهر ثلاثون يومًا، بخلاف ما عليه التقويم الجريجوري الذي يجعل شهرًا ثلاثين يومًا يلـــيه شهر واحد وثلاثون يومًا، وبخلاف ما عليه التقويم الهجري الذي يجعل شهرًا تامًا ثلاثين يومًا وآخر ناقصًا تسعة وعشرين يومًا .

فتقســـيم السنة على هذا النحو سهَّل على الفلاحين أن يحققوا حالة المناخ أكثر مـــن تحقـــيقه في الـــتقاويم الأخرى، واستطاعوا أيضًا أن يجعلوا لكل شهر خصائصه المناخـــية في أمـــثالهم العامية، وما يتعلق بالمناخ من الزراعة أو من حالة احتماعية. على أنهـــم في هـــذه الأمـــثال إما يجعلونها خاصة بالمناخ فقط، وإما ربطوا بين المناخ وبين الـــزراعة أو بـــين المناخ وبعض النواحي الاجتماعية المتأثرة بالمناخ. فنستطيع نحن أن نقسم أمثالهم هذه إلى قسمين ، وسنتحدث عن أمثال كل قسم من هذه الأقسام.

أولاً: أمثال خاصة بالمناخ والحياة الاجتماعية :

١- " لا خـــير في زاد يـــيجي مشحوط ولا نيل ييجي في توت " فإن النيل في شـــهر تـــوت يبدأ في النقصان بعد الفيضان الذي يبلغ أقصى ارتفاعه في شهر مسرى الـــذي قـــبل توت، وهو ما يقابل أغسطس في تقويمنا الإفرنجي الحديث، وفيه احتفالنا التقلـــيدي بفيضـــان النيل في الخامس عشر من شهر أغسطس من كل عام. ولهذا المثل ارتـــباط كبير بما كان عليه الحال قديمًا؛ إذ كان الري المعروف وقتئذ هو ما نسميه ري الحياض. فإن النيل بعد أن يبلغ أقصى ارتفاعه يغمر الأراضي المحيطة به بما يشبه الغرق ، حـــتى إذا انحســـر الماء عن النيل ورمى هذا بفائضه في البحر المتوسط، تصبح الأرض الزراعية سوداء داكنة وتتشـــرب ماءها قليلاً قليلاً، حتى إذا جفت أو كادت بدأ الزراع يحرثون ثم يبذرون . فهذا أول الموسم الزراعي الوحيد في ذلك الحين، وفيه ترى الأرض بلقعًـــا جفافًا لا نبات فيها ولا ثمر، ومنه ما جاء في خطاب عمرو بن العاص إلى أمير المؤمـــنين عمـــر بن الخطاب في وصف مصر في ذلك الحين: " يبذرون الحب ويرجون الـــثمار من الرب" وهو إذن فصل الأمل. الأمل البعيد الذي لا يتحقق حتى تكون قد

انقضـــت شـــهور وشهور، ولكن في جريانه لا يرجى منه خير عاجل (لا خير في زاد يـــيجي مشحوط)[١] وكذلك فإنه لما كان النيل قد عود القدماء انتظام مواعيده وأنه يـــأتي دائمًـــا حيـــث ينتظرونه لا يخلف لهم موعدًا، وإن كان كثيرًا ما يفرط في الخير ويـــزيد في الفيضـــان فيغرق ويهدم، غير أن القدماء والمحدثين لم يألفوا ورودًا فيما بعد شـــهر مسرى. و لم يحدث مرة واحدة أن تأخر ورود ماء النيل إلى شهر توت، وهو ما يفسر (ولا نيل ييجي في توت) .

٢- " في بابـــة خش واقفل الدرابة "[٢] أي ادخل قاعة دارك، وفي رواية أخرى " خـــش واقفـــل البوابة "، والمقصود الاحتراس الشديد من شدة رطوبة الجو وارتفاع درجة الحرارة؛ لما في الرطوبة مع الحرارة من أخطار صحية وتأثير على الجسم .

٣- " في كـــيهك صـــباحك مســـاك شيل إيدك من غداك حطّها في عشاك " هاهو الشتاء والشمس تسرع في مدارها ويتلاقى أول النهار وآخره، لا تشرق الشمس إلا حوالي السادسة وتغرب حوالي الخامسة، فنهار الشتاء في مصر لا يتم عشر ساعات، فهـــو إذن نهار قصير وليل طويل، تتقارب فيه آونة الطعام، فلا تكاد تفرغ من الفطور حـــتى تعمل على الغداء ولا تنتهي من الغداء، إلا ليحل موعد العشاء، ومن ثم فإن نهار كيهك تتقارب فيه بالضرورة أوقات الطعام بما يجعل هذا المثال صادق التعبير .

٤- " طوبة أبو البرد والعقوبة ".

٥- " فُـــتي يـــا طوبة ما بليتي عرقوبة " مثالان يدلان على ما يقاسيه الناس من بـــرد شهر طوبة الذي اشتهر به من بين الشهور القبطية ولو أن هناك مثالاً يتعارض مع هـــذا في قوله: "الاسم لطوبة والفعل لأمشير" إشارة إلى أن شهر طوبة في برده لا يقوم

---

(١) مشحوط بمعنى قليل، ومنها مشحط أي يكاد ينعدم .

(٢) قريـــب منه في الموصل المثل " برد التشارين اتوقاه وبرد الربيع اتلقاه "، والتشارين هما تشرين أول وتشرين ثاني يكـــون الإنسان فيهما مقبلاً على الشتاء، وفي المغرب" زول حرف الرا وباب على برا " يعني أن الشهور التي فيها الـــراء وهـــي سبتمبر وأكتوبر ونوفمبر وديسمبر ويناير وفبراير ومارس وإبريل، لا يستطيع أحد النوم خارج داره لبرودة الجو . (كتابنا وحدة الأمثال العامية في البلاد العربية ص ٢٣٨) .

عـــلى أساس كامل وأن أمشير ينازعه هذه الشهرة في البرد، وعلى كل حال فإن طوبة لا نـــزاع في بـــرده أو على الأقل أنه أول البرد الحقيقي، لأن برد أمشير يختلط برياح تجعلـــه محـــتملاً بعض الشيء وأنه آخر الموسم. فطوبة أبو البرد والعقوبة، تلفح سياط البرد فيه الوجوه وتسلق الأبدان.

ولا يعتبر برد مصر شيئًا مذكورًا إلى جانب البرد في شتاء البلاد الأوروبية مثلاً ، ولكـــن بالقياس إلى جو مصر الدفيء المعتدل شتاء، لا شك في أن طوبة أبرد الشهور، وأنـــه هـــو الذي نعاني فيه قسوة البرد من بين شهور السنة كلها وما يتطلب ذلك من كثرة شراء ما يدفئ. ولكن المثال الثاني دليل على أن برد طوبة لا تصحبه أمطار .

٦- " أبرد من ميّة طوبة " .

لأن في هـــذا الشهر تكون المياه في مصر أبرد منها في أي شهر آخر فيطلق هذا المثال على كل رجل بارد الطبع .

٧- " أمشير أبو الزعابيب الكتير فيه النهار يزيد ضل حصير "[1].

وهـــو إشـــارة إلى أن أمشير تكثر فيه اشتداد الرياح وما تثيره من تراب وغبار، وهـــي ريـــاح الخماسين المعروفة في مصر، وهي تهب محملة بالتراب والغبار الآتي من الصحراء، ولكن لا تزال موجات البرد فيه موجودة، ولكن برده أكثر احتمالاً من برد طوبـــة؛ لأنـــه محمل - كما قلنا - بجو الصحراء وجفافها وترابها مع أننا نجد فيه أيامًا صحوًا ولذلك يقول المثال :

٨- " طوبـــة تقـــول لأمشير : إديني عشرة منك أخلي العجوزة جلدة والصبية قردة ".

ويقصـــد بذلك هذه الأيام المعروفة عند العامة ببرد العجوزة، وهي أيام عشرة في ابتداء أمشير هي أبرد أيام السنة .

---

(١) المثل يقابله في سوريا " آذار الهدار فيه الزلازل والأمطار فيه سبع ثلجات كبار من عدا الزغار " وشهر آذار يقابل شهر مارس James Richard, Jewett; Arabic Proverbs and Proverbial, P. ٥٧., New Haven, ١٨٩٠ .

٩- " مهما عملت يا أمشير فيك روايح من روايح الصيف"[١] .

والواقــع أن أمشير مرحلة الانتقال من الشتاء إلى بوادر الربيع فلا غرابة في أن يكــون جــوه في بعــض الأيام ربيعًا خالصًا، ترتفع فيه الحرارة مما يجعل بعض الناس المتســرعين في توديع الشتاء يتحللون من ملابسهم ويلبسون الخفيف من اللباس، ولكن يحــذر العقلاء من عدم الاغترار بهذا الجو الدفيء المفتعل؛ لأن الجو حينئذ متقلب ما بين الشتاء والربيع .

١٠- " برد أمشير يخلّي العضم على الكوم يسير ".

يريدون خروج العجائز من المنازل ، لالتماس الدفء في الشمس .

١١- " طوبة وطبطبة والشهر اللي بنينا فيه المصطبة ".

دلــيل عــلى أن شــهر أمشــير الذي يلي طوبة يبدأ فيه الفلاح بالخروج من داره للتمتع بالجو الصحو الذي يأتي في بعض أيام أمشير ويمضي وقته على المصطبة أمام داره.

١٢- " في بؤونة لا ينضرب طوب ولا ينعمل مونة ".

وذلــك لاشتداد الحر في بؤونة فلا يستطيع الطوب اللبن أن يتماسك بل يجف ويتشــقق بســرعة فيصبح غير صالح، وكذلك المونة (أي الملاط) التي تجف بسرعة بســبب حرارة الشمس. بل كذلك يقولون عن بؤونة ، لما فيه من جفاف في الجو مع شدة الحرارة " بؤونة ينشف المية من الزير ".

١٣- " اللي ياكل ملوخية في أبيب يجيب لبطنه طبيب ".

---

(١) المــثل يقابله في الموصل " شباط آش ما شبط ولبط ريحة الصيف بينو " ويقابله في المغرب " بين السبلة والفوالة كتوقع في ولد المهبولة " فعندما يظهر الفول الأخضر أواخر مارس وأوائل أبريل وقبل أن تظهر سنابل القمح يظن بعض المغــرورين أن فصل الصيف قد أقبل فيخلعون ملابس الشتاء، وإذ ذاك يمرضون؛ لأن الجو يبرد بعد ذلك، والمهبولة: الحمقاء. ويقابله في بغداد "شباط لوشبط لو لبط روايح الصيف بيه" (كتابنا: وحدة الأمثال العامية في البلاد العربية ص ٢٥٤) وفي سوريا "شباط لو شبط ولو لبط ريحة الصيف فيه" وهو يعادل شهر فبراير .Iewett ; op. Cit., P. ٩٥

وذلـــك لأن الملوخية أكثر ما تنبت مع القطن فتصاب أحيانًا بهذه الآفة الزراعية الـــتي يصاب بها محصول القطن بتأثير العدوى، ومن هنا جاءت خطورة أكل الملوخية في هذا الشهر .

١٤- " في مسرى تجري كل ترعة عسرة ".

لأن شـــهر مســـرى هـــو الشهر الذي يفيض فيه النيل وتمتلئ الترع والجداول بالمياه، حتى تلك الترع التي لا يأتيها الماء إلا قليلاً .

١٥- " مسرى تعفّن الكسرة ".

وذلك لاشتداد الحرارة وكثرة الرطوبة في ذلك الشهر وتصاعد الأبخرة الفاسدة فتكثر العفونات كما تكثر الأمراض بين الإنسان.

هكـــذا نـــرى قوة ملاحظة المصريين، منذ أقدم عصورهم وكيف جرت على ألســـنتهم هـــذه الأمـــثال الـــتي تعبر لهم عن حالة المناخ في مصر وتقلبه بين البرودة والحـــرارة، وبين الرطوبة والجفاف، وما يتبع ذلك كله من بعض أحوالهم الاجتماعية، فهـــي أمـــثال خاصـــة بهم فقط دون غيرهم من باقي الأمم، فلكل أمة بيئتها الخاصة ومـــناخها الـــذي يغاير بيئة ومناخ الأمم الأخرى. ولكن الجو في مصر في تقلباته هذه عـــلى وتـــيرة واحدة مدى السنين، بحيث تنطبق هذه الأمثال في كل سنة من السنين، وقـــل أن يجـــد الفـــلاح أو رجل الشارع اختلافًا ما في تقدير الجو من هذه الأمثال، ولاسيما في تلك الأشهر الباردة التي تحتاج إلى استعداد خاص للوقاية منها .

ومن ثم نرى أن أكثر الأمثال التي وردت إنما هي تلك الأمثال الخاصة بالشهور الـــباردة مثل طوبة وأمشير. أما غير ذلك من أشهر فقل اهتمام الأمثال بها؛ لأنها ليست من الشهور التي يحتاج فيها الفلاح إلى أن يستعد لاستقبالها .

ولعـــل القـــارئ لهذه الأمثال قد لاحظ الناحية المادية في هذه الأمثال أكثر من وجـــود الناحية النفسية الشعورية، ولعل ذلك يرجع إلى أن الفلاح يتصف غالبًا بالمادية في تصـــرفاته وفي أقوالـــه، وقد ظهر ذلك واضحًا في تلك الأمثال، كما هو ظاهر في

الأدب الشعبي وغير الشعبي، فهذه المادية هي في الحقيقة العامل الأول في تكييف مزاج الـزراع ومـا يخـتص به الفلاح من شخصية وما في هذه الشخصية من انفعالات أو شعور، فإذا حللنا الأمثال السابقة تتجسم لنا المادية في كل مثال منها .

ففي المثال الأول يتحدث عن هذا الزاد الذي يأتي على قلة فهو لا خير فيه شأنه شـأن مياه النيل التي تأتي في غير أوقات الحاجة، فهنا مادية واضحة. كذلك نقول عن المـثال الـثاني، فالخوف من شدة الحرارة وارتفاع درجة الرطوبة يضطران الفلاح إلى العكوف في داره فيها مادية لافتة، وهكذا نقول عن الأمثال الأخرى.

ثانيًا: القسم الثاني:

وهـي الأمثال التي تربط بين المناخ والزراعة فهي أمثال كثيرة لما للفلاحين من اهـتمام خـاص بأمور الزراعة طوال تاريخها الطويل، ونحن نعلم من تاريخ مصر منذ أقـدم عصورها أن الفلاح هو الذي يكد في فلاحة أرضه ولم يأبه بأعمال أخرى غير الفلاحـة وتـرك الأعمال الأخرى للوافدين عليها من الأجانب، فجاءت من هنا هذه الـرابطة القوية التي بين الفلاح وأرضه وأصبح من الصعب على الفلاح أن يترك بلده أو أرضه.

فـلا غـرابة إذن أن يـربط الفلاح بين المناخ وبين الزراعة، أو بمعنى آخر بين أشـهره القديمة وبين حاصلاته الزراعية، وقد ذكرنا أن الجو لا يتغير في سنة عن أخرى بحيـث أصـبح كل شهر من الأشهر رمزًا إلى جو خاص، وكذلك أصبحت الزراعة، فـاتخذوا لذلـك أمثالهم التي تتحدث عن الرابطة بين الأشهر القديمة وبين الحاصلات الزراعية فمن ذلك قولهم:

١- " اللي يزرع دره في ناروز ياخد قُلحة من غير كوز " [١].

---

(١) المـثل في المغرب بلفظ " اللي جابلارج ما بقي فيها ما يتعالج " وبلارج معناه انتهاء فصل الشتاء وإقبال الربيع، وإذ ذاك لا ينفع علاج لحرث الأرض. والمثل يقوله الفلاح في فوات وقت الحرث. (كتابنا: وحدة الأمثال العامية في البلاد العربية ص ٢٠٥).

فـــنيروز كما هو الأمر في الأشهر الفارسية هو أيضًا أول السنة القبطية (رأس السنة)؛ لأن الذي يزرع الذرة في هذا الشهر من السنة يكون قد تأخر في البذر بشهر أو شـــهرين، ومن الطبيعي لا يجد الحاصد محصولاً في زراعة قد تأخر بذرها. هذا مثال يدل من جهة أخرى على أن الإنسان يجب ألا يؤخر عمل اليوم إلى الغد .

٢- " زرع بابة يغلب النهابة ".

وذلـــك لكـــثرة المحصـــول في بابه فلا يظهر أثر اللصوص فيه مهما سطوا عليه وأخذوا منه .

٣- " هاتور أبو الدّهب المنتور ".

وهـــذا أبو الخير في البلاد، أبو الغذاء، القمح والذرة، القمح الذي يكون بذره في ذلـــك الحـــين، وقـــد شبه المثل صُفرة حبات القمح وهي تنثر على الأرض بصفرة الذهب، وكذلك الذرة الغذاء الأساسي للفلاح، وهذا أوان جنيها .

٤- " أمشير يقول للزرع سير سير، القصير يحصل الطويل " [١].

لأن في هذا الشهر تبتدئ سخونة باطن الأرض، ويبتدئ الزرع في النمو .

٥- " إن كان زرعك تحت الكوم متبصش عليه وفاضل[٢] في أمشير يوم ".

يقصـــد بذلـــك أن الزرع لا ينضج في هذا الشهر، ولذلك لا يخشى عليه من اللصـــوص، كما أنه ليس في حاجة إلى عناية حتى لو كان الزرع في حدود الدار، وهو ما عبر عنه المثال " تحت الكوم " أي قريب جدًّا .

٦- " في برمهات روح الغيط وهات من كل الحاجات " [٣].

---

(١) المـــثل في الموصـــل بلفظ " آذار يطلع السنبل من بين الأحجار " وآذار يقابل شهر مارس ويقابل شهر أمشير في الشـــهور القبطية . والمثل في بغداد بلفظ " آذار ضم له قمحات كبار ". (كتابنا: وحدة الأمثال العامية في البلاد العربية ص ٢٠٦) .

(٢) أي باق .

(٣) قريـــب منه في الجزائر والمغرب " في مارس مش لزرعك وهارس " والمثل يدل على نضج المحاصيل في الحقول ، وشهر مارس يقابل برمهات في الشهور القبطية. وفي الموصل المثل "آذار طلع بقرك عالدار" ويدل المثل على أن المناخ -

تـــتعدد في هـــذا الشـــهر خيرات الحقل ما بين ثمار وخضر؛ لأن الشتاء يكون مودعًا والربيع مقبلاً .

ولعـــل أبـــرز ما في هذا المثال ما يؤكد أن هذه الكثرة من الخيرات في متناول الـــزراع مباشرة، فما عليه إلا أن ينـــزل الحقل حتى يعود بهذه الخيرات بلا مشقة ولا عناء .

٧- " في برمودة دق العمودة ولا يبقى في الغيط ولا عودة " (١).

بـــرمودة يقـــابل في شهورنا الإفرنجية مايو، وهو موسم حصاد الشعير والفول وبعدها سيكون القمح والبرسيم. حينئذ تشتد الحاجة إلى الأجران، ويتزاحم الفلاحون في حجـــز أدوارهـــم بها تمهيدًا لنقل محاصيلهم التي حصدت وكومت، وتركت لتزداد جفافًـــا لـــدرس هذه المحصولات بالنورج، هو دق الخشبة الرئيسية التي سيدور حولها النورج وإلى هذا يشير المثال " دق العمودة ".

٨- " بشنس يكنس الغيط كنس ".

هـــناك وقـــت تكون فيه الحقول خالية من المحصول - النبات القديم - فقد تم حصاده ونقله، ولم يزرع بعد نبات الصيف، وإنما تترك الأرض حينئذ لتجف وتستريح فترة تعد بعدها لاستقبال البذور الجديدة.

ولـــذا فـــإن المـــثال صحيح الانطباق في أن الغيطان تكون خلال هذه الفترة مكنوسة كنسًا، لا يرى فيها زرعًا ولا نباتًا .

ويـــروى هـــذا المـــثل أيضًا " في بشنس اكنس البيت كنس " وهي كناية عن تنظيف المخازن لخزن المحصول الجديد.

- قـــد طاب واستوت المحاصيل وتستطيع المواشي الأكل من الحقول. وفي المغرب المثل " إلى كان مرس يسيل وأبريل ظلـــيل ومايو صافي صقيل، النص في الصابه يحيل، عند الخماس الذليل " والخماس الشريك الفلاحي (كتابنا : وحدة الأمثال العامية ص ٢٣٨) وفي سوريا المثل " بيادار طيليع بقراتك للدار " .Jewett ; op. Cit., P. ٥٧

(١) المـــثل في المغـــرب والجزائر" في مايو احصد زرعك ولو كان فليو " ، (كتابنا : وحدة الأمثال العامية في البلاد العربية ص ٢٣٩) .

٩- " أبيب طباخ العنب والتين "[1].

ففيه تنضج هاتان الثمرتان.

١٠- " في هد الحروف كل بيضة أخير من خروف ".

وهد الحروف هي كناية عن هدم السدود التي بالترع لزيادة فيضان النيل. ففي هـــذا الشهر لا تجد الماشية مرعى لها فتضعف بعض الشيء بحيث تصبح البيضة لها قيمة غذائية أكثر من قيمة خروف، وذلك مغالاة في وصف ضعف الحيوان.

١١- " في الغطاس مص قصب والطبيخ قلقاس ".

أختـــتم بهـــذا المـــثال لأهمـــية عـــيد الغطاس عند المسيحيين والمسلمين على الســـواء. فهـــو من الأعياد القديمة التي لا تقتصر على الأقباط وحدهم، بل إنه كشم النسيم، عيد قومي يحتفل به سكان البلاد جميعًا، وأهم ما فيه من تقاليد: مص القصب وبعـــض الفاكهة الأخرى كالبرتقال واليوسفي، وكما هو الحال في كل الأعياد يحتفل فـــيه بطهـــي الطعام وإعداد الغذاء. ولكن المهم هنا هو الإشارة إلى أنواع بعينها من الفاكهـــة والطعـــام، فقد أشار المثال إلى القصب، و لم يشر إلى الموالح بكل أنواعها مما يشـــعر بـــأن هـــذه الأنواع من الفاكهة دخيلة على المجتمع الآن. كذلك الإشارة إلى القلقاس دون سائر الخضراوات تدل دلالة واضحة على أن هذا النبات النشوي العريض الأوراق الـــذي ينبت نبتا حسنًا في تربة مصر، هو نبات أصيل به، والقصب والقلقاس لا شك أنهما يكونان في أوج نضجهما في موسم الغطاس.

وبجانـــب هـــذه الأمـــثال نجد أن كل شهر من هذه الشهور يختص بلون من مـــأكولات أو مشمومـــات لا توجد في الأشهر الأخرى، فالفلاحون يضربون الأمثال بهذه المأكولات والمشمومات فيقولون: " رطب توت - رمان بابة - موز هاتور - سمك

---

(١) أبيـــب يقـــابل في الشـــهور الإفرنجـــية شـــهر أغسطس، وهو يقابل آب في الشهور الشرقية. والمثل في الشام " في آب اقطف العنقود ولا تستهاب " وهو كذلك في الموصل .(كتابنا : وحدة الأمثال العامية في البلاد العربية ص ١٩٦) .

كيهك - سمن طوبة - خروف أمشير - لبن برمهات - ورد برمودة - نبق بشنس - تين بؤونة - عسل أبيب - عنب مسرى ".

وعلى هذا النحو تحدث الفلاحون في أمثالهم عن محصولاتهم الزراعية، وعن علاقة كل محصول بشهر بعينه، وهي إن دلت على شيء فإنما تدل على ما قلناه من قبل، من أن هذه الشهور ثابتة المناخ، وبالتالي فهي ثابتة المحصولات لا تتغير على مدى الزمان بالرغم مما طرأ على الحاصلات الزراعية من انقلاب من ري الحياض إلى ري دائم في أكثر البلاد. ولكن الأمثال ثابتة بثبوت حالة الجو، وما يتبع ذلك من الحاصلات الزراعية. فإذا كان القدماء قد فطنوا إلى ذلك كله وجادت به ألسنتهم تتناقلها الأجيال بعضها عن بعض، فإن هذا دليل على أن سكان مصر قوم محافظون ومجددون في الوقت نفسه يقبلون من الجديد ما يوافق مزاجهم وطبعهم، ويحافظون على القديم لأنه تراثهم الذي عاشوا عليه. وليس في ذلك من ضير على الشعب من محافظة وتجديد في الوقت نفسه، فإن هذا مصدر قوتهم الكامنة بسبب محافظتهم على شخصيتهم.

وما دمنا قد تحدثنا عن الأمثال وعلاقتها بالمناخ والزراعة فيطيب لي أن أنقل هنا ما قاله أحد القدماء ... " وصف بعضهم مصر فقال: ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء، وثلاثة أشهر مسكة سوداء، وثلاثة أشهر زمردة خضراء، وثلاثة أشهر سبيكة ذهب حمراء. فأما اللؤلؤة البيضاء فإن مصر في أشهر أبيب ومسرى وتوت يركبها الماء فترى الدنيا بيضاء وضياعها على روابي وتلال مثل الكواكب قد أحيطت بها المياه من كل وجه فلا سبيل إلى قرية من قراها إلا في الزوارق. وأما المسكة السوداء فإنها في أشهر بابة وهاتور وكيهك ينكشف الماء عن الأرض فتصير أرضًا سوداء وفي هذه الأشهر تقع الزراعات. وأما الزمردة الخضراء فإن في أشهر طوبة وأمشير وبرمهات يكثر نبات الأرض وربيعها فتصير خضراء كأنها زمردة. وأما السبيكة الحمراء فإنه في أشهر

بـــرمودة وبشنس وبؤونة يتورد العشب ويبلغ الزرع الحصاد فتكون كالسبيكة التي من الذهب منظرًا ومنفعة "[١].

* * *

(١) فضائل مصر لابن زولاق – نسخة خطية بمكتبة الأزهر رقم ٦٦٩٣ تاريخ .

مسالك العامية المصرية في صوغ الأفعال(*)

للدكتور عبد الصبور شاهين

خبير بلجنة اللهجات

تعتبر العامية المصرية إحدى اللهجات الأساسية التي تفرعت عن العربية الفصحى؛ وهي لا تختلف عن اللهجات الأخرى - المشرقية أو المغربية - إلاَّ باختلاف المؤثرات المحلية في بيئتها، ففي اللهجة المصرية بقايا من اللغة القبطية وغيرها من اللغات التي عايشتها، وفي الشامية بقايا من الرومية والتركية والفرنسية، وفي المغربية بقايا من البربرية والفرنسية، ومن هذا القبيل بقايا الإيطالية في اللهجة الليبية؛ وتأثير الإنجليزية في لهجة العراق والكويت والخليج بعامة ... وهكذا .

ولعل مما يفيد هنا أن نقرر أن المسافة التي تفصل ما بين الفصحى ولهجاتها تتمثل أحيانًا فيما يصيب الكلمات من التصرفات اللهجية؛ على حسب ما تعود أهل اللهجة، ويمكن أن نصف هذه التصرفات بأنها تغييرات تصيب الكلمة فتخرجها عن النطقِ الفصيحِ، ويستطيع دارس الفصحى أن يحدد هذا التغيير بملامحه كمًّا وكيفًا، وأن يلاحظه، وهو ينطق تبعًا للهجة، وإن كان أغلب الناس لا يدركون هذا الفرق؛ لأن المشكلة اللغوية ليست مطروحة أصلاً في أذهانهم، ولا في أذواقهم .

وأكثر ما حدث من تغيير يتركز غالبا في شكل كلمات دخيلة، أو في شكل كلمات رباعية، كانت أصلاً ثلاثية، ثم ضعفت قدرتها البيانية - فيما نتصور- عن أداء المعنى المراد فحدث هذا التشوه - إن صح التعبير - ليتوصل به الناطق إلى مزيد من البيان.

ولقد سبق لنا أن قدمنا في دراسة عن (الدخيل في العامية المصرية) ما يزيد على ألف وخمسمائة كلمة، في كتابنا (دراسات لغوية)؛ فمن أراد أن يلم بشيءٍ من ذلك فليرجع إليه ...

(*) عرض في الدورة الستين (١٩٩٣ / ١٩٩٤).

فأمـــا عن الأفعال وتغيراها في سلوك العامية المصرية فقد جاءت أغلبيتها نتيجة المخالفـــة في عـــين الكلمة، أو في فائها، أو لامها، وجاءت الأفعال الباقية نتيجة زيادة أملـــتها أذواق العامة على نحو خاص؛ وسوف نعرض أمثلة توضح ما نريد بيانه في هذا المقام .

١- في عين الكلمة:

وقـــد لوحـــظ أن أكثر التصرفات يتمثل في نوع من المخالفة يباعد بين الكلمة وأصلها الفصيح، وقد أعثرتنا الملاحظة على كلمات كثيرة من هذا النوع، فمثلاً كلمة (يِـــتْكَعْوَرْ) هـــي في الأصلِ (يَتَكوَّر) ؛ وقد أراد المتكلم أن يعبر عن حدوث هذا (الـــتكوُّر) - ربمـــا - في شـــكل هـــزلي، فقلبت أولى الواوين عينًا، فصارت الكلمة (يِتْكَعْوَرْ) .

وكلمة (خَرْشَمْ) بمعنى ضربه في وجهه؛ مأخوذة من الأصل؛ وهو (الخيشوم)، ويمكن أن يكون الأصل فيها (خَشَّم)؛ ثم قلبت أولى الشينين راء فصارت (خَرْشم)؛ وهـــذا الفعـــل في الفصيح لازم، وبمعنى آخر هو: خَرْشَمَ الرجلُ: كَرَّه وجهَه، وهو في العامية متعد، وقريب من هذا المعنى .

وكـــلمة (فَشْـــكل) بمعنى: أفسد الترتيب - أصلها فيما نتصور: (فَشَّل)، ثم جاءت المخالفة بقلب الشين الثانية كافًا، فصارت (فَشْكَل)، ومثلها: (فَشْوَل) الدالة على عدم التماسك، وبديل الشين هو الواو .

وكـــلمة (مِحَـــنْدَأ)، مولدة من (الحَدَقَة)، وكأن الأصل هو (مُحَدِّق)، ثم قلبـــت الدال الأولى نونًا، وهو وصف بالجمال والإحكام في صغر، وجاء من قبيل هذه المخالفة في الفصحى: (الرّز والرنز، والأتْرُجّ والأتْرنج).

وكلمة (سَخْمَط) الأصل فيها (سَخَّط)، والميم مخالفة للخاء الثانية.

وكلمة (مِشَفْطَر) هي من (مِشْفَر) والطاء زائدة .

وكـــلمة (لَهْلب)، أيْ: أشعل اللهب - أصلها: (لَهَّب)، ثم قلبت الهاء الثانية لامًـــا؛ وهو قياس في نظر الأقدمين؛ حين يرون أن الأصل في (سَغْسَغ): سَغَّغ، ثم قُلبَتْ إحـــدى الغينات سينًا على سبيلِ المخالفة؛ وقد جاء من كلمة (لَهْلَبْ): لَهْلُوبَة، وسائر المشتقات؛ وهو نفس المنهج الذي اتبع في أخذ (فَلْفَص) من (فَلَّصَ) بمعنى التخلص والإفلات.

وكـــلمة (طَرْبَقَ) أصلها كما هو ملاحظ: (طَبَّق)، فقلبت الباء الأولى راءً؛ فصارت (طَرْبَقَ) بمعنى الانهيار في المباني وغيرها، وهو معنى خاص بالعامية.

وكـــلمة (سَـــرْبَع) - أصلها فيما نتصور (سَرَّع)، ثم قلبت الراء الثانية باءً للدلالـــة على التسرع غير المستحب، ويؤخذ من نفس الفعل (سَرْسَع) وفيه المخالفة بـــين الراءِ والسين، على مثال (لَهلَبْ وفَلفصْ)، وهو صفة للصوتِ الرفيع الحاد الذي يخرق الأذن .

ومـــن الكلمات أيضا (يتْكَحْوِل) ؛ أصلها فيما نحسب (يَتَكَحَّل) ؛ ثم قلبت الحاء الثانية واوًا؛ للدلالة على الدخول في الظلمة المستمدة من مادة الكُحْل، والمقصود هو التورط في مشكلة ما. ومن قبيل المخالفة بالواو (منَعْوس) وأصله (نَعَّس) الذي صـــار (نَعْـــوَس) ؛ وكذلك (ملَحْوِس) وأصله (لَحَسَ) الذي صار (لَحْوَسْ)، وكذلك (يِتْشَحْورَ) وأصله : (يَتَشَحَّرَ) .

وفي كـــلمة مثل (جَلْيَطَة) الأصل: جَلَطَ، ومضعفه (جَلَّطَ)، والياء مخالفة للام الثانية، ويقصد به قلة الذوق، وسوء التصرف والغشم.

وهناك أيضًا كلمة (حَلْيَطَة) ، وأصلها في الفصحى (حَلَط) بمعنى الغضب أو كـــثرة الحلف؛ ولكن المعنى في العامية من الدِّهَانِ والتملق، وقد جرت المخالفة في هذه الكلمة كسابقتها .

ومـــن قبيل المخالفة قولهم (مِكَلْضَم)، وأصله فيما نرى (مكظَّم) أي: مجبر على كظم غيظه، فصارت الظاء الأولى لامًا؛ بالمخالفة، وقلبت الظاء الثانية ضادًا.

وجاءت اللام للمخالفة في قولهم: يتْفَلْحَصْ، وأصله فيما نرى (يَتَفصَّح)، صارت الصاد الأولى لامًا بالمخالفة؛ وحدث قلب مكاني بين الصاد الثانية والحاء بعدها.

ومن الواضح أن الأمثلة السابقة تأتي من باب محدد هو باب المضعف من الثلاثي، وأن التغيير بالمخالفة قد حدث دائمًا في العين المضعفة؛ بتغيير أحد الحرفين المتماثلين إلى حرف مخالف ذي رنين خاص في أذواق العامة .

ولذلك رأينا أن الحرف المخالف لا يلزم أن يكون من أحرف الزيادة المعروفة في الفصحى، فقد وجدنا بين هذه الأحرف: (الواو والراء والميم، والطاء، والكاف ، والعين، والنون، والياء، والباء، والسين، واللام)؛ كما لاحظنا أنه لا علاقة من الناحية الصوتية بالضرورة بين الحرفين: البدل والمبدل منه، فالصوت المبدل لا دور له إلاّ المحافظة على إيقاع الكلمة رباعية البنية، وهي ملاحظة مطردة في كل نماذج التغيير التي يشملها هذا البحث.

ولكن يمكن القول بأن الأصوات المستخدمة في إحداث التغيير المطلوب تتميز بقدر كبير من الوضوح، أو درجة الإسماع ، ولعل فكرة حروف الدلالة التي توقف أمامها بعض اللغويين القدامى - كابن جني - هي الأصل الذي يجمع هذه الأصوات ، فقد لاحظوا بحق أن أية كلمة فوق الثلاثية لا تخلو من أحد هذه الحروف ، وإن اتسعت هذه المجموعة بدخول أصوات أخرى ليست بأقل إسماعًا ووضوحًا من الأصوات التي حددها القدماء.

٢- في فاء الكلمة:

وإذا كانت الأحرف المزيدة فيما مضى في موضع العين، فقد لاحظنا أن بعضها يقع قبل الفاء - أول الكلمة، وقد تعتبر فاء .

فكلمة مثل (يِتْمَشْكَح) هي من (شكح) ولا أصل لها في العربية، والميم - رغم كونها زائدة - صارت جزءاً من صيغة الرباعي، مثل تَمَنْدَلْ من المنديل ؛ وتمسكن، وتمرأى من المرآة .

وكلمة مثل (شخرم) هي من (خرم) والشين زائدة، وكذلك (شَخْلَعْ) من (خَلَــع) والشين زائدة أيضًا، و(شَخْبَطْ) من الأصل (خَبَط) و(شَلْضَم) قد يكون أصلها (لضم) ولا علاقة من حيث المعنى بينهما .

وفي كلمة مثل (برطع) وقعت الزيادة أولاً، وهي الباء، والأصل (بلتع) .

ومثــلها الفعــل (برثأ) إذا اعتبرناه أصلاً من الفصيح الدخيل (برنق) ، فهو الصــبغ بالبرنيقي (الورنيش)، وقد يكون أصلها (برق)، والنون زائدة، ولكن المعنى يختلف كثيرًا، إذ يعني اتساع الحدقة لدهشة أو غضب، وهو معنى عامي .

وفي كلمة (نخرب) الأصل: (خرب)، والنون زائدة .

وكذلك كلمة (لخبطة) الأصل: خبط، واللام زائدة .

فهــا نحن أولاء نجد تنوعًا في الأحرف الزائدة، فهي هنا : (الميم والشين والنون والــلام والــباء)، وربما هنالك أحرف أخرى مما يزاد في الكلمات لتقوية معناها، أو لتنويه، كما أشرنا آنفًا .

٣- في آخر الكلمة:

وقــد نجــد بعض الأحرف المزيدة آخر الكلمة، في مثل (كَسْعَم)، والأصل: كسع، والميم زائدة، وقولهم: (لَعْبَطْ) أصله (لَعِبَ) والطاء زائدة، وقولهم (هَرْجَل)، والأصل: هرج، واللام زائدة .

غــير أن التغيير الحادث في آخر الكلمة أقل من النوعين السابقين، سواء في عدد الأحرف المزيدة، أو في عدد الكلمات.

ولنا على ما سبق بعض الملاحظات:

أولها:

أن بعض الكلمات مولد من أصول أعجمية، فكلمة (يتغتظ) هو من الكلمة الفرنسية (la Fantasié) .

وكــلمة (ألفطة) مولدة من كلمة (قلفطة) وهي نسبة لعملية القلفطة، والتي تعمــل لطلاء وحشو ورتق الشقوق التي في ظهر السفينة للصيانة والوقاية لها؛ وتكون بمادة كيماوية طلائية.

وهــناك شــاعر أندلسي اسمه قلفاط (Calafate) كان يهاجي صاحب العقد الفريد ابن عبد ربه .

وكــلمات (خَسْــتَكَة وهَشْتَكة) والأولى تعني الشعور بالوهن، والثانية تعني المداعبة، ونحسب أن أصلها أعجمي، لم يتبين لنا حتى الآن .

وثانيها:

أن بعــض الكــلمات قــد تعرض لمرحلتين من التغيير حتى استقر على صورته المــتداولة، ومن ذلك الكلمات التي سبقت من مثل (يَتَفَلْحَص، ويتكلضم)؛ وأوردنا رأينا في أصل هاتين الكلمتين.

ومــن ذلــك أيضًــا كلمة (فرفت)، فقد يكون الأصل (فَتَّتَ)؛ ثم تحول بالمضاعفة إلى (فتفتت)، ثم تحول بالمخالفة إلى (فرفت).

وكذلــك كلمة (أربع الماء) أي: شربه بطريقة معينة لدى العامة. فأصل هذا الفعــل في رأيــنا كلمة (كَرَعْ) التي نطقت (جَرَعْ) ثم زيدت فيه الباء فصار الفعل (جَــرْبَع)، ثم قلبت الجيم همزة على توهُّم أنها قاف في الأصل، على ألسنة العوام في مصــر، فصارت الكلمة من (قَرْبَع) إلى (أَربع) مع ترقيق حركة الهمزة، وهو قلب مــألوف في العامية المصرية في مثل، (أَمْرَ الخبز)، وأصله: (جَمْرَ)، قلبت الجيم همزًا مــرورًا بــ (قَمْرَ)، وكذلك كلمة (أرعة البوظة) التي أصلها: (جَرْعَة) : فصارت الجيم همزة مرورًا بالقاف على توهم (قرعة) .

وثالثها:

أننا لاحظنا وقوع القلب المكاني في (يَتَفَصح ويتَفَلْحَص)، وهو وارد في كلمات عديدة مثل (مُزَبْلَح) وأصلها: (مُزَحْلَب)، وهو من يسخر من الناس. (اتْنَتْوَرَ) والأصل: (انتشر) .

كمـــا حدث بعض الإبدال في أمثلة قليلة، فقالوا: (دألح)، والأصل: (دعلح)، وقـــالوا: (شَأْلَبْ) والأصل (سَقْلَبْ). وقالوا: (بَلْبُوصَ)، والأصـــل (بَلْهُوص أو بَهْلُوص) والكلمة بمعنى في العامية والفصحى، وهي (الخروج من الثياب).

رابعها:

أننا تأملنا كلمة (شلفط)، وأصلها – فيما نرى – (شفط) زيدت عليها اللام أو جاء ذلك نتيجة لمخالفة – سِيَّان ، غير أن العجيب ألا نجد للفعل (شفط) وجودًا في المعجم العربي، رغم تعودنا أن نستعمله في الفصيح، وقد استطعنا أن نجد له أصلاً في استخدام الفعل (شَفَهْ) الذي تحل فيه التاء محل الهاء، فيتحول إلى (شفت) ثم تفخم التاء لتنطق طاء ، فينتج الفعل (شفط) الذي يتغير إلى (شلفط).

وكذلـــك الفعل (فَلْعَص)، فإنه يوحي بأن أصله الفصيح هو (فعص)، ولا وجـــود لهذا الأصل في الفصحى، بل إن أصله هو (فصع) (Extrusion) ثم حدث قلب مكاني في العامية .

وقـــد ورد (الفعْص) بمعنى الانفراج، أو الانفتاق لإخراج شيء ما عن طريق ضـــغطه – ذكـــره اللســـان وواضـــح أن العامية زادت فيه اللام حتى نشأت كلمة (الفَلْعصة) .

ومـــا زال أمامـــنا في هـــذا المجـــال شوط نرجو أن نقدم فيه بقية النماذج التي صـــادفناها من خلال تأملنا في هذه المشكلة، ولنتابع كذلك أثر ظاهرة المخالفة وغيرها في مسلك العامية المصرية في صناعة أفعالها .

* * *

القاف والهمزة في اللهجات العربية[*]

للدكتور رمضان عبد التواب

خبير بلجنة اللهجات

يعـد صـوت القاف من الأصوات التي عانت كثيرًا من التغييرات التاريخية[١]، في اللغة العربية فإن مقارنة اللغات السامية، تدل على أنه صوت شديد مهموس، ينطق بـرفع مؤخرة اللسان، وإلصاقها باللهاة، لكي ينحبس الهواء عند نقطة هذا الالتصاق، ثم يـزول هذا السد فجأة، مع عدم حدوث اهتزازات في الأوتار الصوتية، ففي العبرية مـثلا: قُول Kōl ، وفي الآرامية: قالا kàlà، وفي الحبشية: قَالْ kāl ، بمعنى: "صوت"؛ في الجميع، وهو يقابل في العربية: "قَوْل"، وفي الآشورية: قُولُ kulu بمعنى "صراخ"[٢].

وقـد عد قدماء اللغويين العرب " القاف " من الأصوات المجهورة[٣] في العربية الفصحى، فإن صدق وصفهم إياها بالجهر، كان ذلك النطق من التغييرات التاريخية في العربية القديمة.

وقد بقي هذا النطق المجهور في أغلب البوادي، في اللهجات العربية المعاصرة[٤] . وإن تقدم مخرجه إلى الأمام قليلاً وأصبح كالكاف الفارسية .

غير أن هناك تغييرات أخرى كثيرة، طرأت على هذا الصوت في البلاد العربية، فهـو ينطق صوتًا مزجيًّا (affricate) كالجيم الفصيحة، في بعض بلدان الخليج العربي كالبحرين، فقد سمعت بعض أهلها يقولون:" الجِبْلة " بدلا من: " القِبْلة ".

(*) عرض البحث في الدورة الخامسة والأربعين، في الجلسة الثانية والثلاثين للمجلس في ١٩ من فبراير سنة ١٩٧٩، كما عرض بالجلسة الثامنة للمؤتمر، في ٢٨ من مايو سنة ١٩٧٩ .

(١) لمعرفة الفرق بين التغييرات التاريخية والتركيبية للأصوات، انظر مقالتنا :" التطور اللغوي وقوانينه " في مجلة كلية اللغة العربية بالرياض العدد الخامس (١٩٧٥) ص ١٠٧ .

(٢) انظر كتابنا : اللغة العبرية، قواعد ونصوص ومقارنات باللغات السامية ص ١٢٨ .

(٣) انظر: كتاب سيبويه ٤٠٥/٢ ، وسر صناعة الإعراب ٢٧٨/١ ، شرح ابن يعيش للمفصل ١٢٩/١٠.

(٤) انظر كتاب شيولر : Spuler, Handbuch der Orientalistik ٢٣٦/٣، ٢٣٧ .

كمـــا يـــنطق في مدينة " الرياض " ونواحيها، في الجزيرة العربية، صوتًا مزجيًّا كذلـــك، غير أنه مكون من الدال والزاي (dz) في مثل قولهم : " دْزِبْلة " في " قِبلة " و" دزليب " في " قليب " وغير ذلك مما سمعته بنفسي هناك .

وفي الســـودان، وجنوبي العراق، تحول نطق القاف إلى غين، ففي حديث إذاعي مع أحد السودانيين، وفي إذعة ركن السودان بالقاهرة، في شهر مارس ١٩٧٨ وردت الكـــلمات التالية: لغاء، وغناة، ويغدر، والديموغراطية، وعلاغة، واغتصادي، وانتغلت، والاســـتغلال بـــدلاً مـــن: لقـــاء، وقناة، ويقدر، والديموقراطية، وعلاقة، واقتصادي، وانتقلـــت، والاســـتقلال ... وفي اللهجة المصرية كلمتان قلبت فيهما القاف غينًا على هذا النحو هما: " يغدر" ومشتقاها، بدلاً من: " يقدر ". و " زغزغ " بمعنى: حرك يده في خاصرة الصبي ليضحكه. والأصل فيها في العربية الفصحى: " زقزق " [1].

كمـــا تطـــورت القـــاف إلى " كاف " في نطق الفلسطينيين في المدن[2]، فهم يقولـــون مـــثلاً: " كان " في " قال " و " برتكان " في: " برتقال " و " كتلته كتل " في: " قتله قتلا "، وغير ذلك.

والتعلـــيل الصوتي لكل هذه الانقلابات، سهل ويسير، فتأثير " قانون الأصوات الحنكـــية "[3] واضـــح في انقـــلاب القـــاف إلى نطق مزجي، في بعض بلدان الخليج (كالجـــيم الفصـــيحة)، وفي الـــرياض وضـــواحيها (دز) . والدليل على ذلك أن القـــاف لا تعـــاني مـــن هـــذا القلب، إلا إذا وليتها كسرة، تمامًا كما يتطلب هذا القانون[4] .

كمـــا أن ضـــياع الانفجار من القاف، وتزحزح مخرجها إلى الأمام قليلاً، هو المسئول عن انقلابها غينًا في نطق أهالي السودان وجنوبي العراق . وكذلك انقلابها كافًا

---

(١) انظر مقالتنا : اللهجة العامية المصرية في القرن الحادي عشر " حوليات دار العلوم ١٩٧٠م ".

(٢) انظر: الأطلس اللغوي لبرجشتراسر : Bergsträsser, Sprachatlas الفقرة ٧ .

(٣) انظر في شرح هذا القانون مقالتنا :" التطور اللغوي وقوانينه " ١٦٣ - ١٦٤ .

(٤) انظر كذلك : دراسات في لهجات " شرقي الجزيرة " لجونستون - ترجمة أحمد الضبيب ٥٤ - ٥٥ .

في نطـــق الفلســـطينيين لـــيس إلاّ تزحـــزحًا في مخرجها قليلاً إلى الأمام، مع ترقيقها، واحتفاظها بصفة الشدة في نطقها.

هذه هي بعض التغييرات التاريخية لصوت القاف في اللهجات العربية المعاصرة، والتعلـــيل الصـــوتي لحدوثهـــا، غير أن ما يهمنا هنا هو انقلاب القاف همزة في لهجة القاهـــرة، وبعض اللهجات الأخرى. ويبدو أن هذا النوع من التطور في القاف قديم في اللغـــات الســـامية، فقد نقل (بروكلمان)[1] عن (ليتمان)[2] أن القاف تحولت في أعـــلام " الفينيقـــية " في بعـــض الأحيان إلى همزة، ثم سقطت، كما سقطت الهمزات الأصـــلية في الفينيقـــية، فمثلاً: العلم الفينيقي: Himalkart " حِمَلْقَرْت " تحول إلى Himalar " حِمَلرْ ".

والعلـــة الصوتية في هذا التطور، تتلخص في أن مخرج القاف، انتقل إلى الخلف " باحـــثًا عن أقرب الأصوات شبهًا به من الناحية الصوتية، فتعمق القاف في الحلق عند المصـــريين، لا يصـــادف مـــن أصوات الحلق ما يشبه القاف، إلا الهمزة، لوجود صفة الشدة في كل منهما "[3].

ولعـــل هذا التطور كانت له بداياته، في عصور الفصاحة، فقد أوردت المعاجم العربـــية، وكتب اللغة ، مجموعة من الألفاظ، رويت لنا مرة بالقاف، وأخرى بالهمزة، والمعنى فيهما واحد، وفيما يلي بعض هذه الألفاظ:

١- يقـــال: قَشَـــبَه بشـــرٍّ، وأَشَبَه به، يعني: لامه وعابه (ما اختلفت ألفاظه للأصمعي ١٨ - ١٩، والإبدال لأبي الطيب ٢/٥٦١).

٢- القَفْز، والأَفْز، بمعنى: الوثب (الإبدال لأبي الطيب ٢/٥٦٢).

٣- القوم زُهاق مائة، وزُهاء مائة، أي قريب من ذلك (الإبدال لأبي الطيب ٢ /٥٦٢، ويرى ابن فارس في المقاييس ٣/٣٣ أن الهمزة هنا هي التي أبدلت قافًا).

---

(١) في كتابه : Brockelmann, Grundriss ١/١٢٥ .

(٢) في مجلة : American Journal of theology .

(٣) الأصوات اللغوية، لإبراهيم أنيس ٦٩ .

٤- يقـــال: زَنَّقَ على عياله، وزَنَّأَ عليهم، إذا ضيق عليهم فقرًا أو بخلاً (لسان العرب - زنق ١٢/١١ زنأ ١/٨٤).

٥- روى ابـــن الســـكيت: قَـــرَم يقْـــرم قرمًا، إذا أكل ضعيفًا (اللسان/ قرم ٣٧٣/١٥)، وهـــو قريـــب ممـــا رواه ثعلـــب: أرَمَ ما على المائدة يأْرِمه، أي أكله (اللسان/ أرم ١٤/٢٧٩).

٦- القَصْـــر: الحـــبس (اللســـان/ قصر ٦/٤٠٧) وروى الكسائي:" أصَرَني الشـــيء يأصـــرني: حبســـني. وأصرْت الرجل على ذلك الأمر: أي حبسته (اللسان/ أصر ٥/٨٢).

٧- يقال : تأبّض وتقبّض، يعني شد رجليه (اللسان - أبض ٨ - ٢٧٩).

٨- روت المعـــاجم :" الوَقْـــبة: نقرة في الصخر يجتمع فيها الماء " (اللسان - وقـــب/٢/٣٠١). وهو قريب من قولها أيضًا: " الوأبة: النقرة في الصخرة تمسك الماء" (اللسان/ وأب - ٢/٢٩٠).

٩- روى أبو عمرو الشيباني " الفَشَق: انتشار النفس من الحرص " (الصحاح/ فشـــق ٤/١٥٤٤)، ولعـــل لهـــذا علاقـــة بقولهـــم: " تفشـــأ الشيء، أي انتشر " (الصـــحاح/فشـــأ ١/٦٣) وقـــد تكون الصيغة الأخيرة ناتجة بسبب الحَذْلَقَة في اللغة (Hyperurbanismus) من " تَفَشَّى " بلا همز!!

١٠- قفخته على الرأس (الصحاح/ قفخ ١/٤٢٩) ويقال: " أفخته: ضربت يافوخه، وهو الموضع الذي يتحرك من رأس الطفل " (الصحاح / أفخ١/٤١٩).

أما انتشار هذه الظاهرة في اللهجات العربية الحديثة، فيذكر المستشرق (شيتا) في كـــتابه عن اللهجة المصرية[1] ، أن " القاف قلبت همزة في القاهرة وضواحيها، وفي القليوبـــية، والواســـطى وجـــزء كبير من الفيوم، وبعض البلاد العربية الأخرى، وعلى الأخص في سوريا ".

---

(١) Spltta, Grammatik des arab. Vulgärdialektes Von Ägypten ص ١٢ .

ويزيد عيه بروكلمان[1] ، أن ذلك " التحول في صوت القاف إلى همزة، يوجد كذلـــك في: تلمســـان، وشمالي مراكش[2]، وعند اليهود في شمال إفريقيا، وكذلك في اللغة المالطية، في معظم الأحوال".

وإن كـــان الشـــيخ محمـــد علي الدسوقي يتعجب من أن " أهل جزيرة مالطة يـــنطقون بالقاف في جميع كلماهم، التي ورثوها عن العرب الفاتحين، مع أن أهل مصر يستنكفون عن النطق بها " [3] .

ويخـــبرنا (برجشتراسر) في الأطلس اللغوي الذي عمله لسوريا وفلسطين سنة ١٩١٥م بأن " نطق القاف همزة، يسود معظم مدن سوريا وفلسطين، فيما عدا القليل، ومـــه ذلـــك يوجـــد نطـــق القاف في المدن أحيانًا بين غير المتعلمين"، كما ينقل عن (ليـــتمان) قوـــله: " إن المسيحيين في حلب لا ينطقون إلا الهمزة، على العكس من المســـلمين الذين لا ينطقون هناك إلا القاف " كما يقول ليتمان: " وقد سمعت الهمزة من يهودي متعلّم، والقاف من مسلم غير مثقف "[4] .

هـــذا .. وممـــا يلفت النظر أن كثيرًا من اللهجات التي قلبت فيها القاف همزة، لا تحـــتفظ بـــنطق الهمـــزات الأصلية في اللغة. ويبدو أن ترك هذه الهمزات الأصلية، تم في فـــترة قديمـــة، ولم يكن إلا امتدادًا للهجات الحجازية القديمة في تسهيل الهمزة. تم توقـــف هـــذا الـــتغير بعـــد فترة فما دام التغير قد أصاب جميع الكلمات، التي تقع تحـــت طائلـــته، يصـــبح القـــانون الذي يفسره وكأنه قد نسخ، ويمكن للغة أن تخلق مركـــبات صـــوتية جديـــدة، مشابهة كل الشبه للمركبات التي كان التغير يعمل فيها ســـابقًا، فهـــذه المركـــبات تـــبقى دون تغـــير، فيقال إنها لم تعد واقعة تحت سلطة القانون.

---

(١) في كتابه : Grundriss ١-١٢١ .

(٢) انظر كذلك : لهجة المغرب، تطوان وما حولها، لعبد المنعم سيد عبد العال ص ٨١.

(٣) تهذيب الألفاظ العامية، للشيخ محمد علي الدسوقي ٤٧ .

(٤) Sprachatlas الفقرة ١٠ .

وهكـــذا بعـــد أن توقفت ظاهرة التخلص من الهمزة، ومضت فترة من الزمن، أخـــذ صوت القاف يتحول إلى الهمزة، دون أن تجد لهجات الخطاب في ذلك حرجًا. والله أعلم ،،

* * *

القاف في العامية المصرية(*)

للدكتور عبد الصبور شاهين
خبير بلجنة اللهجات

تتمـــيز العامية المصرية بإبدال صوت الهمزة بصوت القاف، بصفة عامة، وهذه الظاهـــرة شـــائعة في العامية القاهرية، وما تأثر بها من لهجات الريف القريب منها، في القليوبـــية والدلتا، وجزء كبير من الفيوم، وتوجد هذه الظاهرة خارج مصر في معظم المناطق السورية، وفي بعض جهات المغرب العربي مثل بلدة تلمسان في أغادير.

هـــذا عـــلى حـــين يشيع نطق القاف مجهورة (أي: جيمًا قاهرية) في أغلب الـــلهجات العربية، بلاد صعيد مصر وكثير من أقاليم الوجه البحري: الشرقية والبحيرة وغيرهما .

ويلاحـــظ أن صوت الهمزة قد حل محل القاف كما قلنا بصفة عامة، باستثناء بعـــض الألفـــاظ ذات المفهـــوم الديني أو ذات المستوى الثقافي، مثل كلمات: القرآن والـــثقافة والأقلـــية، ومن صفات اللـــه: القيوم، والقدوس.. إلخ فقد احتفظت العامية بنطق القاف بصورة ما في الكلمات وأشباهها غالبًا.

وقـــد لوحظ في العامية المصرية سقوط صوت الهمزة غالبًا في وسط الكلمة أو في آخـــرها، مـــثل: راس، وابتدا، وجه. وقد تسقط في أول الكلمة مثل: كل وخد، لكن هذا ليس مطردًا، وهو يحتاج إلى دراسة مفردة.

ومعـــنى ذلك أن هذا الصوت الانفجاري الحنجري قد أخذ موقعية جديدة في العامـــية المصرية واختلف في توزيعه عن الفصحى، بحيث زاد تردده في الكلام العامي، أكثر من تردده في الفصيح؛ إذ هو يشمل في العامية موقعين، لا موقعًا واحدًا.

وقـــد ذكـــر المستشرق (إنُّو ليتمان) في بحثه المنشور في (مجلة كلية الآداب/ المجلد العاشر/ مايو ١٩٥٨ ص ٢٧): " إن ذلك النطق قديم، ويوجد في أسماء الأعلام

(*) عرض البحث في الدورة الخامسة والأربعين، بالجلسة الثانية والثلاثين للمجلس، ١٩٧٩/٢/١٩.

الفينيقــية ". كما ذكر الدكتور خليل يحيى نامي (في بعض محاضراته في معهد اللغات الشرقية عام ١٩٥١) " أن القاف تقلب همزة في شمال مراكش وكل يهود شمال إفريقيا يبدلونها همزة، كما أنها كذلك في اللغة المالطية وهي أصلاً لهجة عربية ".

عــلى أنــنا إذا أردنا التأريخ لهذه الظاهرة النطقية فقد نجد لها جذورًا في بعض مفــردات اللغة الفصحى المروية بوجهين أحدهما القاف، والآخر الهمزة في مثل: زهاق في زهــاء مائــة، والقفز والأفز بمعنى الوثب، ويقال قَشَبَهُ وأشبَه بمعنى: عابه (الإبدال لأبي الطيــب ٢/٥٦١ و ٥٦٢) وأرّ وَقَــرَّ: أحدث صوتًا. ويقال: زَنَّأ وزَنَّق بمعنى: ضَــيَّق، ويقال: أَرَم على الشيء يأرِم، بالكسر: أي عض عليه، ومثله: قَرَم قَرْمًا بمعنى: أكل الطفل أكلاً ضعيفًا.

ويقــال : رزأ ورزق ، وأبــض وقبض، وقسر وأسر، وقصر وأصر بمعنى حبس ويقال كذلك وأبه ووقبه بمعنى: النقرة في الصخرة، وأوَّب الأديم: قَوَّره (عن ثعلب)، وَقَوَّب الأرض تقويبًا حفر بها شبه التقوير (اللسان).

وقد تكون في معاجم اللغة أمثلة أخرى لم يتسن لنا العثور عليها، غير أن أحدًا من الــرواة لم ينســب هذه الظاهرة إلى قبيلة بعينها، وإنما يوجد ذلك مرويًّا على أنه من الفصيح المستعمل بوجهيه كليهما.

ثم ننــتقل نقلة أخرى بقدر ما ساعدتنا المراجع فنجد أن هذه الظاهرة كانت قد وجــدت في لســان أهل مصر منذ القرن السابع الهجري، وربما عرفها أهل مصر قبل ذلــك بقــرن أو قرنين فقد ورد في تاريخ ابن إياس في حوادث عام سنة ٧١٣هــ ما نصه:

" وحضــر نائــب غــزة، وجماعة من الأخيار الشامية والغزاوية، وتكلموا في ذلــك، وكتبوا المثالات والمناشير ". ويغلب على الظن أن المقصود بكلمة (المثالات): هــو: (المقــالات) كمــا جــاء في ديوان ابن سودون من شعراء العامية في القرن التاسع الهجري ص ٣٦ " متى آل در بهذا القصر " أي: متى قال در بهذا القصر .

وجاء فيه أيضًا (ص ٩٩): " مع قد بدا آل جوم العب ، أي : قال : قوم ..
وفيه (ص ٦٠): " يا رب ألبها ، وقد يكون المراد : قلبها ".

وواضح من هذه النصوص أن صوت الهمزة قد ورد في كلمة (قال)، ومشتقها: (المقـــالات) وفي كـــلمة (قلب)، ولعل ذلك لكثرة استعمال هذه الكلمات في درج الكـــلام، دون بقـــية الكـــلمات المشتملة على قاف، ومن ذلك كلمة (جوم) بالقاف المجهورة (في النصر السابق).

ولابـــد أن نســـلم بافتراض أن هذه الظاهرة ظلت مستمرة ومطردة في العامية المصرية حتى عهدنا هذا دون انقطاع . وهو أمر يدعونا إلى أن نتساءل :

لمـــاذا كـــان هذا الإبدال في ألسنة أهل مصر باعتبارهم سواد الناطقين به بين الشعوب العربية؟ وأما من عداهم فلا يتجاوزون مساحة الجزر وسط المحيط.

لقد جهدت أن أجد إجابة عن هذا السؤال، وافترضت أحد فرضين:

إمـــا أن المصريين كرهوا صوت القاف حين وجدوه مثلاً بين أصوات الأتراك الذين عايشوهم، فوجدوهم ينطقون بالصوت متقعرًا، فتجنبوه.

وإما أن هذا الإبدال من أنماط النطق في اللغة القبطية.

وكلا الافتراضين لا أصل له في الواقع؛ لأن القاف ليست من الأصوات المعروفة في التركية أو في القبطية .

وبقي أن نبحث عن تعليل هذه الظاهرة في مجال اللغة العربية وحده.

وقـــد أعثرنا البحث على مقال للعلامة (ابن خلدون) في المقدمة (ص ٥٥٨ طـــبعة مصطفى محمد) يذكر لمعاصريه (أواخر القرن الثامن الهجري وأوائل التاسع) أنهم ينطقون ثلاث قافات:

٣- قاف أهل الأمصار: من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى .

٢- مـــا يـــنطقون به من مخرج الكاف، وإن كان أسفل من موضع القاف وما يليه من الحنك الأعلى .

٣- قاف متوسطة بين الكاف والقاف .

ويذكـــر (ابـــن خلدون) أن هذه القاف المتوسطة هي الشائعة، وهي علامة على الجيل العربي لعهده، من بين الأمم والأجيال، وبها يتميز العربي الصريح من الدخيل في العربية والحضري.

ثم يســـتنتج (ابـــن خلدون) أنها لغة مضر بعينها، فلم يبتدعها هذا الجيل، بل هـــي متوارثة فيهم متعاقبة " وهي لغة مضر الأولين " ويزيد " إنها لغة النبي صلى اللـــه عليه وسلم بعينها، وقد ادعى ذلك فقهاء أهل البيت ".

ثم يســـتدرك (ابن خلدون) على هذا الادعاء: "ولم أدر من أين جاء هذا، فإن لغـــة الأمصـــار أيضًا – يقصد القاف الأولى – لم يستحدثوها، وإنما تناقلوها من لدن ســـلفهم. وكان أكثرهم من مصر، لما نزلوا الأمصار من لدن الفتح، وأهل الجيل أيضًا لم يســـتحدثوها" يقصد القاف المتوسطة، ولكن (ابن خلدون) لم يذكر وجود (الهمزة) مكـــان القـــاف في ألسنة أهل زمانه في المغرب، مع أنها كانت موجودة في مصر، من عهد سابق عليه .

وإذن فالصوتان – الأول والثالث – متوارثان قديمان .

وأما الصوت الثاني فقد كان غير مقبول عند الفصحاء، (وهو نطق القاف من مخـــرج الكـــاف وإن كان أسفل من موضع القاف وما يليه من الحنك الأعلى)، وهي أيضًـــا عـــبارة نقـــلها ابن خلدون تقريبًا من سيبويه في حديثه عن الكاف (الكتاب ٤/ ٣٤٣).

ولـــنا أن نتســـاءل عـــن ماهـــية القاف الأولى، وعن ماهية القاف الثالثة، التي وصـــفها (ابـــن خلـــدون) بأنهـــا (متوسطة بين الكاف القاف) وكما وصفها بأنها " لغـــة مضـــر بعيـــنها، ولغة النبي صلى اللـــه عليه وسلم، على ما ادعى فقهاء أهل البيت ".

والواقع أن (ابن خلدون) نقل وصف (سيبويه) أيضًا لمخرج القاف الفصحى، وهي هذه القاف الأولى: " من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى " (الكتاب ٤ / ٤٣٣ طبعة الأستاذ عبد السلام هارون).

وإذا كانت القاف في اعتبار (سيبويه) بين المجهورات، فإن (ابن خلدون) قد سكت عن وصف الجهر أو الهمس، فلم يتعرض له بنفي أو إثبات، ولكن فحوى الحديث تدل على أنه يتفق مع (سيبويه) في هذا الجانب، وللقاف المجهورة بقية في ألسنة أكثر الشعوب العربية، حيث ينطقونها جيمًا قاهرية، وللقاف المهموسة بقية أيضًا في ألسنة المثقفين، وقراء القرآن في كل العالم الناطق بالقرآن.

ونأتي إلى القاف الأولى وكيفية نطقها، ولا شك أنها كانت عميقة المخرج من اللهاة، وهي حرف عسير النطق على غير المتمرس به، حتى إن القراء اعتبروه أصل حروف القلقلة، قال ابن الجزري: "لشدة استعلائه" (النشر ٢٠٣/١ تحقيق محمد أحمد وهمان).

وقد دعا الحفاظ على صوت القاف بعض القراء إلى المبالغة في أدائه حتى بلغوا في ذلك صورة منفرة جعلت (ابن الجزري) يتوجه إليهم بقوله (ص٢١٣): " ليس التجويد، بتمضيغ اللسان، ولا بتقعير الفم " إلخ .

وهو يقصد قطعًا هذه المبالغة في نطق القاف المتقعرة.

ثم يأتي بعد ذلك نطق العرب المصريين بالقاف متوسطة بين الكاف والقاف، وهذا التوسط يجعلها أقرب إلى القاف التي ينطقها الآن أهل الإتقان في اللغة والقرآن، من الذين لا يتقعرون مع فارق واحد هو اختفاء صيغة الجهر منها، نتيجة تطور صوتي تعرضت له في بعض المجتمعات، ونظامه أنه هروب من تقعر المبالغين فيها، أدى إلى رد فعل هو الجور عليها بالهمس.

ولا غرابة أن يدعي بعض فقهاء أهل البيت أنها لغة النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كان صلوات الله عليه يتحرى في نطقه أقوم طريقة وأوسطها؛ لأنه كان يحب التوسط في الأمر كله.

غـــير أن هذه القاف المتوسطة قد اعتاصت أيضًا على العامة فهرب كثير منهم إلى تقـــديم مخـــرجها بالترخـــيص في نطقها كافًا، وهرب آخرون إلى نطقها من مخرج الكاف، جيمًا قاهرية، وهرب غيرهم إلى تأخير مخرجها بنطقها همزة، تخلصًا من شروط القلقلـــة، أو الـــتقعر، ومسايرة لبعض ما روي عن الفصحاء من استعمالهم الهمزة في موضـــع القاف، دون أن يجدوا في ذلك منكرًا، وهكذا شاعت الهمزة في موقع القاف في العامـــية المصـــرية، والســـورية والمغربية منذ زمن بعيد، قد يصل إلى القرن الخامس الهجـــري، ولكـــن ذلك بدأ في تقدير مصر بشهادة النصوص السابقة من القرن السابع الهجـــري، ثم نشـــأ مـــنها في الأقطار الأخرى، كسورية والمغرب، الذي لم يكن أهله يعرفون هذا الإبدال حتى عهد (ابن خلدون) في القرن التاسع الهجري.

* * *

الألفاظ الفارسية والتركية في اللغة العامية المصرية(*)

للدكتور عبد الوهاب عزام
عضو المجمع

١- هـــذه كـــلمة أقدمهـــا إلى مؤتمـــر المجمع، لا أحاول فيها الاستقصاء، بل أكـــتفي بالتمثـــيل، وسأنشـــر بحـــثًا مفصـــلاً مســـتوعبًا كـــل ما أهتدي إليه من الكـــلمات الفارســـية والتركـــية في اللغـــة العامية المصرية، أنشره في مجلة المجمع إن شاء اللـــه .

٢- وينـــبغي أن أقـــدم قـــبل ذكر هذه الكلمات أن الفارسية منها دخلت إلى العامـــية المصـــرية في ثـــنايا اللغة التركية. ومعلوم أن التركية تشتمل على ألفاظ عربية وفارســـية كـــثيرة. ثم بعـــض الألفاظ التركية والفارسية تسربت إلى لغة المصريين قبل تســـلط الأتراك العثمانيين على مصر أي في عهد المماليك، وتاريخ ابن إياس فيه كثير من هذه الألفاظ .

٣- تكـــثر هـــذه الألفـــاظ في اصطلاحات الجيش وفي أسماء الأطعمة . مثل : جاويش، أون باشي، يوز باشي، بيك باشي ، صاغ ، صول.

(ومثل جويرمة ، قاورمة ، دوندورمة ، كلاش).

٤- مـــن الألفاظ التي أخذت من التركية والفارسية ألفاظ عربية استعملت على الطـــريقة العجمـــية مـــثل الكلمات المنتهية بتاء التأنيث في العربية. فقد استعملت بتاء مفـــتوحة تشـــبه تاء التأنيث في الفعل، وفي جمع المؤنث السالم مثل: رحمت، حكمت، رأفت ، عفت ، نشأت إلخ .

وبعـــض هـــذه الكلمات توهم المصريون فيها الجمع؛ لأنهم لم يألفوا هذه التاء في الأسمـــاء المفـــردة. فقـــالوا في الأسماء: عنايات، جنات، في عنايت وجنت. وقالوا شربات وأصلها شربت من الكلمة العربية شربة.

(*) ألقـي هذا البحث في الجلسة الحادية عشرة لمؤتمر الدورة السابعة عشرة (٢٤ من يناير ١٩٥١) . ونشر بمجلة المجمع، الجزء الثامن، ص ٣٦٢.

وكذلـــك جمعـــت بعـــض صـــيغ الجمـــع اتباعًا للأسلوب التركي. فالأتراك لا يدركون صيغ الجموع العربية فيجمعون صيغ الجمع العربية كما قالوا - اللوازمات العفونات وقاس عليها المصريون - الشحومات والزيوتات والفحومات.

ويقـــابل هـــذا أن المصريين ، وهم يفرقون بين صيغ الجمع والمفرد في العربية، أخـــذوا عـــن الترك كلمة غروش أو قروش، وهو مفرد في التركية مأخوذ من إحدى اللغـــات الأوربـــية، فلما وجدها المصريون صيغة جمع توهموا لها مفردًا فقالوا غرش أو غروش .

٥- بعـــض الكلمات التي نبحث عنها دخلت العامية وبقيت دون تغيير، أو مع تغـــيير يســـير، وبعضـــها لحقـــه تغيير كبير، وبعضها اشتق منه على الطريقة العربية، وبعضها توهم أنه عربي فألحق بأقرب الكلمات العربية إليه .

(أ) فمـــن الـــنوع الـــذي لم يلحقه تغيير أو لحقه تغيير يسير " تختة " وهي في التركـــية لـــوح مـــن الخشب، و " تختة بوش "، وهي المكان المغشي بالخشب، وهي مســـتعملة في بعض البلاد المصرية، وهو تركيب من تختة وبوش، وهذه فارسية معناها المغشي أو اللابس. ومعنى التركيب ، المغشي بالخشب .

ومـــن هذا: " سبية " وهي فارسية معناها ثلاثة أرجل، وهي مستعملة في مصر عـــند الوزانين، تقال للقوائم الثلاث التي يعلق فيها الميزان، وعند الجزارين تقال للقوائم التي يعلق فيها اللحم.

ومـــن هذا: أوطة وطوغري وطولمة ، ومعناها بالتركية المملوء، ويالانجي طولمة، ومعـــناها المحشو الكاذب أي الذي لا لحم فيه، فإن الناس حين يرون المحشي يظنون فيه لحمًا فإن لم يكن فيه لحم فقد كذب.

ومنه: " بفتة " وهي فارسية معناها النسيج.

دوش : وهو الكتف بالفارسية وهو من لغة الجزارين.

شكمبة: فارسية، وهي الكرش ويطلق في مصر على الكرش المحشو.

جنكل: شنكل، وهي كلمة تركية معناها مشبك الباب أو الشباك.

شيشة: فارسية معناها الزجاج، وتخص في مصر بزجاجة التمباك.

كليم: فارسية، نوع من البسط .

أورمة: تركية، وهي الوضم بالعربية – أي الخشبة التي يدق عليها اللحم.

خانة: فارسية، تستعمل مركبة في مثل: أجزخانة، كتبخانة،عربخانة، شفخانة.

أتك: تركية ، معناها الحجر، وهي مستعملة عند الخياطين.

أورمان: تركية، وهي مستعملة في حديقة الأورمان في الجيزة.

خـــردة: وهـــي في الفارســـية الصغير من الأشياء، واستعملت في مصر للصغير مـــن الســـكة (الـــنقود) ، وللصـــغير من السلع، وقالوا حديد خردة، وجمعوها على خردوات.

بارة: وهي فارسية معناها القطعة، واستعملت في مصر في أجزاء القرش، فقالوا عشر بارات، وعشرين بارة. والقرش أربعون بارة.

جنـــزير: أصلها بالفارسية زنجير. وهو السلسلة. وجمعت في مصر على جنازير.

روشـــن: فارسية معناها المنور. وقد سمعتها في إحدى القرى تستعمل لكوة في السقف تجعل للضوء.

ماهية: من الفارسية، " ماه " معناه الشهر. وينسب إليه " ما هي " بمعنى شهرية وقـــد غـــيرت إلى ماهية، وهي غير ماهية العربية التي تقال لحقيقة الشيء فتلك منسوبة إلى " ما هي "؟

(ب) ومـــن الكلمات التي لحقها تغيير كبير. كلمات مبدوءة بهمزة مفخمة في الفارسية أو التركية قلبت همزتها عينًا في العامية مثل:

عطشـــجي: مركبة من آتش ومعناها بالفارسية النار، وجي، وهي من علامات النسب في التركية. فمعناها عامل النار أي الوقاد.

عــرض: وهي مستعملة في بعض البلاد للجيش، وبها سميت قرية جنوبي القاهرة قــرب طــرة، وأصــلها بالتركية " أوردو " أي الجيش. وتستعمل في الجيش المصري " أورطة ".

عنتري: صدار معروف " وهي في التركية أنتري ".

عنــبر: أصــله بالفارسية أنبار أي مخزن. وهي مستعملة في الجيش وفي المدارس وغيرها. ومنها عنابر السكة الحديدية في القاهرة.

عربية: أصلها بالتركية آرابة، وينسب إليها آرابة جي أي عربجي.

ومن الكلمات المغيرة كثيرًا غير ذوات الهمز:

شراب: وهو بالفارسية جورب.

طرشي: بالفارسية ترش أي حامض.

بشـــأة : يقال في العامية: " دا بشأة ودا بشأة " أي هذان شيئان مختلفان، وهي من بشقة ومعناها في التركية غير .

(ج) ومـــن الألفـــاظ الفارسية والتركية ألفاظ جمعت أو صرفت على القواعد العربية أو قربت إلى كلمة عربية لتوهم أنها من العربية مثل:

طسلأه: أصلها بالتركية طاسلاق، وهو الشيء الذي لم يحكم عمله أو الذي لم يكمـــل. يقال في العامية المصرية: طسلأه، للعمل غير المحكم الذي له صورة وليس له حقيقة.

بـــاظ – بـــاظ الشـــيء : فســـد أو بطـــل، وبوظه : أفسده أو أبطله، وهي مـــن بوزمـــق في التركـــية أي الإفســـاد أو الإبطـــال، ومنه بوزوق بمعنى الفاسد أو الباطل.

شـــرك: سمعـــت كـــثيراً قول العامة فيمن يفحص للجندية فلا يقبل: شركوه. وأصـــله في التركية جوروك. وهو ضد صاغ أي سليم. يقال للشيء العفن أو المكسور جوروك.

بـــرم: برم الشيء يبرمه برمًا: فتله. وهو من التركية بورمه أي مفتول، وبوومك الفــتل. ويقال في المصرية أيضًا خيط برمه. ومن هذا الفعل البوريك وهو طعام يصنع من عجين يرقق ويلف.

رنـــوك: هـــو رنـــك بالفارسية ومعناه اللون، ويطلق على الشارات في بعض المصالح المصرية.

بـــركات وارثـــة: وتلفـــظ بركات وارسه. وأصلها بالتركية بركت ويرسون. ومعناها ليعط البركة، وتستعمل في مقام الحمد للـــه. فتوهم العامة أنها من الميراث أي شيء يورث البركة. فقالوا وارسه على انبهام معناها عندهم.

بشـــرف: من اصطلاحات الموسيقى، وهو من الفارسية يبش رو بمعنى أمام أو متقدم إلخ. وقد عرب على هذه الصيغة.

٦- هكـــذا يســـتطيع الباحـــث أن يتبع ألفاظًا كثيرة في العامية المصرية أصلها فارسي أو تركي. ويستطيع التمثيل بها لما يلحق الكلمات الدخيلة من تغيير وتعريب في البلاد العربية عامة ومصر خاصة.

* * *

استعمالات تركية في العامية المصرية(*)

للدكتور عبد الصبور شاهين

خبير بلجنة اللهجات

تعتبر العامية في ألسنة الشعوب سجلاً يحتفظ بآثار الهجرات، وبقايا المراحل المختلطة بين اللغات المختلفة.

وقد عاشت العربية مرحلة من تاريخها الذهبي كانت فيه غازية مؤثرة في كثير من اللغات، التي فتح الإسلام بلادها، ثم ضعف شأنها بعد ذلك، فصار لغة مغزوة على مستوى اللهجات؛ وحفظ الله سبحانه الفصحى بلغة القرآن، فلم يتطرق إليها ما تطرق للعاميات من تأثير على مستوى الألفاظ المقترضة، وعلى مستوى القواعد الصرفية والنحوية.

ومن المعلوم أن التأثير على مستوى المفردات أمر وارد وسريع التحقيق، نظرًا إلى ما تحمله الموجة الغازية من مفردات جديدة؛ تتسلل إلى مجالات التعامل بين العامة والغزاة، فأما التأثير على مستوى القواعد فإنه بطيء شديد البطء، ولا يتحقق شيء منه إلاّ بعد زمن طويل من المعايشة، والامتزاج بين اللسانين .

ولذلك فإننا نسجل هنا أن تأثير اللغة التركية في اللهجات العامية في المشرق العربي واضح جدًّا، من حيث شيوع مفردات تركية كثيرة، ولكنه في الواقع نادر فيما يتعلق بالقواعد والأصول العامة.

لقد عاش الأتراك في مصر زمنًا ليس بالقصير؛ فلما زال الوجود التركي عن مصر، كانت كمية الكلمات التركية كبيرة نسبيًّا على ألسنة الناس، ولاسيما في مجالات المفردات الخاصة بالأطعمة والملابس ونظم السلطة؛ ولكن هذا الكم سرعان ما تقلص وجوده، وبقيت منه رواسب سجلنا استمرارها في هذا البحث؛ لا على سبيل الاستقصاء؛ كما سجلنا وجود بعض الظواهر النحوية التي انحصرت في بعض صيغ

(*) عرض في الدورة الستين (٩٣ — ١٩٩٤م).

النسب إلى البلاد أو الحرف المختلفة؛ وسوف نحاول إلقاء الضوء على كلا الجانبين في الصفحات التالية:

أولا: في مجالِ المفردات

ليس بوسعنا أن نزعم استقصاء المفردات ذات الأصل التركي في العامية المصرية، وإن كنا قد جمعنا أكثرها، وضمناه في الصفحات التالية، مرتبًا على حروف المعجم، وفي الترتيب هنات يمكن تداركها؛ وقد أضيفت إلى الإحصاء استدراكات ألحقناها بقوائم حروفها.

ويلاحظ على هذه المفردات ما يلي :

١- أن من بين المفردات كلمات شائعة على ألسنة العوام؛ وكلمات قليلة الشيوع، فمن الأولى: أبلة، وأجزاخانة، وأجنة، وبلطة، وأوضة، وبوز، وطظ، .. إلخ .

ومن الثانية: بيشليك، وبلك، وطبسية، وفورمة ... إلخ.

٢- أن من بين المفردات ما هو قابل للاستمرار في الاستعمال؛ لأنه صار جزءاً من القدرة التعبيرية للهجة، وذلك مثل: بهارات، وبوز، وبوظة، ومنها ما هو بسبيله إلى الانقراض مثل: يمخانة، وأجزاخانة، وبفرة، ويشمك. فقد شاع في مكان (يمخانة) كلمة مطعم؛ وفي مكان (أجزاخانة): صيدلية، و لم يعد أحد يستخدم ورق (البفرة)، ولا (اليشمك)، والألفاظ كوائن لها عمرها الذي قد يمتد أجيالاً؛ وقد ينتهي لتغير الظروف والعادات والتقاليد الاجتماعية؛ وتحقيق التقدم الثقافي والحضاري؛ فتحل ألفاظ جديدة محل الألفاظ القابلة للانقراض، بسبب اختفاء الأعراف التي كانت تفرضها.

٣- وقد يكون من العوامل المبقية على اللفظ المقترض قابليته للتوسع في مجال التداول؛ واتخاذه صورًا تدل على مرونته؛ ومن ذلك كلمة (بوز) التي أخذ منها الفعل (بوز) والوصف (مبوز). وكلمة (بهار) التي جمعت على (بهارات)، وكلمة (بلطة) التي أخذ منها كلمة (بلطجي)، والفعل: (بلطج).

وهــذا الــتلون في اســتعمال اللفظ يتيح له نسبة شيوع أكثر من غيره؛ نتيجة وروده على الألسنة بصورة مختلفة.

٤- أن القوائــم التالــية لم يــدرج فيها ما يتصل بأمثلة التأثير في النسب إلى الحرف أو البلاد؛ فتلك قائمة أخرى تحتاج إلى تأمل وتحليل لغوي.

ألفاظ مقترضة من التركية في العامية المصرية

حرف الهمزة

(١) أبلة	نداء لمن هي أكبر سنًّا ومقامًا (الأخت الشقيقة الكبيرة)
(٢) أجزاخانة	صيدلية.
(٣) أجنة	حديدة محددة السن.
(٤) أدبخانة	مرحاض.
(٥) أراصيا (قراصيا)	نوع فاكهة مجفف.
(٦) أراجوز (قره - جوز)	لعبة عرائس.
(٧) أردغانة	ضوضاء في وليمة (ومدينة قريبة من روسيا).
(٨) أردي (أوردو)	معسكر . و (مدينة تركية).
(٩) أرناؤوطي	صفة للفلفل الأخضر.
(١٠) أرنيك	تصريح بمهمة.
(١١) أروانة (قروانة)	صحن كبير - إناء للغسيل.
(١٢) أريش (قريش)	جبن منــزوع القشدة .
(١٣) أزمة (قازمة)	آلة حفر .
(١٤) أفندي (أفندم)	سيد (لقب).
(١٥) ألاجه- قماش متلون-	نوع قماش.
(١٦) الأضيش (أداش)	شلة أنصار.
(١٧) أوضة	غرفة.

(١٨) أورطة	فرقة جند.
(١٩) أورمة	اللحم بالبصل أو جذع شجرة لتقطيع اللحم .
(٢٠) أورمان	حديقة - غابة.
(٢١) أوزى (قوزي)	لحم الحمل - الحمل .
(٢٢) أويمة (أويمق)	حفر على الخشب .
(٢٣) أوية	زخرف في منديل الرأس.
(٢٤) آيش (قايش)	حزام الجندي .
أفيون	(بلدة تركية تزرع المخدر فسمي باسمها)

* * *

حرف الباء

(٢٥) بؤوطي	وعاء توزن فيه الخضر.
(٢٦) بابا غنوج	باذنجان بالطحينة.
(٢٧) باشكاتب	رئيس الكتاب.
(٢٨) باشبوري	طرف الخرطوم.
(٢٩) باشا	لقب لرفيع المقام.
(٣٠) بالطو	معطف.
(٣١) بانيو	حوض حمام.
(٣٢) بتنجان	نوع من الخضر.
(٣٣) برشامة	حبة دواء.
(٣٤) برطمان	إناء زجاجي.
(٣٥) برغل	حبوب تدق مع اللحم.
(٣٦) بدرون	الطابق السفلي الأرضي.

(٣٧) بريزة عشرة فروش — منفذ كهرباء.

(٣٨) بس كفاية.

(٣٩) بشاورة ممسحة سبورة.

(٤٠) بُشْت سباب قبيح.

(٤١) بيشليك فتحة جلباب بخمسة زراير.

(٤٢) بظراميط خليط.

(٤٣) بغاشة نوع حلوى بجوز الهند.

(٤٤) بَفْرة (اسم مدينة - نوع ورق سجائر تركية).

(٤٥) بؤجة (بقجة) صرة ملابس.

(٤٦) بلتكانة علاقة الستائر.

(٤٧) بلطة حديدة لشق الخشب.

(٤٨) بُلُك فوج - كتيبة.

(٤٩) بلوكامين أمين الشرطة.

(٥٠) بَمْبَة لون بين الأبيض والأحمر.

(٥١) بنفسج زهرة أو عطر.

(٥٢) بهارات توابل.

(٥٣) بورية قطعة أثاث قديمة .

(٥٤) بوز مقدم الفم.

(٥٥) بوظة نقيع مُسْكِر.

(٥٦) بك (بيه) لقب وجاهة.

* * *

حرف التاء

(٥٧) تتك زناد البندقية.

(٥٨) ترتر	صفيحات مدورة لامعة للتطريز.
(٥٩) تزاك (طُزلوك)	حذاء برقبة للشرطي.
(٦٠) تكية	مركز إعاشة مجاني.
(٦١) تنشين	التصويب نحو الهدف.
(٦٢) تيته	جدة.
(٦٣) تيزه	(خالة تركية) جدة.
تورلي	خليط من خضار مطهو .

* * *

حرف الجيم

(٦٤) جفت	ملقاط الطبيب.
(٦٥) جلاش	رقائق حلوى.
(٦٦) جلبهار	لعبة في الطاولة.
(٦٧) جمرك	رسوم بضاعة.
(٦٨) جوقة	فرقة فنية.
(٦٩) جيص	ريح من الدبر.
(٧٠) جيهان	عالم.

* * *

حرف الحاء

(٧١) حرملك	سكن الحريم
(٧٢) حكمدار	قائد شرطة
(٧٣) حنطور	مركبة يجرها حصان

* * *

حرف الخاء

(٧٤) خازندار	وزير التموين.
(٧٥) خديوي	حاكم.
(٧٦) خواجة	السيد: لقب للأجنبي.
(٧٧) خوجة	مدرس.

* * *

حرف الدال

(٧٨) دادي	ولد - نداء للأب.
(٧٩) دبشك	قاعدة البندقية.
(٨٠) دزينة	مجموعة من ١٢ وحدة.
(٨١) دفتر	كراسة للبيانات.
(٨٢) دندرمة	حلوى مثلجة.
(٨٣) دَوْزَن	ضبط الآلة الموسيقية.
(٨٤) دولاب	قطعة أثاث - إطار السيارة.

* * *

حرف الراء

(٨٥) رفّ	لوحٌ معلق لوضع الأشياء.
(٨٦) رهوان (صفة)	سريع

* * *

حرف الزاي

(٨٧) زمبة	مثقاب.
(٨٨) زنبرك	ميزان.

* * *

حرف السين

(٨٩) سجق — المحشو من أمعاء البهيمة.

(٩٠) سوستة — جرارة تقفل فتحات الثياب.

(٩١) سلاملك — سكن الرجال.

(٩٢) سلحدار — من ألقاب الأسر.

(٩٣) سلخانة — مذبح.

(٩٤) سواري — سلاح خيالة الشرطة.

(٩٥) سونكي — حربة في رأس البندقية .

* * *

حرف الشين

(٩٦) شبشب — مداس خفيف.

(٩٧) شرموطة — خرقة - صفة لقلة الأدب.

(٩٨) ششم — مسحوق لعلاج العين.

(٩٩) شفخانة — مستشفى بيطري.

(١٠٠) شفتشي — نوع من الحلي.

(١٠١) شكمه — ضربه في الوجه.

(١٠٢) شلتة — حشية صغيرة.

(١٠٣) شَمطة — خناقة.

(١٠٤) شنطة — حقيبة.

(١٠٥) شوربة — حساء.

(١٠٦) شورمة — رقائق لحم مشوية.

(١٠٧) شيش — شُباك خارجي.

(١٠٨) شيشة	أداة تدخين.
شادر	سرادق

* * *

حرف الصاد

(١٠٩) صاج	نوع من ألواح الصفيح.
(١١٠) صاغ	(صاغ سليم : حي) - عشرة مليمات .
(١١١) صول	رتبة شرطية و (عسكرية).
صنفرة (زمبرة)	ورقة مخشنة للحك والتنعيم.

* * *

حرف الطاء

(١١٢) طابور	الصف.
(١١٣) طابية	موقع مدفعية - قطعة شطرنج .
(١١٤) طاسة	إناء من النحاسِ.
(١١٥) طاش	خط عرضي يقسم الأرض إلى أحواض.
(١١٦) طازة	طازج.
(١١٧) طبسية	إناء (سلطانية).
(١١٨) طرابيزة	منضدة.
(١١٩) طربة	(كيس قماش) - كمية من الحشيشِ المخدر.
(١٢٠) طقم	أسنان صناعية.
(١٢١) طورة	مجموعة من أربع وحدات.
طظ	(ملح) تعبير عن انعدام الأهمية.

* * *

حرف العين

(١٢٢) عَشّى	طباخ.
(١٢٣) عفارم	عبارة تشجيع.
(١٢٤) عكروت - مهرج السيرك - عابث - سيئ المسلك.	
(١٢٥) عنبر	مخزن صالة كبيرة.
عربة	(آربة) سيارة .

* * *

حرف الغين

(١٢٦) غُرَيِّبَةٌ	(كرابية) نوع من الكعكِ.

* * *

حرف الفاء

(١٢٧) فانوس	مصباح ذو عروة من أعلاه.
(١٢٨) فرمان	مرسوم سلطاني.
(١٢٩) فشنك	نوع من البارود.
(١٣٠) فنجري	مُسرف.

* * *

حرف القاف

(١٣١) قزان	إناء كبير لغلي الماء.
(١٣٢) قايش	حزام الشرطي.
(١٣٣) قفطان	نوع من الكسوة.
(١٣٤) قورمة	(اللحم بالبصلِ) لحم الخراف يُطْبَخُ بدهنه.
(١٣٥) قوزي	الخروف الصغير (الحمل).

* * *

حرف الكاف

(١٣٦) كازوزة	مياه غازية.
(١٣٧) كرار	(مخزن الطعام).
(١٣٨) كرباج	سوط.
(١٣٩) كُرَجه	إجمالاً.
(١٤٠) كرخانة	بيت الدعارة.
(١٤١) كردان	(كَردان) أحد أوتار - قلادة العنق.
(١٤٢) كركون	(قرة قول) قسم الشرطة.
(١٤٣) كَرْوت	عامل بلا اهتمام.
(١٤٤) كَلَبْش	حديد الاتهام.
(١٤٥) كَلْبوش	طاقية.
(١٤٦) كَلّين	(قولون) سمك الجدار.
(١٤٧) كمساري	محصل (تذكاري).
(١٤٨) كمريرة	مربية.
(١٤٩) كنافة	نوع من الحلوى.
(١٥٠) كنبة	أريكة.
(١٥١) كنكة	إناء صنع القهوة.
(١٥٢) كهنة	الأشياء القديمة.
(١٥٣) كوبري	معبر النهر.
(١٥٤) كوريك	جاروف - رافعة.
(١٥٥) كوشة	مقعد العروسين.

* * *

حرف اللام

(١٥٦) لتظانة	نوع من الخشب.

* * *

حرف الميم

(١٥٧) ماسورة	الأنبوبة.
(١٥٨) مشوار	سير متعب.
(١٥٩) مقصدار	مفصل وخياط الملابس الممتاز.
(١٦٠) ملاكوف	دائر مقوى بالنشا يُلْبس تحت النصفية.
(١٦١) منبار	أمعاء محشوة.
(١٦٢) منويشي	التافه الشخصية الهش .
(١٦٣) مورستان	مستشفى المجانين.
(١٦٤) ميس	مطعم وناد للضباط.

* * *

حرف النون

(١٦٥) نبطشي	(نوبتچي) القائم بالعمل في دورة.
(١٦٦) نجفة	الثريا.
(١٦٧) نزاكه	(نزاجه) ترف.
(١٦٨) نشادر	مركب كيميائي.
(١٦٩) نشانكاه	نقطة ضبط النيشانز.
(١٧٠) نيشان	وسام - هدية العروس.

* * *

حرف الهاء

(١٧١) هانم	سيدة (لقب).

* * *

حرف الياء

(١٧٢) يافطة لافتة.

(١٧٣) ياءة (ياقة) رقبة القميص أو الجلباب.

(١٧٤) ياميش النقل الرمضاني.

(١٧٥) ياي سلك مرن.

(١٧٦) يخني بصل مطبوخ بالطماطم.

(١٧٧) يشمك برقع المرأة.

(١٧٨) يغمه نهب وسلب.

(١٧٩) يمخانة مطعم.

(١٨٠) يمك طعام.

(١٨١) يوفورت زبادي.

* * *

ثانيًا: في مجال القواعد

لعل من الظواهر الفريدة التي بقيت من تأثير التركيز في لسان أهل مصر ما احتفظت به العامية المصرية في بعض صيغ النسب إلى البلاد، أو إلى الحرف، ويتجلى ذلك في استعمال كلمات منتهية بلاحقة (لي) التي تفيد في التركية معنيين: معنى النسب إلى البلد، ومعنى (صاحب) أو (ذو)، وكلتاهما بمعنى الأخرى، كما بقي في العامية المصرية أسلوب النسب التركي إلى الحرفة باستخدام اللاحقة (چي).

وقد اقتصر النسب باللاحقة (لي) على البلاد التركية، بحيث نستطيع أن نتصور انتقال الكلمة إلى ألسنة العامة باعتبارها كتلة صوتية لا يتميز فيها الاسم عن الأداة، أي أن قبول اللسان لها كتلة لا يترجم إلى موقف نحوي إرادي ، فلم يحدث لدى أيٍّ من العامة أن نسب إلى (مصر) مثلاً بقوله : (مصرلي) مع أنه قياس في ألسنة الأتراك، وهذه الملاحظة تتبين من الكلمات التالية:

عثمانـــلي	نسبة إلى الدولة العثمانية
استانبوللي	نسبة إلى استانبول
أزميرلي	نسبة إلى أزمير
عنتبلي	نسبة إلى عنتيب
خربوطلي	نسبة إلى خربوط
مرعشلي	نسبة إلى مرعش
منسترلي	نسبة إلى منستر
شمرلي	نسبة إلى شمر
أرندلي	نسبة إلى أرندة أو إلى الأرند - نهر بأنطاكية

ورغـــم أن كلمة (أفيون) اسم بلدة تركية تزرع هذا المخدر؛ فسمي باسمها، فـــإن الاســـتعمال لم ينسب إليها في ألسنة أهل مصر، فلم يقل (أفيونلي)، بل سوف نجد أن النسبة إليها ستكون على الوصف بالحرفة فيقال: أفيونچي، على ما سيجيء .

وقـــد استعملت اللاحقة (لي) في الوصف، في كلمات كثيرة نسوق منها على سبيل المثال:

قوتلي	(ذو) صاحب القوة
إيتيكيتلي	(ذو) صاحب الإيتكيت
محبتلي	ذو الحب
مهابتلي	ذو المهابة
شربتلي	صاحب الشربات
فللي	صاحب الفل
هيلهلي	ذو الضجيج

وقد تأخذ اللاحقة (لي) شكل (لو)، واستخدمت في كلمات كانت ثم انقرضت مـثل: سعادتلو: صاحب السعادة، ورفعتلو: صاحب الرفعة، وعزتلو: صاحب العزة، أيْ: أن اللغة تصرفت بترجمة اللاحقة (لو) إلى صاحب، ومن المؤكد أن تعبيرات مثل: صاحب الفضيلة، أو صاحب السماحة، أو صاحب العصمة -كانت أصلاً تركية مثل: فضيلتلو، أو سماحتلو، أو عصمتلو، ولكن الناس آثروا استخدام الترجمة على الاقتراض.

وقـد لوحظ أن بعض الكلمات المنتهية بحرفي (لي) جاءت في العربية موهمة أنها ذات أصـل تركي، ومنها كلمة: (سبهللي)، وهي عربية محضة، يقال: جاء سبهللاً، أي : بلا شيء .

أمـا كلمة (تَرَلّلِي) فهي تركية من ترلل: إذ جُنّ، فهي بمعنى (المجنون)، وبه يفسر قول أمير الشعراء:

صار شوقي أبَا علي   في الزمان الترلّلي

وأمـا كـلمة (شضـلي)، فلعل أصلها: (شذلي) التي تحولت ذالها إلى دال مهملة، والشذا: هو الأذى، والنسبة إليه: شذلي، ثم تصير: شدلي، ثم: شضلي.

وأما (الشاذلي) ، فقد ذكر معجم البلدان أن (شاذ: معناه الفرح)، فالنسب إليها يعني (ذو الفرح).

وأما كلمة (قللي) فلا أثر فيها من التركية؛ لأنها نسب إلى (قلة) مضعفة اللام.

ويـأتي أخـيرًا استخدام اللاحقة (جي) في النسب إلى الحرفة، ومن أمثلتها: قهوچي، ومكوچي، وأويمچي، وتمرچي، وبلطچي، ويبرسچي، ويأتي كذلك كلمات: برنچي، وكنچي، وخرنچي، وهي تعني على الترتيب: الأول والثاني والأخير.

وتـبقى كلمة (عطشجي) التي تعني عند العامة (من يملأ خزان القطار بالماء) وهـي في الواقع كلمة (آتش) ومعناها: النار، والنسب إليها (آتش چي) أي: رجل الـنار أو الوقاد؛ ولعل وهمًا أصاب تلقي الكلمة بنطقها الصحيح فقربها الناطق إلى أشبه الكلمات بها؛ واستقرت على هذا المعنى الزائف والطريف .

* * *

العامية، والدخيل، واللهجات في قلب الجزيرة العربية(*)

للأستاذ عبد اللــه بن محمد بن خميس

عضو المجمع

الحصـــانة الـــتي كانت تتمتع بها اللغة العربية في قلب جزيرة العرب كان سببها شـــبه العزلة التي كانت القبائل العربية تعيشها سالمة من عدوى العجمة وأدواء التقليد، بعيدة عن المؤثرات اللسانية التي تبلبل وتفسد لهجاتها.

وغير ذلك فهناك وازع النقد، وسلطان الغيرة، ورقابة المجتمع.. فلا تكاد تند من متحدث أو شاعر أو خطيب.. كلمة نشاز إلا ويكونون لها بالمرصاد، مما يحملهم على التحفـــيظ ويبعثهم على الالتزام .. قامت أسواقهم على هذا، وتواصت منتدياتهم به.. فكـــانوا جمـــيعًا للغتهم حراسًا، وعليها غيارى، وكانوا إلى جانب ذلك يغذون لغتهم بـــبديع البـــيان، ومتألق اللفظ، ورائع الشعر، وجزل الخطب، فسمت منهم الفصاحة، وعـــلا بهـــم القـــول، وتكامل فيهم الإعجاز .. كان ذلك بين يدي الإسلام، لتكون معجـــزة القرآن بالغة مبلغها، مستوفية دلالتها، في قوم تهزهم الفصاحة، ويبهرهم جزل القـــول، وتشـــدهم سلاسة المنطق .. ومع ذلك فقد وغل فيهم من الدخيل ما وغل، وتخلـــل لســـانهم فـــوت الحرص، وسبق العذل، ولم يلبث حتى أساغوه، واستخدموه، وبقـــي فيهم مجاورًا، وعلى ألسنتهم مسموعًا.. وإن كانوا يميزون الدخيل من الأصيل، ومغمـــوز النســـب عن المتوقح في أرومة لسان العرب .. إلا أن القرآن وهو الغاية في الفصـــاحة والبلاغة، والمثل الأعلى في السمو والإعجاز، قد أقر ما أقره اللسان العربي، وأتى منه بما ليس بمستغرب .. لا يصدع الآذان سماعه، ولا تنكر الطباع وقعه .. أتى مـــنه بما يناهز مائة لفظة، على ما وقع في هذه القضية من خلاف بين العلماء .. فمنهم من ينكر وقوع غير العربي في القرآن، وله دليله من واقع القرآن. ومنهم مـــن يؤيـــده،

(*) ألقي هذا البحث في الجلسة الثانية من مؤتمر الدورة ٧ من مارس سنة ١٩٧٧م.

ولكـــن على أن ما وقع كان بغير اللسان العربي أصلاً، ولكنه تعرب بوقوعه في لسان العرب فأصبح منه ومن ثم أتى به القرآن.

ومـــع ذلـــك فقد سرت عدوى العجمة في بعض قبائل العرب التي لها احتكاك بالأمم الأخرى، عن طريق المجاورة أو التجارة أو النقلة أو المصاهرة أو غير ذلك، حتى حـــذر عـــلماء اللغة الذين عنوا بتدوينها سليمة من كل شائبة، نقية من كل عجمة، حـــذروا الأخذ عن غير الفصحاء .. فالذين نقلت عنهم العربية من القبائل، وكانوا هم القدوة في التدوين، هم: قيس، وتميم، وأسد، وهذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين .. وأغفلـــوا لغـــة كـــل حضري، ومن كان من البوادي مجاورًا للأمم الأخرى، كلخم، وجـــذام، وقضاعة، وغسان، وتغلب، وبكر، وعبد القيس، وأزد عمان، وبني حنيفة، وثقيف.. وسائر قبائل الطائف - أغفلوا الأخذ عنهم بسبب مجاورتهم للأمم الأخرى، أو اختلاطهم التجاري.

ومع ما تقدم بقيت اللغة في قبائل الجزيرة العربية سليمة قويمة، وبدا اللحن يغزو المـــدن والحواضـــر، في مطلع فجر الإسلام المبكر، وبدأت السليقة العربية تتأثر، وبدأ اللســـان العربي في الحواضر يتعثر .. كقصة الذي لحن بين يدي النبي صلى اللـــه عليه وسلم، وقصة عامل عمر ، وقصة ابنة أبي الأسود الدؤلي، وقصة الأعرابي الذي لحن من يعـــلمه القرآن.. فأنكر المُتعلّم على المُعلّم .. وغير ذلك من البوادر التي ضاق بها ذرع أعلام اللغة آنذاك وأئمتهم ، فوضعت القواعد، ودون فصيح اللغة وصريحها، وانتقل من يومـــئذ عـــلم اللغة في الحواضر الإسلامية وما جاورها، من السليقة والطبع إلى رياضة الألســـنة عـــلى هذه القواعد، وتلقينهم إياها .. إلا ما كان من بقايا قليلة سلمت لهم ملكـــاتهم، وتأبّت سلائقهم على ما ليس من طبعها، ممن لم تحفظ عليهم لحنة واحدة.. كعبد الملك بن مروان، والشعبي، والحجاج، وأيوب بن القرية.

في هـــذه الأوســـاط التي أصبح علم اللغة فيها يؤخذ بالتدريس والتلقين، وبدأ الطـــبع اللغوي والملكة الأصلية يضمران وينكمشان .. بدأ المهتمون بأمر اللغة والغيرة

على حماها، يقصدون البادية، وينتقلون بين أهلها، ويسجلون لهجاتها، ويلتمسون القول الفصل في ما اختلف فيه، ويتتلمذون على أمييهم ممن لم يعرف الحضارة و لم يشب لسانه شائبة ..

وأخذ الخلفاء والأمراء والموسرون يبعثون أولادهم إلى البادية؛ ليأخذوا اللغة سليقة وطبعًا، تتسم بالجزالة، وتنطق فحلة متبدية أصيلة.

ولينقلوا أنفسهم من الحياة الحضرية اللينة، المترفة، الوادعة إلى حياة البادية الخشنة، الناصبة، الكادحة .. وإلى جو الفتوة والرياضة العربية، من ركوب الخيل، وتسلق الجبال، وقطع الفيافي، رجالاً وركبانًا، في حَمّارة القيظ، وصَبّارة الشتاء .

و لم تزل اللغة في الحواضر العربية وما جاورها تمعن في البعد عن السليقة، وتنأى من ملكة اللسان العربي، بعوامل الاختلاط والمجاورة والمصاهرة والتجارة، والفتوح الإسلامية – عبر القرون – الأولى من الإسلام، وبانتقال الخلافة والسلطة من العرب إلى غيرهم، زوحمت العربية في عقر دارها، واتسعت العجمة تبعًا لنفوذ أربابها، وضمر ظل الفصحى، تبعًا لضمور نفوذ أهلها، إلى جانب ما تعمله السلطة المتسلطة على إضعاف اللسان العربي والكيد له .

هذه العوامل وغيرها .. تنقر صخرة هذه اللغة عبر القرون، وتسعى في تفتيتها وإنهاكها، ولولا أن الله تكفل بحفظها، ممثلة في كتابه العزيز، لذابت وانطمست معالمها، ولكن قيض الله لها قلاعًا حصينة، وجنودًا مجاهدة، توارثت العمل من أجل الإسلام، والحفاظ على كيان الفصحى، في صميم الحواضر العربية، وعلى رأسها الأزهر الشريف.. مما جعل هذه الأمة بأسرها مدينة لجهادها، مطالبة بالوفاء لها.

ويأتي عصر الانتفاضة العربية، فتواكبه أقلام مجاهدة، وأعلام بارزة، وقادة فكر أوفياء .. نشأت نتيجة لجهادهم المجامع العلمية واللغوية، والمعاهد المتخصصة، والجامعات، ونشطت حركة التأليف والنشر، والتحقيق والتدقيق، وإحياء التراث وخدمة الفصحى، في جميع المجالات ولا يزال جهادها مستمرًا ونشاطها متواليًا.

وأمـــام ما جد به العصر من مبتكرات، في مجال الصناعة، والطب، والاقتصاد، والعـــلم بجمـــيع فـــروعه، وما إلى ذلك نتج عنه حشد من المسميات، والمصطلحات، وواكبه زحف من الأفكار والفلسفات والمعارف.. كل ذلك وغيره واجه اللغة العربية في هذا العصر وطالبها ببيان موقفها منه .

وأمـــام مـــا تجري به بعض الأقلام، وما تتوارد به بعض الأفكار، وما طرأ من تغـــيير على كيان الشعر العربي .. باسم المرونة، ومجاراة واقع العصر، ومحاربة الجمود، ونـــبذ الماضـــي المحـــنط، وإفساح المجال للأقلام الناشئة، لتعبر عن أفكارها من أقرب طـــريق، وتســـهم في بناء فكر متوثب شاب .. لئلا تعوقها القيود والحدود، وتقف في طريقها القواعد والمصطلحات، فصغرت حرمة الفصحى لدى بعض المتأدبين، والمُدَّعين، وقلـــت هيـــبة ذلك الحمى المتمنّع، واقتحموا حدوده، وجاسوا خلاله .. فصرنا نرى العناوين البارزة الملحونة، تحتل واجهات الصحف، وصار المذيع والمحاضر والخطيب .. لا يـــتحرجون من أن يقذفوا باللحن كالقذف بالجلاميد .. وصار باب الشعر مفتوحًا لمن شاء أن يكون شاعرًا .. يرصف الجمل والحروف كرصف البيانات، ويسميه شعرًا .. تاركًـــا كل قاعدة من قواعد الشعر جانبًا.. أمام هذا كله، وأمام ما عسى أن يكون من غيره فإن رسالة حراس اللغة في هذا الزمان ثقيلة، ومهمتهم شاقة، ودربهم شائك .

ونعود إلى الحديث عن اللغة في قلب الجزيرة العربية - لغة البادية - وقد عهدناها في صـــدر حديثنا هذا معتصمة بسليقتها، محتفظة بملكتها، يقصدها علماء اللغة للأخذ عنها، وينتجعها الرواد للتأثر بها، والتعلم منها.

كـــان هـــذا واقعهـــا في صدر الإسلام، وليس من شك في أنها لم تبق محتفظة بأصـــالتها اللغوية ومكانتها الأولى .. فلقد تأثرت قبائلها المحافظة، بما تأثر به غيرها من القـــبائل، ذات الصلة بالمجاورين غير العرب وداخلها ما داخلها من واغل، غمز جانبها، وكدر صفوها .. إلا أنها إلى السلامة أقرب، وبالسليقة ألصق. تأرز دائمًا إلى أصلها ، وتـــنـــزع أبـــدًا إلى أرومـــتها - يتحدث إليك متحدثها قاصًّا أو مخبرًا أو مستخبرًا أو

واصــفًا أو جادًّا أو هازلاً .. فيذكّرك بما أنت تقرؤه عن العرب الأول، وتنسجم مع حديــثه انســجام المــتأمل المتذوق المشدود إلى السماع، ويواجهك بصراحة العربي وصرامته، وصدق لهجته، واعتداده بنفسه.

وإذا كنــت حضــريًّا وحدثته بعاميتك الحضرية جعل يتندر على ما في لهجتك مــن لــيونة، وعــلى ما في لسانك من لوثة، وعلى ما في مسمياتك من خطأ، وما في مصطلحاتك من هجنة.

للحديــث عــن الــناقة والفرس والطير والكلب والوحش والصحراء والطبيعة المــتحركة والساكنة.. قواعد والتزامات لا يضل فيها ولا يغوى .. فهذه فرس صفراء، لــذات اللون الأبيض، وصهاة، بياضها ناصع، ومرشوشة للمنقطة بلون آخر، وشهباء للتي مازج لونها قليل من السواد، ودهماء للتي غلب عليها لون السواد، وكميت وحمراء وشقراء .. للاتي ألوانهن كذلك وهكذا ، وقد أعطت الفرس وأشعت إذا طلبت الذكر، وعلاهــا الذكر إذا لقحت، وأبطحت إذا قاربت الإنتاج، وأفلت إذا أنتجت، وولدها فلــو، أو فلوة في السن المبكرة، ومهر أو مهرة بعده، وجذع أو جذعة بعده، وثني أو ثنية، ورباع للذكر والأنثى وهكذا .. وهكذا بقية شياتها وأعضائها وعدوها وحركاتها.

وللــناقة شــيات ومصــطلحات ومســميات وأحوال ليست للفرس، ولكل الحــيوانات والنباتات والظواهر والطبائع المتحركة والساكنة كذلك، مما هو من صميم الفصــحى، وممــا لــو خلّط فيه مخلّط أو حرّفه محرّف لكان عرضة للسخرية والهجنة والضــحك كــأن تقول مثلاً: هذه ناقة مبطح بدلاً عن الفرس، أو تقول هذه عشراء بدلاً عن الناقة.

وكلامهــم في جملــته يسمعه غير المتأمل فينكره، ويظنه موغلاً في العامية بعيدًا عــن جــو الفصحى. وإذا تأملته لا تسقط منه شيئًا إلا ما كان من تسهيل في الهمز، وإمالــة في بعــض حروف الإمالة، وإبدال فيما يدخله الإبدال .. مما هو خاضع لواقع اللهجات منذ القدم.

فـــيلقى مثلاً التميمي تميميًّا آخر فيقول له: " من أين أنت ياي؟ " فيجيبه: "ياي مـــن الـــيوف " يظنه السامع كلامًا مرطونًا لا علاقة له بالفصحى. والواقع أن السائل يقول : " من اين أنت جاء " بتسهيل الهمزة من (أين) وإبدال الجيم ياء على لغة تميم وقلـــب الهمـــزة يـــاء . والجواب جاء هكذا :" جاء من الجوف " بقلب الجيم ياء في (جاء) و (الجوف).

ويلقـــى الطائي أخاه فيقول: " انطن مان " فيجيبه: " راع المان بالسرى " يقول الأول: أعطـــني ماء، ويقول الثاني: انظر الماء بالقناة . فانطن ومان وراع ، والسرى .. أسماء فصحى على لغة طيئ .

ويلقى العتيبي أخاه فيقول له : " ازن ماء "، فيقول أخوه: " ماش ماء "، الأول يقول: " اسقني ماء " فقلب السين زايًا من باب تناوب الحروف، وشدد الزاي ليسقط القـــاف. والـــثاني يقول: " ما شيء من الماء هنا " فاقتضب كلمة " ما شيء " بكلمة (ماش) .. وهكذا لغتهم فصيحة متمشية مع لهجاهًا الأصلية .

وفي مجـــال الشـــعر يقرضـــونه في شتى الأغراض، ويسلكون به مسالك العرب الأوائـــل مفاخـــرين ومنافرين ومادحين وقادحين ومشببين وواصفين .. يقرضونه على السليقة لا يتعلمون في صنعته، ولا يشتطون في تدبيجه، يرسل أحدهم - ممن تتوفر لديه الشـــاعرية - العنان لقريحته، فتتنفس عن رائعة يستوفي فيها غرضه، قد تبلغ الثمانين بيتًا وربمـــا أكـــثر وربما أقل .. فتسير أوساطهم وتتناقلها رواهم، وتبلغ مبلغها من الانتشار والـــرواية .. يغـــذون بهذا الشعر أسمارهم، ويستشهدون به على أحداثهم، ويسجلون وقائعهم، ويتغنون به على ظهور المطي، في مجالات أفراحهم، ومناسبات انتصاراهم .. ولهذا الشعر حديث طويل وضعت فيه كتابًا أسميته "الأدب الشعبي في جزيرة العرب" ألم بالخطوط الرئيسية لهذا اللون من الشعر .

والشـــاهد هنا هو أن هذا الشعر تسمعه من أفواههم ، وتقرؤه في مدوناهم .. فـــلا يخامرك شك في أنه شعر عامي أفسد الفصحى وكدر صفوها.. ولكن إذا أخذت

نموذجًا منه وحللته خرجت بنتيجة مذهلة، واكتشفت مجهولاً وعثرت على حقيقة، وهي أنك تجده شعرًا فصيحًا موزونًا مقفي، لا تعوزه القوة ولا ينقصه الإبداع، ولا يمارى في متانته وسموه.

ولنأخذ - مثلاً - هذه النماذج منه :

قال الشاعر محسن الهزاني الذي عاش في حوالي منتصف القرن الحادي عشر الهجري ببلدة (الحرف) من اليمامة :

غنى النفس معروف بترك المطامع   وليس لمن لا يجمع الله جامع

نرجع به إلى الفصحى فإذا هو بنفسه :

ويمضي :

إذا ما انقضى النيروز فيها وخوضت   مطافيل غزلان المها كل خايع

سقاها الحيا في ليلة بعد ليلة   من المزن هتاف حقوق الروامع

ومنها :

ولا عز إلا في لقي كل متعب   بسمر القنا والمرهفات القواطع

دع الناس من لا يبتدي منك رقة   فما الناس إلا من حسود وشانع

نرجع ذلك إلى الفصحى فإذا هو نفسه .

وللشاعر الشعبي راشد الخلاوي من أهل القرن الثاني عشر:

مقام الفتى في منصب العز ساعة   ولا ألف عام يصحب الذل صاحبه

فلا بالتمني تبلغ النفس حظها   ولا بالتأني فاز بالصيد طالبه

ومنها :

فلا يد إلا يد الله فوقها   ولا غالب إلا له الله غالب

نرجع ذلك إلى الفصحى فإذا هو .

ولأبي حمزة العامري من أهل القرن العاشر تقريبًا :

تأبى عن الطمع الزهيد نفوسنا   وفروجنا تأبى عن الفحشاء

نرجعه إلى الفصحى فإذا هو .

ولماجد القباني من أهل القرن الثالث عشر الهجري:

ندیب على الدنيا شقا لو ندیبه   على الدين ما مس النفوس عذاب

يجيء هكذا .

وله :

فما الناس إلا من تراب معادن   وما طاب من تلك المعادن طابا

اقرأه هكذا .

وهكذا كثير من هذا الشعر يتحول من اللهجة العامية إلى شعر فصيح صحيح، وبعضه تدخله اللهجات والتسهيل والتسكين، وإذا قوم استقام .

فمما تدخله اللهجات قول أحدهم:

يا مرحبا بش وبهلش   وبالجمل الذي حملش

يقصد : يا مرحبا بك وبأهلك وبالجمل الذي حملك.

عـــلى لهجة الكشكشة لربيعة، وهي إبدال الكاف شينًا، وهي الآن لغة " يام " بجميع أفخادها .

وقول عبد الله بن رشيد:

سلم عليه ولا تقل له مقالة   إلا أن نشد عن حالتي أو عنى سال

فقوله : " عنى " بالتخفيف جاءت لغة القائل :

أيها السائل عنهم وعنى   لست من قيس ولا قيس منى

فســـلامة اللغة لدى عرب الجزيرة في البادية خصوصًا هو الأصل، والدخيل فيها قلـــيل جـــدًّا، والعامـــية التي تخضع للهجات، واللهجات في قلب الجزيرة كثيرة جدًّا، وتخضع أيضًا لعوامل مناخية ، فالجوار والاحتكاك والمداخلة في المراتع لها دخل في ذلك، ولذا نجد لغة شمر وعنـــزة وحرب، وما جاورهم من القبائل متشابهة، ونجد لغة عتيبة، وهذيـــل، وعدوان، والشلاوي، والبقوم، وثقيف ، وقريش وسفيان، وثمالة، وسليم ..

ومـــا جـــاورهم فيها كثير من الشبه .. ونجد لغة يام بجميع فروعها، وقحطان بجميع فـــروعها أيضـــا متجانسة. وعرب اليمامة، سبيع، والسهول، ومطير، والقرينية ونزائع وبطـــون من عرب آخرين .. لغتهم متجانسة .. وهكذا وبالجملة. فاللهجات العربية في قلـــب الجزيرة العربية كثيرة، وكلها ترجع إلى أصل واحد هو العربية الفصحى، ولا ضـــير ولا غضاضـــة مـــن تعدد هذه اللهجات؛ فقد كانت منذ الجاهلية أيام كانت الفصـــحى في قمـــة مجدها وتكامل شخصيتها، ونزل القرآن بها وأدخلها في فصاحته المتناهـــية .. وبلاغـــته المعجـــزة .. فبالتتبع والاستقراء نجد أن القرآن أخذ من لهجات القـــبائل كـــل لهجـــة بطـــرف، فأخذ من لهجة كنانة، وهذيل وأزد شنوءة، وخثعم، ومذحج، وقيس عيلان، وسعد العشيرة، وكندة ، وعذرة، وحضرموت، ومزينة، ولخم، وجذام، وحنيفة.. وغيرهم مما يبلغ نحوًا من خمسين لهجة ..، ولا ينافي هذا ما ورد من أن القرآن كتب بلهجة قريش، فالرهط الذين عهد إليهم الخليفة عثمان بن عفان رضي اللـــه عـــنه بنســـخ المصاحف هم زيد بن ثابت، وعبد اللـــه بن الزبير، وسعيد بن العـــاص، وعبد الرحمن بن الحارث .. قال الخليفة للرهط القرشيين: ما اختلفتم فيه أنتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش؛ فإنه نزل بلسانهم.. ومعنى هذا أن القرآن وإن نزل بلسان قـــريش فإنـــه لم يغفل سائر اللهجات .. بل ورد بها وأيدها، وإذًا فلا ضير في أن تبقى هـــذه الـــلهجات كما كانت في عهد مجد اللغة العربية وازدهارها .. وحتى لو حاولنا توحيد هذه اللهجات في لهجة واحدة، فإن ذلك من الصعوبة بمكان.

ويـــتجه التفكير إلى أن أقرب وسيلة للتخلص من بلبلة اللسان العربي بين العامية والدخـــيل واللهجات المرتبكة .. هي محاولة الرجوع إلى الفصحى؛ بأن نلتزم قبل كل شـــيء في مدارسنا المتوسطة والثانوية والجامعية بالتخاطب بالفصحى، وكذلك في دور الـــثقافة والصـــحافة والإعلام، والسينما والمسرح، والمطارات، والطائرات، والأندية، والجمعيات، وكل جهة تجمع .. ونصر على تطبيق ذلك، ونلح ونتابع ولا نيأس. فهي الوسيلة الوحيدة - في نظري - التي هي أسلم وأقوم .

بقـــي أن نتساءل عما جرى الحديث عنه هنا من بقاء عنصر الفصحى متمكنًا في قلـــب جزيرة العرب. هل من سبيل لاستغلاله كمنطلق من منطلقات الرجوع إلى الفصحى ومحاولة تهذيبه وتشذيبه، وتنميته. فإن فيه إلى جانب واقعه الفصيح أنه فصيح بالملكـــة والســـليقة، لا بالرياضة والتلقين والتعليم، وهذا جانب مهم جدًّا في أن ترجع سليقة العربي إليه، وأن تعود به تدريجيًّا إلى سابق عهده وزاهر مجده.

ولا أعـــني بما قلته الدعوة إلى استعمال اللغة العامية .. وإنما قصدت أن أوضح جانبًا ذا أهمية كبيرة لدارس اللغة العربية، والمعنيين بالحفاظ عليها .. وهو أن اللهجات في قلـــب الجزيرة العربية تمت إلى العربية الفصحى بأقوى الأسباب، بخلاف اللهجات الأخـــرى المنتشـــرة في مختلف الأقطار العربية؛ إذ من المعلوم أن هذه اللهجات ترجع بأصـــولها إلى أرومة عجمية كالفارسية والتركية وغيرهما من اللغات .. ففي استعمال الـــلهجات في قلب جزيرة العرب، أو محاولة التقريب بينها، وتنميتها، محافظة على اللغة العربية وخدمة لها .

إنهـــا فكـــرة أعرضها على مجمعنا الموقر، ولعلها تلقى من القبول والاهتمام ما يتواءم مع أهميتها .. واللـــه المستعان.

* * *

لهجات اليمن "قديمًا وحديثًا "(*)

للأستاذ أحمد حسين شرف الدين

عضو المجمع المراسل

كانـــت اليمن قبل الإسلام وحتى أواسط القرن الخامس للميلاد يسودها صراع لغـــوي مريـــر، كان ذلك الصراع بين لغة " المسند " وهي اللغة اليمنية القديمة، والتي أطلـــق عليها اللغويون العرب " لغة حمير "، وبين لغة قريش التي بدأت حينذاك تنتشر في أنحاء الجزيرة العربية وتفرض سيادتها جنوبًا وشمالاً.

وقـــد أسفر هذا الصراع عن تأثر كبير وتطوير ملموس في لغة اليمن ، ويتجلى ذلـــك في نقـــش مطـــول عثر عليه بين أنقاض سد مأرب، يعود تأريخه إلى عام ٥٤٣ للمـــيلاد[١]، ويعتبر هذا النقش المصدر الأخير الذي يبين لنا وضع اللغة في هذه الفترة بالذات .

ولم يعـــثر بعـــد ذلك على أي مصدر يكشف لنا مراحل هذا التطور، إلا أنه مـــن الممكـــن القول بأن تلك اللغة اليمنية القديمة قد بدأت بعد ذلك في التلاشي، وفي أوائل القرن الأول الهجري أخذت تسير في طريقها إلى الانقراض التام.

أمـــا مـــن ناحية المصادر العربية فلم يكن هناك أي مصدر يوضح لنا شيئًا من مـــزايا تلـــك اللغـــة: صفاتها وبنياتها وقواعدها، وحتى مفرداتها لم يأت بها أي مصدر عربي، وكل ما نقل إلينا في هذا الباب لا يصح الاستناد إلى شيء منه.

وقد ظلت هذه اللغة في زوايا النسيان حتى سنة ١٨٩٣م، وفيها سمع العالم أول نغمة عن اللغة اليمنية القديمة في أبحاث فريتز هومـــل F.Hommel التي نشرها في مدينة ميونيخ بعنوان Sudarabische chrestomathe، وحظيت أبحاثه تلك باهتمام متزايد في الأوساط العلمية حينذاك، ولكنها عندما وقعت تحت مجهر الفحص تبين أنهـــا كانت

(*) نشر البحث ببحوث ومحاضرات الدورة الخامسة والأربعين، الجلسة السابعة ، في ٣ من فبراير سنة ١٩٦٩ .

(١) انظر الجزء الثالث من كتاب " تاريخ اليمن الثقافي " لكاتب هذا البحث .

تسير في اتجاهات جانبية؛ إذ لم تتناول غير اللهجة المعينية التي كان يعتقد هومل - خطأ - أنها اللغة العامة لجنوب الجزيرة العربية ككل، فقد تبين بعد ذلك أن مصادر هومل كانت معينية بحتة .

وجاءت معلومات الدكتور اغناطيوس غويدي I.Guidi في كتابه :" المختصر في لغة حمير " الذي نشرته الحكومة المصرية سنة ١٩٣١ والذي قارن فيه بين لغة " المسند " وبين غيره من اللغات السامية مؤكدة لما ذكرنا .

وبعد ذلك ظهر أول كتاب يمكن أن نعتبره مجهودًا حقيقيًّا في هذا المجال نشرته الباحثة الألمانية ماريا هوفنر M. Hofner في مدينة ليبزج سنة ١٩٤٣ بعنوان " Altsudarabische " فقد بقي ذلك الكتاب المصدر الوحيد لدراسات اللغة اليمنية القديمة ومحل إعجاب الباحثين في لغة العرب بصورة عامة .

ثم جاءت بعد ذلك أبحاث رودوكاناكس Rhodokanakis وريكمانز Rykmans وبيستون Beeston والدكتور أحمد فخري والدكتور خليل يحيى نامي وغير هؤلاء ممن جعلوا أبحاثهم مركزة على الأسس الدياليكيتية والجذور التي تقوم عليها لهجات المسند، بعد أن فحصوا نقوشها وأعطوها حقها من الدراسة العميقة والعناية الدقيقة.

أما كون لغة " المسند " وما تفرع منها عربية أو غير عربية، فهذا يخرج بنا عن موضوع هذا البحث الذي نقتصر فيه على موضوع اللهجات، إلا أنه لا يفوتنا أن نقول بأن أولئك الأعلام الذين قارنوا الأدب الجاهلي في عصر المعلقات، وبين لغة النقوش اليمنية التي تعود إلى ما قبل ذلك بعدة قرون، قد فاتهم شيء مهم وهو اعتبار الزمن، إذ لو فطنوا لهذا الاعتبار لعرفوا أن مقارنتهم تلك أشبه شيء بالمقارنة بين رطانة الطفل وفصاحة اليافع، ولعرفوا أيضًا أنه من الإنصاف مقارنة تلك النقوش المعرقة في القدم بالنقوش العربية الشمالية القديمة كالصفوية واللحيانية والثمودية، أو على الأقل بتلك النقوش العربية المتأخرة كنقش النمارة وحران مثلاً، فإن مقارنتها

بذلــك يخرج بنا إلى نتيجة قاطعة وهي أن كلاً من لغتي الشمال والجنوب مجرد لهجتين تفرعتا من أصل واحد، إلا أن إحداهما وهي الشمالية تطوّرت ثم دخلت مع الجنوبية في صـــراع طويل – بحكم المجاورة – انتهى بتغلب الشمالية على الجنوبية، وساعدها على ذلك عدة عوامل تجارية وسياسية .

وكـــان لدخـــول اليمن في الإسلام أكبر الأثر في تلاشي تلك اللغة واندثارها خـــلال برهة يسيرة من الزمن، وهذه اللهجات المنتشرة في اليمن تعتبر فروعا لهذه اللغة الجديـــدة، إلا مـــن بعض المفردات اللغوية القديمة التي نجدها بين آن وآخر في لهجات بعـــض قـــبائل المـــنطقة الشـــرقية من صنعاء كخولان ومأرب والجوف، والأطراف الشـــرقية مـــن حاشـــد وبكـــيل وعنس والحداء وما جاورها من بلاد خُبَان والشّعر والسِّدَّة.

وكـــذا مـــا نجده من بعض القواعد القديمة مثل: (إم) الحميرية، وفتح التاء في مصـــنعت ومســـفحت، و (الكاف) التي كانت تقوم مقام لام التعليل تارة ولَمَّا تارة أخـــرى: كيصـــدق (ليصدق)، كوصلوا (لما وصل)، فكل هذا هو ما تبقى لنا من قواعد تلك اللغة المنقرضة.

ولقـــد وجدت لغتنا العربية الحديثة في اليمن مسرحًا خصبًا للانتشار والتشعب، وســـاعد عـــلى ذلـــك وضعها الجغرافي والعزلة والجبال والصحراء ومقتضيات التنقل والارتحـــال والعـــادات الســـائدة كالغـــزو والتجارة، والمؤاخاة والمجاورة، وتتبع الماء وانتجاع الكلأ .

كـــل هـــذه العوامـــل كانت سببًا في نشوء لهجات جديدة وغريبة. ولا غرو فجمعهـــا يحتاج إلى أوقات وأسفار ومجلدات، ولم يكن هدفي من هذا البيان المختصر غـــير المســـاهمة في التعريف بهذه اللهجات، وكمقدمة لما أقوم به من وضع بحث عام وشـــامل عن صفاتها الصوتية وبنياتها الكلامية وقواعدها النحوية ومفرداتها اللغوية وما يتعلق بذلك من أمثال وحكم ونثر ونظم.

ولي عظـــيم الأمـــل في أن اللهجات اليمنية ستحظى باهتمام الكثير من علماء اللغـــة وأساطين اللهجات في " مجمع الخالدين "، وعلى الأخص أستاذنا الكبير إبراهيم أنيس الذي قدم لأبناء العروبة الكثير والنافع .

والله ولي التوفيق ،

* * *

لهجات الجنوب(*)

للأستاذ محمد رضا الشبيبي

عضو المجمع

أيها الزملاء الكرام:

تحـية وسـلامًا، وبعد: يسعدني جدًّا أن أشهد هذا الاحتفال الرائع بمؤتمر مجمع اللغـة العربية في دورته الحالية وانعقادها في هذا المظهر الجديد والمنهج الحافل. ويطيب لي أن أشـكر الإخوان الذين أحسنوا الظن ومنحوا الثقة وعهدوا إليَّ أن أتكلم بالنيابة عن أعضاء مجمع اللغة العربية من العرب وهو شرف عظيم، وإذا جاز لي أن أتكلم بهذه الصـفة قلـت: لا شيء أحب إلى العرب من أن تخرج لغتهم بآدابها وفنونها ظافرة من هذا المعترك الذي تخوضه الآن. وستخرج بإذن اللـه، فاللغة العربية مشتبكة منذ زمن طويـل في معركتها مع من يكيدون لها ويريدون بها السوء. ولغات الأمم – كما لا يخفـى – تابعة لها فتقوى بقوتها وتضعف بضعفها. والعرب هذا اليوم غيرهم بالأمس، وقـد شهدت بنفسي كيف تمتهن لغتنا خارج البلاد العربية، ففي الخريف الماضي كنا ثلـة مـن أبناء العرب نستقل طائرة إلى القارة الأوربية، وكنا ونحن على ارتفاع خمسة وثلاثـين ألـف قدم والطائرة تندفع بسرعة أكثر من ستمائة كيلو متر نريد أن نسأل ونستوضـح. ولكـن الأحاديث والإذاعة في الطائرة وفي مكاتب الشركة التي تملكها كانت تلقى بلغة أجنبية على شكل يشعرنا بكثير من تحيف حقوقنا في التبليغ والتفهم، لذلـك يتحـتم – فيما نرى – على الدول العربية التي تتمتع شركات الخطوط الجوية الأجنبـية بفوائد لا يستهان بها في بلادها أن تفرض على تلك الشركات احترام اللغة العربية .

قُـدِّر لي أن أقوم منذ عهد قريب برحلة إلى المغرب العربي هي أول رحلة أقوم بها إلى تلك البلاد . وفي العودة إلى الوطن لم يكن لنا مناص مـن التعريج على مدينة

(*) ألقي البحث في مؤتمر الدورة السابعة والعشرين، الجلسة الافتتاحية، في ١٦ من يناير ١٩٦١ .

" رومـــية " - أو رومـــا كما يقال لها اليوم - عاصمة الدولة الإيطالية، حيث مكثت فـــيها بـــرهة قصـــيرة. وفي ذات يوم من أيام رومية ناولني أحد المشارقة المقيمين فيها صـــحيفة قرأت فيها خبرًا طريفًا يعنى به كل عربي، وهو عبارة عن الكشف عن أربع لغـــات مســـتقلة في اللغة العربية يتخاطبون بها فيما بين حضرموت والربع الخالي من الجزيرة واللغات المذكورة هي :

١- المهرية. ٢- البطعرية. ٣- الشحرية. ٤- الحرسوشية .

وكـــان المظـــنون أن الصـــحيفة تعـــني وجود لهجات أربع في تلك الأرجاء، ولكـــن اتضـــح لهم بعد ذلك أنها لغات قائمة بنفسها مستقلة عن العربية، وإن كانت مـــن فصـــيلتها الســـامية، ويقول الراوي: إن هذه الأقاليم التي يتخاطب أهلها بتلك اللغـــات واقعـــة عـــلى حدود الربع الخالي شمالاً إلى ساحل البحر العربي جنوبًا، ومن عمـــان شـــرقًا إلى حضـــرموت غربًا. ويستفاد مما جاء في تلك الصحيفة أن "مكتب الأبحـــاث "العربية التابع لإحدى شركات النفط التي تعمل في قلب الجزيرة يعنى - فيما يعـــنى بـــه - بدارســـة الشؤون البلدانيه والاجتماعية واللغوية في تلك الجهات، حتى إن هـــذا المكتـــب اســـتعان بجماعة من الناطقين بتلك اللغات - كما يقولون - على تســـجيل بعـــض الأحاديـــث، ورســـم بشـــورتهم عـــددًا من مصورات المناطق أو الأقالـــيم المذكـــورة وتناولـــت بعض مناطق الربع الخالي. وهكذا - على ما جاء في هـــذه الصـــحيفة - تمـــت أول محاولة منظمة لتوضيح ما أبهم من الأعلام البلدانية غير العربـــية في جـــنوب الجزيرة. هذا مع أنه لم توجد أعلام غير عربية في تلك الأرجاء، والغالب أنها أعلام مرتجلة أو محرفة غاية التحريف فتوهموا أنها أعلام غير عربية .

هـــذا ما قرأناه في تلك الصحيفة أثناء الإقامة بمدينة رومية. ولابد لنا من القول: إنـــنا لا نشـــاطر الباحث رأيه في أن تلك اللغات أو اللهجات التي وقفوا عليها مستقلة عـــن العربـــية، والموضوع يحتاج إلى مزيد من البحث، ولا يركن في مثله إلى حكم لا يستند إلى أدلة قاطعة .

وفيما يتعلق باللهجة المهرية على ما جاء في الصحيفة – ولعلهم يقصدون الأمهرية – وهي لغة الحبشة من فصيلة اللغات السامية كما لا يخفى، ويقول الباحثون إنها تجتمع مع العربية في أصل واحد، وقد جاء في المادة السابعة من معاهدة الصداقة والتجارة المعقودة بين اليمن والحبشة قبل ثمانية أعوام ما هذا نصه: " لهذه المعاهدة نسختان أصليتان باللغة الأمهارية – والعربية حيث إن أصل اللسانين واحد، وعند اللزوم للتفسير يعتبر النص العربي " وهذا يعني أن اللغة الأمهرية لا مكان لها في البلاد العربية، على أننا لا نستبعد تأثر بعض اللهجات العربية في الجهات المجاورة لبلاد الأحباش بألفاظ من اللغة الحبشية والأمهرية، ولا نستبعد وجود جالية حبشية خصوصًا من الأحباش المسلمين في تلك الجهات.

وأما اللهجة " الشحرية " فإنها لهجة عربية معروفة وإن كانت كثيرة التحريف – والشحر – ويجوز الفتح – كما لا يخفى ساحل اليمن ، قال الأزهري في أقصاه: وقال ابن سيده: بينه وبين عمان، ويقال له شحر عمان يشتمل على بلاد وأودية كانت فيما قبل مساكن سبأ على ما قيل. والخلاصة: يستفاد من ذلك أن اللهجة الشحرية هي التي تسمى " السواحلية " نسبة إلى السواحل المذكورة . ويزعم بعض الباحثين في المستعربين أنها لهجة غير عربية .

اللهجة الحضرمية :

وبهذا الصدد نقول إن لهجة الحضارمة العامية – وهم عرب خلص – من أقرب اللهجات إلى الفصحى في الوقت الحاضر، ويقول بعض أهلها إن لهجتهم أفضل من لهجة العراقيين والشاميين والمصريين من هذه الناحية، وتتميز بكثرة ما يتخللها من الكلمات الفصيحة، كما يستفاد من شعر شعرائها العامي أو النبطي كما يقال له، وما أكثر هؤلاء الشعراء الشعبيين في إقليم حضرموت. ويلاحظ أن حرف الشين يقوم مقام كاف المخاطبة في لهجة الحضارمة فيقولون في كتابكك " كتابش " وفي ثوبك "ثوبش" إلى غير ذلك. وتقوم الباء مقام سين التسويف في جملة من الكلمات فيقولون

" غدًا باسافر " أي سأسافر غدًا. ويكثر في لهجة أهل الحاضرة من الحضارمة قلب الجيم يـــاء فــيقول في رجال " ريال "، وهذه هي لهجة البادية في بعض جهات العراق ونجد والمغـــرب. ففي المغرب الأقصى يقولون في مسجد: " مسيد " ويجمعون هذه الكلمة على " مسايد " إلى غير ذلك .

هـــذا ولابد لنا من القول في الختام: كان لسان جزيرة العرب بشقيهم العدناني والقحطاني لهجات عدة. فكان للغة المضرية لهجاتها، وكان للغة الحميرية القديمة لهجاتها. وقـــد ذهـــب الباحـــثون مـــن الإفرنج إلى وجود بقايا منها في هذه العصور في اليمن ســـواحلها وبواديها. وللقوم آراؤهم في هذا الموضوع. غير أن كثيرًا من تلك الآراء لا يصبر على النقد ولا يركن إليه في غالب الأحيان.

* * *

ألفاظ يمنية (*)

للدكتور إبراهيم السامرائي

عضو المجمع

هـــذا موجـــز في ألفاظ يمنية يدرج بها اليمنيون في لغتهم الدارجة، غير أن فيما دلَّ علــيه الـــدرس ما كان منها ذا أصل فصيح لا نجده في " العربية المعاصرة "، وشيئا آخر نجد أصوله في اليمنية القديمة التي هي السبئية[1].

إن هـــذا يعني أن " السبئية " وغيرها مما يتصل باللغات الخاصة لابد أن ندرجه في " العربـــية الجنوبـــية " فيكون من ذلك كله عربية في شمال بلاد العرب بما فيها من لغات خاصة، وعربية في جنوب بلاد العرب بما فيها من لغات خاصة.

وقد رأيت أن أبسط في هذا الموجز طائفة من ألفاظ عرفت في عامية أهل اليمن، ذات أصـــول قديمة نجد آثارها في المعجم القديم، وفي النقوش السبئية، ولكنها غريبة بل بعـــيدة عـــن " العربية المعاصرة " إلا ما يضطر إليه اليمني، وهو في سياق الحديث عما لليمنيين في شؤونهم الخاصة.

وسأدرج هذه الألفاظ بحسب حروف المعجم مشيرًا إلى أصولها :

١- بلق:

أقول: " والبَلَق " في لغة أهل اليمن نوع من الحجر، وهو كذلك حجر كلسي في المعجم السبئي، وقد ورد ذكره في النقش المرسوم بـــ (ربرتوار- ٤٠٨٥).

أقـــول: الذي كان لليمنيين في دلالة " البلق " ألمحه في مادة " بلق " في معجماتنا القديمة، فقد جاء فيها:

(*) ألقـــي البحـــث في الجلسة الثالثة لمؤتمر الدورة الستين، ٣٠ من مارس سنة ١٩٩٤م. ونشر بمجلة المجمع، بالجزء الثامن والسبعين ص ٥٧.

(١) أقـــول : لم يعـــرف اللغويون العرب " السبئية "، ولم يرد هذا الاسم فيما تركوا لنا من آثارها، ولكننا وجدنا الحميرية التي أباها نفر منهم فقد قال أبو عمرو بن العلاء : ما لغة حمير بلغتنا ولا لسانهم بلساننا، ومن غير شك أن " الحميرية " التي أدركها العرب هي بقايا السبئية .

أن " البلق " بفتحتين سواد وبياض، وكذلك" البُلْقة ". وأصل الدلالة هو اللون. ويصـــدق هـــذا فيما نشاهده من الحجر الذي يُشيِّد به اليمنيون بيوتهم، وذلك أن لونه " أبلق " فهو مشرب من بياض وسمرة بحيث يختلط فيها اللونان.

وبهـــذا الحجر سُمِّي كل بناء " أبلق "، فأنت تدرك هذا في قول الأعشى وهو يصف قصر السموأل بن عادياء اليهوديّ بأرض تيماء:

بالأبلق الفَردُ من تيماء منـــزلُه حصن حصين، وجارٌ غيرُ ختّار

وفي المثلَ : تمرَّد ماردٌ وعزَّ الأبلقُ.

قال الأعشى:

وحِصْنٌ بتيماء اليهودي أبلقُ

٢- جُبا:

واللفظ بضم الجيم وفتحها، فأما المضموم الجيم فيعني سطح المترل، وأمّا المفتوح الجـــيم فيعني الهدية يُهديها الرجل إلى صاحبه، والمضموم والمفتوح كلاهما معروف في الـــيمن. والكـــلمة الأولى، وهـــي المضمومة الجيم معروفة في صنعاء وما جاورها من الآفـــاق، وذمار وهمدان وأرحب، والثانية معروفة في كثير من حواضر اليمن وبواديها، وهي تشعر بالتكريم للمُهدَى إليه، يقال في اليمن:" جباك يا فلان ".

وأمـــا الأولى المضمومة الجيم التي تعني سطح البيت فقد ذكرت في النقش القديم المدعـــوّ (جام - ٦٥٦) والذي ورد في " المعجم السبئي [١]" إن " جبا " وتجمع على أجبي تعني " مجمع المطر "[٢] .

أقول: ومثل هذا في "المعجم السبئي" وفي المعجمات العربية، فقد جاء في هذه : " جَبَى الماء (وكذلك الخراج) في الحوض، وجبوته، تجباه ويجبيه ويجبوه: جَمعَه " .

---

(١) " المعجم السبئي " من منشورات جامعة صنعاء(مكتبة لبنان بيروت ١٩٨٢).

(٢) أقول: هذه الألفاظ جمعتها مستنطقًا طلابي وأستخبرهم فيما أقرؤه وأسمعه من الكلم اليمني ، وكان خير من أفادني وقدّم بين يدي مجموعًا في بضع ورقات هو الطالب عبد الباري عبد الله الكباري الذي أضاف إلى ما لديّ فوائد لا يقف عليها غير اليمني ، فله شكري واحترامي.

٣- ثفل:

أقـــول: و " الثفل " في عامية أهل اليمن ولا سيما في صنعاء يعني " نزع التنّور وتجديـــده "، تقول المرأة مثلاً: ثفلت للتنور و " ثفل " فعل بمعنى كسا بالحجارة ، وهو كذلك في النقش (جام - ١٠٧) أي طوى بالحجارة البرج.

٤- جرن:

" الجرين " في بعض جهات اليمن هو البيدر، وهو كذلك في "المعجم السبئي". وقد ثبت في نقوش عدّة سبئية .

أقـــول: و " الجرين " في المعجمات العربية القديمة موضع البُرّ، وقد يكون للتمر والعنب، والجمع أجرنة وجُرُن .

وهو بيدر الحَرث يُجدر أو يُحظر عليه .

٥- حقو:

" الحَقْـــو " هـــو الخَصر في استعمال اليمنيين، وهو كذلك في نقوشهم القديمة. وقد ذُكر في " المعجم السبئي ".

أقول : وفي معجمات العربية :

الحَقْـــو والحِقْو : الكشح، وقيل : معقِد الإزار، والجمع: أحْقٍ وأحقاء، وحِقِيّ وحِقاء. وفي " الصحاح " : أنه الخَصْر ومَشَدّ الإزار من الجنب .

٦- خرش:

" الخَـــرْش " لدى اليمنيين هو شقّ الأرض في ابتداء موسم الزرع إعدادًا للبذر. ومنه قالوا: " المِخرشة " وهي أداة الشقّ .

وذكـــر لي أحدهم: أن "الخَرْش" يعني أيضًا في كثير من جهات اليمن فكّ عُقدة الحَبْل.

كما ذكر لي أن أهل صنعاء يريدون بالخَرْش النقش على الجَصّ.. أقول: وليس هذا بعيدًا عما في معجمات العربية التي أفدنا منها أن "الخَرُش" هو "الخـــدش بالأظفار"

وغيرها .

والمِخــرَش والمخراش: خشبة يخطّ بها الإسكاف. والمِخْرَشة والمِخْرَش: خشبة يخطّ بها الخَراز أي ينقش الجلد.

وهذا كله من أدواتهم في الصنعة .

٧- سقف:

" السَّــقف " لدى أهل اليمن لكل ما هو عالٍ مرتفع كالبناء ونحوه، ولذا كان الســقف في البيــت لارتفاعــه. وهو كذلك في النقوش اليمنية القديمة كما في النقش (أربــاني - ٧١) على أن أهل اليمن قد توسعوا في دلالة " السقف " فأطلقوه على ما يُســمى في عربيتنا المعاصرة " الطابَق " أو " الدور "، فيقولون مثلاً: يشتمل البيت على أربعة سقوف، وذهبوا إلى أبعد من هذا فقالوا في هذه البئر خمسة سقوف .

ولــيس بعــيدًا عن دلالة السقف في المعجمات العربية القديمة، فقد جاء فيها: " السقف: غِطاء البيت، والجمع سُقُف وسقوف ".

٨- شقر:

والفعل: شقّر ومثله هَشْقَرَ يعني ما يختم به البناء من النقش والزخرفة بحيث يبدو أعــلى البناء مخالفًا في ظاهره لجملة الجدران. وكأن هذه القمة المزخرفة والمنقوشة هي خاتمــة عمــارة البيــت، بحيــث يكــون البناء الذي لم ينته على هذا النحو ناقصًا. ويتــبع هــذا مــا يوضــع في طــيات عمامــة الــرجل أحيانًا من الورد والرياحين " تشقيرًا ".

وقــد وردت هــذه الدلالات من النقش والزخرفة التي يختم بها البناء وغيره في النقوش القديمة: (كوريوس ٥٤٠) و(ربرتوار - ٤٠٨٥) و (ربرتوار - ٣٩١٣)

أقول : والأشقر من الدواب والإنسان : الأحمر، والشُّقْرة: الحُمرة ...

في " معجمــات العربية ". وقد جاء فيها أيضًا: " الأشاقر: حي من اليمن من الأزد، والنسبة إليهم أشقريّ. وبنو الأشقر: حيّ أيضًا يقال لأمّهم الشُقَيراء.

٩- شفف، شوف:

أقول: كلتا الصيغتين من أبنية الفعل في النقوش اليمنية بمعنى حفظ وحمى نفسه.

ومـــن هـــذا " الشوفة " التي بقيت في عصرنا للمرأة المودعة لدى زوجها وهي تعيش في حماه على أن هذا شيء لا نعرفه في فصيح العربية القديمة .

١٠- صِرْب :

" الصِّراب" مصطلح فلاحي يعني في اليمن الحصاد للبُرّ والشعير. و "الصِّراب ": الـــذرة ، وهـــذا مـــا نجـــده في الـــنقوش اليمنية (ربرتوار - ٤٢٣٠). وقد أطلق عـــلى أحـــد شـــهور الســـنة " ذو صـــربن " أي شهر الصراب، وهو موسم حصاد الذرة .

أقول : و " الصَّرْب " في المعجمات القديمة : اللبن الحقين الحامض .

وهـــذا بعـــيد عمـــا نحـــن فيه من اللغة اليمنية في حاضرها وماضيها، غير أننا نجـــد في هـــذه المعجمـــات " الصِّـــرام " بمعـــنى جَداد النخل وجنى الرطب في أوان إدراكه.

وأعود فأقول: إنه مثل الكلمة اليمنية، والبدل كثير بين الباء والميم لما يكون من موضع الشفة في نطقها، والأمثلة كثيرة ومنها: ثَلَبَ وثَلَمَ وغير هذا كثير.

١١- صرح:

يقال في لغة أهل اليمن الدارجة: "صرحة" للمكان الواسع أو الساحة في وسط الحيّ تحيط بها بيوت عدة، وهي كذلك في النقوش القديمة وتتخذ موضعًا للعبادة، كما في النقش (كوريوس - ٣٣٨) .

أقـــول: والذي في معجمات العربية أن " الصرح " هو البيت المنفرد الطويل في الســـماء، وهو القصر المرتفع. وفي لغة التنـــزيل: ﴿ صَرْح مُمرَّد من قوارير ﴾. والجمع صروح، قال أبو ذؤيب:

على طُرُقٍ كنحور الظباء   تَحسَبُ آرامَهُنّ الصروحا

١٢- صرع:

ومـــنه " مِصرَع " و " مصراع " وهو إحدى ضِلْفَتِ الباب. وهو بهذا المعنى في النقوش القديمة كما في النقش (جام -١) .

وقد اشتق اليمنيون الفعل صرع من هذا في قولهم: لا تصرع الباب بوجهي .

أقـــول: وهـــذا في معجمات العربية فقد جاء: ومِصراعا الباب: بابان منصوبان ينضمّان جميعًا، والمِصرَع لغة في المِصراع.

١٣- صنن:

أقـــول:" الصَّـــنة " في لغة أهل اليمن الدارجة تعني الرائحة الكريهة تنبعث من المراحيض ونحوها، وتطلق على الرائحة تنبعث من الرجل الذي يبول ولا يتطهّر.

وهي كذلك في النقوش السبئية .

أقول: و " الصُّنان " في فصِيح العربية ذَفَر الإبط وغيرها من أعضاء الجسم.

وهذا مما بقي في كثير من الألسن الدارجة، وقلما يرد في العربية المعاصرة.

١٤- عرم:

وهذا يدل على أطراف قطعة من الأرض، وكأنه الحدُّ لها ، والجمع أعرام.

وقـــد ورد في الـــنقوش السبئية وأشار المعجم السبئي إلى ذلك وأثبت له معنى " السُّدّ ".

والـــذي ورد في " المعجمات ": العَرَمة والعَرِمة : المُسنّاة. والعَرِمة: سُدٌّ يُعترَضُ بـــه الوادي، والجمع عَرِم، والعَرِم: السيل الذي لا يطاق، ومنه قوله تعالى: ﴿ فأرسلنا عليهم سيل العَرِم ﴾.

١٥- عصر:

الفعـــل " عصـــر " في لغة أهل اليمن الدارجة بمعنى " تصارع "، يقال: تعاصر فـــلان مـــع صـــاحبه أي تصـــارعا. وهـــو كذلك في النقوش القديمة كما في النقش (جام -٧٠٠).

أقــول : وهــذا هو مقلوب الفعل" صرع " في فصيح العربية، والقلب كثير في اللغـات الدارجـة، وقد ترد الكلمة ومقلوها في فصيح العربية نحو: صاعقة وصاقعة، ومسرح ، ومرسح، وكلاهما فصيح .

١٦- فقل:

يقال في بعض جهات مدينة صنعاء " أفقل " ويريدون بها الكومة من الغَلّة .

واستعمل هذا أيضًا للدلالة على حصاد الزرع، وهو كذلك في النقوش القديمة.

و" الفَقْل: التذرية في لغة أهل اليمن " كذا ورد في المعجمات العربية القديمة.

١٧- قرع:

" القُرَع " في لغة أهل اليمن الدارجة: ما يؤخذ من الطعام في الصباح.

وهذا مما نقف عليه في النقوش القديمة كما في النقش (نامي- ١٢).

ومن هذا "القُرْعة" وهي كيس من جلد الغنم يضع فيها الراعي طعامه.

أقول: وليس في هذه المادة التي قيل فيها الكثير في معجمات العربية إلا "القَرْع " وهو حَمْل اليقطين الذي يُؤكَل .

١٨- كرف:

أقــول: و " الكــريف " مــن مصطلح السقي، وهو الماء (أي المطر) يجتمع في الحــوض أو الحفــرة الكــبيرة قال صاحب "بلوغ المرام"[1]: الكريفة : كلمة يمنية بمعــنى صــهريج أو مغــارة، ومــا زالــت معــروفة. وهــي بهذا المعنى في النقش (جام - ٨٦٧).

أقول : وفي معجمات العربية " الكِرْف " هو الدلو من جلد واحد.

١٩- لفَى :

هــو الفعــل " لفَى يلفى "، وهو في لغة أهل صنعاء وما جاورها بمعنى " لحق ووجَدَ ".

---

(١) بلوغ المرام في شرح مسك الختام للقاضي حسين بن أحمد العريشي (ط.بيروت،مكتبة اليمن الكبرى).

وقد ورد في النقوش القديمة كذلك كما في النقش (جام- ٦٦٥).

أقـــول: وهـــو " ألفَـــى" المـــزيد في المعجمات، ومعناه " وجد " أيضًا، وهو معروف.

٢٠- ماجِل:

" الماجل " بكسر الجيم في عامّة بلاد اليمن يفيد " البِرْكة " أو الحوض، والجمع " مـــاجلات " وهي بالجيم التي هي قاف في الأصل (ماقل). والكلمة في الأصل تعني جبلاً بالقرب من "مأرب"، وقد اقيم السد بين شِقّيه كما ورد في النقش (كزبوس - ٦٢١) . وقـــد عـــثر على هذا اللفظ في نقشين أحدهما في مأرب، والآخر في منطقة حاز من همدان وهما بالقاف.

إن الـــبدل يعـــرض للقـــاف والجـــيم، يقال: فَلقَ وفلج ، وفَرَقَ وفَرَج وغير ذلك.

و" الماجل " لدى المعاصرين من أهل اليمن هو الحوض.

أقول: وفي معجمات العربية :

مَقَلهُ في الماء: غمَسه وغطّه يمقُله مَقْلاً.

٢١- مسر:

و " المَسْـــر " في صنعاء وغيرها يفيد إزالة الوحل وغيره من البئر، وهي كذلك في النقوش القديمة كما في النقش (كوريوس - ٥٤٠).

أقـــول : وقريب من هذا ما في المعجمات العربية فقد جاء: مَسَرَ الشيء يمسُرُه مَسْرًا: استخرجه من ضيق.

٢٢- وثر:

و " الموثـــر" في صـــنعاء يعني الحفرة التي تُحفَر فيكون فيها أسس البناء للبيت وغـــيره. وهي كذلك في النقوش السبئية كما في (ربرتوار - ٣٩١٣) و (ربرتوار - ٤٦٢٦) وليس لنا في معجمات العربية ما يقرب من هذا.

٢٣- وثن:

و " الوثـــن" في صـــنعاء يعني الحجر يوضع فوق قبر المرأة يميزه عن قبر الرجل، والوثن وجمعه أوثان نصب من حجر، كما في النقش (ربرتوار - ٤٠٨٨).

وفي المعجم السبئي : إن " وثن " نصب من حجر علامة للحدّ.

وبعد فهذا شيء استقريته مما يدرج به اليمنيون حبسته على هذا الموجز.

* * *

كلمات من اللهجات السودانية وأصولها العربية(*)

للشيخ عبد اللـــه عبد الرحمن الأمين
عضو المجمع المراسل من السودان

بشـــرت الـــزراعة: إذا أخرجت أول ثمرها، ومن عادهم أن يوزع أول الثمر عـــلى الجـــيران والأقـــارب بلا مقابل، هدية. هو من قول العرب: أبشرت الأرض: أخرجت نباها. تقول: ما أحسن بشرها .

البشـــة: يطلـــق على ما يقدمه العروس عند انتهاء مدة عرسه من حلوى وتمر وروائـــح عطرية وصابون لفتيات الفرح. وهذا من عادات السودان. ويكون ذلك بعد أربعـــين يومًا أو خمسة عشر. وبعد البشة يقوم الزوج بنفقته ونفقة زوجه. وقبل ذلك يكـــون ضـــيفًا على أحمائه. ومن الأمثال عندنا: العريس من بشته والخريف من رشته، أي بالبشـــة يعرف سخاء العريس، كما يعرف الخريف من مطرته الأولى . والبشة إما من البشاشة وهي الطلاقة والبشر أو من قولهم أبشت الأرض: أخرجت أول بذرها.

الـــبعو: جـــني الـــدوم تشـــبه الرطب، وأصلها المعو بالميم، وهو الرطب. قال الشاعر:

تعلل بالنهيدة حين نمسي وبالمعو المكمم والقميم

والنهـــيدة: الزبدة - الأصمعي: إذا أرطب النخل كله فذلك المعو. وقد أمعت الـــنخلة وأمعى النخل. وفي الحديث: رأى عثمان رجلاً يقطع سمرة فقال: ألست ترعى معوها؟ أي ثمرها إذا أدركت، شبهها بالمعو. قال ابن بري: وأنشد ابن الأعرابي:

يا بشر يـــا بشر ألا أنت الولي
إن مت فادفني بدار الزينبـــي
في رطب معو وبطيخ طـــري

(*) نشـــر البحث بمجلة المجمع، الجزء التاسع، ص ١٢٢ . وبمحاضر جلسات الدورة التاسعة عشرة، الجلسة الثامنة عشرة للمجلس، في ٩ من مارس سنة ١٩٥٣ .

بـــق المـــاء: إذا مجه، والبقة بالضم ملء الفم. تقول: أعطني بقة من الماء. وبقت الـــنار: التهبت. وبقبقة الماء: حركته، وكل هذا عربي. تقول العرب: بقت السماء بقًا: جاءت بمطر شديد.

قال الشاعر:

وبسط الخير لنا وبقّه   فالخلق طرًّا يأكلون رزقه

وبق فلان علينا كلامه: إذا أكثره، والبقبقة : الكلام.

وضّـــب: وضـــبه: ضـــربه ضربًا مبرحًا. تقول: لقي اللصوص فلانًا فوضّبوه، ووضـــبت الـــلحم وأصله وضم وهو ما يوضع عليه اللحم. ويقال: استوضمت الرجل واستبضمته: جعلته تحتي.

الـــتكل: البيت من الطين أو المطلي بالطين أي خلاف الأكواخ والخيم. وهناك عـــدة قرى في السودان تعرف بالتكلة جمع تكل. وربما أطلقه أهل الحضر كأم درمان والخـــرطوم ومدني على المطبخ خاصة. ويظهر أنهم عندما تركوا البادية اتخذوا المطابخ مـــن الطـــين خوف الحرائق. والتكل صوابه الدكل بالدال. يقال: دكلت الطين دكلة وأدكله: إذا جمعته لتطين به.

التاية: هي المنـــزلة والمثوى. يقال: هو تاية لقومه: أي منـــزلة لهم لكرمه، ومن أسمـــائهم: الـــتاي والـــتاية. وصوابه بالمثلثة. وهي الثاية والثوية والمثوى. والثاية أيضًا: حجارة ترفع للراعي يرجع إليها ليلاً تكون علمًا له.

تـــلى: بمعنى بقي . ومنه التلوة للبقية من القهوة وهي عربية، إذ التلبية: التلاوة. قال ابن مقبل:

يا حي أمست تليات الصبى ذهبت   فلست منها على عين ولا أثر

قال الأصمعي : بقيت لي حاجة فأنا أتتلاها.

الجضـــل: أصـــل الشجرة يقطع. وصوابه جذل بالذال. ومنه المثل: أنا جذيلها المحكك. ومن أمثال السودان: المسكين جضل أي لا يؤبه له حتى يعثر عليه كالجذل.

تشـــبس: فهـــو متشـــبس: أي يدخـــل فـــيما لا يعنيه ويدعي مالا علم له . وصـــوابه تشـــبص بالصـــاد مـــن قولهم: تشبصت الشجرة: دخل بعضها في بعض. والشـــبص دخـــول شـــوك الشجر بعضه في بعض، وإبدال الصاد سينًا كثير في كلام العرب.

جـــو البيت: داخله. وجو كل شيء: باطنه، وهو الجوة بالضم في لغة السودان وبالفتح في لغة العرب.

الجـــواني والبراني: ومن كلامهم أن لكل أمر جوانيًا وبرانيًّا. فمن أصلح جوانيه أصـــلح اللـــه برانيه. وهو منسوب إلى جو الشيء أي دخله، وزيادة الألف والنون للتأكيد فيما يقولون.

الجـــو: مـــا اتســـع من الأرض واطمأن وبرز، وفي بلاد العرب أجوية وجواء كثيرة، كل جو يعرف بما نسب إليه.

جلخ الموسي: شحذها وسنها. جلخ السيل الوادي جلخًا: قطع أجرافه. ومثله جاخ يجيخ ويجوخ.

قال حميد بن ثور:

ألثت علينا ديمة بعد وابل   فللجزع من جوخ السيول قسيب

ومـــن هـــذا تسمي السودان تشريط الوجه (شلوخًا) محرفة عن جلوخ. وهي عـــادة أخذت في الانقراض . وبعض القبائل السودانية لا تستعملها كما في كردفان. وفي ذلك أقول من قصيدتي: الطبيعة في السودان:

ما أجمل الريف مصطافًا ومرتبعًا   وغادة الريف في عين وغـــزلان

الخد لم تجـــر موسى في جوانبه   والجيد من حسنه عن زينة غان

الحـــس: وجـــع يأخذ المرأة عند الولادة وبعدها. والحس: الحركة والصوت. والحس: الرقة.

وكل هذه سودانية عربية. ففـــي حديث عمر أنه مر بامرأة قد ولدت فدعا لها

بشربة من سويق. وقال: اشربي هذا فإنه يقطع الحس. وفي القرآن الكريم: ﴿ يسمعون حسيسها ﴾.

وتقول العرب: إني لأحس لفلان: أي أرق له.

الحـــيل: بمعنى القوة. والحول. يقال: شد حيلك يا فلان: أي كن قويًا. وتقول: اقعد على حيلك أي استو جالسًا. وتقول: شد الحيل بالحيل. وفي حديث الدعاء: اللهم يا ذا الحيل الشديد.

حـــش القش: عربية، فالحش قطع الحشيش، يقال: حشه واحتشه، وحش على دابـــته إذا قطـــع لها الحشيش، والحش والهش بمعنى، وأصله أن يضرب أغصان الشجرة حتى ينتشر ورقها. وفي القرآن الكريم: ﴿ قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ﴾.

الحوبـــة: بالضم في السودان وبالفتح في العربية: الحاجة. إليك أرفع حوبتي: أي حـــاجتي. وفي الحديـــث: اتقـــوا اللـــه في الحوبات: يريد النساء المحتاجات اللاتي لا يستغنين عمن يقوم عليهن ويتعهدهن. ويقال في السودان: هذا الشي له حوبة أي قد يحتاج إليه.

وتقول النساء في امتداح الفتيان: هو دخرى الحوبة: أي مدخر لوقت الحاجة.

الخَوَتـــة: الصـــوت: تقـــول سمعت خوات القوم وخواتهم. وبه سمي الرجل خوَّاتًا.

قال الشاعر:

فلا حس إلا خوات الرذاذ   وزعب السيول بأدراجها

الـــزيطة: الصياح والجلبة. فلان زايط - وهي عربية. يقال: زاط يزيط زياطًا.

قال المتنخِّل الهذلي:

كأن وغى الخموش بجانبيه   وغى ركب - أميم - ذوي زياط

الخموش: البعوض. وخمش بمعنى جرح أيضًا سودانية عربية.

الــزبلعة: العربدة. والزبالعة: المعربدون، وهي مأخوذة من التزبع وهي العربدة. قال متمم بن نويرة في مرثيته لأخيه مالك:

وإن تلقه في الشرب لا تلق مالكا   على الكأس ذا قاذورة متزبعا

الســماحة: بمعنى الحسن والجمال. عربية، ويرجع معناها إلى الموافقة والانقياد والمواتــاة والمساهلة، سمح ككرم ومنع: سماحًا وسماحة وسموحة وسمحًا. وفي الحديث: اسمحــوا لعــبدي كإسماحه إلى عبادي، وسامح: وافق على المطلوب. فهو سمح وسميح ككــتف (كمــا تقوله السودان) هي الملة التي ما فيها ضيق ولا شدة. ورمح سمح: مــثقف؛ ثقــف حتى لان؛ وفي الحديث: ورجل سمح وامرأة سمحة من رجال ونساء سمــاح وسمحاء فيهما. وقولهم: الحنيفية السمحة، السماح رباح أي المساهلة في الأشياء تــربح صاحبها. ومن المجاز: عود سمح مستولين لا عقدة فيه. وعلى هذا فالمسامحة بمعنى العطلــة لا غــبار عليها، ويقول الرجل لصاحبه: قابلني في ساعة كذا فيجيبه: سمح أي موافق.

الشــبكة: ضــرب من الخياطة - شبكت الثوب: خطته، شبكة. وهو مقلوب بشــكة. ففي حديث أبي هريرة أن مروان كساه مطرف خز فكان يثنيه عليه إثناء من سعته، فانشق فبشكه بشكًا أي خاطه.

الشــبكة: مــن أنواع المطر في السودان. يقال: المطر في مكان كذا شبكة وفي مكــان كذا رش مثلاً. وهي عربية، إذ الشبكة الآبار المتقاربة القريبة الماء بحيث يفضي بعضها إلى بعض، وجمعها شباك.

شللت الثوب: خطته خياطة خفيفية، وهي الشل، والكف أقوى منها، ويسمى الخيط شلة لأنه يشل به.

شــق - الشــقة: القطعة من الشيء، ومنه شقة البطيخ، وشققت الحطب فهو شقيق، والشق: نصف الشيء، والشق: الناحية والجهة، يقول: أنت ماش شق أيش. أي

جهـــة تقصد كل ذلك عربي، فمن كلامهم إذا وصفوا النخل وزارته: تقدر الطير على أن تشقه. ومن شواهد الشق بمعنى الجهة قول الشاعر:

فإنك لا تعطي امرأً حظ غيره ولا تعرف الشق الذي الغيث ماطره

شـــق الســـابح الـــبحر، وشق الطريق: قطعة. وصوابه بالجيم. يقال: شجَّت السفينة البحر: خرقته. وسابح شجاج، وشجحت المفازة: قطعتها. قال الشاعر:

* في بطن حوت به في البحر شجاج *

وقال آخر:

تشج بي العوجاء كل تنوفة كأن لها بوّا بنهى تغاوله

القـــيافة: حسن الهندام. يقول : طلع فلان متقيف. وفلان قيافة، وهو من قول العـــرب: تغيفـــت الشـــجرة وأغيفت وغافت تغيف بالغين إذا كانت خضراء حسنة تتمايل نعمة. فهي غيفاء، والأغيف: الأغيد، وأصل الغيف الميل.

القـــش: للحشيش وللقمامة، عربي، فهو مصدر قش وجهه وقش البيت والقش أيضًا القشر.

يقـــال: تقشقش الشيء إذا تقشر، والمقشقشتان: قل يأيها الكافرون، وقل هو اللـــــه أحد؛ لأنهما يخرجان قارئهما مؤمنا بهما من الكفر. ويقال: قش القوم: أحيوا بعـــد هـــزال. وفي الجمهـــرة لابن دريد: القش مصدر قششت الشيء أقشه قشًّا إذا اســـتوعبته. ويقال: قششت الشيء بيدك قشا إذا حككته بيدك حتى يتحات، وألحقوا هذه الكلمة ببناء جعفر فقالوا: قشقش.

القشرة: الثياب الحسنة. انقشر فلان: إذا ارتدى ثيابًا جميلة، ومن ثم سموا البناء بالطوب الأحمر قشرة وهي عربية. ففي حديث معاذ بن عفراء أن عمر أرسل إليه بحلة فـــباعها واشـــترى بهـــا خمسة رءوس من الرقيق فأعتقهم، قال: إن رجلاً آثر قشرتين يلبســـهما عـــلى عتق هؤلاء لغبين الرأي. أراد بالقشرتين الحلة؛ لأن الحلة ثوبان إزار ورداء.

المريـــوق: الـــذي لم يفطر. ولذلك يسمى الفطور فكة الريق. ومنه المثل: فكة الـــريق خير من رأس رقيق، تنويهًا بفضل الفطور، والمصدر الريقة. وعلى الريق أي لم يفطـــر. ويقـــال أتيته على ريق نفسي: أي لم أطعم شيئًا. وأتيته ريقًا ورايقًا، ويقال: أكلـــت خـــبزًا ريقًا: أي بغير إدام، وهو الذي يقال له في السودان قروض، وفي مصر عيش حاف.

نـــزل الشـــغل: كـــثيرًا ما يقول المستخدمون فلان نزل الشغل في معنى ذهب للمكتب . وهو من قول العرب نزل بمعنى حج. والنـــزول: الحج قال الشاعر:

أنازلة أسماء أم غير نازلة   أبيني لنا يا أسم ما أنت فاعله

ضـــهب فلان: فهو ضهبان إذا ضل الطريق. وصوابه بالذال مفتوحة من باب فـــرح، والمذهب الشيطان. وأهل بغداد يقولون للموسوس من الناس: به المذهب - وفي لسان العرب: وذهب الرجل يذهب ذهبًا فهو ذَهِبٌ: هجم في المعدن على ذهب كثير فرآه فزال عقله وبرق بصره من كثرة عظمته في عينه فلم يطرف، مشتق من الذهب. قال الراجز:

ذهب لما أن رآها تزمره   وقال يا قوم رأيت منكره

شذرة واد ورأيت الزهره

الطقطـــق مـــن المطـــر: هو القطقط بتقديم القاف وبكسرها، وهو أول المطر، قطقطت السماء.

الفقـــيد: الـــلحم المشـــوي، فقدت اللحم، وأصله فئيد بالهمزة. فأدت اللحم، والمفأد: السفود.

قال النابغة :

كأنه خارجًا من جنب صفحته   سفود شرب نسوه عند مفتأد

القرون: غدائر الرأس. عربية، سميت بذلك لمنبتها على قرون الرأس.

قال لقيط بن زرارة:

يا ليت شعري اليوم دختنوس إذا أتاها الخبر المرموس

أتحلق القرون أم تميس لا بل تميس إنها عروس

ككة: العرب تقولها بالقاف. قال الزمخشري: هو صوت يصوت به الصبي إذا فزع من شيء أو فُزّع أو إذا وقع في قذر. قيل لابن عمر: ألا تبايع أمير المؤمنين؟ يعني ابن الزبير.

فقال: والله ما شبهت بيعتهم إلا بقة. أتعرف ما القة: الصبي يحدث ويضع يديه في حدثه، فتقول له أمه : قة .

ولع النار: أشعلها من الولع، وهو استطالة البلق. قال رؤبة:

فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق

والمولع والملمع بمعنى.

ولع: بمعنى عدا وأسرع، تقول للصبي اذهب زي الولعة إذا أمرته بالإسراع، وفي المحمل: ولع الظبي: عدا ولعًا.

السطانة: بالكسر الخارج من المدينة. ففي حديث الاستسقاء: وجاء أهل البطانة يستسقون - وبطنان الأرض ما توطأ في بطون الأرض سهلها وحزنها ورياضها. وهي قرار الماء ومستنقعه وهي البواطن. ومن كلام عليٌّ عليه السلام: تروى منه القيعان وتسيل به البطنان. والبطن مسايل الماء في الغلظ واحدها باطن.

أقول: البطانة في السودان: رياض أريضة ورقاع وسيعة بين النيل الأزرق وأتبره تموج بالقبائل العربية. كالشكرية - والحمران - والكواهلة - واللحويين - والضباينة أي بنو ذبيان والبطاحين. وفيها جرت القصة الغرامية قصة تاجوج وابن المحلق من عرب الحمران، وهي أشبه شيء بمجنون ليلى .. ولقد كتب فيها مواطننا الأستاذ عثمان محمد هاشم وأبدع.

ومن قصيدة لي في البطانة:

فإن يكن شعب بوان ازدهى نفرًا ففي البطانة كم من شعب بوان

إذ تقبل الأرض أعقاب الخريف بها بكل وجه بماء الحسن ريان

* * *

بعض ملاحظات في اللهجة العربية الليبية وصلتها بالفصحى(*)

للأستاذ محمد فريد أبو حديد
عضو المجمع

لــيس مــن اليســير تتبع لهجة من اللهجات، وتبيين العلل التي أدت إلى تحور ألفاظهــا وأساليب تعبيرها، وإرجاع ذلك إلى أصله في اللغة الفصحى، فإن هذا يحتاج إلى درس مســتفيض واستقصاء شامل، ولم يتح لكاتب هذه السطور أن يقوم بمثل هذا الــدرس فيما يتصل باللهجة العربية الليبية، أو بقول أدق باللهجات العربية المختلفة في ليبــيا. فــإن كنــت أشير في هذه الكلمة بعض إشارات إلى هذه اللهجة فما ذلك إلا بمــثابة ابــتداء يسير وملاحظات محدودة الصدى، وأرجو أن يتاح لسواي من الباحثين بمــا لم يــتح لي؛ فــإن مثل هذا البحث يعود على دراسة اللغة الفصحى بفوائد كثيرة. ونشوء اللهجات من اللغة الفصحى أو اللغة الأم تطور درجت عليه الإنسانية في قديمها وحديــثها. واللغــات كســائر الظواهر الإنسانية في تطور مستمر سواء ما كان منها فصــيحًا أو عامــيًّا. فاللغات الفصحى التي عرفها الإنسان تتطور في اتجاهين مادامت حــية - أحدهما: اتجاه خاص بها بصفتها لغة مقننة ذات أصول وحدود. وثانيهما: اتجاه مــتفرع مــنها وذلــك بنشــوء صيغة ميسرة تتحدث بها الشعوب في حياتها اليومية. والمــتأمل في اللغات جميعًا يلاحظ أن تطور الصيغة الشعبية أو العامية يكون في العادة أسرع خطًّا من تطور اللغة الفصحى.

وقــد حدث في بعض اللغات أن اكتسبت بعض الصيغ الشعبية والمتفرعة عنها مكانــة خاصة خلعت عليها صفة اللغة الأصلية لقوم بعينهم، فتصير بالنسبة إليهم لغة فصــحى وتتطور في اتجاهها الخاص، فتصبح مقننة ذات أصول وحدود، وتبطئ خطاها في الــتطور بعــد ذلك - بالقياس إلى سرعتها في تطورها الأول عندما بدأت كصيغة شعبية من اللغة الأصلية.

(*) عــرض بالجلسة الثامنة، لمؤتمر الدورة الخامسة والعشرين، ودارت حول البحث مناقشات، انظر محاضر جلسات مؤتمر الدورة الخامسة والعشرين (سنة ١٩٥٩) .

وهذا ما حدث في لهجات أوربا التي تفرعت عن اللاتينية كالإيطالية والفرنسية والإسبانية، وهذا ما حدث في اللغة العربية جريا على سنة التطور الطبيعية.

إن الباحث في تطور اللغات الأوربية قديمها وحديثها يجد أنها كانت سريعة التغير إذا قسناها باللغة العربية، فاللغة العربية تحتفظ بخصائصها العامة وحدودها وأصولها، وإن كانت في صورتها الحاضرة تختلف في كثير من ألفاظها عن صورتها في العصر الجاهلي وصدر الإسلام. وقد دخلت إليها ألفاظ بعيدة للدلالة على معان جديدة، كما طرأت على كثير من ألفاظها معان غير معناها في العصور القديمة. ولكن هذا التغير الذي طرأ عليها في مدى خمسة عشر قرنًا لا يكاد يقاس بشيء مما طرأ على اللغات الأوربية القديمة والحديثة في مدى خمسة قرون. فكلما كانت عوامل التغير أكثر فاعلية والظروف المحيطة باللغة أقل مقاومة كان التطور أشد وأسرع، وكلما تنوعت هذه العوامل كان التغير أكثر تنوعًا.

وقد امتازت اللغة العربية بظروف عدة جعلتها أقل تعرضًا للزعزعة والتغير؛ إذ كانت منذ بدأ انتشار العرب في أقطار الأرض لغة الدولة ولغة الدين. فالشعوب التي ضمتها الدولة العربية تلقت في وقت واحد لغة الدولة ودينها، وهذا على خلاف الشعوب التي ضمتها الدولة الرومانية مثلاً، فإنها تلقت لغة الدولة وحدها فكانت اللاتينية لغة الأقلية الحاكمة أو المتصلة بالحكم، على حين بقيت جماهير الشعوب تتكلم بلغاتها وتتدين بدياناتها الموروثة. ولما تسربت المسيحية إلى شعوب أوربا بعد عدة قرون من الفتح الروماني لم تكن عاملاً جديدًا على إذاعة اللاتينية في صفوف جماهير الشعوب؛ لأن المبشرين كانوا يلتمسون أقرب الطرق إلى نشر المسيحية عن طريق لغة الشعوب.

ومنذ نشأت الدولة العربية بدأت الشعوب المنضوية تحت لوائها تبني حضارة جديدة كانت اللغة العربية أداتها في ميادين الإنشاء جميعًا وكانت أداتها في تطوير العلوم والآداب. وكان للبحوث الدينية نصيب كبير من جهود هذه الشعوب،

فالسبيل كان ممهدًا للغة العربية لتكون أداة حضارية تامة في الحياة العادية والاقتصادية والعلمية والأدبية، وكان تطورها في الأسواق والمعاملات مرتبطًا إلى حد كبير بتطورها في معاهد الدين والعلم، هذا على خلاف ما قدر للغة اللاتينية مثلاً فإنها دخلت إلى أوربا فاستقبلها عهد من الاضطراب والغارات البربرية وانتكاس في الحركة العلمية والأدبية؛ من أجل هذا كان التطور في لهجات العرب بصفة عامة مقتصرًا على ما تقضى به العوامل الفعالة في حياة الناس مثل: تيسير أساليب التعبير بها وتبسيط تراكيبها، وإدخال ما لا غنى عنه من المصطلحات الشائعة في الأعمال اليومية التي كانت مستعملة في البلاد قبل الفتح العربي، على حين بقيت اللغة الفصحى حية قوية في معاهد العلم وفي حركة الآداب ونمو الحضارة. أما لهجات الشعوب العربية فقد اختلفت في مقدار ما اعتراها من التغير تبعًا للظروف الخاصة التي أحاطت بكل منها قبل أن يشملها الفتح العربي وبعده، ولهذا كان لابد من إشارة إلى أهم تلك الظروف المحيطة بشعب ليبيا قبل التحدث عن لهجته العربية والخصائص التي تتميز بها. ولابد لي هنا من تكرار الاعتراف الذي بدأت به في أول هذا الحديث وهو أن البحث في هذا الموضوع يحتاج إلى جهد أعظم وبحث أوفى.

الشعب الليبي القديم من أقدم شعوب الأرض، وقد عرفه المصريون القدماء منذ فجر تاريخهم. ويكاد يكون من الثابت اليوم أنه لم ينحدر من جنس واحد، بل كان مكونًا من عنصرين تمازجا على مر الزمن، أحدهما من جنس يشبه شعوب البحر الأبيض المتوسط، والآخر من جنس يشبه الشعوب الشمالية. ومن امتزاج هذين العنصرين تكون الشعب الذي عرف فيما بعد باسم شعب البربر، وهو الاسم الذي عرفهم به العرب.

وقد طرأت على هذا الشعب في العصور القديمة شعوب أخرى حلت في بقاع محددة من الساحل، وكان أهمها اليونان في سواحل برقة والفينيقيين في سواحل طرابلس، ولكن أثر هذين في دواخل الأرض كان محدودًا.

ولما استــولى الروم على ليبيا كان له أثر عظيم في تكوين حضارة أهــل المدن ولاســيما الســاحلية، ولكن انعزالهم عن طبقات الشعب لم يجعل للغتهم أثرًا كبيرًا في لســان الآهلين. والظاهر أن الرومان هم الذين سموا أهل ليبيا بالبربر، وهذا يدل على قلة اتصالهم وامتزاجهم بهم.

ثم فتح العرب أفريقيا في القرن السابع الميلادي (الأول الهجري)، وكانوا أول شــعب فاتح توغل في دواخل البلاد و لم يقتصر نزوله على مدن السواحل. وكان هذا الفــتح مــبدأ لتطور كبير في لغة البلاد، كما كان مبدأ تطور أساسي في حياة شعبها. وسنعود إلى الحديث عن ذلك فيما بعد.

و لم يكــن الفــتح العــربي آخر عهد ليبيا بالاتصال بالشعوب الأخرى، فقد اشــتملت علــيها الدولة العثمانية كما اشتملت على غيرها من البلاد العربية ثم غزاها الإيطالــيون في أوائــل القرن العشرين؛ فكان لهذا الاتصال أثر في تطعيم اللهجة الليبية بألفاظ من اللغة التركية واللغة الإيطالية.

غــير أن الأثــر الــذي كان للفتح العربي في ليبيا كان أثرًا غالبًا شاملاً تغلغل في أعمــاق الشــعب حتى طوى كل الآثار التي سبقته والآثار التي طرأت على البلاد بعده.

أقــام الــيونان في برقة وأنشأوا حضارة عظيمة على سواحلها ما تزال آثارها باقــية إلى اليوم تشهد بمقدار ما بلغوه من القوة، واستمروا هناك منذ حوالي ٧٠٠ قبل المــيلاد إلى ما بعد عهد البطالمة أي ما يزيد على سبعمائة عام، وغلب الروم على البلاد قــبل القــرن الأول للميلاد إلى القرن السابع عندما طردهم العرب منها، فكانت مدة ســيادتهم نحو سبعمائة سنة كذلك. ثم فتح العرب شمال أفريقيا في القرن السابع إلا أن حكم البلاد آل في أوائل القرن السادس عشر إلى الدولة العثمانية التي بقيت في حكمها إلى أوائل القرن العشرين.

ولكـــن الأثر الذي أحدثه اليونان والروم والترك لا يقاس بشيء إلى جانب الأثر الـــذي كـــان للعـــرب في تلك البلاد سواء من ناحية الحضارة وأسلوب الحياة أو من ناحية اللغة.

وقـــد حـــاول بعـــض الباحـــثين ولاسيما الإيطاليين منهم تعليل هذه الظاهرة فقـــالوا إن الســـر فيها هو تشابه الشعبين العربي والبربري في أسلوب الحياة؛ إذ كان كلاهمـــا يحـــيا حـــياة بدوية متقاربة الأنماط. ومعنى هذا أنهم يزعمون أن العرب منذ فـــتحوا شمـــال أفريقـــيا لم يجدوا صعوبة في الامتزاج بأهل ليبيا؛ لما بين الفريقين من التشـــابه في البداوة وأسلوب الحياة، وأن العرب استطاعوا وهم لا يزيدون على جيش فـــاتح أن ينشـــروا لغـــتهم في الملايـــين الذين كانوا يعيشون في هذه الأرض المترامية الأطراف، منذ استطاعوا أن يملكوا أزمة الحكم ويطردوا جيوش الروم من تلك البلاد.

غير أننا نستدرك على هذا القول ببعض ملاحظات نعتقد أنها ذات دلالة كبرى:

فـــإن الفـــتح العربي الأول لم يستقر في شمال أفريقيا إلا بعد نهاية القرن الأول الهجـــري ويعزز هذا ما ذكره ابن خلدون في تاريخه من أن البربر انتقضوا على العرب مـــنذ بـــدء الفتح إلى نهاية القرن الأول الهجري اثنتى عشرة مرة، وإن كان كثير منهم أسلم وحسن إسلامه .

ولمـــا استقر الأمر بعد ذلك للعرب بدأ البربر يدخلون في الإسلام أفواجًا، غير أنهـــم مع ذلك احتفظوا بنظامهم القبلي الخاص وعصبيتهم القومية ولغتهم البربرية إلى جانـــب اللغـــة العربـــية، ولم يأت القرن الرابع حتى آل الأمر إليهم بحكم أنهم كانوا أكـــثرية في العـــدد، وصـــارت القبائل العربية والقبائل البربرية تتعامل فيما بينها على أســـاس مصالحها فتتعاهد فيما بينها أو يتصادم فريقان منهم، وفي كل فريق قبائل عربية وأخرى بربرية.

فـــلم يكـــن هناك غلبة حقيقية للشعب العربي على الشعب البربري منذ الفتح، وإن كانت الدولة العظمى المعترف بها من الجميع هي الدولة العربية.

فتشـــابه أنماط الحياة البدوية بين العرب والبربر لم يكن في أول الأمر عاملاً على التمازج، بل لعله كان عاملاً على التمايز والشعور بالعصبية.

ولـــو جاز لنا أن نعقد المقارنة بين الشعوب في هذا المعنى لقلنا إن موقف البربر مـــن العـــرب في أعقـــاب الفتح كان شبيهًا بموقف الشعب الفارسي منهم، وكان من الممكن أن يكون مصير اللغة العربية في ليبيا مثل مصيرها في بلاد فارس، لولا أن حدث انقـــلاب كـــبير في القـــرن الخامس الهجري عندما اجتاحت قبائل سليم وهلال أرض إفريقية .

كانـــت هذه القبائل تقيم في الحجاز وما يليه من أرض نجد، فكان بنو سليم في جوار المدينة وكان بنو هلال في جوار جبل غزوان قرب الطائف. وقد اشتهرت مجموعة هذه القبائل بالمغامرات والمشاركة في الثورات، فأدى ذلك إلى انتقالهم إلى صعيد مصر ليكونوا أقرب إلى مراقبته. ولكنهم استمروا على طبيعتهم الأولى حتى ضاق بهم وزراء الخليفة المستنصر باللـــه.

وكـــان المعـــز بـــن باديس البربري الصنهاجي قد خرج على سلطان الخليفة الفـــاطمي واستقل بحكم المغرب الأوسط ودعا للخليفة العباسي القائم، فرأى اليازوري وزيـــر المستنصر الفاطمي أن يقذف ببني سليم وبني هلال على إفريقية؛ ليحقق غرضين في وقـــت واحـــد وهما: إخضاع المعز بن باديس، والتخلص من قبائل سليم وهلال، فأخذ يحرض هذه القبائل على الرحيل إلى الغرب وامتلاكه وكان يبذل لكل فرد منهم دينارًا وراحلة.

ويصـــف ابـــن خلـــدون غارات هذه القبائل على إفريقية في مواضع عدة من تاريخـــه، ويكـــاد يكون وصفه في صيغة واحدة نضرب لها مثلاً بالعبارة الآتية: " قال: وأمـــا إفريقية كلها إلى طرابلس فبسائط فيح كانت قاعدتها القيروان، وهي لهذا العهد مجـــالات للعرب وصار بنو يفرن وهوارة مغلوبين تحت أيديهم وقد تبدَّوْا معهم، ونسوا رطانـــة الأعاجم وتكلموا بلغات العرب وتحلوا بشعارهم، وأما برقة فدرست وخربت

أمصـــارها وانقـــرض أمرها وعادت مجالات للعرب بعد أن كانت دارًا للواتة وهوارة وغيرهـــم مـــن الـــبربر، وكانت بها الأمصار المستجدة مثل لبدة وزويلة وبرقة وقصر حسان وأمثالها فعادت يبابًا ومفاوز كأن لم تكن.

ولكـــن موجـــة هـــذه القبائل - وإن دمرت الأمصار - كان لها أثر حاسم في تعريب شمال أفريقيا بصفة عامة وإقليم ليبيا بصفة خاصة .

حل بنو سليم في برقة فاضطرت القوة المحاربة من قبائل لواتة وهوارة إلى الجلاء عـــنها، وبقيـــت جمـــاهير الأهلـــين خاضعة للعرب الغزاة و لم يلبثوا أن امتزجوا بهم وانتسبوا إليهم، أو كما يقول بعض الكتاب ذابوا بينهم.

ولمـــا عرف سائر قبائل سليم وهلال في شرقي النيل بصعيد مصر وفي سهوب ســـوريا بمـــا ناله إخوانهم من النصر في أفريقيا بادروا إليهم بغير تشجيع، بل قيل إنهم كـــانوا في مصـــر يدفعون للدولة دينارين عن كل راغب في الرحيل. وتجمع من هؤلاء عـــدد كبير سار مع قبائل بني هلال نحو الغرب. وسارع مع هؤلاء عدد آخر من أبناء القبائل المختلفة من فزارة وأشجع ومن هوازن ومن اليمنية والقيسية والنـــزارية.

واندفعـــت الموجـــة غربًا حتى بلغت تونس فالجزائر فالمغرب الأقصى، وكانت قوتها تخبو كلما اتجهت إلى الغرب.

فـــأول إقليم تعرض لها كان طرابلس الغرب الذي صار إلى مثل ما صارت إليه بـــرقة مـــن قبل، من أجل هذا عمت العروبة أرجاء برقة ثم أرجاء طرابلس، وتسربت شعب من هذا الأثر إلى قبا في الجنوب فلم يبق من أثر البربر خالصًا إلا قطع قليلة مثل واحـــة أوجلـــة في بـــرقة وجـــبل نفوسة في طرابلس، حيث احتفظ البربر إلى اليوم بشخصـــيتهم ولغـــتهم، إلى جانـــب اللغـــة العربية التي يستخدمونها في معاملاتهم مع مواطنيهم العرب.

وكـــان هذا الانقلاب الكبير عاملاً قويًا على سيادة اللغة العربية في ليبيا سيادة تكـــاد تكـــون تامـــة، فيمكن إن يقال إن اللهجة الليبية الحاضرة ما هي سوى سلالة

صافية من لهجات العرب الذين حلوا في أرض ليبيا في القرن الخامس الهجري، ولا سيما قبائل سليم في برقة وهلال في طرابلس مع بقاء آثار قليلة فيها من اللغة البربرية.

كما يمكن أن يقال إن سيادة اللغة العربية كانت أتم في جانب الشرق (برقة) مما هي في جانب الغرب منذ أخذت موجة الغلبة تضمحل كلما اتجهت غربًا . واللهجة البرقاوية فيما يبدو سلالة عربية أصفى من لهجة طرابلس أو ما يليها من صحراء فزان.

فإذا أردنا أن نتعمق دراسة اللهجة الليبية أو بقول أصح اللهجات الليبية كان علينا أن نلم بخصائص لهجات القبائل التي حلت بأقاليمها، وأن نعقد المقارنة بينها وبين لهجات الأقاليم الأخرى التي حل بها بعض هذه القبائل مثل صعيد مصر وأرياض حلب، وهذا أمر يحتاج إلى كثير من الدرس والبحث ويحف به غموض كثير من ضباب العصور. فلنقنع إذن بإبداء بعض ملاحظات على هذه اللهجات بغير أن نتتبعها إلى أصولها في الوقت الحاضر.

ومن الضروري إبداء ملاحظة في هذا الموضع من الحديث؛ فإننا إذا أردنا تحديد عروبة لفظ من الألفاظ لم يكن لدينا وسيلة غير أن نستأنس بالمعجمات، وما هي سوى سجلات لبعض الألفاظ العربية ولا يمكن أن نصفها بالشمول، فمن المحقّق أن جامعي المعجمات لم يتح لهم استيعاب لغة العرب في كل مكان، ولم يكن من الطبيعي أن يحيطوا بكل ما جرى على ألسنة كل القبائل من المفردات. ولهذا نجد من الألفاظ الشائعة في لهجات العرب بصفة عامة وفي لهجة ليبيا بصفة خاصة كثيرًا من الألفاظ التي يدل جرسها على عروبتها وإن لم يكن لها أصل في المعاجم. ومما يعزز القول بأن لهجات ليبيا على وجه العموم سلالات صافية من لهجات عربية صميمة أن اللغة الجارية على ألسن العامة قد احتفظت في تطورها ببعض المميزات التي لم تحتفظ بها بعض اللهجات العربية الأخرى كاللهجة المصرية، ومن ذلك ما يأتي:

١- صحة النطق ببعض الحروف التي تحرفت في اللهجة المصرية وهي الثاء والذال والظاء .

٢- استخدام طائفة من الألفاظ العربية الكثيرة الاستعمال مثل: هذا - هبيا - الأقصى - الأدنى - الأوطا (لوطا) - ما زال - ولىّ - ناض (نهض) - ودبش (الأثاث) - يرقى (بمعنى يصعد) - يظهر (بمعنى يخرج) - الغدوة (الظهر) - العشية (بعد الظهر) كيف الحديد (في المتانة) - يرقد (ينام) - عيّان (متعب) - أحسنت (للشكر) - توة (الآن)، ولو أمكن حصر مثل هذه الألفاظ لاتضح أن نسبتها في اللهجة الليبية تدل على أن تلك اللهجة ما تزال تحتفظ بكثير من عروبتها .

٣- استعمال نون النسوة عند الكلام عن النساء أو جمع غير العاقل.

وأما مميزات هذه اللهجة فأهم ما استرعى انتباهي منها ما يلي :

(أولاً) أن النطق بالجيم فيها ينطوي على شيء من المبالغة، ولا سيما في طرابلس حيث تصل المبالغة في ذلك أحيانًا إلى قلب الجيم زايًا في بعض الأحوال، كما هي الحال في لفظ زوز (زوج)، وزنزور (جنزور)، وزردة (بمعنى النزهة في الصحراء) ولعل أصلها (جردة)، وهدرزة بمعنى الدردشة ولعل أصلها (هدرجة) (من الهرج). وأرى أن هذه الظاهرة أثر من اللغة البربرية .

قال ابن خلدون عند تفسير اسم قبيلة زناتة: إن أصلها مشتق من اسم (جانا) (وهو أبو القبيلة) فجمع أهل القبيلة في اسم (جانات)، وأن نطق البربر بهذه الجيم ليس من مخرج الجيم عند العرب .. فهم يبدلونها (زايًا) محضة.

(ثانيًا) أن النطق بالضاد يختلط بالظاء، ولعل هذه عدوى من طريقة نطق الأتراك بالضاد.

(ثالثًا) أن القاف تنطق عندهم جيمًا قاهرية وهي حرف (الجاف)، وشأنهم في ذلك شأن العرب في كثير من البلاد العربية.

(رابعًا) تتميز اللهجة الليبية بالإمالة وهي أشد في طرابلس منها في برقة فيقولون مشي بإمالة الألف .

(خامسًا) يشتد الضغط في لهجة ليبيا على الجزء الأخير من الكلمات مع إسكان الحرف الأول إن كان متحركًا وما يليه متحرك فيقولون: ظهر وكمل وقلم ومطر، وهم يصيغون عند النطق ألفًا لتيسير النطق وقد يضيف بعضهم عند الكتابة ما يمثل النطق بهذه الألف. فيكتبون مثلاً (أثقال) ويريدون ثقال .

(سادسًا) من مميزات هذه اللهجة شدة النبر، ومما يجعله أوقع أنهم ينطقون بالياء الساكنة مجزومة فإذا قال أحدهم: صباح الخير. وكد النطق بالياء المجزومة فتكاد لا تسمع إلا (الخير).

(سابعًا) ومن مميزاتها كذلك تلوين الصوت بما يعبر عن المعنى فيرفعون الصوت في شيء من المبالغة عند الاستفهام والتعجب أو التوكيد، فتقع عباراتهم حادة في السمع ولكنها تكون قوية التعبير وفيها لون من الجد الصارم.

(ثامنًا) في هذه اللهجة كما في سائر اللهجات العربية بعض مصطلحات خاصة جرت عادة الناس على استعمالها، ومن اليسير إرجاعها إلى العربية الفصحى وإن كانت تختلف عن مصطلحات اللهجات الأخرى التي قد يمكن إرجاعها إلى العربية الفصحى كذلك.

ومن الطبيعي أن يكون لكل قوم عرفهم في الاصطلاح. ولو أمكن جمع هذه المصطلحات لكانت منها ذخيرة عظيمة للمقارنة بالمصطلحات الشائعة في اللهجات العربية الأخرى، وقد يكون في ذلك فوائد جمة للبحوث اللغوية .

ففي التحية يفضلون أن يقولوا: صباح الخير ومساء الخير وكي (كيف) أصبحت وكي أمسيت ويقولون عادة صباح الخير كي أصبحت، ومساء الخير كي أمسيت مع رفع الصوت في (الخير) حتى يكاد يكون اللفظ الذي قبلها غير مسموع.

ومــن تحايــاهم: لا بأس عليك، وإياك طيب، وكي الحال وكي حال العويلة. إلخ .

واللفــظ الدال على الاستحسان (باهي)، والدال على الكثرة (ياسر)، وهذا اللفظ أكثر شيوعا في الغرب .

وقــد يقولــون (ياسر هليه) أي كثير جدًّا، وأغلب الظن أن (هليه) لفظة بربرية إذ هي أكثر شيوعًا في جبل نفوسة .

وإذا قــيل لأحد أن ينتظر قيل له: (أرجي)، ويقال هيا هيا (للحض)، وسوا ســوا معناها على حد سواء، واللعوصة التعريج ولعل أصلها (لاوص)، وإذا عرجت عــلى متجر فأنت تخطم عليه، والسلعة إذا نفدت فقد (كملت). وإذا سألت عن ثمن السلعة قلت (قد آش) والثمن (السوم) ويسألك البائع ماذا تبغي (شن تبى)، وإذا قلــت لا شيء قلت (شي) بإسكان الياء مع رفع الصوت للتعبير. ودز معناها بعث ودف بمعــنى دفع، وخم أي ظن، ولعل هذه الألفاظ محرفة من دس ودفع وخمن. وإذا ســألت عــن شــيء مستغربًا قلت زعمًا؟، ويتدهور معناها يتمشى في نزهة، والقوم (يهــدرزون) أي يتســامرون، وقــد قضينا وقتًا معًا أي نتحدث، والعاقل لا تعجبه (الدوة) الفارغة. ومن استعجــل فتى لقضــاء أمــر قــال لــه (فيسا فيسا) أي (في الســاعة)، ولكــنهم إذا أرادوا التعــبير عــن (لسه) المصرية قالوا (ما زال) والحــوش المنــزل والدار الحجرة وقد يقول أحدهم عن الشقة في المنــزل (الأيارتمنتو) وعن العمارة (اليلاتزو) وعن الحديقة (جاردينو) وعن الفندق (البرجو) وهذه عدوى من الإيطالية .

وإذا استعمل أحدهم لفظ (الفركنة) الإيطالية للشوكة فالملعقة هي (الكشيك) التركية والصنبور الششعة وشيشة الزيت زجاجة منه.

فكــثير من لغة الحضر تمتاز بالعدوى الإيطالية والتركية. ولكن الريف والبادية تســمى الإبــل (بــل) والغنم (السعي) والكثير معناه (واجد) ويصبي أي يقف

ويقعمــز أي يجلــس والشــيء المجهز (واتى) وقد يؤتي الخادم لك الطعام أي يجهزه والحزاز الذي يفصل بين المتنازعين وفي المثل (حزاز ومحام).

ويقولــون هكــى بمعنى هكذا وعدول وهدوناي أي هؤلاء وغادي بمعنى هناك وديمة أي دائمًا، وهني أي هنا و (لين) أو (نين) أي إلى أن .

وللــبدو مــيزة في استعمال الألفاظ العربية القحة مثل المزن والخناب، والرقراق والضحضــاح وحولــيا الــناقة وباصورها أي سرجها والقحطان أي القحط (ووان الخــرفان) أي أوان الخــريف، والقدع وعاء حليب الناقة، والنقز هو القفز، والواعر الشديد، والذلال الجبان، الحيران جمع حوار.

قال الشاعر البدوي يصف الإقدام نحو المعركة: جابلهم ذرع الحيران جراد عما ريحه طائر (أي قابلتهم أذرع صغار الإبل وهي تسرع كأنها جراد طائر مع ريحه).

(تاسعًا) من أقوالهم (خذا) بمعنى أخذ والأمر من (خوذ) وقد (كليت) أي أكلت وكول هو الأمر .

ولعل هذه بقايا لهجة عربية .

وفي أقوالهــم التي لم يمكن الوصول إلى أصل عربي لها، وإن كانت بدوية الطلعة قولهــم في الشعر عن الناقة: (أم جرعود) أي الناقة ذات العنق الطويل، وطبس بمعنى انحــنى ويقولــون طبس تخطاك، ويقولون سجد المسافر أي أشبعه، وسجد أي أسرع، وهــذا الأمر ما يسجمش أي لا يصح، وهو يتعجل الشيء أي يتأمله ولعله مشتق من المقلة.

(عاشــرًا) قــد تقلب بعض الألفاظ بتقديم بعض حروفها وتأخيرها مثل قولهم عماى (أي معي) وقولهم نقص أي نصف .

(حــادي عشــر) ولا يفوتني أن أذكر شاعرية اللهجة البدوية أو شاعرية أهلها الذيــن جعلوا منها أداة تعبيرية رائعة، وكثيرًا ما استخدمها الأهلون لتسجيل مشاعرهم ولاسيما في أيام المحنة في الحرب الإيطالية.

وهذا مطلع قصيدة يستبشر فيها الشاعر لقرب الفرح:

خشوم مزن يانن والمصايب هانن   أن صح نوّ يرجعكن على مرباكن

وقال يخاطب عينيه:

على كيفكن سيلن أن ضاق أوعاكن   عمري عليه الوطن ما نمناكن

وقال آخر في مثل هذا المعنى:

ديمه شلن وابكن نهار وليل نين تجلن

(وشلت العين: سال دمعها)

وقال آخر:

يا وطننا ما حال دايم ديمه   الأيام لابد لهن تبريمه

وقال آخر في وصف بئر استولى عليها العدو:

شرقيه قارات وغرود   وغربيه منقار عالي

شرابه دوا لام جرعود   غبر للعـــدو موالي

وقال شاعر في قصيدة طويلة يصف حاله في معتقل الإيطاليين:

ما بي مرض غير دار العجيلة   وحبس الجبيلة

وبعـــد الجـــبا من بلاد الوصيلة (القبا قد تكون من قولهم قبا قوسين أي قاب قوسين أو لعلها جمع قبابة وهي المفازة)

ما بي مرض غير فقد الرجال   وفنيت المال

وحبسة نساوينا والعيال

وجاء فيها: والفارس اللي كان يمنع المال   نهارت جفيله (أي في يوم فزع)

طايع لهم كيف طوع الحليلة

طايع لهم كيف طوع الولية   إن كانت خطية

(أي يطيعهم كما تطيع المرأة الخاطئة)

ترمي الطاعة صباح أو عشية

ما بي مرض غير خدمة بناتي وجلة هناتي

وفجدت اللي من تريس بواقي

(التريس: الرجال، والتراس بتشديد الراء الرجل)

وغيسبة غزير القصى بوعناني العايز مثيله يهون على القلب ساعة جفيله

(غزير الناصية: الفرس واسمه بوعناني) .

وقال يندد بسيادة الأرذال :

الراعي معجل جمال القناطر فحولة كحبله ومطلج جعادين فوق الخويلة

(الراعي بعقل الجمال الأصيلة) (ويطلق الجمال الصغيرة)

وقال آخر:

حياة الهونـــة غزيح دمـــع لـــولا الغـــار تحمى دونـــه

فيها انحرج لولا دموع عيونه محروج غازع طول عمري كلـــه

وقال آخر:

يا جهرني منها حياة الذلة حكم الأجانب والعوز والجلة.

ولم يقتصـــر الشـــعر البدوي على تسجيل هذه المشاعر الوطنية بل فيه كثير من الشعر العاطفي وشعر المواقع بين القبائل:

وقال شاعر يصف حالة من الحزن لفراق أليفه قطعة جاء فيها:

أينوس خاطري مهيوس من ياسر ناس كانوا له ونس

قال أحدهم يعزي صديقه في جفاء أليفه:

عدى غاليك يا عين الحاصل لك في تاني بر

وقال شاعر قصيدة يصف حملته مع قبيلته للانتقام من عدو أغار عليهم نقتطف منها بعض قطع في الوصف:

قال يصف أول مقابلتهم للمغيرين الذين يهربون أمامهم في سرعة:

جايلهـــم ذرع الحيـــران　　جراد عما ريحه طائـــر

تلاجوا مقطوعن الحجزان　　تعلا فيه الصادى يمـــر (الصادي الرصاص)

نمار فيه الـــذلال بيـــان　　وفيـــه الخيرة يتذكـــر

بطابح ما عنـــه نشدان　　يدوسوا فيه دمـــاء بحر

* * *

أدعدع صف الغـــزى ولان　　هزم ما عاودني[1] أنضر

حلف سيد الفاشـــي بإيمـــان　　يمينًا واعر نيـــن أكفـــر (الفاشي: الكتيبة)

أن نخبط فـــأول غزيان على　　لـــو حيزوا دون أبحـــر

* * *

وقال يصف نهاية المعركة:

اللي فاجد غالي في كيان　　حداهم خذ ليلة ساهر

زجيح عويلة والنســـوان　　قطـــا جاشـــايـــل

(كان زقيق عويلة ونسوانه فطا هفه ريح سموم قبلي)

هف: اسم أيام قبايل[1].

هـــذه أمـــثلة تدل بوجه عام على أن لهجة ليبيا بصفة عامة والبدو منها بصفة خاصة لهجة من سلالة عربية خالصة ما تزال تحتفظ بكثير من خصائصها الأولى، وإن داخلـــتها بعـــض مصطلحات من عدوى الشعوب التي ساكنت العرب في البلاد في عصورها المختلفة. وقد اعتراها ما اعترى سائر اللهجات العربية من تحوير في الأسلوب وإهمـــال للإعراب . ولكنها بصفة عامة أصح اللهجات أو هي من أصحها وأقربها إلى العربية الفصحى.

* * *

---

(١) العبارة غير واضحة بالأصل.

اللهجة العامية في لبنان وسورية(*)

للأستاذ عيسى إسكندر المعلوف
عضو المجمع

سبق لي القول في مجلة مجمعنا العربي الملكي في اللهجة العامية، ومن ألف فيها من العرب قديمًا وحديثًا، ومن المستشرقين، وذلك في المجلد الأول والثاني.

والآن أنتقل إلى البحث في اشتقاق اللهجة العامية والتصرف بألفاظها، مقدمًا على ذلك هذه الكلمة:

لا خفاء أن تاريخ اللهجات العامية العربية يرجع إلى عصر الجاهلية بمخالطة الأعاجم وتصرف الألسنة من لثغات، وتحريف، وتبديل. شأن بقية اللغات التي تبدلت بتبدل الأزمان والأماكن والشؤون الطارئة عليها، فاجتمعت فيها لهجات مختلفة باختلاف القبائل ومن خالطها من الأمم الأخرى المتصلة بها، مثل الإمالة في لغة تميم وقيس وأسد ونجد، مما تدل عليه أشعارهم وألفاظهم وتعبيراتهم، ولا سيَّما في اختلاف القراءات في القرآن الكريم، فكانت هذه الإمالة متفشية في عرب الشام، ومن ذهب منهم إلى بلاد الأندلس، ولا تزال آثارها عندنا وعند الأمم التي هاجرت إلى بقية الأقطار المشرقية والمغربية؛ وليس ذلك عامًّا في جميع الألفاظ بل هو في بعضها وليس في الآخر، فمنهم من يقول " مال " بلا إمالة، والآخرون يقولون " مال " أي ميل بالإمالة. وكذلك اقتباس بعض لهجات الفرس والعبران والسريان وغيرهم من الأمم التي امتزجوا بها، فإن سكان شمال لبنان لا يزالون يضمون ما قبل وسط كل كلمة وآخرها مثل قولهم (كيف حالك) بضم الحاء واللام ولو كانت مجرورة بحرف جر، أو بمضاف، وهذا يسمى الإشمام، ويسكنون أول الكلمات، وذلك شائع عند عامتنا حتى إنهم يحذفون الهمزة من فعل الأمر ويسكنون ما بعدها فيقولون " ضرب " في اضرب، ونقل حركة الحرف إلى ما قبله مثل " نحْمِلو " في "نحمله" وقلب ميم الجمع

(*) نشر بمجلة المجمع، الجزء الرابع، ص ٢٩٤ - ٣١٥ .

نونًا مثل " أبوكن " في أبوكم ، " وعرفتن " في عرفتم ، وهو أسلوب سرياني فشا بين قبائل الشام والعراق.

فقولـــنا " مبارح " في البارح ، من لغة حِمْير اليمانية. ومنها الحديث الشريف " لـــيس مـــن أمـــبر أمصيام في أمسفر " أي ليس من البر الصيام في السفر، وتعرف بالطمطمانية ، وتسهيل القاف إلى الهمزة مثل قول كثيرين منا "آل" في قال. ولا سيما في شمـــالي لبـــنان، مـــع أن القاف تلفظ على أصلها في جنوبيه، ولا سيما بين الدروز والمســـلمين والشـــيعيين بلغة أهل اليمن الذين هم منهم، وإبدال الظاء من الضاد على اصـــطلاح الأتراك كقولهم مظبطة في مضبطة، وإلحاق شين الكشكشة ببعض الألفاظ عـــلى لغة ربيعة في بلاد نجد مثل قولهم " معرفتوش " أي ما عرفته " ومفيش " أي ما فـــيه. وقـــد تكـــون هذه الشين بقية كلمة " شيء " ألحقت بما قبلها من باب النحت والاختزال معًا مثل " مفيش " أي ما فيه شيء .

وإبـــدال الضـــاد لامًا أو دالاً " وهذه لهجة سكان دير القمر في جنوب لبنان " فـــيقولون: دو الأمـــر ، أي ضوء القمر، وهي لغة سكان الطائف من ثقيف وهذيل. وقد تبدل القاف من الكاف في لهجات بعضهم، ولعلها من اللثغات، فقد سمعت بعض الشـــيوخ عـــندنا يقولون" قيف حالق " أي كيف حالك. ومن هذا القبيل لفظ الجيم شـــجرية كما كانت عند العرب وكما يلفظها المصريون الآن. أو مسبوقة بالدال مثل دجبل أي جبل في بعض اللهجات. أما عندنا فهي تلفظ بغير هاتين الطريقتين، حتى إن لام أل المعـــرفة إذا دخلت على ما بدئ بها تدغم فيها فتكون من الحروف الشمسية، والجـــيم في الأصـــل من الحروف التي إذا أدخلت عليها أل تكون قمرية كما في كتب الصـــرف، إلى غـــير ذلـــك من خصائص اللهجات ومزاياها مما نقلته القبائل معها إلى البلدان التي تديرتها وشاعت بين سكانها.

قال العباسي في شواهد التلخيص (١ - ٣١) ما نصه:

" كان أبو العطاء السِّندي يرتضخ لكنة سندية يجعل فيهـــا الجيم زايًا، والشين

سينًا، والطاء والضاد دالاً، والعين همزة، والحاء هاء، فكان يقول: مرهبا هياكم اللـــه، فطرح عليه السامعون ألغازًا لتظهر فيها لكنته الغريبة " .

وكـــان أبـــو السَّـــمال سمعان بن هبيرة الأسدي الشاعر النصراني في زمن النبي (ﷺ) ومن أشعاره قوله:

ولَلموت خير لامرئ من حياته بدارة ذلّ (ع البلايا) يوقَّر

أي على البلايا، وهذا من لغة عامتنا اليوم هي لغة يمنية.

وقـــال أبـــو الحسن محمد بن المبارك المعروف بابن الخلّ المتوفى سنة ٥٥٢هـــ (١١٥٧م) من قصيدة:

ويدق صدرًا ما انطـــوى إلاّ على غل يواريه بكفٍّ عظـــام

ويقول (أيْش) أقول من حصر به لا لازدحام عبارة وكلام

والعامة تقول أيْش بمعنى أي شَيء على النحت.

وقـــال ســـكرة الحلبي الطبيب الإسرائيلي الذي كان في زمن الملك العادل نور الديـــن محمود بن زنكي، لمريضة يعالجها: فعرفيني أيش أكثر أكلك في بلدك؟ فقالت: لحم البقر، فقال: يا ستي وما كنت تشربين من النبيذ الذي عندهم؟

فالعامة تستعمل (ستي) عوض سيدتي، وأيش للاستفهام كما سبق القول.

ومـــن لهجات أهل نجد الحالية قولهم (هي مرتاللي) أي هي امرأة لي . وعامتنا تقول (مرت) أي امرأة .

وذكـــر الســـيوطي في (بغية الوعاة) أن سكان شرق الأندلس كانوا يفتحون أول كـــل كلمة فيقولون (الحَوت) أي الحُوت، وهذا من لهجاتنا، وينطق الأندلسيون بالـــثاء طـــاء كما تنطق عامتنا فيقولون طار الرجل أي ثار وهاج، وقد تمتزج لهجات القـــبائل فتجـــتمع في إحداها لهجتان أو أكثر تختلفان ولو كانوا في موطن واحد، كما تـــتفق لهجاتهم ولو بعدوا، فتكون العوامل التي تتلاعب باللهجات كثيرة تدل غالبًا على أصـــول الأســـر وأنسابها فيعرف معظمها من لهجاتها ولو كانت مشتتة في أنحاء العالم،

ومعظم ما يؤثر فيها الترقيق والتفخيم، والتشديد والتخفيف، والإدغام والفك، وتبديل مخارج الحروف وتسهيلها واللثغات ونبرات الصوت.

ومن أهم ذلك إبدال الراء لامًا، والعين هاء، أو همزة، واللام راء، والجيم زايًا، والظاء ضادًا، والهمزة حاء، والميم باء، والذال دالاً، والثاء تاء، والقاف همزة أو كافًا، والسين صادًا، والشين سينًا، والحاء خاء، والتاء طاء؛ والحاء هاء، والذال زايًا أو ظاء، فيقولون: قَيْض في قَيْظ، وحِرْش في حرج، وصور في سُور، ودلّ في ذُل وعَنَّ في أَنَّ، إلى غير ذلك مما يصح فيه العكس (فإبدال الراء لامًا عكسه إبدال اللام راء) في جميع ما مر آنفًا .

ومن ذلك إدغام بعض حروف الجر كالعين في مثل (ع الأرض) أي على الأرض) و (عاكيفه) أي على كيفه، وهي لغة زبيد وخثعم من اليمن، والميم. قال المتنبي:

نحن ركب (م الجن) في زي ناس فوق طير لها شخوص الجمال

وإدغام الكلمات مثل (ما شلّه) في (ما شاء الله) و (سْملاّ عليه) أي اسم الله عليه. و(مينو) في الاستفهام أي من هو؟ وتعرف هذه اللغة عند العرب باللخلخانية وهي في لغة عمان والشحر.

وإذا شئت أن تعرف الفرق بين لهجات الأقطار العربية فإليك منها مثالاً، يقول السورى: (بتْرجّاك عْطيني كتابي هلّق) والمصري (من فضلك اديني الكتاب بتاعي دي الوقت) والفلسطيني: (اعمل معروف اعطيني كتابي هَلْئِيت) والحيفي: (اعمل معروف انْطيني كتابي هلْئِيت) والجزائري (اعطيني إِكتاب انتاعي دْرُوك) والتونسي (نحبك تعطيني اكتابي توا) وكلها بمعنى قول الفصحاء (أرجو منك أن تعطيني كتابي حالاً)، وأما الفرق في لهجات المدن والقرى فهي مختلفة أيضًا في الألفاظ والتعبيرات حتى لا يفهم الواحد كل ما يقوله الآخر في قطر واحد، فيقول اللبناني للزائر (قْعُدْ) والدمشقي (أقعد) والحلبي (أُبرك) وقس على ذلك بقية المدن.

اللهجة العامية العربية في لبنان وسورية:

شـــرحنا لك بالمقدمة السالف ذكرها حالة اللغة الحاضرة، وما هي عليه لعهدنا وحالـــة الناطقين بضادها، وما تقلّب عليهم وعليها من العوامل التي غيرتها وبدلتها في عصـــورها المخـــتلفة، حتى وصلت إلى حالتها الحاضرة؛ فكانت لغة كل قطر العامية تخـــتلف عن الأخرى بألفاظها وأساليبها والتلفظ بها وآدابها الباقية فيها آثارها من أدب ونثر وشعر، وما يندمج في ذلك من المقومات والتصرفات، فتحكم إذن بما يقودك إليه ذوقـــك الســـليم على أنني سأشبع الكلام على قدر الطاقة فيما يجب البحث عنه ومالا ندحـــه فـــيه عن التقصي في شؤون العامية بما لا يخرج عن حدود الموضوع، ناظرًا إلى معارضـــتها باللغة الفصحى واللغات التي استعارت منها ألفاظها بالملابسة والمشافهة مما أشـــار إليه كثير من علمائنا بجمعه، إما لاحتقارهم اللغات العامية وعدّها ميتة لا فائدة لهـــا، وإما لإهمالهم إياها تقصيرًا وتوفيرًا لأوقاتهم التي صرفوها في أغراض أخرى كانت في نظـــرهم أولى منها بالبحث والتعريف، مع أن العامية هي بقية اللهجات التي تغلبت على اللغة، فتركت آثار القبائل واللغات والعوامل فيها دالة على أصلها.

ما اللهجة العربية العامية؟

هـــي لغة فصيحة موضوعة في عصور مختلفة للتعبير عن الأفكار بقوالب كثيرة، اصـــطلح علـــيها أبـــناؤها في كـــل قطر وبكل وقت، فلاكتها الألسن وتلاعبت بها التصـــرفات، فـــتغيرت أساليبها وتلوَّنت ألفاظها بين فصيحة محرّفة أو مصحفة وأجنبية دخـــيلة ومـــرتجلة غريـــبة، ولحن شائع، وتصرف شائن، حتى بعدت في بعض الوجوه والأســـاليب عـــن أصلها الفصيح ومؤداها البليغ، فكادت من هذه الوجوه تكون لغة قائمة بذاتها.

ولقـــد عرفت هذه التطورات من أوائل عهد اللغة فتنبه اللغويون إليها وذكروها في مؤلفـــاتهم، وفي حوادث الحجاج، والشعبي، والكسائي، وسيبويه، وابنة أبي الأسود الـــدؤلي، والأعرابي، والإمام عليّ بن أبي طالب، وغير ذلك من المناظرات والمناقشات

في عصور مختلفة ما يغني عن التفصيل، فارجع إلى ذلك في كتب اللغة والأدب المتداولة بينـــنا، وما عقب ذلك إلى يومنا من التطورات والتقلبات التي هي أكبر دليل على بدء ضـــعف الملكة الفصحى، والذهاب إلى فساد اللغة الصحيحة، وتعدي قوانينها وتجاوز حـــدود قواعدهـــا، مما دار على الألسنة فأفسدها، وتفشى بين العامة بتوسع وتسرع، حـــتى أدى إلى هـــذه الحالـــة، فوسم اللغة بميسم التقهقر، وكاد يقضي على بلاغتها، ويـــودي بفصاحتها، ويزري بقدرها؛ فتضاربت الآراء بشأن اعتمادها أو إهمالها، فكان الـــناس فـــريقين في شأنها، فمنهم من أراد إبقاءها على علاتها واستعمالها وإهمال أمها الفصـــحى، ومـــنهم من خالف ذلك الرأي صادعًا بإماتتها لئلا تكون حجر عثرة في سبيل الفصحى، مما سبقت الإشارة إليه[1].

ولعـــل أول فساد دخل عليها : من مخالطة الأعاجم بطمطمانيتهم، ورطانتهم، ولُكْنَـــتهم، ولثغتهم، وفشا ذلك الفساد بين القبائل المتجاورة فكثرت لهجاتهم ولغيّاتهم، واختلفـــت بعض قواعدهم وتلونت آراؤُهم مما دونته كتب العلوم اللسانية واللغات في المعجمات والأصول والتفاسير والنقد والمناظرات وما ساوق هذه من الفواعل.

فكانـــت لـــتلك الأسباب تتباعد اللهجات عن أمها اللغة الفصحى، لكثرة ما يتـــنازعها مـــن التصرف والتبدل، فتتغير قواعدها، وتختلف أساليبها، وتتشوه محاسنها باللحن الذي يعتورها والتصرف الذي يتغلب عليها.

ومَـــنْ عَرَفَ قولَ ابنة أبي الأسود الدؤلي له ذات يوم: ما أحسنُ السماءِ، وهي تـــريد التعجب من حسنها، فكانت القاعدة فتح النون والهمزة الأخيرة، وقول أحدهم للقاضـــي: مـــات أبانا وخلّف بنون عوض مات أبونا وخلف بنين، أدرك أن الفساد تفشى في تلك الآونة حتى طفح كيله بدليل قول أبي الأسود الدؤلي:

فلا أقول لقِدْر القوم قد غَلِيت ... ولا أقول لباب الدار مغلوق

لكن أقول لبابي مغلق وغلت ... قدري وقابلها دن وإبريـــق

(١) في الجزء الأول من مجلة المجمع (الصفحة ٣٥٠).

فوضع الدؤلي قواعد النحو بإشارة الإمام علي بن أبي طالب لتفشي اللحن، وكان حاتم الطائي قد قال قبل ذلك العهد:

إلهم ربي وربي إلهم فأقسمت لا أرسو ولا أتمعَّد

وأراد بالرسو والتمعّد إبدال الصاد زايًا كقولهم الزقر في الصَّقر، وقول عامتنا الزغير للصغير.

وظهر في القرن الثامن للهجرة فن (المواليا) وهو الشعر باللغة العامية أو الأناشيد، فكان كل ذلك من الأسباب الداعية إلى إصلاح اللغة العامية التي كانت خطرًا على الفصحى لهذين العاملين الأولين وهما:

(١) عدم وجود العلوم اللسانية لضبط اللغة واشتقاقها، وقلة المجتمعات التي تعين على رفع شأن الفصحى، وعدم توافر المعجمات التي تقيد أوابدها وتضبطها فكثرت لهجاتها واستشرى فسادها.

(٢) اختلاط العرب بأمم متعددة ألسنتها مختلفة قواعدها، وتناول اللغة من السماع واللهجات التي تخالف الفصحى، فكثر الدخيل وفشت العجمة وعم اللحن، وهاك الآن بحوثًا في الألفاظ العامية واشتقاقها وفي قواعدها وأساليبها:

(١) الألفاظ العامية واشتقاقها

قلنا فيما مضى إن اللغة الفصحى فاجأتها أمراض عضالة، وصدمات قاتلة فثبتت جهدها في ميدان العراك تقاوم تلك العوامل القوية بصبر وجلد، وحسن دفاع، ولكن ألفاظها كانت هدفًا للتقلبات ومرمى لسهام التصرف، فتركتها مُتَجدِّلةً تتنازعها مؤثرات النحت، والقلب، واللحن، والإبدال، والزيادة، والاختزال، والتصحيف، والتحريف، والدخيل، والتلاعب بحسب العصور التي مرت عليها[1] فنستقري هذه اللهجات واحدة واحدة . فمن النحت قولهم - (إيش بَدَّك) والأصل (أي شيء

( ) رلجع مقالي في مجلة المجمع (جـ ١ ص ٣٥٠، و جـ ٣ ص ٣٤٩) عن الكتب المؤلفة في هذه الأغراض وطالع بعضها تقف على ما فاجأ اللغة منذ القديم. [وانظر من ص ١٤ - ٥٢ من هذا الكتاب].

بـــودّك). و (بَرْكَطّـــر) مـــن فلان أي (بركة تطير منه) و (عِمْلَوَّل) أي (العام الأول) و (كفْـــتاتا عملت هيك) أي (كيف حتى عملت هكذا) و (مْسَانه) أي (من سنة) و (لِسَّا) أي (للساعة) و (هَلَّق) أي (هذا الوقت) و (هَاوَنْكُوِّي) أي (هـــناك هو) و (حنْبْلاس) أي (حب الآس) بزيادة مع النحت و (أَيْوَه) من (إي والله) و (هَـــنْقَدّ) من (هذا القدر) و(مْنَيْن) أي (من أين) (ومَاعَلَيْشْ) أي (مَـــا علـــيه شيء). و(ما بَدِّيش) أي (ما بودي شيء) و (بَلاَش) أي (بلا شيء) و(هذى بَنْشَة) أي شيء صعب يعود منه طالبه (بلا شيء). و (الرسمال) (رأس مـــــال) وجمعهـــا رسماميل. و(مِنُو) فلان أي (مَنْ هُوَ) و(ها نَّحْنى) أي (بهـــذه الناحية هي) وولد (تَلْبيس) أي كثير الحركات منحوتة من (مثل إبليس) (وجابه) من قولهم (جاء به).

ويقولـــون في الـــتهديد (ولاكَ) كأنهـــا من (ويل لك) أو من (أولى لك) وكلتاهما بهذا المعنى. والأتراك يقولون (وَلان) وتستعملها بعض عامتنا أحيانًا.

ويقـــول الحلبـــيون والدمشقيون عند التقاء أحدهم بالآخر ليحييه (شْلَونَك) ويـــريد أن يقـــول (أي شيء لونك)، وعبارات التحيات عند الأمم تختلف بحسب الـــزمان والمكـــان والبيـــئة، ويقـــول اللبنانيون (كيفك) أي كيف أنت كما يقول المصريون (إزَّيَّك).

القلب:

وهـــو تقـــديم حروف أو تأخيرها في كلمة للتسهيل أو للثغة، فيقول البيروتيون (فَحَـــر البير) واللبنانيون يقولون (حفرها)، والسوريون واللبنانيون يقولون (نَاحَطَه) (لـــناطحه) بمعنى خاصمه. وباط (لإبط) و (تحشر) لتحرش به بمعنى تعرض له، أو من حشر نفسه في المضايق، و (الزحالف للزلاحف) أي السلاحف جمع سلحفاة فيها القلـــب والإبـــدال معًا. و (الجوز) للزوج. (والحرج) للحجر وهو ما بين يدك من ثـــوب، و (المـــرغفة) لـــلمغرفة والمعلقة للملعقة، و (عافه) بمعنى عفاه من الشيء

(وطماقـــات) لقماطـــات و (الكعازيل) للعكازيل لعلها من عكازل الأسد مفردها عكـــزولة ويســـتعملونها لكـــل شـــيء مستدير كروي. و (العياري) للعارية بمعنى الاســـتعارة، و (جـــزره) لزجره. و (كدش) الشيء إذا قطعه بأسنانه كقطع الجزر والقثاء فهي مقلوبة من كشد التي تفيد هذا المعنى بأطرافه، لأن كدش تفيد معنى القطع فقـــط. و(رفخ) العجين إذا استرخى لرخف، و(شطح) بمعنى بعد لشحط، و(دعق) يـــده في الشيء أدخلها لعدق، والرَّعبون وهو دفع شيء من الثمن عند المشتري ليكون ما اشتراه له عندما ينقد ثمنه كله وفصيحها العُربون، وقال الأصمعي: إنها أعجمية.

الإبدال:

وهـــو وضع حرف أو أكثر عوض غيره مما يقرب مخرجه منه غالبًا، فمن ذلك قولهـــم: تَدَشَّـــا لتجشا. والشقبان للشكبان: وهي حبال مشتبكة يجمع فيها الحشيش ويحمـــل عـــلى الظهر. وكمره لغمنه أي ألقى عليه ثيابه ليعرق. وركد لركض وهي تقلب المعنى لأن الركود بمعنى الثبات. وجراعة لجراءة. وخط بنومه لغط إذا صوت من أنفـــه. ونـــبَّ لنبأ أي ارتفع أو نبأ بمعنى نفر. وبطحه لبدحه بمعنى قلبه. ودس الكبش والنـــبض بمعـــنى جسه، والفصيح في جسَّ الكبش لمعرفة سمنه من هزاله فعل (جَتَّ). والنـــبط للنبض. وزنقر بعينه أي حدّد النظر فيها لزنهر، والبعض يقولون (زقر وجقر). والعجـــوة للعجمـــة أي نواة المشمش ونحوه. وثغر عليه بمعنى دغر أي ركض لمقاتلته بسرعة أو قحم عليه من غير تثبت. وفدغه لفضخه إذا شدخ رأسه. والسركة للسُّلَكة أي أنـــثى الحجل. والحنكليس للانكليس، ويعرف بالجرّى: وهو سمك نهري كالحيات يؤكـــل. وهذا مساقب ذاك أي مصاقبه، بمعنى مناوحه ومقابله. والسواد للسماد وهو ســـرقين الحيوانات الذي تصلح به الأرض للزراعة. وقمز لجمز .وخضرت رجله: بمعنى خـــدرت. ويـــلهط الطعام ليرهطه. وفرّم الولد أسنانه لثرم، وهي ليست بالمعنى المراد، وفصيحه ثُغِر أي ألقى أسنانه الأولى. و" اشترت " الدابة لاجترت. و" فَقُّوس " لبنقوس وهـــو من صغار البطيخ. " وقرمة " الشجرة بمعنى أرومتها . و"الهامج" للهامش، وهو

حاشــية الكــتاب البيضاء ليزاد عليها الشرح ونحوه. و" الغَفَر " للخَفَر، بمعنى الدَّرَك للمحافظة. و" الصَّمْخ " للصمغ. و"الصَّلُّوب" للصُّلْبوب وهو مزمار القصب. و"اللَّكَن" للإنــاء النحاســي المعروف بمعنى اللَّقَن ويسمى: المِركن. و" يَتَقَنَّف" ليتأنف أي يكره طعم الشيء. و"رثا الثوب" لرفأه أي رقعه. و"جعر" الثور ونحوه لجأر أي خار وصوت. وقــرا " كــرجا " بمعنى درج وهو عكس التهجئة. و" المرجوحة " للأرجوحة وتعرف عــندنا بالعــنــزوقة أيضًــا. و"الصِّمْد" للصَّبْط وهو المحراث الطويل الذي يجره الثور للفلاحــة. و"سنْسلة" لسلسلة بمعنى الزنجير ذي الحلقات المتصل بعضها ببعض. وفلان " أَرْفَــى " أي أرفــل وهو المسترخي الأذنين. و"رقد الشيء" بالماء أي ركد، و"سرج الــثوب" أي شرجه بمعنى خاطه خياطة متباعدة، " وصَنَّحَتْ رقبته " أي تَشَنَّجَتْ بمعنى مالــت لألم أصابها وفصيحها إجْل وهو وجع العنق من الوسادة. و"وَنَّ الشيء" أي أَنَّ إذا صــوت ولعــلها مأخوذة من الوَنّ وهو الصنج الذي يقرع بحركة الأصابع وتسميه العامــة باســم (الفقّيْشَة). و"غَزَّه بالرمح" والإبرة أي شكه مبدلة من خَزَّه، والقزَاز للزُّجاج، و " الدِّمْس " لصف الحجارة في البناء عوض دِمْص وهو كل عَرَق من الحائط خــلا العَــرقِ الأسفل فإنه رِهْص، و"خرْم الإبرة" لخرمها أي ثقبها، و"قعقور" لقهقور وهي حجارة تبنى وتنضد علامة لتخم ونحوه، و"الْمَحْدَلة " للمحالة وهي أسطوانة يعلق فــيها قوس وتدحرج لرص التراب، ولعلهم توهموها بدون إعلال فقالوا (مَحْوَلَة) ثم أبدلــوا لقرب المخرج فصارت محدلة . و"القِلْد " لنقرة في الصخر يجتمع فيها ماء المطر للقَلْــت. و"الدفدر" للدفتر، و"المجاز" للمزاج، و"أمجز الشيء وأمجزهُ" بمعنى أمزجه أي خلطــه، و"تجــوَّز" أي تــزوج، و"أولاد زغار" أي صغار، " وتم " لفـم. و"الجَرَزون" للــزَّرجون. و"انداق فلان" أي انضاق، و"دِحِك " لضحك. و"وكَّد هذا الشيء " أي أكــده بالنظر. و"الزعتر"للصعتر"، و"مهنتز ومهندز" لمهندس، " و" فلّ فلان " أي فرّ، و"قلــق المريض " بمعنى أرق أي لم ينم. و"العفش" للعفج وهو المعي الذي ينتقل إليه

الطعـــام بعد المعدة، ويستعملونه اليوم بمعنى أدوات المسافر وحاجاته التي ينقلها معه في سفراته، و"كَزَّت نفسه" أي قرَّت بمعنى أبت الشيء وعافته .

"وانتلا الوعاء" أي امتلأ فأبدلوا وسهلوا الهمزة، ويقولون " تَلّى وملّى الإبريق" أي آمـــلأه. " وشطف الحطب ونحوه " من شطبه أي شقّه مستطيلاً، " وقشَّبت يده " من قشفت إذا تشققت. وشرَّ الماء" أي خرَّ وتناثر، فإذا أرادوا المبالغة قالوا " شَرْشَرَ " . و"فَـــجَّ الـــباب" إذا كسره من قولهم فَشَّ القفل إذا فتحه بغير مفتاح. " والطنطور " للطـــرطور، وهـــو أسطوانة هرمية معدنية فضية أو ذهبية أو نحاسية توضع على الرأس ويـــرفع علـــيها النقاب، وكانت في القرون الأخيرة من ملابس الأميرات أو المثريات، تغـــالين وتنافسن بلبسها وبالغن بزخرفتها وزركشتها وشاع استعمالها حتى قال المعلم بطرس كرامة الحمصي شاعر الأمير بشير الكبير حاكم لبنان:

ومطنطر فتكت لواحظه بنا   وأذاع فينا الفتك ثم أشاعا

فكأن خلقته لدى طنطوره   بدر أقام لدى الجبين ذراعا

" والســـرنوك " للـــترنوك أي الحقير المهزول . " والمرتكوش " للمردقوش من الـــرياحين، " وودّى فلانًـــا إلى فـــلان " أي أدّه بمعنى أعطه، وعند العامة بمعنى أبعثه وأرســـله، " وفرم اللحم " من هرمه أي قطَّعه. " والقِنّ " للكِنّ أي بيت الدجاج ولعله مـــن الأقنة أيضًا وهي بيت يبنى من الحجر جمعه أُقَن. وفلانٌ "يقرم الخبز" إذا أكله أي يأرمـــه بمعـــنى يـــأكل ما على المائدة منه، ولكن العامة يستعملونه بمعنى قضمه فأكله، " والقعـــق " لطير القاق (الغراب) ولعلها من العقعق، " ونتش الشيء " إذا اختطفه مـــبدلة من متشه أي فرّقه بأصابعه، فاستعملوه للخطف بسرعة، و" ابزق " أي ابصق ومـــنه سموا الحلزونة (بزاقة) لأنها كثيرة البصاق. ويقولون فلان طبعه (قِزِح أو إِزِح) بمعـــنى سريع الغضب والتأثر فهي إما من (قزع) بمعنى خف وأسرع، أو هي من قمز بمعـــنى وثـــب واضطرب فيكون فيها القلب، أو هي من (الحُزُقّة) وهو الرجل السيئ الخلق، "وقمَّر الخبز ونحوه أو أمّره" مبدلة من جمَّره إذا وضعه على الجمر ليقدّده ويبالغ

في شـــيه، وقد تكون من حمَّره بمعنى جعله يحمرّ على النار. " وتبشنق " إذا لف رأسه وعـــنقه بقماش وقاية من البرد أو للتزين أو التبرج مبدّلة من (تبخنق) إذا لبس البُخْنُق وهـــو البرقع والبرنس الصغير، أو هي من البشلوقة التركية لغطاء الرأس فتحرفها العامة وتقـــول بشنوقة بالإبدال فتكون من باب الدخيل. وفلان (عايق) أي لطيف الشكل والمشـــى واللبس أو (عايئ) وكأنها محرفة عن حايك أو عايك بمعنى المتبختر والمختال في مشـــيه. (وكـــرع) لجرع. " وشعنوطة " لعقدة بالخيط معروفة وأصلها أنشوطة، ويقولون " غبى من الضحك " بدل أغمى عليه. و (قرّق) فلان على فلان إذا استهزأ بـــه مـــن (هـــرّاً) أي تكلم الهراء وهو الكلام الكثير الفاسد، " واندكس المريض " لانـــتكس. و"تدندل الشيء " إذا تدلى من تدلدل، "وطبش الرجل غيره" إذا ضربه من طـــبج، واشتقوا منها الطبشة التي يؤدب بها الأطفال وفصيحها المقفعة، وفلان " طِشٌّ " أي أحمق جامد كأنها من طبج بهذا المعنى. " وكَرَت الماء " إذا صبه من كلت ويقولون أيضًا كتَّ بالإدغام، " وجخَّ الرجل " بمعنى تأنق بملبوسه واختال كأنها من جفخ بمعنى افـــتخر ومـــن مقلوبها جخف بمعناها. " وتَحَلْفَص " إذا تحرّك للقيام كأنها من تحفَّزَ. " وشاشت نفسه " أي اضطربت من جاشت. ورجل (قِشلان) أي مفلس معدم كأنها مـــن قولهم (أرلان) أي مجدب. و (طنبرت) اليد أو الجلد إذا بدا فيهما ورم كأنها من (انـــبَهرت) أو من (طمرت). و (دنكز) إذا طأطأ رأسه ذلاً وخضوعًا ونظر بعين مكســـورة مبدلة من (دنقس) بمعناها. " والضرف " للظرف بمعنى وعاء من جلد عندنا للبن. والغيض للغيظ.

ويعـــزى كل هذا إلى قرب مخارج الحروف وإلى لهجات القبائل وما يعرض من التصرف في اللفظ والسمع ونحو ذلك .

وكـــثيرًا ما يجتمع (القلب) و (الإبدال) أو (ينفردان) مثل قولهم " إجْر " لـــرجل ، فقدّمـــوا الـــلام وأبدلوهـــا همزة، "وشهَّل الثمن" إذا رفعه وهي من أشاله، " والقَلُّوســـة" في القلنسوة المعروفة من أغطية الرأس لكهنة النصارى، ومثل " عَمْلوش

العنب أو معلوشه " لما يبقى من العنقود بعد أكل حبه، والأصل عمْشُوش فقلبوا وأبدلوا. " وبيتنجان " للباذنجان الثمر المعروف دخيل وعربيته الأنب والمغد والوغد.

الزيادة:

وهي أن يزاد على الكلمة حرف أو أكثر وذلك من لهجات العرب أيضًا، مثل قول شاعرهم:

وإنني حيثما يثني الهوى بصري   من حيثما سلكوا أثني فأنظور

أي أنظر. ومنها قولهم " إيد " ليد، " وكارُو " لكار أي سفن منحدرة لنقل الطعام ونحوه وهي أعجمية، " ودواية " لدواة وهي ما يكتب بها، وأما الدواية فهي ما يعلو اللبن من القشدة المعروفة عند العامة بالقشتة، وهي السمن أو الزبدة التي يسميها الأتراك قيماق، " والقرنبيط " للقُنَّبِيط (نوع من الخضر)، وتقنطر عن فرسه لتقطَّر أي وقع، ولعلهم زادوا النون للإلحاق مثل تجندل في تجدَّل، " والمخلاية " للمخلاة، وهي ما يوضع فيها الخَلَى أي رطب النبات لإطعام الدواب وقد عيب على المتنبي قوله في مرثية أم سيف الدولة الحمداني لما فيه من الهجنة:

لساحيه على الأجداث حشف   كأيدي الخيل أبصرت المخالي

"وفلحص" لفحص برجليه، أي بحث ونشر التراب، " والمراية " للمرآة، " والحرباية " للحرباء، " والمصفاية" للمصفاة، و" القشوية " للقشيَّة، وهي شيء يتخذ من القش كإناء، " والمَجْعود" للمجعّد، " والمعَوْكَر " للمعكَّر، "والمقوفع" للمقفَّع، "وتشنطط" لتشتَّت ، وفيه الإبدال فوق الزيادة. " والصدرية " للصدرة، " والجلابيَّة " للجلباب، " والقوبرة " للقبَّرة، وهي الطير المعروف، " ورجال " لرجل، " وطيلع الشيء" لطلَّعه، " ونَيْزَلَهُ " إذا نَزَّله، " والمريُول " للمرْيل، وهو ما يوضع على صدر الطفل ليقي ثيابه من رياله أي لعابه السائل من فمه، وأطلقوه الآن على ما يتخذه الخادم لوقاية ثيابه من القذر، والبعض يسمونه بالمملوك من تسمية الشيء باسم متخذه؛ لأن المملوك الخادم وهو من ملابسه، " والباقية " للبيقة وهي حب يتخذ لعلف المواشي،

" ومـــايق " في مَـــئِق، والبعض يبدلون بها قولهم مِرِق أي كريه ثقيل، ومنه المثل عند الفصـــحاء (أنت تئق وأنا مَئِق فكيف نتفق) وقولهم (لو طربقت) السماء الأرض. أي لـــو طبَّقــت . و(شوشط) الطعام على النار أي شاط وشوَّط، إذا كاد يحترق،" ورصـــرص الشـــيء" إذا وضع فيه الرصاص من رصَّصَه، " وزوزق الشيء" بمعنى لونه وزيـــنه مـــن زوَّقَـــه، "والمســـقار" لنوع من السمك الأحمر الطويل المسنَّم الظهر من (السَّـــقّار). " ودعـــبل الشيء " إذا كتَّله من دَبَله، " وتتعلس " إذا ساءت حاله من مـــرض ونحـــوه، من تتعسَّ " والعَتْعيت" للرجل العظيم القوي من العُتُعُت، " وكرنش جلـــده" إذا تغض فصار كالكرش، من كرش إذا كان كذلك، ويقولون عما يريدون تـــركه (بَلاَه) فهي من كلمة (بَلْه) أي اترك ودع، أو هي مركبة من (لا) النافية فتكون بمعنى (بدونه) " ومْبَلَى " في بَلَى حرف الجواب، " والعامود " للعمود، وجمع الأولى عواميد وفصيحها أعمدة.

النقصان:

ومـــن نقصان الحروف قولهم " أُسْطَا " في أستاذ، ويقولون (أستا) أيضًا بدون إبـــدال و " ماظـــة " في لماظـــة، وهو ما يتنقل به على الشراب، و " سَنَم الجمل " أو (صَـــنَمه) بمعنى سنامه وهو ظهره المرتفع ففيه إبدال أيضًا، " بصَّة النار " أي بصوتها وهـــي جمـــرتها فأنقصـــوا وضعفوا، " بُبُّو العين " أي بؤبؤها وهو إنسانها أو سوادها، و " طـــبَّ على الصحن " ونحوه أي أكب فنقصوا وأبدلوا، و " عَطُوني " لأعطوني . و " هـــيك " أي هكذا، و " طار " لإطار المنخل والغربال ونحوهما، وربما عوضوا عن الهمـــزة المحذوفـــة تـــاء فقالوا طارة. و " ربَّص الأرض " إذا بربصها بمعنى سقاها رويًّا لـــتجود ثم عـــزقها وزرعهـــا، و " الـــتَمَّ " لالتأم بمعنى اجتمع، و " اللي " أي الذي، و " مَـــرْت فلان " أي امرأته، وهَون أي هنا و (غِنية) لأغنية و (البندة أو البندية) للبدنـــية وهي حجر كبير مربع مستطيل معد للبناء، و (تف) أي اتفل بمعنى ابصق، وقولهـــم هـــذا مرّ مثل (العَلَق) أي العلقم. ونهار الحد للأحد، و (طسه) إذا ضربه

شـــديدًا من رطسه، و (الفصَّة) نبات يتخذ لعلف الحيوانات من الفصفصة و(النِّزْغَلَّة) للحمامة البرية من أُطْرُغَلَّة، و (طلّ) عليه إذا أشرف من أطلّ، و (شاف) أي أشاف علـــيه، و (فـــزَّ) من قفز، و (غفى) إذا نام من أغفى، و (شعط) إذا غضب من اشمعـــطّ، و (العطـــوس) للعاطوس، و (العِكِش) الذي لا يهتم بالزينة والترتيب من العـــنكش و (السَّـــبَل) للســـنبل من القمح ونحوه معروف. و (الشوال) للجوالق الفارسية الأصل، وتكتب عندهم چوال. و(طقسس) عن الخبر أي فحص من تقَسَّس الخـــبر، أو من تقصَّاه، و (زحط) بمعنى زلق من انسخط، واتْهَمه بإسكان التاء عوض اتَّهمـــه بتشـــديدها، بمعنى نسب إليه ذنبًا ونحوه، و (القُومانية) ما يكفي الإنسان من القوت فصيحها القِوَام والقوميَّة فتصرفوا فيها بالزيادة.

وقـــد تجتمع الزيادة والنقصان والقلب مع غيرها مثل (الحنبلاس) لحبِّ الآس الـــذي يؤكل و(الصُّوفَيْرة) للصفَّارة، و(النوفيرة) للنوفرة بمعنى الفوَّارة، و(الطنطلة) أي اللهاة التي في الفم من الطلاطلة.

الدخيل:

هـــو مـــا تسرَّب من الأعجمية إلى لهجات العرب باختلاطهم بالأعاجم فشاع بينهم وصار من ألفاظهم التي يتفاهمون بها، وذلك منذ القديم إلى يومنا وله أمثلة كثيرة لا يمكـــن الآن حصرها في هذه العجالة فنشير إلى بعضها، قال كسرى أنوشروان كما روى الثعالبي في (من غاب عنه المطرب): النبيذ صابون الهم. فاستعمله العرب بعده، والإصـــطَبل ذكر في فقه اللغة، وسأل علي (رضه) شريحًا مسألة فأجاب بالصواب. فقال له (قولون) أي أصبت وهي رومية.

فممـــا دخـــل في ألفـــاظ عاميتنا من تلك اللغات التي شاعت بيننا قولهم من الســـريانية (الصـــلاحيَّة) بمعنى الصحن العميق القعر، و "الشَّوْب" للحَرّ، و(طرطش ثيابه) إذا لطخها بالماء ونحوه، و (كَـــرزَ) إذا وعظ، و (سَكَّر البـــاب) إذا أغلقه، و(السُّكَّرة) القفل الخشبي الذي يثبت به الباب المغلق، و (دَقَّرَه) بمعناه .

ومـــن الفارســـية (الـــبالوظة) للفالوذج وتسميه العرب الرجراجة والرِّعْديد، و (الســـدَّان) مـــن الســـندان وهـــو ما يطرق الحداد عليه الحديد وفصيحه العَلاَة، و (الزَّهْـــر) لفصـــوص النرد (طاولة اللعب المعروفة) تعريب (الزار) بمعنى الحظ، و (لـــداغ) بمعـــنى الهيئة أو السمة الواحدة، و (البَرْطاش) لعتبة الباب السفلى بمعنى (حجـــر واحـــد) لأنها تكون كذلك. و(النربيج أو المربيج) ما يدخَّن في الأركيلة والمصـــريون يســـمونه اللَّـــيْ، و(الأركيلة) من النارجيلة وهي هندية الأصل معروفة ويســـميها الأتـــراك (الشيشـــة) بمعنى الزجاجة و(الجانبازي) الذي يزيد في الثمن وعربيـــته الناجش. و(الخشاف) نقيع الزبيب أو المشمش بالماء الحلو من (خُوْش) أي لذيذ و(آب) بمعنى ماء. و(الخشكار) الدقيق (الطحين) الخشن. و(الدشمان) بمعنى الخصـــم والعدو، و(الجامكيَّة) أي رواتب خدَّام الدولة تعريب (جامكي)، (والبازار) الســـوق، و(البارة) بمعنى القطعة، و(البيكار) من بركار، و(زمُّولة الإبريق) تعريب بـــزول وهو الثدي، و (المارستان) من بيمارستان أي دار المرضى، وبيض برشت في (نيم برشت) أي نصف مشوي .

ومـــن اليونانية (المُخْل) لآلة الهدم، وقيل سريانية، و (الاصطبل) لمربط الخيل، و(الزنطاري) تصحيف الدوسنطارية لمرضى السحج والدَّرَب.

وفي اللاتينـــية (الكـــابوس) لمـــرض يصيب الراقد وفصيحها الجاثوم والجُثام، و (الســـجلّ) لكـــتاب الحكومة. و(البسكوت) لقطع من الخبز معروفة، والبرنيطة للباس الرأس الشائع.

ومـــن اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية) (الحنطة والقمح) للحبوب المتخذ منها الخبز. و (المر) للآلة التي يحفر بها تعرف بالمسحاة. و(العيش) للخبز .

ومـــن العبرانية (القطاني) للحبوب غير الحنطة والشعير، و (الكرسنَّة) لنوع من القطاني لغذاء الحيوانات.

ومـــن القبطـــية (الحَلّـــون) لنوع من الجبن تحريف (الحَلُوم) و(الإردبّ) للمكـــيال المعروف، و(التمساح) لحيوان النيل، وقولهم في الغناء (يا ليلي) بمعنى يا طربي و(كاني وماني) بمعنى السمن والعسل الممتزجين.

ومـــن الحبشـــية (المشكاة) لطاقة غير نافذة يوضع فيها السراج، و(الممبر أو المنبر الكرسي) لموقف الواعظ أو الخطيب، والمصحف للكتاب، والمنافق للخدّاع.

ومـــن الإيطالـــية (الكَرُّوسة) للعجلة التي تجرها الخيل، و(الأسكلة) للميناء الـــبحرية. و(يامـــا) كـــثيرًا مـــا. و(الأفوكـــاتو) للمحامي، و(البنديرة) للعلم، و (الفـــركاتة) لســـفينة بحـــرية، و(الكرنفال) لأيام المرفع قبل الصيام الكبير عند النصارى، و(القرصان) للصوص البحر، و(النومرو) بمعنى الرقم، ويقولون (النمرة) أيضًـــا، و (البَنْدُورة) تعريب (بومي دورا) أي تفاح الذهب، فقالوا أولاً (بوما دورا) ثم أقروا عليها كما رأيت.

ومن الأسبانية (الكبُّوت) لما يلبس فوق الثياب، و(الباتنْته) للتذكرة أو الإجازة.

ومن الفرنسية (الصالون) للردهة ، و(الكوردون) للمحجر الصحي .

ومن الإنجليزية (الترامواي) للحافلة و(الفنغراف) للحاكي.

ومن الألمانية (القرش) للنقد المعروف وقيمته أربعون بارة، وقيل إنه يوناني.

ومن لغة مَلَقَّة (ملعقة)، (الكافور) تحريف الكابور وهو معروف .

ومن الهند الدُرَّة للببغاء، الطائر المعروف (والنارجيل) لجوز الهند.

والألفـــاظ التركية كثيرة عندنا، ولاسيما في سورية مثل (جَبَا) بمعنى مَجَّانًا، و(المـــراق) أي المَيْل و(الكوسة) للذقن الخفيفة الشعر، و(العُرضى) تحريف أوردي بمعـــنى الفيلق، و(التُتُن) للتبغ بمعنى الدخان، و (البقجة) لما تصر فيه الثياب، وسماها القاضي الفاضل (الكـــارة) وفصيحها العكمة، ذلك فضلاً عن ألفاظ أخرى أوروبية مثـــل (البردقان) نسبة إلى البرتغال ولفظـــة (ساتينه للقماش) المعـــروف نقلت عن الأوروبيين نسبة إلى بلدة (زيتون) في الصين حيث كانت تنسج.

التصحيف:

ومـــن التصحيف قولهم (احدف الشيء) أي احذفه، و(هدا) أي هذا و(خزنة الفأس) ونحوها أي خرقها وهي ثقبها الذي توضع فيه عصاها. و(شفشق) تكلم بحماقة مـــن ثفـــثق، و(الســـريجة) للجوالق من الشريجة، وكذلك سرَّج الثوب من شرَّجه و(النفـــناف) الثلج المتساقط ومعه مطر من الشفشاف، و(الفائظ) للفائض وهو أسلوب تـــركي، فكل الألفاظ التي هي بالضاد يلفظها الأتراك بالطاء مثل (ضابط ومضبطة) فيقولون ظابط ومظبطة و(غظ النظر) لغضه. وعامتنا يصحفون الثاء المثلثة بالتاء المثناة فيقولون (اتْنَيْن) في اثْنَيْن و(تَمَر) في ثَمر، و(تِلم) في ثِلم و(التلاتة) في ثلاثة.

وكذلـــك يصـــحفون الشـــين المثلثة بالسين المهملة مثل (سجر) في شجر، ويفعلـــون مثل ذلك في الخاء الموحدة النقطة الفوقية والحاء المهملة مثل (خَسَم) المبلغ أي حَسَمه بمعنى قطعه .

التحريف:

يكـــون بتـــبديل الحـــركات والسكنات في الحروف وهو متفش عند العامة إذ يقولـــون (لـــه صلاحيَّة بهذا الأمر) أي صلاحيَة مثل (كراهيَّة) لكراهيَة، وتشديد المخفف في مثل هذه الصيغ وغيرها من لغة الدواوين، ويقولون (لفلان طمَعيَّة بفلان) والأصـــل طماعيَة فحذفوا وحرفوا، ويقولون أيضًا في أسنانه (حَفَر) أي حَفْر و(حَلَقَة الباب) لِحَلْقَته، قال ابن قتيبة: وليس في كلام العرب حلقَة بفتح اللام إلا حَلَقة الشَّعَر جمـــع حالق نحو كَفَرة جمع كافر. و(الحَلَف) للْحلف بمعنى القسم، و (النَّتِّن) للنَّتْن، و (الْحَـــوْر) للحَوَر، وهو الشجر المعروف ... وَعَشرة على لغة تميم أي عَشْرة للعدد قال أبو هلال العسكري في كتابه (الصناعتين):

" ونحـــن نفهـــم رطانـــة السوقي ومجمجة الأعجمي للعادة التي جرت لنا في سماعهـــا .. لا لأن تلك بلاغة، ألا ترى أن الأعرابي إن سمع ذلك لم يفهمه إذ لا عادة له بسماعه.

وأراد رجـــل أن يســـأل بعض الأعراب عن أهله فقال: كيف أهلِك؟ (بكسر الــلام) - فقال له الأعرابي: صَلْبًا. إذ لم يشك أنه إنما يسأله عن السبب الذي يهلِكُ به أي يموت اهـــ ".

غرابة الاستعمال:

ومـــن غـــرابة الاستعمال تغيير الكلام عن مواضعه فيقولون لكل حيوان ميت (وقيســـة) والأصـــل (وقيصـــة) أي مكسورة العنق، ثم عم استعمالها لكل ميت. و(كلكلت يده من العمل) كأنها من الكلكل لصدر البعير الذي يبرك عليه وفصيحها (جســـأت يـــده) أي خشنت من العمل، وقولهم للقائم (اجلس) وللنائم (اقعد) والصـــحيح العكس أي يقال للقائم (اقعد) وللنائم (اجلس). و (جَرَد الثوب) إذا ذهـــب بعض لونه مأخوذ من جَرَد اللحم إذا عرقه من العظم، والفصيح في تغيير اللون قولهـــم نفـــض الـــثوب وتقول العامة (باخ) أيضًا وهي كلمة مولدة. ويقولون فلان (بقمة) أي كثير البكاء قليل العقل وأصلها بُقَامَة. و(الصلاحية) لكل قصعة وأصلها (الصراحية) لآنية الخمر. ويقولون (هُسّ) أي اسكت مأخوذة من قولهم فلان يهسّ أي يحـــدث نفســـه. ويسمون محل التبن (تبَّان وتبَّانة) وهما لبائع التبن وبائعته ولكن الصـــواب مَتْبَن ومنه يسمون المجرة (طريق التبَّانة). وكذلك (البوابة) للباب الكبير وهـــو اسم لمن يقف على الباب كالحارسة والحافظة. (والخمَّارة) لمحل بيع الخمر وهي اســـم لبائعة الخمر كالعطارة والخبازة وصوابها المخمرة أو الحانة. ويسمون (الساقية) بالـــناعورة لـــدولاب السقي، مأخوذة من صوتها. والمخابرة بمعنى المفاوضة وهي بمعنى المزارعة على نصيب معين، ومثلها المبارحة ولم ترد عن العرب وصوابها المزايلة وتأنيث المذكر مثل الكرسي والوادي كما قال شاعر العرب قبلاً:

يأيها الراكب المزجي مطيته   سائل بني أسد ما هذه الصوت

و(كـــوز الحداد) لمنفخه وصحيحه (كير)، أما الكور فهو موقدته الموضوعة أمام منفخه ليحمى فيها الحديد. قال الشاعر:

سبكناه ونحسبه لُجَينا فأبدى الكِير عن خَبَث الحديد

وقولهم (طير جُوّي وبرِّي) نسبة إلى جَوًّا وبَرًّا ويقولون (جوَّاني وبرَّاني) للمكان، ويستعمل لذلك من الفصيح قولهم الداجن والآبد للطيور وداخلاً وخارجًا للمكان (وبصبوص العين) أي إنسانها وبؤبؤها ولعله مأخوذ من بصبص الجرو وبصَّ إذا فتح عينيه أو من البصَّاصة أي العين.

و (كردسه) أي جمعه من الكردوس وهو قطعة عظيمة من الخيل. ويقولون (جلف يده ونحوها) إذا جرحها وأصل المعنى جلف الظفر إذا اقتلعه وأما جلف يده فيقولون فيها جرح يده.

ويقولون (خمّس) أي ضع أصابعك الخمس في أصابعي الخمس، وذلك كناية عن الاتحاد والارتباط. وافرك له أذنه من فركت الأذن إذا استرخت فكأن المراد جذبها لتسترخي أو هي من الفرك بمعنى الحك.

و (فقر الشيء الأجوف) إذا شقه؛ فهي إما مأخوذة من بقر بالإبدال لقرب المخرج إذ يقولون بقر بطنه أي شقه، وإما من فَقَره بمعنى كسر ظهره وعمم استعمالها. و (انخرع فلان) أي تخنَّث وتدلل كأنها من الخرع وهو لين المفاصل. وفلان (ينقّ وينقتق) من النقنقة وهو صوت النعامة، و (خَرْنق) إذا تكور على نفسه كأنه من الخِرْنِق وهو ولد الأرنب لأنه يفعل مثل ذلك. ومديون عوض مدين وهذه لغة تميم ومصاغ عوض مَصُوغ. و (لأّ) في لا النافية على لغة تميم أيضًا.

ويقولون للص (الحَرَامي) وهي مأخوذة من تعيير بني سعد لبني حرام وهما من الأوس والخزرج كانا متعاديين مثل قيس ويمن، فكان السعديون يقولون (الحرامي) لمن يستحقرونه ويريدون به الخبيث واللص.

عكس المعنى:

يقولون سأفعل هذا الشيء من كل بدّ أي وجوبًا فعكسوا المعنى؛ لأن المفهوم من قولهم (بد) مانع. فكأنهم يقولون سأفعله من كل مانع والمراد العكس. فالصواب

أن يقولـــوا مـــن (غير بد) أي من غير مانع. ويستعملون كلمة (الشاطر) للحاذق وهي بمعنى الخبيث .

ارتجال الألفاظ:

وهو النطق بألفاظ مرتجلة يصعب ردها إلى لغة أو توجيه معناها لما يفيد أصلها. وقد تكون محرفة بعيدة عن أصلها مثل (صوص الدجاج) للقُوب. و(نخت السماء) أي أركّـــت إذا أمطرت رذاذًا. و(الجَمْزِينَة) للعُثْمرة وهو من العناقيد العنبية ما امُتصّ مـــاؤه وبقـــي قشره وثُفَالته، و(الجفِت) لما يبقى من الزيتون والخرنوب ونحوهما بعد العصـــر، وأصل هذا المعنى قشر البلوط الداخلي. و(الشرانق) للفيالج وهي قشرة الحية. و(الرجمة) لكل حجارة منضّدة وأصلها للحجارة التي تركم على القبور.

تغيير الألفاظ عن وضعها:

وذلـــك بما يعرض عليها من تأثير الألسنة، أو البعد عن الأصل أو مزج كلمات وأخـــذ بعضـــها بزيادة أو نقصان، فيقولون (جاب الشيء يجيبه) إذا جاء به فتوهموا حـــرف الجر من أصل الكلمة وألحقوه بالفعل، و(لعلب الكلب لسانه) أي لعلع بلسانه إذا دلعـــه عطشًا. و(البحص) للحصى، فكأنهم نقلوا الكلمة ومعها حرف الجر مثل (رجمه بحصى) مثلاً فأخذوها على لفظها أو هي مقلوب حصب.

الألفاظ الفصيحة في اللغة العامية:

كـــثيرًا ما نرى ألفاظًا عامية تطرق أسماعنا فنظنها بعيدة عن الفصحى وهي هي منها أهملت بالاستعمال وبقيت في العامية فقط.

مـــن ذلك قولهم (هج) فلان إذا تاه في البلاد، قال ابن تغري بردي في كتابه (النجوم الزاهرة) وهو المتوفى سنة (٨٧٤هـــ = ١٤٦٩م) الجزء الثاني والصفحة ١٥٨ (ثم أمَّـــنهم فهـــج أهـــل قرطبة إلى البلاد). وكذلك كلمة كَعَّ أي عجز عن الشيء ويحرفونها (كِعِى) أيضًا، وقد وردت في كلام الفصحاء بهذا المعنى .

ولـــو شـــئنا اســـتقراءها لطـــال بنا نَفَس الكلام، وكلها تعرف من البداهة أو بالبحث ومراجعة المعجمات.

الختام:

هــــذه هــــي لمحة من ألفاظ اللهجة العامية وشؤونها، أوردت فيها أمثلة قليلة من كـــلام كثير شائع بيننا جمعته بمعجم مطول لا يزال مخطوطًا كما جمع غيري مثل ذلك أيضًا، وهذه الكتب عددتها في مقالتي بالجزأين الماضيين من مجلة المجمع[1].

وســـأنتقل إلى البحــــث فيما يوجد من بقايا القواعد اللسانية في لهجاتنا العامية فيما يأتي، إن شاء اللـــه.

* * *

---

(١) انظر مجلة المجمع ج ١ ص ٣٥٠، ج ٣ ص ٣٤٩.

من قصة العامية في الشام(*)

للأستاذ سعيد الأفغاني

عضو المجمع المراسل

يعتري بعض الكلمات ما يعتري حياة الأحياء: ميلاد فترعرع فتقلبات في أطوار بعد أطوار، ثم تضاؤل أحيانًا فممات، وهو ما يعبر عنه بـ (حياة الألفاظ)، وما أرى أن كلمة (حياة) وافية؛ لأن الحياة تنقضي بممات، وقلما ماتت الكلمات على مدى الأزمان، إنما تهمل فتنسى فترقد في المعجمات أو الكتب ثم يجدّ من الحاجة ما يبعثها من مرقدها، وأوفى من كلمة (حياة) عندي أن نقول (تاريخ الألفاظ)، فلكثير من الكلم سجل حافل لا يبدو للعيان، ويحظى المتتبع بصبر ودأب على اكتشاف أكثره.

وما استمتع باحث لغوي استمتاعه ببحث وفق صاحبه إلى بعث ما خطت الأزمان في هذا السجل من تحولات.

قدمت هذا لأقول إن ما صح في الكلمات يصح في اللهجات المحليات ألفاظًا وأصواتًا ومركبات، وإذا رجع أحدنا بذاكرته إلى عهد صباه يعرض لهجات الباعة حينئذ من جزار وبقال وخضار وبزاز وخياط ونجار وحداد من مستقر في دكانه وجوال، ويقابلها بلهجات أمثالهم لعجب كيف تقلبت هذه اللهجات في السنين القلائل على ألسنة الصغار والكبار.

أذكر أني منذ ثلاثين عامًا كنت في زيارة الأستاذ الفقيد محب الدين الخطيب في مكتبة السلفية المعروفة، وكان فارق الشام[1] سنة ١٩٢٠ محكومًا عليه غيابيًا بالإعدام

(*) انظر التعقيبات على البحث في محاضر جلسات مؤتمر الدورة الرابعة والأربعين (الجلسة الثانية، في ١٤ من مارس سنة ١٩٧٨م)، ونشر البحث بمجلة المجمع، بالجزء الحادي والأربعين، ص ٣ – ٨ .

(١) الشـام عند العرب يشمل الأجزاء الآتية (طبقًا للتقسيمات الإدارية اليوم تقسيمات " سايكس بيكو ") : لواء إسكندرونة، وسورية، ولبنان، والأردن، وفلسطين، أي من جبال طوروس شمالاً إلى سيناء والبحر الأحمر جنوبًا، ومن العراق شرقًا إلى البحر المتوسط غربًا.

مــن المجلس الحربي الفرنسي لإسهامه في حرب ميسلون، ثم استوطن مصر وأنشأ مجلة الزهــراء الشهرية، ومجلة الفتح الأسبوعية - زرناه فطفق يحدثنا عن بعض تاريخ القضية العربــية (وقــد ذهب معه كثير من تاريخها الصحيح) ثم جره الحديث إلى ذكرياته في دمشــق وإلى قصــة جــرت فيها قديمًا وهو صبي، فجرى على لسانه تعبير لم أفهمه، وكــان عــنده ابن أخته الكاتب الأديب المعروف الأستاذ علي الطنطاوي، فسألته بعد خروجــنا: (هل سمعت هذا التعبير؟ وما معناه ؟) فقال: (لقد سبقتني، أنا نويت أن أســألك). (وحاولنا التذكر فأخفقنا، ثم قلنا: هو مما مات من العامية الشامية لا يعرفه إلا المعمَّرون. واليوم نسيت أنا هذا التعبير ولما يمض عليه الثلاثون من الأعوام.

نشــر التعلــيم في الشام وغيره أول هذا العصر تكفل بأمرين: أولهما الارتفاع بــتلك اللهجات في هذه السنوات الستين، وثانيهما تقريبها من الفصحى المألوفة، حتى صــار الــبون شاســعًا بين العامية القديمة والعامية الحديثة، وبان على هذه أثر الثقاف والــتطويع، وحلــت الفصاح على ألسنة العوام محل الكلمات العاميات بالمئات، فإذا حدثــك الــيوم جــزار أميٌّ حديثًا ما، أمكنك بشيء من اللمس الخفيف من إعراب وتبديل بعض كلمات أن تنشره في جريدة أو مجلة، وكنت قبل ستين عامًا تترجم مثله إلى لغة الكتابة ترجمة.

هــذا عمــل الزمن من حيث لا نشعر، ولكن ماذا عن الفئة الواعية الرائدة من الجيل الماضي الذي فتح عينيه على عصر جهل وظلام؟

إن بحثًا جرى بتحرٍّ وأناة أرشد إلى أنهم كانوا والنهضة في كل ميدان على قدر، لقــد أوتوا من العزائم ما ألحقهم بأصحاب الرسالات في أممهم، ولم يكن يرضيهم في ميدان اللغة إلا أن تعم الفصحى الأصلية المدارس والدور والأسواق، أو كما يعبر بعض إخواننا في مصر: كانوا " حماميز فتح اللــه " في الشام والآستانة معًا، ألفوا الجمعيات وأقــاموا الــنوادي ونشــروا غــرف القراءة في الأحياء مطلع هذا القرن، وحرموا في مجالســهم الكلام بغير الفصحى، بل إن أحدهم وهو الأستاذ محب الدين الخطيب أراد

للفصحى أن تحتل مقاهي الآستانة التي يرتادها العرب، فحث رفاقه الشبان على هجر المصطلحات التركية والفارسية حين يلعبون النرد، وأن يقولوا مثلاً: (ستة خمسة) بدل (شيش بيش)، فاستجابوا له وصاروا ملفت الأنظار والأسماع في المقهى، بل إن بعضهم يأتيه السائل في مقهى بدمشق يستجدي فيعلمه ما يقابل جملته بالفصحى، فإن أداها سليمة أعطاه، فصار المستَجْدُون يلقن بعضهم بعضًا ماذا يقول لهؤلاء الأفندية حتى يحظى بـ (المتليك)[1].

حمل جو الشام طابع هؤلاء الرواد المتحمسين، وما أزال أذكر كيف كنا - ونحن أطفال - في مدرسة أولية خاصة لا نتكلم في الفسح بين الدروس إلا بالفصحى التي نستطيعها، وأشد ما يحاذر أحدنا أن تنتهي الفسحة وخشبة الرصد (السينال) في حوزته فيسجل عليه الرقيب حينئذ درجة في سوء السلوك. وكان إشفاقنا بالغًا على الأطفال الذين نقلهم أولياؤهم من مدارس الحكومة البعيدة إلى مدرستنا الخاصة هذه، وذلك في سنة ١٩١٨م آخر العهد العثماني في الشام إنهم في أيامهم الأولى كثيرا ما تسبقهم ألسنتهم حين يُنَادَوْن في التفقد الصباحي فيجيبون بكلمة (أفندم) المألوفة في المدارس الرسمية، فيخرجون إلى وسط الباحة يتلقون على أكفهم المبسوطة الضربات المقررة من عصا الرقيب؛ إذ كلمة الجواب الواجبة في مدرستنا هي (لبيك).

وما ننسى لا ننسى التمثيليات التي تعدها المدرسة للاحتفالات السنوية يدعى إليها أولياء الطلاب وفريق من الوجهاء، وهي في جملتها تاريخية أو اجتماعية، وفيها دور قصير يؤدى بالعامية البلدية، هو مجلبة الترفيه والضحك من النظارة ولا سيما الأميين منهم لنشازه البارز.

حتى الصحافة، غالى بعض أولئك الرعيل فأراد للغتها أن تكون مسجوعة من النمط العالي في رأيه يومئذ، فهذه جريدة (لسان الحال) الصادرة في بيروت، من

---

(١) انظر كتابه (محاضرات اللغة العربية) ص٣٧ (الطبعة الثانية ١٩٧١م). والمتليك: نقد تركي معدني يعادل قرشين ونصف قرش.

ســاحل الشام سنة ١٨٧٧م، التزمت في افتتاحيتها الفصحى المسجعة، بدأها صاحبها خلـيل سـركيس بقولـه: " الحمد لله الذي يسبح بحمده في الغدو والآصال، وينطق مفصحًا بتعداد آلائه (لسان الحال) ... حمدًا يدوم آناء الليل وأطراف النهار، ما غرد قمري وترنم هزار ... " (١)

وأعجـب مما تقدم محاولة قام بها المرحوم أمين آل ناصر الدين لإصدار جريدته كـلها نظمًـا، وقد جاءت الأخبار فيها منظومة نظما فيه رشاقة وإصابة محزّ، وخفة روح أحـيانًا: اجتاحـت عاصفة ناحية (جزّين) وسببت خسائر قدرت بمليون قرش فقالت الجريدة تصف حوادث العاصفة:

عصفت بجزين العواصف حيث اقـ	تلعت بها الأشجار من جوف الثرى
ولقد غـدا شجر الصنوبـر مالئًا	تلك الربوع، وبالألـوف تقـدرا
والجوز والزيتون خـرّ كذا الأجـ	ـرُّ عـن المنـازل طُيِّـرا
أما الخسائـر فهـي بالغـة بهـا	مليون قرش ، إن ذا قـدر جرى
وديار (تيما) لم يعـد لسقوفها	أثر وقد أوت الوحوش إلى القرى
والثلج قـد غطـى الديار جميعها	وانسدت الطرقات حتى لا تـرى
وقضى مكار في الطريق لعظم ما	قاسى ، وآخر في الثلـوج تعفرا

وزارت مدرعة ميناء بيروت فورد خبرها هكذا:

أرست بميناء بيـروت مدرعـة	لها لواء على (توفنل) معقود
ومذ رست أطلقت حالاً مدافعها	تحية، إن هذا الأمـر معهـود
وقلعة الثغر قـد ردت تحيتها	إن السلام لمن أداه مـردود(٢)

وكلـنا يذكـر انتفاضات شعب (البوير) على الاستعمار البريطاني في جنوب أفريقـيا، والحرب التي شنها في الترنسفال فكانت الخاتمة الحزينة لعهد الملكة فيكتوريا،

---

(١) مجلة الجندي الدمشقية الصادرة في (٦ - ٢ - ١٩٦٢)، العدد (٥٤٢) تحقيق الأديب باقي.

(٢) المصدر السابق.

إذا كانت عواطف الجماهير مع شعب (البوير). وتموت الملكة فيكتوريا سنة ١٩٠١ ويؤبـــنها رئيس مجلس النواب النمسوي بكلمة مجاملة مثنيًا عليها، فيثور المعارضون في المجلس وتقوم الضجة، وهذا نص الخبر في الجريدة:

جرى في مجلس النواب شيء ... يدل على التعصب في الأمور

فـــإن رئيسه أســدى مديحاً ... إلى فيكتوريـــا ذات السريـــر

ترحـــم فـــي مقالتـــه عليها ... وأتبع ذاك بالأســـف الكثير

فحزب (الرادكال) استاء منه ... وأصبح منـــه فـــي غيظ كبير

فصاحوا كلهم غيظًا وحقدًا ... ليحيا مظفرًا شعب (البوير)[١]

نشـــرت الافتتاحية المسجعة سنة ١٨٧٧م قبل مائة عام كاملة، وكانت الأخبار المنظومة شعرًا سنة ١٩٠٩م أي قبل ثمانين عامًا، في عنفوان عهد التتريك الذي مارسه حزب الاتحاد والترقي بعد خلع السلطان عبد الحميد، وأظن هذا كافيًا في الدلالة على روح الشام الأصيلة في تشرب الفصحى وجريان حبها في أهله مجرى الدم من العروق، وعلى أن كل نزعة مخالفة هي نزعة مزورة أجنبية، وستبقى مهما يطل الزمن بها ومهما يطل إلف محترفيها لها، أجنبية عن الشام وسائر الأقطار العربية[٢] .

* * *

هـــذا قـــبل مئة عام، واستمرت الجهود في بعث الفصحى تترى، ومن كثرة ما كـــنا نســـمع في صبانا من تنفير من العامية وتحبيب بالفصحى، انتقل التشاؤم بالعامية إلى القـــرويين وتحفـــظ ذاكرتي نزهة ربيعية قمت بها مع أبي - رحمه الله - في غوطة دمشـــق يوم جمعة، فلما حانت الصلاة قصدنا مسجد قرية قريبة، وكان الخطيب يقرأ مـــن كتاب، شأن أكثر خطباء القرى يومئذ، إلا أنه قبل أن يجلس بين الخطبتين توجه إلى القرويين يحذرهم بلهجتهم الدارجة من أمر فشا بينهم، فلما قضيت الصلاة واتجهنا

---

(١) المصدر السابق.

(٢) من حاضر اللغة العربية ص ١٦٦.

نحـــو الباب إذا أحدهم يسأل جاره بصوت مسموع: (ألم تفسد صلاة الجمعة بقطع الخطيـــب الخطبة والتكلم بالعامية؟) فكان الجواب: (إنا للـــه! نعيد الصلاة واللـــه يعفو ويسامح)!

صار من دأب المتعلمين والطلبة عيب من يسبق لسانه بكلمة عامية، وكنت قد ظفـــرت قـــبل سنوات ببعض قصيدة تعكس الروح السائدة قبل سبعين سنة لم تنشر واحـــتفظ بهـــا أحد معارفي، نظمها صاحبها الشيخ أبو السعود مراد سنة ١٩٠٨ أيام العهد العثماني منفرًا من العاميات الدارجة، وضاربًا على قبحها الأمثلة، ومن أبياتها:

أسفًا لغـــة العرب الفصحى ... قـــد ضاعت منـــا بالعمد

واليـــوم تـــداولنـــا لغـــة ... عوجـــاء مذبـــذبـــة القصد

ملئت ألفـــاظًا موحشـــة ... ما فيها مـــن معنى يجـــدي

والعـــالم لا يتحـــاشاهـــا ... فضلاً عـــن ذي الجهل الضد

فاسمع بعضًـــا منهـــا فيما ... ألقيـــه إليك ومـــا أبـــدي

زعوط نطنط أه يا مبطبط ... حاجة تعطعط احفظ عهدي

إيوا إيوا، لك لك هي هي ... أه أه شوشو؟ دس دس خدي

وطلع من طيز الصبح ومن ... علبكـــرا فـــي وأت البرد

أرجيني، يا روح ، يصطفلو ... ضهرك بالك، أوعا، دي دي

مأمـــأ مأمـــأ ، سفـــأ لحأ ... بلأشـــلأ فايت يحدي ...[١]

وبعـــض هذه الكلمات لم أسمعه ولا عرفت معناه فقد مات، وعلى هذا تكون الصرخة في تنقية اللغة من العامية قديمة في الشام.

* * *

ثم وقـــع الاحـــتلال، وبرزت مراكز أجنبية تغذي الدعوة إلى العاميات المحلية، وهيـــئ لهـــا المال والمنابر والعملاء والنشرات، وعمل لها المحتلون في الخفاء. وأذكر أن

---

(١) المصدر السابق ١٦٥.

أحد رؤساء بلدية دمشق أيام الاحتلال - وكان على مجاملته للمحتلين صادق الوطنية - جــاء عــلى لسانه خطأ من حيث لا يشعر كلمة (اللغة السورية والشعب السوري) مـــن كـــثرة مـــا سمعها من هؤلاء العملاء، فأوسعته الصحف الفكاهية المصورة تهكمًا وتنكيتًا، وتصدت له الصحف اليومية، فلم تنبس شفتاه بعدها بـــ (السورية) ألبتة.

ظهـــر للمحـــتلين تجـــاه هذه الوطنية العنيفة عقم محاولتهم، فطووها من داخل الشـــام (حكومة سورية حينئذ) بعد أن ضُحك عليها، وركزوا جهودهم في الساحل (حكومة لبنان الكبير يومئذ) حيث كانت لهم فيه قبل الاحتلال بأكثر من ثمانين سنة مراكـــز وجهود سابقة في خلق تكتلات ونزعات طائفية، وأذكوا بين الطوائف العداوة حـــتى عـــمَّ الجو الكراهية يتعامل بها بعض الطوائف، والتزموا من بينها طائفة واحدة يقوونهـــا في مجتمع الكراهية هذا، ويوجهون عملاءها وإمعاتها في كل دعوة إلى تفرقة أو تميـــيز أو انفصال، ومن ذلك التشكيك في أصلهم العربي وصلاح لغتهم الفصحى والحرف العربي والثقافة العربية جملة مما عرضت له في غير هذه الكلمة.

ثم اســـترحنا مـــن ذلك كله في داخل الشام، وخفت مع الزمن - بعد الجلاء - دعايـــة الشـــر هـــذه في ساحل الشام، وإن كانت تطل من جحورها الباقية بين الفينة والفينة تزعج الآمنين المطمئنين على أوطانهم ولغتهم ومقوماتهم واستقلالهم. وقد انبرى لهـــؤلاء الكـــارهين المكـــروهين، أفاضل من كرام اللبنانيين ذوي الأصالة[1]، أوضحوا للناس زيف دعاواهم، فاضحين ما وراءها من سموم التبشير والاستعمار. وكنت أحب ألا يعرضـــوا لهـــم، فإن ما يقطر من دعايتهم من لوم الطائفية وخبث الأجنبية كاف لتزييفها حتى في أعين العوام.

إني لا أرى لأحـــد من أهل الفضل والغيرة أن يشتغل بالرد على كل ناعق، فإن ذلـــك يثبـــت لهم وجوداً وهذا كل ما يبتغونه؛ إذ هو المسوغ الوحيد لإدرار الأموال

---

(١) أذكـــر مـــنهم الآن على سبيل المثال : الأستاذ عمر فروخ عضو هذا المجمع الكريم وكتابه (القومية الفصحى)، والدكتور سعيد شهاب الدين ورسالته (دعاة العامية هم أعداء القومية العربية) .

الأجنبـــية علـــيهم، فلندعهم وما اختاروا من معاش، ولنمض قدمًا في محجتنا البيضاء النقـــية لا يلهيـــنا عـــنها معوقون نصبوا ذات اليمين أو ذات الشمال، نبني متممين ما بدأتـــه الأجيال الصالحة من قبلنا، وممهدين لأجيال بعدنا نرجو أن تكون أصلح بعون اللـــه .

* * *

أصول ألفاظ اللهجة العراقية(*)

للأستاذ محمد رضا الشبيبي
عضو المجمع

حضرات السادة الأجلاء،

يشهد مؤتمر المجمع اللغوي في دورته الثالثة والعشرين دورة فذة في بابها. حامت الأوهام والظنون حول انعقادها بعد حوادث العدوان الأخير، ومن يدري لو استمر هذا العدوان الغادر الأثيم، أكان من الميسور لنا عقد هذا الاجتماع وشهود هذا الاحتفال ومزاولة الأعمال التي تداول هنا في خدمة اللغة والآداب؟ ولكن الله تعالى خيب فأل المعتدين.

كانت مصر إلى عهد قريب ربة القلم والبيان، فأصبحت الآن بعد استبسال أبنائها البررة وتفانيهم في الدفاع عن حوزتها والذود عن حياضها ربة السيف والسنان وربة القلم والبيان. فحيا الله أرواح شهدائها الأبرار الذين أرخصوا مهجهم الغالية حتى سقطوا في ميدان الشرف. وأمتع هذه البلاد بالأحياء من أبنائها الواقفين بالمرصاد لكل من تحدثه نفسه بالعدوان.

حضرات السادة الأجلاء،

إني أنتهز هذه الفرصة لأبلغ إخواني المصريين تحية الشعب العراقي وإكباره أيما إكبار لبطولة أبطالكم المجاهدين. فما إن ذاع على ضفاف الرافدين نبأ العدوان على " بور سعيد " أقول برسعيد لا بور سعيد نزولاً على رأي الزميل الكريم الدكتور (أحمد زكي)، حتى هب الشعب العراقي بأجمعه من هضاب الموصل شمالاً حتى خليج البصرة جنوبًا ومن السليمانية شرقًا حتى الرمادي والنجف والسماوة غربًا مستنكرين ذلك العدوان المبيت على مصر والبلاد الشرقية. وتداعوا للتضامن والتعاون مع إخوانهم

(*) نشر البحث بمحاضر جلسات الدورة الثالثة والعشرين – الجلسة الافتتاحية للمؤتمر، ٢٨ من يناير سنة ١٩٥٧م. ونشر بمجلة المجمع، بالجزء الثالث عشر، ص ١١١.

هـــنا، وتنادوا لمواساقمم في محنتهم، يدفعنا نحن العراقيين إلى ذلك شعور صادق بأن في سـلامة مصـر وظفرها بأمانيها وخلاصها من محنتها وانقشاع شرور الاستعمار عنها ظفـرًا ونجاحًـا لـنا ولسائر الأقطار العربية والشرقية، حتى سجل كثير من العراقيين أنفسـهم في سجلات المتطوعين، وجاد من جاد منهم بما ملكت يمينه، وكم من كريمة أو آنسة مصونة تبرعت بأقراطها وأسورتها وعقودها في هذا السبيل. هذا إلى غير ذلك مـن صور المواساة والتضامن التي يضيق الوقت عن استيعابها لكثرتها وتنوعها. فأسأل اللـه العلي القدير أن يأخذ بناصر المجاهدين وأن يرد كيد المعتدين إلى نحورهم، وأن يحقـق مـا نصبو إليه ونجاهد من أجله من سيادة وكرامة وحرية إن شاء الله وهو ولي التوفيق.

هذه نفثة مصدور جاشت بها النفس في هذا الموقف، والآن حان أن أنتقل بكم إلى موضـوع كـلمتي في برنامج هذه الحفلة والكلمة عبارة عن بحث تاريخي أدبي أو لغـوي في أصـول ألفاظ اللهجة العراقية وفي علم اللهجات ووسائل النهوض باللغة، ويـلي ذلـك معجم موجز في أصول بعض الألفاظ الشائعة في لهجة التخاطب العراقية والمقارنـة التأريخية بين الماضي والحاضر في ألفاظ هذه اللهجة تيسر لي تأليف رسالة في الموضـوع المذكور نشرت قبل أسبوع فقط في العراق. وهذه الرسالة خلاصة تعليقات وتقييدات ومطالعات وقراءات بعيدة العهد، بيد أنها كانت مبعثرة يعوزها التنسيق. وقد عـن لي الآن أن أجمع شتاتها وأضعها بين يدي المعنيين بأمثال هذه الدراسات خصوصًا زملاءنـا الكـرام في المجمع اللغوي ومستشاريه وخبرائه الأفاضل - وهذا حين أشرع بالمقصود.

اللهجة العراقية:

اسـتولى المغـول على العراق في أوائل النصف الثاني من المائة السابعة ودخلوا بغداد، فانقرضت الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ وظهرت الدولة الإلخانية التي حكمت فـيما حكمت فارس والعراق ثمانين سنة أو نحو ذلك. وفي عصر الانقلاب المغولي هذا

تغـــيرت أشـــياء كثيرة. تغيرت العادات والرسوم والآداب واللغات. وكان نصيب لغة العراقـــيين من التغير والتأثر في الانقلاب المذكور نصيبًا موفورًا فقد تسرب إليها كثير مـــن المفـــردات والمركـــبات والمواد والأساليب الإنشائية الفارسية والتركية والمغولية بالإضـــافة إلى مـــا كـــان قد تسرب إليها من قبل ذلك من اللغات الهندية والآرامية والســـريانية وغيرهـــا من اللغات. ولنا أن نقول استنادًا إلى الأساليب التي اتبعها بعض مؤرخـــي العصر المذكور وأدبائه وغيرهم في التأليف: إن لهجة جديدة أو غريبة ولدت في العـــراق وهـــي الـــلهجة الشائعة الآن على ألسنة العراقيين، أو شبيهة بها. وقد نقرأ صـــفحة أو صـــفحتين من بعض الكتب التي وضعت في عصر المغول فيخيل إلينا أنها كتبـــت باللهجة الشائعة في عصرنا هذا. والأمثلة على ذلك كثيرة في تلك المصنفات. ومـــن ذلك يستفاد أن لهجتنا الشائعة اليوم أو لهجة جمهور العراقيين المحكية الآن كانت دائـــرة عـــلى ألســـنة أسلافهم القدماء نحوًا من سبعمائة سنة، خلافًا لما يظنه كثير من الـــناس الذين يتوهمون أن هذه اللهجة اللغوية الشائعة الآن في العراق ليست لهجة قديمة وما أكثر الشواهد على ذلك كما سنراه.

العادات:

مـــا يقـــال عن تاريخ اللهجات في هذا الصدد يقال عن تاريخ بعض العادات والأوضـــاع الاجتماعية والأخلاقية الشائعة اليوم في العراق فإنها وليدة أواخر العصور العباسية ثم العصور المغولية.

ومـــا أكـــثر العادات والأوضاع الاجتماعية واللغوية التي انتقلت إلينا من تلك العصـــور، فكـــثير من هذه العادات المألوفة في العراق وكثير من الأوضاع الاجتماعية والآداب وجملـــة مـــن الخـــرافات والخزعبلات ليست بحديثة العهد، بل هي أوضاع وعـــادات وآداب وخـــرافات كانت معروفة في المائتين السابعة والثامنة أي في أواخر عصـــور الدولـــة العباسية وأوائل عصور الدولة الإلخانية خذ مثلاً: إقامة مجالس العزاء والهـــناء كمـــا تقام اليوم وإنشاد الشعر في المجالس المذكورة فإن ذلك كان معروفًا في

العــراق. وهكــذا التصــديق بضروب من الخرافات والأباطيل والأحلام وألوان من الدجــل والشــعوذة، كان شائعًا في العصور المذكورة كما يستفاد من النظر في كتب التاريخ والأدب التي وضعت في تلك العصور.

لقــد اســتدرجني البحــث في تاريخ العراق على عهد المغول ودارسة شؤونه، إلى الــنظر في أصــول الــلهجة العراقــية المعروفة الآن، وصلتها بلهجة أبناء المائتين الســابعة والثامــنة مــن العراقيين، فظفرت بمجموعة من المواد اللغوية مفردة ومركبة ونــبذة من الأساليب التي كانت شائعة في عصر المغول، وقارنت بينها وبين أمثالها من المفردات والمركبات الشائعة على ألسنتنا اليوم، فخرجت من ذلك بأن لهجتنا الحاضرة لا تخــتلف كــثيرًا عــن لهجــة العراقيين القدماء في عصر مؤلف كتاب (الحوادث الجامعــة) وعصــر مــؤرخ العــراق ابــن القوطــي وأمــثالهما من مؤرخي عصر المغول.

إن هذه الدراسة وإن لم تبلغ حد الكمال و لم تصلح أن تكون بحثًا علميًّا تحليليًّا في تكــون الــلهجة الشائعة بين أبناء البلاد على وجه يتضح فيه تطورها وخصائصها ومقارنــتها بغيرها من اللهجات المألوفة في بقية الأقطار العربية وإيراد الأمثلة والشواهد عــلى ذلــك بمــواد هذه اللهجات والأمثال المضروبة الدائرة على ألسنة المتكلمين بها نقــول: إن هــذه الدراسة وإن لم تبلغ تلك الغاية الفنية التي نصبو إليها إلا أن بحثنا في منشــأ اللهجة العراقية الشائعة الآن وفي تاريخ تطورها وتأثرها بالأحداث والانقلابات التاريخية لا يخلو على كل حال من فائدة هذا من جهة، كما أنه بحث يستفيد منه من يعنى بأحوال الشعب ومظاهر حياته والمستوى الذي بلغه من الحضارة من جهة ثانية .

والخلاصــة: لا يخلــو هــذا البحث من فائدة لمن يعنى بعلم اللهجات أو علم اللغات المقارن، فهذه اللهجة المحكية الآن قديمة، وهي تخالف أمها الفصحى في كثير من أوضاعها وتصاريفها وحركات إعرابها ونغمتها وجرسها وما إلى ذلك .

تبدلـــت بعـــض الألفـــاظ العربية الشائعة في اللهجة العراقية كما نراه في هذه الدراسة تبدلاً جوهريًّا حتى ليخيل إلينا أنهـــا مـــن لغـــة أخرى غير العربية، ومع ذلك يلاحظ أن العراقيين حافظوا على النطق بها على طول الزمان وتطاول العصور .

عولـــنا في هـــذا البحـــث على بعض المصنفات التاريخية واللغوية والأدبية التي وضـــعت في عصـــر المغول أو في أواخر عصور الدولة العباسية، ومن بين تلك الكتب والمراجع ذلك الجزء التاريخي الذي نشر في بغداد سنة ١٣٥٢هـــ (١٩٣٢م) منسوبًا لابن الفُوَطي واختير لـــه اسم (الحوادث الجامعة)، وهـــو اسم كتاب ورد في قائمة مؤلفات المؤرخ المذكور . على أننا وافقنا على هذه التسمية المختارة لهذا الجزء التاريخي في هذه الدراسة وغيرها من الدراسات . عنيت بدرس الكتاب المذكور الذي نجهل اسمه واســـم مؤلفه في الواقع فوجدته كتابًا يصح الاستناد إليه في البحث عن تاريخ اللهجة العراقـــية، وكيفية انتقالها خلال العصور إلينا، ومقارنتها باللهجة المحكية في العراق هذا اليوم .

مواد اللهجة العراقية :

نظرة في تقسيمها

تنقســـم مـــواد اللهجة العراقية كما نجدها في (كتاب الحوادث الجامعة) وفي كتب أخرى وضعت في العصر الذي وضع فيه هذا الكتاب إلى أقسام :

١ – ألفاظ دخيلة من اللهجات الفارسية والمغولية والتركية التي عرفت في العراق بعـــد اســـتيلاء المغول على البلاد، وربما كانت بعض هذه الكلمات الدخيلة أو العامية العراقـــية والمولـــدة ممـــا لم نعرفه بين الألفاظ الدخيلة أو المعرفة أو المولدة المعروفة. بل وردت عـــلى لهجتـــنا في أواخر عصور العباسيين وعصور المغول من بعد ذلك. فأذكر بعـــض المـــراجع التي وردت فيها وتاريخ ورودها إذا أمكن، وأقارن بينها وبين ما يراد مـــنها في لهجات الأقطار العربية الأخرى أحيانًا. وأذكر الكلمة الفصيحة التي تدل على معناها واستعملها الفصحاء على قدر الإمكان .

ولا علاقـــة لهذا البحث بالكلمات العراقية المولدة في أواخر عصور العباسيين، فـــإن ذلك موضوع جدير بدراسة مستقلة؛ إذ جرت كما لا تخفى على ألسن أولئك المولديـــن العراقـــيين القدامى ألفاظ خاصة بلهجتهم لا تعرف في غيرها. فكم قال لنا اللغويـــون: هذه لفظة سوادية، وهذه كلمة بغدادية، وتلك لغة بصرية وهو كثير. من ذلـــك مـــثلاً كلمة " ربعة " لصندوق أجزاء المصحف الكريم قالوا هي " بغدادية "، وكـــلمة " قـــراح " لبستان البقول خاصة بغدادية كذلك . وكلمة " جوخان " قال اللغويـــون الجوخان للثمر بلغة أهل البصرة كالكدس للحبوب، وكلمة "سابل" للغرارة الـــتي تعمل من أغصان الشجر أو الخوص قالوا إنها سوادية، وكلمة " وفر " بمعنى الثلج عراقية لا يعرف بهذا المعنى في لهجة أخرى ولا في المعجمات .

٢-ألفـــاظ عربـــية مولدة، استعملت في موارد لم يرد عن العرب استعمالهم لها فـــيها، إذ إن الضـــرورة دعـــت إلى استعمال كثير من الموارد أو الألفاظ الجديدة بين أفعـــال وأسمـــاء إلى صـــيغ ومشتقات أخرى، فإذا نحن أحصينا هذه المواد ودرسنا ما اســـتعمل مـــنها في العراق وحده فقط. أو فيه وفي غيره من الأقطار العربية انتهينا إلى معرفة النوعين الآتيين من تلك المواد:

أ-الألفـــاظ الـــتي تستعملها الشعوب العربية كلها أو جلها في لهجاتها ولا ذكر لهـــا في المعجمـــات، وهذه تدعو الضرورة إلى النظر في قبولها؛ لأن اتفاق أبناء الأقطار العربـــية عـــلى استعمالها دليل على أنها عربية الأصل، وإن أغفلتها كتب اللغة، وكم فـــات المعجمـــات العربـــية من مواد وألفاظ تعثر عليها في كتب الأدب والتاريخ وفي مصـــطلحات العلوم والفنون، وفي وسعنا أن نقول إن كثيرًا من المواد اللغوية المستعملة في الـــلهجات العربية لم يهتد الأئمة من أصحاب المعجمات إليها. ففي إجماع الناطقين بالعربية على استعمال لفظة ما حجة قاطعة على عروبتها أقوى من أهل المعجمات .

ب-ألفـــاظ لا تســـتعمل إلا في قطـــر واحد، كالعراق مثلاً. فإذا كانت هذه الألفـــاظ تـــدل على معان و لم يوجد في اللغة ما يحل محلها نظر في إدماجها بمتن اللغة.

أمـــا إذا وجـــد في الفصـــحى بديل عنها أخذ به وأذيع على ألسنة المتكلمين وأقلام المترسلين .

أكتفي بهذا القدر الآن من هذا البحث .

أما القسم الثاني فأتركه إلى إحدى جلسات المؤتمر الآتية بإذن اللـــه .

والله ولي التوفيق،

والسلام عليكم ورحمة اللـــه .

*　　*　　*

القسم الثاني من موضوع أصول اللهجة العراقية(*)

للأستاذ محمد رضا الشبيبي

عضو المجمع

صلة البحث

وَعَـدْتُ في البحث الذي ألقيته في حفلة افتتاح دورة المؤتمر الحالية منذ أيام وكان موضوعه "أصول ألفاظ اللهجة العراقية" أن أعود. وقلت إن للبحث صلة ولا يخفى أني نظمت معجمًا ببعض ألفاظ اللهجة المذكورة. وهأنذا أختار لهذه الجلسة نموذجين من مواد المعجم ليكونا بمثابة دليل على المنهج الذي نهجته في معالجة هذا الموضوع. وهما كلمتا: " الإنهاء، التسقيم":

١- الإنهاء بمعنى العريضة

الإنهاء بمعنى العريضة اصطلاح عرف في أواخر العصور العباسية وأوائل عصور المغول .

والإنهاء هو الإبلاغ في أصل اللغة مصدر أنهى الشيء أي أبلغه، ولكنهم جعلوه اسمًا لما يعرض وينهى إلى المقامات العليا في الدولة. تصرفوا في هذه الكلمة كما تصرفوا بكلمة "تقدم" وهي مصدر من تقدم. فقالوا ورد "تقدم إلى صاحب الديوان" أي أمر، قال صاحب الحوادث الجامعة: " جلس فيه أي في الديوان وكتب إنهاء على جاري العادة" فالمقصود بالإنهاء " الاستدعاء" أو "عريضة" ترفع إلى الخليفة مصدرة بكلمة " ينهى"، ومثل كلمة إنهاء " رفيعة " و " رفع " بصيغة المصدر بهذا المعنى، ففي أخبار سنة ٦٥٧ من كتاب الحوادث الجامعة " رفع نجم الدين بن عمران عليَّ بن الواقعاني ونسب إليه. وفي عصور الطبقة الأولى من العباسيين شاع استعمال لفظة " القصة" بهذا المعنى فكانوا يقولون: رفعت إلى الخليفة أو إلى الوزير " قصة" يذكر

(*) عرض في الجلسة الرابعة لمؤتمر الدورة الثالثة والعشرين، في ٧ من فبراير سنة ١٩٥٧، ونشر بمجلة المجمع ، الجزء الثالث عشر، ص ١١٧.

فـــيها كيت وكيت ويراد بكلمة قصة هنا ما يراد وما نريده بكلمة إنهاء أو استدعاء .. وأصـــل معـــنى القصـــة الحديـــث والخـــبر، وقد تستعمل كلمة "رقعة" وتجمع على "رقـــاع" بـــالمعنى المذكـــور. ومن ذلك قولهم: " خذ رقاع الناس للحوائج واستجعل علـــيها " يعـــني بكلمة رقاعهم استدعاء المتهم. وتعني كلمة "استجعل" أخذ الجعل أي الأجـــرة. ومـــن الألفـــاظ الـــتي شاع استعمالها بهذا المعنى في العصر العباسي الأول والعصـــر الأوســـط كـــلمة "رفـــيعة" وتجمع على "رفائع" بمعنى القصة والبلاغ ورفع الشكوى.

جاء في أخبار سنة ٣٢٨ من كتاب الأوراق للصولي " كثرت الوقائع إليّ بحكم عن ظلم أصحابه" وفي كتاب الوزراء والكتاب للجشهياري: " أحضر رزام كتابًا يوهم أنه فيه رفايع " واستعمل " الرفع " بصيغة المصدر اسمًا لعريضة الشكوى بعد ذلك فقد جاء في رحلة ابن بطوطة: " أن أخذ الحاجب الأول الرفع من الشاكي فحسن " وقال أيضًـــا " كتب رفعًا " وهم يسمونه "عرض داشت" هذا ما جاء في رحلة ابن بطوطة. وكـــلمة " عرض داشت" بالفارسية يعني كلمة "عرض حال" الشائعة في لهجة العراقيين اليوم. وفي مصطلحات المنشئين وأرباب الدواوين بهذا المعنى كلمة " مشروح " وتجمع على مشاريح. وقد وردت في ذيل كتاب تجارب الأمم لمسكويه، وفي أخبار سنة ٥٩٠ من تاريخ الدبيثي " كتب بذلك مشرح وضع فيه الحاضرون من أرباب الدولة والفقهاء خطوطهـــم ". وجاءت كلمة المشاريح في كتاب نهاية الأرب للنواوي وكتاب المواعظ والاعتـــبار لـــلمقريزي أكـــثر مـــن مرة، والظاهر من سياق كلام المقريزي والنواوي وغيرهمـــا أن كلمة " مشاريح" تعني ما يراد بكلمة " تقارير" الشائعة في الوقت الحاضر عـــلى لسان أصحاب الدواوين في العراق، ولا تعرف غيرها في لهجة العراقيين الشائعة بهـــذا المعـــنى، وقـــد قامـــت مقام كلمة "رابور" الفرنسية التي كانت شائعة في لهجة العراقيين في أواخر عصور الدولة العثمانية.

التسقيم

التسقيم والتسقام في لهجة العراقيين هذا اليوم تعني إعداد العدة لفلاحة الأرض وتهيئة آلاتها، وليس للكلمة أصل في الفصحى بالمعنى المذكور، ولكنها من مصطلحات المعنيين بشؤون الزراعة منذ عصور المغول إلى هذا اليوم، وقد وردت أكثر من مرة في " معجم مؤرخ العراق ابن الفُوَطي" عندما ترجم لكبار الزراع فتراه يقول في ترجمته لأحد حكام ذلك العصر: " قدم بغداد سنة (٧٠٢) لأخذ معاونة النواحي بنهر الملك ولتطهير النهر وتسقيم الأعمال " وقال في ترجمة القوساني الناظر ما يأتي: " صدر جليل ولي الأعمال السلطانية وهو عالم بأمور السواد وعمارة الأراضي وتسقيم الأعمال واختيار العمال" هذا ما قاله ابن القوطي ، ويقول بعض الباحثين في المقارنة بين العربية والآرامية إن أصل كلمة "التسقيم" العامية الشائعة في العامية العراقية من اللغة الآرامية فإن الفعل من هذه المادة في الآرامية يعني " رتب نظم مسح " ولا تزال الكلمة شائعة في اللهجة العراقية العامية. ويقال أيضًا في اللهجة المذكورة " تسقم على هذا الشيء بكذا أي كلفني كذا ".

هذا ومن المصطلحات الفقهية التي تقابل كلمة "تسقيم" قولهم "كردر" ورد في بعض كتب الفقه أنها تعني إصلاح الأرض وإعدادها للزراعة. هذا ومن رأينا أنها كلمة دخيلة مركبة من قولهم (كار) أي العمل و "در" مخففة من "دار" بمعنى صاحب أو ذو فهي تعني " صاحب العمل " بالفارسية . واستعملت أيضًا كلمة "مسكة" بهذا المعنى الاصطلاحي في بعض كتب الفقه، وقد يراد بها ما يراد بكلمة "لزمة" أو حيازة، ومن الكلمات المعربة الشائعة بهذا المعنى منذ العصور العباسية الأولى كلمة " دهقنة "، بمعنى النظر في الشؤون الزراعية، والناظر يقال له " دهقان" ويعنون بها رئيس القرية المعني بإعدادها للفلاحة، وأصل الكلمة في الفارسية مركب من " ده" بكسر الدال بمعنى القرية و"قان" بمعنى الرئيس أو الأمير في اللغة المذكورة. قال السمعاني في الأنساب " الدهقان" بكسر الدال المهملة وسكون الهاء وفتح القاف وفي آخرها نون هذه لمن

كـــان مقدم ناحية من القرى أو من يكون صاحب الضيعة والكروم، واشتهر بها جماعة في خراســـان والعـــراق. وقـــال أيضًـــا في مادة " التاني" هذه النسبة إلى تناية وهي " الدهقـــنة". ويقال لصاحب المال والعقار "التاني" قال في التاج: التناوة بالكسر أهمله الجوهـــري، وفي حديث قتادة كان حميد بن هلال من العلماء فأضرت به " التناوة ". قال ابن الأثير: هي الفلاحة والزراعة، ومثل التناوة بالواو الثناية بالياء حكاه الأصمعي ، وفي ضـــبط هذه الكلمة روايات نجدها في بعض معجمات اللغة، جمع مصنف الحوادث الجامعـــة كـــلمة التناية على تنايات فقال في أخبار سنة ٦٧٦: " واستعمل مع الناس والمتصرفين و أهل التناءات والمروءة " وفي أخبار سنة ٣١٣ في كتاب الوزراء للصابي: " ورد الحضرة جماعة من التناء والمزارعين من ديار ربيعة متظلمين ".

بهـــاتين الكلمـــتين نكـــتفي للدلالة على المنهج المتبع في هذا البحث والله ولي التوفـــيق.وبعـــد أن انـــتهى السيد الأستاذ من إلقاء بحثه شكره السيد الرئيس والسادة الأعضاء على بحثه القيم ومجهوده المتواصل في خدمة اللغة العربية .

* * *

قصة العامية في العراق:
تاريخها وواقعها (*)

للدكتور إبراهيم السامرائي
عضو المجمع

لـــيس كلامي عن العامية ضربًا من التعصب لها والاهتمام بها، ولست أرى أنها وجـــه من وجوه الإعراب عن المعاني التي نُمتَحن بها في عصرنا هذا، ولكني أبحث فيها عـــلى أنها ظاهرة لغوية لابد أن نقف عليها وقفة خاصة. ثم إن فينا حاجة إلى أن نعود إلـــيها؛ لأنها تحمل الضيم على فصيحتنا التي نجتهد أن تكون لغة العصر ولغة الحضارة الجديـــدة وأن نعيد لها شيئاً مما كان لها من المكانة والقوة والسعة طوال عصور مضت. لقد كانت لغة الدنيا المتحضرة، لغة العربي وغيره مسلمًا كان أو غير مسلم .

ثم لابـــد من العود إلى العامية فماذا أقول؟ لقد كانت لغات عامية طوال عصور عـــدة، ومن غير شك أن العصور العباسية قد شهدت هذه الأنماط العامية، وأن كُتب الجاحظ لدليل وشاهد على أن البصرة والكوفة وأمصارًا أخرى كانت تصرف أمورها في عامـــيات تقـــرب وتبعد عن اللغة الفصيحة. لقد ذكر الجاحظ أن يزيد بن مُفرّغ الحمـــيري الشاعر - وقد اقتيد في شوارع البصرة وهو على حمار؛ لأنه نال من زياد بن سُـــمية - كان الأطفال يهزأون به مرددين كلامًا فارسيًّا وهو يجيبهم بالفارسية مُعرِّضًا بأم زياد سمية واصفًا إياها بـــ " روسبي " أي البغيّ .

وحســـبك أن تعـــرف أن للفارســـية تأثيرًا كبيرًا في لغة البصرة ، فقد شاع في أعلامهـــا البلدانية طريقة في التسمية جرت على النحو الفارسي، وهي الأعلام المختومة بـــألف ونـــون مـــثل: زُبَيْران وهو موضع منسوب إلى الزبير، ومنه عُثْمانان وطَلْحتان وزَيْدان ومُهَلَّبان وقُتَيْبان وحَمْرانان وغيرها كثير أيضًا . وهـــي منســـوبة إلى عثمـــان

(*) انظـــر التعقيـــبات على البحث في محاضر جلسات الدورة الرابعة والأربعين، الجلسة الخامسة للمؤتمر (١٨ من مارس سنة ١٩٧٨م). ونشر بمجلة المجمع، بالعدد الحادي والأربعين، ص ٣٥.

وطـــلحة وزيـــد والمهلّب وغيرهم . ولقد استوفاه البلاذريّ في " فتوح البلدان" وعنه أخذها ياقوت في " معجمه " .

ومـــا زال شيء من هذا في أيامنا هذه يحمل هذا الوسم الأعجمي في أعلامهم، فـــنحن نجد اليوم : يُوسْفان و"جيبان" بجيم أعجمية أو كتيبان بالكاف، ومن غير شك أنهـــا قُتيـــبان القديمـــة التي مر ذكرها، وعُويَّسيان ولا أدري إلى من نسب هذا المكان ومـــثله " مهـــيجران" بإمالة الياء، وأكبر الظن أنه " مهاجر " منسوب إلى "مهاجران" وهو أحد من الناس نجهله.

وقـــد عرَّض الجاحظ في "البيان" بلغة الكوفة وأشار إلى عاميتها وشيوع الدخيل الأعجمـــي فـــيها فقـــال: إنهم يسمون السوق " وازار " والمربَّعة "جهارسو" والقثاء " خيار " وغير هذا جد كثير .

ومـــن المفـــيد أن أشـــير إلى أن لغة العراق في البصرة والكوفة وفي غيرهما من الأمصار قد داخلتها الألفاظ الأعجمية وشاع فيها اللحن، كما حدثتنا المصادر . ولابد لي مـــن أن أتـــبين أن مـــا يتصل بالحِرَفِ والمِهَنِ من اللغة المحكية كان عامرًا بالدخيل الأعجمي، ومن ذلك ألفاظ الملاحة والفلاحة وسائر الصناعات الأخرى .

ألا تـــرى أن العـــراقي البصـــري إلى يومنا هذا يستعمل البَرْبَنْد وقد حولها إلى " فَـــرْوَنْد " وهي الأداة المستخدمة في صعود النخل، وهي من غير شك فارسية محضة. وأن الكـــوفي وغـــيره من سكان المناطق الوسطى كبغداد مثلاً يستعملون التَبَلْيا للآلة نفسها وقد ذكرها الجاحظ في "البخلاء" .

والتبلـــيا آرامية محضة، ومثله "السُكّان" لسكان السفينة، و"النوخذاه" للعامل في السفينة، و"المردي" الذي يدفع به الملاح سفينته، وكذلك " شكاره" لقطعة صغيرة من الأرض تـــزرع فـــتعود غلتها إلى أحد من الناس يخصونه بها كما يفعل المزارعون، أي يعطونها إلى العامل في المضخة أو لرجل الدين الذي يساكنهم أو لغيرهما من خاصتهم، وهي كلمة آرامية استعملها العرب وما زالوا يستعملونها في العراق .

ولـــولا أني أخشـــى الإطالـــة لأتيت بنماذج كثيرة من هذه البقايا الآرامية التي مازالـــت حـــية في العامية الدارجة في كثير من حواضر العراق ولاسيما مدينة الموصل الشهيرة .

ومـــثل هـــذا " الـــتالة " أي النخلة الصغيرة، وقد استعملها (الزمخشرى) في " الأســـاس " في حشو مادة من المواد. ومثل هذا " الكش " أي غبار الطلع و لم ترد في المعجمـــات ، غـــير أن صـــاحب " لسان العرب" قد ذكرها في حشو مادة " حرق " وحرق النخلة ألقى الكش فيها .

وأظن أن الكلمة الأعجمية كانت بالجيم على نطق عامة المصريين، وهي الكاف الثقيلة التي تشبه القاف كما جاء في كتب اللغة .

وهـــذا يـــدل على أن هذا الصوت الذي خلت منه العربية الفصيحة وثبت في اللغات السامية كان عامرًا في العربية العامية .

ولا أريـــد أن أقصر العامية العراقية في بدايتها وشيوعها على العصور العباسية، ولعـــلها ورثـــت شيئًا من ذلك في عصور سلفت. ولعلي أستطيع أن أقول: إن شيوع الـــلحن كـــان علامـــة بارزة في هذه العاميات التي عمت بلاد العرب وتجاوزت ذلك مشرقًا ومغربًا .

إذا لم يكن شيء من هذا فلم كانت عنايتهم بلغات الأمصار والأقاليم والقبائل؟

ولِمَ أخذوا اللغة والشعر عن قبائل بعينها و لم يأخذوا ذلك عن قبائل معروفة لم يـــتوسموا فـــيها الفصاحة؛ لخلاط أهلها بأقوام ليسوا عربًا، وقد حمل ذلك الضيم على عربيتهم؟ ألم يتجنبوا الأخذ عن قبائل الشحر وتغلب وطائفة من قبائل اليمن مثلاً؟

ثم لِـــمَ وسموا طائفة من القراءات بالشواذ؟ وأهم منعوا بل حرموا أن يقرأ بقراءة الأعمـــش وغيره من أصحاب القراءات النادرة .أليس هذا لأن هذه الأنماط اللغوية قد حفلـــت بخصائص تتصل بالأصوات والأبنية مما لا تعرفه العربية الفصيحة التي ارتضوها أن تكون المثل المفضل والنموذج الذي ينبغي أن يسود ويشيع ؟

أقول: من أجل هذا عُنِيَ المتقدمون بتسجيل النماذج اللغوية والأدبية التي وسمت بخصائص من لغة العامة. وإني لأظن أن (المفضل بن سلمة) حين عقد في كتابه الفاخر بابًا لـ " ما جرى على ألسنة العامة من أمثال " كان يرمي إلى هذا، وأظن أن هذا الذي جرى على ألسنتهم من المثل لا يخلو من سمات تتصل باللحن، ومن أخرى غيرها تتصف بالخروج عن الأبنية المعروفة في العربية .

ثم لننظر إلى باب الإدغام في كتاب (سيبويه) لنتبين أنه ضبط من صفات الأصوات وأحوالها ما نستطيع أن نزيد في القدر الذي نعرفه في التسعة والعشرين حرفًا. ألم تكن طرائق النطق لهذه الأصوات التي نيفت على الأربعين شيئًا مما كان يباشره المعربون ؟

ألم يشر (ابن جني) في " المحتسب " أن الحسن البصري قد قرأ " تَنَزَّل الشياطون" ؟

إن النماذج التي أثبتها (الجاحظ) في كتبه عن هذا الموضوع لدليل على شيوع ألوان من الإعراب العامي في حواضر عدة في العراق وغيره. لقد ذكر أن اللحن تجاوز الحواضر حتى كان شيء منه قد عرض للغة الأعراب ، وهم الذين أخذت عنهم العربية. لقد أشار إلى أن أحدًا قال " عصاتى " وهو يريد " عصايَ "، وفي غير شك أن هذه الطريقة العامية هي التي بقيت في كثير من لهجاتنا المعاصرة .

ولقد بقيت العامية إلى جوار الفصيحة في العراق طوال العصور العباسية، وهكذا كان الأمر إلى نهاية عصر الدولة العثمانية. وفي هذه الحقبة المتأخرة لم يبق للفصيحة من القدر ما كان لها طوال العصور المتلاحقة، بسببٍ من شيوع الأمية والجهل وتضاؤل التعليم، فقد اقتصر على طائفة قليلة، فعفت دور العلم وقلت المدارس، وانتهى الناس إلى أمية شاملة .

ثم جاء العصر الحديث ونظر أهل العلم في حال العربية الفصيحة، وكيف لها أن تواجه العصر الحديث بعلومه وفنونه. ولقد واجهوا مشكلة العامية وشَقُوا بها كما

شـــقي أســـلاف لهم من قبل، ولقد انصرف اهتمامهم بهذه المشكلة إلى أن ينظروا في العامـــية ويكتبوا في موادها وتاريخها اعتقادًا منهم أن ذلك شيء تحملهم عليه عنايتهم بـــــ " الفصيحة ". ولا أودّ أن أقول " الفصحى " وأنّى لنا هذه الفصحى ونحن نلوك عامـــية مرذولة ؟ لقد وصل الأمر ـــ أيها السادة الأكرمون ـــ إلى أن خطيب المسجد الجامع في خطبة صلاة الجمعة يستعمل في خطبته ويقول :

" إن العناصـــر الكفؤة (كذا) على مستوى المسئولية". وقوله: " إنهم ينطلقون من أرضية صلبة ". ومثل هذا كثير غيره .

ولســـت أجنّـــبه اللحن الذي يعرض لكثير من ألفاظه. لقد أشار (ابن جبير) الرحالة المعروف إلى شيء من ذلك منذ قرون عدة.

أعود إلى العامية العراقية المعاصرة فأقول: إن جمهرة من أهل العلم في عصرنا قد كتـــبوا فيها، وليس ذلك تعصبًا لها ودفاعًا عنها، ولكنه اجتهاد منهم في أن ذلك يخدم الفصـــيحة التي هي الغاية المرجوة، لقد كان بين هؤلاء فلان وفلان من صفوة الأسرة الآلوســـية الشـــهيرة، وكان بين هؤلاء الزهاوي والشبيبي والرصافي وهم جلة العلماء والشـــعراء . وقد سبق هؤلاء الرجال الشيخ الطالقاني والسيد مصطفى الخليل الكرخي والســـيد عبد اللطيف ثنيان والأب أنستاس ماري الكرملي وغيرهم . ولا نشك في أن هـــذه الصـــفوة من العلماء قد شاركوا مشاركة جادة في خدمة العربية الفصيحة قبل اهتمامهم بهذه العامية .

لقـــد تـــناول هـــؤلاء ألوان العامية بالبحث والدرس من شعر ومثل وأساليب وألفـــاظ. ولقد بلغ من عناية أحدهم وهو عبد اللطيف ثنيان أن صنع معجمًا للألفاظ العامـــية الـــبغدادية. ثم خلف من بعد هؤلاء نفر استأنفوا العمل منهم: الشيخ جلال الحنفي وعبد الرحمن التكريتي وغيرهما .

ونســـتطيع أن نلمح في العامية العراقية ثلاثة أنماط هي: النمط الجنوبي، والنمط الأوسط، والنمط الشمالي ، وفي كل واحد من هذه نتبين أنه يشتمل على لون حضري

وهـــو مـــا يعرف به أهل الحواضر ، ونمط ريفي قروي. ولا نغفل أن يكون في النمط الجـــنوبي لـــون بدوي يتبيَّن في البادية الجنوبية التي هي لِصق بمشارف القرى والأرياف الجنوبية. ومثل هذا واضح كل الوضوح في النمط الأوسط والنمط الشمالي. ولعل من العســير علينا أن نصل إلى خرائط واضحة في الأطلس اللغوي الذي يبرز هذا التوزيع الجغرافي، وذلك لتداخل هذه المواد من حيث الخصائص اللغوية أصواتًا ودلالات .

ومن المفيد أن أشير إلى أن لغة بغداد العامية شيء لا يمكن وصفه وضبطه؛ لأن هـــذه المديـــنة الواســـعة قد التقت فيها عناصر شتى من حضريين من الحواضر العراقية المخـــتلفة وقـــرويين وبدو وعناصر أخرى غير عربية. ولا أريد أن أغفل ذكر الدراسة الـــتي صـــنعها المستشـــرق الفرنسي لويس ماسينيون ونشرها بالفرنسية منذ أكثر من خمســـين ســـنة، ثم تـــرجمها قبل أكثر من عشر سنوات الدكتور أكرم فاضل العراقي، وهذه الدراسة قديمة قد تكون غير وافية بالمطالب العلمية في عصرنا هذا. إنها تقصر في كثير من الضرورات اللغوية .

ثم إني أســـتطيع أن أقول: إن جمهرة هذه الأنماط تميل إلى التقارب، وذلك بفعل الاتصال بين أهل هذه الأقاليم بسبب شيوع وسائل النقل المختلفة وبسبب تبدل أنماط الحـــياة الجديدة التي تقتضي السفر والتنقل. ثم إن هناك ما ندعوه بـــ "وسائل الإعلام" ومـــا تفرضـــه مـــن نمـــط لغـــوي يميل بهذه الأنماط إلى أن تكون متقاربة بعضها من بعض .

ولا نغفـــل عـــامل التعليم فالمدرسة قد قرَّبت بين هذه اللهجات وجنحت بها إلى الفصـــيحة. وقـــد دفعت بدفعة من طلابي وهم من بيئات مختلفة في الشمال والوسط والجنوب من العراق ، وطلبت إليهم أن يضبطوا الألفاظ الفصيحة التي دخلت في لغات المدن الصغيرة والقرى والأرياف. لقد انتهوا في استقرائهم إلى نتائج مفيدة كل فائدة . وحســـبك أن تعـــلم أن كـــلمات كثيرة نحو: البرنامج والحفلة والاحتفال والاجتماع والجمـــاهير والجماهيريـــة وغيرها هي من ألفاظ أهل القرى الجنوبية مثلاً وهم سكنة

الأهواز. ولقد كان هؤلاء قبل أربعة عقود من السنين منقطعين كل الانقطاع عن كل ضرب من ضروب الحضارة .

وربمـــا كان من العسير على الموصليّ مثلاً أن يُفهم ساكني الأهواز ما يريد، كما لا يفهم الموصليّ نفسُه ما يدرج به هؤلاء الجنوبيون .

ثم ما حال العربية الفصيحة اليوم مع هذه العامية ؟

أقـــول إن للفصيحة، كما يعلم الأساتذة الأجلاء، قوة تجعل منها أداة فاعلة لا تكـــتفي بالمقاومـــة والوقـــوف، فهي لا تنحسر أمام العامية. ولقد رأينا أن العامية قد أخـــذت الكـــثير مـــن الفصيح ومازالت تأخذ منه كل يوم. وقد يكون هذا الفصيح مفروضًا عليها .

غـــير أن الفصـــيحة تعاني من مشكلات كثيرة أهمها أننا مازلنا نجهل الكثير من وســـائل تعلم هذه اللغة ولا سيما نحوها. وكأن النحو مادة لا علاقة لها باللغة يقرؤها الطالـــب فيضـــيق بها ذرعًا فلا تدخل في سلوكه اللغوي. ومن ثم يشيع اللحن والخطأ ويصبح هذا اللحن والخطأ كأنه اللغة الفصيحة ويتردد هذا النمط من الخطأ المسموع، وكأن في أنفسنا ميلاً إلى الأخذ به بل نَهمّ إلى هذا الأخذ نحن الذين ندعو إلى الفصيح. وبذلك تكون لغة جديدة هي العامية الفصيحة، أو بعبارة أخرى هي العامية الجديدة.

ألـــيس مـــن العامـــية أن تشيع النسبة إلى الحياة فتكون " حياتي " وتسود حتى ليخـــيل إلى عضـــو مجمعي من أساتذة الأدب أن يكتبها في مقالة له نشرت في الجزء الســـادس والـــثلاثين مـــن مجلـــة مجمع اللغة العربية في القاهرة وُسِمَت بـــ "الحركة الانقلابية الأخيرة في نظام الشعر العربي " .

لقد قال في الصفحة الثامنة والستين : " .... أو الحالات الحياتية " .

كـــأن هـــذا المجمعي المرجوة له الرحمة يجهل " الحيوية " وهي النسبة الصحيحة الفصيحة إلى الحياة . ولا أريد أن أقف على قوله في أول هذه المقالة "الغرض الرئيسي"، كأن الغرض منسوب إلى رئيس من الرؤساء، وقد فاته أن " الرئيس " وهو وصف هو

الصـــحيح المطلوب، وبذلك يغني عن هذا المنسوب خطأ إلى الرئيس، وذلك أن العربية تُحـــوِّل الاسم إلى صفة إذا أريد الوصف فتُحلق بالاسم ياء النسبة، نحو فلان المصري وفلان البغدادي .

ومـــن نماذج هذه الأوهام الجديدة التي وُسمت بها فصيحتنا الجديدة التي كادت أن تكـــون فصيحة عامية ما يشيع من كلمات منسوبة إلى المفرد وحقها أن تنسب إلى الجمـــع. يقال: الصراع الطبقي وهو صراع بين الطبقات، والقانون الدَّولي، والعلاقات الدَّولية،وهو القانون الدُّولي نسبة إلى الجمع، والعلاقات الدُّولية نسبة إلى الجمع أيضًا.

والمـــراد هـــنا الجمع، فالقانون يسري على الدول جميعها لا على دولة واحدة، والإشارة إلى الجمع هي المتطلبة .

وكأن هذا الذي استساغ هذا الأسلوب فنسب إلى المفرد قد اعتمد على كتب الـــنحو المدرســـية فلم يتجاوزها إلى استعمال الفصحاء، وفاته أن ليست اللغة محكومة بقـــاعدة صـــرفية، وقد اقتضت الحاجة أن ينسب إلى الجمع، واللغة يُسر لا عُسر. ألَمْ يَشِـــع في كتـــب الـــرجال: فـــلان الطوابيقي وفلان الجلوديّ وفلان الأنماطيّ وفلان القـــدوريّ وفلان الإبَريّ؟ وعلى هذا جرى (أبو الفتح عثمان بن جني) فسمى كتابه " التصريف الملوكي "، وماذا يقال في استعمال يذهب إليه هذا اللغوي الكبير ؟

ثم أليس من العامية الجديدة أن يؤنث " البلد " و " الرأس " وهما مذكران؟ وقد سمعتهما أمس الجمعة في خطبة الصلاة. قال الخطيب: " يحتلون البلد ويدمرونها ".

وقـــد نســـيت الجملـــة التي وردت فيها كلمة " الرأس " مؤنثة. أليس هذا من زحـــف العامـــية المصـــرية عـــلى الفصيحة ؟ وبذلك تهيأ لنا نمط جديد هو الفصيح العامي.

لعل القارئ يقول: إن هذا في لغة مصر العامية المعاصرة وليس في العراق .

والجـــواب عن هذا هو كالآتي: إن شيئًا مثل هذا يكون في العامية العراقية، وقد غـــزا الفصيح أيضًا ومنه " البطن " مؤنثًا وهو مذكر، و "السوق" مذكر وهو مؤنث .

ومـــثله البئر والساق وغيرها كلها صارت مذكرة في اللغة المحكية، وفي الفصيح الجاري على ألسنة المتكلمين وفي كتاباتهم .

ولابـــد مـــن رجعـــة إلى النسبة، إني أسمع من محطة الإذاعة في بغداد وأقرأ في الصـــحف كلمات هي: "التنموية" نسبة إلى " التنمية " والتصفوية نسبة إلى "التصفية"، ثم قـــالوا: " التسووية " نسبة إلى " التسوية " . وقد كان للناس شيء من هذا في مطلع هذا القرن درجوا عليه فنسبوا مثلاً إلى " التربية" فقالوا : " علم النفس التربوي " .

أقـــول: إن في العربـــية سعة وفنونًا من الاستعمال فإذا تعسر بناء من الأبنية أو ثقـــل أســـلوب مـــن الأساليب صار المعرب إلى شيء آخر. أليس سهلاً أن نلجأ إلى أســـلوب الإضافة فنقول: " أنظمة التسوية " بدلاً من " الأنظمة التسووية "؟ والإضافة تـــؤدي مـــا يؤديـــه أسلوب النسب، وبذلك نتخلص من الثقل البغيض الحاصل من اجتماع الواوين في حشو الكلمة الواحدة وهو " التسووية " .

ومـــن سطوة العامية وجورها على الفصيحة الجديدة أن قانونًا صدر في العراق لاحتســـاب مدة الدراسة التي يقضيها الموظف الذي ترك وظيفته بسبب الالتحاق إلى معهـــد أو كلـــية وبعد أن أنهى الدراسة عاد إلى وظيفته. فكيف تحتسب هذه المدة في الخدمة التقاعدية؟ وماذا جاء في هذه المادة القانونية؟

لقـــد جـــاء فـــيها: " تحتسب المدة الأصغرية التي يقضيها الموظف في الدراسة للحصـــول على شهادة من الشهادات ". أي أنهم احتسبوا أصغر مدة تتطلبها الشهادة مطروحة منها أشهر العطلة الصيفية الأخيرة مثلاً .

أقـــول: إن هذه "الأصغرية" وهي صفة إلى المدة مظهر من مظاهر العجمة بل غيبة للفصـــاحة. لقد لجأوا إلى النسبة حتى يتهيأ لهم منها أن تكون الكلمة صفة ، وفاتهم أن الصـــفة الفصيحة المتطلبة في هذا الاستعمال " المدة الصغرى " مؤنث "أصغر " مفيدة للتفضـــيل المطلـــوب، ولا حاجة إلى هذه النسبة التي أحالت الاستعمال إلى نمط عامي أعجمـــي. ومثل هذا ما يقوله كبار السياسيين وينشر ، قولهم في الصحف " الدولتان

الأعظم " فأين حكم الصفة ؟ أليس هذا من الجهل باليسير من النحو العربي في موضوع مطابقة الصفة للموصوف ؟

هـــذه عامية جديدة ما أريد لنفسي أن أتوسع فيها. ولولا حرصي على الوقت لأفضت فيها أيما إفاضة وبذلك يتهيأ لي معجم صغير أدعوه "معجم الفصيحة العامية" .

ولا أراني شـــديدًا أحجر على المعربين وأضيِّق عليهم، ولسنا وحدنا، نحن أهل الحفـــاظ عـــلى الفصيحة، في سلوك هذه السبيل، ولنا في غيرنا من الأمم الغربية أسوة حسنة.

لقـــد صدر في العراق قانون سلامة اللغة العربية للحافظ عليها من غائلة العامية. وما أظن أن غير العمل الجاد المنظم عاصم لهذه اللغة الكريمة .

ولئن أطلت عليكم فأسرفت، فعذيري سماحة وكرم فيكم، والسلام عليكم .

* * *

العربية في تونس بين الفصحى والعامية (*)

للدكتور الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة

عضو المجمع

أشـــار العلامـــة ابن خلدون منذ القرن الثامن للهجرة إلى طبيعة هذه اللغة التي نكتـــب بها ونتحدثها في ديارنا التونسية. فقال في القسم السادس والأخير من مقدمته في الفصـــل التاســـع والثلاثين حين تكلم على لغة أهل الحضر والأمصار لعهده وتميزها عن لغة مضر:

" اعلم أن عرف التخاطب في الأمصار وبين الحضر ليس بلغة مضر القديمة ولا بلغـــة أهـــل الجيل، بل هي لغة أخرى قائمة بنفسها بعيدة عن لغة مضر وعن لغة هذا الجـــيل العـــربي الذي لعهدنا، وهي عن لغة مضر أبعد. فأما أنها لغة قائمة بنفسها فهو ظاهـــر يشـــهد له ما فيها من التغاير الذي يعدّ عند صناعة أهل النحو لحنًا، وهي مع ذلـــك تختلف باختلاف الأمصار في اصطلاحاتهم؛ فلغة أهل المشرق مباينة بعض الشيء للغـــة أهـــل المغـــرب، وكذا أهل الأندلس معهما. وكل منهم متوصل بلغته إلى تأدية مقصـــوده والإبانـــة عمـــا في نفسه. وهذا معنى اللسان واللغة. وفقدان الإعراب ليس بضـــائر لهم. وأما أنها أبعد عن اللسان الأول من لغة هذا الجيل فلأن البعد عن اللسان إنما هو بمخالطة العجمي ... واعتبر ذلك في أمصار إفريقية والمغرب والأندلس والمشرق. أمـــا إفريقـــية والمغرب فخالطت العرب فيها البرابرة من العجم بوفور عمرانها بهم، ولم يكد يخلو عنهم مصر ولا جيل. فغلبت العجمة فيها على اللسان العربي الذي كان لهم وصـــارت لغة أخرى ممتزجة. والعجمة فيها أغلب لما ذكرناه، فهي عن اللسان الأول أبعد".

وهذه الفقرة التي اقتطعناها مـــن المقدمة هي أقدم نص وقفنا عليه يتعرض لموضوعنا

(*) انظـــر التعقيـــبات على البحث في محاضر جلسات الدورة الرابعة والأربعين، الجلسة السابعة للمؤتمر، في ٢١ من مارس سنة ١٩٧٨م، ونشرت بمجلة المجمع، بالجزء الحادي والأربعين ص ٦٩ - ١١١.

ويحـــدد معالمـــه. فـــلا بدع إذا كان المرجع والمنطلق لأكثر من درس هذه القضية من المستشرفين. فهو يضع الأصول الثلاثة للبحث:

أولاً: قـــرب اللسان الأول لأهل الحضر والأمصار زمن فتحها وبعده بقليل من لغة مضر.

ثانـــيًا: اختلاف العربية عربية الحواضر والأمصار بعد ذلك عن اللسان الأول، واختلافها بعضها عن بعض في اصطلاحاتها .

ثالثًا: اختلاف لغة أهل إفريقية عن اللسان الأول بسبب الاختلاط بالأعاجم .

وهذه الأصول أو الجوانب الثلاثة أو قل هذه النتائج أو الحقائق التي انتهى إليها وأقـــرها ابـــن خلدون، هي مع اختلاف الأسباب والطبيعة فيما بينها، جد هامة قمينة بالبحث جديرة بالشرح والتعليل. ولو تناولت الدراسات كل واحد منها بعينه مستقلاً عـــن غـــيره لمـــا كان ذلك كثيرًا، بجانب ما يمكن أن يكشف عنه من عوامل تاريخية وأســـباب اجتماعـــية وسياســـية، وعناصر اقتصادية وحضارية وظواهر نطقية ولغوية، وليس مثل ذلك بوسعنا في هذه العجالة .

ولكننا نكتفي بالإشارة إلى جملة من ذلك عند تعرضنا لتلك الأصول والجوانب كـــلها، ونحـــاول قبل الحديث عن العربية بتونس بين الفصحى والعامية أن نمهد لذلك بكـــلمة قصـــيرة مقتضبة نتعرض بها إلى لغة أهل إفريقية قبل الفتح العربي الإسلامي؛ ليتـــبين لنا بالمقارنة الدور الجليل الهام الذي لعبته العربية بإفريقية خاصة وبالمغرب عامة، والاعتـــبار الكـــبير والمـــنـــزلة الرفـــيعة التي كانت للغة الضاد في نفوس البربر كافة، حضـــريّهم وبدويّهم من سكان المدن والسواحل والقرى أو من سكان النجاد والتلال والبوادي.

وبالـــرجوع إلى المصادر المختلفة المتعددة نجد أن البربر الذين انتشروا في البلاد الممـــتدة مـــن غربي النيل بواحة سيوة بمصر إلى المحيط الأطلسي بالمغرب الأقصى كانوا يتكـــلمون لهجـــات بربـــرية متعددة، تنحدر في جملتها من أحد الأصلين النوميدي أو

الليبي لغة ماسينيسا ويوغرطة. وأن هذه اللهجات - وإن اتحدت جنسًا - متباينة فيما بينها بحيث لا يحصل التخاطب بواحدة منها ولا التفاهم عن طريقها بين من يسكن جبال نفُوسة بطرابلس وبين من يعمر بلاد الريف بالمغرب. والبربرية وإن كتبت قليلاً في القديم كما تشهد لذلك بعض النقوش فإنها لم تكن لغة حضارية. ولحروفها شكل خاص كانت تتميز به. وربما وجدنا أثره ماثلاً في أبجدية التوارث " التفيناق ". ومما يشهد بضيقها ومحليتها وعدم وفائها بما يحتاج الإنسان للتعبير عنه من مشاعر وأفكار رُكون ملك نوميديا البربري (يامبسال) إلى اللغة الفينيقية لتحرير كتبه، واعتماد الملك البربري الآخر (يوبا الثاني) اللغة اليونانية في رسائله ومؤلفاته.

ومهما يكن من أمر، فإن عامة المواطنين من البربر المغاربة كانوا منعزلين أو في حكم المنعزلين عن الحكام والسادة الذين ملكوا بلادهم وحكموها في الجاهلية من فينيقيين وروماني وفندال وروم بيزنطيين، ولكن هذا لا ينفي البتة أن الطبقة الأرستقراطية من الحكام ورجال الإدارة والجند كانوا يتكلمون لغة غير لغة البربر هي الفينيقية في عهد قيام دولة قرطاجنة، واللاتينية في عهد الحكم الروماني.

وقد تساءل (وليم مارسي) عما يمكن أن تكون قد وجدته اللغة العربية من صراع مع بقايا الفينيقية واللاتينية بإفريقية والمغرب. فعرض للافتراض القائل بأن الفينيقية يسرت انتشار العربية في بلاد البربر لاشتراكهما في الأصل السامي .

ورَدَّ هذا القول لخفته وعدم قيامه على حجج ثابتة. وتحدث عن اللاتينية التي نوّه بها كلغة حضارة ودين، واعتبر أن سلطانها كان في هذه البلاد عظيمًا، فبلاد المغرب أعطت لروما إمبراطورًا كبيرًا هو سبتيم سيفير SEPTIME SEVERE، وكاتبًا فائقًا هو آبولى APULEE، كما أخرجت للمسيحية قديسين عظيمين هما ترتوليان TERTULIEN وأوجستان AUGUSTIN، ولكن ذلك لم يمنعه من الاعتراف بأن اللاتينية زالت واضمحلت من ربوع إفريقية والمغرب بهجوم الفندال، فلم تبق إلا في النقوش وما تكشف عنه الحفريات، وأنها أخذت في التقلص والفناء من منتصف القرن

الخـــامس المســـيحي. ورغم شهادة (الإدريسي) في القرن الثاني عشر بوجود اللاتينية بالجـــنوب التونســـي وأنها كانت مستعملة بقفصة، فإن ممالا شك فيه أن هذه اللاتينية الـــبربرية كانـــت ضعيفة محرفة لا تنتسب إلى لغة أوفيد OVIDE وفرجيل VIRGILE وسيســـارون CICERON وأُوجوستان AUGUSTIN فهي لم تعد و لم تبق لغة حضارية تستطيع أن تثبت أو تصمد أمام لغة الغزاة العرب التي تحمل معها أدبًا وفكرًا وحضارة ودينًا .

وما إن تم فتح إفريقية والمغرب ودخل الناس في دين الله أفواجًا حتى قطع البربر كـــل صـــلة لهـــم بأمم غربي البحر الأبيض المتوسط، وولّوا وجوههم شطر الشعوب المشـــرقية العربية بمكة والمدينة، ودمشق، وبغداد، والفسطاط . وقد كان هذا التحول رائعًـــا وقويًّـــا سرعان ما شمل إفريقيا وما وراءها من المغربين الأوسط والأقصى وبلاد الأندلـــس . وامـــتزج العرب بالبربر وأورثوهم لغتهم ولقنوهم عقيدتهم وأشركوهم في حضـــارتهم وأسباب عزتهم. ومن يعد إلى المصادر التاريخية يلاحظ أن تعريب إفريقية تم عـــلى مرحلتين: الأولى ابتداء من زمن الفتح في القرن الأول للهجرة، والثانية في المائة الخامسة عند زحف بني هلال وسليم .

و لم يكن التوطن والاستقرار للعرب الفاتحين في المرحلة الأولى بغير المدن القديمة الـــتي وجدوها بإفريقية أو بالمدن المستحدثة التي بنوها لأنفسهم مثل القيروان التي قال بشـــأنها مؤسسها عقبة بن نافع: " مدينة تكون للمسلمين قيروانًا وعزًّا للأبد ". وهكذا فـــإن الجنود التي أقبلت من الشام ومصر إلى شمالي إفريقيا في عهد الأمويين وأوائل دولة بـــني العـــباس، والتي لم يكن عددها يقل عن مائة وخمسين ألف نفر مع من يتبعهم من نساء وأطفال وموظفين ودعاة استقرت كلها في المدائن، كما لاحظ ذلك ابن خلدون حـــين قـــال: " لأن الملك الذي حصل لهم يمنعهم عن سكنى الضاحية ويعدل بهم إلى المـــدن، والأمصـــار ". وبالطـــبع أصبحت هذه المدائن آهلة بمن دخلها من مضريين وقيســـيين ويمنـــيين، وبمـــن وفد عليها من مختلف القبائل اليمنية إلى جانب القرشيين

والأنصـــار وعدد من جند خراسان. وعلى مدى قرن ونصف انتشر العرب في مراكز إفريقـــية التي اتسعت فشملت من الجنوب نصف طرابلس، ومن الغرب ثلث قسنطينة. وتحولـــت المـــدن البيزنطـــية في شمال إفريقيا مثل باجة ومدينة تونس وحتى قابلس في الجـــنوب إلى مـــدن عربية. وباتت هذه وأمثالها خاضعة لحركة تعريب جماعي امتد إلى المراكـــز الحساسة المتصلة بها والتي تحكم البلاد سياسيًّا واقتصاديًّا وتوجهها اجتماعيًّا . وأصـــبحت العربية بها جميعًا لغة الحوار وأساس الحضارة وأداة التعبير عن كل المشاعر والأفكار. وراع البربر الذين اختلطوا بالعرب إلى حد الامتزاج ما بلغة الضاد من روائع ومـــا في القرآن من إعجاز. واتخذوا من نماذج الأدب الإسلامي والجاهلي أمثلة وصورًا يحاكونهـــا ويتأدبون بها، وبهرهم الإنتاج الأدبي والعلمي واعتدوا به تراثًا فخمًا. وحملهم الـــتقدير للعـــرب والرغبة في الانتساب إليهم ولو ولاءً إلى تعلم العربية والتخرج على طـــرائقها وحذقها، ثم التزامها وسيلة أداء، والتزام ما يرتبط بها من مجموع الأذواق الجمالية والاتجاهات الشعورية والعادات وأساليب التفكير .

ساعد على تحقيق ذلك الدعاة والمعلمون والإرساليات الموجهة إليهم من المشرق قصـــد تعلـــيم اللغة والدين. وقامت المدارس والمساجد بهذه المهمة في العاصمة الجديدة القـــيروان الـــتي أسس بها أول مسجد بإفريقية والمغرب، وكذلك بالمدن الإقليمية مثل تونـــس حيـــث ازدحم البربر والرومان والخراسانيون بها مع العرب ، وجرى الحديث بيـــنهم عربيًّا فصيحًا، وظهر في عديد من المدن والأمصار الإفريقية جماعة من الشعراء والخطـــباء والعلماء والفقهاء، وشد أبناءُ إفريقية الرحلة إلى المشرق للاتصال بمالك بن أنس إمام دار الهجرة رضي الله عنه، أو للأخذ عن تلميذه ابن القاسم بمصر، وذهبوا إلى البصـــرة وبغـــداد والشام وغيرها. ونفقت العربية لسان الدولة والدين وأصبحت لغة الشعب الذي يقطن المدن والأمصار وما يتصل بهما من الضواحي. وهي وإن اختلفت أحـــيانًا في الحـــوار عن اللغة المكتوبة فبالتخفيف من الحركات والتسكين غالبًا لأواخر الكـــلمة، ونحن وإن استطعنا الرجوع إلى كثير من النصوص والشواهد المدونة المكتوبة

نتـبين بهـا حقيقة انتشار هذا اللسان وظهوره ظهورًا كاملاً على غيره في هذه الديار فـيما جمعـه لـنا المغفور له الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب في كتابيه: الورقات، والمنتخـب التونسـي. والشيخ محمد النيفر من قبله في كتابه: عنوان الأريب فيما نشأ بإفريقـية مـن عالم وأديب، أو عدنا إلى ما دوَّنه العلماءُ والفقهاءُ والخطباءُ والكتابُ والشـعراءُ من آثار تنطق بحذق أبناء إفريقية لهذا العهد حذقا تامًّا للسان العربي، فإنا لم نقـف عـلى ما يشهد بمثل ذلك للحوار اليومي العادي الذي كان يدور بين السكان الأصـليين وحـاكمي البلاد ومسيِّريها من العرب، بين التجار والموظفين والسواد من السـكان في المدن والأمصار بإفريقية. وقد ذهب غير واحد من العلماء والمؤرخين إلى أن الفرق بين لغة الحوار واللغة المكتوبة في ذلك الظرف لم يكن كبيرًا ولا بعيدًا .

أمـا خـارج المدن والأمصار في التلال والنجاد والبوادي والمناطق البعيدة عن تلكـم المراكز فإنا نعتقد أن العربية كانت مجهولة جهلا تامًّا، أو على الأقل كان الحوار والحديـث بغيرها بين البدو وأهل الريف من البربر ومن انضم إليهم من غير العرب من بقايا الأمم والشعوب التي كان لها بالسكان الأصليين ارتباط.

ومـن هـذا يتضح لنا أن التعريب في القرون الأربعة الأولى لم يشمل أطراف البلاد، وكان على الأعراب الذين زحفوا على إفريقية في القرن الخامس أن يتموا ذلك ويضـطلعوا بـه عـلى الوجه الذي اقتضاه تفرقهم وانتشارهم في كامل أنحاء إفريقية وخارجها.

قامـت بهـذا الزحف قبيلتان قيسيتان هما: سليم، وهلال جاءتا من مصر إلى المغـرب قصـد الإطاحـة بالنظام الزيري والدولة لصنهاجية التي خلعت علنًا طاعتها وتبعيـتها للدولـة الفاطمية بالقاهرة . وقد كان بنو هلال الذين دخلوا إفريقية يمثلون فـروعاً ثلاثة هي زغبة، وأثباج، ورياح. وقد انضم إلى هؤلاء وأولئك الأعراب فلول مـن عديّ وجُشَم وعنـزة وعدد من اليمنيين ينتسبون إلى معقل، دخلت هذه القبائل بأكمـلها يتـبعها النساءُ والشيوخ والولدان، وكان عددهم يبلغ مليون نسمة، فعاثوا

فســادًا بــالقيروان، وبعــد أداء مهمتهم التي جاءوا من أجلها لم يستقروا بالعواصم والمدن، ولكنهم انتشروا في أطراف البلاد، ومنها تسربوا إلى كثير من أنحاء المغرب .

وخــلال قــرون ثلاثــة تم تعريب البلاد التونسية كلها على أيديهم. ونحن لا نعــرف على التحقيق ولا نكاد نجزم بأن العربية الجديدة التي دخلوا بها وأشاعوها فيمن حولهــم هــي تلك العربية المكتوبة التي تحدثنا عنها، أم هي عربية أخرى تتمثل في لغة هــذه القبائل والعناصر المختلفة في لهجاتها وألسنتها. ولو صدقنا الروايات الشعبية التي تحكــي لــنا مغامرات بني هلال ورياح لوجدنا بينها وبين العربية نسبًا، ولكنها بدون شك ليست هي العربية التي عرفناها في نصوص الأدب والشعر وكتب العلم والفقه.

ومــن ذلــك العهد - فيما نحسب - اختلفت اللغة العربية بإفريقية بين العربية المكــتوبة المدونة أو الفصحى وهي عربية التدريس والتعليم والإنتاج الفكري والثقافة، وبــين العربية الدارجة العامية التي يتحدثها عموم الناس ويتكلمها حتى الخاصة في غير شــئونهم المهمــة ومواقفهم الرسمية. وربما سميت العربية الأكثر انتشارًا بين السواد من العامة " البربري " لأن المتكلمين بهذا اللسان في الأصل من البربر لم يبلغوا في النطق بها واســتعمالها مبلغ المتكلمين "بالعربي" ؛ أي باللسان العربي من الفقهاءِ والعلماءِ والأدباءِ والقضــاة والأئمة والعدول والمعلمين ونحوهم. ومما يؤكد ذلك إطلاق عامة أهل تونس إلى عهــد غير بعيد وصف " الفقُهي " هكذا بضم القاف على اللسان العربي الفصيح مقابلة له بالبربري أو العامية والدارجة للغة الحوار .

ومــن الملاحــظ أن العربية الفصيحة كانت وما تزال هي هي بين كل الأقطار والأمصــار في الــبلاد العربــية. فهــي لغة القرآن ولغة الدين يتدارس الناس قواعدها ويبحــثون قوانينها والتصرفات القولية فيها، مع ما يروونه أو يكتبونه من روائع الأدب والشــعر بها. أما الدارجة العامية فهي مختلفة اختلافًا كبيرًا من قطر إلى قطر ومن مصر إلى مصــر. فلغة الحوار بالمغرب تباين مباينة واضحة لغة الحوار بالمشرق؛ لخضوع كل مجــتمع للهجة تميزه بحسب اختلاط العربية فيه ببقايا اللغات أو اللهجات التي كانت

مستعملة به. ولغة الحوار بالمغرب وإن اتفقت في الجملة لكنها متمايزة بين أهل ليبيا وطرابلس وتونس والجزائر والمغرب الأقصى والأندلس. وذلك بقدر غلبة العجمة على اللسان، وتمايز العناصر في البيئة المتكلمة بالعربية فيها؛ فبحسب الهجرة والعوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية يكون تفاعل الألسنة، ويظهر أثر ذلك - وإن اختفى في الأكثر في اللغة المكتوبة - فيما تتداوله الألسنة ويستعمله العامة من كلام تعبيرًا عما في نفوسهم وتصويرًا لخواطرهم وآرائهم.

ونحن بإفريقية أو تونس بعد أن شمل التعريب الكامل أطراف البلاد في نهاية القرن الثامن، أي بعد ثلاثمائة سنة من الزحف الهلالي، تعرضت البلاد إلى حملات من الخارج، وتلقت عناصر من المهاجرين الأندلسيين آوتهم، أو من الزاحفين والمتسلطين كانت لهم مقرًّا. وكان لتلك وهؤلاء أثر واضح في لغتنا وما تجري به طرائق الاستعمال عندنا .

فالمهاجرون الأندلسيون وما انتقلوا به إلى إفريقية من صناعات وعادات وتقاليد، والاحتلال الأسباني وما تركه من آثار في لغة الخطاب والحوار، والفتح العثماني وما صاحبه من أنظمة وأوضاع وترتيبات وأحوال، والعنصر الإيطالي أو الصقلي الذي لقرب الدار كان يتردد على الثغور والعواصم ويعمل في المزارع وصيد البحر وصناعة البناءِ، والحكم الفرنسي الذي هيمن بنفوذه ومدارسه ومؤسساته ونظمه على البلاد ردحًا من الزمن، كان لهم جميعًا أثر أي أثر في اللغة الدارجة وفي الحياة المستحدثة المستجدَّة والمتطورة، وكانت لتلك الفئات والأجناس المختلفة والمتعددة مع البقية القليلة من العنصر البربري دخل كبير في تشكيل العربية العامية بتونس، بصورة يختلط فيها اللسان العربي الفصيح بألوان الرطانات والاستعمالات الغربية، التي تنطق كلها بتلك النسب والعلاقات التي كانت وما تزال للعنصر العربي الغالب أو المستعرب من السكان بغيره من العناصر المعايشة له والممتزجة به .

ومـــن المناســـب أن نـــلمح هنا إلى آثار هذه الألسن الأعجمية في لغة الحوار التونسي:

أمـــا أثـــر البربرية التي لم تكن - كما سبقت الإشارة إليه - لغة حضارة وعلم وأدب والـــتي كتبـــت قليلاً وبأحرف عربية من عهد ابن تومرت الذي استعملها لنشر عقـــيدته ومبادئه السياسية والإصلاحية بين عامة البربر في بلاد المغرب، فإن التجمعات الســـكنية المـــتحدثة بهـــا لا تكاد تذكر بالبلاد التونسية وبالمقاطعة الغربية من الجزائر ووهران؛ لأن نسبة الباقين من البربر بهما لا تتجاوز ١% من عامة السكان .

وهـــذا الوضع يختلف بالطبع عن النسبة المرتفعة لهم ببقية بلاد المغرب؛ إذ تبلغ تجمعـــاتهم بطرابلس ٢٣% من السكان، وبقسنطينة٢٧% وبالجزائر ٣٤ % وبالمغرب الأقصـــى٤٠%، فـــلا بـــدع إذن إذا كانـــت الكلمات البربرية المستعملة في العامية الطرابلســـية والقســـنطينية والجزائـــرية والمغربية أكثر من التي نجدها بدارجة وهران أو تونـــس. ولا بدع أيضًا إذا كانت بجبال نفُّوسة وجبال أوراس وبلاد القبائل وبالريف من بلاد المغرب وبجبال الأطلس جماهير متميزة تتحدث إلى اليوم اللسان البربري، وإن اختلف هذا اللسان اختلافًا كبيرًا من جهة إلى أخرى، بحيث لا يكاد أصحاب المناطق المتـــباعدة المتكلمة به التوصل إلى التفاهم عن طريقه، وإن شعروا بكونهم يتكلمون لغة واحدة وينتسبون إلى أصل واحد.

واللســـان الـــبربري بـــتونس كـــنا نســـمعه من ثلاثين سنة بين الدويريّة من المســـتوطنين للعاصـــمة وضـــواحيها، أو يتراطن به الخومّس من الجرابة كما نقول في تونـــس وهم أهل جربة من الخوارج. ويمكننا بسهولة أن نحدد المناطق المتحدثة بالبربرية فـــيما بيـــنها وبالدارجـــة مع بقية الناس في جنوبي البلاد شرقي مدينة قفصة بتماقرت والســـند وشمـــالي مطماطـــة بزوارة وتمزرت، وبجزيرة جربة باجيم وقلاّلة وصدويتش والمـــاي ومحـــبوبين وسدريان، ومازلنا إلى اليوم في اللسان التونسي نستعمل استعمالاً شائعًا كلمات بربرية مثل :

آبْزيز – عند زواوة وبجاية – جراد .

بُويْزيز – عند الشاويّة – صَرصر.

تَبْرُورى، من أبْرُورى، ويقال: تَبْريروبرَد .

علوش من تعْلاش، أعلوش ج يعلوشن – خروف ، خرفان.

فَرطاس من أَفَرْطاس، من أصابه القرع – أقرع .

فَرْطَطوُ ويقال: بُوفرْططو وأفرْطَطُّو – فراشة .

فَكْرون – أفْكَر، أَيَفكر ج أيفْران، أفكر الماءُ، أفكر الصحرى – سلحفاة .

قَرْجُومة – أكَرْزُوم تكرزمت – تكرجومت – مقدم العنق .

قطوس – قتوس – أكطوس ، ياطوس – قط .

كركر – كركور – كتلة من الحجارة المقدسة بجنوب المغرب، وتسمى بها قرية بالساحل التونسي، وهي أيضًا لقب عائلي .

أمـــا الكـــلمات الأسبانية التي نقلها المهاجرون الأندلسيون إلى إفريقية في عهد الدولـــة الحفصـــية فهي على نوعين؛ منها ما هو عام وهو كثير نذكر منه على سبيل المثال الألفاظ التالية :

بَاله Pala مجرفة – رفش . روشْكة rosca لولب .

شـــيْرلّة مـــن شِـــرْبيل Servilla حذاء نسائي على شكل " بلغة " صغير جميل الصنع – ويصنع من الجلد الملون من القطيفة مطرز.

شرِلّيه Cerraja قفل .

قَجَر cajon درج.

كريطة Carrita عربية – مركبة تجرها دابة .

كنباص Compas آلة ضبط. بوصلة، ميزان موسيقي، فكر يقود ويدير.

كياس Calles طريق معبد. شارع.

ومنها ألفاظ اصطلاحية تستعمـــل عند العمال المخصصين بصناعـــة الشاشية لم

نقف بعد على الكلم الموافقة لها في اللغة الأسبانية مثل:

شنتار: تسمى به شوكة الكرضون التي قطعت من نصفها .

كنيوتش: عود من الكرضون اليابس رقيق تثبت به البوصات الخمس.

ومـــنها – وهو كثير – الألفاظ الاصطلاحية المتداولة حتى اليوم بين أهل صناعة الشاشية والتي أمكننا أن نضبط بصورة دقيقة أصولها الأسبانية وذلك مثل :

أباكار	Abacar	إتمـــام – إنجـــاز المـــرحلة الثانية من ندف الشاشية بالكرضون .
أفينار	Afinar	إحكام – المرحلة الثالثة والأخيرة من ندف الشاشية وتكون بكرضون خاص، وكلمة أفينار وصف يلزم حالـــة واحـــدة مفردًا وجمعًا تقول: شاشية أفينار، وشواشي أفينار .
بازويلا	Bazuila	حلقـــة خشبية صغيرة تجعل قاعدة لقطع الكرضون الخـــاص الـــتي تشـــد إليها في تماسك الواحدة فوق الأخرى في شكل أسطواني .
باطان	Batan	معمـــل التلبـــيد، تغسل به الشواشي بالماءِ الساخن والصابون وتوضع في قوالب خشبية .
بانكو	Banco	مكـــان لصـــانع الشاشـــية يجلس بـــه ويضع أمامه الآلات التي يستخدمها في عمله .
بتتور	Batidor	عصـــا كعصا الشرطي وأطول منها قليلاً تضرب بها الشاشية لتنظيفها .
بترون	Patron	قطعة من الجلد السميك على شكل الشاشية توضع هذه فوقها عند الصنع وتعطيها الشكل المطلوب .

بذير	Pared	حائط الشاشية ـــ ارتفاعها .
برقميلو	perqamino	قطعة من جلد الماعز مدبوغة تحفظ بها الشاشية بعد صنعها وقاية لها .
بروكة	Bronca	السـلك الحديدي الذي تثبت به الأجزاء التي يتألف مـنها البضـاطورش، وهـي الشـاوش والبزويلة والقصبة أو عود العناب .
برينشة	Prensa	مكبسـة خشبية بها ألواح كثيرة يسمى الواحد منها تبلـيقة، ومغزلان. وتشد بلولبين بأعلاهما ثقب يدار بقروطي .
بضاطورش	Batidous	مشـط، آلة تلين شعرة الصوف بعد ندف الشاشية بواسطة الضبنينة .
بلادا	Bilada	مجموعة الشواشي التي يحتوي عليها الباطان .
بورة	Borra	مجمـوع مـا يفصل من أشعار الصوف أو ما يقص مـنها عند صنع الشاشية وشمنيار البوردى، وهو ما يفصـل بالـنقص مـن حرف الشاشية بعد صبغها وصنعها .
بوردى	Borda	حرف الشاشية .
بوطار	Botar	المرحلة الأولى من مراحل ندف الشاشية .
بي	Pié	أولى القطع الخمس من الكرضون، الذي يتألف من البضـاطورش وأكبرها حجمًا. والواحدة من القطع تسمى بوصة .
بينسيج	Pinzos	ملقاط.
تبليلة	Tablila	واحد الألواح الموجودة داخل البرينشة .

تريميذو	Trésmédio	القطعة الرابعة من الكرضون .
تكليلش	Téjerillas	مقص خاص يقطع به الكرضون والشمنيار .
تواركو	Tuérco	ثقب بأعلى اللولب الذي يشد البرينشة .
دوميدو	Dosmedo	القطعة الثانية من القطع الخمس من الكرضون وتسمى أيضًا الثانية .
شوبو	Hisopo	مرشّة زيت يدهن بها حديدتا المقص .
شينتو	Ascientio	المكان الخاص بالصانع الواحد ويكون أمامه.
طريحة	Tarca	ما يعين للصانع عمله في وقت محدود ، وهي في هذه الصناعة مجموعة ١٢ شاشية .
فوندة	Funda	ورق مقوًّى يوضع على بذير الشاشية لوقايتها من الخرم .
قروطي	Garrote	مضغط .
كبيتة	Copete	خصلة شعر - وهنا خصلة من حرير تثبت بواسط أعلى الشاشية، ويشدها كبيتش وهو فتيلة صغيرة من حبل صوفي ملبد .
كبيسة	Cabeza	المعلم، والقطعة الخامسة وهي العليا من الكرضون - كبيسة بانكو Cabeza-Banco رئيس الصناع .
كرديتة	Cardita	قطعة من جلد بها مسامير معدنية ينفى بها الكرضون من البورة .
كرضون	Cardo	نبت بأعلى سوقه شوك تتخذ منه منادف لإثارة شعرات صوف الشاشية بعد تلبيدها، والكلمة عامة مستعملة في اللغات الرومانية كلها.
كروصان	Cruzar	حرف نصف الشاشية .

كروضو	Crudo	الشاشـية بعـد تلبـيدها بالباطـان وقبل صنعها، والكلمة وصف يلزم حالة واحدة إفرادًا وجمعًا .
كريل	Caril	مجموعة الشواشي عددها ٢٤ .
كواترو	Cuatro	الجزء الواقع بين البذير وحرف الشاشية .
كوارتيش	Cuartel	قطعـة من جلد ضأني صقيل توضع في الشاشية بعد إكمال صنعها لتكون ملساء ناعمة .
كورنيلتة	Cornilla	سقف الشاشية .
كوكان	Cojel	قطعـة من الجلد يضعها العامل على ركبته تساعده على صنع الشاشية بعد صبغها .
لمبديش	El envés	داخل الشاشية .
لميتة	Laminita	آلة تشبه المبرد يثقب بها الكرضون .
ماصو	Mazo	مطرقة خشبية تلبد بها الشاشية .
ميذو	Médio	القطعة الثالثة وهي الوسطى في الكرضون .
هاص	Haz	الجانب الخارجي للشاشية .

أمـا الاسـتعمالات التركية وحتى الفارسية التي نجدها مشتركة بين البلاد العربية الـتي خضـعت قديمًا لدولة الخلافة العثمانية ، فإنا نقف منها بتونس على مجموعة من الألفـاظ قد يكون رسمها والنطق بالكثير من بينها مختلفين بعض الشيء عنهما في مصر والشام ونحوهما. ومن أمثلة ذلك: رَوْشَن Rusen المكان البارز الفخم .

زِنْبَراك: دافع يصنع من المعدن. صارْمِيّة: رأس مال .

طارمـة Tarem قبة، سقف، تستعمل في تونس للدلالة على نوع من الخزائن أو الدرج المثبتة بالجدار.

كنار: حاشية النسيج.

ومن التركية الألفاظ التالية :

أغا Aga : الأسرة. لقب عائلي بتونس.

ألاي Alay : قـــوة عسكرية، والقائم عليها: ميرالاي Miralay من مير الفارسية عن العربية أمير .

سْـــطَا: أوُسْـــتَة Usta الماهـــر من الصناع وأهل الحرف .تستعمل الكلمة بكثرة بمدينة صفاقس .

أونباشي Unbāši كلمة مركبة من باش بمعنى رأس، وأون بمعنى عشرة. رأس العشرة.

بازين – بازينة: نوع من الطعام يصنع من الدقيق والزبدة والسكر .

باش Baš : رأس — رئيس — آمر .

باشـــا: لقب تركي ملكي، عسكري، وربما كانت الكلمة محرفة عن بشه Baše الأخ الكبير .

بـــالك، بلكـــية : أُخذت من الفارسية، وتتكون من بل العربية وكيه التركية التي تعتبر أداة احتمال ومعناها في الاستعمال العادي: لعله .

براسيا: براسية: كراث .

بُرْقَدان: في التركية باللام تكتب بالحروف القديمة بورتقال: فاكهة من الحوامض كانت تستورد من البرتقال فسميت به .

بريك ، بوراك ، نوع من العجين محشو باللحم والبيض أو بغيرها يقدم في أول الطعام .

بشـــرف: Pesrev محـــرفة عن الفارسية وهي اصطلاح موسيقي يطلق عليها ما يعرف بعد " التقسيم " وقبل الفصل الأصلي " والسماعي " الأخير .

بِشْـــقي: بجقـــي – حديـــدة يستعملها الحذاء لقطع الجلد. وحديدة يُقصُّ بها نوع من الحشيش: " تبغ كان يزرع بتونس يعرف بالتكروري والكِيف " .

بُشـــمار: محـــرفة عن برشمان وبرشم وهي كلمة من أصل تركي فارسي يراد بها الطرز الحريري الذي يكون بالجبة أو البرنس .

بكباشـــي: بكباشي وبنباشي Binbasi كلمة مركبة من بيك أو بين بمعنى ألف وباشي وباش، رأس الألف أو قائد الألف .

بلهوان: بهلوان - شجاع مصارع قوي البنية .

بهار: نوع من التوابل .

بوسطاجي: بوسطة + جي: موزع البريد .

بوغاز Bogāz الموضع الضيق من كل شيء، ويطلق على الممر الضيق بحرًا: المضيق .

بَـــيْ: باي - بك: Bey لقب تركي يطلق على الوالي - الحاكم للبلاد: وللمرأة يقال بية، وفي الأصل بايا، وهما بدل أفندي وخانم .

تارزي: ترزي - من الفارسيّة درزة خياطة . الخياط لقب عائلي بتونس .

ترسانة : Tersane محرفة عن العربية دار الصناعة .

جمـــباز: جتـــباز - جانباز Ganbaz اللاعب بحياته المجازف بروحه : نوع من الرياضة البدنية.

خازوق: Kazik الوتد، كلمة تستعمل في الدعاء على الإنسان بالشر .

خـــردة: Ḫurda من كل شيء أصغره، ما صغر من السلع، مقصورة في التونسية على الأشياء المستعملة القديمة .

خَزْندار: خازندار Hazinedar أمين الصندوق. لقب عائلي بتونس .

خْشَاف: خوشاف - شراب الزبيب الجاف - وبتونس شراب السفرجل .

خوجة: Ḫoca خواجا - المعلم - المدرس - الأستاذ من رجال الدين. القارئ للقرآن - لقب عائلي .

دُغري: الذهاب رأسًا - صدق.

رِنقة: Ringa زنكة نوع من السمك Hereng

سراية: سراي: القصر الملكي الفخم .

شيشة: Šiše الزجاجة. القارورة. والقارورة الخاصة بتدخين التنباك .

صادة: سادة - بسيط - غير مركب غير مزوق ــ بلا سكر عند الحديث عن القهوة.

طاقم: مجموع آلات وأدوات .

طاوة: طاية ــ مقلاة .

طرشي: Turšu الحموضة، يطلق على المخللات .

عنبر: من العربية نبر - أنبار، مكان تحفظ فيه المواد الغذائية ، بيت التاجر Ambar .

فنجال: في التركية منقولة من الفارسية بنكان الكأس المخصص للقهوة أو الشاي .

قازان:Kazzan قدر كبيرة واسعة من النحاس يطبخ فيها المقادير الكثيرة من الطعام.

قــازيق: Kazik نفس كلمة قازوق ولكنها تستعمل بهذه الصورة للمعنى المجـــازي الدسيسة القديمة. الحيلة. الخدعة .

فــمرف: المكس - الإدارة التي تتولى قبض المكس .

قفطان: قميص فوقي.

قهوارطي: قهوالطي ما يتناول الصباح مع القهوة .

قيش: قايش: جلد يسن به الحلاق موساه .

كاغد : Kağit عن الفارسية Kagez ورق .

كــراكوز : قرة كوز ــ وأصلها فارسي Karogoz العين السوداء - الشخص الأول في لعبة الخيالاتية .

أمــا اللغة الإيطالية فإن أكثر ما دخل منها في الاستعمال في اللسان التونسي ألفاظ الحــرف والصــناعات الــتي كان يشارك الإيطاليون وأهل صقلية فيها، أو الكلمات " اليومية " المتصلة بالتقاليد وأنواع الطعام ولبيان ذلك نعرض المجموعة التالية :

بالانسي	Balance	باخرة صيد.
بالانكو	Balanco	حاملة الأثقال - رافعة .
بالطو	Palto	معطف .
بُرُودو	Brodo	حساء.

بيشي ليموني	Pescelimoné	نوع من السمك أصفر اللون .
جرمان	Germano	شـــرمان - كلمة من أصل جرماني تعني بط.
جرناطة	Giornata	اليوم - ما يدفع من أُجرة اليوم عن العمل.
روبافيكا	Robavecohia	الأثواب أو الأمتعة القديمة .
ريكامو	Ricamo	طرز بالإبر وشبيك مخرّم .
ستيفالي	Stivali	جزمة .
سقالا	Scala	سلم - تنظر إلى الأصل التركي " أسكلة"، تســتعمل للدلالــة على خشبة توضـــع جسرًا للنـــزول من الباخرة إلى البر .
سيكمبري	Sgmbri	نـــوع مـــن الســمك الأزرق يسمـــى بالفرنسية ماكرو .
صالصة	Salsa	مرق يعد من عصير الطماطم .
طاولة	Tavola	مائدة مرتفعة - منضدة .
فاما	Fama	شهرة - ذيوع صيت .
فانتازيا	Fantasia	زهـــو ســببه التمـــيز بـــأنواع من الثراء الفكري أو المادي
فطشاطا	Facciata	واجهة .
كارطا	Carta	ورق .
كومودينو	Comodino	منضـــدة صـــغيرة توضـــع جانب السرير بغرفة النوم.
لُمبارا	Lampara	آلة إضاءة تستعمل في الصيد البحري .
لَمبا	Lampada	مصباح ـــ سراج .
مَقْرونة	Macheroni	أكلة إيطالية معروفة .

أمـــا اللغـــة الفرنسية فقد كان استعمالها أكثر، وليس تأثيرها محصورًا في ميدان واحـــد مـــن الميادين، كغيرها من اللغات الأصلية أو الدخيلة. ولسوف نحاول الحديث عـــن ذلك مفصلاً. ولكننا مع هذا نشير إلى أن الذين لم يدرسوا الفرنسية و لم يقرأوها تجـــري عـــلى ألسنتهم كلمات كثيرة انتقلت إليهم بحكم الممارسة اليومية أو العمل في بعـــض المصانع أو القطاعات، ويمكن أن نمثل لذلك بالألفاظ الواردة في القائمة التالية، وهـــي مفـــردات اخترناها من الكلمات المستعملة في قطاع السيارة عند عامة الناس ، مثقفهم وعاميّهم العارف بالفرنسية منهم والجاهل بها:

آربر	Arbre	جذع .
آكس	Axe	محور .
آكسيلارتار	Accelerateur	دواسة البنـــزين - مسرع - معجل .
أمبرياج	Embrayage	دافع المحرك .
أمورتيسار	Amortisseur	رداع .
أنتان	Antenne	صارية .
باتري	Batterie	البطارية ـــ المشحن الكهربائي .
بانس	Pince	مقبض .
بريكيه	Briquet	مقدح .
بلوك	Bloc	الجهاز بأكمله .
بواتا فيتاس	Boiteâ Vitesse	صندوق السرعة .
بوبين	Bobine	ملف كهربائي .
بونباوو	Pompe A eau	مضخة الماء .
بيستون	Piston	مكبس .
تانبور	Tambour	طبل .

تركتور	Tracteur	جرار .
تروفيزار	Rétroviseur	مرآة يرى فيها الناظر خلفه .
تولا	Tôle	صفيحة حديد .
ديلكو	Delco	آلة تجميع الكهرباء .
ديمارار	Demarreur	مطلق .
دينامو	Dynamo	الدينم .
رديتار	Radiateur	المبرد المشعاع .
ريزرفوار	Réservoird, essence	خزان البنــــزين .
سترتار	Starter	مطلق ذاتي أو تلقائي .
سندريا	Cendrier	وعاء الرماد .
سيسبانسيون	Suspension	تعليق .
سيقما	Segment	قطعة الدائرة .
شاسي	Chassis	هيكل السيارة .
شاميز	Chemise	قميص.
شمبرار	Chambre à Air	الإطار الداخلي لعجلة السيارة ـــ الأنبوبة.
فار	Phare	الوهاج.
فانتيلاتار	Ventilateur	مروحة.
فران	Frein	كابح.
فولن	Volant	مقود.
فيدانج	Vidange	تخلية - تفريغ .
فيس بلاتيني	Vis Platiné	لولب مصفح .
فيلتر	Filtre	مصفاة .

فيياز	Veilleuse	آلة الإنارة الخافتة .
قرقبو	Garde- Boue	الواقي من الوحل .
كبوط	Capote	غطاء .
كربيراتار	Carburateur	المبخر .
كوروا	Courroie	سير. ج : سيور .
كريك	Cric	مرفع .
كلينياتار	Clignateur	الإشارة الضوئية .
كنتار	Compteur	عدّاد .
كوبراسار	Compresseur	ضاغط .
كوتشو	Caoutchouc	مطاط .
كولاس	Culasse	مغلاق ـــ قلنسوة المحرك .
مال آريار	Malle- Arriere	صندوق المؤخرة لنقل الأمتعة .

ولا تكمن صعوبة دراسة العامية التونسية في هذا الخليط من الكلم والاستعمالات المخـــتلفة الأصل والجنس، بقدر ما تظهر كبيرة في تحديد طريقة النطق عند أهل تونس وأهـــل المغـــرب عامـــة. وأول من جابهته بعنف هذه الصعوبة المستشرقون؛ فقد كان الفرنســـيون الذيـــن يرغـــبون في الاســـتقرار بشمالي إفريقيا أو زيارته أيام الاحتلال الأجـــنبي، ويودون الاحتكاك بأهله والتعامل معهم بعد حفظهم لمجموعة من الكلمات تزيد أحيانًا على خمسمائة لفظة يتعذر عليهم في أحيان كثيرة الفهم والإفهام ،بسبب وعـــورة الـــنطق أو تشـــابهه أو تشاكله لما يكون بين الألفاظ من اشتراك مرة وتجانس أخـــرى. ولما ينبهم من المعاني بسبب الخطأ في الترقيق والتفخيم لبعض الحروف. وقد مثـــل بعضهم لهذه الصعوبة بالكلمات التالية :

أمان ـــ من الأمن، وأمان بتفخيم الميم = كيف يمكن ؟

أمين ـــ خبير، وآمين ما يقال عند الدعاء .

بابا ـــ مفخمًا أبي، مرققًا بابُه .

باش ـــ سوف، باش: كساء سميك تغطى به مختلف الأمتعة .

برد ـــ أحس بالبرودة، وبَرَد من برد أي استعمل المبرد .

بِلاَّ ـــ أمر بوضع الشيء في الماء ، وبالله : قسم .

تاب ـــ من التوبة ، وطاب ـــ نضج .

حرام ـــ بترقـــيق الـــراء قطعة من النسيج توضع على الرأس وتسدل من الطرفين.

وحرام ـــ ممنوع شرعًا .

دوا ـــ دواء، ضوا ـــ ضاء .

راجل ـــ رجل واحد ، راجل ـــ يعني بها جنس الرجل .

ربِّي ـــ إلهي، وربِّي : حبر اليهود .

زِرْب ـــ أسرع وجَرب ـــ مرض بالجرب .

الجـــرب: المرض.

سُوم ـــ سعر، وصُوم أمر بالصوم .

فِرز ـــ انتت، وفَرج = العافية .

فِرش ـــ بسط الثوب ، وفَرْش سرير.

كَرا ـــ أجَّر، كره ـــ لم يرض .

كَلاَ ـــ أكل، وقلا ـــ قلى .

لبابا ـــ هو وسط الخبز غير الناضج .

لبابا ـــ لأبي. الأولى بترقيق الباء والثانية بتفخيمها .

للاَّ ـــ ما يقال عند نداء السيدة ، ولله ما ينسب لله .

مَرَّة ـــ للواحدة ، ومُرَّة ضد العذب .

نْسَا ـــ جمع امرأة، ونْسا: جنس، نسا: نَسِي .

ولَّى ـــ بمعنى أمر ، ووالله ـــ قسم .

ومـــن ثم أقـــبل المستشرقون ومن تبعهم من أبناء تونس وسائر بلاد المغرب من أصـــحاب الدراسات الألسنية على تحديد الكلم وضبط طرق النطق بها بحسب الأقاليم والجهـــات والمدن والقرى. وهم بعد إقرارهم بما بين اللغة العامية بالمشرق واللغة العامية بالمغـــرب مـــن الاخـــتلاف والتـــباين الذي يبرز بصورة واضحة في قلة الحركات أو اختصـــارها، كمـــا في خرج وسمعت وكتب وتفضَّل. فهي عند أهل المشرق مسكنة الأواخـــر في الاســـتعمال، محـــركة بحركاتها الطبيعية في بقية الأحرف كما في الأصل الفصـــيح. وهـــي لدى المغاربة مسكّنة الأوائل بتوهم حركة سابقة في الأكثر كسرة، وتشـــريك الحـــرف الأول بعد السكون الطارئ عليه في الحركة مع الحرف الموالي له فـــنقول: اخْخَـــرج واسْسَمَعت واكْكتِب واتّتَفضل . وكذلك بعد إيرادهم الكلمات المشـــتركة بـــين أهـــل المغرب، والمستعملة خاصة بشرقيه ، والمتداولة فحسب بالبلاد التونســـية تعمقوا دراسة اللغة واللهجات داخل القطر التونسي مفرقين بين ما يستعمل مـــن ذلك بالعاصمة أو بالمدن والقرى المتصلة بها، وبين ما هو من خصائص الاستعمال والتعبير عند البدو الرحل .

وبقصـــد إنارة الباحث وتمكينه من تصور ذلك ، أحببنا أن نعرض عليه نماذج وأمثلة لكل هذه الاستعمالات .

فمـــن الكـــلم المشـــتركة في الاستعمال بين عامة سكان المغرب كلمات متنوعة مختلفة الأصول مثل:

انزاص ــــ اجاص .

اكحل ــــ أسود .

ازعـــر ــــ أشقر .

بـــرح ــــ رفع صوته .

بـــرّاد ــــ إناء يطبخ فيه الشاي .

بلارج ــــ نوع من الطير .

بيتر	ـــ نوع من التين .
بَكُوش	ـــ أبكم .
بَزُوله	ـــ ثدي .
ترَّاس	ـــ أعزب ـــ راجل .
تبرورى	ـــ برد .
تِرْفاس	ـــ نبت مثل البطاطس .
تغشَّش	ـــ غضب .
جُرّة	ـــ أثر الأقدام .
جْرَان	ـــ ضفدع .
جُغْمة	ـــ جرعة .
حَلْ	ـــ فتح .
حَرْقُوس	ـــ مادة نبتية تحرق حتى تصبح سائلاً أسود تزين بها المرأة بوضع نقط منها في وجهها أو خدها أو على حاجبها .
خمّم	ـــ فكر.
خص	ـــ نقصر.
خْدِم	ـــ اشتغل.
رومي	ـــ نصراني.
زْرِب	ـــ أسرع.
زْوَا	ـــ العصفور ، زقا.
زَايْلة	ـــ دابّة .
زَرْدَة	ـــ مأدبة.
دَشْرة	ـــ قرية .
سَلَّك	ـــ خلّص .

سيَّق — أراق الماء بكثرة قصد التنظيف .

ساسا — سأل .

سَرْدوك — ديك.

سَلُّوم — سلّم.

سْخُون — حار.

شْكَارة — كيس.

شَاقُور — فأس صغيرة .

شارب — شفة.

شَلْغُوم — شارب.

صب المطر — نزل .

صَوَّر — حصل.

صُمعة — صومعة .

صباط — حذا.

طاب — نضج .

طيَّب — أنضج — طبخ.

علُّوش — خروف.

عَرْش — فخذ القبيلة.

عَتْروس — ذكر الماعز .

فْلُوس — مال .

فَرطاس — أقرع .

فكرون — سلحفاة.

قد — يكفي.

قَرجُومة — أول العنق.

قْدِم — قضم.

تُطاية — ظفيرة الشعر.

كحَّ — سعل.

كاف — ربوة.

كْرَم — تين.

كْرَموس — تينة.

مَلْف — نوع من النسيج له ظهر وبطن أملس .

مِشماش — مشمش.

هْدَر — تكلَّم ، صوت الجمل.

هَجَّالة — أرملة.

وَلّى — صار.

وِجْه — طلقة نارية.

ومـــن الكـــلمات المتداولة بشرقي المغرب والمشتركة في الاستعمال بين سكان البلاد التونسية وطرابلس وقسنطينة .

بَرّا — اذهب.

بصَّر — داعب.

بُرْقْدَان — برتقال.

ثِنيَّة — طريق.

جُرْمان — بط.

حَبْرِمْا — دُوبَّما — حَدْما = حدما — حالما، عندما .

خْنِب — سرق.

راح — ذهب.

سانية — بستان

سْفِنارية ـــ جزر.

قطوس ـــ قط.

لِينْ ـــ حتى.

نْغَر ـــ غضب.

ومن الاستعمالات الخاصة بالبلاد التونسية :

بَرشْة ـــ كثير.

بِرْشيّ ـــ ولد الماعز .

بَرْكُوس ـــ الواحد من الضأن دون الكبش وفوق الخروف.

بَعْبُوص ـــ ذيل.

بُوش ـــ فارغ.

قم ـــ تُبدل في بعض الجهات الثاء فاء فيقال: فـم = موجود .

ماثماش ـــ غير موجود.

جحْفأ ـــ المحمـل الذي تركبه المرأة وتستعمل في بعض المجتمعات بحمل العروس خاصة.

حَجَّم ـــ حلق ـــ زيَّن ـــ حَسَّن.

دُولاش ـــ تجوال.

رْتَاحَ ـــ استراح.

زاده ـــ مع ذلك.

سُطُوش ـــ محفظة.

سُورِّيَة ـــ قميص.

شيَّع ـــ رافق.

صُوّة ـــ البريَّة.

صِيد = أسد.

ضَبُّوط = إبط.

طَرْبُوشَة = جيب كبيرة بأعلى البرنس.

غَشّير = طفل.

فَرْخ = صغير، للحيوان وغيره.

قْدِم = قضم.

كَدْرون = كساء من صوف يلبس خاصة بالساحل التونسي.

كَرْهَبة ــ كراهب = سيارة ــ سيارات.

كَرومُة = قفا العنق.

كَشْطَة = عمامة.

مُرْشانة = حبل مظفّر وتطلق مجازًا على المال القليل.

مُنْفالة = ساعة.

نُوض = قم.

هَنْشِير = مزرعة.

وزْرَة = نسيج من صوف يرتديه الأعراب.

وْفَا = انتهى.

أمـــا التفريق بين لغة سكان العاصمة ولغة القرى ولسان أهل البادية فإنه يحتاج إلى نظرة خاصة مزدوجة ترجع من ناحية إلى الكلم ومن أخرى إلى طريقة النطق بها .

فمن الكلمات المستعملة بعاصمة تونس:

آش = مــاذا. أي شـــيء. بـــاش: بأي شيء ، سسوف علاش: لأي شيء. كيفاش: كيف. لم لاش: لأي شيء. لواش: لماذا. مداش: من أجل ماذا؟

أولا دفن = قبيلة.

إيجا = أقبل.

بْحَدك ولاّ = أجاد أنت أم تهزل ؟

تْفَدْلكْ

بَرشْة = كثير.

بالك = ربما.

بَرْكة = كفاية.

بِسْيِيف = قسرًا.

بكْرى = أول الوقت وقبل .

بلّْى = مهما.

تَوَّا = الآن.

حَبْ = أراد.

حُوْت = سمك.

خْزَر = نظر بحدَّة ـــ حدّق.

دْخَل = دخل.

راوْ مِزّوال = لو.

زربية = بساط.

زعما = هل.

ساق = قدم.

شْتَا = مطر.

شاشيَّة = قلنسوة ـــ غطاء الرأس.

طْلَع = صعد.

عْمَل = عمل.

قَدْقَدْ = تمامًا.

كِيف = مثل، عند.

لْبارح = أمس.

هْبَط = نزل.

هُونِي = هنا.

يزّي = يجزي ــ يكفي.

باسر = كثير، وتستعمل عند بدو الجزائر.

وقد يحصل في النطق بكثير من الكلم فرق مبناه اختلاف المتكلم بها رجلاً كان أم امـــرأة. ففـــي كلمة بَيْن بَيْن، وزَوْج واثنين، وزينب، وعين، تبدل الحركة السابقة لحـــرف العلـــة الساكن فيها حركة تجانس الواو أو الياء التي تصير مدًّا لتلك الحركة ، فيقول الرجل: بِين بِين، زُوج، اثِين، زِينب، وعِين. وتنطق المرأة التونسية وكذلك أهل مدينة صفاقس بهذه الكلمات على الوجه الفصيح الصحيح .

ولســـنا في هـــذه المناسبة العارضة والزمن القصير بقادرين على أن نضع قانونًا يضـــبط أحوال النطق والتصريف للكلم في العامية التونسية، ولكننا نكتفي فقط في هذا العـــرض بالإشارة إلى مجموعة ملاحظات تعين على تصور الأوجه المستعملة والطرائق المعتمدة في النطق بمختلف جهات البلاد التونسية .

فســـكان المدن والحواضر والقرى يبدلون الجيم زايًا في مثل: جوز – زوز: ثمرة، وزوز أيضًا بمعنى بعل واثنان، وفي جاز يقال: زاز بمعنى دخل، وفي جنس يقال: زنس .

ويحذفـــون الألـــف مـــن أداة الـــتعريف أو الجنس، وربما حذفوا الألف واللام كلـــيهما، يقولون: عَلْفرس: على الفرس. عَسْسَطح: على السطح. مِلْباب: من الباب. مِدْدار: من الدار .

ولهـــم بالنســـبة للضمائر المتصلة كتاء الخطاب الساكنة آخر الفعل الماضي حالة واحـــدة لـــلمذكر والمؤنث، تقول: نزلتْ: أنتَ وأنتِ، وتستعمل التاء والواو لجماعة المخاطبين ذكورًا وإناثًا بصورة واحدة، تقول: نزِلْتو: أنتم وأنتنّ .

وكـــذا الحال بالنسبة لواو الجمع مفردة في مثل: نزلوا، حالة واحدة: هم وهن. وتـــتحد الصـــيغة أيضًـــا في الأمر للمفرد مذكرًا ومؤنثًا، يقال: انزل، له ولها. أما مع الضـــمائر المنفصـــلة فإن لضمير المخاطب المفرد حالة واحدة للمذكر والمؤنث: إنت. وهـــناك حالتان مع ضمير المخاطب المنفصل إذا كان جمعًا، ذكرًا أو أنثى، يقال: أنتم وأنتوما .

أمـــا ضمير الغائب فهو يختلف بين المذكر والمؤنث، فيقال للأول: هو. وللثاني: هـــي. وفي حالة الإضافة تقلب الهاء واوًا في المذكر، فتقول: متاعو، بدل متاعه، وتبقى عـــلى حالها بالنسبة للمؤنث فتقول: متاعها، كما في الفصيح. ولضمير الجمع صيغتان يستوي فيهما أيضًا المذكر والمؤنث وهما: هم وهوما.

أمـــا كاف الخطاب فإنها تكون بصيغة واحدة للمذكر والمؤنث ؛ حالة الإفراد متاعك، وحالة الجمع متاعكم .

وفي اسم الإشارة تقترن هاء التنبيه بلام ال ، أو بألف ذلك ، بدون ذكر الذال فـــيقولون: هالكتاب، في هذا الكتاب، وهاكْلْولد. ويختلف هذا الاستعمال بالطبع عما هـــو شـــائع بسائر بلاد المغرب من مثل قولهم : هذا الولد ـــ هاذاك الولد ـــ هاذيك البنت ـــ هاذوك الأولاد ـــ ذاك الولد ـــ ذوك الأولاد ـــ وذيك البنت .

أما شأنهم مع الفعل فإن لهم تصرفات خاصة به في الماضي والمضارع والأمر .

فهـــم يهملون صيغة انفعل للمطاوعة ويعوضونها بصيغة فعل مقترنة بتاء لاحقة أوَّـــله ، تقـــول في فِعْليْ: حرق ـــ حاز، بدل: انحرق وانحاز: تحرق و تحرقت، وتحاز وتحازت .

ويحولـــون صـــيغة فعلّ في مثل ابيضّ واحمَرّ وفي مثلها في يبس إلى افعالّ ابياضّ واحمارّ وايباسّ .

ولصـــيغ المضيّ في النواقص حالة واحدة فإذا اقترن الفعل بضمير الغائب المؤنث للواحد وهو التاء، أو بعلامة الجمع وهي الواو، فإنك تقول في:

نسى	نسات	نساو
مشى	مشات	مشاو
ربّى	ربّات	ربّاو
قاسى	قاسات	قاساو
تعرى	تعرّات	تعرّاو
تلاقى	تلاقات	تلاقاو
استحلى	سْتحلات	سْتحلاو

وتضـــعف الـــتاء علامة التأْنيث الساكنة آخر الفعل الماضي عند اتصالها بكاف الخطـــاب أَو بهاء الغائب المنقلبة واوًا فتقول في: ضربت ضربِتّك = ضربتك. وسلمت سلمِتّو = سلمته .

وفي الفعل المضارع يبدلون حرف المضارعة للمتكلم الواحد وهو الهمزة بحرف المضـــارع عـــلى الجمع، ويضيفون حالة الجمع واوًا آخر الفعل، ويقولون في اخرج: تخرج، وفي نخرج: نخرجو .

وفي مضـــارع يستفعل الأَجوف يقولون في مثل يستفيد: يستفاد، وفي مضارع يستفعل الناقص يقولون في مثل يستحلي يِستحلا.

ويحـــتفظ المضارع الناقص وكذا الأَمر بالأَلف أَو الياء في آخره عند اقترانه بواو الجمع يظهر ذلك في مثل:

مشى	نِمْشِيو	إِمْشِيو
ربَّى	يربيو	ربيو
قاسى	نقاسيو	قاسيو
نسى	تتساو	نْساو
تعدّى	تتعداو	تعداو
تلاقى	نتلاقاو	تلاقاو
ستحلى	يستحلاو	ستحلاو

أما فعل الأمر فإن العامية التونسية لا تجري فيه على قواعد التصريف العربية تقول في :

ضرب	يضرب	إضْرِب
ضْرب	يضْربَ	أَضْرَب
رمَى	يرمى	إرِم
شرب	يشرب	إشرَب
شرب	يُشرُب	أُشْرُب

فـــإذا نظـــرنا إلى الأسماءِ في الاستعمالات اليومية باللسان التونسي في العواصم والمـــدن والقـــرى وجدنـــا ما كان منها على زنة فَعْل أَو فُعْل أَو فعْل يتغير النطق به إلى فْعَـــل وفُعُـــل ما لم يكن ناقصًا تقول في قَبْر: قْبَر وفي طِفل: طْفُل وفي قُفل: قْفِل، فإذا كان ناقصاً بقي على صورته العربية الفصيحة كما في مشى وزهو وجدي.

والمصـــادر في الدَّارجـــة التونســـية تـــأْتي على وزن فَعْلان كدَخْلان من دخل دخولاً، وحَلان من حلّ بمعنى فتح، ووفْيان من وفى بمعنى انتهى، وطَوْيان من طوى .

أما الجموع فإن منها ما يكون على أفعلة كما في أَقْلِمْة جمع قلم، وأَمْغِصْة جمع مغص .

أَمـــا جموع الأَسماء أَو الصفات الدّالة على علة أو لون فإنها تكون على زنة فْعُل أَو فْعِـــل مثل: بْيُض حْمُر كَحُل عْوُر عْمِى طْرُش. وتأتي جموع الاسم الثلاثي المؤنث عـــلى زنـــة فعالى، كما في قصعة: قْصاعى ـــ إبرة: أَبارى ـــ قفلة: قْفَالى ـــ كسوة: كْساوى ـــ زربية: زْرَابى .

ومن الأَوصاف ما يكون على زنة فْعُول مثل: سْخُون لساخن، وهْشُوش لهِش .

ويجمع حلو الذي مؤنثه حلوة على حْلُوِّين بتشديد الواو .

ونلاحـــظ بالنسبة لأسماءِ الفاعلين والمفعولين مما زاد على الثلاثي حالات خاصة بهـــذا اللســـان. فهناك صيغة واحدة لاسم الفاعل والمفعول، وهي مْفَعِّل تقول مْكمِّل ومْسمِّي.

وفي صيغ أسماء الفاعلين والمفعولين والمصادر التي من زنة فعلّ أو تفعّل الناقصين تنسجم في النطق بالكلمة حركة المقطع الأول مع حركة المقطع الثاني، تقول في معرّي: مْعِرّي، وفي مُتعَدّي: متْعِدّي، وفي تَسْمية: تِسْمِية. فإذا اتصلت حركة الفتحة بحرف لهويّ أو مفخم فإنها تقلب ضمة كما في مْرُبّي وفي تَنْقية تُنْقيّة .

ونفس القاعدة تنطبق على أسماءِ المفعولين النواقص ، تقول في مبلى : مِبْلى ، وفي مِقلى : مُقْلى و في مِصلى ، مُصْلى .

وإذا اقترن اسم الفاعل المؤنث المفرد بكاف الخطاب أو هاءِ الغائب المنقلبة واواً ضعّف تاءَ التأنيث من آخره تقول: قاتلَته = قاتْلتُّو ـ مُحاذيتُك = محاذيتّتك ومحاذيته = محاذِيتْتُو ـ مقابلتك = مقابِلْتّك ـ مقابلته = مقابلتّو .ومن الأسماء والأوصاف ما يقترن في اللسان التونسي بلواحق من أصل تركي تكون في أول الكلمة مثل باش، أو في آخرها مثل جي، أو في الأول والآخر كما في الأمثلة الموالية :

مُصْرُفْجي = مبذر .

كَافُورجي = شديد الكفر .

قَرباجي = الساقي الذي يَحمل القربة، ويقال في المغرب: قراب .

بَلاغْجي = صانع البلغة " النعل"، ويقال في المغرب: بلايغي .

باش مفتي = رئيس المفتيين أو كَبير أهل الشورى.

باش كاتب = رئيس الكتاب.

باش قَمّار = كثير لعب القمار .

باش زُوفري = كبير المستهترين أخلاقيًّا.

باش طبْجي = رئيس الطبجية المستعملين للمدفع .

وقد تحصل مفارقات في الاستعمال في المكان الواحد كعاصمة تونس بين المتكلمين للسان الواحد من أصحاب العقائد المختلفة كالمسلمين واليهود ، ومن أجل الإفصاح عن ذلك نعرض الأمثلة والاستعمالات الآتية:

(م)	(ى)	(ف)
جربوع	زربوع	جرد
جرح	زرح	جرح
زلق	جلق	زلق
سرق	شرق	سرق
شرب	سرب	شرب
شرط	سرط	شرط
شطح	سطح	رقص
شنق	سنق	شنق
صْلُح	صْلح	صلح
طُرَز	طْرُز	طرز
عْطَش	عْطُش	عطش
ياسر ـــ برشة	ياسر	كثير

	(م)	(ى)	(ف)
ضمير المخاطب الفرد المنفصل	أنت ـــ أنتيا ـــ أنتينا	أنت	أنت ـــ أنت
ضمير الغائب للجمع المنفصل	هوما	أوهان	هم
ضمير المخاطب للجمع المنفصل	أنتوما	أنتومان	أنتم ـــ أنتن
ضمير المتكلم للجمع المنفصل	أحنا	إحنا	نحن
	جابوه	جابوو	جاءوا به

ضمير الغائب المتصل	هذا ــ هذايا	آذا	هذا
الإشارة للقريب	هذاكما هاذوــ هذوما	آدو ــ آدومان	أولاء أولائك
الإشارة للبعيد	آشكونو ــ آشكونى	آشكون	مَنْ
للاستفهام عن الشخص	آما ــ آنا	آما	أى
للاستفهام عن الشيء			
العدد	مْية	مِيًّا	مائة
	مِيتين	مَيْتين	مائتان
الظرف	ثَم ــ فم	تَم	ثمة
السؤال عن المكان	وِين	واين	أين
	وينى ــ وينهي	واين واينيها	أين هي
كلمة	في عوض	في عاوض	عِوض
	عاد	بقى	بقى
	ماعاتش	مابقاش	لم يبق
علامة التثنية	كتابِين ــ مروحتِين	كتابَيْن ــ مروحتَيْن	كــــتابان ــ بَيْن مروحتان
علامة الجمع	المسلمين	مسلماين	مسلمون ــ مسلمين
كلمة مختومة بيين	يلين	يلبان	يلين
جمع الكلمة المختومة بيان	عطاشة ــ عاطشين	عاطشين إلا في عار وجاف فله الصــــــورتان للجمع.	عطاش ــ عطاشى
جمع صبية	صبايا	صبيات	صبايا

جمع أخ	إخوة ونحوها	خوات	إخوة وغيرها
جمع موتى	موتى	مايتين	أمــوات ــ موتى
جمع على أفعلة	أقلمة	غير موجود	أقلام
كلمة	عاى ــ عيان	عيَّان	متعب
كلمة	وثالبارح	أول بارح	أول أمس
الفعــل الناقص اليائى في المضارع للمتكلمين	نمشيو	نمشيبو	نمشى
فعل أمر	آمَر	امار	أمر ــ مر
فعل	زوز	زوز ــ زواز	ادخل
فعل	صيّر	صيّر ــ صيّار	صيّر
تعجب	منظفو	مانظفو	ما أنظفه
كلمة	هانى	غير موجودة	ها أنا
	مانى	غير موجودة	ما أنا

فــإذا فارق المتتبع لتطورات وأحوال هذا اللسان " الدارجة التونسية " بالعاصمة وضــواحيها، وذهب متوغلاً في القرى البعيدة عنها والمدن المنتشرة بأنحاء الجمهورية، لاحــظ أن هناك اختلافًا بينًا من جهة إلى جهة، ومن منطقة إلى أخرى، ففي كثير من القــرى تبدل الفتحة كَسْرة في النطق بأواخر الكلم أسماء كانت الكلم أو أفعالاً وذلك كما في :

(ت) تونس	(ق) قرية	(ف) فصيح
ما	مى	ماء
مشى	مشى	مشى
نسى	نسى	نسى

وأكثر ما يسمع ذلك بجهة الوطن القبلي .

وتقلب الياء ألفًا لينة في أواخر الكلم وذلك في مثل :

(ت) تونس	(ق) قرية	(ف) فصيح
اللي	اللا	الذي
تقليها	تقلاها	تلقينها

وهذا ببلاد الساحل كثير .

أمـــا في البوادي فأنت في أحيان كثيرة أمام ألفاظ جديدة وصور تعبيرية مخالفة لما عهدته أو سمعته بالحواضر والمدن والقرى ويظهر ذلك في مثل هذه الكلمات:

بادية	تونس	فصيح
آمس	البارح	أمس
بغى	حبّ	أراد
تعال ـــ أراح	ايجا	تعال أقبل
خش	دخل	دخل
دار ـــ دنا	عمل	عمل
رقا	طلع	صعد
شبح	شاف	بصر
ظهر	خرج	خرج
كبوس	شاشية	قلنسوة ما يلبسه الرجال فوق الرأس.
كراع	ساق	قدم ـــ رجل
لَمَّد	جمع	جمع
نَوْ	شتا	مطر

هنا	هنا	هنى
نزل	هبط	هود ـــ حدر
أشعل ـــ أوقد	شعَّل	ولّع

وأشهر ما يتميز به اللسان في البوادي التونسية ويختلف به عن أهل المدن والقرى النطق بالقاف المعقّدة كما في :

فول ـــ قول ـــ قل .

فلب ـــ قلب ـــ قلب .

حفرني ـــ حقرني ـــ احتقرني .

ويفـــرق البدو تفريقًا واضحًا بين المذكر والمؤنث فهم وإن كسروا الهمزة من إنت الضـــمير المنفصل للمخاطب يفتحون التاء للمذكر ويكسرونها للمؤنث. ويبرزون هذا الفـــرق واضـــحًا في الأفعال فيقولون شِبت المستعملة للمذكر والمؤنث بتاء ساكنة في الآخر عند أهل المدن والقرى شِبتْ بتسكين التاء للمذكر وشبتِ ـــ بكسرها للمؤنث وفي مـــثل الأمر من زاد يقولون للمذكر زيد وللمؤنث زيدى، وفي الأمر من تحيَّر تحيرْ للمذكر وتحيري للمؤنث .

ونلاحظ اختلافًا في استعمال الأفعال يبدو في مثل :

فصيح	بدو	مدينة
تتجارون	تتجارُو	تتجاراو
تنقت	تنقت	تنقات
تنسون	تنسُو	تنساو
تمنوا	تمننو	تمناو
خلّوا	خلْو	خلاو
استحلت	ستحلت	ستحلات
مشت	مشْت	مشات

مشاو	مشُو	مشوا
نسقيو	نسقو	نسقى
يجيو	يَجُو	يجيؤون ــ يَأْتون

ولهـــم في الأفعـــال الماضـــية وفي أسماء الأفعال المقترنة بهاء الغائب المنقلبة واوًا صورتان في النطق، وكذا المقترنة بكاف الخطاب:

جاءت بك	جابتك	جاباتك
جاءت به	جاباتو	جاباتا
سلمته	سلماتو	سلماتا
قتلته	قتلاتو	قتلاتا
مقابلة لك	مقابلتك	مقابلاتك
مقابلة له		
مقابلته	مقابلاتو	مقابلاتا

ويعـــود البدو إلى الصيغة الفصيحة في الأسماء الثلاثية التي على وزن فَعْل وفُعْل وفِعْل، وكذا في جموع الأسماء والأوصاف الدالة على الأمراض والألوان :
تِـــبْن ــ قَبْر ــ قَفْل ــ حُلْو ــ حُمْر ــ عُور ــ عُمي ــ بِيض. ويقولون في التصغير لـــ :

	ت	ب
كبش	كبيش	كبيش
رأس	رويس	رويس
مفتاح	مفتيح	مفتيح
كرموصة	كريمصة	كريميصة

ومـــن جموعهم ما هو عربي فصيح كمفاتيح وحوانيت ودكاكين مقابل مفاتح وحوانت ودكاكن في لسان أهل الحضر .

ومـــن جموعهم أيضًا ما يكون على زنة المؤنث السالم بزيادة الألف والتاء أو ما يكـــون بزيادة الألف والنون كما في قولهم كباش سمينات ـــ أيام ياسرات ـــ جمال ـــ وردان.

ولهـــم صـــيغ في الجمـــع لا تكـــاد تستعمل في المدن كصيغة فعل وفعل وفعلّ مـــثل قولهـــم: سُـــبق جمع سابق، وشُرُّف جمع شارف، وجرِّم جمع جارم، وبفِرة جمع بقـــرة وغِـــربَّة جمع غراب، وعِقِبّة جمع عقاب، ويستعملون لجمع الجمع صيغة مختلفة كمـــا في فرســـان يقولـــون فـــراس وفراســـين، وفي نســـوان نســـاوين، وفي نيران نوارين .

وطـــريقة الـــنطق بالـــبوادي ليســـت واحدة هي أيضًا، بل هي مختلفة بحسب اختلاف المناطق كالاختلاف في المدن والقرى الذي أشرنا إليه بحسب الجهات .

وأبرز المناطق للقبائل و" العروش " وهي بطون القبائل في البلاد التونسية اثنتان:

الأولى: تمـــتد أواســـط الـــبلاد مـــن شمال الشط إلى مجردة وتشمل من القبائل الهمامة: والفراشيش وماجر وجلاص وأولاد عيار وأولاد بوغانم ودريد .

والثانـــية: تمتد في الجنوب مسايرة للساحل إلى حدود ليبيا من جهة، وتمتد إلى حـــدود الجزائر متصلة بسوف جنوبًا وتالة شمالاً من جهة أخرى، وتشمل هذه المنطقة الثانـــية عـــددًا كـــبيرًا مـــن القبائل هي: ورغمة والمرايف ونفزاوة وعكارة والحمارنة وبـــنوزيد وقاطـــنو واحـــات قابس والهوازية ، والعاربة ونفات والمثاليت والسواسي وأولاد سعيد وهذيل ومقعد وحمير .

فإذا رمزنا إلى أصحاب المنطقة الأولى بـــ (أ) ولأصحاب المنطقة الثانية بـــ (ب) أمكننا أن نلاحظ الفروق الآتية في النطق بين أهليهما:

فصيح	(أ)	(ب)
آخر	آواخر	آخُر
بقرة	بقرة	بُقرة
ربطت	ربطت	رُبطت
		رِبطت
عتبة	عتبة	عتِبة
عربي	عربي	عُربي

فصيح	(أ)	(ب)
فرسه	فرسو	فرسا
قتلوه	قتلوه	قتلوِه
كلبه	كلبو	كلبا
امرأتي	مرتي	مرتي ومِرتي
يأْخذ	يوخذ	يأْخِذ
يأْكل	يوكل	يأْكِل

ويـــأتي اسم الفاعل واسم المفعول بصيغة واحدة عند أهل المنطقة الأولى كما في مســـمى لمسمى ومسمى، ويفرق بين الاسمين عند أهل المنطقة الثانية الذين يقولون في اسم الفاعل من ربّى مربّي وفي اسم المفعول منه مربّى .

وتقـــترن كلمة بعض أمام ضمير الجمع عند (أ) يقولون بعضاهم وضمير الجمع للغائـــب عند (أ): هم وهوما وعند (ب) هم وهنن، ويفرق أصحاب المنطقة الثانية بين المذكـــر والمؤنـــث تفـــريقًا واضـــحًا كما في بيتك للمذكر وبيتك وضربك وضربك لـــلمذكر وضربك وضربك للمؤنث، وربما أبرز نون النسوة كما يقول المرازيق بيتكن، وجـــيتن في بيـــتكن وهذا اللسان مع اختلاف اللهجات فيه قد مسه تطور كبير وكان مرة ضعيفًا ممتهنًا مردودًا وأخرى مؤيدًا محتفلاً به مقصودًا .

كـــان اللسان الدارج لغة العامة دون الخاصة. وكان هؤلاء لا يستعملونه إلا في الحـــوار وللضـــرورة. وإذا كانت الفصحى هي التي سادت في الأول لكونها لغة القرآن والديـــن والـــدرس والعلم والأدب والفكر، وكانت تمثل وحدها بتونس لغة الحضارة والرقي والمعرفة فإن اللغة الدارجة إزاءها كانت بدون شك وفي نفوس المتحدثين بها لا تســـمو إلى مكانهـــا ولا تبلغ شأنها، ولا تستطيع أبدًا مزاحمتها خاصة بالمعاهد العلمية والمســـاجد مـــثل جـــامع الزيـــتونة ومراكز التعليم الديني الإسلامي ومجالات الوعظ والتوجـــيه وعند الأئمة ولدى العدول والقضاة والمحامين وكل الإدارة التونسية. كانت

الفصحى المميز الفارق بين العالم والجاهل والمتقدم والمتأخر، وكان الحديث بها شرفًا وكمالاً يحاول كل التونسيين أن يناله ويحصل عليه لو انتشرت المدارس وعمت دور المعرفة والعلم أطراف البلاد .

فالدارجة إذن لم تكن تُكتب أو تُقيد إلا عند القليل وفي القليل من الأحيان والمناسبات. و لم يكن يعنى بها غير طائفة من الغربيين والمستشرقين، فلما احتاج إليها الساسة، إما لجهل بعضهم بالعربية وعدم ممارستهم السابقة لها، وإما لتحقيق التوعية الشاملة ومخاطبة كل فئات الشعب باللسان الذي تفهمه واللغة التي تستطيع الحوار والمناقشة بها، وقف رئيس الدولة إلى جانب الدارجة واعتمدها وسيلة خطاب جماهيري مقدرًا فيها أقرب وسائل الإبلاغ. وهكذا أصبحت الاجتماعات الحزبية التي تنعقد لا تعتمد في الأكثر غير العامية، وظهرت إلى جانب حصة نشرة الأخبار والتعليق عليها باللسان الدارج ببرامج الإذاعة حصص الأدب الشعبي، وعنيت وزارة الثقافة بتكوين لجان تجمع تراث الأدباء من أزجال وأمثال ونحوها، وعقدت المسابقات بين شعراء الملحون، كما كانت تعقد بين شعراء الفصحى وحدهم. ولكن ذلك مهما نما وزاد لم يكن ليكتب للدارجة قدرة وشرفًا أو يحلها من عامة الناس، وفي قرارة نفوسهم، المحل الذي يريده لها دعاة العامية الزاعمون أنها لغة البلاد، وأنه لا حاجة معها إلى الفصحى العربية .

والملاحظ مع ذلك أن تطوّر الحياة والأوضاع بعد الاستقلال :

أولاً: بنشر المعرفة وتكوين المدارس وإقامة المعاهد في كل مكان بالمدن وبالمراكز والقرى وبالمناطق الريفية النائية .

وثانيًا: باستعمال مختلف وسائل الإعلام وانتشار أجهزة الالتقاط لعديد الإذاعات.

وثالثًا: بالبرامج الثقافية والخلايا أو الشبكات التي تعمل جاهدة من أجل تقريب الكتاب من القراء والمطالعين في كل مكان، والتي يفرض عليها نشاطها أن تتحدث

أحـــيانًا كـــثيرة بالفصـــحى وبالفصـــحى فقط خاصة في المناسبات الدينية واللقاءات الفكرية والأدبية .

غـــيَّر من أحوال الدارجة فتقاربت لهجاتها ، وتبدل الكثير من ألفاظها وتهذبت مـــادة واســـتعمالاً، وانصـــرف العديد من الناس عنها بحكم التعلم إلى استبدال أحد اللســـانين العـــربي الفصيح والفرنسي بها لتغير اهتماماتهم وارتقاء أوضاعهم ومفارقتهم لأوســـاطهم التي نشأوا فيها ودرجوا بها إلى أوساط أخرى تختلف وتتميز عنها تمامًا . وهكـــذا إلى جانب الدارجة المهذبة الجديدة في الأكثر والمهجورة في الأقل يجد التونسي نفســـه أمام مشكل لغوي أشد حدة من السابق تتنازعه أسبابه وتتمزقه دواعيه؛ فهو في صـــراع آخـــر في أكـــثر أوقاته وخارج المحيط العام الذي يضطره قليلاً إلى استعمال الدارجـــة، إمـــا منصرفًا إلى التكلم بلغته القومية: العربية، لغة دينه وقرآنه وبني جلدته، وإمـــا إلى الحديث باللسان الفرنسي الذي يحمل إليه كل مستجد من الحياة وكل ما له عميق الأثر في نفسه من ألوان الثقافة والفكر والحضارة .

والتحقـــيق أن الـــناس وإن بدوا ممزقين وموزعين بين اللغتين الحضاريتين العربية الأصيلة والفرنسية الدخيلة في تونس منقسمون فئات ثلاث:

أمـــا الأولى فهـــي التي لا تعرف غير الفرنسية، وهذه بحمد الله صنف قليل من التونســـيين لا يكاد يذكر، تخرَّج من مدارس الاحتلال الأجنبي التي أقيمت إثر انتصاب الحمايـــة بالـــبلاد التونسية فراعه وبهره ما للغة القوي الدخيل من رُواء وكمال وعزة . وذهـــب يعلـــن أن هـــذه اللغـــة وحدها هي العملية وأنها تستجيب دون غيرها لكل مقتضـــيات الحـــياة وتطوراتها وما يعايشها يوميًّا من تقدم آلي وتقني ورقي حضاري، فهـــو يحتقر العربية ولا يتكلمها لجهله المطبق بها، وإذا تحدث إلى من لا يعرف الفرنسية كان مقتصدًا جد مقتصد يستعمل كلمات قليلة عامية على اشمئزاز وضيق. وإذا خلص مـــن دواعـــي هذا القول عاد إلى تفاصحه بغير العربية. كنت تجد ذلك عند الكثير من أفراد هذه الفئة وخاصة النساء والفتيات المتعلمات اللائـــي يجـــرح كرامتهـــن ويشين

تقدمهن للكلام بغير الفرنسية .

وأمـــا الفـــئة الثانية فقد درست العربية والعربية وحدها، فوجهت إليها عنايتها وتضـــلعت بها وقامت عليها فهي المتمسكة بشرف الفصحى الداعية لها المفارقة لغيرها. وقـــد قصـــرت هذه الفئة عن مشاركة غيرها في أسباب التقدم الحضاري والفكري إلا أن يأتـــيها ذلـــك عن طريق المترجمات، وما ينقل إلى العربية عن روائع الأدب الغربي والفلسفات والآراء والأفكار الأوروبية .

وأمـــا الفـــئة الثالثة فهي أكثر المتعلمين ببلادنا بالأمس القريب . تلقت معارفها وتخرجت من المدارس الفرنكو عربية ومن المعاهد الثانوية والمدارس العليا .كانت تلقن كـــل المـــواد بالفرنسية ولا يكون لها من حظوظ دراسة العربية إلا زمن قليل جدًّا وفي أوقـــات متميزة لهذا الغرض إلا من كان له منها بمحيطه الخاص أو بيئته من يعينه على إكمـــال ذلـــك النقص وتعليمه العربية. وهذا العنصر الذي تتكون منه الفئة الثالثة في مجموعهـــا وإن ادعى معرفة اللغتين العربية والفرنسية بعيد جدًّا عن إتقان إحداهما، فاقد للقـــدرة عـــلى استعمالهما استعمالاً سليمًا وفصيحًا. فهو كلما خانه التعبير باللغة التي يـــتحدث بهـــا ركن إلى الثانية مستنجدًا ومستعينًا للوفاء بما يروم الإعراب عنه ولغلبة اللســـان الفرنسي على هذا الصنف كان أكثره لا يرى عن الفرنسية حولاً ولا يرضى بها بدلاً.

ومـــن هذيـــن الصنفين الثاني والثالث تكون غالب المثقفين التونسيين فصدرت عنهم كتب ودراسات ومقالات وأشعار باللسانين العربي والفرنسي .

وكانـــت العربـــية التي يكتبون بها والتي نقرؤها في الصحف والمجلات وما نشر قبل الاستقلال تنطق بعدة ظواهر:

مـــنها اســـتعمالات فصيحة مهجورة في غير تونس كتأنيث السلم وورود أين بمعنى حيث .

ومـــنها ألفاظ اصطلاحية خاصة، كالتعبير للتعليب. والتسويغ للكرا، والفصول للمواد، والقار للدائم .

ومـــنها استعمالات معدول بها عن الأصل الثابت الفصيح كحَجَّر بدل حَجَر، وأطـــرد بـــدل طـــرد، واقتبل بدل استقبل، وأبهر محل بهر، وصلوحية مكان صلاح، ورصيفة موضع زميلة، وشاح بدل جفّ، والوسق عوض تصدير، وتوريد بدل استيراد.

ومـــنها مـــا يشـــهد للتأثر بالفرنسية وهذا كالذي شاع في الغالب عن أقلام المـــترجمين مـــن مـــثل اســـتعمال وقع في نحو قولك: المسألة التي وقع بحثها، والجريدة الـــناطقة، ولفـــائدة السلم مكان من أجل السلم، والنسبة لكونغو وطوجو وإلكترون بنحو كنجولى وطوجولى وإلكترونية .

ونحـــن إلى جانـــب هذه الملاحظات المتعلقة بالعربية المكتوبة اليوم بتونس والتي هـــي كمـــا هو الحال في كثير من البلاد العربية، تسمو وتتضع وتقوى وتضعف فتمثل الصـــراع الذي أشرنا إليه بين اللغتين وبين الفئات المنتسبة أو المنتصرة لها حالات عامة شعبية ومواقف خاصة صدر عنها مسئولون .

أمـــا الحـــالات العامة فتظهر في الشعور القومي قبل الاستقلال بوجوب الأخذ بالفرنســـية والاعتماد عليها كلية لبناء المستقبل، ثم في التحول عن هذا الشعور تدريجيًّا إلى وجـــوب إتقان العربية لغة الإسلام والعرب جميعًا، ولزوم استعمالها أكثر في الحياة اليومـــية والإداريـــة والعلمـــية والفكرية من أجل بلوغ مراكز القيادة والريادة في الغد الأفضل .

وأمـــا مع المسئولين فقد لاحظنا لدى الفئة الثانية القائمة على شرف الفصحى وخدمـــتها تحويلاً في برامج التعليم بجامع الزيتونة وبمعهد الخلدونية بتونس ، وباللخمية بصـــفاقس؛ وذلك بإدخال العلوم المختلفة الرياضية والطبيعية ونحوها في مناهج الدراسة وتلقيـــنها للتلامذة والطلاب باللسان العربي الفصيح، مقيمين بذلك الدليل العملي على أن اللغـــة العربـــية ليست كما يزعم خصومها صعبة معقدة لا تواكب التطور، وتعجز

عـــن الوفـــاء باحتياجات العصر. وهكذا أمكنت الكثير من الطلبة بعد حصولهم على شـــهادة التحصيل العصري أو شهادة البكالوريا العربية من الالتحاق بالكليات العلمية بالجامعات العربية في المشرق .

ولاحظنا إثر ذلك حركة رد فعل لدى ثاني وزير للتربية القومية بتونس في عهد الاســتقلال، فقد كان مع حبه للعربية وتعلقه بها واعتداد بمقدرته فيها يسره ألا يتكلم بين خاصته ومن حوله إلا بالفرنسية، ويرى بحكم إجادته للغتين، وهو أمر كما ذكرنا قلـــيل جـــد قلـــيل، أن الحاجة ماسة إلى ازدواجية اللغة وازدواجية التعليم، وقد نادى بذلك وخطط له في سياسة تونس التعليمية وصرح به لبعض الصحف قائلاً:

" إن الازدواجـــية في اللغة تبدو من الناحية النفسية البيداجوجية نوعًا متميزًا من الـــتكوين، هو بدون شك أصعب، ولكنه أثرى، إذ الازدواجية في اللغة تعني مضاعفة في الـــثقافة وفي نوعية التفكير وفي الشعور والتخيل وفي أبعاد الفكر، كما هي مضاعفة للشـــخص ذاتـــه، وأمـــام هذه المكاسب نقدم على اختيار الازدواجية مواجهين كل الصـــعوبات ومتغلـــبين بسهولة عليها. ويتأكد أن نضيف إلى ذلك أن الازدواجية في اللغـــة مثل للتكوين الصحيح، متى انتهت بصاحبها الآخذ بها إلى حصيلة غنية من ثراء اللغـــتين والثقافـــتين، فهـــي لا تشكل أبدًا خطر محو الشخصية القومية، بل التي على العكـــس تعطـــي تلـــك الشخصية كل أسباب التجديد والتفتح والتطور في ظل العالم الحديث .

ومضـــت ســـنين على هذه التجربة التي انتهت إلى نتائج سلبية غير سارة ولا مقـــبولة. ونـــادى كـــثير من رجال التعليم بالتعريب وتشكلت لجان من أجل توحيد المصـــطلحات بين أبناء المدارس في كامل بلاد المغرب. وانتصرت أخيرًا هذه السياسة، وبـــدأ التعريـــب فعلاً في المدارس والمعاهد والكليات. وإنا لنرجو للفصحى فوق ذلك مظهرًا .

* * *

أثر اللغة البربرية في عربية المغرب (*)

للأستاذ شارل كوينتز
خبير بلجنة اللهجات

تمهيد:

كان الحديث عن اللغات، وأصولها وفروعها، والصلة بينها، وموروث هذه من تلـــك، وأثر بعضها في بعض، كان الحديث عن هذا كله وأضرابه في زمن سلف شيئًا مـــرده إلى الحدس؛ إذ لم تكن أسباب البحث مملوكة ولا وسائله ميسورة. ونحن اليوم مـــع عصر تكاد تكون الألسن فيه على تباينها مقروءة، والعيش بين أصحابها والتحدث إلـــيهم هيـــنًا ميسورًا. فأصبح ما كان ظنًّا، اليقين أو شبيهه، وباتت الأقوال عن اللغة كالموزون والمقيس، لا تفوت القصد إلا في القليل .

وهناك نهجان للبحث في اللغات، أحدهما: النظر للغة كوحدة مستقلة، يبحث عـــن أصـــلها وتطورهـــا والأدوار التي مرت بها وأسباب قوتها وضعفها والعوامل التي أثـــرت فيها داخليًّا. وثاني النهجين: النظر للغة ما، كجزء من كل، وصلتها بغيرها من أخواتهـــا، وتأثـــرها بالأمم التي انفصلت عنها وما يتبع ذلك من مؤثرات وعوامل لها أثـــرها في تلـــك اللغة، وكذلك الحال في علمي النفس والاجتماع؛ فبينما عالم النفس يـــنظر للإنسان كوحدة منفصلة يدرسه شيئًا مستقلاً بذاته، إذ عالم الاجتماع لا يعرف الإنسان إلا واحدًا من مجموع تربطه بذلك المجموع صلات وروابط هي موضع درسه.

١-أثر اللغات بعضها في بعض:

هـــناك حقيقة معروفة هي أن اللغة تأخذ وتعطي، لا تخص بذلك بيئة دون بيئة ولا هـــي مـــع زمن دون زمن. ونكاد نعرف ذلك في مظهرين اثنين مختلفين. أحدهما: اتصال الشعوب بعضها ببعض في أحوال السلم. والآخر: اندماج شعب في شعب تحت ضغط ما.

(*) ألقـــي البحـــث في الجلسة السابعة لمؤتمر الدورة السابعة عشرة (١٠ من يناير سنة ١٩٥١)، ونشر بمجلة المجمع، بالجزء الثامن، ص ٣٢٦ .

فالأول يكون:

(أ) بـــالجوار بـــين الأمم المتباينة الألسن وما يتبعه في السلم من صلات تقوى وتضـــعف، وكلما مكنت الأسباب بين أمتين، رأينا الأخذ والعطاء على سبب موصول وكـــثرة ملحوظة. وبلون الصلة العاقدة يكون اللون اللغوي السائد، فالصلة التي مادتها التجارة غير الصلة التي رابطتها الثقافة. نلحظ ذلك واضحًا بين الشعوب الأوربية، فلا يولـــد هـــناك اســـم لحدث في الصناعة أو التجارة، حتى يشيع فيما جاور، ولا يدوي صـــوت عـــالم باسم لمسمى إلا تردد صداه فيما يحيط. فنعرف أن الفرنسية استعارت كلمات كثيرة من الإنكليزية في كل ما يتصل بالألعاب الرياضية مثل: Catch as catch can, football, sport كمـــا استعارت من الإيطالية ألفاظ الموسيقى منها : Allegro adagio, andante إلخ . كمـــا أخـــذت مـــن اللغات الشرقية كثرة من الألفاظ ذات الصلة بالحضارة الشرقية مادية أو معنوية مثل: Mosquée, imam, minaret إلخ.

(ب) والـــثاني: يكون بنـــزول الأمم الغالبة على الأمم المغاوية مع الغزو والفتح أو بـــأي ســـبب مـــن أسباب التسلط. وللقاهر سلطانه وللمقهور ضعفه، وهنا يكاد يفـــرض لسان الغالب على المغلوب فرضًا، يلقنه الشعب المغلوب على أمره ليفهم عن غالـــبه ويفهـــم عـــن نفسه؛ وفي ظل هذه السيطرة اللغوية تشيع في لغة الأمة المغلوبة كـــلمات الأمة الغالبة. وكما تعطي لغة الغالب تأخذ، فكثيرًا ما عادت لغة الفاتحين أو القاهـــرين وفي جعبـــتها جديـــد من كلمات المغلوبين تأخذ مكانها على مرّ الزمن إلى جانـــب الكـــلمات الأصـــلية. وللغويين اليوم رأي جديد، فهم يطلقون اسم سبسترا Substrat ومعـــناه الأصـــيل عـــند عـــلماء طـــبقات الأرض: الطـــبقة السفلي من الأرض. يـــريدون بذلك اللغة الأولى قبل أن يختلط بها غيرها فتتشكل أو تزول وتجيء عـــلى أنقاضها لغة أخرى، وقد استطاع اللغويون أن يتبينوا لهذه اللغة الأولى أثرها فيما حل محلها مع أنها اندثرت وزالت من الوجود.

٢-أثر اللغات أو اللهجات غير العربية في اللهجات العربية :

وقد غلبت اللغة العربية بغلبة أصحابها عصر الفتوح الإسلامية الواسعة، وفرضت نفسها لسانًا للمتكلمين في البلاد التي أظلتها راية الفتح، وكادت أن تمحو لغة الأوطان محوًا. ولكنها مع ما أعطت أخذت من كل وطن بجديد، ودس فيها ما لم يكن منها، وتأثرت اللهجات العربية الشائعة على ألسنة العامة هنا وهناك.

ونكاد نعرف هذا التأثر أعني تأثر العربية بغيرها في مناطق خمس :

(أ) ففي جنوب الجزيرة العربية، أثرت اللهجات الحميرية على اللهجات المحدثة عليها: مثال ذلك استعمال الكاف عوضًا عن تاء المتكلم عند بعض القبائل في الماضي نحو: " كتبك" بدل "كتبت"، ومعروف عند علماء النحو المقارن السامي والحامي أن "كتبك" بالكاف المضمومة هي الصيغة الأصلية في الحامية والسامية، وأن كتبت بالتاء المضمومة هي صيغة جديدة، وللاطراد والتوحيد قلبت الكاف تاء في العربية والعبرية حملاً على أختيها المفتوحة والمكسورة مع المخاطب .

(ب) وفي الشمال من المملكة العربية، أعني العراق والشام ولبنان، أثرت اللهجات الآرامية في اللهجات العربية. فنجد فيها كلمة "شِرْش" بمعنى جذر النبات وهي آرامية الأصل ويقابلها في السريانية " شرشا " ومعناها الجذر أيضًا . وكذلك "قف" بمعنى رقود الدجاجة على البيض، وهي في السريانية " قفّ " أيضًا.

(ج) وفي الوسط من الرقعة الإسلامية، أي مصر، رأينا أثر المصرية القديمة في طورها الأخير - أعني القبطية - في اللهجات العربية . فشاعت جملة من ألفاظ القبطية في العربية وخلدت مع الزمن، ولا زلنا نسمع للعامة الكلمات التي ليست من أصل عربي والتي تنتهي إلى ذلك الأصل المصري القديم، أعني القبطي، من ذلك كلمة "ناف" للنير وهي في القبطية " نَهْبَفِ" بمعنى النير أيضًا مأخوذة من الفعل الهيروغليفي "نحب" إذا زاوج بين شخصين أو حيوانين أو شيئين.

(د) وإلى الجنـــوب مـــن وادي النيل، أريد السودان، اختلطت لهجات السودان بـــلهجات العـــرب، وعلق بالعربية منها الكثير، نذكر من ذلك كلمة "كوشة" وتطلق هناك على القرطم أو العصفر وهي في النوبية بهذا المعنى أيضًا. ثم "عيسنت" بمعنى فرس الــبحر وهـــي نوبـــية الأصل مركبة تركيبًا إضافيًا من كلمتين أولاهما إسي أي الماء، والثانـــية تي بمعـــنى بقر. والنون التي بينهما للإضافة. ثم كلمة "دت" بمعنى "قط" وهي بجرمية الأصل .

(هـــ) وإلى الغـــرب، أعني في طرابلس وتونس والجزائر ومراكش حيث موطن اللغـــة الـــبربرية، شربت العربية من هذا المورد وأثرت اللهجات البربرية في اللهجات العربية أثرًا ملحوظًا. وهذا الأخير موضوع بحثنا الآن.

٣-اللغة البربرية قديمًا وحديثًا:

وقـــبل أن أمضي أحب أن أذكر أن المراد بالبربرية ليست لغة البرابرة أو النوبيين الذيـــن يســـكنون وسط وادي النيل فيما بين جنوبي أسوان ودنقلا، بل هي تلك التي جـــرت عـــلى ألسنة من سكنوا غربي مصر حتى المحيط الأطلسي إلى الشمال من مدار السرطان.

وهـــذه اللهجات كما نعرف، ترجع إلى أصل واحد، هو البربرية الأولى أخت السامية والمصرية والحامية.

ومـــنذ أن دخلـــت العربية مواطن البربرية وزحمتها، تقلصت اللهجات البربرية أمـــام هـــذا الزحف، واحتمت وراء الجبال وفي بطون المغاور، حيث يعز على الغازي المضي. وأصبحت في بقاع محدودة متفرقة، هي إذا أخذنا من الشرق مُغَرِّبين:

(أ) في ليبـــيا: واحـــات ســـيوة وأوجلا وسكنا ونمسا وغدامس وجبل نفوسة (جنوبي طرابلس).

(ب) في المغـــرب الأدنى : بعـــض جهات من جنوبي تونس ، أي سند وجزيرة جربة وتمزرط.

(ج) في المغـــرب الأوســـط: جبال الأوراس (حيث قبيلة الشاوية) والمنطقتان المســـمتان بالقـــبائل الكـــبرى والقبائل الصغرى شرقي مدينة الجزائر (حيث زواوة) وبعـــض الـــنواحي من جنوبي الجزائر، مثل تكرت وواركَلة والمزاب وواحات فيجيج وتافيلالت وكَرارة وتوات .

(د) في كـــثير مـــن مناحي المغرب الأقصى إما في شماليه، أي الريف، وإما في جنوبية، أي عند الشلوح، وعند الزناكة.

(هـ) بين معظم البـــدو الرحل المتنقلين في الصحراء الكبرى ، ومنهم التوارق والأهكَار والأزجر وغيرهم.

٤-أسباب تأثر اللغات بعضها ببعض وكيفيته:

(أ) أسباب هذا التأثر:

وقـــبل أن أســـوق ألوانًا من تأثر العربية بالبربرية في تلك الأصقاع، ينبغي أن أعـــرض للأســـباب التي تحمل الناس على الأخذ بالدخيل دون الأصيل، وأعرف تلك الأســـباب وأشـــيعها، مـــا نعرفه لكل جديد من شيوع. ونرى ذلك مع المكتشفات والمســـتحدثات في التجارة والصناعة والعلم، فما تكاد تولد في بلد حتى تطير إلى البلد الآخـــر. والناس عبيد كل جديد ولهم ولع بالتقليد. وهذه المستحدثات تفرض نفسها عـــلى الألسن المختلفة بأسمائها دون أن يمسها تبديل، وقد قدمت لذلك بعض الأمثلة . ويعد جديدًا أيضًا ما يلقاه النازح إلى وطن غير وطنه من مسميات لا عهد له بها، فهو آخذها مجربها على لسانه ضامها إلى قاموسه .

(ب) كيفية هذا التأثر :

(١)وشـــيء آخـــر مـــرده إلى البيئة الجغرافية فالمشاهد أنه كلما أوغلت لغة في مـــناطق مترامية الأطراف وأبعدت عن مراكزها الرئيسية، فقـــــدت مع البعد بعض مـــا لهـــا مـــن خصـــائص وصفات، وصيغت على جوهر آخر يكاد يخالف جوهرها الأول.

وشـــاهدنا عــــلى هــــذا من اللغات قديمها وحديثها في تطورها، اللاتينية حين جـــازت موطنها الأول روما ، إلى مهاجر من الأرض وأبعدت في السير حتى البحرين: الأطلسي والأسود، لقد أصابها ما أصاب غيرها، فبدت في مهاجرها غيرها في مهدها، جوهرًا غير الجوهر وخصائص غير الخصائص.

(٢) وهـــناك ظاهرة اجتماعية نعرفها في البدو الرحل، فهم أبعد من غيرهم عن الـــتأثر بلهجات سواهم؛ لما في طبيعة البدوي من الاعتزاز بكل ما يملك، فهو حريص على عاداته متمسك بتقاليده معتز بلسانه، يساعدهم على ذلك مجانبتهم لأهل الحضر، إلا في القلـــيل الذي تقضي به شئون الحياة، ذلك إلى أن نزوحهم إلى تلك المناطق كان متأخرًا و لم يجئ مبكرًا.

وغـــير الـــبدو سكان الحواضر، فهو مدنيون يأخذون ويعطون، ولذلك كانوا أسرع إلى التأثر من البدو يفيدون من اللغات المحيطة بهم وتؤثر فيهم.

(٣) وثمـــة شيء آخر مرده إلى اللغة. فالأسماء دون الأفعال، والحروف والصيغ، ســـهلة عـــلى الأخذ، هينة في الاستعمال؛ من أجل ذلك كان أول ما يشيع في لغة من اللغـــات أسماؤهـــا، وأكـــثر ما نعد من الدخيل يكون من الأسماء. والناس مع الأفعال والحروف والصيغ أقل أخذًا وانتفاعًا.

٥-نماذج من الصيغ والكلمات الدخيلة التي ترجع إلى أصل بربري:

ونســـتطيع بعـــد تعـــرف هذه المبادئ، أن نعرض جملة من الصيغ والكلمات البربرية التي دخلت إلى العربية في تلك الأصقاع.

(أ) في الصيغ

معـــروف أن في الجزائـــر ومـــراكش، يبني العوام أسماء الصناعات والصفات الخلقـــية عـــلى صيغة " تافعالت " بزيادة تاء في الأول وتاء في الآخر للتأنيث، ونعرف أن هذا من خواص اللغة البربرية.

مثال ذلك في الصناعات قولهم:

تابّنايــت، أي البـنـاية، وهي صناعة البناء، وتابيّاعت تاشّرايت، للتجارة وهي حرفة التجار.

ومـثال ذلـك في الصـفات الخلقـية: تاشـيطانت، ويقابلها بالمصرية الشيطنة، وتاحراميت، وهي صفة اللصوصية أو المكر.

(ب) في الكلمات

(١) مثال ذلك من الأسماء قولهم :

(أ) في الطبيعيات

تبْرُورِي أو تبْرِيرُو : البَرَد (الحَبْقُر).

أميلُوس : الوحل.

أزَايت أو أزيَاط : الريح الشديدة العاصفة.

أكدَال : المرج والمرعى غير المباح .

(ب) في المعادن

ألدُون أو أدَنْدُون : القصدير.

بُولْدُون : الرصاص.

(ج) في النبات

أمْدَر : فرع الشجرة.

تَالَكَة : القصل.

دَاليس : الخيزران.

سَاسْنُو : القَطْلب (نوع من الشجر).

سَكُوم : الهليون (كشك ألماز).

سَمُّوم : الحصرم.

طاقة : العرعر.

قَرُّوش أو كَرُّوش : نوع من البلوط.

وَرْوَار : السنبوقة.

(د) في الحيوان

بيبط : نوع من الطيور.

أَبْزِيْز : نوع من الجراد.

تَاتَة : الحرباء (أم حبين).

تِبِّيب : الهدهد.

جَغْلال : الحلزون.

ارْزَزَّى أو فَرْزَزُّو : الزنبور.

زَاوِشْ أو بزْوِيشْ : العصفور.

فَكْرُون : السلحفاة.

قَطُّوسْ : القط.

قلْوَاش : الجُديّ (تصغير جدي).

قُلاَف : حزْق النحل.

قَمْقُوم : منقار الطير.

مِسِيسِي أو مَسُوسِي : نوع من الطير (أبو فصادة).

مُولاب أو بُولاَم : الجرذون.

ودَاد : الوعل.

وُكْرِيف : العجيل (تصغير عجل).

(هـ) في الإنسان

(١) جسمانيًا

آلِيط أو وِيلَط أو لَطَّه : بشرة جافة تكون في جفن العين (الشعيرة).

شَنْتُوف : الشوشة.

مَصَاصَة : الخاصرة والقَطَن والكفل.

(٢) اجتماعيًّا

مِزْوار : نقيب الأشراف.

مَازُوزِي : الأخير من النتاج زراعيًّا كان أو آدميًّا.

تويزَة : التبادل والتعاون بين أهل القرى.

قَنْدُوز : التلميذ.

لُيوس : السلْف (أخو الزوج).

تِغْراض : الأجر (ومعنى الكلمة البربزية الأصلية تدل على الأكتاف).

(و) في المأكولات

أنْكُولْ : نوع من الرغيف (يقرب من شكل الشريك المصري).

بَرْقوقِس أو بَرْكوكِس :نوع من الكسكسي الخشن .

بُوزَلُّوف : رأس الخروف المطهي .

قَرْشَالة : النخالة الناعمة.

(ز) في المصنوعات

أشَاشُو : مكيال.

أفْرُور : نوع من الخزف الأحمر.

أقْرَاب : الخرج أو الجراب المصنوع من ألياف الدوم.

أقْوَال وقَلاَّل : نوع من الطبل المسمي عند أهل مصر بالدربكة.

أقْرور : خُم الدجاج .

تَافزَة : نوع من الحجر الرملي .

تَافْرَة : إناء من الفخار أو الخشب .

أفْرَاكَ : جدار من النسيج (توك).

زقَاوْ : مقطف كبير .

قَلُّوش : إناء صغير من الفخار .

نَمْسير : الثفال .

هَرْكُوس : حذاء مستعمل أو من صنع غير دقيق.

(٢) مثال ذلك من الأفعال قولهم :

صَيْفَط. زَيْفَط. صَفَّط : أرسل.

سَاط أو صاط : نفخ في النار بالمنفاخ.

فَزَق : تبلل .

كَفَّس : لطخ بسواد أو فضح .

(٣) مثال ذلك من الحروف قولهم:

نِيتْ : ذات أو نفس تستعمل في التراكيب مثل هونيت، هو نفسه، في ديك الساعة نيت، أي في تلك الساعة بالضبط.

ن : مستعملة كحرف جر عوضًا عن لام الجر في طنجة فيقولون: قال انخاك بدلاً من قال لأخيك .

ن : أداة الإضافة مثل :

بْوَاين القائد : أبو القائد.

يْمَايْن القائد : أم القائد.

خَايْن القائد : أخو القائد .

(٤) مثال ذلك من تراكيب الكلمات:

تنكر اللغة البربرية أداة التعريف، شأنها في ذلك شأن التركية والفارسية واللاتينية والروسية. فمن أجل ذلك نرى أن الألفاظ التي استعارتها العربية من البربرية

لا تـــزال مستعملة في بعض النواحي المراكشية من غير "الـــ" التعريفية تأثرًا بالبربرية . فـــيقولون مثلا: هات أنقول أي هات الرغيف، وعدم وجود ألف لام التعريف لا يدل على التنكير بل هي معرفة .

الختــــــــام

ولـــو قصدت إلى التوسع في التمثيل والاستقصاء في الاستشهاد لسقت كثيرًا مما لا يتســـع له حصـــر ويضـــيق عنه الوقت. وإنما أردت التدليل والإبانة، فاكتفيت بما أوردت.

ولـــو كان كلامي في غير أثر البربرية في العربية ، لعقبت على كل كلمة بذكر بيئـــتها الجغرافية، وعرضت لأصلها والأطوار التي مرت بها وصلتها بغيرها، ولكن لهذا بحثًا مستقلاً نتناوله إذا أردنا الكلام على البربرية وحدها، عندها يتسع المجال للتشعب والإسهاب.

وأعـــود إلى حديثي عن أثر البربرية في العربية فأذكر أن تلك النتائج التي انتهيت إلـــيها والتي هي ذات التأثير في اللغات، أعني الظروف الجغرافية، والظاهرة الاجتماعية، ثم خفة الأسماء وسهولة الانتفاع بها دون الأفعال والحروف. فلكل من هذه الثلاثة أثره المحسوس فيما نحن بصدده من تأثير البربرية على العربية ودليل ذلك:

(١) أن أثـــر اللهجات البربرية في العربية أشد وأقوى في المغرب الأقصى منه في المغـــرب الأوسط، وهو في الأوسط أكثر منه في المغرب الأدنى. وسنده ما قدمنا من أن اللغـــة كـــلما بعـــدت عن مركزها الأصلي ضعفت غلبتها وقوي عليها غيرها. وأن البربرية اتخذت من المغرب الأقصى معقلها الأخير في فرارها أمام زحف العربية.

(٢) أن الحضـــر كانوا أكثر أخذاً للكلمات البربرية، وذلك لأن البدو أبعد عن الاخـــتلاط وأحفظ لموروثهم، وعلى العكس من هذا الأمر في الحضر، فهم في اختلاط مســـتمر ثم هـــم يتطورون بتطور المدنيات. ومعلوم أن اللغات تساير المدنيات وتأخذ منها.

(٣) أن الكــثرة مــن الأصل البربري في العربية من الأسماء والقلة من الأفعال والحروف والصيغ والتراكيب.

ثم نضيف إلى ما سبق ملاحظات شتى:

(١) أن القدر الأوفى مما دخل العربية من البربرية إنما كان لمسميات جديدة من نــبات أو حيوان أو غيرها لم يعرفها العرب من قبل، فحملوا على أخذها حملاً ليسدوا فراغًا لم يجدوا في لغتهم ما يسده.

(٢) ونجــد أن أكــثر تلــك الأسمــاء ذات دلالــة ذاتية، والقليل النادر منها ذات دلالــة معــنوية، والــندرة في المعنويات دليل على أن الثقافة العربية أوسع نطاقًا وأبعــد مدى. ولو مكن لي أن أفيض في البحث عن تأثير العربية في اللهجات البربرية، لوصــلت إلى مــا يــأتي: وهو أن هذا التأثير أفسح مدى من تأثير البربرية في العربية، وســبب هــذا هــو مــا أشــرت إلــيه وهو سيادة الثقافة والمدنية العربيتين على البربرية.

(٣) وقــد يســبق إلى الظــن أن كل ما أوردت من الكلمات البربرية للتمثيل والاستشــهاد ينــتهي إلى أصل بربري، بل قد وجدت منه ما إلى اللاتينية أصله أو من العربــية مأخذه. مثال ذلك "قطّوس" فإنها من أصل لاتيني، ثم "أقراب" فإنها من الكلمة العربية " قراب " ثم زادت عليها البيئة ما يجعلها منها.

(٤) وقــد ذكر بعض المستشرقين كلمات رجعوا بها إلى أصل بربري رأيت ألا أجعــلها في مســاق تمثيلي لأن لي معها رأيًا آخر، مثال ذلك "زبّوج"، التي هي بمعنى الزيــتون فقــد قيل عنها إنها مأخوذة من البربرية، وأكاد أرى أنها عربية الأصل وأنها تــرجع إلى كلمة زعبج العربية، وعنها تحورت بعد، ففقدت عينها طبقًا لقانون صوتي للغــة البربرية، وكذلك الحال في "كركور" التي بمعنى الحجارة المتراكمة فقد قيل عنها هــي الأخــرى إنها من أصل بربري ونميل إلى أنها من أصل عربي وهو " قهقور" وعنه تشكلت .

وهذا البحث جزء من كل، يمت إلى موضوع واسع شغلت بدراسته - ولا زلت مشغولاً به - أريد أن أخلص منه إلى نتائج عامة عن تأثر اللغات بعضها ببعض، فعندي أن اللغات مهما بعد ما بينها في الظاهر، لها صلات بغيرها، وإن قدر للأمم أن تعيش في معزل عن غيرها بعض الوقت فقد قربت الحياة بينها أكثر. وما من شعب إلا وحمل إليه كما حمل عنه. والأمم والشعوب كالأفراد لا تهدأ لها صلة ولا تسكن لها ثائرة .

وأملي أن أتبع هذا البحث الجزئي بغيره فأتناول اللهجات العربية في بيئاتها المختلفة وأفرد المصرية الشائعة اليوم ببحث أكشف فيه عن تأثرها بالمصرية القديمة.

وتعرفون أن لعلم اللغة أسلوبين، أحدهما نظري والآخر تطبيقى، فأولهما: ينظر للغة كأداة للنطق والتفاهم من غير خضوع للزمان والمكان ، وموضوع هذا البحث دراسة كل لغة كوحدة مستقلة، وتعرف أسباب تطورها الذاتية من غير نظر إلى مؤثر خارجي .

وثانيهما - وهو التطبيقي - فإنه يعد كل لغة كجزء من مجموع اللغات، فإذا تعرض لها ببحث أو دراسة، رجع إلى اللغات من حولها والعلاقات بينها وبين بعضها، والتفت إلى الزمان والمكان ليعرف أثرهما في ذلك اللقاح، ولكل لغة تاريخها الموغل في القدم، وهذا الماضي الحافل بالأحداث التاريخية لا يمكن لدارس أن يستغني عنه، إذا أراد أن يفهم خصائص هذه اللغة على المنهج السليم. كما أنه لا يمكن أن نفهم خصائص إنسان ما، من غير رجوع إلى ماضيه وأحداثه، وكذلك أثر البيئة في حياته.

*　　*　　*

مطابع مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر
٩٢ش قصر العينى - القاهرة ت: ٧٩٥١٨١٠ - ٧٩٥١٨١٨